١ - تراث الإسلام



السيرة النبوية لابن هشام

حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها

مصطفى السقا
الأستاذ بكلية الآداب
جامعة القاهرة

ابراهيم الأبيارى
مدير إدارة إحياء
التراث القديم

عبد الحفيظ شلبى
مدير المكتبات الفرعية
بدار الكتب المصرية

القسم الثانى

يشمل الجزأين : الثالث والرابع

الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م

ملتزم الطبع والنشر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر



ذكر أسرى قريش يوم بدر

(من بنى هاشم) :

قال ابن إسحاق : وأسر من المُشركين من قُريش يومَ بدر ، من بنى هاشم بن عبد مناف : عَقِيلُ [1] بن أبى طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم ؛ ونوفل [2] بن الحارث بن عبد المطَّلب بن هاشم [3] .

(من بنى المطلب) :

ومن بنى المطَّلب بن عبد مناف : السَّائبُ بنُ عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطَّلب ؛ ونُعْمان بن عمرو بن عَلْقمة بن المطَّلب . رجلان .

---

(١) أسلم عقيل عام الحديبية وحسن إسلامه ؛ وقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا يزيد ، إنى أحبك حبين : حبا لقرابتك منى ؛ وحبا لما أعلم من حب عمى إياك . وقد سكن عقيل البصرة ، ومات بالشام فى خلافة معاوية .

(٢) أسلم نوفل عام الخندق ، وهاجر ؛ وقيل : بل أسلم حين أسر ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : افد نفسك ؛ قال : ليس لى مال أفتدى به ! قال : افد نفسك بأرماحك التى بجدة ؛ قال : والله ما علم أحد أن لى بجدة أرماحا غير الله ، وأشهد أنك رسول الله . وهو ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وأعان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رمح ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : كأنى أنظر إلى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين .

ومات نوفل بالمدينة سنة خمس عشرة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما .

(٣) قال أبو ذر : « ولم يذكر معهما العباس بن عبد المطلب ، لأنه كان أسلم ، وكان يكتم إسلامه خوف قومه » .

(من بنى عبد شمس وحلفائهم) :

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس ؛ والحارث بن أبى وجزة [1] بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ؛ ويقال : ابن أبى وحرة ، فيما قال ابن هشام [2] .

قال ابن إسحاق : وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن (عبد) [3] شمس ؛ وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس .

ومن حلفائهم : أبو ريشة بن أبى عمرو ؛ وعمرو بن الأزرق ؛ وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى . سبعة نفر .

(من بنى نوفل وحلفائهم) :

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل ؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخى غزوان بن جابر ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ؛ وأبو ثور ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

(من بنى عبد الدار وحلفائهم) :

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ والأسود بن عامر ، حليف لهم . ويقولون : نحن بنو الأسود بن عامر ابن عمرو بن الحارث بن السباق . رجلان .

(من بنى أسد وحلفائهم) :

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : السائب [4] بن أبى حبيش بن المطلب ابن أسد ؛ والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد :

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

---

(١) فى م ، ر : « وجرة » وهو تصحيف .

(٢) قال أبو ذر « كذا قيده الدارقطنى كما قال ابن هشام » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) والسائب هذا ، أخو فاطمة بنت أبى حبيش المستحاضة ، وهو الذى قال فيه عمر بن الخطاب : ذاك رجل لا أعلم فيه عيبا ، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قيل : إن هذه المقالة قالها عمر فى ابنه عبد الله بن السائب . (راجع الروض الأنف) .

قال ابن إسحاق : وسالم بن شَمَّاخ ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرَّة : خالدُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مَخْزوم [١] ؛ وأُميَّة بن أبى حُذيفة بن المُغيرة والوليد بن الوليد بن المُغيرة ؛ وعُثمان بن عبد الله بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وصَيْفى ابن أبى رِفاعة بن عابد [٢] بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ؛ وأبو المنذر [٣] بن أبى رفاعة ابن عابد بن عَبد الله بن عُمر بن مخزوم ؛ وأبو عَطاء عبد الله بن أبى [٤] السَّائب بن عَبد الله بن عُمر بن مخزوم ، والمُطَّلب بن حَنْطب بن الحارث بن عُبيد بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان — فيما يذكرون — أوّل من وَلّى فارًّا منهزما ، وهو الذى يقول :

ولسْنا على الأدبارِ تَدْمى كُلُومنا [٥] ولكنْ على أقدامنا يَقْطُر الدَّمُ

تسعة نفر :

قال ابن هشام : ويروى : « لَسْنا على الأعْقابِ » :

وخالد بن الأعلم ، من خُزاعة ؛ ويقال : عُقَيْلىّ :

(من بنى سهم) :

قال ابن إسحاق : ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : أبو وَداعة ابن ضُبيرة [٦] بن سَعيد بن سَعْد بن سَهم ، كان أوّل أسير أفتُدِى من أسرى بدر افتداه ابنُه المطَّلب بن أبى وَداعة ؛ وفَرْوة بن قَيْس بن عَدىّ بن حُذافة

---

(١) قال السهيلى : « وذكره — يريد خالدا — بعضهم فى المؤلفة قلوبهم » .

(٢) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى ، وفى سائر الأصول : « عائذ » قال أبو ذر : « كل ما كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، يعنى بالباء والدال المهملة ، وكل من كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ ، يعنى بالياء المهموزة والذال المعجمة » .

(٣) قال أبو ذر : « ويروى أيضا : المنذر بن أبى رفاعة . وكذا قال فيه موسى بن عقبة فى المغازى » .

(٤) فى ا : « عبد الله بن السائب » والظاهر أنه تحريف ؛ إذ المعروف أن أبا السائب هو ابن عائذ ابن عبد الله ، وأن له ابنا يقال له : السائب .

(٥) الكلوم : الجراحات .

(٦) فى م ، ر : « صبيرة » بالصاد المهملة وهما روايتان فيه .

ابن سعد [١] بن سهم ؛ وحَنْظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سَعْد بن سهم ؛ والحجّاج [٢] ابن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم . أربعة نفر :

(من بنى جمح) :

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبدُ الله [٣] بن أُبىّ بن خلف ابن وهب بن حُذافة بن جُمح ؛ وأبو عزّة عمرو بن عبد بن عُثمان بن وُهيب [٤] بن حُذافة بن جُمح ؛ والفاكه ، مولى أُميّة بن خلف ، ادّعاه بعد ذلك رَباح بن المُغتَرف ، وهو يزعُم أنه من بنى شَمّاخ بن مُحارب بن فهر — ويقال : إن الفاكه : ابنَ جَرْول بن حِذْيم بن عوف بن غَضْب بن شَمّاخ بن مُحارب بن فِهر — ووَهْب [٥] بنُ عُمَير بن وهب بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن جُمح ؛ وربيعة ابن درّاج بن العَنْبس بن أُهْبان بن وَهب بن حُذافة بن جُمح . خمسة نفر .

(من بنى عامر) :

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ : سُهيل [٦] بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر ، أسره مالك بن الدُّخْشُم ، أخو بنى سالم بن عَوْف ؛ وعبد [٧] بن زَمَعة بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ودّ بنَ نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وعبد الرحمن بن مَشْنوء [٨] بن وَقْدان بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر . ثلاثة نفر :

---

(١) فى الأصول هنا وفيما سيأتى فى نسب الحجاج : « سعيد » وهو تحريف . وقد تقدم الكلام على هذا فى الجزء الأول من هذه الطبعة .

(٢) قال السهيلى : « وأحسب ذكر الحجاج فى هذا الموضع وهما ، فإنه من مهاجرة الحبشة ، وقدم المدينة بعد أحد ، فكيف يعد فى أسرى المشركين يوم بدر ! » .

(٣) أسلم عبد الله هذا يوم الفتح وقتل يوم الجمل .

(٤) فى م ، ر : « أهيب » .

(٥) أسلم وهب بعد أن جاء أبوه عمير فى فدائه ، فأسلما جميعا .

(٦) أسلم سهيل ومات بالشام شهيدا ، وهو خطيب قريش .

(٧) هو أخو سودة بنت زمعة ، أسلم . وهو الذى خاصمه سعد بن أبى وقاص فى أخيه من أبيه عبد الرحمن ابن زمعة بن وليدة زمعة . وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : هو لك يا عبد بن زمعة . (راجع الروض الأنف والاستيعاب فى ترجمتى عبد بن زمعة وعبد الرحمن أخيه) .

(٨) فى ا : « منشوء » .

(من بنى الحارث) :

ومن بنى الحارث بن فِهر : الطُّفيل بن أبى قُنَيع ؛ وعُتبة بن عمرو بن جَحْدم . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من حُفِظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

(ماقات ابن إسحاق ذكرهم) :

قال ابن هشام : وقع من جُملة العدد رجل لم نذكر اسمه ، وممن لم نذكر ابن إسحاق من الأسارى :

(من بنى هاشم) :

من بنى هاشم بن عبد مَناف : عُتبة ، حليف لهم من بنى فِهْر : رجل .

(من بنى المطلب) :

ومن بنى المطّلِب بن عبد مناف : عَقيل [1] بن عمرو ، حليف لهم ؛ وأخوه تَمِيم بن عمرو ؛ وابنه . ثلاثة نفر .

(من بنى عبد شمس) :

ومن بنى عبد شَمس بن عبدمناف : خالد بن أسيد بن أبى العيص ؛ وأبو العريض يَسار ، مولى العاص بن أُميّة . رجلان .

(من بنى نوفل) :

ومن بنى نَوفل بن عبد مناف : نَبْهان ، مولى لهم . رجل :

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : عبدُ الله [2] بن حُميد بن زُهير بن الحارث : رجل .

(من بنى عبد الدار) :

ومن بنى عبد الدّار بن قُصىّ : عَقِيل ، حليف لهم من اليمن . رجل .

---

(١) ق م ، ر : « عليل » .

(٢) قال السهيلى : « المعروف فيه : عبيد الله بن حميد ، وكذلك ذكره ابن قتيبة وأبو عمرو الكلاباذى وأبو نصر ، وهو مولى حاطب بن أبى بلتعة » .

(من بنى تيم) :

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : مُسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم ؛ وجابر بن الزّبير ، حليف لهم . رجلان .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مَخْزوم بن يَقظة : قَيْسُ بن السّائب . رجل .

(من بنى جمح) :

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن أُبَىّ بن خلَف ؛ وأبو رُهْم بن عبد الله ، حليف لهم ؛ وحليف لهم ذهب عنى اسمُه ؛ ومَوْليان لأُميَّة بن خلَف ، أحدهما نِسطاس [1] ؛ وأبو رافع ، غلام أُميَّة بن خلَف : ستة نفر .

(من بنى سهم) :

ومن بنى سهم بن عمرو : أسْلَم ، مولى نُبيه بن الحجّاج : رجل .

(من بنى عامر) :

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ : حبيب بن جابر ؛ والسائب بن مالك : رجلان .

(من بنى الحارث) :

ومن بنى الحارث بن فِهْر : شافع وشَفيع ، حليفان لهم من أرض اليمن : رجلان .

ما قيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحاق : وكان ممّا قِيل من الشعر فى يوم بدر ، وترادّ به القومُ بينهم لما كان فيه ، قولُ حمزة بن عبد المطّلب يرحمه الله :

— قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتَها — :

ألم ترَ أمْرًا كان من عَجَبِ الدهرِ وللحَيْن أسبابٌ مبيَّنة الأمْرِ [2]

---

(١) أسلم نسطاس بعد أحد ، فيما يقال .

(٢) الحين : الهلاك .

وما ذاكَ إلا أنّ قَوْماً أفادَهم   فحانوا تواصٍ بالعُقوق وبالكُفْرِ[١]
عَشِيَّةَ راحُوا نحو بَدْرٍ بجَمْعهم   فكانوا رهُونا للرَّكِيَّة مِن بَدْرِ[٢]
وكنَّا طلَبْنا العِيرَ لم نَبْغِ غيرَها   فساروا إلَيْنا فالتَقَيْنا على قَدْرِ
فلمَّا الْتَقَينا لم تَكُن مَثْنَوِيَّةٌ   لنا غيرِ طَعْنٍ بالمثقَّفة السُّمْرِ[٣]
وَضَرْبٍ ببيضٍ يَختلى الهامَ حدُّها   مُشَهَّرَة الألوان بَيِّنَة الأُثْرِ[٤]
ونحن تَركنا عُتْبَةَ الغَيِّ ثاويا   وشَيْبَةَ فى القَتْلى تَجَرْجَمُ فى الجَفْرِ[٥]
وعَمْرو ثوى فيمن ثَوَى من حُماتِهم   فشُقَّت جُيوب النَّائحات على عمرو
جُيُوبُ نِساءٍ من لُؤَيّ بن غالِب   كرام تَفرَّعْن الذَّوائبَ من فِهْرِ[٦]
أولئك قَوْمٌ قُتِّلوا فى ضَلالهم   وخلَّوا لواءً غيرَ مُحْتَضر النَّصْر
لِواء ضَلال قاد إبليسُ أهلَه   فخاس بهم ، إنّ الخبيث إلى غَدْرِ[٧]
وقال لهم ، إذ عاينَ الأمرَ واضحا   بَرِئت إليكم ما بىَ اليومَ من صَبْر
فانى أرَى ما لا تَرَوْنَ وإنّنى   أخاف عِقاب الله والله ذو قَسْر[٨]
فقَدَّمهم للحَيْن حتى تورّطوا   وكان بما لم يَخْبُر القومُ ذا خُبْر[٩]
فكانوا غَداةَ البئر ألفا وجَمْعُنا   ثلاثُ مِئين كالمُسَدَّمة الزُّهْر[١٠]
وفينا جُنُود الله حين يُمِدُّنا   بهم فى مَقامٍ ثَمَّ مُسْتَوْضَحِ الذِّكْر[١١]
فشدَّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا   لدى مَأزِق فيه مناياهُم تَجْرى[١]

---

(١) أفادهم : أهلكهم ، يقال : فاد الرجل : إذا مات . وتواص ، تفاعل ، من الوصية ؛ وهو الفاعل للفعل (أفادهم) .

(٢) الرهون ، جمع رهن . والركية : البئر غير المطوية .

(٣) مثنوية : أى رجوع وانصراف . والمثقفة : الرماح المقومة .

(٤) يختلى : يقطع . والهام : الرؤوس . والأثر (بضم الهمزة) : وشى السيف وفرنده .

(٥) ثاويا : مقيما . وتجرجم : تسقط . والجفر : البئر المتسعة .

(٦) تفرعن : علون . والذوائب : الأعالى .

(٧) خاس : غدر .

(٨) القسر : القهر والغلبة .

(٩) تورطوا : وقعوا فى الهلكة .

(١٠) المسدمة : الفحول من الإبل . والزهر : البيض .

(١١) فى ا : « منايا بهم تجرى » .

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة ، فقال :

أَلا يا لقَوْمي[1] للصَّبابة[2] والهَجْرِ ... وللحُزْن مِنّي والحَرارة في الصَّدْرِ

وللدَّمْع من عَيْنَيَّ جَوْدًا كأنّه ... فريدٌ هوَى من سِلْكِ ناظِمه يَجْرِي[3]

على البَطَل الحُلْو الشَّمائل إذ ثَوى ... رَهِينَ مقامٍ للرَّكيَّة من بَدْرِ

فلا تَبْعُدَنْ يا عمرو من ذي قَرابةٍ ... ومن ذي نِدامٍ كان ذا خُلُقٍ غُمْرِ[4]

فإنْ يكُ قومٌ صادفوا منك دَوْلَةً ... فلا بُدَّ للأيام من دُوَل الدَّهْرِ

فقد كنتَ في صَرْف الزَّمان الذي مضَى ... تُريهم هَوَانا منك ذا سُبُلٍ وَعْرِ

فإلاَّ أمُتْ يا عَمْرو أتْرُكْكَ ثائرًا ... ولا أُبْقِ بُقْيا في إخاءٍ ولا صِهْرِ[5]

وأقطَعُ ظهرًا من رجال بمَعْشرٍ ... كرامٍ عليهم مثل ماقطعوا ظَهْرِي

أغرهم ما جمَّعوا من وشيظة ... ونحن الصَّميم في القبائل من فِهْرِ[6]

فيالَ لُؤيّ ذَبِّبوا عن حَريمكم ... وآلهةٍ لا تترُكُوها لذي الفَخْرِ[7]

تَوارثَها آباؤكُمْ ووَرِثْتُمُ ... أواسِيَّها والبيتَ ذا السَّقْفِ والسِّتْرِ[8]

فما لِحَلِيمٍ قد أراد هَلاكَكُم ... فلا تَعْذِروه آلَ غالبَ من عُذْرِ[9]

وجِدُّوا لمن عادَيْتُم وتَوازرُوا ... وكونُوا جميعا في التأسّي وفي الصَّبْرِ[10]

لَعَلَّكُمُ أنْ تَثْأَرُوا بأخيكُمُ ... ولا شيءَ إن لم تثأروا بذَوِي عمرو[11]

---

(١) في ا : « ألا يالقوم » .

(٢) الصبابة : رقة الشوق .

(٣) الجود : الكثير : يقال : جادت السماء تجود جودا (بالفتح) : إذا كثر مطرها . والفريد : الذهب والدر .

(٤) كذا في ا . والغمر : الواسع الخلق ؛ يقال : رجل غمر الخلق : إذا كان واسعها حسنا . وفي سائر الأصول : « عمرو » وهو تحريف .

(٥) ثائر : ذو ثأر . وفي ا : « ثابرا » . والثابر : الخاسر .

(٦) الوشيظة : الأتباع ومن ليس من خالص القوم . والصميم : الخالصون في أوليائهم .

(٧) ذببوا : ادفعوا وامنعوا .

(٨) الأواسي : جمع آسية ، وهي ما أسس عليه البناء .

(٩) غالب (هنا) : اسم قبيلة ، ولذلك لم يصرفه .

(١٠) توازروا : تعاونوا .

(١١) تثأروا بأخيكم ، أي تأخذوا بثأره .

بمَطَّردات فى الأكُفّ كأنّها وَميضٌ تُطِير الهامَ بينـة الأُثْر[١]
كأنّ مَـدبّ الذرّ فوق مُتونها إذا جُرِّدت يوما لأعدائها الخُزْر[٢]

قال ابن هشام : أبْدَلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابنُ إسحاق ، وهما « الفخر » فى آخر البيت ، و« فما لحليم » ، فى أوّل البيت ، لأنه نال فيهما من النبىّ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب فى يوم بدر :

قال ابن هشام : ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يَعْرفها ولا نَقيضَتَها ، وإنما كتبناهما لأنه يقال : إن عمرو بن عبدالله بن جُدْعان قُتل يوم بدر ، ولم يذكره ابن إسحاق فى القتلى ، وذكره فى هذا الشعر :

ألم تَر أنّ الله أبْلَى رسُـولَه بلاءَ عزيزٍ ذى اقتدار وذى فَضْلِ[٣]
بما أنْزل الكُفَّارَ دار مَـذَلَّة فلاقَوْا هَوانا مِن إسارٍ ومن قَتْل
فأمسى رسولُ الله قد عزَّ نَصْرُه وكان رسول الله أرْسِل بالعَـدْل
فجاء بفُرْقانٍ مِنَ الله مُنزَل مُبَيَّنَةٌ آياتُه لذوى العقْـل
فآمَن أقوامٌ بذاك وأيْقنـوا فأمْسَوا بحمدالله مُجْتَمِعِى الشَّمْل
وأنكر أقوامٌ فزَاغت قلوبُهم فزادهمُ ذوالعَرْش خَبْلا على خَبْل[٤]
وأمْكَن منهم يومَ بَدْرٍ رسولَهُ وقوما غِضابا فِعْلُهم أحسنُ الفِعْل
بأيْديهم بيضٌ خِفافٌ عَصوا بها وقد حادثُوها بالجِـلاء وبالصَّقْل[٥]
فكم تركُوا من ناشئٍ ذى حَمِيَّـة صَريعا ومن ذى نَجْدَة منهمُ كَهْل

(١) بمطردات ، أى بسيوف مهتزات . والوميض : ضوء البرق . والهام : الرءوس .
(٢) الذر : صغار النمل . والخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه كبرا وعجبا .
(٣) أبلى : أى من عليه وأنعم ، وصنع له صنعا حسنا . قال زهير :
فأبلى هنا خير البلاء الذى يبلو
(٤) زاغت : مالت عن الحق . والخبل : الفساد .
(٥) بيض خفاف ، يعنى السيوف . وعصوا بها : ضربوا ، يقال : عصيت بالسيف ، إذا ضربت به . وحادثوها : تعهدوها .

تَبِيتُ عيونُ النّائحات عليهمُ ... تجودُ بإسْبال الرّشاش وبالوَبْل[1]
نَوائحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الغَىّ وابنَه ... وشَيْبَةَ تَنْعاه وتَنْعَى أباجَهْل
وذا الرّجلِ تَنعَى وابن جُدعان فيهمُ ... مُسَلِّبَةٌ حَرّى مبيِّنة الثُّكْل[2]
ثَوَى[3] منهم فى بئر بدر عصابةٌ ... ذَوِى نَجَدَاتٍ فى الحُروب وفى المَحْل
دعا الغَىُّ منهم مَنْ دعا فأجابه ... وللغَىِّ أسبابٌ مُرَمَّقة الوَصْل[4]
فأضْحَوا لدَى دار الجحيم بمَعْزِلٍ ... عن الشَّغب والعُدوان فى أشغل الشُّغْل[5]

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة ، فقال :

عَجِبْتُ لأقوامٍ تَغَنَّى سَفيهُهُم ... بأمرٍ سَفاهٍ ذى اعتراض وذى بُطْل
تَغَنَّى بقَتْلَى يومَ بدر تَتابعوا ... كِرَامِ المَساعى من غُلام ومن كَهْل
مَصاليتَ[6] بِيضٍ من لُؤَىّ بن غالب[7] ... مَطاعينَ فى الهَيْجا مَطاعِيمَ فى المَحْل[8]
أُصيبوا كِرامًا لم يَبِيعُوا عَشِيرةً ... بقوم سِواهم نازحى الدّار والأصْلِ
كما أصبحتْ غَسّانُ فيكم بطانةً[9] ... لكم بَدَلًا منّا فيالكَ من فِعْل
عُقوقًا وإثمًا بَيِّنًا وقَطيعةً ... يَرَى جَوْرَكم فيها ذَوُو الرأى والعقل
فان يكُ قومٌ قد مَضَوا لسبيلهم ... وخيرُ المَنايا ما يكون من القَتْل
فلا تَفرَحوا أن تَقْتلوهم فقَتْلُهم ... لكم كائنٌ خَبْلًا مُقيمًا على خَبْل
فانكم لن تَبرَحوا بعد قَتْلهم ... شَتِيتًا[10] هَوَاكم غيرُ مُجْتَمِعى الشَّمل

---

(١) الإسبال : الإرسال ؛ يقال : أسبل دمعه ، وذلك إذا رسله . والرشاش : المطر الضعيف . والوبل : الكثير ، واستعارها هنا لقليل الدمع وغزيره .

(٢) يريد « بذى الرجل » : الأسود الذى قطع حمزة رجله عند الحوض . والمسلبة : التى لبست السلاب ، وهى خرقة سوداء تلبسها الثكلى . وحرى : محرقة الجوف من الحزن . والثكل : الفقد .

(٣) فى ا : « ترى » .

(٤) مرمقة : ضعيفة ، من الرمق ، وهو الشىء اليسير الضعيف .

(٥) الشغب : التشغيب .

(٦) المصاليت : الشجعان .

(٧) فى ا : « من ذؤابة غالب » وذؤابة كل شىء : أعلاه .

(٨) مطاعين ، جمع مطعان ، وهو الذى يكثر الطعن فى الحرب . والهيجاء (بالمد ، وقصر للشعر) : الحرب . والمطاعيم : جمع مطعام ، وهو الذى يكثر الإطعام . والمحل : القحط والجدب .

(٩) بطانة الرجل : خاصته .

(١٠) الشتيت : المتفرق .

بِفَقْد ابن جُدْعان الحميد فِعالُه ... وعُتبَــةَ والمدْعُوِّ فيكم أباجَهْلِ
وشَــيْبَةَ فيهم والوليد وفيهمُ ... أُميَّةَ مَأْوَى المُعْتَرِين وذوالرِّجْلِ [١]
أولئك فابْكِ ثم لا تَبْكِ غيرَهم ... نَوائحُ تَدْعو بالرزيَّة والثُّكْلِ
وقُولوا لأهْلِ المَكتَّيْنِ تحاشَـدُوا ... وسِيروا إلى آطام يَثْرِبَ ذى النَّخْلِ [٢]
جميعا وحامُوا آل كَعْبٍ وذَبِّبوا ... بخالصة الألْوان مُحْدَثَة الصَّقْلِ [٣]
وإلا فبِيتُوا خائفِــين وأصْبِحوا ... أذلَّ لوطْءِ الوَاطئين مِنَ النَّعْلِ
على أنَّنى واللاتِ يا قومُ فاعلمُوا ... بكم واثقٌ أن لاتُقيموا على تَبْلِ [٤]
سِــوى جَمْعكم للسَّابغات وللقَنا ... وللبَيْض والبِيضِ القواطع والنَّبلِ [٥]

وقال ضِرار بن الخطَّاب [٦] بن مِرْداس ، أخو بنى مُحارب بن فِهر ، فى يوم بدر :

عجِبتُ لفَخْر الأوْس والحَيْنُ دائرٌ ... عليهم غدًا والدَّهر فيــه بصائرُ
وفَخْر بنى النَّجَّار إن كان معشرٌ ... أُصيبوا ببَــدْر كلُّهم ثَمَّ صابرُ
فان تكُ قَتْلى غُودِرت من رجالنا ... فإنَّا رجالٌ [٧] بعــدهم سنُغادِرُ
وتَرْدِى بنا الجُرْد العناجِيجُ وَسطكم ... بنى الأوْس حتى يَشْفِى النفسَ ثائرُ [٨]
ووَسْطَ بنى النَّجار سوف نَكُرُّها ... لها بالقَنا والدارعِــين زوافِرُ [٩]
فنترك صَرْعَى تَعْصِبُ الطيرُ حولهم ... وليس لهُــم إلا الأمانىَّ ناصِرُ [١٠]

---

(١) المعترون : المحتاجون المتعرضون للمسألة . ويروى : « المقترون » والمقتر : الفقير . وذو الرجل : الأسود الذى قطع حمزة رجله عند الحوض .

(٢) مكتين : أى مكة والطائف . والآطام : جمع أطم ، وهو الحصن .

(٣) ذببوا ، أى امنعوا وادفعوا .

(٤) التبل : العداوة وطلب الثأر .

(٥) السابغات : الدروع .

(٦) فى م : « الخطيب » وهو تحريف .

(٧) فى م : « رجالا » وهو تحريف .

(٨) تردى : تسرع . والجرد : الخيل العتاق القصيرات الشعر . والعناجيج : جمع عنجوج ، وهو الطويل السريع . والثائر : الطالب بثأره .

(٩) الزوافر : جمع زافرة ، وهى الحاملات للثقل .

(١٠) تعصب : تجتمع عصائب عصائب .

وتَبْكيهم مِن أهْل يَـثْرِبَ نِسوَةٌ   لهنّ [١] بِهَا ليلٌ عن النَّوْم ساهِر
وذلك أنَّا لاتزال سُـيُوفنا   بهِـنّ دَمٌ ممَّن [٢] يحاربن مائر [٣]
فانْ تَظْفروا فى يوم بَدْر فإنما   بأحمـدَ أمْسَى جَدُّكم وهو ظاهر
وبالنَّفَـر الأخْيار هم أوْلياؤه   يُحامُون فى اللأْوَاء والموتُ حاضِر [٤]
يُعَدُّ أبو بكر وحمـزة فيهمُ   ويُدْعى علىٌّ وَسْط مَنْ أنت ذاكر
ويُدعى أبو حَفْص وعثمانُ منهمُ   وسَعْدٌ إذا ما كان فى الحَرْب حاضر
أولئك لا مَنْ نَتَّجَتْ فى دِيارها   بنو الأوْس والنَّجّا رحين تُفاخر [٥]
ولكنْ أبُوهم من لُؤَىّ بن غالب   إذا عُدّت الأنسابُ كَعْبٌ وعامِرُ
هم الطَّاعِنون الخَيْل فى كل مَعْرَك   غداةَ الهِياج الأطْيَبُونَ الأكاثر [٦]

فأجابه كعبُ بن مالك ، أخو بَنى سَلمة ، فقال :

عَجِبْتُ لأمْر الله والله قادرٌ   على ما أراد ، ليس لله قاهِـرُ
قضَى يومَ بَدرٍ أن نلاقِىَ معشرًا   بَغَوْا وسبيل البَغْى بالنَّاس جائرُ
وقد حَشَدوا واستَنْفَرُوا من يَليهمُ   مِن النَّاس حتى جَمْعهُم مُتكاثِر
وسارت إلَينا لا تُحاوِل غَـيْرَنا   بأجمَعها كعبٌ جميعا وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حولَه   له مَعْقِلٌ منهم عـزيزٌ وناصِر [٧]
وجَمْعُ بنى النَّجَّار تحت لوائه   يُمَشَّون [٨] فى الماذِىّ والنَّقْعُ ثائر [٩]
فلمَّا لَقِيناهم وكلٌّ مُجاهِـد   لأصحابه مُسْتَبسلُ النَّفس صابر
شَهِدنا بأنَّ الله لاربَّ غـيره   وأنَّ رسولَ الله بالحقِّ ظاهر

(١) فى م : « لهم » وهو تحريف .
(٢) فى م : « مما » .
(٣) مائر : سائل .
(٤) اللأواء : الشدة .
(٥) نتجت : ولدت .
(٦) فى م ، ر : « الأكابر » .
(٧) المعقل : الموضع الممتنع .
(٨) ويروى : « يمشون » . والميس : التبختر والاختيال .
(٩) الماذى : الدروع البيض اللينة . والنقع : الغبار .

وقد عُرِّيت بيضٌ خِفافٌ كأنها مَقابيسُ يُزْهيها[1] لعينيك شاهر
بهنّ أبَدْنا جمعَهم فتبدّدوا وكان يُلاقى الحَيْنَ مَنْ هو فاجر[2]
فكُبَّ أبو جهل صَريعا لوجْهه وعتبةُ قد غادرْنه وهو عاثر[3]
وشَيبة والتيْميَّ غادرْن فى الوَغَى وما منهمُ[4] إلا بذى العَرْش كافر
فأمْسَوْا وقودَ النّار فى مُسْتقَرِّها وكلّ كَفور فى جهنّم صائر
تلظَّى عليهم وهى قد شبّ حَمْيُها بزُبْر الحديد والحجارة ساجر[5]
وكان رسول الله قد قال أقبلوا فولّوا وقالُوا: إنما أنتَ ساحر
لأمْرٍ أراد الله أن يَهْلِكُوا به وليس لأمْرٍ حَمَّه الله زاجر[6]

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمىّ يبكى قتلَى بدر:

قال ابن هشام: وتروى للأعشَى بن زُرارة بن النبَّاش، أحد بنى أُسَيد ابن عمرو بن تميم، حليف بنى نَوْفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: حليفُ بنى عبد الدار:

ماذا على بَدْرٍ وماذا حَوْله من فِتْيَةٍ بيضِ الوُجُوه كِرامِ
تركوا نُبَيْها خَلْفهم ومُنَبِّها وابنَى رَبيعة خَيْرَ خَصْمٍ فِئامِ[7]
والحارثَ الفيَّاضَ يَبْرُق وَجهه كالبدر جلَّى ليْلَةَ الإظلامِ[8]
والعاصِىَ بنَ مُنَبِّهٍ ذا مِرَّةٍ رُمْحا تَميما غيرَ ذى أَوْصامِ[9]

---

(١) يزهيها: يستخفها ويحركها.

(٢) أبدنا: أهلكنا.

(٣) كذا فى الأصول. والعاثر: الساقط. ويروى: «عافر» بالفاء، وهو الذى لصق بالعفر، وهو التراب.

(٤) فى ا: «وما منهما».

(٥) تلظى: تلتهب. وشب: أوقد. وزبر الحديد (بفتح الباء وسكن للشعر): قطعه. وساجر: موقد؛ يقال: سجرت التنور: إذا أوقدته نارا.

(٦) حمه الله: قدره.

(٧) الفئام: الجماعات من الناس.

(٨) الفياض: الكثير الإعطاء.

(٩) المرة: القوة والشدة. والتميم (هنا): الطويل. والأوصام: العيوب؛ الواحد: وصم.

تَنْمِى به أعراقُه وجُـدُوده ومآثر الأخـوال والأعمام[١]
وإذا بكَى باكٍ فأعْـوَل شَجْوَه فعلى الرئيس الماجد ابن هشام[٢]
حيّا الإله أبا الوَليـد ورَهْطَه ربّ الأنام ، وخصّهم[٣] بسَلام

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصارىّ ، فقال :

ابكْ بكَتْ عيناك ثم تبادَرَتْ بدم تُعَلّ غُرُوبُها سَـجّام[٤]
ماذا بكيتَ به الذين تتابعوا[٥] هـلا ذكرتَ مكارم الأقوام
وذكرتَ منّا ماجـدًا ذا همّـة سَمْحَ الخـلائق صادق الإقْدام
أعنِى النبىّ أخا المكارم والنّدَى وأبرّ من يُولى على الإقْسام[٦]
فلمثْـله ولمثل ما يَدعو له كان المُمدّحَ ثَمّ غيرَ كَهام[٧]

(شعر لحسان فى بدر أيضا) :

وقال حسّان بن ثابت الأنصارىّ أيضًا :

تَبَلَتْ فؤادَك فى المَنام خَريدة تَسْقى[٨] الضّجيع ببارد بسّام[٩]
كالمسْك تخلطه بماء سـحابة أو عاتق كدَم الذّبيح مُـدَام[١٠]
نُفُجُ الحقيبَة بُوصُها متنضّـدٌ بَلْهاءُ غـيرُ وشيكة الأقْسام[١١]

---

(١) المآثر : جمع مأثرة ، وهى ما يتحدث به عن الرجل من خير وفعل حسن .

(٢) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء . والشجو : الحزن .

(٣) فى م : « وخصه » .

(٤) تعل : تكرر . مأخوذ من العلل ، وهو الشرب بعد الشرب . والغروب : جمع غرب . وهو مجرى الدمع . والسجام : السائل .

(٥) تتابعوا ، أى ألقوا بنفسهم فى التهلكة .

(٦) يولى : يحلف .

(٧) الكهام : الضعيف .

(٨) كذا فى الديوان . وفى الأصول : « تشفى » .

(٩) تبلت : أسقمت . والخريدة : الجارية الحسنة الناعمة .

(١٠) العاتق: الخمر القديمة . قال أبو ذر : « ومن رواه بالكاف ، فهو أيضا الخمر القديمة التى احمرت . والقوس إذا قدمت واحمرت قيل لها : عاتكة ، وبها سميت المرأة » . والمدام : اسم من أسماء الخمر.

(١١) نفج (بالجيم) : مرتفعة . ويروى بالحاء المهملة ، ومعناه : متسعة ؛ والأول أحسن . والحقيبة:

بُيِت على قَطَنٍ أجَمَّ كأنَّه ... فُضُلاً إذا قعدتْ مَداكُ رُخام[١]

وتكادُ تكسلُ أنْ تجىء فِراشَها ... فى جِسْمِ خَرْعَبةٍ وحُسْنِ قَوامِ[٢]

أمَّا النهارَ فلا أُفَتِّر ذِكْرَها ... والليلَ تُوزِعُنى بها أحلامى[٣]

أقْسَمْتُ أنْساها وأتركُ ذِكْرَها ... حتى تُغيَّبَ فى الضَّريح عظامى[٤]

يا مَنْ لعاذلةٍ تَلومُ سَفاهةً ... ولقد عَصَيْتُ على الهَوَى لُوَّامى

بَكَرَتْ علىَّ بسُحْرةٍ بعد الكَرَى ... وتَقارُبٍ مِنْ حادِثِ الأيَّام

زَعَمَتْ بأنَّ المرْءَ يكرُبُ عُمْرَه ... عَدَمٌ لمعتكِرٍ من الأصْرام[٥]

إن كنتِ كاذبةَ الذى حدَّثْتِنى ... فنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشام

تَرَك الأحبَّة أن يُقاتِلَ دونَهم ... ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولِجام[٦]

تذر العَناجيج الجيادَ بقَفْرةٍ ... مرَّ الدَّموكِ بمُحْصَدٍ ورِجام[٧]

= ما يجعله الراكب وراءه ، فاستعارها هنا لردف المرأة . والبوص (بالضم وبالفتح) : الردف . ومتنضد : أى علا بعضه بعضا ، من قولك : نضدت المتاع ، إذا جعلت بعضه فوق بعض . وبلهاء : غافلة . ووشيكة : سريعة . والأقسام (بالفتح) : جمع قسم ، وهو اليمين ؛ (وبالكسر) المصدر من أقسم .

(١) القطن : ما بين الوركين إلى بعض الظهر . وأجم : ممتلىء باللحم غائب العظام . والمداك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب .

قال السهيلى : « نصب فضلا على الحال ، أى كأن قطنها إذا كانت فضلا ، فهو حال من الهاء فى كأنه ، وإن كان الفضل من صفة المرأة لا من صفة القطن ، ولكن لما كان القطن بعضها صار كأنه حال منها ، ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى « قعدت » ، لاستحالة أن يعمل ما بعد إذا فيما قبلها . والفضل من النساء والرجال : المتوشح فى ثوب واحد » .

(٢) الخرعبة : اللينة الحسنة الخلق . وأصل الخرعبة : الغصن الناعم .

(٣) توزعنى : تغرينى وتولعنى .

(٤) وأنساها : لا أنساها الضريح : شق القبر ؛ يقال : ضرح الأرض : إذا شقها .

(٥) يكرب : يحزن ، من الكرب ، وهو الحزن . وعمره ، أى مدة عمره . ويروى : « يومه » ، كما فى ديوان حسان . والمعتكر : الإبل التى ترجع بعضها على بعض ، فلا يمكن عدها لكثرتها . والأصرام : جمع صرم (بكسر ففتح) ، وصرم : جمع صرمة (بالكسر) . وهى القطعة من الإبل .

(٦) الطمرة : الفرس الكثيرة الجرى . وزاد الديوان بعد هذا البيت :

جرداء تمزع فى الغبار كأنها ... سرحان غاب فى ظلال غمام

(٧) العناجيج : جمع عنجوج ، وهو الطويل السريع . والدموك : البكرة بآلتها . والمحصد : الحبل الشديد الفتل . والرجام : حجر يربط فى الدلو ، ليكون أسرع لها عند إرسالها فى البئر .

قال السهيلى : « والرجام : واحد الرجامين ، وهما الخشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة » .

مَلأتْ به الفَرْجَيْن فارمَـدَّتْ به ... وثَوَى أحِبَّتُـه بشَرِّ مقام[١]

وبنُو أبيـه ورَهْطُه فى مَعْرك ... نَصَرَ الإلهُ به ذوى الإسـلام

طَحَنَتْهُمُ ، واللهُ يُنْفِذُ أمرَه ، ... حَرْبٌ يُشَبُّ[٢] سَـعِيرُها بضِرام[٣]

لولا الإلهُ وجَـرْيُها لَتَرَكْنه ... جَزَرَ السباع ودُسْنه بحَوَامى[٤]

من بين مَأْسور يُشَـدّ وَثاقُه ... صَقْرٍ إذا لاقى الأسِـنَّةَ حامِى[٥]

ومجـدَّل لا يستجيب لدَعْوة ... حتى تزُولَ شوامخُ الأعـلام[٦]

بالعارِ والذلّ المُبَـيَّن إذ[٧] رأى ... بيضَ السُّيوف تَسُوق كلَّ هُمَام[٨]

بِيدَىْ أغَـرَّ إذا انتمى لم يُخزِه ... نَسَبُ القِصار سَمَيْدَعٍ مِقْـدام[٩]

بيضٌ إذا لاقتْ حَدِيدًا صَمَّمَتْ ... كالبَرْق تحت ظلال كلِّ غَمام

(شعر الحارث فى الرد على حسان) :

فأجابه الحارث بن هشام ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

اللهُ أعـلمُ ما تركتُ قِتالَهـم ... حتى حَبَوْا مُهْرى بأشقرَ مُزْبِد[١٠]

وعرفتُ أنّى إن أقاتلْ واحـدًا ... أُقْتَلْ ولا يَنْكِى[١١] عَدُوِّىَ مَشْهَدِى

فصَدَدْتُ عنهم والأحِبَّةُ فيهمُ ... طمَعًا لهم بعقاب يوم مُفْسِـد[١٢]

قال ابن إسحاق : قالها الحارثُ يعتذر من فِراره يوم بدر :

---

(١) الفرجان (هنا) : ما بين يديها وما بين رجليها . وارمدت : أسرعت . وثوى : أقام .

(٢) كذا فى ا . ويشب : يوقد . وفى سائر الأصول : « يشيب » .

(٣) الضرام : ما توقد به النار .

(٤) دسنه : وطئنه ، والحوامى : جمع حامية ، وهى ما عن يمين سنبك الفرس وشماله .

(٥) رواية هذا البيت فى الديوان :

من كل مأسور يشد صفاده ... صقر إذا لاقى الكتيبة حامى

(٦) المجدل : الصريع على الأرض . والأعلام : جمع علم ، هو الجبل العالى .

(٧) فى م ، ر : « إذا » .

(٨) الهمام : السيد الذى إذا هم بأمر فعله .

(٩) القصار : الذين قصر سعيهم عن طلب المكارم ، ولم يرد بهم قصار القامات . والسميدع : السيد .

(١٠) يريد « بالأشقر » : الدم . والمزبد : الذى قد علاه الزبد .

(١١) ينكى : يؤلم ويوجع .

(١٢) يريد « بالأحبة » من قتل أو أسر من رهطه وإخوته .

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسّان ثلاثة أبيات من آخرها، لأنه أقذع فيها [١] :

(شعر لحسان فيها أيضا) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضا :

لقد علِمَتْ قريشٌ يوم بَدْرٍ ... غداةَ الأسْر والقَتْل الشّديد

بأنَّا حينَ تَشْتَجر العَوَالى ... حُماةُ الحَرْب يومَ أبى الوَليد [٢]

قَتَلْنا ابنَىْ ربيعة يومَ سارَا ... إلَيْنا فى مُضاعَفة الحَديد [٣]

وفرّ بها حكيمٌ يومَ جالَتْ ... بنو النجّار تَخْطِرُ كالأُسُود [٤]

وولّتْ عند ذاك جمُوع فِهْرٍ ... وأسْلَمَها الحُوَيْرثُ مِنْ بعيد

لقد لاقيتُمُ ذُلاً وقَتْلاً ... جَهِيزًا نافذا تحتَ الوَريد [٥]

وكلُّ القَوْم قَدْ وَلَّوْا جميعا ... ولم يَلْوُوا على الحَسَب التَّليد [٦]

وقال حسّان بن ثابت أيضا :

يا حار قد عوّلْتَ غيرَ مُعوَّلٍ ... عند الهياج وساعةَ الأحْساب [٧]

إذ تمتَطى سُرُحَ اليَدَين نجيبةً ... مَرْطَى الجراء طويلة الأقْراب [٨][٩]

والقومُ خَلْفَك قد تركتَ قتالهم ... تَرْجو النَّجاءَ وليس حين ذَهاب

---

(١) فى الديوان بعد هذا البيت خمسة أبيات لا ثلاثة .

(٢) تشتجر : تختلط وتشتبك . والعوالى : أعالى الرماح . وقد ورد هذا الشعر بين أبيات سبعة للحارث فى شرح الحماسة ببعض اختلاف .

(٣) يريد « بمضاعفة الحديد » : الدروع التى ضوعف نسجها .

(٤) فر ، قال أبو ذر : من رواه بالقاف ، فهو من باب التقريب ، وهو فوق المشى ، ودون الجرى . ومن رواه بالفاء ، فهو من الفرار ، وهو معلوم . وتخطر : تهتز وتتجرد فى المشى إلى لقاء أعدائها .

(٥) جهيزا : سريعا ، يقال : أجهز على الجريح ، وذلك إذا أسرع قتله . والوريد : عرق فى صفحة العنق .

(٦) التليد : القديم .

(٧) عولت : عزمت . والهياج : الحرب .

(٨) تمتطى : تركب . وسرح اليدين ، أى سريعة اليدين ، ويريد بها فرسا . والنجيبة : العتيقة . ومرطى : سريعة : يقال : هو يعدو المرطى : إذا أسرع . والجراء : الجرى . والأقراب : جمع قرب ، وهى الخاصرة وما يليها .

ألا عطفت على ابن أمك إذ ثوى[1] قعص الأسنة ضائع الأسلاب[2]
عجل المليك له فأهلك جمعه بشنار مخزية وسوء عذاب[3]

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

— قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السهمى[4] :

مستشعرى حلق الماذى يقدمهم جلد النحيزة ماض غير رعديد[5]
أعنى رسول إله الخلق[6] فضله على البرية بالتقوى وبالجود
وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم وماء بدر زعمتم غير مورود
ثم وردنا ولم نسمع لقولكم حتى شربنا رواء غير تصريد[7]
مستعصمين[8] بحبل غير منجذم[9] مستحكم من حبال الله ممدود
فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود[10]
واف وماض شهاب يستضاء به بدر أنار على كل الأماجيد[11]

قال ابن هشام : بيته : « مستعصمين بحبل غير منجذم » عن أبى زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

---

(١) فى م ، ر : « توى » (بالتاء المثناة) . وتوى : هلك .

(٢) القعص : القتل بسرعة . والأسلاب : جمع سلب ، وهو ما سلب من سلاح أو ثوب أو غير ذلك .

(٣) الشنار : العيب والعار .

(٤) جاءت هذه القصيدة فى ديوان حسان منسوبة إليه من غير اختلاف فى ذلك .

(٥) يقال : استشعرت الثوب ، وذلك إذا لبسته على جسمك من غير حاجز ، ومنه : الشعار ، وهو ما ولى الجسم من الثياب . والماذى : الدروع البيض اللينة . والنحيزة : الطبيعة والرعديد : الجبان .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « الحق » .

(٧) الرواء (بفتح الراء) : الممتلئ من الماء . (وبكسر الراء) : جمع راو . والتصريد : تقليل الشرب .

(٨) هذا الشطر والشطر الأخير من البيت السابق ساقطان فى ا .

(٩) منجذم : منقطع .

(١٠) غير محدود ، أى غير ممنوع .

(١١) الأماجيد : الأشراف .

خابتْ[1] بنو أسَدٍ وآبَ غَزِيُّهم يومَ القَليب بسَوءةٍ وفُضُوحِ[2]

مِنهم أبو العاصى تجدَّلَ مُقْعَصًا عن ظَهْرِ صادقةِ النَّجاء سَبُوحِ[3]

حَيْنًا له من مانع بسلاحه لمَّا ثوَى بمقامه المَذْبوحِ

والمرءُ زَمْعةُ قد تَرَكْنَ ونَحرُه يَدْمَى بعانِدِ مُعْبَطٍ مَسْفُوحِ[4]

مُتوسِّدًا حُرَّ الجَبِين مُعَفَّرًا قد عُرَّ مارِنِ أنفِه بقَبُوحِ[5]

ونجا ابنُ قيْسٍ فى بقيَّةِ رَهْطه بشَفا الرِّماق مُوَلِّيا بجُروحِ[6]

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا :

ألا ليتَ شِعْرى هل أتى أهلَ مكَّةٍ إبارَتُنا الكُفَّار فى ساعة العُسْرِ[7]

قَتَلْنا سَرَاةَ القَوْم عند مَجالِنا فلم يَرْجعوا إلا بقاصِمَةِ الظَّهْرِ[8]

قَتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبَةَ قبْلَه وشَيْبَةَ يَكْبو لليَدَين وللنَّحْرِ[9]

قَتَلْنا سُوَيْدًا ثم عُتْبَةَ بعْدَه وطُعْمةَ أيضًا عند[10] ثائرةِ القَتْرِ[11]

فكم قد قَتَلْنا مِن كَريم مُرَزَّإٍ له حَسَبٌ فى قَوْمِه نابِهِ الذِّكْرِ

تركْناهمُ للعاويات يَنُبْنَهُم ويَصْلَوْن نارًا بعدُ حامِيةَ القَعْرِ[12]

---

(١) قال أبو ذر : « خابت » ، من رواه بالخاء المعجمة ، فهو من الخيبة ، ومن رواه (حانت) بالحاء المهملة ، فهو من الحين ، وهو الهلاك .

(٢) الغزى : جماعة القوم الذين يغزون .

(٣) تجدل : صرع على الأرض . واسم الأرض : الجدالة . ومقعصا : أى مقتولا قتلا سريعا . ويريد « بصادقة النجاء » : فرسا سريعة . والنجاء : السرعة . والسبوح : التى تسبح فى جريها كأنها تعوم .

(٤) العاند : الذى يجرى ولا ينقطع ، والمعبط : الدم الطرى . والمسفوح : السائل المنصب .

(٥) معفرا : أى لا صقا بالعفر ، وهو التراب . وعر : لطخ . ومارن الأنف : مالان منه .

(٦) شفا كل شىء : حده وطرفه . والرماق : بقية الحياة .

(٧) إبارتنا ، أى إهلاكنا ؛ تقول : أبرنا القوم : أى أهلكناهم .

(٨) سراة القوم : سادتهم وخيارهم . ويريد « بقاصمة الظهر » : الداهية التى تقصم الظهور ، أى تكسرها فتبينها . يقال : قصم الشىء إذا كسره فأبانه ، فإذا لم يبنه قيل : فصمه (بالفاء) .

(٩) يكبو : يسقط .

(١٠) فى م ، ر : « عبد » .

(١١) يريد « بثائرة القتر » : ماثار من الغبار وارتفع . والقتر : الغبار .

(١٢) العاويات : الذئاب والسباع . وينبنهم ، أى يأتونهم مرة بعد مرة . ويروى : ينشنهم ، أى يتناولنهم .

لَعَمرك ما حامَت فوارسُ مالك وأشياعُهم يوم التَقَيْنا على بَدْرِ[١]

قال ابن هشام : أنشدنى أبوزيد الأنصارىّ بيتَه :

قَتَلْنا أبا جَهْل وعُتْبَةَ قَبْلَه وشَيْبَة يَكْبو لليَـدين وللنَّحرِ

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضًا :

نَجّى حكيمًا يومَ بَدْر شَـدُّهُ كنَجاءِ مُهْرٍ من بنات الأعوجِ[٢]

لمَّا رأى بَدْرًا تَسيلُ جِلاهُه بكَتيبةٍ خَضْراءَ مِن بَلْخَزْرجِ[٣]

لا يَنْكُلُون إذا لَقُوا[٤] أعـداءَهم يمشـون عائدة الطَّريق المَنْهَجِ[٥]

كم فيهمُ من ماجدٍ ذى مَنْعَـةٍ[٦] بَطَلٍ بمَهْلَكة الجَبان المُحْرَجِ[٧]

ومُسَوَّدٍ يُعْطِى الجَزيلَ بكفِّه حَمَّال أثقال الدّيات متـوَّجِ

زَيْنِ النَّدِىّ معاودٍ يَوْمَ الوَغَى ضَرْبَ الكُماة بكلّ أبيض سَلْجَجِ[٨]

قال ابن هشام : قوله سَلَجج ، عن غير ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان أيضًا :

فمَا نَخْشَى بحَوْلِ[٩] الله قَوْمًا وإن كَثُروا وأُجمِعت الزُّحوفُ[١٠]

---

(١) قال أبو ذر : « ما حامت » ، من رواه بالخاء المعجمة ، فمعناه : جبنت . ومن رواه بالحاء المهملة ، فهو من الحماية ، أى الامتناع » . وقد ورد هذا الشعر فى ديوان حسان طبع أوربة باختلاف كثير فى ألفاظه وبعض أبياته عما هاهنا .

(٢) الشد (هنا) : الجرى . والأعوج : اسم فرس مشهور فى الجاهلية .

(٣) الجلاه : ما استقبلك من حروف الوادى ؛ الواحدة : جلهة (بالفتح) ، وخضراء ، أى سوداء لما يعلوها من الحديد . والعرب تجعل الأسود أخضر ، فتقول : ليل أخضر .

(٤) فى م ، ر : « بقوا » بالباء الموحدة .

(٥) عائدة الطريق : حاشيته . والمنهج : المتسع .

(٦) المنعة : الشدة والامتناع ، ويروى : « ميعة » بالياء ، وهى النشاط .

(٧) المحرج : المضيق عليه .

(٨) الندى : المجلس ، والوغى : الحرب . والأبيض : السيف . والسلجج : الماضى الذى يقطع الضريبة بسهولة .

(٩) فى ا : « بحمد » .

(١٠) الزحوف : جمع زحف ، وهى الجماعة تزحف إلى مثلها ، أى تسرع وتسبق .

إذا ما أَلَبُّوا جَمْعا عَلَيْنا كَفانا حَدَّهم ربٌّ رَءُوف[1]
سَمَوْنا يَوْمَ بَدْرٍ بالعَوالى سِراعا ما تُضَعْضِعنا الحُتوف[2]
فلَم تَر عُصْبَةٌ فى النّاس أنكَى لمن عادَوْا إذا لَقِحت كَشُوف[3]
ولكنّا توكّلْنا وقُلْنا مآثرُنا ومَعْقِلنا السُّيوف[4]
لَقِيناهُم بها لمّا سَمَوْنا ونحنُ عِصابةٌ وهُم أُلوف

وقال حسّان بن ثابت أيضًا ، يهجو بنى جُمحَ ومن أُصِيب منهم :

جَمَحَت بنو جُمَحٍ لشِقْوة جدّهم إنّ الذّليل مُوكَّل بذليل[5]
قُتِلت بنو جُمَحٍ ببدْرٍ عَنْوَةً وتخاذَلوا سَعْيًا بكلّ سَبيل[6]
جَحدوا الكِتاب وكذّبوا بمحمّد واللهُ يُظهِر دين كلّ رَسول
لَعَن الإلهُ أبا خُزَيْمة وابنَه والخالدَيْن ، وصاعِدَ بن عَقيل

(شعر عبيدة بن الحارث فى قطع رجله) :

قال ابن إسحاق : وقال عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب فى يوم بدر ، وفى قَطْع رِجْله حين أُصيبت ، فى مُبارزته هو وحمزة وعلىّ حين بارزوا عدوّهم — قال ابن هشام ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها لعُبيدة :

ستَبْلُغُ عنّا أهلَ مكّةَ وَقْعَةٌ يَهُبُّ لها مَن كان عن ذاك نائيا[7]
بعُتْبة إذ ولّى وشَيْبَة بعْدَه وما كان فيها بِكْرُ عُتْبة راضيا[8]

---

(١) ألبوا : جمعوا .

(٢) ماتضعضعنا ، أى ماتذ لنا ولا تنقص من شجاعتنا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت .

(٣) لقحت : حملت . والكشوف (بفتح الكاف) : الناقة التى يضربها الفحل فى الوقت الذى لا تشتهى فيه الضراب ، فاستعارها (هنا) للحرب . ولقحت الحرب : إذا هاجت بعد سكون .

(٤) المآثر : جمع مأثرة ، وهى ما يتحدث به عن الإنسان من خير أو فعل حسن . والمعقل : الممتنع الذى يلجأ إليه .

(٥) جمحت ، أى ذهبت على وجهها فلم ترجع . والجد : الحظ والبخت .

(٦) عنوة ، أى قهرا وغلبة ، وقد تكون العنوة : الطاعة ، فى لغة هذيل . قال كثير :

فما أسلموها عنوة عن مودة ولكن بحد المشرفى استقالها

(٧) يهب : يستيقظ . والنائى : البعيد .

(٨) يريد «ببكر عتبة» : ولده الأول .

فان تَقْطَعُوا رِجْلى فإنىَ مُسْلِم أُرجِّى بها عَيْشا مِن الله دانيا
مَع الحُور أمثال التماثيل أُخْلِصَت مع الجنَّة العُلْيا لمن[١] كان عاليا[٢]
وبعتُ بها عَيْشا تعرَّقْتُ صَفْوه وعالجته حتى فقدتُ الأدانيا[٣]
فأكرَمنى الرَّحمنُ من فَضْل مَنِّه بثَوْبٍ مِنَ الإسْلامِ غَطَّى المَساويا
وما كان مَكْروها إلىَّ قِتالُهُم غداةَ دعا الأكْفاءَ مَنْ كان داعيا
ولم يَبْغ إذ سالوا النبىَّ سَواءنا ثَلاثَتَنا حتى حَضَرْنا المناديا
لَقِيناهم كالأُسْد تَخْطِر بالقَنا نُقاتل فى الرَّحمن من كان عاصيا
فمَا بَرِحَتْ أقدامُنا من مَقامنا ثَلاثَتنا حتى أُزيروا المَنائيا[٤]

قال ابن هشام: لما أصيبت رِجْلُ عُبيدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحقُّ منه بما قال حين يقول:

كَذَبتم وبيتِ الله يُبْزَى[٥] محمدٌ ولمَّا نُطاعن دونَهُ ونُناضلِ
ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حَوْلَه ونذهل عَن أبنائنا والحَلائلِ

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب:

(رثاء كعب لعبيدة بن الحارث):

قال ابن إسحاق: فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصاب رِجْله يوم بدر: قال كعب بن مالك الأنصارىّ يَبْكيه:

أيا عَيْن جُودى ولا تَبْخَلى بدمْعك حقًّا ولا تَنزُرِى[٦]
على سَيِّد هَدَّنا هُلْكُه كَريمَ المَشاهِد والعُنْصر

---

(١) فى م، ر: «العليا من ....».
(٢) التماثيل: جمع تمثال، وهى الصورة تصنع أحسن ما يقدر عليه. وأخلصت: أحكم صنعها وأتقن هذا إذا كان مرجع الضمير إلى التماثيل، وإذا رجع الضمير إلى الحور، فمعناه خص بها. قال أبو ذر: وهو أحسن.
(٣) كذا فى أكثر الأصول. وتعرقت (بالقاف): مزجت، يقال: تعرق الشراب، إذا مزجه. وفى ا: «تعرفت».
(٤) المنائيا: يريد المنايا. قال أبوذر: «وقد تكون هذه الهمزة منقلبة عن الياء الزائدة. التى فى منية.
(٥) أى لايبزى، أى يقهر ويستذل. (اللسان: بزا).
(٦) لا تنزرى، أى لا تقللى من الدمع.

جَرِىء المقدَّم شاكى السِّلاح كريم النَّثا طيِّب المَكْسِر[1]
عُبَيْدة أمْسَى ولا نَرْتجيه لعُرف عرانا ولا مُنْكر
وقد كانَ يَحْمى غَداةَ القِتا ل حامِيَة الجَيْش بالمِبْتَر[2]

(شعر لكعب فى بدر) :

وقال كعب بن مالك أيضا ، فى يوم بدر :

ألا هل أتى غَسَّانَ فى نَأى دارِها وأخْبَرُ شىء بالأُمُور عَليمها
بأن قد رَمَتْنا عن قِسِىّ عَداوة مَعَدٌ معا جُهَّالُها وحَليمها[3]
لأنَّا عَبَدْنا اللهَ لم نَرْجُ غيرَه رَجاء الجِنان إذْ أتانا زَعيمها[4]
نبىّ له فى قَوْمِه إرْثُ عِزّة[5] وأعراقُ صدْق هذَّبَتْها أُرومها[6]
فساروا وسِرْنا فالتَقَيْنا كأنَّنا أُسُود لِقاء لا يُرَجَّى كَليمها[7]
ضَربناهُم حتى هَوى فى مَكَرِّنا لمَنْخر[8] سَوْء من لُؤَىّ عَظيمها
فوَلَّوْا ودُسْناهم ببيض صَوارم سَواءٌ عَلَيْنا حِلْفُها وصَميمها[9]

وقال كعب بن مالك أيضا :

لَعَمْر أبيكُما يابنَى لُؤَىّ على زَهْوٍ لدَيْكم وانْتِخاء[10]

---

(١) شاكى السلاح ، أى حاد السلاح . والنثا : ما يتحدث به عن الرجل من خير وشر . وطيب المكسر ، أى أنه إذا فتش عن أصله وجد خالصا . ويروى : « طيب المكشر » (بالشين) ، أى طيب النكهة .

(٢) يريد « بالمبتر » : السيف ، اسم آلة من البتر ، وهو القطع .

(٣) القسى : جمع قوس ، وهو معروف .

(٤) الزعيم : الرئيس والضامن . ويريد به هنا النبى صلى الله عليه وسلم .

(٥) فى ا : « عزه » بالهاء المهملة .

(٦) هذبتها : أخلصتها . والأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل .

(٧) الكليم : الجريح .

(٨) فى م ، ر : « لمنحر » .

(٩) دسناهم : وطئناهم . والصوارم : السيوف القواطع . وحلفها ، أى من كان حليفا فيهم وليس منهم . والصميم : الخالص من القوم .

(١٠) الانتخاء : الإعجاب والتكبر

لَمَّا حامَتْ فوارسُكم ببدْرٍ ... ولا صَبروا به عند اللِّقاء[1]
وردْناه بنور الله يَجْلو ... دُجَى الظَّلْماء عَنَّا والغِطاء
رسولُ الله يَقْدُمنا بأمْر ... مِن امْرِ الله أُحكِمَ بالقَضاء
فما ظفرتْ فوارسُكم ببدر ... وما رَجعوا إليكم بالسَّواء
فلا تَعْجَل أبا سُفْيان وارقُبْ ... جِياد الخَيْل تَطْلُعُ من كَداء[2]
بنَصْرِ الله روحُ القُدْس فيها ... وميكالٌ ، فياطِيبَ المَلاء[3]

(شعر طالب فى مدح الرسول وبكاء أصحاب القليب) :

وقال طالبُ بن أبي طالب ، يمدح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويبكى أصحاب القَليب من قُرَيش يوم بدر :

ألا إنّ عَيْنِي أنفدَتْ دمْعها سَكْبا ... تُبَكِّي على كعب وما إن ترى كَعبَا
ألا إنّ كَعْبًا فى الحروب تخاذَلوا ... وأرْداهمُ ذا الدَّهرُ واجْترَحوا ذَنبا[4]
وعامر تَبْكى للمُلمَّات غُدْوَةً ... فياليت شِعْرى هل أرى لهُما قُرْبا
هما أخَوايَ لن يُعَدًّا لغَيَّةٍ ... تُعَدُّ ولن يُسْتام جارُهما غَصْبا[5]
فيا أخَوَيْنا عَبْد شمس ونَوْفَلا ... فِدًا لكما لا تَبْعثوا بَيْننا حَرْبا
ولا تُصْبِحُوا من بعد وُدٍّ وأُلْفة ... أَحاديثَ فيها كلُّكم يَشْتكى النَّكْبا[6]
ألم تعلموا ماكان فى حَرْب داحس ... وجيش أبي يَكْسوم إذ مَلَئوا الشِّعبا[7]
فلَوْلا دِفاعُ الله لاشَيْء غيرُهُ ... لأصْبحتُم لا تَمْنعون لكم سِرْبا[8]

---

(١) حامت : امتنعت ، من الحماية ، وهى الامتناع .

(٢) كداء . (بفتح الكاف والمد) : موضع بمكة .

(٣) الملاء ، أراد الملأ ، وهم أشراف القوم وسادتهم .

(٤) أرداهم : أهلكهم . واجترحوا : اكتسبوا ؛ ومنه قوله تعالى ؛ : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » .

(٥) يقال : هو لغية ، إذا كان لغير أبيه ؛ كما يقال : هو لرشدة ، إذا كان لأبيه .

(٦) النكب : يريد نكبات الدهر .

(٧) داحس : اسم فرس ، كانت حرب بسببه . وأبو يكسوم : ملك من ملوك الحبشة ، وقد مر حديثه فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٨) السرب (بالفتح) : الإبل الراعية . والسرب (بالكسر) : القوم ، ويقال النفس ومنه الحديث : « أصبح آمنا فى سربه » .

فما إنْ جَنينا فى أقُريش عظيمةً سوى أن حَمَيْنا خيرَ مَنْ وطئ التُّرْبا
أخا ثقةٍ فى النّائبات مُرَزَّأً كريما نثاه لا بَخيلا ولا ذَرْبا[1]
يُطيف به العافُون يَغْشَوْن بابَه[2] يَؤُمُّون[3] بحرا لانَزُورا ولاصَرْبا[4]
فوالله لا تنفكّ نفسى حزينةً تَمَلْمل حتى تَصْدُقوا الخزرجَ الضَّرْبا[5]

(شعر ضرار فى رثاء أبى جهل):

وقال ضرار بن الخطّاب الفهرى ، يرثى أبا جَهْل :

ألا مَنْ لعينٍ باتت اللّيلَ لم تَنَمْ تُراقبُ نَجْما فى سواد من[6] الظُّلَمْ
كأنّ قذًى فيها وليس بها قذًى سوى عَبْرة من جائل الدمع تَنْسَجِم[7]
فبلِّغْ قُرَيْشا أنّ خَيْر نَديِّها وأكرمَ مَن يمشى بساق على قَدَم[8]
ثوَى يوم بدر رَهْنَ خَوْصاءَ رَهْنُها كريمُ المساعى غيرُ وَغْدٍ ولابرِم[9]
فآليتُ لاتَنْفكّ[10] عَيْنى بعَبْرة على هالكٍ بعد الرئيس أبى الحَكَم
على هالكٍ أشْجَى لُؤَىَّ بن غالب أتَتْه المَنايا يوم بَدْر فلم يَرِم[11]
تَرى كِسَرَ الخَطّىِّ فى نَحْر مُهْره لَدَى بائن من لحمه بينها خِذَم[12]
وما كان ليثٌ ساكنٌ بَطْن بِيشَة لدى غَلَل يَجْرى ببَطْحاء فى أجَم[13]

(١) الذرب . الفاسد . ومنه يقال : ذربت معدته ، إذا تغيرت .
(٢) العافون : الطالبون للمعروف .
(٣) كذا فى م . وفى سائر الأصول : « يثوبون نهرا » أى يذهبون ويرجعون .
(٤) النزور : القليل . والصرب : المنقطع .
(٥) تململ ، أى لا تستقر على فراشها .
(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « مع » .
(٧) القذى : ما يسقط فى العين وفى الشراب والماء ، وتنسجم : تنصب .
(٨) الندى : المجلس .
(٩) الخوصاء (هنا) : البئر الضيقة . والوغد : الدنىء من القوم ، والبرم البخيل الذى لايدخل مع القوم فى الميسر لبخله .
(١٠) فى ا : لاتنهل .
(١١) أشجى : أحزن ؛ من الشجو ، وهو الحزن . ولم يرم ، أى لم يبرح ولم يزل .
(١٢) الخطى : الرماح . والخذم (بالخاء) أو بالجيم : قطع اللحم .
(١٣) بيشة : موضع تنسب إليه الأسود ، والغلل (بالغين المعجمة) : الماء الجارى فى أصول الشجر . والأجم : جمع أجمة ، وهى الشجر الملتف ، وهى موضع الأسود .

بأجرأ منـه حين تختلف القنا ... وتُدعى نزالِ فى القماقمة البُهَم[1]

فلا تجزعوا آل المغيرة واصبروا ... عليه ومن يجزع عليه فلم يُلَم[2]

وجِدُّوا فإن الموت مكرُمة لكم ... وما بعده فى آخر العيش من ندم

وقد قلت إن الريح طيِّبة لكم ... وعزّ المقام غير شك لذى فَهَم[3]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لِضرار.

(شعر الحارث بن هشام فى رثاء أبى جهل):

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام، يبكى أخاه أبا جهل:

ألا يا لَهْفَ نفسى بعد عمرو ... وهل يُغنى التلهُّف من قتيلِ[4]

يُخبِّرنى المخبِّر أن عمرا ... أمام القوم فى جَفْرٍ[5] مُحيلِ[6]

فقِدْماً كنتُ أحسب ذاك حقًّا ... وأنت لِما تقدَّم غيرُ فِيلِ[7]

وكنت بنعمة ما دمت حيًّا ... فقد خُلِّفْتُ فى دَرَج المَسيلِ[8]

كأنى حين أُمسى لا أراه ... ضعيفُ العَقْد ذو همٍّ طويلِ[9]

على عمرو إذا أمسيتُ يوما ... وطرْفٌ من تذكُّره كَليلِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام؛ وقوله: «فى جفر» عن غير ابن إسحاق.

---

(١) القماقمة: السادة الكرماء؛ واحدهم: قمقام. والبهم: الشجعان؛ الواحد: بهمة.

(٢) فلم يلم، قال أبو ذر: «من رواه بكسر اللام، فمعناه: لم يأت بما يلام عليه؛ ومن رواه بفتح اللام، فمعناه: لم يعاتب، من اللوم، وهو العتاب».

(٣) يريد «بطيب الريح»: النصر. قال تعالى: «وتذهب ريحكم».

(٤) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر. والفتيل (بالفاء): الذى يكون فى شق النواة يضرب به المثل فى الشىء القليل، ومنه قوله تعالى: «لا يظلمون فتيلا». وفى سائر الأصول: «قتيل» بالقاف.

(٥) كذا فى أكثر الأصول. والجفر: البئر التى لا بناء لها، وفى ا: «حفر».

(٦) المحيل: القديم المتغير.

(٧) غير فيل، أى غير فاسد الرأى؛ يقال: رجل فيل الرأى، وفال الرأى، وفائل الرأى: إذا كان غير حسن الرأى.

(٨) يريد «بدرج المسيل»: موطن الذل والقهر؛ يقال: تركته درج المسيل، إذا تركته بدار مذلة، وهو حيث لا يقدر على الامتناع.

(٩) العقد (هنا): العزم والرأى.

(شعر ابن الأسود فى بكاء قتلى بدر) :

قال ابن إسحاق : وقال أبو بكر بن الأسود بن شَعُوب اللَّيْثى ، وهو شَدَّاد ابن الأسود :

تُحَيِّي بالسَّلامة أُمُّ بَكْرٍ   وهل لى بعد قومى مِنْ سلامِ
فماذا بالقَليب قَليبِ بَدْرٍ   من القَيْنات والشَّرْب الكِرَامِ[١]
وماذا بالقَليب قَليب بَدْرٍ   من الشِّيزَى تُكَلَّل بالسَّنامِ[٢]
وكم لكِ بالطَّوِيّ طَوِيّ بَدْرٍ   مِن الحَوْمات والنَّعَم المُسامِ[٣]
وكم لكِ بالطَّوِيّ طوِيّ بَدْرٍ   من الغايات والدُّسُع العِظامِ[٤]
وأصحابِ الكَريم أبى علىّ   أخى الكاس الكريمة والنِّدامِ
وإنَّك لو رأيْتَ أبا عَقيلٍ   وأصحابَ الثَّنيَّة مِن نَعامِ[٥]
إذًا لَظَلَلْتِ مِن وَجْدٍ عليهم   كأُمِّ السَّقْب جائلةِ المَرامِ[٦]
يُخَبِّرُنا الرَّسُولُ لسَوْفَ نَحْيا   وكيف لقاءُ أصداءٍ وهامِ؟[٧]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبيدة النحوىّ :

يُخَبِّرُنا الرَّسولُ بأنْ سَنَحْيا   وكَيْفَ حَياةُ أصداءٍ وهامِ

قال : وكان قد أسلم ثم ارتدّ .

---

(١) القليب : البئر . والقينات : الجوارى . والشرب : جماعة القوم الذين يشربون .

(٢) الشيزى : جفان تصنع من خشب ، وإنما أراد أصحابها الذين يطعمون فيها . والسنام : لحم ظهر البعير .

(٣) الطوى : البئر المطوية بالحجارة . والحومات : جمع حومة ، وهى القطعة من الإبل . والمسام : المرسل فى المرعى؛ يقال : أسام إبله ، إذا أرسلها ترعى دون راع .

(٤) الدسع (هنا) : العطايا .

(٥) الثنية : فرجة بين جبلين . ونعام : موضع .

(٦) السقب : ولد الناقة حين تضعه .

(٧) الأصداء : جمع صدى ، وهى بقية الميت فى قبره ، وهى أيضا طائر ، يقولون هو ذكر البوم . والهام جمع هامة ، وهو طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل إذا قتل فيصيح : اسقونى اسقونى ؛ فلا يزال يصيح كذلك حتى يؤخذ بثأره ، فحينئذ يسكت .

(شعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر) :

وقال ابن إسحاق : وقال أميَّةُ بن أبي الصَّلت ، يرثى من أُصيب من قُرَيش يوم بدر :

أَلاَّ بَكَيتِ على الكِرا م بَنى الكِرام أُولى المَمادحْ
كبُكا الحَمام على فُرو ع الأَيْك في الغُصُن الجَوانح[1]
يَبْكين حَـرَّى مُسْتَكيـنات[2] يرُحْن مع[3] الرَّوائح
أمثالهـن الباكيا ت المُعْوِلاتِ من النَّوائح[4]
مَنْ يَبْكِهِم يَبْكِ على حُزْن ويَصدُق كلُّ مادح
ماذا ببَـدْر فالعقَنْـقَل من مَرازبةٍ جَحاجِح[5]
فمَـدافع البَرقَيْن فالْـحَنَّان من طَرَف الأواشِح[6]
شُمْطٍ وشُـبَّان بِهَا لِيْـلٍ مَغاوِيرٍ وَحاوِح[7]
ألا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى ولقد أَبانَ لكُلِّ لامح
أن قد تَغَيَّر بَطْنُ مكَّـة فَهْى مُوحشـة الأباطح
من كُلّ بِطْريقٍ لِبِطْريق نَقيِّ القَوْن واضِح[8]
دُعْمُوص أبْواب المُلو ك وجائب لِلْخَرْق فاتح[9]

(١) الأيك : الشجر الملتف ؛ واحدته : أيكة . والجوانح : الموائل ؛ يقال : جنح : إذا مال .

(٢) حرى : يعنى اللاتى تجدن من الحزن . ومستكينات : خاضعات .

(٣) فى م ، ر : « من » .

(٤) المعولات : الرافعات الصوت بالبكاء .

(٥) العقنقل : الكثيب من الرمل المنعقد . والمرازبة : الرؤساء ؛ الواحد : مرزبان ، وهى كلمة أعجمية . والجحاجح : السادة ؛ واحدهم : جحجاح .

(٦) يريد « بمدافع البرقين » : حيث يندفع السيل . والبرقين : موضع . والحنان : الكثيب من الرمل . والأواشح : موضع .

(٧) الشمط : الذين خالطهم الشيب . والبهاليل : السادة ؛ الواحد : بهلول . والمغاوير : جمع مغوار ؛ وهو الذى يكثر الغارة . والوحاوح : جمع وحواح ، وهو الحديد النفس .

(٨) البطريق : رئيس الروم .

(٩) الدعموص : دويبة تغوص فى الماء . يريد أنهم يكثرون الدخول على الملوك . والجائب : القاطع . والخرق : الفلاة الواسعة .

مِنَ السَّراطمة[1] الخَلا جمة المَلاوثة المَناجِح[2]

القائلين الفاعلين الآمرين بكُلِّ صالح

المُطْعِمين الشَّحْمَ فَوْ ق الخُبْزِ شَحْمًا كالأنافح[3]

نُقُل الجفان مع الجفا ن إلى جفان كالمناضح[4]

لَيْسَتْ بأصفار لِمَن يَعْفُو[5] ولا رَحّ رحارح[6]

للضَّيْف ثم الضَّيْف بعد [الضيف][7] والبُسط السَّلاطح[8]

وُهُب المِئِينَ مِن المِئِينَ إلى المِئِينَ من اللَّواقح[9]

سَوْق المُؤبَّل للمُؤبَّل صادرات عن بَلادح[10]

لِكِرامِهِم فَوْقَ الكِرا م مَزِيَّةٌ وَزْنَ الرَّواجح

كتثاقُل[11] الأرْطال بالـ ـقِسْطاس[12] في الأيدي[13] المَوائحْ[14]

خَذَلَتْهُمْ فِئَةٌ وهم يَحْمُون عَوْرات الفَضائح

---

(١) كذا فى أكثر الأصول ، والسراطمة : جمع سرطم ، وهو الواسع الحلق . وفى ا : « الشراطمة » .

(٢) الخلاجمة : جمع خلجم ، وهو الضخم الطويل . والملاوثة : جمع ملواث ، وهو السيد والمناجح = الذين ينجحون فى سعيهم ويسعدون فيه .

(٣) الأنافح : جمع أنفحة ، وهى شىء يخرج من بطن ذى الكرش داخله أصفر ، فشبه به الشحم .

(٤) المناضح : الحياض ، شبه الجفان بها فى عظمها .

(٥) أصفار : جمع صفر ، وهو الخالى من الآنية وغيرها . ويعفو : يقصد طالبا للمعروف ،

(٦) كذا فى ا . ورح رحارح ، أى واسعة من غير عمق . وفى سائر الأصول : « رح وحارح » وهو تحريف .

(٧) زيادة عن ا .

(٨) السلاطح : الطوال العراض .

(٩) يريد « باللواقح » : الإبل الحوامل .

(١٠) المؤبل الابل الكثيرة . وصادرات : راجعات . وبلادح : موضع .

(١١) فى م ، ر : « كتاقل » .

(١٢) القسطاس : الميزان الكبير .

(١٣) فى م ، ر : « فى أيدى » .

(١٤) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والموائح : التى تتمايل لثقل ما ترفعه . وفى ا ، ط : « الموائح » . وفى سائر الأصول : « المواتح » . ولا يستقيم بهما المعنى .

الضَّـــارِبين التَّقْدُمِيَّــــةَ بالمُهَنَّدة الصَّـــفائح[١]
ولقَدْ عَنَانى صَـــوْتُهم مِن بين مُسْتَنْسِقٍ وصائح[٢]
لله دَرُّ بَـــنِى عَـــلِىٍّ أَيِّمٍ منهُـــم وناكِحِ[٣]
إن لم يُغَـــيروا غارةً شَعْواءَ تُجْحِرُ[٤] كُلَّ نابح
بالمُقْرَبات ، المُبْعَـــدا ت ، الطَّامحات مع الطَّوامح[٥]
مُرْدًا على جُـــرْدٍ إلى أُسْـــدٍ مُكالِبةٍ كوالح[٦]
ويُلاقِ قِـــرْنٌ قِرْنَهُ مَشْىَ المُصافِح للمُصافِح[٧]
بزُهاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْـــفٍ بين ذى بَدَنٍ ورامِح[٨]

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنشدنى غيرُ واحد من أهل العلم بالشعر بيتَه :

ويُلاقِ قِـــرْنٌ قِرْنه مَشْىَ المُصافح للمُصافح

وأنشدنى أيضًا[٩] :

وُهُبُ المِئِـــينَ مِنَ المئِـــينَ إلى المئِـــين مِنَ اللَّواقحْ
سَـــوق المُؤَبَّل للمُؤَبَّـــل صادرات عن بلادح

قال ابن إسحاق : وقال أُمَيَّة بن أبى الصَّلت ، يبكى زَمَعة بن الأسود ، و قتلَى بنى أسَد :

---

(١) يريد « بالتقدمية » التقدم أى يضربون متقدمين فى أول الجيش . والمهند : السيوف المطبوعة من حديد الهند ؛ الواحد : مهند . والصفائح : العراض .

(٢) عنانى ، أى أحزننى وشق على .

(٣) الأيم : الذى لم يتزوج .

(٤) كذا فى ا ، ط . وتجحر : تلجئه إلى جحره . وفى سائر الأصول : « تجمر » .

(٥) المقربات : الخيل التى تقرب من البيوت لكرمها . والمبعدات : التى تبعد فى جريها أو فى مسافة غزوها . والطامحات : التى ترفع رءوسها .

(٦) الجرد : الخيل العتاق . والمكالبة : هم الذين بهم شبه الكلب ، وهو السعار ، يعنى حدتهم فى الحرب . والكوالح : العوابس .

(٧) القرن : الذى يقاوم فى قتال أو شدة .

(٨) البدن : الدرع .

(٩) هذه الكلمة « أيضا » ساقطة فى ا .

عَيْنُ بَكِّى بالمُسْبِلات أبا الْـــحارث لا تَذْخَرِى على زَمَعَه[١]

وابكى عقيلَ بن أسود أسَد الْـــبأْس ليَوْم الهِياج والدَّفَعَه[٢]

تلك بنُو أسَــد إخْوَة الجَوْ زاءِ لا خانَةٌ ولا خَــدَعَه[٣]

هُمُ الأُسْرَة الوسيطةمن كَعْـــبٍ وهُم ذِرْوة السَّنام والقَمعه[٤]

أنبتوا مِنْ معاشرٍ شَعَر الـــرأْسِ وهُم ألحقوهمُ المَنَعَه

أمْسَى بنو عمِّهم إذا حَضَر البـــأْسُ أكْبادُهم عليهمُ وَجِعه

وهُم المُطْعمون إذْ قَحط القَطْـــرُ وحالَتْ فلاترى قَزَعه[٥]

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذا الشعر مُخْتلطة، ليست بصَحيحة البناء، لكن أنشدنى أبو مُحْرِز خلف الأحمَر وغيره، روى بعضٌ ما لم يَرْوِ بعض:

عَيْنُ بَكِّى بالمُسْبَلات أبا الحا رث لا تَذْخَرِى على زَمَعَه

وعَقِيلَ بن أسْوَدٍ أسَدَ البأْ س ليَوْم الهِياج والدَّفَعَه

فعَلى مثل هُلْكهم خَوَتِ الجَوْ زاءِ، لا خانةٌ ولا خَــدَعه

وهُمُ الأسْرَةُ الوَسِيطَة مِن كَعْـــبٍ، وفيهم كذِرْوة القَمَعَه

أنْبَتُوا مِنْ مَعاشرٍ شَعَر الرأْ سِ، وهم ألْحقوهم المَنَعَه

فبنو عمِّهم إذا حَضَر البأْ س عليهم أكبادُهم وجِعَه

وهُمُ المُطْعِمون إذ قَحط القَطْـــرُ وحالَت فلا ترى قَزَعَه

(شعر أبى أسامة):

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاويةُ بن زُهير بن قَيْس بن الحارث

---

(١) المسبلات: الدموع السائلة، يقال: أسبل الدمع: إذا جرى؛ وأسبله هو: إذا أجراه. ولا تذخرى، أى لا تدخرى.

(٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ا: «الدقعة» بالقاف. وقال أبو ذر: «من رواه (بالفاء) فهو جمع دافع: ومن رواه (بالقاف)، فهو من الدقعاء، وهو التراب، ويعنى به الغبار. وقد يجوز أن يكون «الدقعة» هنا: جمع داقع، وهو الفقير؛ فيقول: «ابكيه للحرب وللجود».

(٣) الجوزاء: اسم نجم. وخانة: جمع. خائن. وخدعة: جمع خادع.

(٤) الأسرة: رهط الرجل. والوسيطة: الشريفة. وذروة السنام: أعلاه. والقمعة: السنام.

(٥) القزعة: سحاب متفرق.

ابن سعد بن ضُبَيعة بن مازن بن عدىّ بن جُشَم بن معاوية حليف بنى مخزوم — قال ابن هشام : وكان مشركا وكان مرّ بهُبَيرة بن أبى وهب[1] وهم منهزمون يوم بدر ، وقد أعيا هُبَيرة ، فقام فألقى عنه درعه وحمله فمضى به ، قال ابن هشام : وهذه أصح أشعار أهل بدر :

ولمّا أنْ رأيتُ القومَ خفّوا وقد زالت[2] نعامتُهم لنفْرِ
وأنْ تُركتْ سَراة القوم صَرْعَى كأنّ خيارَهم أذْباحُ عِتْرِ[3]
وكانتْ جُمّةٌ[4] وافتْ حِماما ولُقّينا المَنايا يومَ بدْرِ
نَصُدّ عن الطّريق وأدْرَكونا كأنّ زُهاءَهم غَطَيانُ بحْرِ[5]
وقال القائلونَ : مَن ابنُ قَيْسٍ ؟ فقُلتُ : أبو أُسامةَ ، غير فَخْرِ
أنا الجُشَمىّ كيما تَعرفوني أُبَيّنُ نِسْبَتى نَقْرًا بنَقْرِ[6]
فان تَكُ فى الغَلاصم من قُرَيش فانى من مُعاوية بن بَكْرِ[7]

---

(١) فى م ، ر : (رهم) .

(٢) كذا فى ا ، وشرح السيرة ، والروض . وفى سائر الأصول « شالت » . قال السهيلى : « العرب تضرب زوال النعامة مثلا للفرار ، وتقول شالت نعامة القوم : إذا فروا وهلكوا . والنعامة (فى اللغة) : باطن القدم ، ومن مات فقد شالت رجله ، أى ارتفعت ، وظهرت نعامته . والنعامة (أيضا) : الظلمة . وابن النعامة : عرق فى باطن القدم . فيجوز أن يكون قوله : زالت نعامتهم ، كما يقال ، زال سواده وضحا ظله : إذا مات . وجائز أن يكون ضرب النعامة مثلا ، وهو الظاهر فى بيت أبى أسامة ، لأنه قال : زالت نعامتهم لنفر . والعرب تقول : أشرد من نعامة وأنفر من نعامة . . . . . فإذا قلت : زالت نعامته ، فمعناه : نفرت نفسه التى هى كالنعامة فى شرودها » .

(٣) سراة القوم : خيارهم . والعتر : الصنم الذى يذبح له .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « حمة » بالحاء المهملة ، قال أبو ذر : « من رواه بالجيم : فمعناه الجماعة من الناس ، وأكثر ما يقال فى الجماعة الذين يأتون يسألون فى الدية ؛ ومن رواه : حمة » بالحاء المهملة ، فمعناه : قرابة وأصدقاء ، من الحميم ، وهو القريب » . وقال السهيلى : « الحمة : السواد ؛ والحمة : الفرقة ؛ فإن كان أراد بالحمة سواد القوم فله وجه ؛ وإن كان أراد الفرقة منهم فهو أوجه » .

(٥) غطيان بحر ، أى فيضانه .

(٦) قال السهيلى : النقر : الطعن فى النسب ، يقول : إن طعنتم فى نسبى وعبتموه بينت الحق ، ونفرت فى أنسابكم ، أى عبتها وجازيت على النقر بالنقر . وقالت جارية من العرب : مروا بى على بنى نظرى — تعنى الفتيان الذين ينظرون إليها — ولا تمروا بى على بنات نقرى . تعنى النساء اللواتى ينقرن ، أى يعبن .

(٦) الغلاصم : الأعالى من النسب . وأصل الغلصمة : الحلقوم الذى يجرى عليه الطعام والشراب .

فأبْلغ مالكا لَمَّا غُشِينا — وعندك مال - إن نبَّأْتَ - خُبْرى[١]
وأبْلغ إنْ بلغتَ[٢] المرْءَ عنَّا — هُبَيرة ، وهو ذو علْم وقَدْر
ا بأنى إذ دُعيت إلى أُفَيْد — كرَرْتُ ولم يَضِقْ بالكَرِّ صَدْرى[٣]
عَشِيَّةَ لا يَكُرُّ على مُضافٍ — ولا ذى نَعْمة منهُم وصِهْر[٤]
فدُونَكُم بنى لأْىٍ أخاكُم — ودونك مالكا يا أمَّ عَمْرو[٥]
فلَوْلا مَشْهدى قامَتْ علَيْه — مُوَقَّفَةُ القَوائم أُمُّ أجْرى[٦]
دَفُوعٌ للقُبُور بمَنْكِبَيْها — كأنَّ بوَجْهها تحْميمَ قِدْر[٧]
فأُقْسِم بالذى قد كان ربى — وأنْصاب لَدَى الجَمرات مُغْر[٨]
لسَوْف ترَوْن ماحَسَبِى إذا ما — تبدَّلت الجُلُود جلودَ نَمْر
فما إنْ خادِرٌ من أُسْد ترْج — مُدِلٌّ عَنْبَسٌ فى الغيل مُجْرِى[٩]
فقَدْ أحْمى الأَباءة من كُلافٍ[١٠] — فما يَدْنُو له أحَدٌ بنقْر[١١]

---

(١) مال ، يريد : مالك ، فرخم ، وحذف حرف النداء من أوله .

(٢) فى ا : « عرضت » .

(٣) أفيد ، قال أبو ذر : « أفيد (بالفاء والقاف) : اسم رجل » . وقال السهيلى : « أفيد : تصغير وفد ، وهم المتقدمون من كل شىء من ناس أو خيل أو إبل ، وهو اسم للجمع مثل ركب ، ولذلك جاز تصغيره ؛ وقيل : أفيد ، اسم موضع » .

(٤) المضاف : الخائف المضطر المضيق عليه .

(٥) بنى لأى ، يريد : بنى لؤى ، فجاء به مكبرا على الأصل ، ولؤى تصغير لأى . (عن الروض الأنف) .

(٦) يريد « بالموقفة » : الضبع ، من الوقف وهو الخلخال ، لأن فى قوائمها خطوطا سودا . وأجر : جمع جرو ، وهو ولدها .

(٧) التحميم : التلطيخ بالسواد .

(٨) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها . والجمرات : موضع الجمار التى يرمون بها . ومغر : جمع أمغر ، وهو الأحمر ؛ يريد : أنها مطلية بالدم .

(٩) الخادر : الأسد الذى يكون فى خدره ، وهى أجمته . وترج : جبل بالحجاز كثير الأسد . وعنبس أى عابس الوجه . والغيل (بالكسر) : الشجر الملتف . ومجرى ، أى له جراء ، يعنى أشبالا ، أى أولادا .

(١٠) أحمى : جعلها حمى لا تقرب . والأباءة (بفتح الهمزة) : أجمة الأسد . وكلاف ، قال أبو ذر : « كلاف (بالفاء) : اسم ، موضع » . وقد ذكره ياقوت ، وقال : إنه واد من أعمال المدينة . وقال السهيلى : « لعله أراد من شدة كلفه بما يحميه ، فجاء به على وزن فعال ، لأن الكلف إذا اشتد كالهيام والعطاش . ولعل كلافا : اسم موضع . وقال أبو حنيفة الدينورى الكلاف : اسم شجر » .

(١١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بنفر » بالفاء .

بِخَلٍّ تَعْجِزُ الحُلَفاءُ عنه بُوائبُ كلَّ هَجْهَجةٍ وزَجْرِ[١]
بأوْشَكَ سَورَةً منّى إذا ما حَبَوْتُ له بقَرْقرةٍ وهَدْرِ[٢]
ببيضٍ كالأسِنَّةِ مُرْهَفاتٍ كأنّ ظُباتِهِن جَحيمُ جَمْرِ[٣]
وأكلفَ مُجنَإٍ من جِلْدِ ثَوْرٍ وصَفْراءِ البُرايَةِ ذاتِ أزْرِ[٤]
وأبيضَ كالغَديرِ ثَوَى عليه عُمَيرٌ بالمَداوِسِ نصفَ شَهْرِ[٥]
أُرَفِّلُ فى حمائله وأمشِى كمِشْيَةِ خادِرٍ لَيْثٍ سِبَطْرِ[٦]
يقولُ لى الفتى سعدٌ هَدِيًّا فقلتُ: لعلَّه تقريبُ غَدْرِ[٧]
وقلتُ أبا عَدِىٍّ لا تَطُرْهم وذلك إنْ أطَعْتَ اليومَ أمْرِى[٨]
كدَأْبِهِمُ بفَرْوةَ إذْ أتاهُم فظَلَّ يُقادُ مَكْتُوفا بضَفْرِ[٩]

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو مُحْرِز خلف الأحمر:

نَصُدُّ عَنِ الطَّريقِ وأدْرَكونا كأنَّ سِراعَهم تَيّارُ بَحْرِ

وقوله: — مدلٌّ عَنْبَسٌ فى الغِيلِ مُجْرى — عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال أبو أُسامة أيضا:

---

(١) الخل: الطريق فى الرمل. والحلفاء: الأصحاب المتعاضدون. والهجهجة: الزجر؛ يقال: هجهجت بالسبع: إذا زجرته، وهو أن تقول له: هج هج.

(٢) بأوشك: بأسرع. والسورة: الحدة والوثبة. وحبوت: قربت. والقرقرة والهدر: من أصوات الإبل الفحول.

(٣) يريد «بالبيض»: السهام. والظباة: حدها؛ الواحدة: ظبة.

(٤) وأكلف، قال أبو ذر: «من رواه باللام، فإنه يعنى ترسا أسود الظاهر؛ ومن رواه بالنون، فهو الترس أيضا؛ مأخوذ من كنفه، أى ستره». والمجنأ: الذى فيه اجتناء أى انحناء. ويريد «بصفراء البراية»: قوسا. والبراية: ما يتطاير منها حين تنحت.

(٥) يريد «بأبيض كالغدير»: سيفا. وعمير: اسم صيقل. والمداوس: جمع مدوس، وهى الأداة التى يصقل بها السيف.

(٦) أرفل: أطول. وسبطر، أى طويل ممتد.

(٧) الهدى، قال أبو ذر: «الهدى هنا: الأسير». وقال السهيل: «الهدى: ما يهدى إلى البيت، والهدى (أيضا) العروس تهدى إلى زوجها، ونصب (هديا) هنا على إضمار فعل، كأنه أراد: أهد هديا».

(٨) لا تطرهم: لا تقربهم، مأخوذ من طوار الدار، وهو ما كان ممتدا معها من فنائها.

(٩) كدأبهم: كعادتهم. وفروة: اسم رجل. والضفر: الحبل المضفور.

ألا مِنْ مُبلغٌ عنى رَسولاً ... مُغَلْغَلةً يثَبِّتُها لَطيفُ[١]
ألم تَعْلَمْ مَرَدِّى يومَ بَدْرٍ ... وقد بَرَقَتْ بجَنْبيك الكُفُوف[٢]
وقد تُرِكت سَراةُ القوم صَرْعَى ... كأنَّ رُءوسَهم حَدَجٌ نَقيف[٣]
وقد مالَتْ عليك ببَطْن بَدْرٍ ... خِلافَ القَوْم داهيةٌ خَصيف[٤]
فنجَّاه من الغَمَرات عَزْمى ... وعونُ الله والأمرُ الحَصيف
ومُنْقَلَبى مِن الأبْواء وَحْدِى ... ودونك جَمْعُ أعداء وُقوف[٥]
وأنت لمن أرَادك مُسْتكينٌ ... بجَنْب كُراشَ مكلومٌ نَزِيف[٦]
وكنتُ إذا دعانى يومَ كَرْب ... من الأصحاب داعٍ مُسْتَضيف[٧]
فأسْمعنى ولو أحْبَبْتُ نَفْسى ... أخٌ فى مثل ذلك أو حَليف
أرُدّ فأكشِف الغُمَّى وأرْمى ... إذا كَلَح المَشافرُ والأنُوف[٨]
وقِرْنٍ قد تركْتُ على يديه ... يَنُوء كأنه غُصْن قَصيف[٩]
دَلَفْتُ له إذا اختَلَطوا بحَرَّى ... مُسَحْسَحةٍ لعاندها حَفيف[١٠]

---

(١) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد . واللطيف : الرقيق الحاذق فى الأمور .

(٢) برقت : لمعت .

(٣) الحدج : الحنظل ؛ الواحدة : حدجة . والنقيف : المكسور .

(٤) الخصيف : المتلونة ألوانا ؛ وقيل : المتراكة .

(٥) الأبواء : موضع ، وبه قبر أم الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٦) كراش (بضم الكاف والشين المعجمة) : اسم جبل لهذيل ؛ وقيل : ماء بنجد لبنى دهمان . (راجع معجم البلدان) . ومكلوم : جريح . ونزيف : سائل جميع دمه .

(٧) مستضيف : ملجأ مضيق عليه .

(٨) الغمى : الأمر الشديد . وكلح : عبس . والمشافر : الشفاه ، لذوات الخف ، وهى الإبل ، فاستعارها هنا للآدميين .

(٩) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا ، ر : «قطيف» . قال أبو ذر : «من رواه بالصاد المهملة ، فمعناه : مكسور ، تقول : قصفت الغصن : إذا كسرته . ومن رواه «قطيف» بالطاء المهملة ، فهو الذى أخذ ما عليه من الثمر والورق» .

(١٠) دلفت : قربت . وبحرى : أى بطعنة موجعة . ومسحسحة : كثيرة سيلان الدم . والعاند : العرق الذى لا ينقطع دمه . والحفيف : صوته .

فذلك كان صُنْعى يومَ بَدْرٍ وقَبْـلُ أخو مُداراة عَزَوف[1]
أخوكم فى السِّنين كما علمتم وحَرْبٍ لا يزَالُ لها صَرِيف[2]
ومِقْدامٌ لكُمْ لايَزْدَهِينى جَنانُ اللَّيْلِ والأنَسُ اللَّفيف[3]
أخُوض الصَّرَّة[4] الجَمَّاء[5] خَوْضًا إذا ما الكَلْبُ ألجأه الشَّفيف[6]

قال ابن هشام: تركت قصيدةً لأبى أُسامة على اللام، ليس فيها ذكر بَدْرٍ إلا فى أوّل بيت منها والثانى، كراهيةَ الإكثار.

(شعر هند بنت عتبة):

قال ابن إسحاق: وقالت هندُ بنت عُتْبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر:

أعَيْنَيَّ جُودا بدَمْعٍ سَرِبْ على خير خِنْدِفَ لم ينقَلِبْ
تَدَاعَى له رَهْطُه غُدْوَةً بنُو هاشمٍ وبنُو المطَّلِب
يذيقونه حَدَّ أسْيافِهم يَعُلُّونه بعد ما قد عَطِب
يجرونه وعفِيرُ التُّراب على وَجْهه عاريا قد سُلِب
وكانَ لنا جبَلًا راسيا جميلَ المَرَاةِ[7] كثيرَ العُشُب
وأمَّا[8] بُرَىَّ فلم أعْنِه فأُوتِىَ من خير ما يَحْتَسِب[9]

وقالت هندُ أيضًا:

---

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «عروف». قال أبو ذر: «من رواه بالزاء، فهو الذى تأبى نفسه الدنايا. ومن رواه بالراء، فمعناه أيضا: الصابر، هاهنا».

(٢) يريد «بالسنين»: سنين القحط والجدب. والصريف: الصوت.

(٣) جنان الليل: ظلمته. والأنس: الجماعة من الناس، واللفيف: الكثير.

(٤) الصرة: الجماعة، وقد تكون الصرة (أيضا): شدة البرد، وإياها عنى، لذكره الشفيف فى آخر البيت.

(٥) كذا فى شرح السيرة. وفى جميع الأصول: «الجماء» قال أبو ذر: «الجماء (بالجيم): الكثير، ومن رواه: الحماء، بالحاء المهملة، فمعناه: السود».

(٦) الشفيف (بالشين المعجمة): الريح الشديدة البرد.

(٧) جميل المراة، أرادت مرآة العين، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن، فذهبت الهمزة.

(٨) فى م، ر: «فأما».

(٩) تريد «ببرى»: البراء، وهو رجل، فصغرته.

حَرِيب علَيْنا دَهْرُنا فيَسُوءنا ... ويأْبَى فما نأْتِى بشىْءٍ يُغالبُه

أبعدَ قَتيل من لؤَىّ بن غالب ... يُراع امرؤٌ إنْ مات أو مات صاحبه

ألا رُبَّ يوم[1] قد رُزِئتُ مُرزَّأً ... تَروح وتَغْدو بالجزيل مَواهبُهْ

فأبْلغ أبا سُفيان عنِّى مَأْلُكا ... فان ألْقَه يوما فسوف أُعاتبه[2]

فقد كان حربٌ يَسْعَر الحربَ إنَّه ... لكلّ امرئ فى الناس مولًى يُطالبه[3]

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد .

قال ابن إسحاق : وقالت هنْد أيضًا :

للهِ عيْنا مَنْ رأى[4] . هُلْكا كَهُلْكِ رجاليَهْ

يا رُبَّ باكٍ لى غدا ... فى النَّائبات وباكيَه

كم غادَرُوا يَوْمَ القَليب غداةَ تلك الواعِيَه[5]

مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فى السِّنين إذا الكَوَاكبُ خاويه[6]

قد كُنْتُ أحْذَرُ ما أرَى ... فاليَوْم حَقَّ حَذاريه

قد كُنْتُ أحْذَر ما أرَى ... فأنا الغداةَ مُواميه[7]

يا رُبَّ قائلَةٍ غدًا ... يا وَيْحَ أُمِّ مُعاويَه

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد .

---

(١) فى شرح السيرة : « ألا رب رزء قد رزئت مرزأ » . قال أبو ذر : المرزأ : الكريم الذى يرزؤه القاصدون والأضياف ، أو ينقصون من ماله » .

(٢) المألك : جمع مألكة ، وهى الرسالة التى تبلغ باللسان .

(٣) حرب : هو والد أبى سفيان . ويسعر : يهيج .

(٤) فى م ، ر : « بل رب » .

(٥) الواعية : الصراخ .

(٦) إذا الكواكب خاوية ، يعنى أنها تسقط فى مغربها عند الفجر ، ولا يكون معها أثر ولا مطر ، على مذهب العرب فى نسبتهم ذلك إلى النجوم .

(٧) مواميه ، قال أبو ذر : « أى مختلطة العقل » . وقال السهيلى : « موامية ، أى ذليلة . وهى مؤامية ، بهمزة ، ولكنها سهلت فصارت واوا وهى من لفظ الأمة . تقول : تأميت أمة أى اتخذتها ويجوز أن تكون من المواءمة ، وهى الموافقة ، فيكون الأصل : موائمة ؛ ثم قلب فصار موامية ، على وزن مفالعة . تريد أنها قد ذلت فلا تأبى ، بل توافق العدو على كره . »

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضا :

يا عَيْنُ بَكِّي عُتُبَهْ ... شيخا شديد الرَّقَبَهْ[١]

يُطْعِم يوم المَسْغبه ... يدفع يومَ المَغْلَبه[٢]

إنّى عليه حَرِبه ... مَلْهوفةٌ مُسْتَلَبه[٣]

لَنَهْبِطنَّ يَثْربه ... بغارةٍ مُنْثعبه[٤]

فيها الخيولُ مُقْرَبه ... كلُّ جَوَادٍ سَلْهَبه[٥]

(شعر صفية) :

وقالت صَفِيَّة بنتُ مُسافر بن أبي عمرو بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، تبكي أهلَ القَليب الذين أُصيبوا يوم بدر من قُرَيش : (وتذكر مصابهم) [٦] :

يا مَنْ لِعَيْنٍ قَذَاها عائرُ الرَّمَدِ ... حَدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشمسِ لم يَقِدِ[٧]

أُخْبِرْتُ أنَّ سَراةَ الأكْرَمين مَعًا ... قد أحْرَزَتْهم مَنَاياهُم إلى أمَدِ

وفَرَّ بالقَوْم أصحابُ الرِّكاب ولم ... تَعْطِفْ غداتئذٍ أُمٌّ على وَلَدِ

قَوْمِى صَفِيَّ ولا تَنْسَى قَرابَتَهم ... وإن بَكَيْتِ، فما تَبْكِين من بُعُدِ

كانُوا سُقُوبَ[٨] سماءِ البيت فانقصفت ... فأصْبح السَّمْكُ منها غيرَ ذى عَمَدِ

قال ابن هشام : أنشدني بيتَها : « كانوا سقوب[٨] » بعضُ أهل العلم بالشعر.

قال ابن إسحاق : وقالت صفيَّة بنت مُسافر أيضًا :

---

(١) عتبه ، أرادت : عتبة ، (بإسكان التاء) إلا أنها أتبعتها للعين .

(٢) المسغبة : الجوع والشدة .

(٣) حربة : حزينة غضبى . ومستلبة : مأخوذة العقل . قال السهيلي : « الأجود في مستلبة ، أن يكون بكسر اللام ، من السلاب ، وهي الخرقة السوداء التي تختمر بها الثكلى » .

(٤) كذا في الأصول . ومثعبة : أي سائلة بسرعة ؛ يقال : انثعب الماء : إذا سال . ويروى : منشعبة ، أي متفرقة .

(٥) المقرب من الخيل : الذي يقرب من البيوت لكرمه . والسلهبة : الفرس الطويلة .

(٦) هذه العبارة ساقطة في ا .

(٧) القذا : ما يقع في العين والشراب . والعائر : وجع العين ؛ ويقال : هو قرحة تخرج في جفن العين. وحد النهار : الفصل الذي بين الليل والنهار . وقرن الشمس : أعلاها . ولم يقد ، أي لم يتمكن ضوءه .

(٨) كذا في أكثر الأصول . والسقوب (بالباء) : عمد الخباء التي يقوم عليها . وفي ا : « سقوف » .

ألا يا مَنْ لِعَيْنٍ للتَّبكِّى دَمْعُها فان[1]
كَغَرْبَىْ دالج يَسْقِى خِلال الغَيْثِ الدَّان[2]
وما لَيْثُ غَرِيفٍ ذو أظافِيرٍ وأسْنان[3]
أبو شِبْلَيْنِ وَثَّابٌ شَديدُ البَطْش غَرْثان[4]
كَحِبِّى إذْ تولَّى و وُجُوهُ القَوْم ألْوان
وبالكَفِّ حُسام صَا رم أبْيَضُ ذُكْرَان[5]
وأنت الطَّاعن النَّجلا ء مِنها مُزْبِدٌ آن[6]

قال ابن هشام: ويروون قولها: «وما لَيْث غريفٍ» إلى آخرها، مفصولا من البيتين اللذين قبله.

(شعر هند بنت أثاثة):

قال ابن إسحاق: وقالت هِند بنت أثاثة بن عبَّاد بن المطَّلب ترثى عُبيدة بن الحارث بن المطَّلب:

لقد ضمِنَ الصَّفْراءُ مجْداً وسُودُداً وحِلْماً أصيلاً وافرَ اللُّبِّ والعَقْل[7]
عُبَيدةَ فابْكيه لأضْيافِ غُرْبةٍ وأرمَلة تَهْوِى لأشْعَثَ كالجِذْل[8]
وبَكِّيه للأقْوام فى كلِّ شَتْوةٍ إذا احْمرَّ آفاقُ السَّماء من المَحْل[9]
وبَكِّيه للأيْتام والرِّيحُ زَفْزَفٌ[10] وتَشْبيب[11] قِدْرٍ طالما أزْبدت تَغْلى[12]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى شرح السيرة لأبى ذر: «قانٍ»، أى أحمر، وكان الأصل أن تقول «قانٍ»: بالهمزة، فخففت الهمزة. تريد أن دمعها خالطه الدم.
(٢) الغرب: الدلو العظيمة. والدالج: الذى يمشى بدلوه بين البئر والبستان.
(٣) الغريف: موضع الأسد، وهى الأجمة.
(٤) غرثان: جائع.
(٥) ذكران: أى سيف طبع من مذكر الحديد.
(٦) مزبد، أى دم له زبد، أى رغوة. وآن: حار.
(٧) الصفراء: موضع بين مكة والمدينة.
(٨) الأشعث: المتغير. والجذل (بالجيم والذال المعجمة): أصل الشجرة وغيرها. تصفه بالثبات والقوة.
(٩) المحل: القحط.
(١٠) الزفزف من الرياح: الشديدة السريعة المرور.
(١١) كذا فى ا. والتشبيب: إيقاد النار تحت القدر ونحوها. وفى سائر الأصول: «تشنيت».
(١٢) أزبدت: رمت بالزبد، وهى الرغوة.

فإن تُصبح النِّيران قد مات ضَوْءُها ... فقد كان يُذْكيهن بالحَطَب الجَزْل[١]
لطارقِ لَيْــلٍ أو لمُلتمس القِرَى ... ومُسْتَنْبِحٍ[٢] أضحَى لديْه على رسْل

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد .

(شعر قتيلة بنت الحارث) :

قال ابن إسحاق[٣] : وقالت قُتَيلة[٤] بنت الحارث ، أخت[٥] النَّضْر بن الحارث ، تَبْكيه :

يا راكبا إنّ الأُثَيْل مَظنَّةٌ ... من صُبْح خامسةٍ وأنت مُوفَّقُ[٦]
أبْلــغ بها مَيْتا بأنّ تحيَّـــةً ... ما إن تزالُ بها النَّجائب تَخْفِقُ[٧]
منّي إليك وعَــبْرةً مَسْفوحةً ... جادتْ بوَاكفِها وأُخْرى تَخْنُقُ[٨]
هل يَسْمَعَنّي النَّضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يَسْمع ميّتٌ لا يَنْطق
أمحمد يا خــير ضِنْءِ كريمةٍ[٩] ... فى قوْمها والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِق[١٠]

---

(١) الجزل : الغليظ .

(٢) المستنبح : الرجل الذى يضل بالليل فيتكلف نباح الكلب وحكايته لتجاوبه كلاب الحى المتوهم نزولهم فى طريقه ، فيهتدى بصياحه ، والرسل (بالكسر) : اللبن .

(٣) فى ا ، ر : « قال ابن هشام » .

(٤) قال السهيلى : « الصحيح أنها بنت النضر لا أخته ، كذلك قال الزبير وغيره ، وكذلك وقع فى كتاب الدلائل » .

(٥) كانت قتيلة هذه تحت الحارث بن أبى أمية الأصغر ، فهى جدة الثريا بنت عبد الله بن الحارث ، التى يقول فيها عمر بن أبى ربيعة حين خطبها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان ؟
هى شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمانى !

(٦) الأثيل : موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء . ومظنة ، أى موضع إيقاع الظن .

(٧) النجائب : الإبل الكرام . وتخفق : تسرع :

(٨) الواكف : السائل .

(٩) الضنء : الأصل . ورواية هذا الشطر فى الروض .

أمحمد ها أنت ضنء نجيبة

والضنء : الأصل والولد .

(١٠) المعرق : الكريم .

ما كان ضرَّك لو مَننْتَ وربما   مَنَّ الفتى وهو المَغيظ المُحْنَق[١]

أو كنتَ قابلَ فِدْيةٍ فلْيُنفقن   بأعزّ ما يَغْلو به ما يُنْفق[٢]

فالنَّضر أقربُ مَنْ أسَرت قرابةً   وأحقُّهم إن كان عتق يُعْتق

ظلَّت سُيُوفُ بنى أبيه تَنُوشُه   لله أرحامٌ هُناكَ تُشَقَّق[٣]

صَبْرًا[٤] يُقاد إلى المنيَّة مُتْعبا   رسفَ المقيَّدِ وهُوعانٍ موثق

قال ابن هشام : فيقال ، والله أعلم : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بلغه هذا الشِّعرُ ، قال : لو بلغنى هذا قبل قتله لمَنَنْتُ عليه .

(تاريخ الفراغ من بدر) :

قال ابن إسحاق : وكان فراغُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عَقِب شهر رمضان أو فى شوّال .

غزوة بنى سليم بالكدر

قال ابن إسحاق : فلما قدِم (رسولُ الله صلى الله عليه وسلم) [٦] لم يَقم بها إلا سبعَ ليالٍ (حتى)[٦] غزا بنفسه ، يريد بنى سُلَيم .

قال ابن هشام : واستعملَ على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفارىّ ، أو ابن أمّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماءً من مياههم ؛ يقال له : الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث لَيالٍ

---

(١) المحنق : الشديد الغيظ .

(٢) كذا فى الأصول . ورواية هذا البيت فى الأغانى (ج ١ ص ١٩ طبع دار الكتب المصرية) :

أو كنت قابل فدية فلنأتين   بأعز ما يغلو لديك وينفق

(٣) تنوشه : تتناوله . وتشقق : تقطع .

(٤) فى شرح السيرة : « قسرا » . والقسر : القهر والغلبة .

(٥) الرسف : المشى الثقيل ، كمشى المقيد ونحوه . والعانى : الأسير . وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى ، (ج ١ ص ١٩ طبع دار الكتب والحماسة ص ٤٣٧ طبع أوربة) باختلاف فى ترتيبها وبعض ألفاظها .

(٦) زيادة عن : ا .

ثم رجع إلى المدينة ، ولم يَلْق كيداً، فأقام بها بقيّة شوّال وذا القعدة ، وأفدى في إقامته تلك جُلّ الأسارَى من قُرَيْش[١] .

غزوة السويق

(عدوان أبي سفيان وخروج الرسول في أثره) :

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زيادُ بن عبد الله البكّائي ، عن محمد بن إسحاق المطّلبي ، قال : ثم غزَا أبوسُفيان بن حَرْب غزْوة السَّويق في ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المُشركون من تلك السنة ، فكان أبوسفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، ويزيد بن رُومان ، ومن لا أتّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجَع فَلُّ[٢] قُرَيش من بدر ، نذَر أن لايمسّ رأسَه ماءٌ من جَنابة[٣] حتى يَغْزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مئتَيْ راكب من قُرَيش ، ليَبرّ يمينَه ، فسلك النَّجْدية ، حتى نزل بصَدْر قَناة إلى جَبَل يقال له : ثَيْب[٤] ، من المدينة على بَريد أو نحوه ، ثم خرج من اللّيل ، حتى أتى بني النَّضير تحت اللّيل ، فأتى حُيَيّ ابن أخْطب ، فضرب عليه بابَه ، فأبَى أن يفتح له بابَه وخافَه ، فانصرف عنه إلى سَلاّم بن مِشْكم ، وكان سيِّد بني النَّضير في زمانه ذلك ، وصاحبَ كنزهم[٥] ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فقَرَاه[٦] وسَقاه ، وبَطَن[٧] له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابَه ، فبعث رجالاً من قُرَيش إلى المدينة ، فأتَوْا ناحية

---

(١) إلى هنا ينتهى الجزء العاشر من أجزاء السيرة من تقسيم المؤلف.

(٢) الفل ، القوم المنهزمون .

(٣) قال السهيلي : « إن الغسل من الجنابة كان معمولا به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل » كما بقي معهم الحج والنكاح » .

(٤) في م ، ر : « نيب » .

(٥) يريد « بالكنز » : المال الذين كانوا يجمعونه لنوائبهم وما يعرض لهم .

(٦) قراه : أي صنع له القرى ، وهو طعام الضيف .

(٧) بطن له ، أي أعلمه من سرهم .

منها ، يقال لها : العُرَيض ، فحرقوا فى أصْوار [١] من نخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفا له فى حَرْث لهما ، فقتَلوهما ، ثم انصرفوا راجعين [٢] ، ونَذِر بهم الناسُ . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طَلَبهم ، واستعملَ على المدينة بَشير بنَ عبد المنذر ، وهو أبو لُبابة ، فيما قال ابن هشام [٣] ، حتى بلغ قَرْقَرة [٤] الكُدْر ، ثم انصرف راجعا ، وقد فاته أبوسفيان وأصحابُه ، وقد رأوْا أزوادا من أزواد القوم قد طَرحوها فى الحَرْث يتخففَّون منها للنجاء [٥] ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ، أتَطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم :

(سبب تسميتها بغزوة السويق) :

قال ابن هشام : وإنما سُمِّيت غزوة السَّويق [٦] ، فيما حدَّثنى أبو عُبيدة : أنَّ أكثر ما طرح القومُ من أزوادهم السَّويقُ ، فهَجم المسلمون على سَويق كثير ، فسُمِّيت غزوة السويق .

(شعر أبى سفيان فيها) :

قال ابن إسحاق : وقال أبوسُفيان بن حَرْب عند مَنْصرفه ، لما صنع به سلام ابن مشْكم :

وإنى تخَيَّرتُ المدينةَ واحدا ... لِحلْفٍ فلم أنْدَم ولم أتَلَوَّمِ [٧]

---

(١) الأصوار : جمع صور بفتح الصاد ، وهو جماعة النخل .

(٢) مكان هذه العبارة من قوله : « واستعمل على المدينة » إلى قوله « فيما قال ابن هشام » متأخر فى « ا » .

(٣) إلى آخر القصة نذر بهم الناس : علموا بهم .

(٤) قرقرة الكدر : موضع بناحية المعدن ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (راجع معجم البلدان) .

(٥) النجاء : السرعة .

(٦) السويق : هو أن تحمص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ، ثم تطحن ، ثم يسافر بها ، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن وتلت ، فإن لم يكن شىء من ذلك مزجت بالماء .

(٧) المدينة ، أراد : من المدينة ، فحذف الجر . ولم أتلوم ، أى لم أدخل فيما ألام عليه .

سقانى فرَّوانى كُمَيْتا مُـــدامة[١] على عَجَلٍ منى سَلام بن مشْكَم[٢]
ولمَّا توَلَّى الجيْشُ قلتُ ولم أكُنْ لأُفْرِحَه : أبشرْ بعــزّ ومَغْنَم[٣]
تأمَّلْ فانَّ القومَ سرّ وإنهــم صريحُ لُؤَىّ لا شَماطيطُ جُرْهُم[٤]
وما كان إلا بعض ليلةِ راكبٍ أتى ساعيا[٥] من غيرخَلَّة مُعْدِم

غزوة ذى أمر

فلمَّا رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غَزْوة السَّويق ، أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريبا منها ، ثم غزا نجدًا ، يريد غَطَفان، وهى غزوة ذى أمَرَ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفَّان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنَجْد صفرًا كلَّه أو قريبا من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يَلْقَ كيدا . فلَبِث بها شهر ربيع الأوّل كُلَّه ، أو إلا قليلاً منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غز (رسولُ الله)[٦] صلى الله عليه وسلم ، يريد قريشا، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مَكْتوم ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بَحرانَ ، مَعْدِنا بالحجاز من ناحية الفُرُع[٧] ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجُمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلْق كيدًا .

---

(١) الكميت : من أسماء الخمر .

(٢) سلام بن مشكم ، قال أبو ذر : « إنه أراد أن يقول : سلام بن مشكم ، بتشديد اللام ، لكنه خففة لضرورة الشعر ، ولم يذكر الدارقطنى سلاما بالتخفيف إلا فى عبد الله بن سلام وحده » . وذكر السهيل أنه بتخفيف اللام وتشديدها .

(٣) لأفرحه ، أى لأشق عليه .

(٤) سر القوم . خالصهم ؛ وكذلك الصريح منهم . والشماطيط : المختلطون .

(٥) ساعيا ، قال أبو ذر : « من رواه ساعيا ، فهو من السعى ، وهو معلوم . ومن رواه : ساغبا ، فالساغب : الجائع ومن رواه شاعبا ، فهو من التفرق » .

(٦) زيادة عن ا .

(٧) الفرع (بضمتين) :قرية من ناحية المدينة ، ويقال : هى أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة .

أمر بنى قينقاع

(نصيحة الرسول لهم وردهم عليه):

(قال)[١]: وقد كان فيما بين ذلك، من غَزْو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرُ بنى قَيْنُقاع، وكان من حديث بنى قَيْنقاع أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسُوق (بنى)[١] قَيْنقاع، ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثلَ ما نزل بقُريش من النِّقمة، وأسْلموا، فإنكم قد عرَفتم أنى نبىّ مُرْسل، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم؛ قالوا: يا محمد، إنك ترَى أنَّا قومُك! لايغُرَّنك أنك لقيتَ قوما لاعلم لهم بالحرب، فأصبْتَ منهم فُرصَةً، إنَّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنَّا نحن الناس.

(ما نزل فيهم):

قال ابن إسحاق: فحدثنى موْلًى لآل زيد بن ثابت عن سَعيد بن جُبير، أو عن عكْرمة عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: «قُلْ للَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ وبئْسَ المِهادُ. قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا»: أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقريش «فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللهِ، وأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رأْىَ العَيْنِ، واللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ، إنَّ فِى ذلكَ لَعِبْرَةً لِأُولى الأَبْصَارِ».

(كانوا أول من نقض العهد):

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة: أن بنى قَيْنقاع كانوا أوّل يهودَ نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد.

(سبب الحرب بينهم وبين المسلمين):

قال[٢] ابن هشام: وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسوَر بن مَخْرمة، عن

---

(١) زيادة عن ا.

(٢) فى ا: «قال وحدثنا ابن هشام».

أبى عَوْن ، قال : كان من أمر بنى قَيْنقاع أن امرأةً من العرب قَدِمتْ بجَلَب[١] لها ، فباعته بسوق بنى قَيْنقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يُريدونها على كَشْف وجهها ، فأبَت ، فعَمد الصائغ إلى طَرَف ثوبها فعَقده إلى ظَهْرها ، فلما قامت انكشفت سَوْءَتها ، فضَحِكوا بها ، فصاحتْ . فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديًّا ، وشدَّت اليهود على المُسلم فقَتلوه ، فاستصرخ أهلُ المُسلم المسلمينَ على اليهود ، فغَضِب المسلمون ، فوَقع الشرّ بينهم وبين بنى قَيْنُقاع .

(ما كان من ابن أبى مع الرسول) :

قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نَزَلوا على حُكْمه ، فقام إليه عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلُول ، حين أمْكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسنْ فى مَوالىَّ ، وكانوا حُلفاء الخزْرج ؛ قال : فأبطأ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا محمد أحْسنْ فى موالىَّ ، قال : فأعرض عنه . فأدْخل يدَه فى جَيْب دِرْع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفُضول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أرْسلنى ، وغَضِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُلَلا[٢] ، ثم قال : ويحك ! أرْسلنى ؛ قال : لا والله لا أُرسلك حتى تُحْسن فى موالىَّ ، أربع مئة حاسر[٣] وثلاث مئة دارع[٤] قد مَنعونى من الأحمر والأسود ، تَحْصدهم فى غَداة واحدة ، إنّى والله امرؤٌ أخشَى الدَّوائر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هُم لك .

---

(١) الجلب (بتحريك اللام) : كل ما يجلب للأسواق ليباع فيها .

(٢) الظلل : جمع ظلة ، وهى السحابة فى الأصل ، فاستعارها هنا لتغير الوجه إلى السواد إذا اشتد غضبه ويروى : ظلالا ، وهى بمعناها .

(٣) الحاسر : الذى لا درع له .

(٤) الدارع : الذى عليه الدرع .

(مدة حصارهم) :

قال ابن هشام : واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى مُحاصرته إيّاهم بَشير بن عبد المُنذر ، وكانت مُحاصرته إياهم خمسَ عشرَة ليلة .

(تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفى ابن أبى) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بنُ يَسار ، عن عُبادة بن الوَليد بن عبادة ابن الصّامت ، قال : لما حاربت بنوقَيْنُقاع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، تشبّث بأمرهم عبدُ الله بن أُبَىّ بن سَلُول ، وقام دونهم . قال : ومشى عُبادة بن الصامت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدَ بنى عوف ، لهم من حِلفه مثلُ الذى لهم من عبد الله بن أُبَىّ ، فخلَعهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حِلْفِهم ، وقال : يا رسولَ الله ، أتولى اللهَ ورسوله صلى الله عليه وسلم والمُؤمنين ، وأبرأ من حِلْف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفى عبد الله بن أُبَىّ نزلت هذه القصة من المائدة « يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى القَوْمَ الظّالِمِينَ . فَتَرَى الّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » أى لعبد الله [١] بن أُبَىّ وقوله : إنى أخشى الدوائر « يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِىَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ، فَيُصْبِحُوا على ما أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ . وَيَقُولُ الّذِينَ آمَنُوا أَهؤُلاءِ الّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا ، الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ » . وذكر [٢] لتولى عُبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قَيْنقاع

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « كعبد » .

(٢) فى م ، ر : « وذلك » .

وحِلفهم وولايتهم : « ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فانَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ » .

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدة

(إصابة زيد العير وإفلات الرجال) :

قال ابن إسحاق : وسَرِيَّةُ زيد بن حارثة التى بعثَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب عِيرَ قُرَيش ، وفيها أبوسفيان بنُ حَرْب ، على القَرَدة ، ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أنّ قريشا خافُوا طريقَهم الذى كانوا يسلكون إلى الشأم ، حين كان من وَقْعة بدر ما كان ، فسَلَكوا طريقَ العراق ، فخرج منهم تُجَّار ، فيهم : أبوسفيان بن حرب ، ومعه فضّة كثيرة ، وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل ، يقال له : فُراتُ بن حيَّان [١] يدُلُّهم فى ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فُرات بن حيَّان ، من بنى عِجْل ، حليف لبنى سَهْم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجَزَه الرجالُ ، فقَدِم بها على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

(شعر حسان فى تأنيب قريش) : —

فقال حسَّان بن ثابت بعد أُحُد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لأخذهم تلك الطريق :

دَعُوا فَلَجاتِ الشامِ قد حال دونها جِلادٌ كأفْواه المَخاض الأوارِكِ [٢]
بأيْدِى رجال هاجَرُوا نحوَ ربِّهم وأنصارِه حَقًّا وأيْدِى المَلائك

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حبان » بالباء الموحدة . وهما روايتان فيه ، إلا أن ما أثبتناه أشهر .

(٢) الفلجات : جمع فلجة ، وهى العين الجارية . والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك ، وهو شجر تتخذ من أغصانه المساويك .

إذا سلكتْ للغَوْرمن بَطْنِ عالِجٍ فقولا لها ليس الطَّريقُ هنالكِ[1]

قال ابن هشام :وهذه الأبيات فى أبيات لحسَّان بن ثابت ، نقضَها عليه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله (فى) [2] موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

(استنكاره خبر رسولى الرسول بقتل ناس من المشركين) :

قال ابن إسحاق : [3] وكان من حديث كَعْب بن الأشرف : أنه لما أُصيب أصحاب بدر ، وقدم زيدُ بن حارثة إلى أهل السَّافلة ،وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشيريْن ، بعثهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه ، وقَتْل مَنْ قُتل من المُشركين ، كما حدّثنى عبدُ الله بن المُغيث بن أبى بُرْدة الظَّفَرى ، وعبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ،وصالح بن أبى أُمامة بن سَهل ، كلّ قد حدّثنى بعضَ حديثه ، قالوا :قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طَيِّئٍ ، ثم أحدَ بنى نَبْهان ، وكانت أمُّه من بنى النَّضير ، حين بلغه الخبرُ : أحقٌ هذا ؟ أتَرَوْن محمَّدا قتل هؤلاء الذين يُسمِّى هذان الرجلان – يعنى زيدًا وعبدالله بن رواحة – فهؤلاء أشْراف العرب وملوكُ الناس، والله لئن كان محمَّد أصابَ هؤلاء القوم ، لبَطْنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

(شعره فى التحريض على الرسول) :

فلماتيقَّن عدوّ الله الخبرَ ، خرج حتّى قَدِم مكَّة ، فنزل على المطَّلب بن أبى وَداعة بنُ ضبيرة السَّهْمى ،وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمتْه ، وجعل يحرّض على رسولِ اللهِ

---

(١) الغور : المنخفض من الأرض . وعالج : موضع به رمل كثير .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) زادت م ، ر قبل هذه الكلمة : « وقال كعب بن الأشرف » .

صلى الله عليه وسلم ، ويُنْشد الأشعار ، ويبكى أصحاب القَليب من قُريش ، الذين أُصيبُوا ببدر ، فقال :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لمَهْلِك أهله ... ولمثْلِ بدْرٍ تَسْتَهِلُّ وتَدْمَعُ[١]

قُتلتْ سَرَاةُ الناس حول حياضِهم ... لا تَبْعَدُوا إنّ المُلوك تُصَرَّعُ

كم قد أُصِيب به من أَبْيَضَ ماجدٍ ... ذى بَهْجة يأوِى إليه الضُّيَّعُ[٢]

طَلْق اليدَيْن إذا الكواكبُ أخلَفتْ ... حَمّالُ أثقالٍ يَسُود ويَرْبَعُ[٣]

ويقول أقْوَامٌ أُسَرُّ بسُخْطهم ... إنّ ابنَ الأشرفِ ظلّ كعْبا يَجْزَعُ

صدقوا فليتَ الأرض ساعةَ قُتِّلوا ... ظلّت تَسُوخ بأهلها وتُصَدَّعُ

صار الذى أثَر الحديثَ بطَعْنه ... أو عاش أعْمى مُرْعَشا لا يَسْمَعُ

نُبِّئتُ أن بَنى المُغيرة كلّهم ... خَشَعوا لقَتْل أبى الحَكم وجُدّعوا[٤]

وابنا ربيعة عنده ومُنَبِّهٌ ... ما نال مثْل المُهْلكين وتُبَّعُ[٥]

نُبِّئتُ أنّ الحارث بن هشامهم ... فى الناس يَبْنى الصّالحات ويجْمع

ليَزورَ يثْربَ بالجُمُوع وإنّما ... يَحْمى على الحَسَب الكريمُ الأرْوَعُ[٦]

قال ابن هشام : قوله « تُبَّع » ، « وأسر بسُخْطهم » . عن غير ابن إسحاق .

(شعر حسان فى الرد عليه) :

قال ابن إسحاق : فأجابه حسّان بن ثابت الأنصارىّ ، فقال :

---

(١) رحى الحرب . معظمها ومجتمع القتال . وتسهل : تسيل بالدمع .

(٢) الضيع : جمع ضائع ، وهو الفقير .

(٣) طلق اليدين ، أى كثير المعروف . وأخلفت : أى لم يكن معها مطر ، على ما كانت والعرب تنسب إلى هذه الكواكب . ويربع : أى يأخذ الربع ، أى أنه كان رئيسا ، لأن الرئيس فى الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة .

(٤) التجديع : قطع الأنف . وأراد به هنا : ذهاب عزهم .

(٥) تبع : ملك من ملوك اليمن .

(٦) الأروع : الذى يروعك بحسنه وجماله .

أبكى لكعب[1] ثم عُلَّ[2] بعَبْرة منه وعاش مُجدَّعا لا يَسْمَعُ؟
ولقد رأيتُ ببطن بدرٍ منهمُ قتلى تَسُحّ لها العيون وتَدْمَعُ[3]
فابكى فقد أبكيتَ عبدًا راضعا شِبْهَ الكُلَيْب إلى الكُلَيْبة يَتْبَعُ
ولقد شَفَى الرحمن منا سيِّدًا وأهانَ قَوْمًا قاتلوه وصُرِّعوا
ونجا وأُفْلِتَ منهُم من قَلْبُه شَغَفٌ[4] يظَلّ لخَوْفه يتصدَّعُ

قال ابن هشام: وأكثر أهلِ العلم بالشِّعر يُنكرها لحسَّان[5]. وقوله «أبكى لكعب» عن غير ابن إسحاق.

(شعر ميمونة فى الرد على كعب):

قال ابن إسحاق: وقالت امرأةٌ من المسلمين من بنى مُرَيْد[6]، بطن من بَلِىّ، كانوا حلفاء فى بنى أُميَّة بن زيد؛ يقال لهم: الجعادرة، تُجيب كَعبا — قال ابن إسحاق: اسمها ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، وينكر نَقيضَتَها لكعب بن الأشرف:

تَحَنَّن هذا العبدُ كلَّ تَحنُّن يُبَكِّى على قَتْلى وليس بناصبِ
بكتْ عينُ من يبكى لبَدر وأهله وعُلَّتْ بمثليها لُؤَىّ بن غالبِ
فليتَ الذين ضُرِّجوا بدمائهم يَرَى مابهم من كان بين الأخاشب[7]
فيَعلَم حقًّا عن يقين ويُبْصِروا مَجَرَّهم فوق اللِّحَى والحَواجب

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى ا: «أبكاه كعبا». وفى الروض: «بكى كعبا». قال السهيلى: «وفيه دخول زحاف على زحاف، وهو غريب فى الزحاف؛ فإنه زحاف سهل زحافا، ولولا الزحاف الذى هو الإضمار ماجاز ألبتة حذف الرابع من متفاعلن».

(٢) عل، من العلل، وهو الشرب بعد الشرب، يريد البكاء بعد البكاء.

(٣) تسح: تصب.

(٤) كذا فى الأصول. قال أبو ذر. من رواه بالعين المهملة، فمعناه: محترق ملتهب. ومن رواه بالغين المعجمة، فمعناه: أن الحزن بلغ إلى شغاف قلبه، والشغاف: حجاب القلب.

(٥) قد بحثنا فى شعر حسان فلم نجد هذه القصيدة.

(٦) يروى بفتح الراء وكسرها، والصواب الأول.

(٧) ضرجوا: لطخوا. والأخشب: يريد: الأخشبين، وهما جبلان بمكة، وجمعهما هنا مع ما حولهما.

(شعر كعب فى الرد على ميمونة) :

فأجابها كَعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجرُوا منكم سفيها لتَسْلَموا عن القول يأتى منه غيرَ مُقاربِ[1]
أتَشْتُمنى أن كنتُ أبكى بعَبْرة لقَوْم أتانى ودُّهم غيرُ كاذب
فإنى لباك ما بقيتُ وذاكر مآثر قوم مَجْدُهم بالجباجب[2]
لعَمْرى لقد كانت مُرَيْدٌ بمَعْزِل عن الشرّ فاحتالت[3] وُجوهَ الثعالب
فحُقّ مُرَيْدٌ أنْ تُجَدّ[4] أنوفُهم بشَتْمهم حَيىٌّ لؤىَّ بن غالب
وَهَبْتُ نَصِيبى من مُرَيْد لجَعْدَر وفاءً وبيتُ الله بين الأخاشب

(تشبيب كعب بنساء المسلمين والحيلة فى قتله) :

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشَبَّب[5] بنساء المُسلمين حتى آذاهم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبدُ الله بن المُغيث بن أبى بُرْدة مَنْ لى بابن الأشرف ؟ فقال له محمدُ بنُ مَسْلمة ، أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يا رسولَ الله ، أنا أقتُله ؛ قال : فافعل إن قدرتَ على ذلك[6] . فرجع محمد بن مَسْلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعْلق به نفسه ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ، فقال له : لم تركتَ الطعام والشراب ؟ فقال :

---

(١) يريد « بالسفيه » : ميمونة ، قائلة الشعر السابق ، وذكر لأنه حمل ذلك على معنى الشخص ، والشخص يذكر ويؤنث .

(٢) الجباجب : منازل مكة .

(٣) كذا فى م ، ر . واحتالت : تغيرت . وفى سائر الأصول « فاختالت » بالخاء المعجمة ، وهو من الاختيال ، بمعنى الزهو . ويروى : « فاجتالت » بالجيم ، واجتال الشىء : تحرك . ونصبت « وجوه الثعالب » على الذم .

(٤) فى ا : « تجذ » .

(٥) يروى أنه شبب بأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، فقال :

أراحل أنت لم ترحل لمنقبة وتارك أنت أم الفضل بالحرم

فى أبيات له .

(٦) قال السهيلى : «فى هذه من الفقه وجوب قتل من سب النبى صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا عهد ، خلافا لأبى حنيفة رحمه الله ، فإنه لا يرى قتل الذمى فى مثل هذا » .

يا رسولَ الله ، قلت لك قولا لاأدرى هل أفَيَنَّ لك به أم لا؟ فقال : إنما عليك الجهد ؛ فقال : يا رسولَ الله ، إنه لابدّ لنا من أن نقول : قال : قولوا مابدا لكم ، فأنتم فى حلّ من ذلك . فاجتمع فى قتله محمد بن مَسْلمة ، وسِلْكان بن سلامة بنَ وَقْش ، وهوأبو نائلة ، أحد بنى عبد الأشْهل ، وكان أخا كَعْب بن الأشرف من الرّضاعة ، وعبَّاد بن بِشْر بن وقش ، أحدُ بنى عَبْد الأشهل ، والحارث بن أوس ابن مُعاذ ، أحد بنى عبد الأشْهل ، وأبوعَبْس بن جَبْر [١] ، أحد بنى حارثة ؛ ثم قدّموا إلى عدوّ الله كَعْب بن لأشرف ، قبل أن يَأتوه ، سِلْكان بن سلامة ، أبا نائلة ، فجاءَه ، فتحدّث معه ساعة ، وتناشدُوا شعرًا ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يابن الأشرف ! إنى قد جئتُك لحاجة أُريد ذكرها لك ، فأكتم عنى ؛ قال : أفعلُ ؛ قال : كان قُدُوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادَتْنا به العربُ ، ورَمَتْنا عن قوس واحدة ، وقطَعت عنّا السُّبُل حتى ضاع العيال ، وجُهِدت الأنفس ، وأصْبحنا قد جُهِدْنا وجهد عيالُنا ؛ فقال كعب : أنا ابنُ الأشْرَف ، أما والله لقدكنتُ أُخبرك يابن‌سلامة أنّ الأمرسيَصير إلى ما أقول ؛ فقال له سِلكان : إنى قد أردتُ أن تَبيعنا طعاما ونَرْهنَك ونُوثِقَ لك ، ونُحْسِن فى ذلك ؛ فقال : أتَرْهنونى أبناءَكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تَفْضَحنا إنّ معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردتُ أن آتيَك بهم ، فتَبيعهم وتُحْسن فى ذلك ، ونرْهنك من الحَلْقة [٢] ما فيه وَفاء ، وأراد سِلْكان أن لايُنْكر السِّلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن فى الحَلْقة لوَفاء ؛ قال : فرجع سِلْكان إلى أصحابه فأخبرهم خبرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم يَنْطلقوا فيَجْتمعوا إليه ؛ فاجتمعُوا عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أترهنونى نساءكم ؟ قال : كيف نَرْهنك نساءَنا ، وأنت أشبّ أهل يَثْرِب وأعْطرهم ؛ قال : أتَرْهنونى أبناءكم ؟

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثَوْر بن زَيْد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال :

---

(١) فى م : « حبر » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (راجع الاستيعاب) .

(٢) يريد « بالحلقة » : السلاح كله ، وأصلها فى الدروع .

مشى معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بَقيع الغَرْقد ، ثم وجَّههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ؛ اللهمَّ أعنْهم ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مُقْمِرة ، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنه ، فهتَف به أبونائلة ، وكان حديث عهد بعُرْس ، فوثب فى ١ مِلْحَفته ، فأخذت امرأتُه ٢ بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤٌ محارب ، وإن أصحاب الحَرْب لا يَنْزلون فى هذه السَّاعة ؛ قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائما لما أيْقظنى ؛ فقالت : والله إنى لأعرف فى صَوْته الشرَّ ؛ قال : يقول لها كَعْب : لو يُدْعَى الفتى لطَعْنة لأجاب . فنزل فتحدَّث معهم ساعة ، وتحدَّثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن الأشرف أن تَماشى إلى شعْب العَجوز ٣ ، فنتحدَّث به بقيَّة ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يَتَماشَون ، فمَشَوا ساعة ، ثم إن أبانائلة شامَ ٤ يده فى فَوْد رأسه ، ثم شمَّ يده فقال : ما رأيت كالليلة طِيبا أعطرَ قطُّ ، ثم مَشَى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنَّ ، ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفَوْد رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوَّ الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه ٥ أسيافهم ، فلم تُغْن شيئا .

قال محمد بن مَسْلمة : فذكرتُ مِغْولاً ٦ فى سَيْفى ، حين رأيتُ أسيافنا لا تُغْنى شيئا ، فأخذتُه ، وقد صاح عدوُّ الله صيحة لم يبقَ حولنا حِصْنٌ إلا وقد أُوقِدتْ عليه نارٌ قال : فوضعته فى ثُنَّته ٧ ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانته فوقع عدوُّ الله ، وقد أُصيب الحارث بنُ أوس بن مُعاذ ، فجُرح فى رأسه أو فى رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلَكنا على بنى أُميَّة بن زيد ،

---

(١) فى ر : « عليه » . وفى م : « إن » . وهو تحريف .
(٢) فى م ، ر : « امرأة » .
(٣) شعب العجوز : بظاهر المدينة .
(٤) شام يده : أدخلها .
(٥) فى م ، ر : « عليهم » .
(٦) المغول : السكين التى تكون فى السوط .
(٧) الثنة : ما بين السرة والعانة .

ثم على بنى قُرَيظة ، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا ١ فى حَرَّة ٢ العُرَيْض ٣ ، وقد أبْطأ علينا صاحبُنا الحارث بن أوْس ، ونَزَفه ٤ الدمُ ، فوَقَفْنا له ساعة ، ثم أتانا يَتْبَع آثارَنا . قال : فاحتملناه فجئْنا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم آخرَ الليل ، وهو قائم يصلّى ، فسلَّمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرْناه بقَتْل عدوّ الله ، وتَفَل على جُرح صاحبنا ، فرجَع ورَجعْنا إلى أهلنا فأصْبحنا وقد خافتْ يهود لوَقْعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهودىّ إلا وهو يخاف على نفسه .

(شعر كعب بن مالك فى مقتل ابن الأشرف) :

قال ابن إسحاق : فقال كَعْب بن مالك :

فغُودِر منهم كعبٌ صريعا ... فذَلَّتْ بعد مَصْرَعه النَّضِيرُ

على الكفَّين ثَمَّ وقد علَتْه ... بأيْدينا مشهَّرةٌ ذُكُور

بأمر محمد إذ دسَّ ليلاً ... إلى كَعْب أخا كَعب يَسِير

فماكَرَه فأنزله بمَكْر ... ومحمودٌ أخُو ثِقَة جَسُور

قال ابن هشام : وهذه الأبياتُ فى قصيدة له فى يوم بنى النَّضير ، سأذكرُها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم .

(شعر حسان فى مقتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق) :

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يَذكر قتلَ كَعْب بن الأشرف وقَتْلَ سَلاَّم بن أبى الحُقَيق :

لله دَرُّ عِصابة لاقيتَهم ... يابن الحُقَيق وأنت يابن الأشْرف

يَسْرُون بالبِيض الخِفاف إليكمُ ... مَرَحا كأُسْدٍ فى عَرِينٍ مُغْرِف ٥

حتى أتوكم فى مَحَلّ بِلادكم ... فسَقَوكم حَتْفا بِبِيض ذُفَّفِ ٦

(١) أسندنا : ارتفعنا .

(٢) الحرة : أرض فيها حجارة سود .

(٣) العريض : وادى المدينة .

(٤) نزفه : أضعفه بكثرة سيلانه .

(٥) العرين : موضع الأسد . ومغرف : ملتف الشجر .

(٦) يريد « بالبيض » : السيوف . وذفف : سريعة القتل .

مُسْتَنْصِرين لنَصْر دين نبيِّهم   مُسْتَصغرين لكُل أمرٍ مُجْحِف

قال ابن هشام : وسأذكر قتلَ سلاَّم بن أبى الحُقَيق فى موضعه إن شاء الله ؛
وقوله : « ذفَّف » ، عن غير ابن إسحاق .

أمر محيصة وحويصه

(لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهوديا ثم إسلامه) :

قال ابن إسحاق : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ ظَفِرتم به من رجال يهود فاقتلُوه ، فوثب مُحيصة بن مَسْعود — قال ابن هشام : (مَحِيصة) [١] ، ويقال : مُحَيِّصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدىّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك بن الأوس — على ابن سُنَيْنة — قال ابن هشام : ويقال سُبَيْنة [٢] — رجل من تجَّار يهود ، كان يُلابسهم ويُبايعهم فقتله وكان حُوَيِّصة بن مَسْعود إذ ذاك لم يُسْلم ، وكان أسنَّ من مُحَيِّصة ، فلما قتله جعل حُوَيِّصة يَضْربه ، ويقول : أى عدوّ الله ، أقتلتَه ، أما والله لرُبَّ شحمٍ فى بطنك من ماله . قال مُحيِّصة ؛ فقلت : والله لقد أمرنى بقتْله من لو أمرنى بقَتْلك لضربتُ عنقك ؛ قال : فوالله إن كان لأوّل إسلام حويِّصة قال : آولله لو أمرك محمَّد بقَتْلى لقتلتَنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضَرْب عُنقك لضربتُها ! قال : والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حُوَيِّصة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث مولًى لبنى حارثة ، عن ابنة مُحيِّصة ، عن أبيها مُحَيِّصة .

(شعر محيصة فى لوم أخيه له) .

فقال مُحَيِّصة فى ذلك :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول . « شبينة » والظاهر أن كليهما محرف عن « شنينة » بنونين . (راجع الروض الأنف) .

يَلُومُ ابنُ أُمِّى لو أُمِرْتُ بقتْله ... لطبَّقتُ ذِفْراه بأبْيضَ قاضبِ[1]
حُسام كلَون الملح أُخْلص صَقْله ... متى ما أُصَوِّبْه فليس بكاذب
وما سرّنى أنى قتلتُك طائعا ... وأنَّ لنا ما بين بُصْرى ومأرِب

(رواية أخرى فى إسلام حويصة) :

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة عن أبى عمرو المدنى ، قال : لما ظفر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببنى قُريظة أخذ منهم نحوًا من أربع مئة رجلٍ من اليهود ، وكانوا حلفاءَ الأوس على الخزرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأن تُضرب أعناقُهم ، فجعلت الخزرجُ تضرب أعناقَهم ويسرّهم ذلك ، فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوهُهم مستبْشرة ، ونظر إلى الأوس فلم يرَ ذلك فيهم ، فظنّ أن ذلك للحلْف الذى بين الأوس وبين بنى قُريظة ولم يكن بقى من بنى قُريظة إلا اثنا عَشَر رجلاً ، فدفعهم إلى الأوس ، فدفع إلى كلِّ رجلين من الأوس رجلاً من بنى قُريظة وقال : ليضربْ فلانٌ وليذفِّف فلان فكان ممّن دفع إليهم كعبُ بن يَهوذا ، وكان عظيما فى بنى قُريظة ، فدفعه إلى مُحيِّصة بن مَسْعود ، وإلى أبى بُرْدة بن نيَّار — وأبو بُردة الذى رخص له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذْبح جذَعا من المَعز فى الأضحى — وقال : ليضربه مُحيِّصة وليذفِّف عليه أبو بُردة ، فضربه مُحيِّصة ضربةً لم تقطع ، وذفَّف أبو بُردة فأجْهز عليه . فقال حُويِّصة ، وكان كافرا ، لأخيه محيِّصة : أقتلتَ كعب ابن يَهوذا ؟ قال : نعم ؛ فقال حُويِّصة : أما والله لرُبَّ شَحْم قد نبَت فى بطْنك من ماله ، إنك للئيم يا مُحيِّصة ؛ فقال له محيِّصة : لقد أمرنى بقتْله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ؛ فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبًا . فذكروا أنه جعل يتيقَّظ من الليل : فيعجب من قول أخيه مُحيِّصة . حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لَدين . ثم أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيِّصة فى ذلك أبياتا قد كتبناها.

(المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد) :

قال ابن إسحاق : وكانت إقامةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قُدومه ، من

---

(١) طبق : قطع وأصاب المفصل . والذفرى : عظم ناتىء خلف الأذن . والأبيض القاضب : السيف القاطع .

نجران ، جمادى الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان، وغزته قريش غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث .

غزوة أحد

وكان من حديث أحد ، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى ابن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا ، أو من قاله منهم :

(التحريض على غزو الرسول) :

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية ، فى رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يامعشر قريش ، إن محمدا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا .

(ما نزل فى ذلك من القرآن) :

قال ابن إسحاق : ففيهم ، كما ذكر لى بعض أهل العلم ، أنزل الله تعالى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .

(اجتماع قريش للحرب) :

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان

ابن حَرْب ، وأصحابُ العير بأحابيشها[1] ، ومَنْ أطاعها من قبائل كنانة ، وأهل تِهامة . وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحىّ قد مَنّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيرًا ذا عِيال وحاجة ، وكان فى الأسارى فقال : إنى فقير ذو عِيال وحاجةٍ قد عرفتَها فامنُنْ علىّ صلى الله عليك وسلم ؛ فمَنّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال له صَفْوان بن أُميّة : ياأبا عَزّة إنك امرؤٌ شاعرٌ ، فأعِنّا بلِسانك ، فاخرُج معنا ؛ فقال : إن محمدًا قد مَنّ علىّ فلا أُريد أن أُظاهر عليه ؛ قال : (بَلَى)[2] فأعِنّا بنفسك ، فلك اللهُ علىّ إن رجعتُ أن أُغنيك ، وإن أُصِبْتَ أن أجعل بناتك مع بناتى ، يُصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسْر ويُسْر . فخرج أبو عَزّة فى تِهامة ، ويدعو بنى كِنانة ويقول :

إيها[3] بنى عبد مناةَ الرُّزّام[4] . أنتم حُماةٌ وأبوكم حامْ

لا تَعِدونى نَصْرَكم بعدَ العام . لا تُسْلِمونى لا يَحِلُّ إسْلام

وخرج مُسافع بن عبدمناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بنى مالك بن كنانة ، يحرّضهم ويَدْعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا مالِ ، مالِ الحسب المُقَدَّمِ . أنشُدُ ذا القُرْبى وذا التَّذَمُّم[5]

مَن كان ذا رُحْم ومن لم يَرْحَم . الحِلْفَ وَسْطَ البَلَد المُحَرَّم

عند حطيم الكَعْبَة المُعَظَّم

ودعا جُبَيْر بن مُطْعِم غلاما له حَبَشِيًّا يقال له : وَحْشى ، يَقْذف بحربة له قَذْفَ الحَبَشة ، قلَّما يُخطئ بها ، فقال له : اخرُج مع الناس ، فان أنت قتلت حمزة عمّ محمد بعمّى طُعَيْمة بن عَدِىّ ، فأنت عَتيق .

(خروج قريش معهم نساؤهم) :

(قال)[2] فخرجت قُرَيش بحَدّها وجَدّها وحَديدها وأحابيشها ، ومن تابعها

---

(1) يريد « بأحابيشها » : من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(2) زيادة عن ا .

(3) كذا فى ا : وفى سائر الأصول « أيا » .

(4) الرزام : جمع رازم ، وهو الذى يثبت ولا يبرح مكانه . يريد أنهم يثبتون فى الحرب ولا ينهزمون .

(5) يامال : أراد : يا مالك ، فحذف الكاف للترخيم . وذو التذمم : هو الذى له ذمام ، أى عهد .

من بنى كِنانة ، وأهل تِهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن[1] ؟ التماسَ الحَفيظة ، وألاّ يفروا . فخرج أبو سُفيان بنُ حَرْب ، وهو قائدُ الناس ، بهنْد بنة عتبة وخرج عِكْرمة بن أبي جَهل بأمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة وخرج الحارث ابن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوَليد بن المُغيرة ، وخرج صَفْوان بن أُميّة بِبَرْزة بنت مَسْعود بن عمرو بن عُمير الثَّقَفيّة ، وهى أم عبد الله بن صَفْوان ابن أُميّة .

قال ابن هشام : ويقال : رقيّة .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص برَيْطة بنت مُنبِّه بن الحجّاج وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرج طَلْحة بن أبى طَلْحة وأبو طَلْحة عبدُ الله بن عبدُ العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار ، بسُلافة بنت سَعد بن شُهَيد الأنصاريّة وهى أمّ بنى طَلْحة : مُسافع والجُلاس وكِلاب ، قُتِلوا يومئذ (هم) [2] وأبوهم ؛ وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عزيز بن عُمَير ، وهى أمّ مُصْعب بن عمير ؛ وخرجت عَمْرة بنت عَلْقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة : وكانت هِنْد بنت عُتْبة كلّما مرّت بوَحْشيّ أو مرّ بها ، قالت : وَيْهاً [3] أبا دَسْمة اشْفِ واستَشْفِ ، وكان وَحْشيّ يُكْنى بأبى دَسْمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين ، بجَبَل ببطن السَّبْخة من قناة على شَفير الوادى ، مقابل المَدينة .

(رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

(قال) [2] فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيثُ نزلوا ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى قد رأيت والله خيرا ، رأيتُ بقرًا ، ورأيتُ فى ذُباب سَيْفى ثَلْما ، ورأيتُ أنى أدْخَلْتُ يدى فى درْع حَصينة ، فأوّلتُها المدينة .

---

(1) يريد « بالظعن » : النساء فى الهوادج .

(2) الزيادة عن ا .

(3) ويها : كلمة معناها الإغراء والتحضيض .

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهلِ العِلم ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقَرًا لي تُذْبح ؟ قال : فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقتلون ، وأما الثَّلم الذي رأيتُ في ذُباب سَيْفي ، فهو رَجُل من أهل بيْتي يُقتل .

(مشاورة الرسول القوم في الخروج أو البقاء) :

قال ابن إسحاق : فان رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدعُوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشَرِّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأيُ عبد الله بن أُبيّ ابن سَلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَرَى رأيَه في ذلك ، وألا يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَكْره الخُروج ، فقال رجال من المسلمين ، ممن أكْرم الله بالشَّهادة يوم أُحُد وغيره ، ممَّن كان فاته بدرٌ : يارسول الله ، اخرُج بنا إلى أعدائنا ، لا يَرَوْن أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا ؟ فقال عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول : يا رسول الله ، أقِمْ بالمدينة لا تَخْرُج إليهم ، فوالله ما خرَجنا منها إلى عدوّ لنا قطُّ إلا أصاب مِنَّا ، ولا دخَلها علينا إلا أصبْنا منه ، فدعْهم يارسولَ الله ، فان أقامُوا أقامُوا بشرِّ مَحْبِس وإن دَخلوا قاتلهم الرجالُ في وجْههم ، ورماهم النِّساء والصِّبْيان بالحجارة من فَوْقهم ، وإن رجَعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يَزَل النَّاسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حبُّ لِقاء القوم ، حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيته[1] ، فَلبس لأْمته ، وذلك يومَ الجُمعة حينَ فرغ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رَجلٌ من الأنصار يُقال له : مالك بن عمرو ، أحد بني النجَّار ، فصلَّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استَكْرهْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا رسولَ الله : استَكْرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئتَ فاقعُد صلى الله عليك ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مايَنْبغي لنبيّ إذا لَبِس لأْمته أن يَضَعها حتى يُقاتل ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه.

---

(١) زيادة عن ا .

قال ابن هشام : واستعمل [1] ابنَ أُمِّ مَكْتوم على الصَّلاة بالناس .

(انخذال المنافقين) :

قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأُحد، انخزل عنه عبدُ الله بن أُبَيّ بن سَلول بثُلث الناس ، وقال: أطاعهم وعَصانى ، ما نَدْرى علامَ نَقْتُل أنفسَنا هاهنا أيها الناس فرجع بمن اتَّبعه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيْب ، واتَّبعهم عبدُ الله بن عَمرو بن حَرَام ، أخو بنى سلمة ، يقول : ياقوم، أذكِّركم الله ألاَّ تخذُلوا قومَكم ونبيَّكم عند ما حَضَر من عدوّهم ؛ فقالوا : لونعلم أنّكم تُقاتِلون لَما أسْلمناكم، ولكنَّا لانَرى أنه يكون قتالٌ . قال : فلما استَعْصَوْا عليه وأبَوْا إلا الإنصراف عنهم ، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيُغْنى الله عنكم نبيَّه .

قال ابن هشام : وذكر غير زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزّهرى: أن الأنصار يوم أُحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يارسول الله ألا نَستعين بحلفائنا من يَهود ؟ فقال : لاحاجة لنا فيهم .

(حادثة تفاءل بها الرسول) :

قال زياد : حدثنى محمد بن إسحاق، قال : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم حتى سَلَك فى حَرَّة بنى حارثة ، فذَبَّ [2] فرس بذنبه ، فأصاب كلاَّبَ سيْفٍ [3] فاستلَّه .

قال ابن هشام : ويقال : كِلاب سيف [4] .

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحبّ الفأْل ولا يَعْتاف [5]، لصاحب السيف : شِمْ سيفك [6] ، فانى أرى السُّيوف ستُسلّ اليوم .

(1) هذه الكلمة ساقطة فى ا .
(2) ذب بذنبه ، أى حركه ليذب به الطير .
(3) الكلاب : مسمار يكون فى قائم السيف ، وفيه الذؤابة لتعلقه بها .
(4) لعله : « كلب سيف » بالفتح ، إذ الكلاب والكلب بمعنى واحد .
(5) كذا فى أكثر الأصول . ولا يعتاف : لا يتطير . وفى ا : « يعتان بالنون » .
(6) شم سيفك ، أى أغمده . وهذا الفعل من الأضداد .

(ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه) :

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَنْ رجلٌ يخرُج بنا على القوم من كَثَب : أى من قرب ، من طريق لايمُرّ بنا عليهم؟ فقال أبو خَيْثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفذ به فى حَرّة بنى حارثة ، وبين أموالهم ، حتى سَلك فى مال لمِرْبَع بن قَيْظىّ ، وكان رجلاً منافقا ضرير البَصر ، فلمّا سمع حسّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَمَنْ معه من المسلمين ، قام يَحثى فى وُجوههم التراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله فانى لاأُحلّ لك أن تدخل حائطى . وقد ذُكر لى أنه أخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال : والله لوأعلم أنى لاأصيب بها غيرك يامحمد لضربتُ بها وجهك. فابتدره القَومُ ليَقتلُوه ، فقال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : لاتقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القَلْب ، أعمى البَصَر . وقد بَدَر إليه سعدُ بن زَيد ، أخو بَنى عبد الأشهل ، قَبْل نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه ، فشجَّه .

(نزول الرسول بالشعب وتعبيته للقتال) :

قال : ومضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشِّعب من أُحد ، فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظَهره وعسكره إلى أُحد ، وقال : لايقاتلنّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سَرَّحت قريش الظَّهر والكُراع[1] فى زروع كانت بالصَّمغة[2] ، من قَناة للمُسلمين : فقال رجلٌ من الأنصار حين نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن القِتال : أتُرْعى زُروع بنى قَيْلة[3] ولما نُضَارب ! وتعَبَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقِتال ، وهو فى سَبْع مِئة رجل ، وأمّر على الرُّماة عبدَالله بن جبير ، أخا بنى عَمْرو بن عوف وهو مُعْلَم يومئذ بثياب بيض ، والرُّماة خمْسون رجلا ، فقال : انضَح[4] الخيل عنّا بالنَّبْل ،

---

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٢) الصمغة : أرض قرب أحد .

(٣) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج وقيلة : أم من أمهات الأنصار نسبوا إليها .

(٤) انضح الخيل ، أى ادفعهم .

لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك.
وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين[١] ، ودفع اللواء إلى مصعب ابن عمير ، أخى بنى عبد الدار .

(من أجازهم الرسول وهم فى الخامسة عشرة) :

قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزارى ، ورافع بن خديج ، أخا بنى حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا رام ، فأجازه ؛ فلما أجاز رافعا ، قيل له : يا رسول الله ، فإن سمرة يصرع رافعا ، فأجازه . ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، أحد بنى مالك بن النجار ، والبراء بن عازب ، أحد بنى حارثة ، وعمرو بن حزم ، أحد بنى مالك بن النجار ، وأسيد بن ظهير ، أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جنبوها[٢] ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل .

(أمر أبى دجانة) :

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ؛ حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحنى ؛ قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب . إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ؛ فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين .

---

(١) ظاهر بين درعين ، أى لبس درعا فوق درع .

(٢) جنبوها : قادوها إلى جنوبهم يستعملونها إذا أعيا بعض خيلهم أو قتل .

قال ابن إسحاق : فحدثني جعفر بن عبدالله بن أسْلم ، مولى عمر بن الخطّاب ، عن رجل من الأنصار من بني سَلَمة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله ، إلا في مثل هذا الموطن .

(أمر أبي عامر الفاسق) :

قال ابن إسحاق : وحدّثني عاصمُ بن عمر بن قتادة : أنّ أبا عامر ، عبدعمرو ابن صَيْفي بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضُبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مُباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاما من الأوس ، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسةَ عشر رجلا ، وكان يَعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فلما التقى الناسُ كان أوّل من لَقيهم أبوعامر في الأحابيش وعبْدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبوعامر ؛ قالوا : فلا أنْعم الله بك عينا يافاسق — وكان أبوعامر يسمى في الجاهلية : الرّاهب ، فسّماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق — فلما سمع ردّهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ ، ثم قاتلهم قتالا شديدًا ، ثم راضَخهم[1] بالحجارة .

(أسلوب أبي سفيان في تحريض قريش) :

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سُفيان لأصحاب اللّواء من بني عبد الدّار يُحرّضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدّار ، إنكم قد وَليتم لواءَنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبَل راياتهم إذا زالت زالُوا ، فإما أن تَكْفُونا لواءَنا ، وإمّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فنَكْفيكموه ؛ فهمُّوا به وتواعدُوه ، وقالوا : نحن نُسْلم إليك لواءَنا ، ستعلم غدًا إذا التقينا كيف نصْنع ! وذلك أراد أبوسفيان .

(تحريض هند والنسوة معها) :

فلما التقى الناس ، ودنا بعضُهم من بعض ، قامت هندُ بنت عُتبة في النّسوة اللاتي معها ، وأخَذْن الدُّفوف يَضْربن بها خلف الرجال ، ويُحرّضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

---

(١) راضخهم : راماهم .

وَيْها بَنِى عبــد الدَّارْ وَيْها حُماةَ الأدبارْ[١]
ضَرْبا بكلِّ بتّار[٢]

وتقول :

إن تُقْبِلوا نُعانِقْ ونَفْرِش النَّمارق[٣]
أو تُدْبِروا نُفارِقْ فِراقَ غــيرَ وامِق[٤]

(شعار المسلمين) :

وكان شِعارُ[٥] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يوم أُحد : أمِتْ ، أمِتْ ، فيما قال ابن هشام .

(تمام قصة أبى دجانة) :

قال ابن إسحاق : فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن فى الناس .

قال ابن هشام : حدثنى غير واحد ، من أهل العلم ، أن الزُّبير بن العوّام قال : وَجِدْتُ فى نفسِى حين سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم السَّيف فمَنَعنيه وأعطاه أبا دُجانة ، وقُلت: أنا ابنُ صفيَّةَ عمَّته ، ومن قُريش ، وقد قُمْت إليه فسألته إياه قَبْله ، فأعطاه إياه وتَركنى ، والله لأنظرنَّ مايصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصابة له حَمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجانة عِصابةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصَّب بها . فخَرج وهو يقول :

أنا الذى عاهَــدنى خليلى ونحنُ بالسَّفْح لدَى النَّخيل
ألاّ أقومَ الدهرَ فى الكَيُّول أضْرب بسيف الله والرَّسول[٦]

---

(١) ويها : كلمة معناها الإغراء . حماة الأدبار ، أى الذين يحمون أعقاب الناس .

(٢) البتار : القاطع .

(٣) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .

(٤) الوامق : المحب وهذا الرجز لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية قالته فى حرب الفرس ، لإياد وتمثلت به هند بنت عتبة (السهيل واللسان) .

(٥) الشعار (هنا) : علامة ينادون بها فى الحرب ، ليعرف بعضهم بعضا .

(٦) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب . ولم يسمع إلا فى هذا الحديث وهو على التشبيه بكيول الزندى ، وهو سواد ودخان يخرج منه آخرا بعد القدح إذا لم يور نارا ، وذلك شىء لاغناء فيه .

قال ابن هشام : ويروى فى الكُبُول[١] :

قال ابن إسحاق : فجعل لايَلْقَى أحدًا إلا قتله . وكان فى المُشركين رجل لايَدَع لنا جريحا إلاذفَّف عليه ، فجَعل كل واحد منهما يَدْنو من صاحبه . فدعوتُ الله أن يَجْمع بينهما ، فالتَقيا ، فاختلفا ضَرْبتين ، فضَرب المُشْرك أبا دُجانة ، فاتَّقاه بدَرَقته ، فعَضت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقتَله ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مَفْرِق رأس هِند بنت عُتبة ، ثم عدلالسيفَ عنها . قال الزبير فقلتُ : الله ورسولُه أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة : رأيت إنسانا يَخْمش[٢] النَّاس خَمْشا شديدًا ، فصمدتُ له ، فلما حملتُ عليه السَّيف وَلْوَل فاذا امرأةٌ ، فأكرمت سيفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

(مقتل حمزة) :

وقاتل حمزةُ بن عبد المطَّلب حتى قتل أرْطاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدَّار ، وكان أحد النَّفر الذين يَحْملون اللِّواء ثم مرَّ به سِباعُ ابن عبدالعُزَّى الغُبْشانى ، وكان يُكْنى بأبى نِيار ، فقال له حَمْزة : هلمَّ إلىَّ يابن مُقَطِّعة البُظور — وكانت أمُّه أمَّ أنمارمَولاة شَريق بن عمرو بن وهب الثَّقَفى .

(قال ابن هشام : شَريق بن الأخْنس بنشَريق)[٣]. وكانت خَتَّانَةَ بمكة — فلمَّا الْتقيا ضَربه حمزةُ فقتله .

قال وَحْشِيّ ، غلامُ جُبير بن مُطْعِم : والله إنى لأنظر إلى حَمْزة يَهُدُّ[٤]

(١) الكبول : القيود ، الواحد : كبل (بالفتح ، ويكسر) .
وقد زادت م ، ب بعد هذه الكلمة : « يعنى آخر الصفوف » وهى تفسير الكيول (بالياء المثناة)

(٢) فى م ، ر : « يحمش » بالحاء المهملة .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٤) يهد ، قال أبو ذر : « من رواه بالذال المعجمة ، فمعناه . يسرع فى قطع لحوم الناس بسيفه . ومن رواه بالدال المهملة ، فمعناه يرديهم ويهلكهم » .

الناس بسيفه ما يُليق[١] به شيئا ، مثل الجمل الأورق[٢] إذ تقدّمنى إليه سِباع بن عبد العزّى ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يابن مُقَطّعة البُظور ، فضَرَبه ضَربة ، فكأنّ ما أخطأ رأسه[٣] ، وهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضِيتُ منها دفعتُها عليه ، فوقعت فى ثُنّته[٤] حتى خرجتْ من بين رِجْليه ، فأقبل نحْوى ، فغُلِب فوقع ، وأمهلتُه حتى إذا مات جئتُ فأخذت حَرْبتى ، ثم تنحَّيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

(وحشى يحدث الضمرى وابن الخيار عن قتله حمزة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن الفَضْل بن عبّاس[٥] بن ربيعة بن الحارث عن سُليمان بن يَسار عن جَعْفر بن عمرو بن أُمية الضَّمْرى قال : خرجتُ أنا وعُبيد الله بن عدىّ بن الخيار ، أخو بنى نَوْفل بن عبد مناف ، فى زمان معُاوية بن أبى سُفيان ، فأدْرَبْنا مع الناس[٦] ، فلما قَفَلنا مرَرْنا بحِمْص — وكان وَحْشى ، مولى جُبير بن مُطعم ، قد سَكَنها ، وأقام بها — فلمَّا قَدِمْناها ، قال لى عُبَيد الله بن عَدِىّ : هل لك فى أن نأتى وحشيًّا فنسأله عن قَتْل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئتَ . فخرَجْنا نسأل عنه بحِمْص ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستَجدانه بفِناء داره ، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر ، فان تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا ، وتجدا عنده بعضَ ما تُريدان ، وتُصيبا عنده ماشِئتما من حديث تَسْألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعْض مايكون به ، فانصرفا

(١) ما يليق : ما يبقى .

(٢) الأورق : الذى لونه إلى الغبرة .

(٣) كأن ما أخطأ رأسه ، أى كان الأمر والشأن ما أخطأ رأسه ، وما : نافية والنون فى «كأن» منفصلة عن «ما» . ويجوز أن تكون «ما» متصلة بكأن ، ويكون المعنى : كأنه أخطأ رأسه ، أى أسرع الضرب والقطع وكأن السيف لم يصادف ما يريده . (راجع شرح السيرة لأبى ذر)

(٤) الثنة : ما بين أسفل البطن إلى العانة .

(٥) فى ا : «عياش» . وهو تحريف . قال أبوذر : «الصواب : ابن عباس ، بالباء والسين المهملة» .

(٦) فأدربنا مع الناس ، أى جزنا الدروب .

عنه ودَعاه ، قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فاذا هو بفناء داره على طنفسة له [١] ، فاذا شيخٌ كبير مثل البُغاث .

– قال ابن هشام : البغاث : ضرب من الطير إلى السواد [٢] –

فاذا هو صاحٍ لابأس به . قال : فلما انتهينا إليه سلَّمنا عليه ، فرفع رأسَه إلى عُبيد الله بن عدىّ ، فقال : ابنٌ لعدىّ بن الخيار أنت ؟ قال : نعم ، قال : أما والله مارأيتُك منذ ناولتُك أُمَّك السعديَّة التى أرْضعتك بذى طُوى [٣] ، فانى ناولتُكها وهى على بَعيرها ، فأخذَتْك بعُرْضَيْك [٤] ، فلمعتْ لى قدماك حين رفعتُك إليها ، فوالله ماهو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتُهما . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتْلك حمْزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك ، كُنتُ غلاما لجُبير بن مُطْعم ، وكان عمُّه طُعَيْمة بن عدىّ قد أُصيب يومَ بدر ؛ فلمَّا سارت قُريشٌ إلى أحد ، قال لى جُبير : إن قتلتَ حمزة عمَّ محمد بعمِّى فأنت عتيق قال : فخرجتُ مع الناس ، وكنتُ رجلاحبَشيًّا أقْذف بالحَرْبة قَذْفَ الحبشة ، قلَّما أُخْطئُ بها شيئا ؛ فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزة وأتبصَّره ، حتى رأيته فى عُرْض الناس مثل الجَمل الأورق [٥] ، يَهُدّ الناس بسيفه هدًّا ، مايقُوم له شىء ، فوالله إنى لأتهيَّأ له ، أُريده وأستتر منه بشجرة أو حجَر ليَدْنو منى إذ تقدمنى إليه سِباعُ بن عبدالعُزّى ؛ فلمَّا رآه حمْزة قال له : هلُمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظور . قال : فضَرَبه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه . قال : وهزَزتُ

---

(١) الطنفسة (مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس) : واحدة الطنافس من البسط والثياب والحصير.

(٢) فى ا : « قال ابن هشام : مثل البغاثة ، وهى ضرب من الطير » .

(٣) ذو طوى : موضع بمكة .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « بعرضك » . قال أبو ذر : « أخذتك بعرضتك » من رواه هكذا ، فالعرضة : الجلد الذى يكون فيه الصبى إذا أرضع ، ويربى فيه . ومن رواه « بعرصتك » بالصاد المهملة ، فمعناه أنه رفعه إليها بالثوب الذى كان تحته ، ومنه عرصة الدار – وهو مايقع عليه البناء – ومن رواه « بعرضيك » فمعناه بجانبيك . وعرض الشىء (بضم العين) : جانبه » .

(٥) الجمل الأورق : الذى لونه بين الغبرة والسواد ، سماه كذلك لما عليه من الغبار .

حَرْبتى ، حتى إذا رَضِيتُ منها ، دفعتُها عليه ، فوقعت فى ثُنَّته ، حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينُوء [١] نحوى ، فغُلِب ، وتركتُه وإياها حتى مات ، ثم أتيتُه فأخذتُ حَرْبتى ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدتُ فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلتُه لأُعتق . فلما قدِمت مكة أُعتِقت ، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ هربتُ إلى الطَّائف ، فمكثت [٢] بها ، فلما خرج وفدُ الطَّائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُسْلِموا تَعيَّت علىَّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشأم ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنى لفى ذلك من همِّى ، إذ قال لى رجل : ويحك ! إنه والله مايقتُل أحدًا من الناس دخَل فى دينه ، وتشهَّد شهادته [٣] .

(وحشى بين يدى الرسول يسلم) :

فلما قال لى ذلك ، خرجتُ حتى قَدِمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بى قائما على رأسه أتشهَّد بشهادة الحقِّ ؛ فلما رآنى قال : أوحشىٌّ ؟ قلت : نعم يا رسولَ الله . قال : اقعُد فحدثنى كيف قتلتَ حمزة ، قال : فحدَّثته كما حدَّثتكما ، فلما فرغتُ من حديثى قال : وَيْحك ! غَيِّب عنى وجهك ، فلا أُرَيَنَّك . قال : فكنتُ أتنكَّب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى ، حتى قبَضه الله صلى الله عليه وسلم .

(قتل وحشى لمسيلمة) :

فلما خرج المُسلمون إلى مُسَيلمة الكذَّاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخذْت حَرْبتى التى قتلتُ بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مُسيلمة الكذاب قائما فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأْت له ، وتهيَّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كِلانا يُريده ، فهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضيت منها دفعتُها عليه ، فوقعت فيه ، وشدَّ عليه الأنصارىّ فضربه بالسيف ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله ،

---

(١) ينوء : ينهض متثاقلا .

(٢) فى ا : فكنت .

(٣) فى م ، ر : شهادة الحق .

فان كنت قتلتُه ، فقد قتلت خيرَ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد قتلت شر الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب ، وكان قد شَهد اليمامة ، قال : سمعت يومئذٍ صارخا يقول : قَتله العبدُ الأسود .

(خلع وحشى من الديوان) :

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشيًّا لم يزل يُحد فى الخمر حتّى خُلِـع من الديوان ، فكان عمرُ بن الخطَّاب يقول : قد علمتُ أن الله تعالى لم يكُن ليَدَع قاتل حَمْزة .

(مقتل مصعب بن عمير) :

قال ابن إسحاق : وقاتل مُصْعبُ بن عُمَير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل ، وكان الذى قتله ابن قمئة اللَّيْثى ، وهو يَظُن أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرَجع إلى قُريش فقال : قتلتُ محمداً . فلما قُتل مُصْعب بن عُمير أعْطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللِّواءَ علىَّ بنَ أبى طالب ، وقاتل علىّ بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مَسْلمة بن عَلْقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يومَ أُحد ، جلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرْسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى‌طالب رضوان الله عليه : أن قَدِّم الرايةَ . فتقدّم علىّ ، فقال : أنا أبو الفُصَم [١] ، ويقال : أبوالقُصَم ، فيما قال ابن هشام — فناداه أبو سَعْد بن أبى طَلْحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أنْ هل لك يا أبا القُصَم فى البراز من حاجةٍ ؟ قال : نعم . فبرزَ بين الصَّفَّين ، فاختلفا ضَرْبتين

---

(١) فى ا ، ط هنا وفيما سيأتى رواية عن ابن هشام : « القصم » بالقاف . مع اختلاف فى الضبط ، فضبطت هنا بالفتح ، وفى الثانية بضم ففتح . وفى سائر الأصول هنا : « القصيم » وفيما سيأتى : « الفصيم » والتصويب عن الروض الأنف . وقد اختار السهيلى أن تضبط على الروايتين بضم ففتح على أنها جمع قصمى أوفصمى . والقصم : كسر ببينونة . والفصم : كسر بغير بينونة ، ككسر القضيب الرطب ونحوه .

فضرَبه علىّ فصرَعه ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهز عليه ؛ فقال له أصحابُه : أفلا أجْهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعَوْرته ، فعَطَفَتْنى عنه الرَّحم [١] ، وعرفتُ أن الله عزّ وجلّ قد قتله .

ويقال : إنّ أبا سعد[٢] بن أبى طلحة خرج بين الصَّفَّين ، فنادى : [أنا قاصمٌ [٣]] مَنْ يُبارز برازا ، فلم يخرجْ إليه أحدٌ . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم فى الجنَّة ، وأن قتلانا فى النار ، كذبتم واللات ! لو تعلمون ذلك حقًّا لخرج إلىّ بعضُكم ، فخرج إليه علىّ بن أبى طالب ، فاختلفا ضَرْبتين ، فضَربه علىّ فقتله .

قال ابن إسحاق : قتل أبا سَعْد بن أبى طلحة سعدُ بن أبى وقَّاص [٤] .

(شأن عاصم بن ثابت) :

وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقْلح ، فقتَل مُسافع بنَ طلحة وأخاه الجُلاس ابن طلحة ، كلاهما يَشْعره [٥] سَهْما ، فيأتى أُمَّه سُلافة ، فيضَع رأسه فى حجْرها فتقول : يا بُنىّ ، من أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا حين رَمانى وهو يقول : خُذْها وأنا ابن أبى الأقْلح . فنذرتْ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تَشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشْركا أبدا ، ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إنّ على أهْلِ اللِّواءِ حَقًّا أن يَخْضِبوا الصَّعْدة أو تَنْدَقَّا [٦]

فقتَله حمزةُ بن عبد المطلب .

---

(١) وقد فعل على رضى الله عنه مثله مرة أخرى يوم صفين ، حمل على بسر بن أرطاة ، فلما رأى بسر أنه مقتول كشف عن عورته ، فانصرف عنه ؛ ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع على رضى الله عنه يوم صفين .

(٢) فى م ، ر : « أبا قاسم » .

(٣) زيادة عن ا ، ط .

(٤) قال السهيلى : رواه الكشى فى تفسيره عن سعد ، قال : « لما كف عنه على طعنته فى حنجرته ، فدلع لسانه إلى كما يصنع الكلب ، ثم مات » .

(٥) يشعره سهما ، أى يصيبه به فى جسده ، فيصير له مثل الشعار . والشعار : ما ولى الجسد من الثياب .

(٦) الصعدة : القناة .

(حنظلة غسيل الملائكة) :

والتقى حَنْظلة بن أبي‌عامر الغَسيل وأبو سفيان ، فلما استعْلاه حَنْظلةُ بن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود ١ ، وهو ابن شَعوب ، قد علا أبا سفيان . فضربه شَدّاد فقتله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني حنظلة لتُغَسِّله الملائكة . فسألوا أهلَه ما شأنُه ؟ فسئلت٢ صاحبته عنه . فقالت: خرَج وهو جُنُب حين سَمِع الهاتفة ٣ .

ــ قال ابن هشام : ويقال : الهائعة . وجاء في الحديث : خيرُ النّاس رجلٌ مُمْسك بعنان فَرسه ، كلما سمع هَيْعة طار إليها. قال الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائي ، والطِرِمّاح : الطويل من الرجال ــ :

أنا ابن حُماة المَجْد من آلِ مالك إذا جَعلَتْ خُورُ الرّجال تَهيعُ ٤

(والهَيْعة : الصَّيحة التي فيها الفزع) ٥

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة .

(شعر الأسود في قتلهما حنظلة وأبا سفيان) :

(قال ابن إسحاق) ٥ : وقال شَداد بن الأسود في قَتْله حنظلة :

لأَحْمِيَنَّ صاحبي ونَفْسي بطَعنَة مثل شُعاع الشَّمْسِ

وقال أبو سُفيان بن حَرْب ، وهو يذكر صَبْره في ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شَعُوب إياه على حَنْظلة :

ولو شِئْتُ نَجَّتْني كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ولم أَحْمِلِ النَّعْماء لابن شَعُوبِ٦

وما زال مُهْري مَزْجرَ الكلبِ منهمُ لدُنْ غُدْوَةٍ حتى دنَتْ لغُروبِ٧

---

(١) وقيل: إن الذي قتل حنظلة جعونة بن شعوب الليثي، مولى نافع بن أبي نعيم. (راجع الروض الأنف) .

(٢) في م ، ر : « فسألت » .

(٣) الهاتفة : الصيحة .

(٤) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف الجبان .

(٥) هذه العبارة ساقطة في ا :

(٦) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٧) مزجر الكلب : يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر الكلب فيه . ودنت لغروب =

أُقاتِلُهـم وأدّعِى يا لَغالِبٍ … وأدْفَعُهم عنى برُكْنٍ صَلِيبِ
فبكِّى ولا تَرْعَى مقالة عاذِلٍ … ولا تَسْأَمى من عَــبْرة ونَحِيبِ
أباكِ وإخوانا له قد تَتابَعوا … وحُقَّ لهم من عَبْرة بنَصِيبِ
وسَلِّى الذى قد كان فى النَّفس أنَّنِى … قتلتُ من النَّجَّار كلَّ نَجِيبِ
ومن هاشمٍ قَرْما كريما ومُصْعَبا … وكان لدى الهَيْجاء غير هَيوبِ[١]
ولو أننى لم أشْفِ نفسىَ منهــمُ … لكانت شجا فى القَلْب ذاتَ نُدُوبِ[٢]
فآبوا وقد أوْدى الجَلابيبُ منهمُ … بهم خَدَبٌ من مُعْطِبٍ وكَئِيبِ[٣]
أصابهم مَن لَمْ يكُن لدمائهـــم … كِفاءً ولا فى خُطَّة بضَرِيبِ[٤]

(شعر حسان فى الرد على أبى سفيان) :

فأجابه حسَّان بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ذَكَرْتَ القُرُوم الصِّيدمن آل هاشمٍ … ولَسْتَ لزُورٍ قُلْتَه بمُصِيبِ
أتعجَب أن أقصَدْتَ حمزةَ منهــمُ … نجيبا وقد سَمَّيْتَــه بنَجِيبِ[٥]
ألم يقتُــلوا عَمرًا وعُتْبــة وابنَه … وشَيْبــة والحجَّاج وابنَ حَبِيبِ
غداةَ دَعا العاصِى عليًّا فَرَاعَــه … بضَرْبة عَضْب بَلَّه بخَضِيبِ[٦]

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شَعُوب يذكُر يدَه عند أبى سُفيان فيما دفع عنه، فقال :

= أى الشمس ، وقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر ، لأن الغدوة دلت عليها . ويروى بخفض غدوة ونصبه .

(١) القرم : الفحل الكريم من الإبل ، ويريد به هنا حمزة رضى الله عنه . والهيجاء الحرب .

(٢) الشجا : الحزن . والندوب : آثار الجروح ، الواحد : ندب .

(٣) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو (هاهنا) : الإزار الخشن . وكان مشركو أهل مكة يسمون من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجلابيب ، يلقبونهم بذلك . وأودى : هلك . والخدب : الطعن النافذ إلى الجوف . والمعطب ، قال أبو ذر : هو الذى يسيل دمه . والكئيب : الحزين . ويروى : « كبيب » أى قد كب على وجهه .

(٤) الخطة (هنا) : الخصلة الرفيعة . والضريب : الشبيه .

(٥) أقصده : رماه فأصابه .

(٦) العضب : السيف القاطع . وبخضيب : أى خضيب بدم .

ولولا دِفاعى يابن حَرْب ومَشْهَدى لأُلْفِيت يوم النَّعْف غيرَ مُجيبِ[١]
ولولا مَكرّى المُهْرَ بالنَّعف[٢] قرْقرت ضِبَاعٌ عليْـه أو ضِرَاء كَلَيب[٣]

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق .

(شعر الحارث فى الرد على أبى سفيان أيضا) :

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سُفيان :

جَزَيْتهم يوْما ببَـدْر كمِثْله على سابحٍ ذى مَيْعَةٍ وشَبِيبِ[٤]
لَدَى صَحْن بَدرٍ أو أقمت نوائحا عليك ولم تَحْفِلْ مُصاب حَبيب
وإنّك لو عاينتَ ما كان منهـمُ لأبْتَ بقَلْب ما بقيتُ نَخِيب[٥]

قال ابن هشام : وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظنّ أنه عرّض به فى قوله :

وما زال مُهرى مَزْجَرَ الكلب منهم

لفرار الحارث يوم بدر .

(حديث الزبير عن سبب الهزيمة) :

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نَصْرَه على المسلمين وصدَقهم وَعْدَه ، فحسُّوهم بالسيوف[٦] حتى كَشَفوهم عن العَسْكر ، وكانت الهزيمة لاشكّ فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيتنى أنظرُ إلى خَدَم هِنْد بنت عُتْبة وصَوَاحبها مشمِّرات هوارب ، ما دون أخْذهن قليلٌ ولا كثيرٌ

(١) النعف : أسفل الجبل .

(٢) فى م ، ر : « النعت » وهو تحريف .

(٣) قرقرت : أسرعت وخفت لأكله . والضراء : الضارية المتعودة الصيد أو أكل لحوم الناس وكليب : اسم لجماعة الكلاب .

(٤) السابح : الفرس الذى كأنه يسبح فى جريه . والميعة : الخفة والنشاط . وشبيب ، أى شباب ، وهو أن يرفع الفرس يديه جميعا . ويروى : « سبيب » بالسين المهملة ، والسبيب : شعر ناصية الفرس .

(٥) أبت : رجعت . والنخيب : الجبان الفزع .

(٦) حسوهم بالسيوف : قتلوهم واستأصلوهم .

إذ ١ مالت الرّماةُ إلى العسكر ، حين كَشَفنا القومَ عنه وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلْفنا ، وصَرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل ؛ فانكفأنا٢ وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبْنا أصحابَ اللِّواء حتى ما يدْنو منه أحدٌ من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ : أزبّ العقبة ، يعنى الشيطان .

(شجاعة صؤاب وشعر حسان فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن اللّواء لم يزل صَريعا حتى أخذَته عَمْرة بنت علْقمة الحارثيَّة ، فرفعته لقُريش ، فلاثوا به٣ . وكان اللِّواء مع صؤاب ، غلامٌ لبنى أبى طَلْحة ، حبشىّ وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتَل به حتى قُطعت يداه ، ثم برَك عليه ، فأخذ اللواء بصَدْره وعُنقه حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهمَّ هل أعْزَرت — يقول : أعذرت٤ — فقال حسَّان بن ثابت فى ذلك :

فَخَرْتم باللِّواء وشَرُّ فَخْرٍ ... لواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤاب
جَعلتم فخرَكم فيــه بعَبْدٍ ... وألأم مَنْ يَطا عَفَر التّراب٥
ظننتم ، والسَّــفيه له ظُنون ... وما إن ذاك من أمر الصَّوَاب
بأنّ جِــلادنا٦ يومَ التقَيْنا ... بمكَّة بَيْعُكم حُمْر العِياب٧
أقرّ العينَ أن عُصبت يدَاه ... وما إن تُعصَبان على خِضَاب

قال ابن هشام : آخرُها بيتا يُروى لأبى خراش الهُذلىّ ، وأنشدَنيه له خلَفٌ الأحمر :

---

(١) فى م ، ر : « إذا » .
(٢) انكفأنا : رجعنا .
(٣) لاثوا به : اجتمعوا حوله والتفوا .
(٤) قال أبو ذر : « يعنى أنه كان فى لسانه لكنة أعجمية فغير الذال من « أعذرت » إلى الزاء ، لأنه كان حبشيا .
(٥) يطا ، الأصل فيه الهمز وسهل الشعر . وعفر التراب : الذى لونه بين الحمرة والنبرة .
(٦) فى م ، ر : « جلادكم » .
(٧) العياب ، جمع عيبة ، وهى ما يضع فيها الرجل متاعه .

أقرَّ العينَ أن عُصبت يدَاها … وما إن تُعصبان على خِضاب

فى أبيات له ، يعنى امرأته ، فى غير حديث أُحد. وتروى الأبيات أيضا لمَعْقِل ابن خُويلد الهُذلىّ .

(شعر حسان فى عمرة الحارثية) :

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت فى شأن عَمْرة بنت علقمة الحارثيَّة ورَفْعها اللِّواء :

إذا عَضَلٌ سِيقَتْ إلَيْنا كأنها … جِدَاية شِرْكٍ مُعْلِماتِ الحواجِبِ[1]

أقَمْنا لهُم طَعْنا مُبِيرًا مُنَكِّلا … وحُزْناهُم بالضَّرْب من كلِّ جانب[2]

فلَوْلا لواءُ الحارثيَّة أصبَحُوا … يُباعون فى الأسواق بيع الجَلائب[3]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له .

(ما لقيه الرسول يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصابَ فيهم العدوّ ، وكان يومَ بلاء وتَمْحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فدُثَّ[4] بالحجارة حتى وقع لشقِّه[5] ، فأُصيبت رَباعيته ، وشُجَّ[6] فى وجهه ، وكُلِمت[7] شَفَته ، وكان الذى أصابه عُتْبة بن أبى وقَّاص .

قال ابن إسحاق : فحدَّثنى حُميد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

---

(١) عضل : اسم قبيلة من خزيمة ، والجداية (بفتح الجيم وكسرها) : الصغير من أولاد الظباء . وشرك ، قال أبوذر : بضم الشين وكسرها : موضع ، ولم نجد فى المعاجم بهذا الإسم غير موضعين ، أحدهما بالفتح ، وهو جبل بالحجاز ؛ والآخر بالكسر ، وهو ماء وراء جبل القنان لبنى منقذ بن أعيا ، من أسد .

(٢) مبيرا : مهلكا . ومنكلا : قامعا لهم ولغيرهم .

(٣) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها .

(٤) فدث ، قال أبوذر : « من رواه بالراء فمعناه أصيب بها . ومن رواه (فدث) بالدال المهملة : فمعناه رمى حتى التوى بعض جسده » .

(٥) الشق : الجانب .

(٦) شج : أصابته شجة .

(٧) كلم : جرح (بالبناء للمجهول فيهما) .

كُسرتَ رَباعية النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ، وشُجَّ فى وجهه ، فجعل الدمُ يَسيل على وجهه ، وجعل يَمْسح الدم وهو يقول : كيف يُفلح قَوْم خَضَبوا وجه نبيِّهم ، وهو يدْعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَىْءٌ أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ ».

قال ابن هشام : وذكر رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبى سَعيد الخُدْرىّ عن أبيه ، عن أبى سَعيد الخُدْرىّ : أن عُتبة بن أبى وقّاص رمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكَسَر رَباعيتَه اليُمنى السُّفلى ، وجرح شفته السُّفلى ، وأن عبد الله ابن شهاب الزهرى شجَّه فى جَبْهته ، وأن ابن قَمِئة جَرَح وَجْنته [١] فدخلت حَلَقتان من حَلَق المغفر [٢] فى وَجنته ، ووقع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حُفْرة من الحُفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المُسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ علىّ بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورَفعه طَلْحة بن عُبيدالله حتى استوَى قائما ، ومصّ مالك بن سنان ، أبو أبى سَعيد الخُدرى ، الدمَّ : عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدرده [٣] ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مَسّ دمى دمَه لم تُصبه النار .

قال ابن هشام [٤] : وذكر عبدُ العزيز بن محمد الدَّراوردى : أن النّبىّ صلى الله عليه وسلم قال : من أحبَّ أن يَنظُر إلى شَهيد يَمْشى على وجه الأرض فليَنْظر إلى طَلْحة بن عُبيد الله .

وذكر ، يعنى [٥] عبد العزيز الدراوردى ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحه ، عن عيسى بن طَلْحة ، عن عائشة ، عن أبى بكر الصدّيق : أن أبا عُبيدة بن الجرّاح نَزَع إحدى الحَلْقتين من وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثَنيَّته ، ثم نزع الأخرى ، فسَقطت ثنيَّته الأخرى ، فكان ساقطَ الثنيَّتين .

---

(١) الوجنة : أعلى الخد .
(٢) المغفر : شبيه بحلق الدرع يجعل على الرأس يتقى به فى الحرب .
(٣) ازدرده : ابتلعه .
(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(٥) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(شعر حسان فى عتبة وما أصاب به الرسول) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت لعُتبة بن أبى وقّاص :

إذا اللهُ جازَى مَعْشَرًا بفِعالهم وَضَرَّهم[١] الرَّحمن ربّ المَشارقِ
فأخزاك ربى يا عُتَيْبَ بن مالك ولقّاك قَبْل الموت إحدى الصَّوَاعق
بسَطْتَ يمينا للنَّبيِّ تعَمُّدًا فأدْميت فاهُ ، قُطِّعَت بالبَوارق[٢]
فهلاّ ذكرتَ اللهَ والمَنْزِل الذى تَصير إليه عند إحدى البوائق[٣]

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقْذع فيهما .

(ابن السكن وبلاؤه يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين غَشيه القومُ : مَن رجلٌ يَشْرى لنا نفسَه ؟ كما حدثنى الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد[٤] بن السَّكَن فى نفر خَمْسة من الأنصار — وبعضُ الناس يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن — فقاتَلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلا ثم رجلا ، يُقْتَلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فِئةٌ[٥] من المُسلمين ، فأجْهَضوهم[٦] عنه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أدْنُوه منى ، فأدنَوْه منه ، فوسَّده قدَمه ، فمات وخدُّه على قَدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(حديث أم سعد عن تصيبها فى الجهاد يوم أحد) :

قال ابن هشام : وقاتلت أمّ عُمارة ، نُسيبة بنت كعب المازنيَّة يوم أُحد : فذكر سَعيد بن أبى زيد الأنصارىّ : أن أم سعد بنت سَعْد بن الرَّبيع كانت تقول : دخلتُ على أم عُمارة ، فقلت لها : يا خالة ، أخْبرينى خبَرك ؛ فقالت :

---

(١) كذا فى ط . وفى ا : « وبضرهم » . وفى سائر الأصول : « ونصرهم » وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .

(٢) البوارق : السيوف .

(٣) البوائق : الدواهى ومصائب الدهر .

(٤) فى م ، ر : « زيد » .

(٥) الفئة : الجماعة .

(٦) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .

خرجتُ أوّل النهار وأنا أنظرُ مايَصْنع الناس ، ومعى سِقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى أصحابه ، والدولةُ والريح [١] للمُسلمين . فلما انهزم المُسلمون ، انحزتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقُمْتُ أُباشر القِتال ، وأذبّ عنه بالسَّيف ، وأرْمى عن القَوْس ، حتى خَلَصت الجراحُ إلىّ . قالت : فرأيتُ على عاتقها جُرحا أجْوَفَ له غَوْر ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقمأه [٢] الله ! لمَّا ولى الناسُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلّونى على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ومصعب بن عُمير ، وأناس ممن ثَبَت مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فضَربنى هذه الضَّربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضَربات ، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرْعان .

(أبو دجانة وابن أبى وقاص يدفعان عن الرسول) :

قال ابن إسحاق : وتَرّس دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه ، يقع النَّبلُ فى ظهره ، وهو مُنْحنٍ عليه ، حتى كَثُر فيه النَّبلُ . ورمى سعدُ بن أبى وقّاص دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيتُه يُناولنى النَّبل وهو يقول : ارمِ ، فِداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السَّهم ما له نَصْل ، فيقول : ارمِ به .

(بلاء قتادة وحديث عينة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : رَمى عن قَوْسه حتى اندقّت سِيَتُها [٣] ، فأخَذها قَتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأُصيبت يومئذ عينُ قَتادة بن النُّعمان ، حتى وقَعت على وَجْنته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ردّها بيده ، فكانت أحسنَ عَيْنيه وأحدّهما .

(١) يريد « بالريح » النصر .
(٢) أقمأه الله : أذله .
(٣) السية : طرف القوس .

(شأن أنس بن النضر) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدىّ بن النجّار ، قال : انتهى أنسُ بن النَّضر ، عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطّاب ، وطلحة بن عبيد الله ، فى رجال من المُهاجرين والأنصار ، وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ؟ قالوا : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فماذا تُصْنعون بالحياة بعده ؟ (قوموا) [١] فمُوتوا على ما مات عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القومَ ، فقاتل حتى قُتل ؛ وبه سمّى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرَفه إلا أختُه ، عرفته ببنانه .

(ما أصاب ابن عوف من الجراحات) :

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أُصيب فُوه يومئذ فهُتم [٢] ، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضُها فى رِجله فعرَج .

(أول من عرف الرسول بعد الهزيمة) :

قال ابن إسحاق : وكان أوّل من عرَف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقولِ الناس : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لى ابنُ شهاب الزهرىّ كعبُ بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزْهران [٣] من تحت المِغْفر ، فناديتُ بأعلى صوتى : يا معشَر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأشار إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنْصِت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المُسلمون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونَهض معهم نحو الشِّعب ، معه أبو بكر الصدّيق ، وعُمر بن الخطّاب ، وعلىّ بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوّام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصّمة ، ورهْط من المسلمين .

---

(١) زيادة عن ا .
(٢) هتم : كسرت ثنيته .
(٣) تزهران : تضيئان .

(مقتل أبي بن خلف) :

(قال) [١] : فلما أُسند رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب أدركه أُبَيّ بن خلف وهو يقول : أى [٢] محمد ، لانجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجلٌ منّا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوه ؛ فلمّا دنا ، تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحَرْبةَ من الحارث بن الصِّمة ؛ يقول بعضُ القوم ، فيما ذُكر لى : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة ، تطايَرْنا عنه تطاير الشَّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها — قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ — ثم استقبله فطَعنه فى عُنقه طَعنة تَدأدأ منها عن فرسه مرارا .

قال ابن هشام : تدأدأ ، يقول : : تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج .

قال ابن إسحاق : وكان أُبَيّ بن خلف ، كما حدّثنى صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يَلْقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يامحمد إن عندى العَوْذ ، فرسا أعْلفه كلّ يوم فَرَقا [٣] من ذرة ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتُلك إن شاء الله . فلما رجَع إلى قُريش وقد خدَشه فى عُنقه خدْشا غيرَ كبير ، فاحتقَن الدم ، قال : قتَلنى والله محمد! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بَصَق علىّ لقتَلنى . فمات عدوّ الله بسَرِف [٤] وهم قافلون به إلى مكة .

(شعر حسان فى مقتل أبي بن خلف) :

قال ابن إسحاق : فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

لقدْ وَرِثَ الضَّلالةَ عَن أبيهِ أُبَيّ يوم بارزَه الرسولُ

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى ا : « أى » وفى سائر الأصول : « أين » .

(٣) الفرق (بفتح الراء وإسكانها) : مكيال يسع ستة عشر منا ، وقيل : اثنى عشر رطلا .

(٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل ، سبعة وتسعة واثنى عشر ، تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث ، وهناك بنى بها ، وهناك توفيت . (راجع معجم البلدان) .

أتيْتَ إليه تَحْمِل رمَّ عَظْمٍ ... وتُوعِدُه وأنتَ به جَهُولُ[١]
وقد قَتَلَتْ بنو النَّجَّار منكم ... أُمَيَّةَ إذ[٢] يُغَوِّثُ : يا عَقيلُ
وتَبَّ ابنا ربيعَةَ. إذْ أطاعا ... أبا جَهْل ، لأمهما الهَبُولُ[٣]
وأفْلَت حارثٌ لما شَغَلنا ... بأسر القَوْم ، أُسْرته فَليلُ[٤]

قال ابن هشام : أُسرته : قبيلته .

وقال حسّان بن ثابت أيضًا فى ذلك :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّى أُبَيًّا ... لقد أُلقيت فى سُحق السَّعير[٥]
تَمَنَّى بالضَّلالة من بَعيد ... وتُقسم أن قدرت مع[٦] النذور
تَمَنّيك الأمانى مِنْ بَعيدٍ ... وقَولُ الكُفْرِ يَرْجع فى غُرور
فقد لاقَتْك طعنةُ ذى حفاظ ... كريم البيت ليس بذى فُجور[٧]
له فَضْلٌ على الأحْياء طُرًّا ... إذا نابَت مُلِمّات الأمُور

(انتهاء الرسول إلى الشعب) :

(قال)[٨] : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى فَمِ الشِّعب خَرَج على ابن أبى طالب ، حتى ملأ دَرَقته ماءً من المِهْراس[٩] ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوَجد له ريحا ، فعافه[١٠] ، فلم يَشْرب منه ، وغَسل عن وَجهه الدم ، وصبّ على رأسه وهو يقول : اشتدَّ غَضَبُ الله على من دمَّى وجه نبيه

(١) الرم : العظم البالى .
(٢) فى ا : « إن » .
(٣) تب : هلك . والهبول : الفقد ؛ يقال : هبلته أمه ، أى فقدته .
(٤) الفليل : المنهزمون . ويروى . « قليل » بالقاف ، وهو معلوم .
(٥) السحق : البعد والعمق .
(٦) فى م ، ر : « على » .
(٧) الحفاظ : الغضب فى الحرب .
(٨) زيادة عن ا .
(٩) قال أبو ذر : « قال أبو العباس : المهراس : ماء بأحد . وقال غيره : المهراس : حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ، ويصب فيه الماء لينتفع به الناس » .
(١٠) عافه : كرهه .

(حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة) :

قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن كَيْسان عمَّن حدَّثه عن سَعد بن أبي وقَّاص أنه كان يقول : والله ماحَرَصت على قَتْل رجل قطّ كحِرْصي على قَتْل عُتبة ابن أبي وقّاص ، وإن كان ماعلمتُ لسيِّئ الخلق مبغَضا في قومه ، ولقد كفاني منه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضبُ الله على من دمَّى وجه رسوله.

(صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم) :

قال ابن إسحاق : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب ، معه أولئك النَّفر من أصحابه ، إذ علَت عاليةٌ من قريش الجبلَ .

قال ابن هشام : كان على تلك الخَيل خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ إنه لاينبغى لهم أن يَعْلونا ! فقاتل عمرُ بن الخطَّاب ورهْطٌ معه من المهاجرين حتى أهْبطوهم من الجبل .

(ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له) :

قال ابن إسحاق : ونَهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى صَخْرة من الجَبل ليعلوها ، وقد كان بَدَّن [١] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهَر بين دِرْعين ، فلما ذَهب ليَنْهض صلى الله عليه وسلم لم يَسْتطع ، فجلس تحته طَلْحة بن عبيد الله ، فنهض به ، حتى استوَى عليها . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول : أوجَب [٢] طلحة حين صنع برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ماصنع .

قال ابن هشام : وبلغني عن عِكْرمة عن ابن عبَّاس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدَّرجة المبنيَّة في الشِّعب .

---

(١) بدن : أسن وضعف .

(٢) أوجب : وجبت له الجنة .

(صلاة الرسول قاعدا) :

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غُفْرة : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أُحد قاعدًا من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قُعودا .

(مقتل اليمان وابن وقش) :

قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المُنقّى ، دون الأعوص [١] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، قال : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد ، رَفع حُسَيل بن جابر ، وهو اليمان [٢] أبو حُذيفة [٣] بن اليمان ، وثابت بن وَقْش في الآطام مع النساء والصّبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شَيْخان كَبيران : ماأبا لك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا بقي لواحد منّا من عمره إلا ظِمء [٤] حِمار ، إنما نحن هامةُ [٥] اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نَلْحق برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرَجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يُعلم بهما ، فأمّا ثابت بن وَقْش فقتَله المُشْركون ، وأما حُسَيل بن جابر ، فاختلفت عليه أسيافُ المُسلمين ، فقتَلوه ولا يَعرفونه [٦] ، فقال حُذيفة : أبي [٧] ؛ فقالوا : والله إنْ عرفناه ، وصدَقوا . قال حُذَيفة : يَغفِر الله لكم وهو أرْحم

---

(١) الأعوص : موضع قرب المدينة .

(٢) قال السهيلي : « وسمى حسيل بن جابر : اليماني ، لأنه من ولد جروة بن مازن بن قطيعة بن عبس ، وكان جروة قد بعد عن أهله في اليمن زمنا طويلا ثم رجع إليهم فسموه اليماني » .

(٣) ويكنى حذيفة : أبا عبد الله ، وهو حليف لبني عبد الأشهل . وأمه الرباب بنت كعب . (راجع الروض) .

(٤) الظمء : مقدار ما يكون بين الشربتين . وأقصر الأظماء ظمء الحمار ، لأنه لا يصبر عن الماء ، فضرب مثلا لقرب الأجل .

(٥) الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل (زعموا) فلا يزال يصيح : اسقوني اسقوني ! حتى يؤخذ بثأره فضربته العرب مثلا للموت .

(٦) قيل إن الذي قتله خطأ هو عتبة بن مسعود ، أخو عبد الله بن مسعود ، وجد عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الفقيه . وعتبة هذا هو أول من سمى المصحف مصحفا .

(٧) في م ، ر : « أبي والله » .

الراجين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَه ؛ فتصدّق حُذيفة بديته على المُسلمين ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا .

(مقتل حاطب ومقالة أبيه) :

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلا منهم كان يُدعى حاطب بن أُميَّة بن رافع ، وكان له ابنٌ يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحةٌ يوم أُحد ، فأُتِي به إلى دار قومه وهو بالمَوْت ، فاجتمع إليه أهلُ الدار ، فجعل المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبْشر يابن حاطب بالجنَّة ؛ قال : وكان حاطب شيخا قد عسا فى الجاهليَّة ، فنجَم يومئذ نفاقُه ، فقال : بأىّ شىء تبشّرونه ؟ بجنَّة من حَرْمل [١] ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

(مقتل قزمان منافقا كما حدث الرسول بذلك) :

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتِىّ [٢] لايُدرى ممَّن هو ، يقال له : قُزْمان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذُكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أُحد قاتل قتالا شديدًا ، فقتَل وحدَه ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتْه الجراحة ، فاحتُمِل إلى دار بنى ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليتَ اليوم يا قُزْمان ، فأبشِر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . قال : فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سهمًا من كِنانته ، فقتَل به نفسه .

(قتل مخيريق) :

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أُحد مُخَيْريق ، وكان أحدَ بنى ثَعْلبة بن الفِطْيون ، قال : لما كان يوم أُحد ، قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحقّ ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت لكم .

---

(١) قال السهيلى : « من حرمل ، يريد الأرض التى دفن فيها ، وكانت تنبت الحرمل ، أى ليس له جنة إلا ذاك » .

(٢) أتى : غريب .

فأخذ سيفَه وعُدَّته ، وقال: إن أُصِبتُ فمالى لمحمَّد يَصنع فيه ماشاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قُتل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنا — مُخَيْريق خير يهود :

(أمر الحارث بن سويد) :

قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سُوَيد بن صامت مُنافقا ، فخرج يوم أُحد مع المسلمين ، فلما التقَى الناسُ ، عدَا على المُجذَّر بن ذِياد البَلَوى ، وقَيْس بن زيد ، أحد بنى ضُبَيعة ، فقتَلهما ، ثم لَحق بمكَّة بقُريش ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — قد أمر عُمَر بن الخطاب بقتْله إنْ هو ظفر به ، ففاتَه ، فكان بمكة ؛ ثم بَعث إلى أخيه الجُلاس بن سُويد يطلب التوبةَ ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى ، عن ابن عبَّاس : « كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماكَفَرُوا بَعْدَ إيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أنَّ الرَّسُولَ حَقٌ وجاءَهُمُ البَيِّناتُ ، وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ » إلى آخر القصة .

(تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر) :

قال ابن هشام : حدثنى مَنْ أثق به من أهل العلم : أنَّ الحارث بن سُويد قَتل المُجذَّر بن ذياد ، ولم يَقْتل قيسَ بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره فى قَتْلى أُحد ؛ وإنما قَتل المُجذَّر ، لأن المُجذَّر بن ذياد كان قتل أباه سُويدًا فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضَى من هذا الكتاب .

فبَينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث بن سُويد من بعض حَوائط المدينة ، وعليه ثوبان مُضرَّجان [١] ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفَّان ، فضَرب عُنقه ؛ ويقال : بعضُ الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سويدَ بن الصَّامت معاذُ بن عَفراء غيلةً ، فى غير حَرب رماه بسَهْم فقتَله قبل يوم بُعاث .

---

(١) المضرج : المشبع حمرة ، كأنه ضرج بالدم ، أى لطخ به .

(أمر أصيرم) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبى سفيان ، مولى ابن أبى أحمد ، عن أبى هُرَيرة قال : كان يقول : حدثونى عن رجل دخل الجنَّة لم يُصلِّ قطُّ ، فاذا لم يعرفه الناسُ سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصَيْرم ، بنى [١] عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وَقْش . قال الحُصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأُصَيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلمَّا كان يوم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد ، بدا له فى الإسلام فأسْلم ، ثم أخذ سيفَه ، فعدا حتى دخل فى عُرض الناس ، فقاتل حتى أثْبتته الجراحة . قال : فبينا رجالٌ من بنى عبد الأشهل يَلْتمسون قَتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرم ، ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمُنْكر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ؛ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو؟ أحَدَبٌ على قومك أم رَغبة فى الإسلام ؟ قال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سَيْفى ، فغدوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

(مقتل عمرو بن الجموح) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يَسار ، عن أشياخ من بنى سَلِمة : أن عمرو بن الجَموح كان رجلا أعْرج شديد العَرج ، وكان له بَنون أربعة مثل الأُسْد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أُحد أرادوا حَبْسه ، وقالوا له : إنّ الله عزّ وجلّ : قد عَذرك ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنىّ يريدون أن يحْبسونى عن هذا الوجه ، والخُروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعَرْجتى هذه فى الجنَّة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا أنت فقد عَذَرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه :

---

(١) فى ا : « من بنى » .

ما عليكم أن لاتمنعوه ، لعلّ الله أن يرزقَه الشهادة فخرج معه فقُتل يوم أُحُد[١] .

(هند وتمثيلها بحمزة) :

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عُتْبة ، كما حدثنى صالح بن كَيْسان ، والنسوة اللاتى معها ، يمثّلن بالقَتْلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدّعن[٢] الآذان والآنُف ، حتى اتخذت هِنْد من آذان الرّجال وآنُفهم خَدَمًا[٣] وقلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدها وقِرَطَتها وَحْشيًّا ، غلام جُبير بن مُطعِم ، وبَقَرت[٤] عن كَبد حمزة ، فلاكتها[٥] ، فلم تستطع أن تُسيغها[٦] . فلفظتها[٧] ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزَيْناكم بيوم بَدْر ... والحرْب بعد الحرْب ذات سُعْر[٨]

ما كان عن عُتْبة لى من صَبْر ... ولا أخى وعمّه وبَكْرى

شَفَيْتُ نفسى وقَضَيتُ نَذْرى ... شَفَيتَ وَحْشِىّ غَليل صَدْرى[٩]

فشُكْر وَحْشىّ علىّ عُمْرى ... حتى ترِمَّ أعظُمى فى قَبْرى[١٠]

(شعر هند بنت أثاثة فى الرد على هند بنت عتبة) :

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المُطلب ، فقالت :

خَزِيتِ فى بدر وبعد بَدْر ... يا بنتَ وقّاعٍ عظيم الكُفْر[١١]

---

(١) قال السهيلى : « وزاد غير ابن إسحاق : أنه لما خرج قال : اللهم لا تردنى ، فاستشهد ، فجعله بنوه على بعير ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدروا عليه ، ذكروا قوله : اللهم لا تردنى إليها ، فدفنوه فى مصرعه » .

(٢) يجدعن : يقطعن .

(٣) الخدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال .

(٤) بقرت : شقت .

(٥) لاكتها : مضغتها .

(٦) أن تسيغها : أن تبتلعها .

(٧) لفظتها : طرحتها .

(٨) السعر (بضمتين وسكن للشعر) : الالتهاب .

(٩) الغليل : العطش ، أو حرارة الجوف .

(١٠) ترم : تبلى وتفتت .

(١١) الوقاع ، الكثير الوقوع فى الدنيا .

صبَّحك الله غداةَ الفَجْر ملْهاشميِّين الطِّوال الزُّهر [١]
بكلّ قطَّاعٍ حُسامٍ يَفْرى حَمْزةُ لَيْثى وعلىّ صَقْرى [٢]
إذ رام شَيْبٌ وأبوك غَدْرى فخَضَّبا منه ضواحى النَّحْر [٣]
ونَذْرك السُّوء فشرّ نَذْرِ

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعتْ فيها .

(شعر لهند بنت عتبة أيضا) :

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضًا :

شفَيتُ من حَمْزة نَفْسى بأُحد حتى بقَرْتُ بَطْنَه عن الكَبِدْ
أذْهَبَ عنى ذاك ما كنتُ أجِد من لَذْعة الحُزن الشَّديد المُعْتَمِد [٤]
والحَرب تَعْلوكم بشُؤْبوب بَرِد تُقْدِم إقْداما عَليكم كالأسَد [٥]

(تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كَيْسان أنه حُدّث : أن عمر بن الخطاب قال لحسَّان بن ثابت : يابن الفُرَيعة — قال ابن هشام : الفُرَيعة بنت خالد بن خنَيس ، ويقال : خُنيس : ابنُ حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج — لوسمعتَ ماتقول هِنْد ، ورأيت أشرَها [٦] قائمةً على صخرة تَرْتجز بنا ، وتذكر ماصنعتْ بحمزة ؟ قال له حسَّان : والله إنى لأنظر إلى الحَرْبة تَهْوِى وأنا على رأس فارع — يعنى أُطُمَه — فقلتُ : والله إنّ هذه لسِلاح ما هى بسلاح العَرب ، وكأنها إنما تَهوى إلى حَمْزة ولا أدْرى ، لكن

(١) ملهاشميين ، أراد : من الهاشميين ، فحذف النون من (من) لا لتقاء الساكنين ، ولا يجوز ذلك إلا فى (من) وحدها لكثرة استعمالها . والزهر : البيض ؛ الواحد : أزهر .
(٢) الحسام : السيف القاطع . ويفرى : يقطع .
(٣) شيب : أرادت شيبة . فرخمته فى غير النداء . وضواحى النحر : ماظهر من الصدر .
(٤) اللذعة : ألم النار ، أو ما يشبه بها . والمعتمد : القاصد المؤلم .
(٥) الشؤبوب : دفعة المطر الشديدة . وبرد ، أى ذو برد ، شبهت الحرب بها .
(٦) الأشر : البطر .

أسمعنى بعض قولها أكفكموها ؛ قال : فأنشده عمرُ بن الخطّاب بعض ما قالت ؛ فقال حسّان بن ثابت :

أشرَت لَكاع وكان عادتُها   لُؤما إذا أشرتْ مع الكُفْرِ[١]

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتا أيضًا له على الدال . وأبياتا أُخر على الذال ، لأنه أقْذع فيها .

(استنكار الحليس على أبى سفيان تمثيله بحمزة) :

قال ابن إسحاق : وقد كان الحُليس بن زبّان ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبى سفيان ، وهو يضرب فى شدْق حمزة بن عبد المطّلب بزُجّ الرمح ويقول : ذُق[٢] عُقَق ؛ فقال الحُليس : يابنى كنانة ، هذا سيّد قُريش يصنع بابن عمّه ما ترَون لحما[٣] ؟ فقال : ويحك ! اكتُمْها عنى ، فإنها كانت زلّة .

(شماتة أبى سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر) :

ثم إن أبا سُفيان بن حرْب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرَخ بأعلى صوته فقال : أنعمتَ فعال[٤] ، وإن الحرب سِجال[٥] يوم بيوم ؛ اعْلُ هُبَل[٦] ، أى أظهر دينك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُمْ يا عُمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجلّ ، لاسواء[٧] ، قتلانا فى الجنّة ، وقتلاكم

---

(١) قال السهيلى : « لكاع ، جعله اسما لها فى غير موضع النداء ، وذلك جائز ، وإن كان فى النداء أكثر ، نحو يا غدار ويا فساق . واللكاع : اللئيمة » .

(٢) ذق عقق ، أراد ياعاق ، فعدله إلى فعل .

(٣) لحما : أى ميتا لا يقدر على الانتصار .

(٤) أنعمت فعال ، أى بالغت ؛ يقال : أنعم فى الشىء ، إذا بالغ فيه . قال أبو ذر . « أنعمت (بفتح التاء) يخاطب به نفسه . ومن رواه أنعمت (بسكون التاء) ، فإنه يعنى به الحرب أو الوقيعة . وقوله فعال ، أى ارتفع (بصيغة الأمر فيهما) يقال : أعل عن الوسادة ، وعال عنها ، أى ارتفع . وقد يجوز أن تكون معدولة عن الفعلة ، كما عدلوا فجار عن الفجرة ، أى بالغت فى هذه الفعلة ، ويعنى بالفعلة الوقيعة » .

(٥) السجال : المكافأة فى الحرب وغيرها وأصله أن الساقين على بئر يتساجلان يملأ هذا سجلا ، وهذا سجلا . والسجل : الدلو .

(٦) هبل : اسم صنم .

(٧) لاسواء أى لانحن سواء . قال السهيلى : « ولا يجوز دخول (لا) على اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار ولكنه جاز فى هذا الموضع لأن القصد فيه إلى نفى الفعل : أى لانستوى

فى النّار . فلما أجاب ُعمر أبا سُفيان ، قال له أبو سُفيان : هَلُمّ إلىّ يا عمر ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعُمر : ائته فانظر ما شأنُه ؛ فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمرُ ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهمّ لا ، وإنه ليسمع كلامَك الآن ؛ قال : أنت أصدق عندى من ابن قَمِئة وأبرّ ؛ لقول ابن قَمِئة لهم : إنى قد قتلت محمدا .

قال ابن هشام : واسم ابن قمئة عبد الله .

(توعد أبى سفيان المسلمين) :

قال ابن إسحاق : ثم نادَى أبو سُفيان : إنه قد كان فى قَتْلاكم مثل ، والله ما رضيت ، وما سَخطت ، وما نهيتُ ، وما أمرت .

ولما انصرف أبو سُفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قُلْ : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

(خروج على فى آثار المشركين) :

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب ، فقال : اخرُج فى آثار القوم ، فانظُر ماذا يَصْنعون وما يُريدون فان كانوا قد جنّبوا الخيل[1] ، وامتطوا الإبل ، فانهم يُريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل ، فانهم يُريدون المدينة ، والذى نفسى بيده ، لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم. قال علىّ : فخرجت فى آثارهم أنظُر ماذا يصنعون ؛ فجَنّبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجّهوا إلى مكة .

(مر القتلى بأحد) :

وفرغ[2] الناس لقَتْلاهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعة المازنى ، أخو بنى النّجّار : مَنْ رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات؟ فقال رجل

---

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

(٢) ويروى : « فزع » أى خافوا لهم ولم يشتغلوا بشىء سواهم .

من الأنصار[١] : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سَعْد ، فنظَر فوَجده جريحًا في القتلى وبه رمَق . قال : فقلت له : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظُر ، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنّا خير ما جزى نبيًّا عن أمته ، وأبلغ قومَك عنى السلام وقُل لهم : إن سعد ابن الربيع يقول لكم : إنه لاعُذْر لكم عند الله إن خُلص إلى نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عينٌ تطرف [٢] . قال : ثم لم أبْرح حتى مات ؛ قال : فجئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخْبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو بكر الزُّبيرى : أنّ رجلا دخَل على أبى بكر الصدّيق ، وبِنْتٌ لسَعْد بن الرَّبيع جاريةٌ صغيرةٌ على صَدْره يَرْشُفُها [٣] ويقبلها ؛ فقال له الرجل: مَنْ هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجل خير منى ، سعْد ابن الرّبيع ، كان من النُّقباء يوم العَقَبة ، وشهد بدرًا ، واستشهد يوم أُحد .

(حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة) :

قال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، يَلتَمس حمزةَ بن عبدالمُطّلب ، فوَجده ببَطْن الوادى قد بُقِر بطنه عن كبده ، ومُثِّل به ، فجُدع أنفُه وأُذُناه .

فحدثنى محمدُ بن جَعْفر بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى : لولا أن تَحْزَن صَفيَّة ، ويكون سُنَّة من بعدى لتَركْته ، حتى يكون فى بطُون السِّباع ، وحَواصل الطير ، ولئن أظْهرنى الله على قريش

---

(١) قال السهيلى : « الرجل هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدى ، وذكر أنه نادى فى القتلى : ياسعد بن الربيع ، مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، حتى قال : يا سعد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى أنظر ما صنعت ؛ فأجابه حينئذ بصوت ضعيف وذكر الحديث . وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر فى كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده أن الرجل الذى التمس سعدا فى القتلى هو ابن أبى كعب » .

(٢) يقال : طرف بعينه يطرف : إذا ضرب بجفن عينه الأعلى على جفن عينه الأسفل .

(٣) يرشفها : يمص ريقها .

فى مَوْطن من المَواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلا منهم . فلما رأى المسلمون حُزْن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وغَيظه على مَن فعل بعمّه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثّلن بهم مُثْلة لم يُمثّلها أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَمْزة قال : لن أُصاب بمثلك أبدا ! ما وقفتُ موقفا قطّ أغيظ إلىّ من هذا ! ثم قال : جاءنى جبريلُ فأخبرنى أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ فى أهل السموات السبع : حمزة ابن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبوسَلَمة بن عبد الأسد ، إخْوة من الرضاعة ، أرْضَعَتهم مولاة لأبى لَهب [1] .

(ما نزل فى النهى عن المثلة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بنُ سُفيان بن فَرْوة الأسلمى ، عن محمد بن كَعْب القُرظى ، وحدثنى من لا أتهم ، عن ابن عبّاس : أن الله عزّ و جلّ أنزل فى ذلك ، من قول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقول أصحابه : « وَإنْ عاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتم لَهُوَ خَيْرٌ للصّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إلاّ بالله ، وَلا تحزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » ، فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصَبَر ونَهى عن المُثْلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُميد الطويل ، عن الحسن ، عن سَمُرة بن جُنْدب ، قال : ما قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مقام قطّ ففارقه ، حتّى يأمرنا بالصَّدقة ، وينْهانا عن المُثلة [2] .

---

(1) اسمها ثويبة .

(2) قال السهيلى : « وهو حديث صحيح فى النهى عن المثلة ، فإن قيل : فقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، وتركهم بالحرة ؟ قلنا : فى ذلك جوابان : أحدهما أنه فعل ذلك قصاصا لأنهم قطعوا أيدى الرعاء وأرجلهم وسملوا أعينهم ؛ وقيل إن ذلك قبل تحريم المثلة ؛ فإن قيل : فقد تركهم يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا عطاشا . قلنا : عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة » .

(صلاة الرسول على حمزة والقتلى) :

قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن مقْسم ، مولى عبدالله بن الحارث ، عن ابن عبَّاس ، قال: أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحَمْزة فسُجِّى [١] ببردة ثم صلى عليه ، فكبَّر سبعَ تكبيرات ، ثم أُتِىَ بالقتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبْعين صلاة [٢] .

(صفية وحزنها على حمزة) :

قال ابن إسحاق : وقد أقبلتْ فيما بلَغنى ، صفيَّة بنت عبدالمطَّلب لتنظُر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأُمِّها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزُّبير بن العوّام : القَها فأرْجعها ، لاترى مابأخيها ؛ فقال لها: ياأُمَّه ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأْمرُكِ أن ترْجعى ، قالت :ولم ؟ وقد بلغنى أن قد مُثِل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسِبنّ ولأصْبرن إن شاء الله . فلما جاء الزُّبير إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ؛ قال: خلِّ سبيلَها ، فأتته ، فنظرتْ إليه ، فصلَّت عليه ، واسترْجعت [٣] ، واستغفرَت له ، ثم أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدُفن .

(دفن عبد الله بن جحش مع حمزة) :

قال : فزَعم لى آلُ عبد الله بن جحْش — وكان لأميمة بنت عبد المطلب ، حمْزةُ خالهُ ، وقد كان مُثِّل به كما مُثِّل بحَمْزة ، إلا أنه لم يُبْقر عن كبِده — أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دَفَنَه مع حمزة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله

---

(١) سجى : غطى .

(٢) قال السهيلى : « ولم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعى لوجهين :

أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث . قال ابن اسحاق : حدثنى من لا أتهم يعنى الحسن بن عمارة؛ فيما ذكروا ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث ، وأكثرهم لايرونه شيئا ، وإذ كان الذى قال فيه ابن إسحاق حدثنى من لا أتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والجهل يوبقه .

والوجه الثانى ، أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية فى غزوة أحد ، وكذلك فى مدة الخليفتين، إلا أن يكون الشهيد مرتثا من المعركة » .

(٣) استرجعت : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(دفن الشهداء) :

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوهم بها ، ثم نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرِعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مُسلم الزُّهريّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذْرى ، حليف بنى زُهرة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أشرف على القتلى يوم أُحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه مامن جريح يُجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمى جرحُه ، اللونُ لونُ دمٍ والريحُ ريحُ مسك ، انظروا أكثرَ هؤلاء جمْعا للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر — وكانوا يدْفِنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد .

قال : وحدثنى عمِّى موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هُريرة يقول : قال أبوالقاسم صلى الله عليه وسلم : مامن جريح يُجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجُرحه يَدْمى ، اللّون لون دم ، والرّيح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، عن أشياخ من بنى سلمة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ ، حين أمر بدَفْن القتلى : انظروا إلى عَمْرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فانهما كانا متصافيين فى الدنيا ، فاجعلوهما فى قبر واحد .

(حزن حمنة على حمزة) :

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ، فلقيتْه حَمْنَةُ بنتُ جحش ، كما ذُكر لى ، فلما لقيتَ الناسَ نُعِى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترْجعت واستغفَرت له ، ثم نُعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجَعت واستغفَرت له ، ثم نُعى لها زوجها مُصْعب بن عُمير ، فصاحت وَوَلْولت ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن زَوْج المرأة منها لبمكان ! لِمَا رأى من تثبُّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

(بكاء نساء الأنصار على حمزة) :

قال ابن إسحاق : ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَر ، فسَمع البكاء والنّوائح على قَتْلاهم ، فذَرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكنّ حمزة لابواكى له ! فلما رجع سعدُ بن مُعاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن ، ثم يذهبن فَيَبْكِين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى حكيم بن حكيم عن عَبَّاد بن حُنَيف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُكاءَهنّ على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مَسْجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن يَرْحمكنّ الله ، فقد آسيتنّ [1] بأنفسكن .

قال ابن هشام : ونُهى يومئذ عن النَّوْح .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهنّ ، قال : رحم الله الأنصار ! فان المُواساة منهم ماعتَّمت [2] لَقَديمة . مُروهنّ فلْيَنْصرفن .

(شأن المرأة الدينارية) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سَعْد بن أبى وقاص ، قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أُصيب زَوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد ، فلما نُعوا لها ، قالت : فما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرًا يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرُونيه حتى أنظُر إليه ؟ قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مُصيبة بعدك جَلَل ! تُريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو ها هنا من القليل . قال امرؤ القيس فى الجلل القليل :

---

(١) آسيتن : عزيتن وعاونتن ، وأكثر ما يقال فى المعونة .

(٢) فى ا : « ما علمت » .

لقَتْل بنى أسـد رَبَّهم[١] ألا كلُ شىء سواه جَلَل[٢]

قال ابن هشام[٣] : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعْلة الجَرْمىّ :

ولئن عفَوْتُ لأعفُون جَللاً ولئن سَطَوت لأوْهِنَنْ عَظْمى

فهو من الكثير)[٤] .

(غسل السيوف) :

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سَيْفه ابنتَه فاطمة ، فقال : اغسلى عن هذا دَمه يا بُنيَّة ، فوالله لقد صَدَقنى اليومَ ؛ وناولها علىُّ بن أبى طالب سَيْفه ، فقال : وهذا أيضا ، فاغسلى عنه دمَه ، فوالله لقد صَدَقنى اليوم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقتَ القتال لقد صَدَق معك سهلُ بن حُنَيف وأبو دُجانة .

قال ابن هشام : وكان يُقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفَقار[٥] .

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم ، أن ابن أبى نجيح قال : نادى مُناد يومَ أُحد :

لا سيْف إلا ذو الفَقار ، ولا فَتَى إلا علىّ

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلىّ بن أبى طالب : لا يُصيب المشركون منَّا مثلَها حتى يَفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق[٦] : وكان يوم أُحد يوم السَّبت للنِّصف من شوّال .

---

(١) ربهم : أى ملكهم ، ويعنى به والده حجرا ، لأنه كان ملكا على بنى أسد فقتلوه .

(٢) فى ا : « خلاه » .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « أى صغير قليل . قال ابن هشام : والجلل أيضا العظيم . قال الشاعر . . . الخ » .

(٤) زيادة عن ا ، ط .

(٥) وكان ذو الفقار سيف العاصى بن منبه ، فلما قتل كافرا يوم بدر صار إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء إلى على بن أبى طالب .

(٦) فى ا : « قال ابن هشام » .

(خروج الرسول فى أثر العدو ليرهبه) :

قال : فلما كان الغدُ (من) [1] يوم الأحد لستَّ عشرة ليلة مضتْ من شوّال ، أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدوّ ، فأذّنَ مؤذّنه أن لايخرجنّ معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضَر يومَنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرَام ، فقال : يا رسول الله ، إنّ أبى كان خلّفنى على أخوات لى سَبْع ، وقال : يا بُنىّ ، إنه لاينبغى لى ولالك أن نترك هؤلاء النِّسوة لارَجلَ فيهنّ ، ولستَ بالذى أُوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفْسى ، فتخلّفْ على أخواتك ؛ فتخلّفتُ عليهنّ . فأذن له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرَج معه . وإنما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبا للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج فى طَلَبهم ، ليظنوا به قوةً ، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

(مثل من استماتة المسلمين فى نصرة الرسول) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عُثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبدَ الأشهل ، كان شهِد أُحدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدتُ أُحدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرَجعنا جَريحين ؛ فلما أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ ، قلت لأخى أو[2] قال لى : أتفوتُنا غزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابّة نركبها ، وما منّا إلا جَريح ثَقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسرَ جُرحا ، فكان إذا غُلب حملته عُقْبةً [3] ، ومشى عُقبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

(استعمال ابن أم مكتوم على المدينة) :

قال ابن إسحاق : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حَمراء

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى ا : « وقال » .

(٣) عقبة : من الاعتقاب فى الركوب .

الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام :

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

(شأن معبد الخزاعى) :

قال : وقد مرّ به كما حدثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، معبدُ بن أبى معْبد الخُزاعى ، وكانت خُزاعة ، مُسلمهم ومُشْركهم عَيْبَةَ [١] نُصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صَفْقَتهم [٢] معه ، لا يُخفون عنه شيئا كان بها ، ومَعْبد يومئذ مُشْرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولودِدْنا أنّ الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقى أبا سُفْيان بن حَرْب ومن معه بالرَّوْحاء ، وقد أجمعوا الرَّجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نَستأصلهم ! لنكُرّن على بقيّتهم ، فلنفرُغنّ منهم . فلما رأى أبو سُفيان معبدًا ، قال : ماوراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يَطْلُبكم فى جمْع لم أرَ مثله قطُّ ، يتحرّقون [٣] عليكم تحرُّقا ، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه فى يَوْمكم ، وندموا على ماصنعوا [٤] ، فيهم من الحَنَق [٥] عليكم شىءٌ لم أرَ مثله قط ؛ قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترْتحل حتى أرى نواصى الخَيل ؛ قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم ، لنستأصل بقيّتهم : قال : فإنى أنهاك عن ذلك ؛ قال : والله لقد حملنى ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتا من شعر ؛ قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

---

(١) عيبة نصح لرسول الله : أى موضع سره .

(٢) صفقتهم معه ، أى اتفاقهم معه . يقال : أصفقت مع فلان على الأمر : إذا اجتمعت معه عليه . وكان الأصل أن يقال : إصفاقهم معه ، إلا أنه استعمل المصدر ثلاثيا .

ويروى : « ضلعهم معه » ومعناه : ميلهم .

(٣) يتحرقون : يلتهبون من الغيظ .

(٤) فى م ، ر : « ضيعوا » .

(٥) الحنق : شدة الغيظ .

كادتْ تُهدُّ من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرضُ بالجُرْد الأبابيلِ[١]
تَرْدِي بأُسْدٍ كرامٍ لاتَنابلةٍ ... عند اللِّقاء ولا مِيلٍ مَعازِيل[٢]
فظلْت عَدْوا أظنّ الأرض مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيس غير مَخْذول[٣]
فقلتُ: ويل ابنِ حَرْبٍ من لقائكم[٤] ... إذا تَغَطْمطت البَطحاء بالجيل[٥]
إنى نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً ... لكلّ ذى إرْبةٍ منهم ومعقول[٦]
من جَيْش أحمدَ لاوَخشٍ تنابلة ... وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقِيل[٧]

فثنَى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

(رسالة أبي سفيان إلى الرسول على لسان ركب) :

ومَرّ به ركبٌ من عبد القَيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال : ولِم ؟ قالوا : نُريد المِيرة ؛ قال : فهل أنتم مُبلغون عنى محمداً رسالة أُرْسلكم بها إليه ، وأُحمِّل لكم هذه غداً زَبيبا بعُكاظ إذا وافيتُموها ؟ قالوا نعم ؛ قال : فاذا وافيتُموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنَستأصل بقيتهم ، فمرّ الركبُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بحَمْراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سُفيان ؛ فقال : حَسْبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) تهد : تسقط لهول مارأت من أصوات الجيش وكثرته . والجرد : الخيل العتاق . والأبابيل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا رمح أولا ترس معه ؛ وقيل : هو الذى لا يثبت على السرج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم

(٣) العدو : المشى السريع . وسموا : علوا وارتفعوا .

(٤) ابن حرب : هو أبو سفيان .

(٥) كذا ورد هذا الشطر فى ا ، ط . وتغطمطت : اهتزت وارتجت ، ومنه : بحر غطامط ، إذا علت أمواجه . والبطحاء : السهل من الأرض . والجيل : الصنف من الناس . وفى سائر الأصول :

إذا تعظمت البطحاء بالخيل

وهو ظاهر التحريف .

(٦) أهل البسل : قريش ، لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام . والضاحية : البارزة للشمس . والإربة : العقل .

(٧) الوخش : رذالة الناس وأخساؤهم . والتنابلة : القصار . والقيل : القول .

(كف صفوان لأبي سفيان عن معاودة الكرة) :

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ أبا سُفيان بن حَرْب لمَّا انصرف يوم أُحد ، أراد الرُّجوع إلى المدينة ، ليَسْتأصل [١] بقيَّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صَفْوان بن أُميَّة بن خَلَف : لاتفعلوا ، فانّ القوم قد حَرِبوا [٢] ، وقد خَشينا أن يكون لهم قِتال غير الذى كان ، فارجعُوا ، فرجعوا . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو بحَمْراء الأسد ، حين بلغه أنهم هَمّوا بالرَّجعة : والذى نَفْسى بيده ، لقد سُوِّمت [٣] لهم حجارة ، لو صُبِّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب [٤] .

(مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة) :

قال أبو عبيدة [٥] : وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى جهة ذلك ، قبل رُجوعه إلى المدينة ، مُعاويةَ بن المُغيرة بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس ، وهو جدّ عبد الملك بن مَروان ، أبو أُمه عائشة بنت مُعاوية ، وأبا عَزَّة الجُمحى ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسَره ببدر ، ثم مَنّ عليه ؛ فقال : يا رسولَ الله ، أقِلْنى ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تَمْسح عارضيك بمكة بعدَها وتقول : خدعت محمداً مرّتين ، اضربْ عنقه يا زُبير . فضرب عُنقه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المُسيب أنه قال : قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المؤمن لايُلْدغ من جُحر مرّتين ، اضربْ عُنقه ياعاصم ابن ثابت ، فضرب عُنقه .

(مقتل معاوية بن المغيرة) :

قال ابن هشام : ويقال : إن زيدَ بن حارثة وعَمَّار بن ياسر قتلا مُعاوية

---

(١) فى م ، ر : « ليستأصل فيما زعموا » .

(٢) حربوا : غضبوا .

(٣) سومت ، أى جعلت لها علامة يعرف بها أنها من عند الله .

(٤) فى ا : « قال » .

(٥) قال أبو ذر : « ووقع فى كتاب أبي على الغسانى بعد هذا : حدثنا أبو صالح وابن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، قال أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ، هذا الحديث حاشية فى كتاب أبي على الغسانى رحمه الله » .

ابن المُغيرة بعد حَمْراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفّان فاستأمن له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل . فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعثهما النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوَجداه فقتَلاه .

(شأن عبد الله بن أبي بعد ذلك) :

قال ابن إسحاق : فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أبيّ ابن سَلول ، كما حدثني ابن شهاب الزُّهري ، له مقامٌ يقومه كلّ جمعة لايُنْكَر ، شرفا له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يَخْطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظْهركم ، أكْرمكم الله وأعزّكم به ، فانصُروه وعزّروه ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يَجْلس حتى إذا صنع يوم أُحد ما صَنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المُسلمون بثيابه من نَواحيه ، وقالوا : اجلس ، أى عدوّ الله ، لستَ لذلك بأهل ، وقد صنعتَ ما صنعتَ ، فخرج يتخطّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بَجْرا [١] أن قمت أشدّد أمرَه . فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسْجد ، فقال : مالك ؟ ويلك ! قال : قمتُ أشدّد أمره ، فوثَب علىّ رجالٌ من أصحابه يَجذبوننى ويُعنِّفوننى ، لكأنما قلت بَجْرًا أنْ قُمت أشدّد أمره ؛ قال : ويلك ! ارجع يَسْتغفر لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله ما أبتَغى أن يَسْتغفر لى .

(كان يوم أحد يوم محنة) :

قال ابن إسحاق : كان يوم أُحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمْحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المُنافقين ، ممّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُسْتخف بالكُفر فى قلبه ، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشّهادة من أهل ولايته .

---

(١) بجرا : أمرا عظيما . ويروى : « هجرا » ، وهو الكلام القبيح .

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك ، ومُعاتبة من عاتَب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أهْلِكَ تُبَوِّئُ المُؤْمِنِينَ مَقاعِدَ للْقِتالِ ، واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » :

قال ابن هشام : تبوّئ المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكُميت ابن زيد :

لَيتنى كنتُ قبلَه قد تبوأتُ مَضجعا

وهذا البيت فى أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

« إذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أنْ تَفْشَلا » : أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سَلِمة بن جُشَم بن الخَزرج ، وبنو حارثة بن النَّبيت من الأوس ، وهما الجناحان يقول الله تعالى : « والله وليُّهما » : أى المُدافع عنهما ماهمّتا به من فَشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعف ووَهن أصابهما غير شكّ فى دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته ، حتى سَلِمتا من وُهونهما وضَعفهما ، ولَحِقتا بنبيِّهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثنى رجل من الأسْد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان. ما نُحب أنَّا لم نَهمّ بما هممنا به ، لتولى الله إيانا فى ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : « وعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ » : أى من كان به ضَعْف من المؤمنين فليتوكّل علىّ ، وليستعِنْ بى ، أُعِنْه على أمره ، وأُدافع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدْفع عنه ، وأقوّيه على نيَّته . « ولَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأنْتُمْ أذِلَّةٌ ، فاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » :

أى فاتقونى ، فانه شكر نعمتى . « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ » وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة « إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ » : أى إن تصبروا لعدوّى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وجههم هذا ، أُمدّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : مسوِّمين : مُعْلَمين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرىّ أنه قال : أعلَموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاً . وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عزّ وجلّ : « سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » : أى علامتهم . وَ « حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً » يقول : مُعلَمة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال رُؤبة بن العجّاج :

فالآنَ تُبلى بى الجيادُ السُّهَّم ولا تُجارينى إذا ما سَوَّمُوا[١]
وشَخَصت أبصارُهم وأجذَموا

(أجذموا « بالذال المعجمة » : أى أسرعوا ؛ وأجدموا « بالدال المهملة » : أقطعوا) [٢] .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له . والمُسوّمة (أيضاً) : المَرْعيّة . وفى كتاب الله تعالى : « وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ » و « شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ » . تقول العرب : سَوَّم خيله وإبله ، وأسامها : إذا رعاها . قال الكُميت من زيد :

راعيا كان مُسْجِحا ففقدنا هُ وفَقْدُ المُسيم هُلْكُ السَّوَام

قال ابن هشام : مُسجحا : سَلِس السياسة مُحسن (إلى الغنم) [٢] . وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) الجياد الخيل العتاق . و سهم : العابسة المتغيرة من شدة الحرب .
(٢) زيادة عن ا .

« وَما جَعَلَهُ اللهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ » : أى ما سَمّيت لكم مَنْ سَمَّيتُ من جنود ملائكتى إلا بُشْرى لكم ، ولتطمئنّ قلوبكم به ، لما أعرف من ضَعْفكم ، وما النَّصر إلا من عندى ، لسُلْطانى وقُدرتى ، وذلك أن العزّ والحكم إلىّ ، لا إلى أحد من خلْقى . ثم قال : « لِيَقْطَعَ طَرَفا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ » : أى ليقطع طرفا من المُشْركين بقَتْل يَنتقم به منهم ، أو يردّهم خائبين : أى ويَرْجع مَنْ بَقِى منهم فَلاًّ خائبين ، لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : يَكْبِتهم : يغمُّهم أشدّ الغَمّ ، ويمنعهم ما أرادوا . قال ذو الرُّمَّة :

ما أنْسَ مِن شَجَنٍ لاأنسَ مَوْقِفَنا   فى حَيْرة بين مَسْرور ومَكْبوتِ[1]

ويكْبِتهم (أيضًا) : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمْرِ شَىْءٌ ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أوْ يُعَذِّبَهُمْ فإنَّهُمْ ظالِمُونَ » : أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى ، إلا ما أمرتُك به فيهم ، أو أتُوب عليهم برحمتى ، فان شئتُ فعلت ، أو أعذّبهم بذُنوبهم فبحَقّى « فإنَّهُمْ ظالِمُونَ » : أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إيَّاى « وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » : أى يغفر الذنب ويَرْحم العباد ، على مافيهم [2] .

---

(١) الشجن : الحزن .

(٢) قال السهيل ، عند ذكر قوله تعالى «ليس لك من الأمر شىء» : «وفى تفسير الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاص حتى أنزل الله تعالى «ليس لك من الأمر شىء» قال فتابوا وأسلموا وحسن إسلامهم ؛ وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان ، خلافا لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه وفى موته شهيدا بالشام ، وأما عمرو بن العاص فقد قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : أسلم الناس وآمن عمرو»

(النهى عن الربا) :

ثم قال : « يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أضْعافا مُضَاعَفَةً » ؛ أى لاتأكلوا فى الإسلام ، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لايحل لكم فى دينكم « واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » : أى فأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه ، وتدركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه ، « واتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ » : أى التى جعلت دارًا لمن كفر بى .

(الحض على الطاعة) :

ثم قال : « وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » معاتبةً للذين عصوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره . ثم قال : « وَسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ والأرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » : أى دارًا لمن أطاعنى وأطاع رسولى . « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والكاظِمِينَ الغَيْظَ . والعافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ » : أى وذلك هُوَ الإحسانُ ، وأنا أُحبّ مَنْ عمل به ، « والَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعْصية ذكروا نهى الله عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لايغفر الذنوب إلا هو . « وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » : أى لم يُقيموا على مَعْصيتى كفِعْل من أشرك بى فيما غلَوْا به فى كفرهم ؛ وهم يعلمون ماحرّمتُ عليهم من عبادة غيرى . « أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ خالِدِينَ فِيها ، وَنِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ » : أى ثواب المُطيعين.

(ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه) :

ثم استقبل ذكر المُصيبة التى نزلت بهم ، والبَلاء الذى أصابهم ، والتَّمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشُّهداء منهم ، فقال : تعزيةً لهم ، وتَعْريفا لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا

فِي الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ » : أى قد مَضت منى وقائع نِقْمة فى أهل التكذيب لرُسلى والشِّرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فرأوا مَثُلات قد مَضت منى فيهم ، ولمن هو على مثل ماهم عليه من ذلك منى ، فانى أمْلَيت لهم : أى لئلا يظنوا أنَّ نقمتى انقطعتْ عن عدوِّكم وعدوِّى ، للدولة التى أدلْتهم بها عليكم ، ليَبتليكم بذلك ، ليُعلمكم ماعندكم .

ثم قال تعالى : « هذَا بَيانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » : أى هذا تفسير للناس إن قَبلوا الهدى « وهُدًى ومَوْعِظَةً » : أى نور وأدب « للمتقين » أى لمن أطاعنى وعَرَف أمرى . « وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا » : أى لاتَضْعفوا ولا تَبْتئسوا على ما أصابكم ، « وأنْتُمُ الأعْلَوْنَ » : أى لكم تكون العاقبة والظهور « إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » : أى إن كنتم صدَّقتم نبيى بما جاءكم به عنى . « إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ » : أى جراح [1] مثلها ، « وتِلْكَ الأيَّامُ نُداوِلُها بيْنَ النَّاسِ » : أى نُصرِّفها بين الناس للبلاء والتمحيص « وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللهُ لاَيُحِبُّ الظَّالِمِينَ » : أى ليُميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليُكْرِم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة « وَاللهُ لايُحِبُّ الظَّالِمِينَ » : أى المنافقين الذين يُظهرون بألسنتهم الطاعةَ وقلوبهم مُصِرَّة على المَعْصية «ولِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا » : أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبَلاء الذى نزل بهم ، وكيف صَبْرهم ويَقينهم « وَيَمْحَقَ الكافِرِينَ » : أى يُبْطل من المنافقين قولَهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذى يَسْتَترون به .

(دعوة الجنة للمجاهدين) :

ثم قال تعالى : « أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ » : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدَّة ، وأبْتَليكم بالمَكاره ، حتى أعلم صِدْق

---

(١) قال أبو ذر : « قال الفراء : القرح (بفتح القاف) : الجراح . والقرح (بضم القاف) ألم الجراح . وغيره لا يفرق بينهما .

ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فىّ ، «وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الشَّهادَةَ» على الذى أنتم عليه من الحقّ قبل أن تلقوا عدوّكم ، يعنى الذين استنهضوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوّهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبْله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : «وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ» يقول : «فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» : أى الموت بالسُّيوف فى أيْدى الرجال قد خلّى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدّهم عنكم . «وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ» : أى لقول الناس : قُتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامهم عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوّهم «أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ» رجعتم عن دينكم كفّارا كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوّكم ، وكتاب الله . وما خلّف نبيّه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ؛ «وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ» : أى يرجع عن دينه «فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً» : أى ليس ينقص ذلك عزّ الله تعالى ولا مُلكه ولا سلطانه ولا قُدْرته ، «وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ» : أى مَنْ أطاعه وعمل بأمْره [١] :

(ذكره أن الموت بإذن الله) :

ثم قال : «وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً» : أى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلا هو بالغه ، فإذا أذن الله عزّ وجلّ فى ذلك كان . «وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها ، وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ» : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رَغْبة فى الآخرة ، نُؤْته منها ما قُسم له من رزق ، ولا يَعْدوه فيها ، وليس له

---

(١) قال السهيلى : «تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه . وكان أبو بكر يسمى أمير الشاكرين لذلك . وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم من ردهم إلى الدين الذى خرجوا منه».

فى الآخرة من حظ « ومن يُرِد ثواب الآخرة نُؤْته منها » ماوُعد به ، مع ما يُجزى عليه من رزقه فى دُنياه ، وذلك جزاء الشّاكرين ، أى المتّقين .

(ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء) :

ثم قال : « وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ » : أى وكأين من نبيّ أصابه القتل ، ومعه ربّيّون كثير : أى جماعة ، فما وهنوا لفقد نبيّهم ، وما ضعفوا عن عدوّهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يُحبّ الصابرين « وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : واحد الرِّبّيّين : رِبّى ؛ وقولهم : الرِّباب ، لولد عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس ، ولضبة ، لأنهم تجمّعوا وتحالفوا ، من هذا ، يريدون الجماعات . وواحدة الرّباب : رِبّة (وربابة) [1] وهى جماعات قِداح أو عصىٍ ونحوها ، فشبّهوها بها . قال أبوذؤيب الهذلىّ [2] :

وكأنّهنّ ربابة وكأنّه يَسَر يَفيض على القِداح ويَصْدعُ

وهذا البيت فى أبيات له . وقال أُميّة بن أبى الصّلت :

حَوْل شَياطينهم أبابيلُ رِبّيونَ شَدّوا سَنَوّرًا مَدْسُورا

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : والربابة (أيضًا) : الخرقة التى تُلَفّ فيها القداح .

قال ابن هشام : والسَّنَوّر : الدروع . والدُّسُر ، هى المسامير التى فى الحَلَق ، يقول الله عزّ وجلّ « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ » .

قال الشاعر ، وهو أبو الأخزر الحِمّانى ، من تميم :

---

(١) زيادة من ا .

(٢) هذه العبارة من قوله « قال أبو ذؤيب » إلى أول قوله « وقال أمية » ساقطة فى ا .

دَسْراً بأطراف القَنا المَقوَّم

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضُوا على دينكم كما مَضَوا على دينهم ، ولا ترتدّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّت أقدامكم ، واستَنْصروه كما استَنْصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقَدْ قُتل نبيُّهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظُّهور على عدوّهم ، وحُسنَ ثواب الآخرة وما وَعد الله فيها ، والله يحبّ المحسنين .

(تحذير، إياهم من إطاعة الكفار) :

« يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ تُطيعُوا الَّذينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرينَ » : أى عن عدوّكم ، فتذهب دُنياكم وآخرتكم « بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرينَ » ، فان كان ماتقولون بألسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تَسْتَنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعْقابكم مرتدّين عن دينه. « سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ » : أى الذى به كنتُ أنصركم عليهم بما أشركوا بى ما لم أجْعل لهم من حجَّة ؛ أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نَصْر ولاظُهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتَّبعتم أمرى ، للمُصيبة التى أصابتكم منهم بذُنوب قَدَّمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبىَّ صلى الله عليه وسلم . « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُمْ بإذْنِهِ ، حَتى إذَا فَشِلْتُمْ وتَنازَعْتُمْ فِى الأمْرِ ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ [١] ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفا عَنْكُمْ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ على المُؤْمِنِينَ » أى وقد وفَّيت لكم بما وَعَدْتكم من النصر على عدوّكم ، إذ تحسُّونهم بالسُّيوف ، أى القتل ، بإذنى وتَسْليطى أيْديكم عليهم ، وكفِّى أيديهم عنكم .

---

(١) قال السهيلى : « قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميرا على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، ولا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبتت معه طائفة ، فاستشهد واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو وكانت المصيبة » .

قال ابن هشام : الحسّ : الاستئصال : يقال : حَسَسْتُ الشيء : أى استأصلته بالسَّيف وغيره . قال جرير :

تَحُسُّهم السُّيوفُ كما تَسامَى حريقُ النَّار فى الأجَم الحَصِيدِ[١]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رُؤبة بن العَجاج :

إذا شَكَوْنا سَنَةً حَسُوسا
تأكلُ بَعْدَ الأخْضَر اليَبِيسا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : «حتى إذا فشلتم» : أى تخاذلتم «وتنازعتم فى الأمر» أى اختلفتم فى أمْرى ، أى تركتم أمرَ نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة «وعصَيتمْ مِنْ بَعْدِ ما أرَاكُمْ ما تُحِبونَ» : أى الفتح ، لاشكّ فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم ، «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا» : أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وتَرك ما أُمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة «وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ» : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه ، لعَرَض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ماعند الله من حُسن ثوابه فى الآخرة ؛ أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يُهلككم بما أتيتم من مَعْصية نبيكم ، ولكنى عُدت بفَضلى عليكم ، وكذلكَ «مَنَّ اللهُ على المُؤْمِنِين» أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة ، فانه غيرُ مستأصل لكُلّ مافيهم من الحقّ له عليهم ، بما أصابوا من مَعْصيته ، رحمةً لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .

(تأنيبه إياهم لفرارهم عن نبيهم) :

ثم أنَّبهم بالفرار عن نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يُدعون لا يَعْطفون عليه لدُعائه إياهم ، فقال : «إذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ على أحَدٍ ، والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ ، فأثابَكُمْ غَمًّا بغَمٍّ ، لِكَيْلا تَحْزَنُوا على ما فاتَكُمْ ولا ما أصَابَكُمْ» : أى كَرْبا بعد كرب ، بقتل من قُتل من إخوانكم ، وعلو

(١) تسامى : ارتفع . والأجم : جمع أجمة ، وهو الشجر الملتف والحصيد : المحصود المقطوع .

عدوّكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول مَنْ قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغمّ ؛ لكيلا تحزنوا على مافاتكم ؛ من ظهوركم على عدوّكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قَتْل إخوانكم ، حتى فرّجتُ ذلك الكربَ عنكم « وَاللهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ » . وكان الذى فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغمّ الذى أصابهم ، أن الله عزّ وجلّ ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيّهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا بين أظهرهم ، هانَ عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم ، والمُصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم ، حين صرَفَ الله القتلَ عن نبيّهم صلى الله عليه وسلم . « ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاسا يَغْشَى طائِفَةً مِنْكُمْ وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ باللهِ غيرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ ، يُخْفُونَ فى أَنْفُسِهِم ما لا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الأَمْرِ شَىْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فِى صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحِّصَ ما فِى قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » ، فأنزل الله النعاس أمنةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهلُ النِّفاق قد أهمّتهم أنفسهم ، يظنُّون بالله غير[1] الحقّ ظنّ الجاهليّة[2] ، تخوفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزّ وجلّ تَلاوُمَهم وحَسْرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ » لم تحضُروا هذا الموطنَ الذى أظهر الله فيه منكم ما أظْهر من سَرائركم « لَبَرَزَ » لأَخرجَ « الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ » إلى موطن غيره يُصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدورهم « وَلِيُمَحِّصَ ما فِى قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » : أى لا يَخْفَى عليه ما فى صُدُورهم ممَّا استخفوا به منكم .

(١) أى يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه .

(٢) أى أهل الجاهلية كأبى سفيان وأصحابه .

(تحذيرهم أن يكونوا ممن يحسون الموت فى الله) :

ثم قال : «يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وقالُوا لإخْوَانِهِمْ إذَا ضَرَبُوا فِي الأرْضِ أوْ كانُوا غُزًّى ، لَوْ كانُوا عِنْدَنا ماماتُوا وَما قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللهُ ذلكَ حَسْرَةً فِي قلُوبِهِمْ ، وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » : أى لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنْهَون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضَّرْب فى الأرض فى طاعة الله عزّ وجلّ ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا أوقُتلوا : لو أطاعونا ماماتوا وما قُتلوا « لِيَجْعَلَ اللهُ ذلكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ » لقلَّة اليقين بربهم ، « وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ » : أى يُعجِّل مايشاء ويؤخِّر مايشاء من ذلك من آجالهم بقُدرته .

قال تعالى : « وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ » : أى إن الموت لكائن لابدّ منه ، فموتٌ فى سبيل الله ، أو قتْل ، خير لو علموا وأيقنوا مما يَجْمعون من الدنيا التى لها يتأخَّرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زَهْرة الدنيا زهادةً فى الآخرة «وَلَئِنْ مُتُّمْ أوْ قُتِلْتُمْ » أىّ ذلك كان « لإلى اللهِ تُحْشَرُونَ » : أى أن إلى الله المرجع ، فلا تغرنّكم الدنيا ، ولا تغترّوا بها ، وليكن الجهادُ وما رغَّبكم الله فيه من ثوابه آثرَ عندكم منها .

(ذكره رحمة الرسول عليهم) :

ثم قال تبارك وتعالى : « فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لا نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » : أى لتركوك « فاعْفُ عَنْهُمْ » : أى فتجاوز عنهم « وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ ، فاذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللهِ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ » فذكر لنبيِّه صلى الله عليه وسلم لِينه لهم ، وصَبْره عليهم ، لضَعْفهم ، وقلَّة صَبْرهم على الغلْظة لو كانت منه عليهم فى كلّ ماخالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيِّهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : « فاعْفُ عَنْهُمْ » : أى تجاوز عنهم ، « وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ » ذنوبهم ، من قارف [1] من أهل الإيمان منهم « وَشاوِرْهُمْ فى الأمْرِ » : أى

(١) يقال : قارف الرجل الذنب : إذا دخل فيه ولابسه .

لـتَرِيهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنيا عنهم ، تألُّفا لهم بذلك على دينهم « فإذَا عَزَمْتَ » : أى على أمرٍ جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لايُصلحك ولا يُصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أُمرتَ به ، على خلاف من خالفك ، ومُوافقة من وافقك ، «وتوكَّلْ على الله » ، أى ارض به من العباد ، « إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ . إنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ ، وَإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ » : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفُض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لا على الناس ، فليتوكل المؤمنون .

(ما نزل فى الغلول) :

ثم قال : « وَما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَغُلَّ ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ » : أى ماكان لنبىّ أن يَكتُم الناسَ ما بعثه الله به إليهم ، عن رَهْبة من الناس ولا رغبة ، ومن يَفْعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يُجزى بكسبه ، غيرَ مَظْلوم ولا معتدًى عليه « أ فَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللهِ » على ما أحبَّ الناسُ أو سخطوا « كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ » لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتى ، فثوابه الجنة ورِضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان «مأواه جهنم وبئس المصير » أسواء المثلان ! فاعرفوا . « هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ ، وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ » لكلٍّ درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لايخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

(فضل الله على الناس ببعث الرسل) :

ثم قال : « لَقَدْ مَنَّ اللهُ على المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ ، وَإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ » : أى لقد منَّ الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتُم ، وفيما عملتم ، فيعلِّمكم الخير والشرَّ ، لتَعْرفوا الخير فتعملوا به ، والشرَّ فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ،

لتتخلَّصوا بذلك من نقمته، وتُدْركوا بذلك ثوابه من جنَّته «وَإنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لاتعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيِّئة ، صمّ عن الخير ، بُكْم عن الحقّ ، عُمْى عن الهدى :

(ذكره المصيبة التى أصابتهم) :

ثم ذكر المُصيبة التى أصابتهم ، فقال : «أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ : أَنَّى هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» : أى إن تك قد أصابتكم مُصيبة فى إخوانكم بذُنوبكم فقد أصبتُمْ مثليها قبلُ من عدوّكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم «إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» :أى إن الله على ما أراد بعباده من نقْمة أوعفْو قدير «وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ فَبِإذْنِ اللهِ ، وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ» : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نَصْرى ، وصدَقتكم وَعْدى ، ليميز بين المؤمنين والمُنافقين ، «وليعلم الذين نافقوا» منكم : أى ليظهر مافيهم . «وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا» : يعنى عبدالله بن أُبَيّ وأصحابَه الذين رَجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عدوّه من المُشركين بأحد، وقولهم : لونعلم أنكم تُقاتلون لسِرْنا معكم ، ولَدَفعْنا عنكم ، ولكنَّا لانظنّ أنه يكون قِتال . فأظهر منهم ماكانوا يُخفون فى أنفسهم . يقول الله عزّ وجلّ : «هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» أى يُظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم «وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» : أى ما يُخفون «الَّذِينَ قَالُوا لإخْوَانِهِمْ» الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : «لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ، قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» : أى أنه لابدّ من الموت ، فان استطعتم أن تدْفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ فى سبيل الله ، حرصًا على البقاء فى الدنيا ، وفرارًا من الموت .

(الترغيب في الجهاد) :

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يرغّب المؤمنين في الجهاد ، ويهوّن عليهم القتل : « وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ » : أي لاتظننّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا : أي قد أحييتهم ، فهم عندي يُرزقون في رَوْح الجنة وفَضْلها ، مَسْرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويَسْتبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خَلْفهم : أي ويُسَرون بلُحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مَضَوْا عليه من جهادهم ، ليَشْركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزَن . يقول الله تعالى : « يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ ، وأَنَّ اللهَ لايُضِيعُ أجْرَ المُؤْمِنِينَ » لما عايَنوا من وَفاء المَوْعود ، وعظيم الثواب .

(مصير قتلى أحد) :

قال ابن إسحاق : وحدثني إسماعيل بن أُميَّة ، عن أبي الزُّبير ، عن ابن عبّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمَّا أصيب إخوانكم بأُحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضْر ، تَرِد أنهارَ الجنَّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قَناديل من ذهب ، في ظلّ العرش ، فلما وجدوا طيبَ مَشْربهم ومأكلهم ، وحُسْن مَقيلهم ، قالوا : يا ليت إخوانَنا يعلمون ما صَنَع الله بنا ، لئلا يَزْهدوا في الجهاد ، ولا يَنْكُلوا [١] عن [٢] الحرب ؛ فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : ولا تحسبنّ ... » .

قال ابن إسحاق : وحدثني الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشُّهداء على بارق نهر بباب الجنَّة ، في قُبَّة خَضراء ، يخرج عليهم رزقُهم من الجنَّة بُكرة وعشيًّا

---

(١) لاينكلوا : أي لايرجعوا هائبين لعدوهم ، خائفين منه .

(٢) في م ، ر : « عند » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبدالله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات : « وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » فقال : أما إنّا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانُكم بأُحد جعل الله أرواحَهم فى أجْواف طير خضر ، تَرِد أنهار الجنّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظلّ العرش ، فيَطّلع الله عزّ وجلّ عليهم اطّلاعةً فيقول : ياعبادى ، ما تَشْتَهون فأزيدَكم ؟ قال : فيقولون ربّنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنّة ! نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطّلع الله عليهم اطلاعةً ، فيقول : ياعبادى ، ماتشتَهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعْطيتنا ، الجنة نأكلُ منها حيث شئنا ! قال : ثم يطّلع عليهم اطّلاعة ، فيقول: ياعبادى ، ما تشتَهون فأزيدكم ؟ فيقولون: ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نُحبّ أن تردّ أرواحَنا فى أجسادنا ، ثم نُرَدّ إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نُقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبَشِّرك يا جابر؟ قال : قلت : بلى يانبىّ الله ؛ قال : إنّ أباك حيث أُصيب بأُحد أحياه الله عزّ وجلّ ، ثم قال له : ما تحبّ يا عبدالله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال: أى ربّ ، أحبّ أن تردّنى إلى الدنيا فأُقاتل فيك ، فأُقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفْسى بيده ، ما من مؤمن يُفارق الدنيا يُحبّ أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فانه يحبّ أن يُردّ إلى الدنيا ، فيُقاتل فى سبيل الله ، فيُقتل مرةً أخرى .

---

(١) قال أبو ذر فى التعليق على هذه العبارة « يروى هنا بالخفض والرفع ، وبخفض الجنة على البدل من (ما) فى قوله (ما أعطيتنا) ورفعها على خبر مبتدأ مضمر ، تقديره : الجنة ، أو هى الجنة » .

(ذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد) :

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلّهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصابَهُمُ القَرْحُ » : أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أُحد إلى حمراء الأسد [١] على ما بهم من ألم الجراح : « لِلَّذِينَ أحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أجْرٌ عَظِيمٌ . الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إيمانا ، وَقالُوا حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ » ، والناس الذين قالوا لهم ماقالوا ، النّفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ؟ قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عزّ وجلّ : « فانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » لما صرف الله عنهم من لقاء عدوّهم ، إنما ذلكم الشيطان ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم « يُخَوِّفُ أوْلِياءَهُ » : أى يرهبكم بأوليائه ، « فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الكُفْرِ » : أى المنافقون « إنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللهُ ألاّ يَجعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عذاب عظيم . إنّ الَّذِين اشْتَرُوا الكُفْرَ بالإيمانِ لنْ يَضُرّوا اللهَ شيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ . وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّما نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ ، إنَّما نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْما وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . ما كانَ اللهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ على ما أنْتُمْ عَلَيْهِ حتى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » : أى المنافقين « وَما كانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ على الغَيْبِ » : أى فيما يُريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه « وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ » أى يعلمه ذلك « فَآمِنُوا باللهِ وَرُسُلِهِ ، وَإنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا » : أى ترجعوا وتتوبوا « فَلَكُمْ أجْرٌ عَظِيمٌ » .

---

(١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة ـ (انظر معجم ما استعجم للبكرى ، فى رسم حمراء الأسد ، ورسم النقيع) .

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

(من بنى هاشم) :

قال ابن إسحاق : واستُشهد من المُسلمين يوم أُحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قُريش ، ثم من بَنى هاشم بن عَبد مناف : حَمزةُ ابن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ؛ قتله وحْشىّ ، غلامُ جُبير بن مُطعِم .

(من بنى أمية) :

ومن بنى أُميَّة بن عبد شمس : عبدُ الله بن جَحْش ، حليف لهم من بنى أسد ابن خُزيمة .

(من بنى عبد الدار) :

ومن بنى عبد الدّار بن قُصىّ : مُصعب بن عُمير ، قتله ابنُ قَمِئة اللَّيْثىّ .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : شَمَّاس بن عُثمان . أربعة نفر .

(من الأنصار) :

ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن مُعاذ بن النُّعمان ، والحارث ابن أنس بن رافع ، وعُمارة بن زياد بن السَّكَن .

قال ابن هشام : السَّكَن : ابنُ رافع بن امرئ القيس ؛ ويقال : السكْن [١] .

قال ابن إسحاق : وسَلَمة بن ثابت بن وَقْش ، وعمرو بن ثابت بن وَقْش : رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتا قُتل يومئذ ، ورفاعة بن وَقْش . وحُسَيْل بن جابر ، أبو حُذيفة وهو اليَمان ، أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدّق حُذيفة بديته على مَنْ أصابه ؛ وصَيْفىّ

(١) ضبط فى بعض النسخ بفتح الكاف فى الأولى ، وبسكونها فى الثانية .

ابن قَيْظِي . وحَبَاب [1] بن قَيْظِي : وعَبَّاد بن سَهْل ، والحارث بن أوْس بن مُعاذ . اثنا عشر رجلا

(من راتج) :

ومن أهلِ راتج [2] : إياس بن أوْسِ بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زَعُوراء بن جُشم بن عبد الأشْهل ؛ وعُبيد بن التَّيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التَّيهان .

وحبيب بن يَزيد بن تَيم . ثلاثة نفر .

(من بنى ظفر) :

ومن بنى ظفر : يزيد بن خاطب بن أُمَيَّة بن رافع : رجل :

(من بنى ضبيعة) :

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضُبيعة بن زيد : أبوسفيان بن الحارث بن قيس بن زيد ، وحَنْظلة بن أبى عامر بن صيْفىّ بن نعمان بن مالك بن أمَة ، وهو غَسيل الملائكة ، قتله شدّاد بن الأسود بن شعوب الليْثى . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضُبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

(من بنى عبيد) :

قال ابن إسحاق : ومن بنى عُبيد بن زيد : أُنيس بن قتادة . رجل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبوحَيَّة [3] ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه .

قال ابن هشام : أبوحية : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جُبير بن النُّعمان ، وهوأمير الرماة . رجلان .

---

(١) قال أبو ذر : « وحباب بن قيظى ، وقع هنا بحاء مهملة مفتوحة وباء ، وجناب ، بالجيم المفتوحة وبالنون حكاه الدارقطنى عن ابن إسحاق . والمحفوظ بالحاء » .

(٢) راتج (بكسر التاء المثناة الفوقية والجيم) : أطم من آطام المدينة .

(٣) كذا فى جميع الأصول . قال أبو ذر : « أبو حنة ، وكذا روى هنا بالباء والنون معا والحاء المهملة ؛ وقال الدارقطنى : ابن إسحاق وأبو معشر يقولان فيه : أبو حية ، بالياء ؛ والواقدى يقوله بالنون » . ومن رواية أبى ذر يستفاد أنه كان فى الأصل كما روى هو بالباء أو بالنون . ولعل وقوعه بالباء ، كما فى الأصول ، تصحيف من النساخ .

(من بنى السلم) :

ومن بنى السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثمة أبو سعد بن خيثمة . رجل .

(من بنى العجلان) :

ومن حلفائهم من بنى العَجْلان : عبدُ الله بن سَلَمة [1] . رجل .

(من بنى معاوية) :

ومن بنى مُعاوية بن مالك : سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قَيس بن هَيْشة . رجل .

(من بنى النجار) :

قال ابن هشام : ويقال : سُويْبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النَّجَّار : ثم من بنى سَوَاد بن مالك بن غَنى : عمرو بن قَيْس ؛ وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابنُ زيد بن سواد .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ؛ وعامر بن مَخْلد . أربعة نفر .

(من بنى مبذول) :

ومن بنى مَبْذول : أبو هُبيرة بن الحارث بن عَلقمة بن عمرو بن ثَقْف بن مالك بن مَبْذول ؛ وعمرو بن مُطرِّف بن عَلْقمة بن عمرو . رجلان .

(من بنى عمرو) :

ومن بنى عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المُنذر . رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسَّان بن ثابت .

(من بنى عدى) :

قال ابن إسحاق : ومن بنى عَدِىّ بن النَّجَّار : أنس بن النَّضْر بن ضَمْضَم ابن زيد بن حَرام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النَّجَّار . رجل .

---

(١) يروى بفتح اللام وكسرها . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عمّ أنس بن مالك : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(من بنى مازن) :

ومن بنى مازن بن النّجّار : قَيس بن مُخلّد ؛ وكيسان ، عبد لهم . رجلان .

(من بنى دينار) :

ومن بنى دينار بن النّجار : سُليم بن الحارث ؛ ونعمان بن عبد عمرو . رجلان .

(من بنى الحارث) :

ومن بنى الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبى زُهير ؛ وسَعْد بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير ، دُفنا فى قبر واحد ؛ وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

(من بنى الأبجر) :

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرة : مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبيد [1] بن الأبجر ، وهو أبو أبى سعيد الخُدرىّ .

قال ابن هشام : اسم أبى سعيد الخدرىّ : سنان ؛ ويقال : سعد .

قال ابن إسحاق : وسَعيد بن سُوَيد بن قَيْس بن عامر بن عَبّاد بن الأبجر ؛ وعتبة ، بن ربيع ، بن رافع ؛ بن معاوية ، بن عبيد ، بن ثعلبة ، بن عبيد ، ابن الأبجر ثلاثة نفر .

(من بنى ساعدة) :

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثَعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ؛ وثَقْف بن فَرْوة بن البَدىّ . رجلان .

(من بنى طريف) :

ومن بنى طَرِيف ، رَهْط سعد بن عُبادة : عبدُ الله بن عمرو بن وَهب

---

(١) كذا فى ا : وفى سائر الأصول : « عبد » .

ابن ثعلبة بن وقْش بن ثَعْلبة بن طريف ؛ وضَمْرة ، حليف لهم من بنى جُهينة . رجلان :

(من بنى عوف) :

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : نوفل بن عبد الله ؛ وعبَّاس بن عُبادة بن نَضلة بن مالك ابن العَجْلان ؛ ونُعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن فهْر بن غَنْم بن سالم ؛ والمُجذَّر ابن ذِياد ، حليف لهم من بَلِىّ ؛ وعُبادة بن الحَسْحاس .

دُفن النُّعمان بن مالك ، والمُجذّر ، وعُبادة فى قبر واحد . خمسة نفر .

(من بنى الحبلى) :

ومن بنى الحُبلى : رِفاعة بن عَمْرو . رجل .

(من بنى سلمة) :

ومن بنى سَلَمة ، ثم من بنى حَرام : عبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثَعلبة بن حرام ؛ وعمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام ، دُفنا فى قبر واحد ؛ وخلَّاد بن عَمْرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام ؛ وأبو أيمن ، مولى عَمْرو بن الجَموح . أربعة نفر .

(من بنى سواد) :

ومن بنى سَواد بن غَنْم : سُليم بن عمرو بن حَديدة ؛ ومولاه عَنترة ؛ وسهل بن قَيس بن أبى كعب بن القَين . ثلاثة نفر .

(من بنى زريق) :

ومن بنى زُرَيق بن عامر : ذَكْوان بنُ عبد قَيْس ؛ وعُبيد بن المُعلَّى بن لَوْذان . رجلان .

قال ابن هشام : عُبيد بن المُعَلَّى ، من بنى حبيب .

(عدد الشهداء) :

قال ابن إسحاق : فجميع من استُشهد من المُسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المُهاجرين والأنصار . خمسة وستون رجلا .

(من بنى معاوية) :

قال ابن هشام : وممّن لم يذكر ابن إسحاق من السّبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بنى مُعاوية بن مالك : مالك بن نُمَيلة ، حليف لهم من مزينة .

(من بنى خطمة) :

ومن بنى خَطْمة – واسم خَطْمة : عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس – الحارث بن عَدِىّ بن خَرَشة بن أُميَّة بن عامر بن خَطْمة .

(من بنى الخزرج) :

ومن الخزرج ، ثم من بنى سَوَاد بن مالك : مالك بن إياس .

(من بنى عمرو) :

ومن بنى عمرو بن مالك بن النَّجار : إياس بن عدىّ .

(من بنى سالم) :

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

(من بنى عبد الدار) :

قال ابن إسحاق : وقُتل من المُشركين يوم أُحد من قُريش ، ثم من بنى عَبْد الدار بن قُصَىّ من أصحاب اللِّواء : طلحة بن أبى طَلْحة ، واسم أبى طلحة : عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عُثمان بن عبد الدار ، قتله علىّ بن أبى طالب ؛ (و)[1] أبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعدُ بن أبى وقَّاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طَلْحة ، قتله حمزة بن عبد المُطلب ؛ ومسافع ابن طلحة ، والجُلاس بن طلحة ، قَتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . وكلاب ابن طَلْحَة ؛ والحارث بن طَلْحة ، قَتلهما قُزْمان ، حليف لبنى ظَفَر

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلابا عبدُ الرحمن بن عوف .

---

(١) زيادة عن ا .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار قتله حمزة بن عبد المطلّب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان ؛ وصُؤاب : غلام له[١] حبشيّ ، قتله قُزْمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله عليّ بن أبي طالب ، ويقال : سعد بن أبي وقّاص ويقال : أبو دُجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان . أحد عشر رجلا .

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عبدُ الله بن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد . قتله عليّ بن أبي طالب . رجل .

(من بنى زهرة) :

ومن بنى زُهْرة بن كلاب : أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وَهْب الثَّقفى ، حليف لهم ، قتله على بن أبي طالب ؛ وسباع بنُ عبْد العُزّى — واسم عبد العُزّى : عَمْرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سليم بن مَلَكان بن أفْصى — حليف لهم من خُزاعة ، قتله حمزةُ بن عبد المطلب . رجلان .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مخزوم بن يقَظة ، هشام بن أبي أُميّة بن المُغيرة ، قتله قُزْمان ؛ والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزْمان : وأبو أُميّة بن أبي حُذيفة بن المغيرة ، قتله عليّ بن أبي طالب ؛ وخالد بن الأعْلم ، حليف لهم ، قتله قُزْمان . أربعة نفر :

(من بنى جمح) :

ومن بنى جُمَح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، وهو أبو عَزّة ، قتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَبْرًا ؛

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «لهم» .

وأُبَىّ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، قتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده . (رجلان) .

(من بنى عامر) :

ومن بنى عامر بن لؤىّ : عُبيدة بن جابر ؛ وشيبة بن مالك بن المضَرّب ، قتلهما قُزْمان (رجلان) .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عُبيدةَ بن جابر عبدُ الله بن مسعود .

(عدد قتلى المشركين) :

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين ، اثنان وعشرون رجلا .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

(شعر هبيرة) :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أُحد ، قولُ هُبيرة بن أبى وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم — قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم :

ما بالُ هَمٍّ عَميدٍ بات يَطْرُقنى ... بالوُدّ من هِنْدَ إذْ تَعْدو عَوَاديها[1]

باتَتْ تُعاتِبنى هنــدٌ وتَعْذُلنى ... والحربُ قد شُغِلَت عنى مواليها

مَهْلاً فلا تَعْذُلينى إنّ من خُلُقى ... ما قد عَلِمْتِ وما إن لستُ أُخْفِيها

مُساعِفٌ لبَنى كَعْبٍ بما كَلِفُوا ... حَمّالُ عِبْءٍ وأثْقالٌ أُعانِيها[2]

وقد حملتُ سلاحى فوق مُشْتَرَف ... ساطٍ سَبوحٍ إذا تَجْرِى يُباريها[3]

---

(١) العميد ، المؤلم الموجع . والعوادى : الشواغل .

(٢) مساعف : مطيع موات . وبما كلفوا : أى بما أولعوا به وأحبوه . والعبء : الحمل الثقيل ، فاستعاره هنا لما يكلفونه من الأمور الشاقة العظام .

(٣) مشترَف (بفتح الراء) أى فرس يستشرفه الناس ، أى ينظرون إليه لحسنه . (وبكسر الراء) أى مشرف . والساطى : البعيد الخطو إذا مشى . والسبوح : الذى يسبح فى جريه كأنه يعوم . ويباريها : يعارضها . وأعاد (الهاء) على الخيل ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لأن الكلام يدل عليها .

كأنّه إذْ جَرى عَــيْر بفَدْفَدة ... مُكَدَّمٌ لاحِقٌ بالعُون يَحْميها ١

من آل أعوجَ يرْتاح النَّدىّ له ... كجذْع شَعْراء مُسْتَعْلٍ مَرَاقيها ٢

أعْدَدْتُهُ ورِقاقَ الحَدّ مُنْتَخَلا ... ومارِنا لخُطُوبٍ قَدْ أُلاقيها ٣

هذا وبَيْضَاءَ مثل النِّهْى مُحْكَمة ... نيطت علىّ فمَا تَبْــدو مساويها ٤

سُقْنا كِنانة من أطراف ذى يَمَن ... عُرْضُ البِلاد على ما كان يُزْجيها ٥

قالت كِنانةُ : أنّى تَذْهبون بِنا ؟ ... قُلْنا: النُّخَيل ، فأمُّوها ومَنْ فيها ٦

نحن الفَوارس يوْمَ الجَرّ من أُحُد ... هابتْ مَعَــدٌ فقُلنا نحن نأتيها ٧

هابُوا ضِرابا وطَعْنا صادِقا خَذِما ... مِمّا يَرَوْن وقد ضُمَّت قَواصيــها ٨

ثُمّتَ رُحْنا كأنّا عارِضٌ بَرِدٌ ... وقام هامُ بَنِى النَّجّار يَبْكيها ٩

كأنّ هامَهُم عند الوَغَى فِلَقٌ ... من قَيْض رُبْدٍ نَفَتْهُ عن أداحيها ١٠

---

(١) العير : الحمار الوحشىّ . والفدفدة : الفلاة . والمكدم : المعضض ، عضته : أتته . والعون : جمع عانة من حمر الوحش .

(٢) أعوج : اسم فرس مشهور فى العرب . ويرتاح : يستبشر ويهتز . والندى : المجلس من القوم . والجذع : الفرع . وشعراء : نخلة كثيرة الأغصان . ومراقيها : معاليها .

(٣) رقاق الحد : يريد سيفا ومنتخلا : متخيرا . والمارن : الرمح اللين عند الهز . والخطوب : حوادث الدهر .

(٤) يريد « بالبيضاء » : الدرع . والنهى (بفتح النون وكسرها) : الغدير من الماء . ونيطت : علقت . وهى رواية أبى ذر . ورواية الأصول : « لظت » أى لصقت . ومساويها : عيوبها :

(٥) عرض البلاد : سعتها . ويزجيها : يسوقها .

(٦) يريد بالنخيل (كزبير) : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى اسم لعين قرب المدينة . وأموها : قصدوها .

(٧) الجر : أصل الجبل .

(٨) الخذم (بالخاء والذال المعجمتين) : الذى يقطع اللحم سريعا . وقواصيها : ما تفرق منها وبعد .

(٩) العارض : السحاب . والبرد : الذى فيه برد . والهام : جمع هامة ، وهى الطائر الذى تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل .

(١٠) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس . والوغى : الحرب . والفلق : جمع فلقة ، وهى القطعة من الشىء . والقيض : قشر البيض الأعلى . والربد : النعام ، لأن ألوانها بين البياض والسواد ، وهو اللون الأربد . والأداحى : جمع أدحى ، وهو الموضع الذى تبيض فيه النعام .

أوحَنْظَلَ ذَعْذَعَتْه الرِّيحُ فى غُصُن ... بالٍ تَعاوَرَه منها سَوافِيها [١]

قد نبذُلُ المَال سَحًّا لاحِسابَ له ... ونَطْعن الخَيل شَزْرًا فى مآقِيها [٢]

وليلةٍ يَصْطلى بالفرْث جازِرُها ... يَخْتصُّ بالنَّقَرى المُثْرِينَ داعِيها [٣]

وليلةٍ مِن جُمادَى ذاتِ أنْديةٍ ... جَرْبا جُماديَّةٍ قد بِتُّ أَسْريها [٤]

لا يَنْبح الكلبُ فيها غيرَ واحدة ... من القَريس ولا تَسْرى أفاعِيها [٥]

أوْقَدتُ فيها لذى الضَّرَّاء [٦] جاحمة [٧] ... كالبرق ذاكيةَ الأرْكان أحميها [٨]

أوْرَثَنى ذاكُم عَمْرٌو ووالدُه ... من قبله كان بالمَثْنى يُغاليها [٩]

كانوا يُبارون أنْواء النُّجوم فمَا ... دنَّتْ عن السَّوْرة العُليا مساعيها [١٠]

(شعر حسان فى الرد على هبيرة) :

قال ابن إسحاق : فأجابه حَسَّان بن ثابت ، فقال :

---

(١) ذعذعته : حركته . وتعاوره : تتداوله . والسوافى : الرياح التى تقلع التراب والرمل من الأرض .

(٢) سحا : صبا ؛ يريد أنه عطاء كثير . والشزر : الطعن عن يمين وشمال . والمآقى : مجارى الدموع من العين . والمآقى (أيضا) : المقدمات . وكلا المعنيين يستقيم به الكلام .

(٣) يصطلى : يستدفىء من شدة البرد . والنقرى : أن تدعو قوما دون قوم؛ يقال : هو يدعو الجفلى : إذا عم ، وهو يدعو النقرى إذا خص . والمثرين : الأغنياء .

(٤) الأندية : جمع ندى (على غير قياس) وقد قيل : إنه جمع الجمع ، كأنه جمع ندى على نداء (مثل جمل وجمال) ثم جمع الجمع على أفعلة ، وهذا بعيد فى القياس ، لأن الجمع الكثير لا يجمع ، وفعال من أبنية الجمع الكثير . وقد قيل هو جمع ندى ، والندى : المجلس . وهذا لا يشبه معنى البيت ، ولكنه جمع جاء على أمثال أفعلة ، لأنه فى معنى الأهوية والأشتية، ونحوذلك . وأقرب من ذلك أنه فى معنى الرذاذ والرشاش، وهما يجمعان على أفعلة . (راجع الروض الأنف) . وجربا : شديدة البرد مؤلمة أو قحطة لامطر فيها ، ويريد بجمادية نسبة إلى شهر جمادى . وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر فى زمن جمود الماء، ثم انتقل بالأهلة، وبقى الاسم عليه وإن كان فى الصيف والقيظ . وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ، ثم لزمتها وإن خرجت عن تلك الأوقات . (راجع الروض) .

(٥) القريس : البرد مع الصقيع .

(٦) لذى الضراء ، أى لذى الحاجة والعوز .

(٧) كذا فى ا ، ط . والجاحمة : الملتهبة . وفى سائر الأصول : « حامية » .

(٨) ذاكية : مضيئة .

(٩) بالمثنى ، أى مرة بعد مرة .

(١٠) يبارون : يعارضون . ودنت : قصرت . والسورة : الرفعة والمنزلة . والمساعى : ما يسعى فيه من المكارم .

سقْتُمْ كِنانة جهْلا من سَفاهتكم إلى الرَّسول فجُنْدُ الله مُخْزِيها
أوْرَدْتُموها حِياضَ الموْت ضاحيةً فالنَّارُ موْعِدها ، والقتْل لاقِيها[1]
جمَّعتُموها أحابيشًا بلا حَسَبٍ أئمَّةَ الكُفْر غرَّتْكم طواغيها[2]
ألا اعتَبرتم بخَيْل الله إذْ قتَلَتْ أهلَ القَليب ومَنْ ألْقَيْنه فيها[3]
كم من أسيرٍ فكَكْناه بلا ثَمَنٍ وجَزِّ ناصيةٍ كُنَّا موَاليها[4]

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارىّ لكَعب بن مالك :

قال ابن هشام : وبيتُ هُبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه :

ولَيْلةٍ يَصْطَلى بالفرْث جازرُها يَخْتَصُّ بالنَّقَرَى المُثْرِين داعيها

يروى لجَنوب ، أخت عمرو ذى الكَلْب الهُذلىّ ، فى أبيات لها فى غير يوم أُحد .

(شعر كعب فى الرد على هبيرة) :

قال ابن إسحاق : وقال كعبُ بن مالك يُجيب هُبيرة بن أبى وهب أيضًا :

ألا هل أتى غَسَّانَ عنَّا ودُونهم مِنَ الأرْض خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِعُ[5]
صَحارٍ وأعْلامٌ كأنَّ قَتامَها من البُعْد نَقْعٌ هامِدٌ مُتَقَطِّعُ[6]
تَظَلُّ به البُزل العَرامِيس رُزَّحا ويَخْلو به غَيْثُ السِّنين فيُمْرِعُ[7]
به جِيَفُ الحَسرَى يَلُوح صَليبُها كما لاح كَتَّانُ التِّجار المُوَضَّعُ[8]
به العِينُ والآرامُ يَمْشين خِلْفةً وبَيْضُ نَعام قَيْضُه يَتَقَلَّعُ[9]

---

(١) الحياض : جمع حوض . والضاحية : البارزة للشمس .

(٢) الحسب : الشرف ، والطواغى : جمع طاغية ، وهو المتكبر المتمرد .

(٣) يعنى « بأهل القليب » : من قتل ببدر من المشركين .

(٤) مواليها : أهل النعمة عليها .

(٥) الخرق : الفلاة الواسعة ، التى تنخرق فيها الريح . ومتنعنع ، أى مضطرب ؛ ورروى « متتعتع » بالتاء أى متردد .

(٦) الأعلام : الجبال المرتفعة . والقتام : ما مال لونه إلى السواد . والنقع : الغبار . والهامد : الملبد الساكن .

(٧) البزل : الإبل القوية ؛ واحدها : بازل . والعراميس : الشديدة ، والرزح : المعيية .

(٨) الصليب : الودك . والموضع : المبسوط المنقوش .

(٩) العين : بقر الوحش . والآرام : البيض البطون السمر الظهور . وخلفة : أى يمشين قطعة خلف قطعة . والقيض : قشر البيض الأعلى . ويتقلع : يتشقق .

مُجالدنا [١] عَنْ دِيننا كلّ فَخْمة ... مُذَرَّبة فيها القَوانِسُ تَلْمَع [٢]
وكلِّ صَمُوت فى الصِّوان كأنَّها ... إذا لُبِسَت نَهْىٌ مِن الماء مُتْرَع [٣]
ولكن ببَدْر سائلُوا مَن لقيتُمُ ... مِن النّاس والأنباء بالغيب تَنْفع
وإنّا بأرض الخَوْف لو كان أهلها ... سوانا لقد أجلَوا بليْل فأقْشَعُوا [٤]
إذا جاء منّا راكبٌ كان قولُه ... أعدّوا لما يُزْجِي ابنُ حرب ويَجْمَع [٥]
فمَهْما يُهِمّ النّاسَ مما يَكيدُنا ... فنحنُ لهُ مِن سائر النّاس أوْسَع
فلو غيرُنا كانت جميعا تَكيدُه الْـ ... بَرِيَّة قد أعطَوْا يدًا وتوزّعوا [٦]
نُجالِد لا تَبْقَى علَيْنا قَبيلةٌ ... من النّاس إلا أنْ يهابوا ويَفْظَعوا [٧]
ولمّا ابْتَنَوْا بالعرْض قال سَراتُنا ... علامَ إذا لم تمْنَع العِرْضَ نَزْرَع؟ [٨]
وفينا رسولُ الله نَتْبع أمْره ... إذا قال فينا القَوْل لا نتطلّع [٩]
تَدَلَّى عليه الرُّوحُ من عند ربّه ... يُنَزَّل مِن جوّ السَّماء ويُرْفَع [١٠]
نُشاوِره فيما نُريد وقَصْرُنا ... إذا ما اشتهى أنّا نُطيع ونَسْمَع [١١]
وقال رسولُ الله لما بَدَوْا لَنا ... ذَرُوا عنكم هَوْل المنيّات واطْمعوا
وكُونوا كمَنْ يَشْرِى الحياةَ تَقَرُّبا ... إلى مَلِك يُحْيا لَدَيه ويُرْجَع [١٢]

---

(١) فى ا « مجادلنا ».

(٢) الفخمة : الكتيبة العظيمة . والمدربة : المتعودة القتال الماهرة فيه . وهى رواية ا . وتروى « مذربة » بالذال المعجمة ، أى محددة ، وهى رواية سائر الأصول . والقوانس : رءوس بيض السلاح .

(٣) الصموت : الدرع أحكم نسجها وتقارب حلقها فلا يسمع لها صوت . والصوان : كل ما يصان فيه الشىء ، درعا كان أو ثوبا أو غيرهما . والنهى : الغدير . ومترع : مملوء .

(٤) أقشعوا : فروا وزالوا .

(٥) يزجى : يسوق .

(٦) كذا فى أكثر الأصول ، وشرح السيرة . وتوزعوا تقسموا . وفى : ا « تورعوا » . وتورعوا : ذلوا

(٧) يفظعوا : يهابوا ويفزعوا .

(٨) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم . والعرض : واحد أعراض المدينة ، وهى قراها التى فى أوديتها . وسراتنا : خيارنا .

(٩) لا نتطلع : لا ننظر إليه إجلالا وهيبة له . وهى رواية ا ، ويروى : « لا نتظلع » أى لا نميل عنه . وهى رواية سائر الأصول .

(١٠) الروح : جبريل عليه السلام .

(١١) قصرنا : غايتنا .

(١٢) يشرى : يبيع .

ولكن خُـــذُوا أسْيافَكم وتوكَّلوا … على الله إنّ الأمْرَ لله أجمَعُ

فسِرْنا إليهم جَهْرَةً فى رِحالهِم … ضُحَيًّا علَيْنا البِيضُ لا نتخشَّعُ [1]

بِمَلْمُومَةٍ فيها السَّــنَوَّرُ والقَنا … إذا ضَربوا أقْدامَها لا تَوَرَّعُ [2]

فجِئْنا إلى مَوْجٍ من البحرِ وَسْطَه … أحابيشُ منهـــم حاسرٌ ومُقَنَّعُ [3]

ثلاثة آلاف ونحنُ نَصِيَّـــةٌ … ثلاث مئـــينٍ إن كَثُرْنا وأربعُ [4]

نُغاورهم تجْرِى المنيَّـــة بيننا … نُشارعهم حوضَ المَنايا ونَشْرع [5]

تَهادَى قِسِيُّ النَّبْع فينا وفيهِــمُ … وما هو إلا اليَـــثْربىّ المُقَطَّع [6]

ومَنْجوفَةٌ حِرِميَّـــة صاعديَّة … يُذَرّ علَيها السَّمّ ساعــةَ تُصْنَع [7]

تَصُوبُ بأبدان الرِّجال وتارةً … تَمُــرّ بأعراضِ البِصار تَقَعْقَع [8]

وخَيْـــلٌ تَراها بالفَضاء كأنها … جَرَاد صَــبًا فى قَرَّةٍ يَتَرَيَّع [9]

فلمَّا تَلاقَيْنا ودارتْ بنا الرَّحى … وليس لأمْرٍ حَمَّـــه الله مَـــدْفع [10]

ضَرَبْناهمُ حتى تركْنا سَرَاتَهم … كأنهمُ بالقاعِ خُشْبٌ مُصَرَّع [11]

لَدُن غُلوةً حتى استَفَقْنا عشِـــيَّةً … كأنّ ذَكانا حَرُّ نار تَلَفَّع [12]

---

(١) البيض : السيوف .

(٢) الململومة : الكتيبة المجتمعة . والسنور : السلاح . ولا تورع : لاتكف . ويروى : « لا توزع » : أى لا تتفرق .

(٣) الحاسر : الذى لا درع عليه ولا مغفر . والمقنع : الذى لبس المغفر على رأسه وهو القناع .

(٤) النصية : الخيار من القوم .

(٥) نغاورهم : نداولهم . ونشارعهم : نشاربهم . ونشرع : نشرب .

(٦) النبع : شجر تصنع منه القسى . واليثربى : الأوتار ، نسبة إلى يثرب .

(٧) المنجوفة : السهام . والحرمية : نسبة إلى أهل الحرم ؛ يقال : رجل حرمى ، إذا كان من أهل الحرم . والصاعدية : نسبة إلى صاعد ، صانع معروف .

(٨) تصوب : تقع . والبصار : حجارة لينة ، وتقعقع : تصوت .

(٩) الصبا : ريح شرقية . والقرة : البرد . ويتريع : يجىء ويذهب .

(١٠) رحى الحرب : معظم موضع القتال فيها . حمه الله : قدره .

(١١) سراتهم : خيارهم . والقاع : المنخفض من الأرض .

(١٢) ذكانا ، أى التهابنا فى الحرب . وتلفع . يشتمل حرها على من دنا منها .

وراحوا سِراعا مُوجِفِـين كأنهم جَهامٌ هراقت ماءَه الريحُ مُقْلِع[١]

ورُحنا وأُخْــرَانا بِطاءٌ كأنَّنا أُسُــودٌ على لحم ببيشة ظُلَّع[٢]

فنِلْنا ونال القومُ منَّا وربما فَعلْنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارتْ رَحانا واستدارت رَحاهمُ وقد جعُلوا كُلٌّ من الشَّر يَشْبَع

ونحن أُناس لانرى القَتْل سُبَّةً على كُل مَنْ يَحْمِى الذِّمارَ ويمْنَع[٣]

جِلادٌ على رَيْب الحوَادِث لانرَى على هالكٍ عَيْنا لنا الدَّهْرَ تَدْمَع[٤]

بنو الحَرْبِ لانَعْيا[٥] بشيءٍ نَقُوله ولا نحن مما جرَّت الحربُ نجْزَع

بنوالحَرْبِ إنْ نَظْفَرْ فلَسْنا بفُحَّش ولا نَحْنُ مِن أظْفارها نَتوجَّع

وكُنَّا شِهابا يتَّقى النَّاسُ حرَّه ويَفْرُجُ عنــه من يَليه ويَسْفَع[٦]

فخَرْتَ عليَّ ابنَ الزِّبعرى وقد سرى لكم طَلَبٌ مِن آخر اللَّيل مُتْبِـع

فسَلْ عنك فى عُلْيا مَعدٍّ وغيرِها منَ الناس مَنْ أخْزَى مقاما وأشْنَع

ومَنْ هو لم تَتْرك له الحربُ مَفْخرًا ومن خدُّه يومَ الكريهة أضْرَع[٧]

شَدَدْنا بِحَوْلِ اللهِ والنَّصْرِ شَدَّةً عليكم وأطرافُ الأسِـنَّةِ سُرَّع

تَكُرُّ القَنا فيكُمْ كأنَّ فُروعها عَزَالى مَزَادٍ ماؤُها يَتَهَــزَّع[٨]

عَمَدْنا إلى أهلِ اللِّواء ومن يَطِرْ بذِكْرِ اللِّواء فهو فى الحَمد أسْرَع

فخانوا وقد أعْطَوْا يَدًا وتخاذَلُوا أبى اللهُ إلاَّ أمْرَه وهو أصْــنع

---

(١) موجفين ، مسرعين . والجهام : السحاب الرقيق الذى ليس فيه ماء .

(٢) بيشة : موضع تنسب إليه الأسود .

(٣) الذمار : ما يجب على الرجل أن يحميه .

(٤) جلاد : جمع جليد ، وهو الصبور .

(٥) فى ا : « لا نعنى » .

(٦) الشهاب : القطعة من النار . ويسفع : يحرق ويغير . وفى ا : « يشفع » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٧) أضرع : ذليل .

(٨) الفروع : الطعنات المتسعة . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل بالعين المهملة . وهو تصحيف . وعزالى : جمع عزلاء ، وهى فم المزادة ، ويتهزع : يتقطع . ويروى « يتهرع » أى يتفرغ ويسرع سيلانه .

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مُجالدُنا عن جِذْمنا [١] كلَّ فخمة

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيصلُح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ؛ فقال كعب : مجالدنا عن ديننا .

(شعر لابن الزبعرى) :

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أُحد :

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ فقُلْ ... إنما تَنْطِقُ شيئا قد فُعِلْ

إنَّ للخَيْرِ وللشَّرِّ مَدًى ... وكِلا ذلكَ وَجْهٌ وقَبَلْ [٢]

والعَطِيَّاتُ خِساسٌ بينهم ... وسَواءٌ قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِلْ [٣]

كلُّ عَيْشٍ ونَعيمٍ زائلٌ ... وبناتُ الدَّهر يَلْعَبْنَ بِكُلْ [٤]

أبْلِغَنْ حَسَّانَ عَنِّى آيَةً ... فقَرِيضُ الشِّعْر يَشْفِى ذا الغُلَلْ [٥]

كم تَرَى بالجَرِّ من جُمْجُمَةٍ ... وأكُفٍّ قد أُتِرَّتْ ورِجِلْ [٦]

وسَرَابِيلَ حِسانٍ سُرِيَتْ ... عن كُماةٍ أُهْلِكوا فى المُنْتَزَلْ [٧]

كم قَتَلْنا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ ... ماجِدِ الجَدَّيْنِ مِقْدامٍ بَطَلْ

صادِقِ النَّجْدةِ قَرْمٍ بارعٍ ... غيرِ مُلْتاثٍ لَدَى وَقْعِ الأسَلْ [٨]

فَسَلِ المِهْرَاسَ مَنْ ساكِنُه ؟ ... بين أقْحافٍ وهامٍ كالحَجَلْ [٩]

---

(١) الجذم : الأصل .

(٢) المدى : الغاية . والقبل : المواجهة والمقابلة . يريد أن كل ذلك ملاقيه الانسان فى مستقبل أيامه .

(٣) خساس : حقيرة . والمثرى : الغنى . والمقل : الفقير .

(٤) بنات الدهر : حوادثه .

(٥) الآية : العلامة . والغلل : جمع غلة ، وهى حرارة العطش .

(٦) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت . والرجل : الأرجل .

(٧) السرابيل : الدروع . وسريت : جردت . والكماة : الشجعان . والمنتزل : موضع الحرب والنزال .

(٨) النجدة : القوة والشجاعة . والقرم : الفحل الكريم . والبارع : المبرز على غيره . والملتاث : الضعيف . والأسل : الرماح .

(٩) الأقحاف . جمع قحف . والهام : الرءوس .

لَيْتَ أشْياخى ببدْرٍ شَهِدُوا … جزَعَ الخزْرجِ منْ وَقْعِ الأسل

حين حكّتْ بقُباءٍ بَرْكَها … واستحرّ القتْلُ فى عبد الأشل[١]

ثمّ خفُّوا عند ذاكم رُقّصًا … رقَصَ الحفّانِ يعلو فى الجبَل[٢]

فقتلْنا الضِّعْفَ منْ أشْرافهمْ … وعدَلْنا مَيْلَ بدْرٍ فاعتدَل

لا ألُومُ النّفْسَ إلا أنّنا … لو كرَرْنا لفعلْنا المُفْتعَل

بسُيوفِ الهنْدِ تعْلو هامَهم … عَلَلاً تعْلُوهم بعد نَهَل[٣]

(رد حسان على ابن الزبعرى):

فأجابه حسّان بن ثابت الأنصاريّ رضى الله عنه ، قال :

ذهبَتْ يابن الزِّبَعْرَى وقْعةٌ … كان منّا الفضْلُ فيها لوْ عدَلْ

ولقد نِلْتُمْ ونِلْنا منْكمُ … وكذاكَ الحربُ أحيانا دُوَل

نضَعُ الأسيافَ فى أكْتافكم … حيثُ نهْوى علَلاً بعد نَهَل[٤]

نُخْرِجُ الأضياحَ[٥] من أستاهكم … كسُلاحِ النِّيبِ يأكُلْنَ العصَل[٦]

إذْ تُوَلّونَ على أعقابكمْ … هرَبًا فى الشِّعْبِ أشْباهَ الرَّسَل[٧]

إذْ شدَدْنا شدّةً صادقةً … فأجأناكم إلى سفْحِ الجبَل[٨]

بخَناطيلَ[٩] كأشْداف[١٠] المَلا … مَنْ يُلاقوه منَ النّاس يُهَلْ[١١]

---

(١) البرك : الصدر . وبنو عبد الأشل : يريد بنى عبد الأشهل ، فحذف الهاء .

(٢) الرقص : مشى سريع . والحفان : صغار النعام .

(٣) العلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول . يريد الضرب بعد الضرب .

(٤) فى شرح السيرة : « الخطى » فى موضع الأسياف . والخطى : الرماح ، نسبة إلى الخط ، وهو موضع .

(٥) كذا فى شرح السيرة . والأضياح : جمع ضيح ، وهو اللبن المخلوط بالماء . وفى الأصول « الأصبح » .

(٦) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة . والعصل : نبات تأكله الإبل فيخرج منها أحمر .

(٧) الرسل : الإبل المرسلة بعضها فى إثر بعض .

(٨) فأجأناكم : أى ألجأناكم .

(٩) الخناطيل : الجماعات من كل شىء .

(١٠) كذا فى ا . قال أبو ذر . ويروى : « كأمذاق » . والأمذاق : الأخلاط من الناس . غير أن كتب اللغة لم تجمع شدفا على أشداف ، وإنما جمعته على شدوف ، وفى سائر الأصول : « كأشداق » بالقاف ، وهو تحريف . ويروى : « كجنان الملا » والجنان : الجن .

(١١) الملا : المتسع من الأرض . ويهل : يرتاع ، من الهول ، وهو الفزع .

لهاقَ عنّا الشّعْبُ إذ نجزَعُه وملأْنا الفرْطَ منه والرّجَل[١]

برجال لستُمُ أمثالَهُمْ أُيِّدُوا جبْريلَ نصْرًا فنَزَل[٢]

وعَلَوْنا يومَ بَدْرٍ بالتُّقَى طاعةَ الله وتصْديقِ الرُّسُل

وقتَلْنا كُلَّ جَحْجاحٍ رِفَل[٣] وقتَلْنا كُلَّ رأسٍ منْهُمُ

وتركْنا فى قُرَيْشٍ عَوْرَةً يومَ بَدْرٍ وأحاديثَ المَثَل

ورسُولُ اللهِ حقًّا شاهِدٌ يَوْمَ بَدْرٍ والتّنابيلُ الهُبُل[٤]

فى قُرَيْشٍ من جموعٍ جَمَّعُوا مثلَ ما يُجْمَعُ فى الخِصْبِ الهَمَل[٥]

نحن لا أمثالُكُمْ وُلْدَ اسْتِها نحْضُرُ النّاسَ إذا البأسُ نزَل[٦]

قال ابن هشام : وأنشدنى أبوزيد الأنصارىُّ : « وأحاديث المثل » والبيت الذى قبله . وقوله : « فى قريش من جموع جَمَّعوا » عن غير ابن إسحاق .

(شعر كعب فى بكاء حمزة وقتلى أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حَمْزةَ بن عبد المطّلب وقَتْلَى أُحُد من المسلمين .

نَشجْتَ وهل لك من مَنْشَجٍ وكنتَ متى تذّكرْ تَلْجَج[٧]

تذَكُّرَ قومٍ أتانى لهم أحاديثُ فى الزّمَنِ الأعْوَج

فقلْبُكَ من ذِكْرِهم خافِقٌ من الشّوْقِ والحَزَنِ المُنْضِج

وقتْلاهم فى جِنانِ النّعيم كِرامُ المَداخِلِ والمَخْرَج

---

(١) نجزعه : نقطعه عرضا . والفرط : ماعلا من الأرض . والرجل : جمع رجلة ، وهو المطمئن من الأرض .

(٢) قال أبو ذر : « أيدوا جبريل » أراد أيدوا بجبريل ، فحذف حرف الجر ، وعدى الفعل .

(٣) الجحجاح : السيد . والرفل : الذى يجر ثوبه خيلاء .

(٤) التنابيل القصار : اللئام ، ويروى : القنابل . يريد الخيل ؛ الواحدة قنبلة . وهى القطعة من الخيل . والهبل ، قال أبوذر : من رواه بضم الهاء والباء ، فمعناه الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم ، ومنه يقال : رجل مهبل : إذا كثر لحمه . ومن رواه بفتح الهاء والباء ، أو بضم الهاء وفتح الباء ، فهو من الثكل ؛ يقال : هبلته أمه : إذا ثكلته .

(٥) الهمل : الإبل المهملة ، وهى التى ترسل فى المرعى دون راع .

(٦) ولد : جمع ولد .

(٧) نشجت : بكيت ، وتلجج ، من اللجج ، وهو الإقامة على الشىء والتمادى فيه .

بمَا صَبَرُوا تحت ظلّ اللّواء لواء الرَّسُول بذى الأضْوُج[1]
غداة أجابَتْ بأسْيافها جميعا بَنو الأوْس والخَزْرج
وأشْياعُ أحمدَ إذْ شايَعوا على الحَقّ ذى النُّور والمَنْهَج[2]
فمَا بَرِحُوا يَضْرِبون الكُماة ويَمْضون فى القَسْطَل المُرهَج[3]
كذلكَ حتى دَعاهُمْ مَليك إلى جنَّة دَوْحَةِ المَوْلج[4]
فكُلُّهُم ماتَ حُرَّ البَلاء على ملَّة الله لم يَخْرج[5]
كحَمْزَةَ لمَّا وَفى صادقا بذى هَبَّة صارِم سَلجَج[6]
فلاقاه عَبدُ بَنى نَوْفَل يُبَرْبِرُ كالجَمَل الأدْعَج[7]
فأوْجَره حَرْبَةً كالشِّهاب تَلَهَّبُ فى اللَّهَب المُوهَج[8]
ونُعْمان أوْفَى بميثاقه وحَنظلة الخَيْر لم يُحْنج[9]
عن الحقّ حتى غَدت رُوحه إلى مَنْزِل فاخِرِ الزِّبْرج[10]
أُولئك لا مَنْ ثَوَى منكُمُ من النَّار فى الدَّرْك المُرْتج[11]

(شعر ضرار فى الرد على كعب) :

فأجابه ضرار بن الخطَّاب الفِهْرِيّ ، فقال :

أيَجزع كَعْبٌ لأشْياعه ويَبْكى منَ الزَّمَن الأعْوَج[12]

---

(١) الأضوج (بضم الواو) : جمع ضوج ، وهو جانب الوادى . والأضوج (بفتح الواو) : اسم مكان .

(٢) شايعوا : تابعوا . والمنهج : الطريق الواضح .

(٣) الكماة : الشجعان . والقسطل : الغبار . والمرهج : الذى علا فى الجو .

(٤) الدوحة : الشجرة الكثيرة الأغصان . والمولج : المدخل .

(٥) حر البلاء : خالص الاختبار .

(٦) بذى هبة : يعنى سيفا ، وهبة السيف : وقوعه بالعظم . والصارم : القاطع . وسلجج : مرهف .

(٧) عبد بنى نوفل : هو وحشى قاتل حمزة . ويبربر : يصيح . والجمل الأدعج : الأسود .

(٨) أوجره : طعنه فى صدره . والشهاب : القطعة من النار . والموهج : الموقد .

(٩) لم يحنج : لم يصرف عن وجهه الذى أراده من الحق .

(١٠) الزبرج : الوشى .

(١١) الدرك : ما كان إلى أسفل . والدرج : ما كان إلى فوق .

(١٢) الأشياع : الأتباع .

عَجيجَ المُذَكّى رأى إلفــه ... تَروّح في صادر مُخْنَج
فراحَ الرَّوايا وغادَرْنَهُ ... يُعَجْعِج قَسْرًا ولم يُحْــدَجِ[٢]
فقُولا لكَعْبٍ يُشَــتّى البُكا ... وللنِيء من لحمــه يَنْضَج
لمصْرع إخــوانه في مَكَرٍّ ... من الخَيْل ذى قَسْطل مُرْهَجِ[٣]
فياليت عَمْرًا وأشْــياعَه ... وعُتْبــة فى جَمْعنا السَّــوْرج[٤]
فيَشْــفُوا النُّفوس بأوْتارها ... بقَتْلَى أُصيبتْ من الخَزْرج[٥]
وقَتْلَى من الأوْس فىمَعْرَك ... أُصيبوا جميعا بذى الأضْوُج[٦]
ومَقْتَــل حمزة تحتَ اللِّواء ... بِمُطَّــرِدٍ ، مارنٍ ، مُخْلَجِ[٧]
وحيثُ انثَــنَى مُصْعَب ثاويا ... بضَرْبة ذى هَبَّــة سَلْجَجِ[٨]
بأُحُــدٍ وأسْــيافُنا فيهمُ ... تَلَهَّبُ كاللَّهَب المُوَهَّــجِ
غَــداة لَقيناكُمُ فى الحَــديدِ ... كأُسْــد البَراح[٩] فلم تُعْنَــج[١٠]
بكُلِّ مجَلَّحَــة كالعُقاب ... وأجْرد ذى مَيْعَــة مُسْرَج[١١]
فَدُسْناهمُ ثَمَّ حتى انثَنَوْا ... سوَى زاهق النَّفْس أو مُحْرج[١٢]

(١) العجيج : الصياح . والمذكى (هنا) : المسن من الإبل ، وأكثر ما يقال فى الخيل .
والصادر : الجماعة الصادرة عن الماء . ومخنج : ، أى مصروف عن وجهه .

(٢) الروايا : الإبل التى تحمل الماء . وغادرنه : تركنه . ويعجعج : يصوت ، وقسرا قهرا . ولم يحدج : لم يجعل عليه الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء .

(٣) القسطل : الغبار . والمرهج : المرتفع .

(٤) السورج : المتقد .

(٥) الأوتار : جمع وتر ، وهو طلب الثأر .

(٦) المعرك : موضع الحرب .

(٧) المطرد : الذى يهتز ، ويعنى به رمحا . والمارن : اللين . والمخلج : الذى يطعن بسرعة

(٨) الذى يطعن بسرعة .

(٩) كذا فى أكثر الأصول . والبراح : المتسع من الأرض . وفى ا : « البراج » بالجيم ، وهو تصحيف .

(١٠) لم تعنج : لم تكف ولم تصرف .

(١١) المجلحة : الماضية المتقدمة . ويعنى بها فرسا ؛ ومن رواه : « محجلة » فهو من التحجيل فى الخيل .
والأجرد : الفرس العتيق . والميعة : النشاط .

(١٢) دسناهم : وطئناهم . والمحرج : المضيق عليه .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضِرار . وقولُ كعب : « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى .

(شعر ابن الزبعرى فى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أُحُد ، يبكى القَتلى[1] :

ألا ذَرَفَت مِن مُقْلَتَيك دُموعُ وقد بانَ من حَبْلِ الشَّباب قُطوعُ[2]

وشَطَّ بمَن تَهْوَى المَزارُ وفرَّقت نوَى الحىِّ دارٌ بالحَبيب فَجُوع[3]

وليْس لما وَلّى على ذِى حَرارَة وإن طالَ تَذْرافُ الدموع رُجوع

فذَرْ ذا[4] ولكن هل أتى أمَّ مالك أحاديثُ قَومى والحديثُ يَشيع

ومُجْنَبنا جُرْدًا إلى أهْل يَثْرب عَناجيجَ مِنها مُتْلَد ونَزيع[5]

عَشيَّةَ سِرْنا فى لُهام[6] يَقُودنا[7] ضَرُورُ الأعادِى للصَّديق نَفُوعُ

نَشُدُّ علَيْنا كلَّ زَغْف كأنها غَدِيرٌ بضَوْج الوادِيَين نَقيع[8]

فلمَّا رأوْنا خالَطَتْهُم مَهابَةٌ وعايَنَهُم أمْرٌ هُناك فَظيع

ووَدُّوا لو ان الأرض يَنْشق ظَهْرُها بهم وصَبور القوم ثَمَّ جَزوع

وقد عُرِّيت بِيضٌ كأنَّ وَمِيضَها حَريق تَرَقَّى فى الأباء سَريع[9]

بأيمانِنا نَعْلو بها كلَّ هامة ومنها سِمام للعدوّ ذَريع[10]

---

(١) هذه العبارة « يبكى القتلى » ساقطة فى ا .

(٢) ذرفت : سالت .

(٣) شط : بعد . والنوى : البعد والفرقة .

(٤) فى ا : « فذرنا » .

(٥) مجنبنا : أى قودنا ؛ يقال : جنبت الخيل : إذا قدتها ولم تركبها . والعناجيج : الطوال الحسان . والمتلد : الذى ولد عندك . والنزيع : الغريب .

(٦) اللهام : الجيش الكثير .

(٧) فى ا : « يقودها » .

(٨) الزغف : الدروع اللينة ، والضوج : جانب الوادى ، ونقيع : مملوء بالماء .

(٩) الوميض : الضوء . والأباء : الأجمة الملتفة الأغصان .

(١٠) الذريع ، الذى يقتل سريعا .

فغادَرْنَ قَتْلى الأوْس غاصبةً بهم[١] ضِباعٌ وطَــيْر يَعتَفين وَقَوع[٢]
وجَمْع بنى النَّجَّار فى كلِّ تَلْعــة بأبدانهم مِنْ وَقْعِهِنَّ نَجيع[٣]
ولولا علُوّ الشِّعْب غادَرْنَ أحمدًا ولكنْ عَلا والسَّمْهَرِىُّ شُرُوع[٤]
كما غادرتْ فى الكرّ حَمْزةَ ثاويا وفى صَــدْره ماضِى الشَّــباةِ وَقيع[٥]
ونعمان قد غادرْن تحت لوائه على لَحْمِــه طيرٌ يَجُفْن وُقوع[٦]
بأحُــدٍ وأرماحُ الكماة يُرِدْنَهم كما غالَ أشْــطانَ الدِّلاءِ نُزُوع[٧]

(شعر حسان فى الرد على ابن الزبعرى):

فأجابه حسّان بن ثابت، فقال:

أشاقك من أمّ الوَليــد رُبُوع بلاقِــعُ ما مِنْ أهْلِهِنَّ جَميعُ[٨]
عفَاهُنَّ صَيْفِىُّ الرِّياح ووَاكِفٌ من الدَّلْوِ رَجَّافُ السَّحاب هَمُوع[٩]
فلَم يَبْقَ إلا مَوْقِدُ النَّار حَوْله رواكِد أمْثال الحَمام كُنُوع[١٠]
فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بدَّدَتْ بين أهلها نَوًى لِمَتِينات الحِبال قَطُوع[١١]
وقُلْ إنْ يَكُن يومٌ بأُحُد يَعُدُّه سَفيهٌ فإنَّ الحَقّ سوف يَشِــيع
فقد صابرتْ فيه بَنُو الأوس كلهم وكان لهم ذِكْرٌ هناك رَفيــع

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. وعاصبة: لاصقة. وفى ا: «عاصية» بالياء المثناة. وهو تصحيف.

(٢) يعتفين: يطلبن الرزق.

(٣) والنجيع: الدم.

(٤) الشعب: الطريق فى الجبل. والسمهرى: الرماح. وشروع: مائلة للطعن.

(٥) شباة كل شىء: حده. ووقيع: أى محدد.

(٦) كذا فى ا، ط. ويجفن: يدخلن جوفه، أو يطلبن ما فى جوفه. وفى سائر الأصول: «يحفن»: أى يقعن على لحمه. ويروى: «يحمن»، أى يستدرن.

(٧) الكماة: الشجعان. وغال: أهلك. والأشطان: الحبال. والدلاء: جمع دلو. والنزوع (بضم النون): جذب الدلو وإخراجها من البئر. والنزع (بفتحها): المستقى.

(٨) البلقع: القفر الخالى.

(٩) عفاهن: غيرهن ودرسهن. والواكف: المطر السائل، ومن الدلو: يعنى برجا فى السماء. ورجاف: أى متحرك مصوت. وهموع: أى سائل.

(١٠) الرواكد: الثوابت. يعنى الأثافى. وكنوع: أى لاصقة بالأرض.

(١١) النوى: البعد. والمتينات: الغليظات الشديدات.

وحامَى بنو النَّجَّار فيه وصابَروا ... وما كان منهم فى اللّقاء جَزُوع
أمامَ رسولِ الله لا يَخْذُلونه ... لهم ناصرٌ من ربِّهم وشَفِيع
وفَوْا إذْ كفرتُم يا سَخِينَ بربِّكم ... ولا يَسْتوى عبدٌ وفَى ومُضِيع [1]
بأيديهمُ بِيضٌ إذا حَمِش الوَغَى ... فلا بُدَّ أنْ يَرْدَى لهنَّ صَرِيعُ [2]
كما غادرتْ فى النَّقع عُتْبة ثاويا ... وسَعْدًا صَرِيعا والوشِيجُ شُروع [3]
وقد غادرتْ تحتَ العَجَاجة مُسْنَدًا ... أبيًّا وقد بَلّ القَميص نَجيع [4]
بكَفِّ رسولُ الله حيث تَنَصَّبت ... على القوْم ممَّا قد يُثِرْن نُقُوع [5]
أولئك قومٌ سادةٌ من فُروعِكم ... وفى كُلِّ قومْ[6] سادةٌ وفُروع
بهنَّ نُعِزّ اللهَ حتى يُعِزّنا ... وإن كان أمرٌ يا سَخِينَ فَظِيع
فلا تَذْكُروا قَتْلى وحمزة فيهمُ ... قَتِيلٌ ثَوَى لله وهْو مُطِيع
فانَّ جِنان الخُلْد مَنْزِلَةٌ لهُ ... وأمْرُ الذى يَقْضِى الأمور سَرِيع
وقتلاكُمُ فى النّار أفضلُ رِزْقهم ... حَمِيمٌ معًا فى جَوْفِها وضَرِيع [7]

(شعر عمرو بن العاص فى يوم أحد) :

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسّان وابن الزِّبَعْرَى . وقوله : « ماضى الشَّباة ، وطير يجفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاصى (فى) يوم أُحُد :

خرَجْنا مِنَ الفَيْفا عليهمْ كأنّنا ... مع الصُّبح من رَضْوَى الحَبِيك المُنَطَّق [8]

---

(١) ياسخين : أراد ياسخينة ، فرخم . وكانت قريش فى الجاهلية تلقب سخينة لمداومتهم على أكل السخينة ، وهى دقيق أغلظ من الحساء ، وأرق من العصيدة ، وإنما تؤكل فى الجدب وشدة الدهر .

(٢) حمش : اشتد ، والوغى : الحرب . ويردى : يهلك .

(٣) النقع : الغبار . وعتبة : يعنى عثمان بن أبى طلحة . والوشيج : الرماح . وشروع : مائلة للطعن .

(٤) العجاجة : الغبرة ، والنجيع : الدم .

(٥) نقوع : جمع نقع ، وهو التراب .

(٦) فى ا « يوم » .

(٧) الضريع : نبات أخضر يرميه البحر .

(٨) الفيفا : القفر الذى لا ينبت شيئا ، وقصره هنا للشعر . ورضوى : اسم جبل ، والحبيك : الذى فيه طرائق . والمنطق : المحزم .

تمنَّت بنو النَّجَّار جَهْـلاً لقاءنا ... لدَى جَنْب سَلْع والأمانىُّ تَصْدُق[١]

فما راعَهم بالشَّرِّ[٢] إلا فُجاءة ... كَرَاديسُ خَيْل فى الأزقَّة تَمْرُق[٣]

أرادوا لكَيْما يَسْتَبِيحوا قِبابَنا ... ودون القِباب اليومَ ضَرْبٌ مُحَرِّق

وكانت قِبابا أُومِنت قبلَ ما ترَى ... إذْ رامَها قَوْم أبِيحوا وأُحْنِقوا[٤]

كأنَّ رُءوس الخَزْرجِيِّين غـدوةً ... وأيمانَهم بالمُشْرفيَّـة بَرْوَق[٥]

(شعر كعب فى الرد على ابن العاصى) :

فأجابه كَعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبْلغا فِهْرًا على نَأْىِ دَارِها ... وعِنْدهم مِنْ عِلْمنا اليومَ مَصْدَقُ

بأنَّا غَدَاة السَّفْح من بطن يَثْرب ... صَبَرنا ورَاياتُ المَنيَّـة تَخْفِق[٦]

صَبَرْنا لهُمْ والصَّبْرُ منَّا سَجيَّةٌ ... إذا طارتِ الأبْرامُ نَسْمُو ونَرْتُق[٧]

على عادة تِلْكُمْ جَرَيْنا بصَبْرنا ... وقِدْما لدَى الغايات نَجْرى فنَسْبِق

لَنا حَوْمَةٌ لا تُسْتَطاع يَقُودُها ... نَبِىٌّ أتَى بالحقِّ عَفٌّ مُصَدَّق[٨]

ألا هل أتَى أفْناءَ فِهْر بن مالك ... مُقَطَّعُ أطْرَافٍ وَهامٌ مُفَلَّق[٩]

(شعر ضرار فى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال ضِرار بن الخطَّاب :

---

(١) سلع : اسم جبل فى ظاهر المدينة .

(٢) فى ا : « بالسر » بالسين المهملة .

(٣) الكراديس : جماعات الخيل ، وتمرق : تخرج .

(٤) أحنقوا : أى أغضبوا وزادت (ا) بعد هذا البيت :

كأن رءوس الخزرجيين غدوة ... لدى جنب سلع حنظل متفلق

(٥) البروق : نبات له أصول تشبه البصل .

(٦) السفح : جانب الجبل . وتخفق : تضطرب وتتحول .

(٧) السجية : العادة . والأبرام : اللئام ؛ الواحد : برم . وأصله الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر للؤمه . ونرتق : نسد ونصلح .

(٨) الحومة : الجمة . والعف : العفيف .

(٩) أفناء القبائل : المختلط منها . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

إنى وجدك لولا مقدمى فرسى ... إذ جالت الخيل بين الجزع والقاع[1]

مازال منكم بجنب الجزع من أحد ... أصوات هام تزاقى أمرها شاعى[2]

وفارس قد أصاب السيف مفرقه[3] ... أفلاق هامته كفروة[4] الراعى

إنى وجدك لا أنفك منتطقا ... بصارم مثل لون الملح قطاع[5]

على رحالة ملواح مثابرة ... نحو الصريخ إذا ما ثوب الداعى[6]

وما انتميت إلى خور ولا كشف ... ولا لئام غداة البأس أوراع[7]

بل ضاربين حبيك البيض إذ لحقوا ... شم العرانين عند الموت لذاع[8]

شم بهاليل مسترخ حمائلهم ... يسعون للموت سعيا غير دعداع[9]

وقال ضرار بن الخطاب أيضا :

لما أتت من بنى كعب مزينة ... والخزرجية فيها البيض تأتلق[10]

وجردوا مشرفيات مهندة ... وراية كجناح النسر تختفق[11]

فقلت يوم بأيام ومعركة ... تنبى لما خلفها ما هزهز الورق[12]

---

(١) الجزع : منعطف الوادى . والقاع : المنخفض من الأرض .

(٢) الهام : جمع هامة . وهى الطائر الذى يزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فيصيح ، وتزاقى تصيح ، ورواية هذه الكلمة فى ا : « ترقى » . وشاعى : أراد شائع ، فقلب .

(٣) المفرق : حيث تفرق الشعر فوق الجبهة .

(٤) الفروة « بالفاء » : معروفة ، وتروى : كقروة « بالقاف » . والقروة : إناء من خشب يحمله الراعى معه .

(٥) منتطق : محتزم . والصارم : السيف القاطع .

(٦) الرحالة : السرج . والملواح : الفرس الشديدة التى ضمر لحمها ، ومثابرة : متابعة . والصريخ : المستغيث . وثوب : كرر الدعاء .

(٧) الخور : الضعفاء . والكشف : جمع أكشف ، وهو الذى لا ترس له فى الحرب . والأوراع جمع ورع . وهو الجبان . ويروى : أوزاع « بالزاى » ، أى متفرقون .

(٨) الحبيك : الأبيض طرائقه . وشم : مرتفعة . والعرانين : الأنوف ، يصفهم بالعزة .

(٩) البهاليل : السادة ؛ الواحد : بهلول . ومسترخ حمائلهم : يعنى حمائل سيوفهم ، وفيه إشارة إلى طولهم . والدعداع : الضعيف البطىء .

(١٠) مزينة ؛ يعنى كتيبة فيها ألوان من السلاح ، وتأتلق : تضىء وتلمع .

(١١) المشرفيات : سيوف منسوبة إلى المشارف ، وهى قرى بالشام .

(١٢) تنبى ، يريد تنبىء ، فخفف وحذف الهمزة ، ويروى ثنيا ، أى ثانية على أولى ، وهزهز (بالبناء للمجهول) أى حرك . ويروى هزهز (بفتح الهاء) أى تحرك .

قد عوّدوا كلَّ يوم أن تكون لهم   ريحَ القتالِ وأسلابُ الذين لَقُوا[١]
خيِّرتُ[٢] نفسي على ما كان من وَجَلٍ[٣]   منها وأيقنتُ أنَّ المَجْدَ مُسْتَبَق
أكرهتُ مُهْرِي حتى خاضَ غَمْرتَهم   وبلّهُ من نجيعٍ عانِكٍ عَلَقُ[٤]
فظلَّ مُهْرِي وسِرْبالي جَسِيدُهما   نفخُ العرُوق رِشاشُ الطَّعن والوَرَق[٥]
أيقنتُ أنّي مُقيمٌ في ديارهمُ   حتى يُفارق ما في جَوْفه الحَدَق[٦]
لا تَجْزعوا يا بني مَخْزومَ إنَّ لكم   مِثْلَ المُغيرةِ فيكم ما به زَهَق[٧]
صبرًا فِدىً لكُمُ أمّي وما وَلَدتْ   تَعاوَرُوا الضَّرْبَ حتى يُدْبر الشَّفَق[٨]

(شعر عمرو في يوم أحد) :

وقال عمرو بن العاصي :

لمّا رأيتُ الحَرْبَ يَنْـــزُو شَرُّها بالرَّضْفِ نَزْوًا[٩]
وتَناولت شَـهْباءُ تَلْحُـــو النّاس بالضَّرّاء لَحْوًا[١٠]
أيقنتُ أنَّ المَوْتَ حَقٌّ   والحياةُ تكونُ لَغْـوا
حَمَّلْتُ   أثوابي   عــلى   عَتَدٍ يَبُذُّ الخَيْـل رَهْوًا[١١]
سَلِسٍ إذا نُكِبْنَ في الـــبَيْداءِ يَعْلو الطِّرْفَ عُــلْوا

(١) الأسلاب : جمع سلب .
(٢) في ا : « خبرت » بالباء الموحدة .
(٣) الوجل : الفزع .
(٤) غمرتهم : جماعتهم ، والنجيع : الدم ، وعانك : أحمر ، ويروى : عاند ، أي لا ينقطع . والعلق : من أسماء الدم .
(٥) جسيدهما : لونهما أوصبغهما ، ونفح العروق : ما ترمى به من الدم ، ويروى : نفخ العروق « بالخاء المعجمة » . والورق : الدم المتقطع ؛ ويروى : العرق .
(٦) الحدق : جمع حدقة ، وهي سواد العين .
(٧) الزهق : العيب .
(٨) تعاوروا : تداولوا .
(٩) ينزو : يرتفع ويثب . والرضف : الحجارة المحماة بالنار .
(١٠) شهباء : أي كتيبة كثيرة السلاح . وتلحو : تقشر وتنتسف ؛ تقول : لحوت العود : إذا قشرته .
(١١) العتد : الفرس الشديد . يبذ : يسبق . والرهو : الساكن اللين .

وإذَا تَنَزَّلَ مَاؤه مِنْ عِطْفِه يَزداد زَهْوا[١]

رَبِذٍ كَيَعْفُور الصَّرِيمة رَاعَه الرَّامُونَ دَحْوا[٢]

شَنِجٍ نَسَاهُ ضَابِطٍ للخَيْل إرْخاءً وعَدْوا[٣]

فَفِدًى لَهُمْ أُمِّى غَدَاة الرَّوْع إذْ يَمْشُونَ قَطْوا[٤]

سَيْرًا إلى كَبْش الكَتِيبة إذْ جَلَتْه الشَّمسُ جَلْوا[٥]

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو .

(شعر كعب فى الرد على عمرو بن العاصى)

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعبُ بن مالك ، فقال :

أَبْلِغْ قُرَيْشا وخيرُ القَوْل أصدقُه ... والصدقُ عند ذَوِى الألباب مقبول[٦]

أنْ قد قَتَلْنا بِقَتْلانا سَرَاتَكم ... أهْلَ اللِّواء فَفِيما يَكْثُرُ القِيلُ[٧]

ويَوْمَ بدرٍ لَقِيناكم لنا مَدَدٌ ... فيه مع النَّصر مِيكالٌ وجِبْريل

إن تَقْتُلُونا فَدِينُ الحقِّ فِطْرتُنا ... والقَتْلُ فى الحقِّ عند الله تَفْضِيل

وإن تَرَوْا أمرَنا فى رأيكم سَفَهًا ... فرأىُ مَنْ خالف الإسْلام تَضْليل

فلا تَمَنَّوْا لِقاحَ الحَرْبِ واقْتَعِدوا ... إنّ أخا الحرب أصْدَى اللونِ مشغول[٨]

إنّ لكم عِنْدَنا ضَرْبا تَرَاحُ له ... عُرْجُ الضباع له خَذْمٌ رَعابيل[٩]

---

(١) ماؤه : أى عرقه . والعطف : الجانب . والزهو : الإعجاب والتكبر .

(٢) ربذ : سريع . واليعفور : ولد الظبية ، والصريمة : الرملة المنقطعة . وراعه : أفزعه . والدحو : الانبساط .

(٣) شنج : منقبض . والنسا : عرق مستبطن الفخذين . وضابط : ممسك . والإرخاء والعدو : ضربان من السير .

(٤) القطو : مشى فيه تبختر كمشى القطاة .

(٥) كبش الكتيبة : رئيسها . وجلته : أبرزته .

(٦) الألباب : العقول .

(٧) سراة القوم : خيارهم . والقيل : القول .

(٨) لقاح الحرب : زيادتها ونموها ، وأصدى اللون : لونه بين السواد والحمرة ، ومشغول : من الشغل . ويروى : « مشمول » بالعين المهملة ، كذا ورد فى (ا) أى متقد ملتهب .

(٩) تراح : تفرح وتهتز . والخذم (بضم الخاء) : قطع اللحم ، (وبفتحها) المصدر . والرعابيل : المتقطعة

إنَّا بنو الحَرْب نَمْـريها ونَنْتُجُها وعندنا لذَوِى الأضْغان تَنْكِيل[١]
إن يَنْجُ منها ابنُ حَرْب بعد ما بلغتْ منـه التَّراقِى وأمرُ الله مَفْعول[٢]
فقَد أفادَتْ له حِـلما ومَوْعِظَةً لمَنْ يكُونُ له لبٌّ ومَعْقُول
ولو هَبَطْتم ببَطْن السَّيْل كافَحكم ضَرْبٌ بشاكِلة البَطْحاء تَرْعِيل[٣]
تَلْقاكُمُ عُصَب حَوْلَ النَّبىّ لهـم مما يُعِـدّون للهَيْجا سَرابِيل[٤]
من جِذْم غَسَّان مُسْترخٍ حمائلهم لا جُبَناءُ ولا مِيـلٌ مَعَازِيل[٥]
يَمْشُونَ تحت[٦] عَمايات القِتال كما تَمْشِى المَصَاعِبَةُ الأُدْم المَرَاسِيـل[٧]
أو مِثْل مَشْى أُسُود الظَّلّ أَلْثَقَها[٨] يومُ رَذَاذٍ مِنَ الجَوْزاءِ مَشْمول[٩]
فى كلِّ سابغةٍ كالنِّهْىِ مُحْكَمة[١٠] قِيامها[١١] فَلَجٌ كالسَّيْف بُهْلُول
تردّ حَـدّ قِرام النَّبل خاسِـئةً ويَرْجِـع السيفُ عنها وهو مَفْلُول[١٣]
ولو قَذَفتم بِسَلْعٍ عَن ظُهُورِكُمُ وللحَياة ودَفْع المَوْتِ تَأْجِيـل[١٤]

(١) نمريها: نستدرها. وننتجها: من النتاج. والأضغان: العداوات. والتنكيل: الزجر المؤلم.

(٢) التراقى: عظام الصدر.

(٣) كافحكم: واجهكم. وبشاكلة: أى بطرف. والبطحاء: الأرض السهلة. والترعيل: الضرب السريع.

(٤) الهيجاء: الحرب.

(٥) الجذم: الأصل. وحمائلهم: أى حمائل سيوفهم. والميل: جمع أميل، وهو الذى لا ترس له. والمعازيل: الذين لا رماح معهم، مفرده: معزال.

(٦) فى ا: «نحو».

(٧) عمايات القتال: ظلماته. ويروى: غيابات، أى سحابات. والمصاعبة: الفحول من الإبل؛ واحدها: مصعب. والأدم: الإبل البيض. والمراسيل التى يمشى بعضها إثر بعض.

(٨) كذا فى الأصول. وفى شرح السيرة: «الطل» وهو المطر الضعيف.

(٩) ألثقها: بلها. والرذاذ: المطر الضعيف. والجوزاء: اسم لنجم معروف. والمشمول: الذى هبت فيه ريح الشمال.

(١٠) السابغة: الدرع الكاملة. والنهى: الغدير من الماء.

(١١) كذا فى ا وشرح السيرة. وقيامها، أى القائم بأمرها ومعظمها. وفلج: نهر. وفى سائر الأصول «فتامها فلج».

(١٢) البهلول: الأبيض.

(١٣) خاسئة: ذليلة.

(١٤) سلع: جبل.

ما زال فى القَوْم وِتْرٌ منكمُ أبَدًا   تَعْفو السَّلام عليْه وهو مَطْلول[١]
عَبْد وحُرٌ كريم مُوثَق قَنَصًا   شَطْرَ المدينةِ مأسُور ومَقْتُول[٢]
كُنَّا نُؤَمل أخراكم فأعْجلَكم   مِنَّا فوارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيل[٣]
إذا جنَى فيهم الجانى فقد علِموا   حقًّا بأنَّ الذى قد جرَّ محمُول
ما نحنُ لانحن[٤] من إثم مُجاهرةً   ولا مَلُومٌ ولا فى الغُرْم مخذُول

(شعر حسان فى أصحاب اللواء)

وقال حسَّان بن ثابت ، يذكر عدَّة أصحاب اللِّواء يوم أُحُد :

ــ قال ابن هشام : هذه أحسن ما قيل ــ

مَنَع النَّــوْمَ بالعَشاء الهُمومُ   وخَيالٌ إذا تَغُورُ النُّجومُ
مِنْ حَبيب أضافَ قَلْبَك مِنْه   سَقَم فهو داخِــلٌ مكْتُومُ[٥]
يا لَقَوْمِى هَلْ يَقْتُل المرءَ مثلى   واهِنُ البَطْش والعِظامِ سَؤُوم[٦]
لو يَدِبُّ الحَوْلىَّ من ولد الذ رِّ عليها   لأنْدَبَتْها الكُلُوم[٧]
شأْنُها العِطْر والفِراشُ ويَعْــلو   ها لُجَيــن ولُؤْلؤ مَنْظُوم[٨]
لَمْ تَفُتْها شمسُ النَّهارِ بشَىْءٍ   غيرَ أنَّ الشَّبابَ ليسَ يَدُوم
إن خالى خَطِيبُ جابِيَــة الجَوْ   لان عند النُّعمان حــين يَقُوم[٩]
وأنَا الصَّقْر عند باب ابنِ سَلْمى   يوم نُعْمان فى الكُبول سَقِيم
وأبىٌّ وواقِــدٌ أُطْلِقا لى   يَوْمَ راحا وكَبلُهم مَخْطُوم[١٠]

(١) يعفو : يدرس ويتغير . والسلام : الحجارة . ومطلول : أى لم يؤخذ بثأره .
(٢) القنص : الصيد ، وشطر المدينة : نحوها وقصدها .
(٣) الميل : الذين لا تراس معهم .
(٤) فى ا : « ما يجن لا نجن » .
(٥) أضاف : نزل وزار .
(٦) الوهن : الضعيف ، والسئوم : الملول .
(٧) الحولى ، الصغير ، وأندبتها : أثرت فيها ، من الندب ، وهو أثر الجرح . والكلوم : الجراحات .
(٨) اللجين : الفضة .
(٩) خال : يريد به مسلمة بن مخلد بن الصامت . والجابية : الحوض الصغير . والجولان : موضع بالشام .
(١٠) مخطوم : مكسور .

ورهنّتْ اليدين عنهم جميعا — كلُّ كفٍّ جزء لها مقسوم

وسطتْ نسبتى الذوائبَ منهم — كلَّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيم[١]

وأبى فى سُميحة القائل الفا — صلِ يوم التقتْ عليه الخصوم[٢]

تلك أفعالنا وفعلُ الزبعرى — خاملٌ فى صديقه مذموم

ربَّ حلمٍ أضاعه عدمُ الما — لِ وجهلٍ غطّى[٣] عليه النعيم[٤]

لا تسبَّنَّنى فلستَ بسِبّى — إنّ سبّى من الرجالِ الكريم[٥]

ما أبالى أنبَّ بالحزنِ تيسٌ — أم لحانى بظهرِ غيبٍ لئيم[٦]

ولىَ البأسُ منكم إذ رحلتم — أسرةٌ من بنى قصىّ صميم[٧]

تسعةٌ تحملُ اللواء وطارتْ — فى رعاعٍ من القنا مخزوم[٨]

وأقاموا حتى أبيحوا جميعا — فى مقام وكلُّهم مذموم

بدمٍ عانكٍ وكان حفاظا — أن يقيموا إن الكريم كريم[٩]

وأقاموا حتى أزيروا شعوبا — والقنا فى نحورهم محطوم[١٠]

وقريش تفرّ منّا لواذًا — أن يقيموا وخفّ منها الحلوم[١١]

لم تُطِق حمله العواتقُ منهم — إنما يحمل اللواء النجوم[١٢]

---

(١) وسطت : توسطت ، والذوائب : الأعالى .

(٢) سميحة : بئر بالمدينة ، كان عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان بن ثابت .

(٣) ويروى . غطا « بتخفيف الطاء » ، أى علا وارتفع .

(٤) زادت م ، ر ، بعد هذا البيت :

إن دهرا يبور فيه ذوو العلـ — ـم لدهر هو العتو الزنيم

(٥) السب : هو الذى يقاوم الرجل فى السب ، ويكون شرفه مثل شرفه .

(٦) نب : صاح . ولحانى : ذكرنى عائبا .

(٧) الصميم الخالص النسب .

(٨) الرعاع : الضعفاء .

(٩) العانك : الأحمر .

(١٠) شعوب : اسم المنية .

(١١) لواذا : مستترين . والحلوم : العقول .

(١٢) العواتق: جمع عاتق ، وهو ما بين الكتف والعنق . والنجوم : المشاهير من الناس .

قال ابن هشام : قال حسّان هذه القصيدة :

منع النّوم بالعشاء الهُموم

ليلاً ، فدعا قَومه ، فقال لهم : خشِيت أن يُدْركنى أجَلى قبل أن أصبح ، فلا تَرْوُوها عنى (١) .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبيدة للحجّاج بن عِلاط السُّلَمى يمدح (أبا الحسن أمير المؤمنين) (٢) علىَّ بن أبى طالب ، ويذكر قَتْله طَلْحة بن أبى طلحة ابن عبدالعُزى بن عثمان بن عبد الدّار ، صاحب لواء المشركين يوم أُحد :

لله أىّ مُذَبّب عن حُرْمةٍ ... أعنى ابنَ فاطمة المُعِمَّ المُخْوِلا (٣)

سبَقَتْ يداكَ لهُ بعاجِل طَعْنَةٍ ... تركَتْ طُلَيْحة للجبينِ مُجَدّلا (٤)

وشدَدْتَ شَدّةَ باسل فكشَفْتَهم ... بالجرّ إذْ يَهْوُون أخْول أخْوَلا (٥)

(شعر حسان فى قتلى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت يَبْكى حَمْزة بن عبد المطلب ومن أُصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد :

يا مىَّ قُومى فاندُبِنْ ... بسُحيرةٍ شَجْوَ النَّوائح (٦)

كالحامِلات الوِقْر بالـ ... ثّقل المُلِحّاتِ الدَّوالح (٧)

المُعْولات الخامِشا ... تُ وُجوه حُرَّاتٍ صحائح (٨)

---

(١) هذه العبارة من قوله « قال ابن هشام » إلى هنا ساقطة فى ا .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) المذبب : الدافع ؛ يقال ذبب عن حرمه : إذا دفع عنها . وابن فاطمة : يريد على بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى ، والمعم : الكريم الأعمام . والمخول : الكريم الأخوال .

(٤) المجدل : اللاصق بالأرض .

(٥) الباسل : الشجاع . والجر : أصل الجبل . ويهوون : يسقطون . وأخول أخولا : أى واحدا بعد واحد .

(٦) الشجو : الحزن ، ورواية هذا البيت فى ا .

يا مى قومى فاندبن ... بسحرة شجو النوائح

(٧) الملحات : الثابتات التى لاتبرح . والدوالح : التى تحمل الثقل .

(٨) المعولات : الباكيات بصوت . والخامشات : الخادشات .

وكأنَّ سَيْل دُمُوعها الْ أَنْصابُ تُخضَبُ بالذبائح[١]

يَنْقُضْن أشْعارًا لهنَّ هُناك باديةً المَسائح[٢]

وكأنّها أذْنابُ خَيْـل بالضُّحى شُمْسٍ روامح[٣]

مِنْ بين مَشْزُورٍ ؛ ومَجْـزُورٍ يُذَعْذَع بالبَوارح[٥]

يَبْكين شَجْوًا مُسْلبا ت كدَّحتْهن الكَوَادِح[٦]

ولقَـدْ أصاب قُلُوبَها مَجْلٌ له جُلَبٌ قَوارِح[٧]

إذْ أقصَـد الحدْثان مَنْ كُنَّا نُرَجِّى إذْ نُشايح[٨]

أصحابَ أُحْـد غالَهُم دهرٌ ألَمَّ[٩] له جَوارِح[١٠]

مَنْ كانَ فارسَنا وَحا مِينا إذا بُعِث المسالح[١١]

يا حَمْـزَ ، لا والله لا أنْساكَ ما صُرَّ اللَّقائح[١٢]

لمُناخ أيْتام وأضْـيافٍ وأرْمَلةٍ تُلامح[١٣]

---

(١) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها ، ويطلونها بالدم .

(٢) المسائح : ذوائب الشعر ؛ الواحدة : مسيحة .

(٣) الشمس : النوافر ؛ وهى جمع شموس ، والروامح : التى ترمح بأرجلها ؛ أى تدفع عنها .

(٤) كذا فى شرح السيرة . ومشرور : مفتول وهو تصحيف ، وفى جميع الأصول : « مشرور » بالراء المهملة ، من شرى اللحم يشره شرى إذا وضعه على خصفة أو نحوها ليجف .

(٥) يذعذع : يفرق (بالبناء للمجهول) فيهما . والبوارح : الرياح الشديدة .

(٦) مسلبات (بفتح اللام وكسرها) اللائى يلبسن السلاب ، ثياب الحزن . ومن رواه بالتخفيف فهو بذلك المعنى . وكدحتهن : أثرت فيهن ، والكوادح : نوائب الدهر .

(٧) مجل : أى جرح ندى . وجلب : جمع جلبة ، وهى قشرة الجرح التى تكون عند البرء . وقوارح : موجعة .

(٨) أقصد : أصاب . والحدثان : حادث الدهر ، ونشايح : نحذر .

(٩) غالهم : أهلكهم : وألم : نزل .

(١٠) فى شرح السيرة : بوارح (بالباء) . والبوارح : الأحزان الشديدة .

(١١) المسالح : القوم الذين يحملون السلاح ، ويحمون المراقب لئلا يطرقهم العدو على غفلة ، وهو مشتق من لفظ السلاح .

(١٢) صر : ربط . واللقائح : جمع لقحة بالكسر ، وهى الناقة لها لبن . وقد وردت هذه الكلمة فى ا : القالح (باللام) وهو تحريف .

(١٣) المناخ : المنزل . وتلامح : أى تنظر بعينها نظرا سريعا ثم تغضها .

وَلِمَا يَنُوب الدَّهْرُ فى حَرْبٍ لحَرْبٍ وهْى لاقحْ[١]
يا فارسا يا مِدْرَها يا حَمْزَ قد كُنْتَ المُصامِحْ[٢]
عَنَّا شَدِيدَاتِ الخُطُو بِ إذا ينُوب لهنّ فادِحْ
ذَكَّرتنى أسَدَ الرَّسو لِ ، وذاك مِدْرَهُنا المُنافِحْ[٣]
عَنَّا وكان يُعَدّ إذْ عُدّ الشَّرِيفون الجحاجحْ[٤]
يَعْلُو القَماقِمَ جَهْرَةً سَبْطَ اليَدَيْنِ أغرّ واضِحْ[٥]
لا طائِشٌ رَعِشٌ ولا ذو عِلَّةٍ بالحمْلِ آنِحْ[٦]
بَحْرٌ فلَيس يُغِبّ جا رًا منه سَيْبٌ أو مَنادِحْ[٧]
أوْدَى شَبَابُ أُولى الحَفا ئظ والثَّقِيلونَ المَرَاجِحْ[٨]
المُطْعِمونَ إذا المَشا تِى ما يُصَفِّفْهُنّ ناضِحْ[٩]
لَحمَ الجِلادِ وفَوْقَهُ من شَحْمِه شُطَبٌ شَرَائِحْ[١٠]
لِيُدَافِعُوا عنْ جارِهِمْ ما رَامَ ذو الضِّغْنِ المُكاشِحْ[١١]
لَهْفِى لشُبَّانٍ رُزِئْـناهُم كأنَّهُمُ المَصَابِحْ

---

(١) اللاقح من الحروب : التى يتزيد شرها .

(٢) المدره : المدافع عن القوم بلسانه ويده . والمصامح : الشديد الدفاع . ويروى : المصافح (بالفاء) . والمصافح : الراد للشىء ؛ تقول : أتانى فلان فصفحته عن حاجته ، أى رددته عنها .

(٣) المنافح : المدافع عن القوم ؛ وكان حمزة ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد .

(٥) القماقم : السادة . وسبط اليدين : جواد ؛ ويقال للبخيل : جعد اليدين . وأغر : أبيض . وواضح : مضىء مشرق .

(٦) الطائش : الخفيف الذى ليس له وقار . والآنح : البعير الذى إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المتصعر .

(٧) السيب : العطاء . والمنادح : جمع مندحة ، وهى السعة . ويروى : منائح ، والمنائح : العطايا .

(٨) أودى : هلك . والحفائظ : جمع حفيظة وهى الغضب . والمراجح : الذين يزيدون على غيرهم فى الحلم .

(٩) ما يصففهن : ... يحلبهن . والناضح : الذى يشرب دون الرى .

(١٠) الشطب : الطرائق فى السيف .

(١١) ذو الضغن : ذو العداوة . والمكاشح : المعادى .

شُمٌّ ، بَطارِقَةٌ ، غَطَا رِفَةٌ ، خَضَارِمَةٌ ، مَسَامِحُ[١]
المُشْتَرُونَ الحَمْدَ بالـ أَمْوَالِ إنَّ الحَمْدَ رابح
والجامِزُون بلُجْمِهِم يوما إذا ما صاح صائح[٢]
مَنْ كانَ يُرْمَى بالنَّوا قِرِ[٣] مِنْ زَمانٍ غيرِ صالح
ما إنْ تَزالُ رِكابُهُ يَرْسِمْنَ فى غُبْرٍ صَحاصَحِ[٤]
راحَتْ تَبارَى وهو فى رَكْبٍ صُدورُهُمُ رَواشح[٥]
حتى تَئُوب لَهُ المَعا لى ليسَ من فَوْزِ السَّفائح[٦]
يا حَمْزَ قد أَوْحَدْتَنى كالعُود شَذَّ به الكَوافِح[٧]
أشْكو إلَيكَ وفَوْقَكَ التُّرْبُ المُكَوَّرُ والصَّفائح[٨]
من جَنْدَلٍ نُلْقيه فو قَكَ إذ أجاد الضَّرْحَ ضارِح[٩]
فى واسعٍ يَحْشُونه بالتُّرْبِ سَوَّتْه المَماسِح[١٠]
فَعَزَاؤُنا أَنَّا نَقُو لُ وقَوْلُنا بَرْحٌ بَوارِح[١١]
مَن كان أَسْنَى وهو عَمَّا أَوْقَعَ الحِدْثان جانِح[١٢]

---

(١) شم : أعزاء . وبطارقة : رؤساء . وغطارفة : سادة ، والخضارمة : الذين يكثرون العطاء . والمسامح : الأجواد .

(٢) الجامزون : الواثبون . ولجم : جمع لجام ، وهو بضم الجيم ، وسكن للشعر .

(٣) كذا فى الأصول . والنواقر : غوائل الدهر ، التى تنقر عن الإنسان ، أى تبحث عنه . ويروى « البواقر » بالباء ، وهى الدواهى .

(٤) الركاب : الإبل . ويرسمن ، من الرسم ، وهو ضرب من السير . والصحاصح : جمع صحصح ، وهو الأرض المستوية الملساء .

(٥) تبارى : تتبارى أى تتعارض . ورواشح : أى أنها ترشح بالعرق .

(٦) قال أبو ذر : « تئوب : ترجع . والسفائح ، جمع سفيح ، وهو من قداح الميسر ، لا نصيب له . والسفائح : جمع سفيحة ، وهى كالجوالق ونحوه . كما فى الروض الأنف .

(٧) شذبه : أزال أغصانه وشوكه . والكوافح : الذين يتناولونه بالقطع .

(٨) المكور : الذى بعضه فوق بعض . والصفائح : الحجارة العريضة .

(٩) الضرح : الشق ، ويعنى به شق القبر .

(١٠) يحشونه : يملئونه . والمماسح : ما يمسح به التراب ويسوى .

(١١) البرح : الأمر الشاق .

(١٢) الجانح : المائل إلى جهة .

فليأْتنا فلتَبْكِ عَيْناهُ هَلْكانا النَّوافح[1]
الْقَائِلينَ الفَاعِلِينَ ذَوِى السَّماحة والمَمادِح
مَنْ لا يَزَالُ نَدَى يَدَيْهِ له طَوَال الدَّهْرِ مائح[2]

قال ابن هشام : وأكثر أهلِ العِلْم بالشعر يُنْكرها لحسَّان ، وبيته : « المطعمون إذا المشاتى » ، وبيته : « الجامزون بلُجْمِهِم » ، وبيته : « من كان يُرْمَى بالنواقر » عن غير ابن إسحاق :

(شعر حسان ، فى بكاء حمزة)

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا يبكى حَمزة بن عبد المطلب :

أتعرِفُ الدارَ عفَا رَسْمُها بعدكَ صَوْبُ المُسْبِلِ الهاطِلِ[3]
بينَ السَّرادِيح فأُدْمانَة فَمَدْفَع الرَّوْحاء فى حائِل[4]
ساءلتُها عَن ذاك فاستعجمَتْ لم تَدْرِ ما مَرْجُوعةُ السَّائل؟[5]
دَعْ عنْك داراً قد عفَا رسْمُها وابكِ على حَمْزة ذى النَّائل[6]
المالئِ الشِّيزى إذا أعْصَفت غَبْراءُ فى ذِى الشَّبِمِ المَاحل[7]
والتَّارِكِ القِرْنَ لَدَى لِبْدَةٍ يَعْثُر فى ذى الخُرُص الذَّابِل[8]

---

(١) النوافح : الذين كانوا ينفحون بالمعروف ، ويوسعون به .

(٢) المائح : الذى ينزل فى البئر فيملأ الدلو إذا كان ماؤها قليلا ، ويروى : الماتح « بالتاء » أى الذى يجذب الدلو عليه . فضربها مثلا للقاصدين له ، الذين ينتجعون معروفه .

(٣) عفا : درس وتغير . والرسم : الأثر . والصوب : المطر . والمسبل : المطر السائل . والهاطل : الكثير السيلان .

(٤) سراديح : جمع سرداح ، وهو الوادى ، أو المكان المتسع . وأدمانة : موضع . والمدفع : حيث يندفع السيل . والروحاء : من عمل الفرع على نحو من أربعين ميلا . وحائل : واد فى جبل طيىء .

(٥) استعجمت : أى لم ترد جوابا . ومرجوعة السائل : رجع الجواب .

(٦) النائل : العطاء .

(٧) الشيزى : جفان من خشب . وأعصفت : اشتدت . والغبراء : الريح التى تثير الغبار . والشبم : الماء البارد . ويريد بذى الشبم : زمن اشتداد البرد والقحط . والماحل : من المحل ، وهو الجدب .

(٨) القرن : المنازل فى القتال . وذو الخرص : الرمح . والخرص : سنانه ، وجمعه : خرصان . والذابل : الرقيق .

واللابس الخَيْلَ إذ أجْحَمتْ[١] كالليْثِ فى غابَتــه الباسِلِ
أبْيَضُ فى الذّروة من هاشمٍ لم يَمْرِ دون الحقّ بالباطِلِ[٢]
مالَ شَهِيــدًا بينَ أسْــيافكم شُلَّتْ يدًا وحْشِيٍّ مِنْ قاتلِ[٣]
أيَّ امرئٍ غادرَ فى ألَّةٍ مَطْــرورةٍ مارنَةِ العامِلِ[٤]
أظلَمَتِ الأرضُ لفِقْــدانه واسودَّ نُورُ القَمَرِ النَّاصِــلِ[٥]
صلى عليْــه اللهُ فى جَنَّــةٍ عاليَــةٍ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ
كُنَّا نَرَى حَمْزَةَ حِرْزًا لَنَا فى كلِّ أمْرٍ نابَنَا نازِل
وكان فى الإسْــلام ذا تُدْرَأٍ يَكْفِيك فَقْدَ القاعد الخاذِل[٦]
لا تَفْرَحى ياهنْد واسْتَحْلِبى دَمعا وأذرى عَـبْرة الثَّاكِلِ
وابْكى على عُتْبــة إذ قَطَّه بالسَّيف تحت الرَّهج الجائلِ[٧]
إذا خــر فى مشْــيخة منكمُ مِن كُلِّ عاتٍ قَلْبُهُ جاهِلِ[٨]
أرْدَاهُمُ حَمْزَةُ فى أُسْرةٍ يَمْشُون تحتَ الحَلَق الفاضِلِ[٩]
غَدَاةَ جِــبْريل وَزِيرٌ له نِعْم وزيرُ الفارسِ الحامِلِ

(شعر كعب ، فى بكاء حمزة) :

وقال كعبُ بن مالك يَبْكى حمزةَ بن عبد المطَّلب :

---

(١) كذا فى شرح السيرة . وفى الأصول : أحجمت » بتقديم الحاء » وهما بمعنى .

(٢) لم يمر : من المراء ، وهو الجدل .

(٣) حذف التنوين من وحشى للضرورة . لأنه علم ، والعلم قد يترك صرفه كثيرا .

(٤) غادر : ترك . والألة . الحربة لها سنان طويل . والمطرورة : المحددة . ومارنة : أى لينة . والعامل : أعلى الرمح .

(٥) الناصل : الخارج من السحاب ؛ ويقال نصل القمر من السحاب : إذا خرج منه .

(٦) ذاتدرأ : أى ذا مدافعة .

(٧) قطه : قطعه . والرهج : الغبار . والجائل : المتحرك ذاهبا راجعا . وقد وردت هذه الكلمة فى ا بالحاء المهملة .

(٨) خر : سقط .

(٩) أرداهم : أهلكهم . وأسرة : أى قرابة . والحلق : الدروع . والفاضل : الذى يفضل منه وينجر على الأرض .

طَرَقتْ هُمومُك فالرُّقاد مُسَهَّـدُ ... وجزعت أن سُلِخ الشبابُ الأغْيدُ[١]

ودَعَتْ فؤادَك للهوى ضَمْرِيَّةٌ ... فهواك غَوْرِىٌّ وصَحْوك مُنْجِدُ[٢]

فدَعِ التَّمادىَ فى الغَوَاية سادرًا ... قد كنتَ فى طلب الغواية تُفْنَدُ[٣]

ولقد أَنَى لك أنْ تَناهَى طائعا ... أو تَستَفيق إذا نَهاك المُرْشِدُ[٤]

ولقد هُدِدْتُ لفَقْدِ حَمْزة هَدَّةً ... ظلَّت بناتُ الجَوْف منها تَرْعَدُ[٥]

ولوَ انَّه فُجِعَت حِرَاء بمثله ... لرأيتُ رَاسِىَ صَخْرِها يتبدَّدُ[٦]

قَرْمٌ تَمكَّنَ فى ذُؤابة هاشمٍ ... حيث النُّبوَّة والنَّدَى والسُّودَدُ[٧]

والعاقرُ الكُومَ الجِلاد إذا غدَتْ ... ريحٌ يَكادُ الماءُ منها يَجْمُدُ[٨]

والتَّارك القِرْن الكَمِىَّ مُجَدَّلا ... يومَ الكَريهة والقَنا يتَقَصَّدُ[٩]

وتَراهُ يَرْفُلُ فى الحَديد كأنَّه ... ذو لِبْدةٍ شَثْنُ البراثِن أرْبدُ[١٠]

عمُّ النبىِّ محمَّدٍ وصَفِيُّه ... ورد الحِمامَ فطاب ذاك المَوْرِدُ

وأتى المَنيَّةَ مُعْلِما فى أُسْرةٍ ... نَصَروا النبىَّ ومنهم المُستَشْهَدُ[١١]

---

(١) مسهد : قليل النوم . وأراد : فالرقاد رقاد مسهد ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ويجوز أن يكون وصف الرقاد بأنه مسهد من المجاز . وسلخ : أزيل (بالبناء للمجهول فيهما) . والأغيد : الناعم .

(٢) ضمرية : نسبة إلى ضمرة ، وهى قبيلة . وغورى : نسبة إلى الغور ، وهو المنخفض من الأرض وفى رواية : « وصحبك » بدل « وصحوك » .

(٣) تفند : تلام وتكذب .

(٤) أنى : حان .

(٥) بنات الجوف : يعنى قلبه وما اتصل به من كبد وأمعائه ، وسماها بنات الجوف ، لأن الجوف يشتمل عليها .

(٦) حراء : جبل ، وأنثه هنا حملا على البقعة . والراسى : الثابت .

(٧) القرم : السيد الشريف . وذؤابة هاشم : أعاليها .

(٨) الكوم : جمع كوماء ، وهى العظيمة السنام من الإبل . والجلاد : القوية .

(٩) الكمى : الشجاع . ومجدلا : مطروحا على الجدالة ، وهى الأرض . ويتقصد : يتكسر .

(١٠) ذو لبده : يعنى أسدا . واللبدة : الشعر الذى على كتفى الأسد . وشثن : غليظ . والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للناس . والأربد : الأغبر يخالطه سواد .

(١١) معلما : مشهرا نفسه بعلامة يعرف بها فى الحرب . والأسرة : الرهط .

ولقد إخالُ بذاك هندًا بُشِّرت ... لتُميتَ داخلَ غُصَّةٍ لا تَبرُدُ[1]

مما صَبَحنا بالعَقَنْقَل قومَها ... يومًا تَغَيَّبَ فيه عنها الأسْعَدُ[2]

وببئر بَدْرٍ إذ يَرُدُّ وُجوهَهم ... جِبْريلُ تحت لِوائنا ومُحَمَّدُ

حتى رأيتُ لدى النبيِّ سَراتَهم ... قِسْمَيْنِ: يَقْتُلُ مَن نشاءُ ويطْرُدُ[3]

فأقامَ بالعَطَنِ المُعَطَّنِ منهمُ ... سَبْعون: عُتْبةُ منهمُ والأسْوَدُ[4]

وابنُ المغيرة قد ضَرَبْنا ضَرْبةً ... فوق الوَريد لها رشاشٌ مُزْبِدُ[5]

وأُمَيَّةُ الجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَه ... عَضْبٌ بأيْدى المُؤْمنين مُهنَّدُ

فأتاكَ فَلُّ المُشْرِكين كأنهم ... والخَيْلُ تَثْفِنُهم نعامٌ شُرَّدُ[6]

شتَّانَ مَنْ هو في جَهَنَّم ثاويا ... أبدًا ومن هو في الجِنان مُخَلَّدُ

وقال كعبٌ أيضًا يبكى حمزة:

صَفِيَّةُ قُومى ولا تَعْجزى ... وبَكِّى النِّساءَ على حَمْزَةِ

ولا تَسْأَمى أن تُطيلى البُكا ... على أسَدِ اللهِ في الهِزَّةِ[7]

فقَدْ كانَ عِزًّا لأيْتامنا ... ولَيْثَ المَلاحم في البِزَّةِ[8]

يُريد بذاك رِضَا أحمَدٍ ... ورِضْوانَ ذِى العَرْشِ والعِزَّةِ

(شعر كعب في أحد):

وقال كعب أيضا في أحد:

إنكِ عَمْرَ أبيك الكَريـم أنْ تَسألى عنكِ منْ يَجْتَدينا[9]

---

(١) إخال: أظن (وكسر الهمزة لغة تميم). والغصة: ما يعترض في الحلق فيشرق.

(٢) العقنقل: الكثيب من الرمل.

(٣) سراتهم: خيارهم.

(٤) العطن: مبرك الإبل حول الماء. والمعطن: الذى قد عود أن يتخذ عطنا.

(٥) الوريد: عرق في صفحة العنق. والرشاش المزبد: الدم تعلوه رغوة.

(٦) الفل: القوم المنهزمون. وتثفنهم: تطاردهم وتتبع آثارهم.

(٧) الهزة: الاهتزاز والاختلاط في الحرب.

(٨) الملاحم: جمع ملحمة، وهى الحرب التى يكثر القتل فيها. البزة: السلاح.

(٩) عمر أبيك. يجوز فيه الرفع والنصب، وإن أدخلت عليه اللام فقيل: لعمر أبيك لم يجز فيه إلا الرفع. ويجتدينا: يطلب معونتنا.

فإنْ تسْألى ثم لا تُكْذَبى يُخبرك مَنْ قد سألت اليَقِينا

بأنا لَيالىَ ذاتِ العِظا مِ كُنَّا ثِمالا لمَنْ يَعْتَرِينا[١]

تَلُوذ البجــود[٢] بأذْرَائنا من الضُّرِّ فى أزَمات السِّنينا[٣]

بجَدْوَى فُضول أُولى وُجْدِنا وبالصَّبْرِ والبَذْل فى المُعْدمينا[٤]

وأبْقَتْ لنا جَلَمات الحُرو بِ ممَّن نوازِى لدن أن بُرِينا[٥]

مَعاطِنَ تَهْـوِى إليها الحُقو قَ يَحْسبها من رآها الفَتِينا[٦]

تخَيَّس فيها عتاقُ الجما لِ صُحْما دَواجنَ حُمْرًا وجُونا[٧]

ودُفَّاع رَجْلٍ كَمَوْج الفُرا تِ يقْدُم جأْواء جُولا طَحونا[٨]

ترى لونها مثلَ لون النُّجو مِ رَجْراجةً تُبْرِق الناظرينا[٩]

فإن كنتَ عَن شأننا جاهلاً فسَلْ عنه ذا العِلْم ممَّن يَلينا

---

(١) ليالى ذات العظام : ليالى الجوع التى تجمع فيها العظام فتطبخ ، فيستخرج ودكها ، فيؤتدم به ؛ وذلك الودك يسمى الصليب ، قال الشاعر :

وبات شيخ العيال يصطلب

والثمال : الغياث . ويعترينا : يزورنا .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والبجود : جماعات الناس ؛ الواحد : بجد . وفى (ا) وديوان كعب المخطوط : « النجود » بفتح النون ، وهى المرأة المكروبة .

(٣) والأذراء : الأكناف ؛ الواحد : ذرى . والأزمات : الشدائد .

(٤) الجدوى : العطية . والوجد (بضم الواو) : سعة المال .

(٥) جلمات الحروب : من الجلم ، وهو القطع ، ويروى : جلباب (بالباء) . ونوازى : نساوى . وبرينا : خلقنا . وأصله الهمز ، فسهل .

(٦) المعاطن : مواضع الإبل حول الماء . وأراد بها هنا الإبل بعينها . والفتين : الحرار ، وهى الأراضى فيها حجارة سود ، سميت بذلك لأنها تشبه ما فتن بالنار ، أى أحرق .

(٧) تخيس : تذلل . والصحم : السود ، ويروى : (طمحا) بالطاء ، والحاء المهملتين . والطحم : الكثيرة به كما يروى : طخما (بالخاء المعجمة) ، وهى التى بها سواد . والدواجن . المقيمة ؛ والجون : السود ، وقد تكون البيض أيضا ، وهى من الأضداد .

(٨) الدفاع : ما يندفع من السيل ؛ شبه كثرة الرجل به . والرجل : الرجالة . والفرات : اسم نهر . وجأواء : كتيبة لونها السواد والحمرة من كثرة السلاح . والجول : الكتيبة الضخمة ، ويروى : جونة أى سوداء . والطحون : التى تهلك ما مرت به .

(٩) الرجراجة : التى يموج بعضها فى بعض . وتبرق : تحير وتبهت .

بِنا كيف نَفْعل إن قلّصتْ عَوَانا ضَرُوسا عَضُوضا حَجونا[١]

أَلَسْنا نَشُــدُّ عليها العِصَا ب حتى تَدُرَّ وحتى تَلِينا[٢]

وَيَوْمٌ لَهُ وَهَــجٌ دائمٌ شَــديد التَّهاوُل حامى الأرينا[٣]

طَوِيلٌ شَــديدٌ أُوارِ القِتا ل تَنْفى قَواحِزُهُ المُقْرِفينا[٤]

تَخالُ الكُماة بأعْراضِــه ثَمالاً على لَذَّةٍ مُنْزِفينا[٥]

تَعاوَرُ أيمانُهُم بَيْنَهُــم كئُوسَ المَنايا بحَــدِّ الظُّبِينا[٦]

شَهِدْنا ككُنَّا أُولِى بَأْسِه وتحت العَمايَة والمُعْلِمِينا[٧]

بخُرْسِ الحَسيسِ حِسانٍ رِواء وبُصْرِيَّة قد أجِمْن الجُفُونا[٨]

فما يَنْفَلِلْنَ وما يَنْحَنِــين وما يَنْتَهِــين إذا ما نُهِينا

كبَرْق الحريف بأيْدى الكُماةِ يُفَجِّعْن بالظِّلِّ هاما سُكُونا[٩]

وعَلَّمنا الضَّربَ آباؤنا وسَوْف نُعَــلِّم أيضا بَنِينا

جِلادَ الكُماة ، وبَذْل التِّلا دِ ، عن جُلِّ أحْسابنا مابَقِينا[١٠]

---

(١) قلصت : ار تفعت وانقبضت ، والتقليص : كناية عن الشدة فى الحرب . والعوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد مرة . والضروس : الشديدة . والعضوض : الكثيرة العض . والحجون : المعوجة الأسنان .

(٢) العصاب : ما يعصب الضرع .

(٣) الوهج : الحرب ويروى : الرهج ، وهو الغبار . والتهاول : الهول والشدة . والأرين : جمع إرة ، وهى مستوقد النار . وقد جمع كجمع المذكر السالم ، لأنه مؤنث محذوف اللام .

(٤) الأوار : الحر ، والقواحز : من القحز ، وهو القلق وعدم التثبت . والمقرفون : اللئام .

(٥) الكماة : الشجعان . وبأعراضه ، أى بنواحيه . وثمالا سكارى ؛ ويروى : ثمالى ومنزفين : قد ذهبت الخمر بعقولهم . ويروى : مترفينا . والمترفون ، جمع مترف ، المسرف فى التنعم .

(٦) تعاور : تداول . والظبين : جمع ظبة ، وهى حد السيف .

(٧) العماية : السحابة ، والمعلمون : من يعلمون أنفسهم بعلامة فى الحرب يعرفون بها .

(٨) الخرس : التى لاصوت لها ، ويعنى بها السيوف ، أى ورواء ، أى ممتلئة من الدم وبصرية : سيوف منسوبة إلى بصرى ، وهى مدينة بالشام . وأجمن : مللن وكرهن . والجفون : الأغماد .

(٩) الكماة : الشجعان . وبالظل : أى ظلال السيوف . ويروى : « بالطل » بالطاء المهملة . يريد ما طل من دمهم ولم يؤخذ له بثأر . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس . والسكون : المقيم الثابت .

(١٠) الجلاد : المضاربة بالسيوف . والتلاد : المال القديم . وجل الشىء : معظمه .

إذا مَرّ قَرْن كفَى نَسْلُه وأوْرَثه بعْدَه آخرينا[١]
نَشِبّ وتَهلِك آباؤنا وبينا نُرَبِّى بَنينا فنِينا
سألتُ بك ابنَ الزِّبَعْرَى فلم أُنَبَّأْك فى القَوْم إلا هَجِينا
خَبيثا تُطيف بك المُنْدِيات مُقيما على اللُّؤْم حينا فحينا[٢]
تبجّسْت تَهْجو رسول المَليـك قاتلك الله جِلْفا لَعينا[٣]
تَقول الخَنا ثم تَرْمى به نقِىّ الثِّياب تَقِيًّا أمينا[٤]

قال ابن هشام: أنشدنى بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله «نشبّ وتهلك آباؤنا» والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصارىّ.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضا، فى يوم أُحد:

سائلْ قُرَيشا غداةَ السَّفْح من أُحُدٍ ماذا لَقِينا وما لاقَوْا مِنَ الهَرَبِ[٥]
كُنَّا الأسودَ وكانوا النُّمْر إذ زَحفوا ما إنْ نُراقِب من آلٍ ولا نَسَبِ[٦]
فكَمْ تَركنا بها من سَيِّدٍ بَطَلٍ حامى الذِّمار كَريم الجَدّ والحَسَبِ[٧]
فِينا الرَّسولُ شِهابٌ ثم يَتْبعــه نُورٌ مُضِىءٌ له فَضْل على الشُّهُب
الحَقّ مَنْطِقه والعَــدْل سِيرَتُه فمَنْ يُجِبْه إليــه يَنْجُ من تَبَبِ[٨]
نَجْد المُقدَّم، ماضِى الهَمّ، مُعْتَزِم حين القُلوب على رجْفٍ من الرُّعُبِ[٩]

(١) القرن (بفتح القاف): الأمة من الناس. (وبكسر القاف): الذى يقاوم فى شدة أو قتال أو علم.
(٢) المنديات: المخزيات يندى منها الجبين والأمور الشنيعة.
(٣) تبجست: تعلقت وأكثرت، كما يتبجس الماء، إذا تفجر وسال. ويروى: تنجست (بالنون) أى دخلت فى أهل النجس والخبث. والجلف: الجافى.
(٤) الخنا: الكلام الذى فيه فحش.
(٥) السفح: جانب الجبل مما يلى أصله.
(٦) النمر: جمع نمر، وهو معروف.
(٧) حامى الذمار. أى يحمى ما تجب حمايته.
(٨) التبب: الخسران.
(٩) الرجف: التحرك. والرعب: الفزع.

يَمْضِي ويَذْمُرُنا عن غَيرِ مَعْصِيةٍ ... كأنه البدرُ لم يُطْبَع على الكذبِ[١]
بَدَا لَنا فاتَّبَعناه نُصَدِّقه ... وكذَّبوه فكنّا أسعدَ العَرَبِ
جالُوا وجُلْنا فما فاءوا وما رَجَعوا ... ونحن نَثْفِنُهم لم نَأْلُ في الطَّلَبِ
ليسا سواءً وشَتَّى بين أمرِهما ... حزبُ الإله وأهلُ الشِّركِ والنُّصُبِ[٢][٣]

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «يمضي ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصاري.

(شعر ابن رواحة في بكاء حمزة):

قال ابن إسحاق: وقال عبدُالله بن رَوَاحة يَبْكي حمزةَ بن عبد المطّلب: قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكَعْب بن مالك:

بكَتْ عَيْني وحقَّ لها بُكاها ... وما يُغْنِي البُكاءُ ولا العَوِيلُ
على أسدِ الإله غداةَ قالوا ... أحمزةُ ذاكُم الرجلُ القَتِيلُ
أُصيب المُسْلمون به جميعا ... هُناك وقد أُصيب به الرَّسولُ
أبا يَعْلى لك الأرْكانُ هُدَّت ... وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصُولُ[٤]
عليك سلامُ ربِّك في جِنانٍ ... مُخالِطها نَعيمٌ لا يَزُولُ
ألا يا هاشمَ الأخيارِ صَبْرًا ... فكُلُّ فِعالكم حَسَنٌ جَميلُ
رسولُ الله مُصْطَبِرٌ كريمٌ ... بأمْرِ اللهِ يَنْطق إذ يَقُولُ
ألا مَنْ مُبْلغٌ عنّي لُؤَيًّا ... فبَعدَ اليَوْمِ دائلةٌ تَدُولُ[٥]
وقَبلَ اليَوْمِ ما عرَفوا وذاقُوا ... وقائعَنا بها يُشْفَى الغَلِيلُ[٦]
نَسِيتُم ضَرْبَنا بقَلِيب بَدْرٍ ... غداةَ أتاكُمُ المَوْتُ العَجِيلُ

(١) لم يطبع: لم يخلق.
(٢) جالوا: تحركوا. وفاءوا: رجعوا. ونثفنهم: نتبعهم. ولم نأل: لم نقصر.
(٣) النصب: حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها.
(٤) أبو يعلى: كنية حمزة رضي الله عنه. والماجد: الشريف.
(٥) الدائلة: الحرب.
(٦) الغليل: حرارة العطش والحزن.

غداةَ ثَوى أبو جَهْل صَرِيعا عليه الطَّير حائمـــة تَجُول[1]
وعُتْبة وابنُـــه خرَّا جميعا وشَيْبةُ عضَّه السيفُ الصَّقيل[2]
ومَتْرَكُنا أُمَيَّـــةَ مُجْلَعِبَّا وفى حَـيْزُومه لَدْنٌ نَبيــل[3]
وهامَ بَنِى رَبيعـــة سائِلُوها ففى أسْــيافنا منْها فُلُول
ألا يا هِنْـــدُ فابكى لا تَمَلِّى فأنت الوَاله العَـــبْرَى الهَبُول[4]
ألا يا هِنْـــدُ لا تُبْدِى شِماتا بِحَمْزة إنَّ عزَّكم ذَليـــل

(شعر كعب فى أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبْلـــغ قُرَيْشا على نَأْيِها أتَفْخَـــر منا بما لم تَلِى[5]
فَخَرْتُم بقتْـــلى أصابتهُمُ فواضلُ من نعَم المُفْضِل
فحلُّوا جِنانا وأبْقَوا لكم أُسُودًا تُحامى عن الأشْبُل[6]
تُقاتل عن دِينها ، وَسْطَها نَبِىٌّ عن الحَقِّ لمْ يَنْكُل[7]
رَمَتْـــه مَعَدٌّ بعُور الكَلام ونَبْل العَـــداوة لا تَأْتلى[8]

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : « لم تلى » ، وقوله : « من نعَم المفضل » أبو زيد الأنصارىّ .

(شعر ضرار فى أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال ضِرار بن الخطَّاب فى يوم أُحُد :

---

(١) حائمة : مستديرة ؛ يقال : حام الطائر حول الماء ، إذا استدار حوله . وتجول : تجىء وتذهب .

(٢) خرا : سقطا .

(٣) مجلعبا : ممتد مع الأرض . والحيزوم : أسفل الصدر . واللدن الرمح اللين . والنبيل : العظيم .

(٤) الواله : الفاقدة . والعبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : الفاقدة (أيضا) .

(٥) النأى : البعد .

(٦) تحامى : تمنع . والأشبل : جمع شبل ، وهو ولد الأسد .

(٧) لم ينكل : لم ينقص .

(٨) عور الكلام : قبيحه والفاحش منه . واحده : عوراء . ولا تأتلى : لا تقصر .

ما بالُ عَيْنِكَ قد أزرى بها السُّهد كأنّما جالَ فى أجفانها الرّمَــدُ[1]
أمِن فِراق حَبِيبٍ كُنتَ تألَفه قد حالَ من دونه الأعداءُ والبُعد
أم ذاك من شغْب قومٍ لاجَداء بهم إذ الحُروب تلظَّت نارُها تَقِــدُ[2]
ما ينْتَهُون عن الغَىِّ الذى رَكِبوا وما لهم من لُؤَىّ وَيْحهم عَضُــد
وقد نَشَــدناهُمُ بالله قاطبــةً فما تردّهمُ الأرحامُ والنَّشَــدُ[3]
حتى إذا ما أبَوْا إلا مُحاربةً واستَحْصدت بيننا الأضْغان والحقد[4]
سِرْنا إليهم بجَيْشٍ فى جَوانبه قَوانسُ البَيْض والمَحْبوكةُ السُّرد[5]
والجُرْدُ تَرْفُل بالأبْطال شازِبةً كأنّها حِدَأٌ فى سَيْرها تُؤَدُ[6]
جَيْش يَقُودُهُمُ صَخْر ويرأسهُم كأنّه لَيْثُ غاب هاصِرٌ حَرِدُ[7]
فأبْرَز الحَــين قوْما من مَنازلهم فكان مِنّا ومنهم مُلْتَقَى أُحُد
فغُودِرت منهمُ قَتْلى مُجَــدَّلة كالمَعْز أصْرَدَه بالصَّرْدحِ البَرَدُ[8]
قَتْلى كرامٌ بنو النجّار وَسْطهم ومُصْعَب مِن قَنَانا حوله قِصَدُ[9]
وحَمْزة القَرْم مَصْروع تُطيف به ثَكْلَى وقد حُزّ منه الأنْف والكَبِد[10]

(١) أزرى : قصر ؛ يقال أزريت بالرجل ، إذا قصرت به ؛ وزريت على الرجل ، إذا عبت عليه فعله ، والسهد : عدم النوم . والرمد : وجع العين .

(٢) لا جداء : لا منفعة ولا قوة . وتلظت : التهبت .

(٣) قاطبة : جميعا . والنشد : جمع نشدة ، وهى اليمين .

(٤) استحصدت : تقوت واستحكمت ، مأخوذ من قولك : حبل محصد ، إذا كان شديد الفتل محكمه ، والحقد : أصله بسكون القاف ، وحركه بالكسر للضرورة .

(٥) القوانس : أعالى بيض السلاح . والمحبوكة : الشديدة . والسرد : المنسوجة . يريد : الأذرع .

(٦) الجرد : الخيل العتاق . وشازبة : ضامرة شديدة اللحم . والحدأ : جمع حدأة . وتؤد : ترفق وتمهل .

(٧) صخر : اسم أبى سفيان . وغاب : جمع غابة وهى موضع الأسد . وهاصر : كاسر ، أى يكسر فريسته إذا أخذها . وحرد : غاضب .

(٨) مجدلة : صرعى على الأرض . واسم الأرض الجدالة . وأصرده : بالغ فى برده . والصرد : البرد . والصردح : المكان الصلب الغليظ .

(٩) وقصد : قطع متكسرة .

(١٠) القرم : السيد . وثكلى : حزينة فاقدة . وحز : قطع (بالبناء للمجهول فيهما) .

كأنه حين يكبو فى جديّته   تحت العجاج وفيه ثعلب جسد[1]
حوار ناب وقد ولى صحابته   كما تولى النعام الهارب الشرد[2]
مجلحين ولا يلهون قد ملئوا   رعبا ، فنجتهم العوصاء والكؤد[3]
تبكى عليهم نساء لا بعول لها   من كل سالبة أثوابها قدد[4]
وقد تركناهم للطير ملحمة   وللضباع إلى أجسادهم تفد[5]

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار :

(رجز أبى زعنة يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال أبو زعنة[6] بن عبد الله بن عمرو بن عتبة ، أخو بنى جشم بن الخزرج ، يوم أحد :

أنا أبو زعنة يعدو بى الهزم   لم تمنع المخزاة إلا بالألم[7]
يحمى الذمار خزرجى من جشم[8]

(رجز ينسب لعلى فى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب — قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلى :

---

(١) يكبو : يسقط . والجدية : طريقة الدم . والعجاج : الغبار . والثعلب (هنا) : ما دخل من الرمح فى السنان . وجسد : قد يبس عليه الدم .

(٢) الحوار : ولد الناقة . والناب : المسنة من الإبل . والشرد : النافرة .

(٣) مجلحين : مصممين لا يردهم شىء . والعوصاء : عقبة صعبة تعتاص على سالكها . والكؤد جمع كؤود ، وهى عقبة صعبة المرتقى .

(٤) السالبة (هنا) : التى لبست السلاب ، وهو ثياب الحزن . وقدد : قطع ؛ يعنى أنها مزقت ثيابها .

(٥) الملحمة : الموضع الذى تقع فيه القتلى فى الحرب . وتفد : تقدم وتزور .

(٦) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا بالنون ؛ وزعبة ، بالزاى والعين المهملة والباء المنقوطة بواحدة من أسفلها ، كذا قيده الدارقطنى » .

(٧) يعدو : يسرع . والهزم (بضم الهاء وفتح الزاى) : اسم فرس ؛ ويروى : الهزم (بفتح الهاء وكسر الزاى) وهو الكثير الجرى .

(٨) الذمار : ما يجب على المرء أن يحميه .

لاهُمَّ إنَّ الحارثَ بن الصِّمَّه ... كان وفيًّا وبنا ذا ذِمَّه[1]
أقبلَ فى مَهامهٍ مُهِمَّهْ ... كَليلةٍ ظَلْماءَ مُدْلَهِمَّه[2]
بين سُيوفٍ ورِماحٍ جَمَّهْ ... يَبْغى رسولَ الله فيما ثَمَّهْ[3]

قال ابن هشام : قوله : «كليلة» عن غير ابن إسحاق :

(رجز عكرمة فى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أُحد :

كلُّهم يزجره أرْحِبْ هَلا ... ولن يرَوْه اليومَ إلا مُقْبلا[4]
يَحْمِلُ رُمْحا ورئيسا جَحْفَلا[5]

(شعر الأعشى التميمى فى بكاء قتلى بنى عبد الدار يوم أحد) :

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش التَّميمى — قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسد ابن عمرو بن تميم — يبكى قَتْلَى بَنى عبْد الدار يوم أُحد :

حُيِّيَ مِنْ حَىّ على نأيِهِم ... بنو أبى طَلْحة لا تُصْرَفُ[6]
يَمُرُّ ساقيهم عليهم بها ... وكلُّ ساقٍ لهمُ يَعْرِفُ
لا جارُهم يَشْكو ولا ضَيْفُهم ... مِنْ دُونه بابٌ لهم يَصْرِفُ[7]

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى يوم أُحُد :

قتلْنا ابن جَحْش فاغتبطنا بقتْله ... وحَمْزَةَ فى فُرْسانه وابن قَوْقَلِ
وأفلتَنا منهم رجالٌ فأسْرَعوا ... فليتهم عاجُوا ولم نتعجَّلِ[8]
أقاموا لنا حتى تَعَضَّ سيوفنا ... سَراتَهم وكلُّنا غيرُ عزَّلِ[9]

---

(١) اللمة : العهد .
(٢) المهامه : جمع مهمه . وهو القفر . والمدلهمة : الشديدة السواد .
(٣) جمة : كثيرة .
(٤) أرحب هلا : كلمتان لزجر الخيل .
(٥) الجحفل : العظيم .
(٦) النأى : البعد . ولا تصرف : لا ترد ، ويريد التحية ، ويدل على ذلك قوله «حى» .
(٧) يصرف : يغلق فيسمع له صوت .
(٨) عاجوا : عطفوا وأقاموا .
(٩) سراتهم : خيارهم . والعزل : الذين لا سلاح لهم . جمع أعزل .

وحتى يكون القتلُ فينا وفيهمُ ويَلْقَوا صَبوحا شَرّه غير مُنْجَلى[1]

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » ، وقوله : « ويلقوا صبوحا » : عن غير ابن إسحاق .

(شعر صفية فى بكاء حمزة) :

قال ابن إسحاق : وقالت صَفية بنت عبد المطّلب تبكى أخاها حمزةَ بن عبد المطّلب :

أسائلة أصحاب أُحُد مخافةً بناتُ أبى من أعْجَم وخَبير[2]
فقال الخَبير إنّ حمزة قد ثوَى وزيرُ رسول الله خيرُ وَزير
دعاه إلهُ الحق ذو العرْش دعوةً إلى جنّة يحيا بها وسُرور
فذلك ما كُنَّا نرجّى ونرْتجى لحمْزة يومَ الحَشْر خير مَصير
فوالله لا أنساك ما هبَّت الصَّبا بكاءً وحزنا محْضَرى ومَسيرى[3]
على أسد الله الذى كان مِدْرَها يذُود عن الإسْلام كلّ كَفُور[4]
فياليت شلْوى عند ذاك وأعْظُمى لدى أضْبُع تعْتادنى ونُسور[5]
أقولُ وقد أعْلَى النَّعِىّ عَشيرتى جزَى الله خيرًا مِنْ أخٍ ونَصير[6]

قال ابن هشام : وأنشدنى بعضُ أهل العِلْم بالشعر قولها :

بكاء وحُزْنا محْضَرى ومسيرى

(شعر نعم فى بكاء شماس) :

قال ابن إسحاق : وقالت نُعم ، امرأة شَمَّاس بن عثمان ، تبكى شَمَّاسا ، وأصيب يوم أُحد :

---

(١) الصبوح : شرب الغداة . يعنى أنهم يسقونهم كأس المنية ومنجلى : منكشف . وفى رواية: « صباحا » .

(٢) الأعجم : الذى لايفصح .

(٣) الصبا : ريح شرقية . ومسيرى : أى غيابى .

(٤) المدره : الذى يدفع عن القوم . ويذود : يمنع .

(٥) الشلو : البقية . تعتادنى : تتعاهدنى .

(٦) النعى : يروى بالرفع على أنه فاعل ، ومعناه الذى يأتى بخبر الميت ؛ كما يروى بالنصب على أنه مفعول ، ومعناه النوح والبكاء بصوت .

يا عينُ جودِى بفَيْضٍ غيرِ إبْساسِ [١] ... على كريمٍ مِن الفتْيان أبّاسِ [٢]
صَعْبِ البَديهَةِ مَيْمُونٍ نَقيبتُه ... حَمّالِ ألْوِيةٍ رَكّابِ أفْراسِ [٣]
أقولُ لمّا أتَى الناعِى له جَزَعا ... أوْدَى الجوادُ وأوْدَى المُطْعِمُ الكاسِى [٤]
وقُلْتُ لما خَلَتْ منــه مَجالسُه ... لا يُبعِد اللهُ عنّا قُرْبَ شَمّاسِ

(شعر أبى الحكم فى تعزية نعم) :

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحَكَمِ بن سعيد بن يَرْبوع ، يعزّيها ، فقال :

إقْنَىِ حياءَكِ فى سِتْرٍ وفى كَرَمٍ ... فإنّما كانَ شَمّاسٌ مِنَ النّاسِ [٥]
لا تَقْتُلِى النفسَ إذ حانت مَنيّتُه ... فى طاعةِ اللهِ يومَ الرَّوْعِ والباسِ [٦]
قد كان حمزةُ ليثَ اللهِ فاصطبِرى ... فذاقَ يومئــذٍ من كأسِ شَمّاسِ

(شعر هند بعد عودتها من أحد) :

وقالت هِنْد بنت عُتبة ، حين انصرف المشركون عن أُحُد :

رجعتُ وفى نَفْسِى بَلابلُ جَمّةٌ ... وقد فاتنى بعضُ الذى كانَ مَطْلَبِى [٧]
مِنَ اصحابِ بدرٍ منَ قُريش وغيرِهم ... بنى هاشمٍ منهم ومن أهل يثْرب
ولكنّنى قد نِلْتُ شيئا ولم يَكن ... كما كنتُ أرجو فى مسيرى ومرْكبى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعضُ أهل العِلم بالشعر قولَها :

وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

وبعضهم يُنكرها لهِنْد ، والله أعلم [٨] .

---

(١) الإبساس : أن تمسح ضرع الناقة لتدر ، وتقول لها : بس بس ، وقد استعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف .

(٢) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والأباس : الشديد الذى يغلب غيره . وفى الأصول : « لباس » وهو صيغة مبالغة للذى يلبس أداة الحرب .

(٣) البديهة : أول الرأى والأمر . وميمون النقيبة : مسعود الفعال . والألوية : جمع لواء ، وهو العلم

(٤) أودى : هلك . والمطعم الكاسى : الجواد الذى يطعم الناس ويكسوهم .

(٥) إقنى حياءك : الزمى حياءك .

(٦) يوم الروع : يوم الفزع ، وهو يوم البأس والقتال .

(٧) البلابل : الأحزان . وجمة : كثيرة .

(٨) إلى هنا انتهى الجزء الثانى عشر من أجزاء السيرة .

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث

(طلبت عضل والقارة نفرا من المسلمين ليعلموهم فاوفد الرسول ستة) :

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحد رهطٌ من عَضَل والقارة :

(نسب عضل والقارة) :

قال ابن هشام : عَضَل والقارة ، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْرِكة :

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء [1] .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يارسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعثْ معنا نفرًا من أصحابك يُفقِّهوننا في الدين ، ويُقرِئُوننا القرآن ، ويعلِّموننا شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستة [2] من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد الغَنَويّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطَّلب ؛ وخالدُ بنُ البُكَير اللَّيْثي ، حليف بني عَدِيّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بني عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ؛ وخُبَيب بن عديّ ، أخو بني جَحْجَبَى بن كُلْفة ابن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة بن مُعاوية ، أخو بني بَياضة بن عمرو [3] بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غضْب بن جُشَم بن الخَزْرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخَزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس .

(غدر عضل والقارة بالنفر الستة) :

وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَويّ [4] فخرج

---

(١) وعلى هذه الرواية اقتصر الصحاح والقاموس وشرح المواهب .

(٢) قيل : إنهم كانوا عشرة ، وهو أصح ، ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار . (راجع الروض وشرح ديوان حسان طبع أوربا ص ٦٦ ، وشرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٦٤) .

(٣) في ر : « عامر » .

(٤) قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عليهم عاصم بن ثابت . (راجع الروض وشرح المواهب) .

مع القوم . حتى إذا كانوا على الرَّجيع ، ماء لهُذَيل بناحية الحجاز ، على صدور الهَدْأة ١ غدرُوا بهم ، فاستصرَخوا ٢ عليهم هُذيلا ، فلم يَرُع القوم ، وهم في رِحالهم ، إلا الرِّجالُ بأيديهم السيوف ، قد غَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله ما نُريد قتلَكم ، ولكنَّا نُريد أن نُصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهدُ الله وميثاقُه أن لانقتلكم .

(مقتل مرثد وابن البكير وعاصم) :

فأمَّا مَرْثَد بن أبي مرثد ، وخالد بن البُكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لانقبَل من مُشرك عهدا ولا عقدا أبدا ؛ فقال عاصم بن ثابت :

ما عِلَّتي وأنا جلْدٌ نابِلُ والقَوْسُ فيها وترٌ عُنابلُ[٣]
تزلُّ عن صَفْحَتِها المَعابِلُ الموتُ حقٌّ والحَياةُ باطِلُ[٤]
وكلُّ ما حَمَّ الإله نازل بالمَرْء والمرْءُ إليه آئِل[٥]
إن لم أُقاتلكم فأُمِّي هابِل

قال ابن هشام : هابل : ثاكل .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سُلَيمان وريشُ المُقْعَد وضالَةٌ مثل الجَحيمِ المُوقَدِ[٦]
إذا النَّواجي افتُرِشَتْ لم أُرْعَد ومُجْنأ من جلدِ ثَوْرٍ أجْرَدِ[٧]
ومُؤْمنٌ بما على محمَّد

---

(١) قال ياقوت : « الهدأة ، كما ذكره البخاري في قتل عاصم ، قال : وهو موضع بين عسفان ومكة ، وكذا ضبطه أبو عبيد البكري الأندلسي . وقال أبو حاتم : يقال لموضع بين مكة والطائف : الهدة ، بغير ألف ، وهو غير الأول ، ذكر معه لنفي الوهم » .

(٢) استصرخوا : استنصروا .

(٣) النابل : صاحب النبل . ويروى : « بازل » وهو القوى . وعنابل (بالضم) : غليظ شديد .

(٤) المعابل : جمع معبلة ، وهو نصل عريض طويل .

(٥) حم الإله : قدره . وآئل : صائر .

(٦) المقعد : رجل كان يريش النبل . والضالة : شجر تصنع منه القسي والسهام ؛ والجمع : ضال . ويعني بالضالة (هنا) : القوس .

(٧) النواجي : الإبل السريعة . ويروى : « النواحي » بالحاء المهملة . وافترشت : عرت ؛ والمجنأ : الترس لاحديد فيه . والأجرد : الأملس .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سُلَيمان ومِثْلى رامىَ وكان قومْى معشرًا كرامًا

وكان عاصم بن ثابت يُكْنى : أبا سليمان . ثم قاتل القومْ حتى قُتل وقُتل صاحباه .

(حديث حماية الدبر لعاصم) :

فلما قُتِل عاصم أرادت هُذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سُلافة بنت سَعد بن شُهَيد ، وكانت قد نَذَرت حين أصاب ابنها يوم أُحد : لئن قَدَرت على رأس عاصم لتشربَنّ فى قِحْفه الخمر ، فمنعته الدَّبر [1] ، فلما حالت بيْنه وبينهم [الدَّبْرُ] [2] قالوا : دعُوه يُمْسى فتذهب عنه ، فنأخذه . فبَعث الله الوادىَ ، فاحتمل عاصما ، فذهب به . وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهدا أن لا يمسَّه مشرك ، ولا يمسّ مُشْركا أبدا ، تَنَجُّسا ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدَّبْر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نَذَر أن لا يمسَّه مشركٌ ، ولا يمسّ مُشركا أبدا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتَنع منه فى حياته .

(مقتل ابن طارق وبيع خبيب وابن الدثنة) :

وأما زيد بن الدَّثِنَّة وخُبَيب بن عدىّ ، وعبد الله بن طارق ، فلانُوا ورقُّوا ورغبوا فى الحياة ، فأعْطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرَجوا إلى مكَّة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهران [3] انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القِران [4] ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القومُ ، فرَمَوه بالحجارة حتى قتلوه ، فقَبْره ، رحمه الله ، بالظَّهْران ؛ وأما خُبيب بن عَدىّ وزيد بن الدَّثِنَّة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قُريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خُبيبا حُجيرُ بن أبى إهاب التميمىّ ، حليف بنى نوفل ، لِعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه .

---

(١) الدبر : الزنابير والنحل .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) الظهران : واد قرب مكة . (عن معجم البلدان) .

(٤) القران : الحبل يربط به الأسير

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبي إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ؛ ويقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم :

(مقتل ابن الدثنة ومثل من وفائه للرسول) :

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفْوان بن أُمَيَّة ليقتله بأبيه ، أُمَيَّة بن خلف ، وبعث به صفوان بن أُمَيَّة مع مولًى له ، يقال له نسطاس ، إلى التَّنعيم[1] ، وأخرجوه من الحَرَم ليقتلوه . واجتمعَ رهط من قُرَيش ، فيهم أبوسفيان ابنُ حَرْب ؛ فقال له أبوسفيان حين قَدِم ليُقتل : أنْشُدُكَ اللهَ يا زيد ، أتحبّ أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نَضْرِب عنقه ، وأنك فى أهْلك ؟ قال : والله ما أحبّ أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شوكةٌ تُؤذيه ، وأنّى جالس فى أهلى . قال : يقول أبوسفيان : مارأيت من الناس أحدا يُحبّ أحدا كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نِسطاس ، يرحمه الله .

(مقتل خبيب وحديث دعوته) :

وأما خُبيب بن عدىّ ، فحدثنى عبدُ الله بنُ أبى نَجيح ، أنه حُدِّث عن ماويَّة[2] ، مولاة حُجير بن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خُبيب عِنْدى ، حُبِس فى بيتى ، فلقد اطَّلعت عليه يوما ، وإن فى يده لقِطفا من عِنب ، مِثل رأس الرَّجُل يأكل منه ، وما أعْلم فى أرْض الله عنبا يُؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله بن أبى نَجيح جميعا أنها قالت : قال لى حين حضَره القتلُ : ابعثى إلىّ بحَديدة أتطهّر بها للقتل ؛ قالت : فأعطيتُ غلاما من الحىّ المُوسى ؛ فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيتَ ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ماذا صنعتُ ! أصاب والله الرجلُ ثأرَه بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من

---

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، (راجع معجم البلدان) .

(٢) تروى بالراء وبالواو . (راجع الروض والاستيعاب وشرح المواهب) .

بيده ثم قال : لعَمْرك ، ماخافت أُمُّك غَدْرى حين بَعَثْتك بهذه الحديدة إلىّ ؟
ثم خلَّى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنُها[1] .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخُبَيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعيم ليَصْلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تَدعونى حتى أرْكعَ ركْعتين فافعلوا ؛ قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنّوا أنى إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرتُ من الصلاة . قال : فكان خُبيب بنُ عدىّ أوّل من سنّ هاتين الرَّكعتين عند القتل للمُسلمين . قال : ثم رفَعوه على خشبة ، فلما أوْثقوه ، قال : اللهمّ إنّا قد بلّغنا رسالةَ رسولك ، فبلِّغه الغداةَ ما يُصنع بنا ؛ ثم قال : اللهمّ أحْصِهم عددًا ، واقتُلهم بدَدًا[2] ، ولا تغادر منهم أحدا . ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاويةُ بن أبى سُفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضَره مع أبىسفيان ، فلقد رأيتُه يُلقينى إلى الأرض فرَقا من دعوة خُبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعى عليه ، فاضطجع لجَنْبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عَبَاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عُقْبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتَلت خبيبا ، لأنى كنت أصغرَ من ذلك ، ولكنّ أبا مَيْسرة ، أخا بنى عبد الدار ، أخذ الحربةَ فجعَلها فى يدى ، ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طعَنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمَل سَعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحىّ على بعض الشام ، فكانت تُصيبه غَشْيةٌ ، وهو بينَ ظَهْرَىِ القوم ، فذُكر ذلك لعمر بن الخطّاب ، وقيل : إنّ الرجل مُصاب ؛ فسأله عمَر فى قَدْمة قَدِمها عليه ، فقال : يا سَعيد ، ماهذا الذى يُصيبك ؟ فقال : والله يا أميرَ المؤمنين مابى من بَأْس ، ولكنى كنتُ فيمن

(١) وقيل : هو أبو حسين بن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . (راجع شرح المواهب) .
(٢) بددا : متفرقين .

حضر خُبيب بن عدىّ حين قُتل ، وسمعتُ دعوتَه ، فوالله ما خطرتْ على قلبى وأنا فى مَجلس قطُّ إلا غُشى علىّ ، فزادَتْه عند عمر خيرا .

قال ابنُ هشام : أقام خُبيب فى أيديهم حتى انقضتْ الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

(ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن) :

قال : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السَّريَّة ، كما حدثنى موْلًى لآل زيد بن ثابت ، عن عِكْرِمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبَّاس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبتَ السَّريَّة التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع ، قال رجال من المُنافقين : يا ويحَ هؤلاء المَفْتونين الذين هَلَكوا (هكذا) [١] ، لاهم قَعدوا فى أهْليهم ، ولا هم أدَّوْا رسالةَ صاحبهم ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المُنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم ، فقال سبحانه : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا » : أى لما يُظهر من الإسلام بلسانه ، « وَيُشْهِدُ اللهَ على ما فِى قَلْبِهِ » ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، « وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ » : أى ذو جِدال إذا كلمك وراجَعَك .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : الألدّ : الذى يَشغب ، فتشتدّ خصومته ؛ وجمعه : لُدّ ؛ وفى كتاب الله عزّ وجلّ : « وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا [٢] » . وقال المُهلهل بن ربيعة التَّغلبىّ ، واسمه امرؤ القيس ؛ ويقال : عدىّ [٣] بن ربيعة :

إنّ تحتَ الأحجار حَدًّا ولِينا   وخَصيما ألدَّ ذا معْلاق [٤]

ويروى « ذا مِغلاق [٥] » فيما قال ابن هشام . وهذا البيت فى قصيدة له ؛ وهو الألَنْدد .

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٣) فى القصيدة ما يرجح أن اسمه عدى ، وهو قوله :

ضربت صدرها إلى وقالت   يا عديا لقد وقتك الأواق

(٤) يقول إن فيه حدة لأعدائه ولينا لأوليائه ، والألد : الشديد الخصومة . وذا معلاق : أى أنه يتعلق بحجة خصمه .

(١) ذا مغلاق : أى أنه يغلق الكلام على خصمه ، فلا يقدر أن يتكلم معه .

قال الطِّرِمَّاح بن حَكيم الطائيّ يَصِف الحِرْباء :

يُوفِى على جِذْم الجُذُول كأنه   خَصْم أبَرَّ على الخُصُوم ألندد[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق [2] : قال تعالى : « وَإِذَا تَوَلَّى » : أى خرج من عندك « سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ » أى لايحبّ عمله ولا يرضاه . « وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ، وَاللهُ رءُوفٌ بِالعِبَادِ » : أى قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله ، والقيام بحقّه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السريّة .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : يَشْرِى نفسه : يبيع نفسه ؛ وشَرَوْا : باعوا . قال يزيد بن ربيعة [3] بن مُفرِّغ الحِمْيرىّ :

وشَرَيتُ بُرْدًا لَيْتَنى   من[4] بعد بُرْد كنتُ هامَه[5]

برد : غلام له باعه . وهذا البيت فى قصيدة له . وشَرَى أيضا : اشترى .

قال الشاعر :

---

(١) يوفى : يشرف . والجذم : القطعة من الشىء ، وقد يكون الأصل أيضا . والجذول : الأصول ؛ الواحد : جذل . وأبر : أى زاد وظهر عليهم . ويروى « أبن » بالنون ، أى أقام ولم يفهم الخصومة به يقال : أبن فلان بالمكان : إذا أقام به .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وإذا تولى سعى فى الأرض » . قال ابن إسحاق حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «أى خرج من عندك سعى فى الأرض » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٤) فى ا : « من قبل » وهى رواية فيه .

(٥) الهامة : طائر كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ، فلا يزال يقول : اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره .

حَذَلْتُ لَهَا لا تَجْزَعى أُمَّ مالكٍ   على ابْنَيْكِ إنْ عَبْدٌ لئيم شَرَاهما

(شعر خبيب حين أريد صلبه) :

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ، قول خُبيب بن عدىّ ، حين بلغه أن القومَ قد اجتمعوا لصَلْبه .

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

لقَدْ جَمَّع الأحزابُ حَوْلى وألَّبُوا   قبائلَهم واستَجْمَعوا كُلَّ مَجْمعِ [1]

وكلُّهمُ مُبْدى العداوة جاهدٌ   علَىَّ لأنى فى وِثاقٍ بمَضْيع [2]

وقد جَمَّعوا أبناءَهم ونساءَهم   وقُرِّبتُ من جذْعٍ طَويل مُمنَّع

إلى الله أشكو غُرْبَتى ثم كُرْبَتى   وما أرْصَد الأحزابُ لى عند مَصرعى [3]

فذا العَرْشِ ، صَبِّرنى على مايُرادُ بى [4]   فقد بَضَعوا لَحْمىوقد ياسَ مَطمَعى [5]

وذلكَ فى ذاتِ الإله وإنْ يَشَأْ   يُبارِكْ على أوْصال شِلْوٍ مُمزَّعِ [6]

وقد خَيَّرونى الكُفْرَ والموتُ دونه   وقد هَمَلتْ عيناىَ من غير مَجزع [7]

وما بى حِذَارُ المَوْت ، إنى لميِّتٌ   ولكنْ حِذَارى جَحْم نار مُلَفَّع [8]

فوالله ما أرجُو [9] إذا مِتّ مُسْلما   على أىّ جَنْب كان فى الله مَصرعى [10]

---

(١) ألبوا : جمعوا ؛ يقال : ألبت القوم على فلان : إذا جمعتهم عليه وحضضتهم .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « مضيع » .

(٣) أرصد : أعد .

(٤) فى ا : « يرادنى » وهو تصحيف .

(٥) وبضعوا : قطعوا . وياس : لغة فى يئس .

(٦) الشلو : البقية . والممزع : المقطع .

(٧) هملت : سال دمعها .

(٨) كذا فى ا . والجحم (بتقديم المعجمة على المهملة) : الملتهب المتقد ؛ ومنه سميت الجحيم . وفى سائر الأصول : « حجم » (بتقديم المهملة على المعجمة) وهو تحريف . وملفع : مشتمل عام ؛ يقال : تلفع بالثوب ، إذا اشتمل به .

(٩) أرجو ، أى أخاف ؛ وهى لغة . وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « مالكم لاترجون لله وقارا » ، أى لاتخافون .

(١٠) فى ا : « مضجعى » .

فَلَسْتُ بِمُبْدٍ للعدُوِّ تَخَشُّعا ... وَلا جَزَعًا إِنِّي إِلى اللهِ مَرْجِعِي[١]

(شعر حسان فى بكاء خبيب) :

وقال حسَّان بن ثابت يبكى خُبيبا :

ما بالُ عَيْنِك لا تَرْقا مَدَامِعُها[٢] ... سحًّا على الصَّدْرِ مثل اللُّؤْلُؤ القَلَقِ[٣]

على خبيبَ فَتَى الفِتْيان قد عَلِموا ... لا فشِلٍ حينَ تلْقاه وَلا نَزِقِ[٤]

فاذهب خُبَيْبُ جزَاك الله طَيِّبَةً ... وجَنَّةَ الخُلْدِ عند الحُور فى الرُّفُقِ[٥]

ماذا تقُولونَ إنْ قالَ النَّبِيّ لكم ... حينَ الملائكة الأبْرار فى الأُفُقِ

فِيمَ قتَلتم شَهِيدَ الله فى رَجُلٍ ... طاغٍ قداوعثَ فى البُلدان والرُّفَقِ[٦]

قال ابن هشام : ويروى : «الطرق»[٧]. وتركنا ما بقى منها، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا يبكى خُبيبا :

ياعينِ جُودى بدَمْعٍ منكِ منسَكِب ... وابكى خُبَيبا مع الفِتْيان لم يَؤُبِ[٨]

صَقْرًا توسَّط فى الأنْصار مَنْصِبُه ... سَمْحَ السجيَّة مَحْضًا غيرمُؤْتَشِبِ[٩]

قد هاجَ عَيْنى على عِلاّتِ عَبْرتها ... إذ قيل نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخَشَبِ[١٠]

---

(١) التخشع : التذلل .

(٢) كذا فى ا ، والديوان . وفى سائر الأصول : «عينيك» . والصواب ما أثبتناه . ولا ترقا مدامعها : لاتكف ؛ وأصله الهمز فسهله .

(٣) كذا فى ا . والديوان . والقلق : المتحرك الساقط . وفى سائر الأصول : «الفلق» بالفاء، وهو تصحيف .

(٤) الفشل : الجبان الضعيف القوة . والنزق : السيء الخلق . ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى الديوان : على خبيب وفى الرحمن مصرعه

(٥) قال أبو ذر : الرفق (بضم الراء والفاء) : جمع رفيق .

(٦) أوعث : اشتد فساده . والرفق (بفتح الفاء) جمع رفقة (بضم الراء وكسرها) .

(٧) وهى رواية الديوان .

(٨) منسكب : سائل ، ولم يؤب : لم يرجع .

(٩) السجية : الطبيعة . وفى الديوان : «حلو السجية» والمحض : الخالص ؛ وأراد به هنا : خالص نسبه . والمؤتشب : المختلط .

(١٠) العلات : المشقات . ونص : رفع (بالبناء للمجهول فيهما) ؛ مأخوذ من النص فى السير وهو أرفعه .

يأيها الرّاكب الغادي لِطَيَّتِـــهِ[1] أبلغ لدَيْك وعيداً ليس بالكَذِبِ
بنى كُهيبة[2] أنّ الحَرْب قد لَقِحَتْ مَحْلُوبُها الصَّابُ إذْ تُمْرَى لمُحتَلِبِ[3]
فيها أُسودُ بَنِى النَّجَّار تَقْدُمُهم شُهْبُ الأسنَّة فى مُعصَوْصَبٍ لَجِبِ[4]

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التى قبلها ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسَّان ، وقد تركنا أشياء قالها حسَّان فى أمر خُبيب لما ذكرتُ .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا :

لو كانَ فى الدّار قَرم ماجدٌ بَطل أَلْوى من القوم صَقْرٌ خالُه أنَسُ[5]
إذن وجدتَ خُبيبا مجلِسا فَسِــحا ولم يُشَدّ عليك السِّجنُ والحَرَسُ
ولم تَسُقْكَ إلى التَّنْعيم زِعْنِفَـــةٌ من القبائل منهم من نَفَت عُدَسُ[6]
دلَّوك غَــدْرًا وهم فيها أولُو خُلُفٍ وأنت ضَيْم لهَا فى الدّار مُحْتَبَسُ[7]

قال ابن هشام : أنَسٌ : الأصمّ السُّلَمىّ : خال مُطْعِم بن عدىّ بن نوفل

---

(١) الطية : ما انطوت عليه نيتك .

(٢) كذا فى أكثر الأصول والروض . قال السهيلى : « جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، وهذا كما يقال : بنى ضوطرى وبنى القبرة وبنى درزة . قال الشاعر :

أولاد درزة أسلموك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يسب ، وعبارة عن السفلة من الناس . وكهيبة : من الكهبة ، وهى الغبرة ، وهذا كما قالوا : « بنى الغبراء » . وفى ا : « كهينة » بالنون . وفى الديوان « فكيهة » .

(٣) لقحت : ازداد شرها . ومحلوبها : لبنها . والصاب : العلقم . وتمرى : تمسح .

(٤) المعصوصب : الجيش الكثير . واللجب : الكثير الأصوات .

(٥) القرم : السيد ، وأصله الفحل من الإبل . والماجد : الشريف . وألوى ، أى شديد الخصومة . ورواية هذا البيت فى الديوان :

لو كان فى الدار قرم ذو محافظة حامى الحقيقة ماض خاله أنس

(٦) الزعنفة : الذين ينتمون إلى القبائل ويكونون أتباعا لهم . وعدس : قبيلة من لخم . ورواية هذا الشطر الأخير فى الديوان : من المعاشر ممن قد نفت عدس

(٧) دلوك ، أى غروك . ومنه قوله تعالى : « فدلاهما بغرور » . والخلف (بضمتين) : الخلف (بضم فسكون) ، وضمت لامه فى الشعر إتباعا للخاء . والضيم : الذل ؛ والمراد « ذو ضيم » فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ولم يذكر هذا البيت فى الديوان وذكر مكانه :

صبرا خبيب فإن القتل مكرمة إلى جنان نعيم يرجع النفس

ابن عبد مناف . وقوله : « من « نفث عُدَس » يعنى حُجَيْر بن أبى إهاب ؛ ويقال الأعشى بن زُرارة بن النَّباش الأسدىّ ، وكان حليفا لبنى نَوْفل بن عبد مناف .

(من اجتمعوا لقتل خبيب) :

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا [١] على خُبَيب فى قَتْله حين قُتل من قُرَيش : عِكْرِمة بن أبى جهل ، وسَعيد بن عبد الله بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ ، والأخنَس بن شريق الثَّقفى ، حليف بنى زُهرة ، وعُبَيْدة بن حَكيم بن أميَّة بن حارثة بن الأوقص السُّلمىّ ، حليف بنى أميَّة بن عبد شمس ، وأُميَّة بن أبى عُتبة ، وبنو الحَضْرمىّ .

(شعر حسان فى هجاء هذيل لقتلهم خبيبا) :

وقال حسَّان أيضا يهجو هُذَيْلا [٢] فيما صنَعوا بخُبَيب بن عَدِىّ :

أبْلِغْ بنى عَمْرٍو بأنّ أخاهمُ ... شَرَاهُ امْرُؤٌ قد كانَ للغَدْرِ لازِما [٣]

شَرَاهُ زُهَيرُ بن الأغرِّ وجامِعٌ ... وكانا جَميعا يَرْكَبان المَحارِما

أجَرْتُم فلمَّا أن أجَرْتُم غَدَرْتُمُ ... وكُنْتُمْ بأكْناف الرَّجيع لَهاذِما [٤]

فليت [٥] خُبَيبا لم تَخُنْهُ أمانَةٌ ... وليتَ خُبَيْبا كانَ بالقَوْمِ عالِما

قال ابن هشام : زهير بن الأغرّ وجامع : الهُذَليَّان اللذان باعا خُبَيبا .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا :

إنْ سرَّكَ الغدْرُ صِرْفًا لامِزاجَ له ... فأتِ الرَّجيعَ فسَلْ عن دارِ لِحْيان [٦]

---

(١) أجلبوا : اجتمعوا وصاحوا .

(٢) هجا حسان هذيلا ، لأنهم إخوة القارة والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه . وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن إلياس . وعضل والقارة من بنى خزيمة . (راجع الروض) .

(٣) شراه : باعه ، وهو من الأضداد .

(٤) لهاذما (بالذال المعجمة) : جمع لهذم ، وهو القاطع من السيوف . (وبالزاى) : الضعفاء الفقراء . وأصل اللهزمتين : مضغتان تكونان فى الحنك ؛ واحدتهما : لهزمة ؛ والجمع : لهازم ، فشبههم بها لحقارتها .

(٥) فى م : « فليست » ، وهو تحريف .

(٦) لحيان (بكسر اللام وقيل بفتحها) : ابن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر . (راجع شرح المواهب) .

قومٌ تواصَوْا بأكْلِ الجارِ بَيْنَهُمُ   فالكَلْبُ والقِرْدُ والإنسان مِثْلانِ[1]
لو يَنْطِقُ التَّيسُ يوْما قام يَخْطُبُهم   وكان ذا شَرَف فيهم وذا شان

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو زيد الأنصارىّ قوله :

لو ينطق التَّيس يوما قام يخطبهم   وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شان

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا يهجو هُذَيلا :

سالتْ هُذَيْلٌ رسولَ الله فاحشةً   ضلَّت هُذيل بما سالت ولم تُصِبِ[2]
سالوا رسولَهُمْ ما ليس مُعْطِيَهم   حتى المَمات ، وكانوا سُبَّة العَرَب
ولَن تَرى لهُذَيْل دَاعِيا أبَدًا   يَدْعو لمَكْرُمة عن منزل الحَرَب[3]
لقد أرَادوا خِلال الفُحْش وَيْحَهُمُ   وأن يُحِلُّوا حراما كان فى الكُتُب[4]

وقال حسَّان بن ثابت أيضا يهجو هُذَيلا :

لعمْرِى لقد شانت هُذَيل بنَ مُدْرِك   أحاديثُ كانت فى خُبَيْبٍ وعاصمِ[5]
أحاديثُ لِحْيانٍ صَلَوْا بقَبيحها[6]   ولِحْيانُ جَرّامون شرَّ الجرائم[7]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ميلان » .

(٢) قال أبو ذر « سالت . أراد : سألت ، ثم خفف الهمزة ، وقد يقال : سال يسال (بغير همز) وهى لغة . ويشير حسان إلى ما سألت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرادوا الإسلام أن يحل لهم الزنا ، فهو يعيرهم ذلك » .

وقال السهيلى : « وقوله سالت هذيل ، ليس على تسهيل الهمزة فى سألت ، ولكنها لغة ، بدليل قولهم تسايل القوم ، ولو كان تسهيلا لكانت الهمزة بين بين ولم يستقم وزن الشعر بها لأنها كالمتحركة ، وقد تقلب ألفا ساكنة كما قالوا المنساة ، ولكنه شى لا يقاس عليه ؛ وإذا كانت سال لغة فى سأل فيلزم أن يكون المضارع يسيل ، ولكن قد حكى يونس : سلت تسال ، مثل خفت تخاف ، وهو عنده من ذوات الواو . وقال الزجاج : الرجلان يتسايلان . وقال النحاس والمبرد : يتساولان ، وهو مثل ما حكى يونس » .

(٣) الحرب : السلب ؛ يقال : حرب الرجل ، إذا سلب (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٤) الخلال : الخصال .

(٥) شانت : عابت .

(٦) كذا فى ا . وصلوا بقبيحها : أى أصابهم شرها . وفى سائر الأصول : « صلوب قبيحها » وهو تحريف .

(٧) جرامون : كاسبون .

أناسٌ هُم من قوْمِهم فى صَميمِهم … بمَنْزلة الزِّمْعان دُبْرَ القَوادِم[١]

هُم غَدرُوا يوم الرَّجيع وأسْلَمت … أمانتُهم ذا عِفَّةٍ ومَكارم

رسولَ رسول الله غدرًا ولم تكُن … هُذَيلٌ تَوَقَّى مُنكرات المَحارم

فسوف يَرَوْن النَّصرَ يومًا عليهمُ … بقَتْل الذى تَحْميه دون الحَرائم[٢]

أبابيلُ دَبْرٍ شُمّسٍ دون لَحْمه … حَمَت لَحْم شَهَّادٍ عِظامَ المَلاحِم[٣]

لعَلّ هُذَيْلاً أنْ يَرَوْا بمَصَابه … مَصَارِعَ قَتْلى أو مَقاما لمَأتم[٤]

ونُوقِعَ فيهم[٥] وقعة ذات صَوْلةٍ[٦] … يُوافِى بها الرُّكْبانُ أهلَ المَواسم

بأمْرِ رسولِ الله إنَّ رَسولَه … رأى رأىَ ذى حَزْم بلَحْيانَ عالم

قُبَيِّلةٌ لَيْسَ الوَفاءُ يُهِمُّهم … وإنْ ظُلِموا لم يَدْفَعوا كَفَّ ظالم

إذا النَّاسُ حلُّوا بالفَضاء رأيتَهم … بمَجْرى مَسِيل الماء بين المخارم[٧]

مَحلهُم دارُ البَوَار ورأيُهم … إذا نابَهُم أمْرٌ كرأْى البَهائم[٨]

وقال حسَّان بن ثابت يهجو هُذَيْلا :

لَحى الله لِحْيانا فَلَيْسَتْ دِماؤُهم … لَنا من قَتِيلَىْ غَدْرَةٍ بوَفاءِ[٩]

هُمو قتلوا يوم الرَّجيع ابنَ حُرَّةٍ … أخا ثِقَةٍ فى وُدِّه وصَفاء

فلو قُتِلوا يوْم الرَّجِيع بأسْرهم … بذِى الدَّبْر[١٠] ما كانوا له بكِفاء

---

(١) صميم القوم : خالصهم فى النسب . والزمعان : جمع زمع . وهو الشعر الذى يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها . ودبر : خلف . والقوادم (هنا) : الأيدى . لأنها تقدم الأرجل .

(٢) تحميه ، يعنى عاصم بن الأقلح الذى حمته النحل ، ودون الحرائم : أى دون أن يحبسه أحد من الكفار .

(٣) الأبابيل : الجماعات ، يقال : إن واحدها ، إبيل . والدبر : الزنابير ، ويقال للنحل أيضا : دبر . والشمس : المدافعة . والملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب .

(٤) المأتم : جماعة النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأراد به هنا أنهن يجتمعن فى مناحته . مقه[illegible] همزة « المأتم » لأن القافية هنا موسومة بالألف .

(٥) كذا فى ا فى سائر الأصول : « فسا » .

(٦) الصولة : الشدة .

(٧) المخارم : مسايل الماء التى يجرى فيها السيل .

(٨) البوار : الهلاك .

(٩) لحى : أضعف وبالغ فى أخذهم ، وهو من قولهم : لحوت العود ، إذا قشرته .

(١٠) يريد « بذى الدبر » : عاصما ، وقد تقدم ذكره .

قَتيلٌ حَمَتْهُ الدَّبْرُ بين بُيوتِهم ... لدَى أهلِ كُفْرٍ ظاهرٍ وجَفَاء

فقد قتلتْ لِحْيان أكرَمَ مِنهُمُ ... وباعُوا خُبَيْبا وَيْلَهم بلِفاء[1]

فأُفٍّ للِحْيانٍ على كلِّ حالة ... على ذِكْرِهم فى الذِّكْرِ كلَّ عفاء[2]

قُبَيِّلَةٌ باللُّؤْمِ والغَدْرِ تَغْتَرِى ... فلم تُمْسِ يَخْفَى لؤمُها بخَفاء[3]

فلو[4] قُتِلوا لم تُوفِ منه دماؤُهم ... بَلَى إنّ قتْلَ القاتِليه شِفائى

فالاّ أمُتْ أذْعَرْ هُذَيلا بغارةٍ ... كغادِى الجَهامِ المُغْتَدِى بافاء[5]

بأمرِ رسُولِ الله والأمْرُ أمْرُه ... يَبَيتُ لِلحْيانَ الخَنا بِفَناء

يُصبِّحُ قَوْما بالرَّجيع كأنهُم ... جِداءُ شِتاء بِتْنَ غيرَ دِفاء[6]

وقال حسّان بن ثابت أيضا يهجُو هُذَيلا :

فَلا والله ، ما تَدرِى[7] هُذَيْلٌ[8] ... أصافٍ[9] ماءُ زَمزمِ أم مَشُوبُ[10]

وَلا لهُمُ إذا اعْتَمَرُوا وَحَجُّوا ... مِنَ الحِجْرَين والمَسْعَى نَصيب[11]

ولكِنّ الرَّجيعَ لهُمْ مَحَلٌّ ... به اللُّؤْمُ المُبيَّنُ والعُيوب

كأنهُم لَدَى الكَنَّاتِ أُصْلاً ... تُيُوس بالحجاز لهَا نَبيبُ[12]

---

(١) اللفاء : الشىء الحقير اليسير . ومنه قولهم : قنع من الوفاء باللفاء.

(٢) كذا فى ا وشرح السيرة لأبى ذر . والعفاء : الدروس والتغير .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . وتغترى : يغرى بعضها بعضا . وفى ا : « تعتزى » : أى تنتسب .

(٤) فى ا : « ولو » .

(٥) أذعر : أفزع . والغادى : المبكر . والجهام : السحاب الرقيق . والإفاء (هنا) الغنيمة .

(٦) الجداء : جمع جدى . ورواية هذا الشطر الثانى فى ا .

جداء وشتائين غير دفاء

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أتدرى » .

(٨) فى ا : « هذيلا » وهو تحريف .

(٩) فى ديوان حسان طبع أوربا : « أمحض » .

(١٠) المشوب : العكر المختلط بغيره .

(١١) يعنى بالحجرين : حجر الكعبة ، فثناه مع ما يليه . ومن رواه « الحجرين » بالتحريك ، أراد الحجر الأسود ، والحجر الذى فيه مقام إبراهيم عليه السلام . والمسعى : حيث يسعى بين الصفا والمروة .

(١٢) الكنات : جمع كنة ، وهى شىء يلصق بالبيت يكن به . وأصل (بضمتين وسكن تخفيفا) جمع أصيل ، وهو العشى . والنبيب : الصوت . وقد أسقط الديوان هذا البيت وأثبت بدله :

تجوزهم وتدفعهم على ... فقد عاشوا وليس لهم قلوب

هُم غَروا بذمَّتِهم خُبيبا فبئسَ العَهدُ عهدُهم الكَذُوبُ

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبى زيد الأنصارى .

(شعر حسان فى بكاء خبيب وأصحابه) :

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يبكى خُبيبا وأصحابه :

صلى الإلهُ على الَّذين تتابعُوا يَوْمَ الرَّجيع فأُكرِموا وأُثيبُوا[1]

رأس السَّريَّة مَرْثَد وأميرهم وابن البُكَير إمامهم وخُبَيب[2]

وابنٌ لطارقَ وابن دَثْنَةَ منهمُ وافاه ثَمَّ حِمامُه المكتوب[3]

والعاصم المقتول عند رَجيعهم كَسَبَ المعالى إنَّه لكَسُوب

مَنَعَ المَقادة أن ينالوا ظَهْره حتى يُجالد إنَّه لنَجيب[4]

قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدَّل إنه لنجيب[5] .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسَّان .

حديث بئر معونة

فى صفر سنة أربع

(بعث بئر معونة) :

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيَّةَ شوَّال وذا القعدة وذا الحجة — وولى تلك الحجة المشركون والمحرم — ، ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَ بئر معونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أُحُد .

= قال فى التعليق عليه : على بن مسعود الغسانى ، وحضن بنى عبد مناف بن كنانة فنسبوا إليه .

(١) أثيبوا : من الثواب .

(٢) أردف حرف الروى بياء مفتوح ما قبلها ، فخالف بذلك سائر أبيات القصيدة ، وهذا عيب من عيوب القافية ، يسمى : التوجيه ، وهو أن يختلف ما قبل الردف .

(٣) ترك تنوين « طارق » هنا لضرورة إقامة وزن الشعر ، وهو سائغ على مذهب الكوفيين ، والبصريون لا يرونه . والحمام : الموت .

(٤) المقادة : الانقياد والمذلة ، ويجالد : يضارب بالسيف .

(٥) يجدل : يقع بالأرض ، واسم الأرض : الجدالة .

(سبب إرساله) :

وكان من حديثهم، كما حدثني أبي إسحاقُ بن يسار عن المُغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، وغيرُه من أهل العلم، قالوا: قدم أبو بَراء عامر بن مالك بن جعفرُ مُلاعبُ الأسنَّة[1] على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ، فعرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، ودعاه إليه، فلم يُسلم ولم يَبْعُد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالا من أصحابك إلى أهل نجد، فدَعَوْهم إلى أمرك، رجوتُ أن يَستجيبوا لك؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إني أخشَى عليهم أهلَ نجد؛ قال أبو بَراء: أنا لهم جار، فابعَثْهم فليدْعُوا الناس إلى أمرك.

(رجال البعث) :

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُنذر بن عَمرو، أخا بني ساعدة، المُعْنِق ليَمُوت[2] في أربعين رجلا[3] من أصحابه، من خيار المسلمين: منهم: الحارث بن الصِّمَّة، وحَرام بن ملْحان أخو بني عَدِيّ بن النَّجَّار، وعُرْوة بن أسماء بن الصَّلت السُّلَمي، ونافع بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعيّ، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر الصدّيق، في رجال مُسمَّين من خيار المسلمين. فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سُلَيم أقرب.

(غدر عامر بهم) :

فلما نزلُوها بعثوا حَرام بن ملْحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّ الله عامر بن الطفيل؛ فلما أتاه لم ينظُر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله،

---

(١) وسمى أبو براء ملاعب الأسنة بقوله يخاطب أخاه فارس قرزل، وكان قد فر منه في حرب كانت بين قيس وتميم.

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا ‏ ‏ يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

(٢) المعنق يموت، أي المسرع، وإنما لقب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة.

(٣) الصحيح أنهم كانوا سبعين رجلا. (راجع البخاري، ومسلم، والروض وشرح المواهب).

ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يُجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخفر[١] أبا بَرَاء ، وقد عقد لهم عقدًا وجِوارا ؛ فاستصرخ عليهم قبائلَ من بنى سُلَيم (من [٢]) عُصيَّة ورِعْل وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرَجوا حتى غَشُوا القَوْم ، فأحاطوا بهم فى رِحالهم ؛ فلما رأوهم أخذوا سُيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعبَ بن زيد ، أخا بنى دينار بن النجَّار ، فانهم تركوه وبه رَمَق ، فارتُثَّ [٣] من بين القَتْلى ، فعاش حتى قُتل يومَ الخندق شهيدًا ، رحمه الله .

(ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بمقتل أصحابهما) :

وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف .

قال ابن هشام: هو المُنذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيحة بن الجُلاح .

قال ابن إسحاق : فلم يُنبئْهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحومُ على العَسْكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فاذا القوم فى دِمائهم ، وإذا الخيلُ التى أصابتْهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أُمَيَّة : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنُخبره الخَبَر ؛ فقال الأنصارى : لكنى ماكنتُ لأرغب بنفسى عن مَوْطن قُتل فيه المُنذر بن عمرو ؛ وما كنتُ لتُخبرنى عنه الرجال ؛ ثم قاتل القومَ حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بنَ أُميَّة أسيرا ؛ فلما أخبرهم أنه من مُضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزَّ ناصيتَه ، وأعتَقه عن رَقَبة زعم أنها كانت على أمه .

---

(١) نخفر : ننقض عهده .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) ارتث : أى رفع وبه جراح ، يقال : ارتث الرجل من معركة الحرب : إذا رفع منها وبه بقية حياة .

(قتل العامريين) :

فخرج عمرو بن أُميَّة ، حتى إذا كان بالقَرْقرة [1] من صَدْر قَنَاة [2] ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : (ثم [3]) من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سُلَيم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظلّ هو فيه . وكان مع العامريَّين عَقْدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجِوار ، لم يَعلم به عمرو بن أُميَّة ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرةً [4] من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخَبَر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلتَ قتيلين ، لأَدِيَنَّهما !

(حزن الرسول من عمل أبى براء) :

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبى بَرَاء ، قد كنت لهذا كارها متخوّفا . فبلغ ذلك أبابراء ، فشقّ عليه إخفارُ عامر إيَّاه ، وما أصاب أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجِواره ؛ وكان فيمن أُصيب عامر بن فُهيرة .

(أمر ابن فهيرة بعد مقتله) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عُروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطُّفيل كان يقول : مَنْ رجل منهم لمَّا قُتِل رأيته رُفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهيرة [5] .

---

(١) هى قرقرة الكدر ، موضع بناحية المعدن ، قريب من الأرحضية ، بينه وبين المدينة ثمانية برد . (عن معجم البلدان) .

(٢) قناة : واد يأتى من الطائف ويصب فى الأرحضية وقرقرة الكدر . (عن معجم البلدان) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الثؤرة : الثأر .

(٥) قال السهيلى : « هذه رواية البكائى عن ابن إسحاق . وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد

(سبب إسلام بن سلمى) :

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جبّار بن سلْمى بن مالك بن جعفر ، قال ـ وكان جبّار فيمن حضرها [١] يومئذ مع عامر ثم أسلم ـ (قال) [٢] فكان يقول : إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنتُ رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرتُ إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فُزْتُ والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ! ألستُ قد قتلتُ الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ؛ فقلت : فاز لعَمْرو الله .

(شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت يحرّض بني أبي برَاء على عامر بن الطّفيل :

بَنِى أمّ البَنِين ألم يَرُعْكم ... وأنتم من ذَوائب أهْل نَجْدِ [٣]
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبي بَرَاءٍ ... ليُخْفرَهُ وَما خَطَأٌ كعَمْدِ

أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبي عليه الصلاة والسلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة » .

(١) حضرها ، أي حضر يوم بئر معونة .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) قال أبو ذر : يريد قول لبيد :

نحن بني أم البنين الأربعه

وكانوا نجباء فرسانا ، ويقال إنهم كانوا خمسة ، لكن لبيدا جعلهم أربعة لإقامة القافية . . . وقال السهيلي : وإنما قال الأربعة وهم خمسة (طفيل وعامر وربيعة وعبيدة الوضاح ومعاوية ، ومعوذ الحكماء) لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يعزى إلى الفراء . أنه قال أربعة ولم يقل خمسة ، من أجل القوافي . فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأويله في قوله سبحانه وتعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . وقال : أراد جنة واحدة ، وجاء بلفظة التثنية ليتفق رؤوس الآى أو كلاما هذا معناه » . ثم قال السهيلي : « ومما يدلك على أنهم كانوا أربعة حين قال لبيد هذه المقالة ، أن في الخبر ذكر يتم لبيد وصغر سنه ، وأن أعمامه الأربعة استصغروه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم ما قاولهم به الربيع ابن زياد ، فسمعهم لبيد يتحدثون بذلك ويهتمون له ، فسألهم أن يدخلوه معهم على النعمان وزعم أنه سيفحمه ، فتهاونوا بقوله ، واختبروه بأشياء ، وكان من حديث ذلك أن دخل وألقى بين يديه قصيدته :

نحن بني أم البنين الأربعه ... المطعمون الجفنة المدعدعه

والذوائب : الأعالي .

ألا أبلـغْ ربيعةَ ذا المساعى … فمَا أحدثتَ فى الحدَثان بعدى[١]

أبوك أبو الحروب أبو براء … وخالُك ماجدٌ حكَم بنُ سعْد

(نسب حكم وأم البنين) :

قال ابن هشام: حكم بن سعد : من القَيْن بن جَسْر ؛ وأمّ البنين : بنت عمرو[٢] بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ، وهى أمّ أبى برَاء .

(طعن ربيعة لعامر) :

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعةُ (بن عامر) [٣] بن مالك على عامر بن الطُّفيل ، فطعَنه بالرمح ، فوقع فى فخذه ، فأشْواه[٤] ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى براء ، إن أمُت فَدمى لعمّى ، فلا يُتْبَعَنّ به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أُتِىَ إلىّ .

(مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له) :

وقال أنس بن عبَّاس السُّلَمىّ ، وكان خال طُعيمة بن عدىّ بن نوفل ، وقتَل يومئذ نافعَ بن بُدَيل بن ورْقاء الخزاعىّ :

تركتُ ابنَ ورقاءَ الخزاعىّ ثاويا … بمُعتَرَك تَسْفِى عليه الأعاصِر[٥]

ذكرتُ أبا الرَّيان لما رأيتُه[٦] … وأيقنت أنى عنـد ذلك ثائر[٧]

وأبو الرَّيان : طُعيمة بن عدىّ .

وقال عبدُ الله بن رَواحة يبكى نافع بن بُديل بن ورْقاء :

رَحِم اللهُ نافعَ بن بُديلٍ … رحمةَ المُبتغى ثوَاب الجهادِ

صابر صادق وفىّ إذا ما … أكثرَ القومُ قال قولَ السَّدادِ

---

(١) المساعى : السعى فى طلب المجد والمكارم .

(٢) قال السهيلى : « واسمها ليلى بنت عامر ؛ فيه : زعموا » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) أشواه : أخطأ مقتله .

(٥) المعترك : الموضع الضيق فى الحرب . وتسفى : تأتى إليه بالتراب . والأعاصر : الرياح التى يلتف معها الغبار .

(٦) كذا فى أكثر الأصول والمؤتلف والمختلف والروض رواية عن إبراهيم بن سعد . وفى ا : « الزبان » وذكر أبو ذر أن الأول هى الصواب فيه .

(٧) ثائر : آخذ بثأرى .

(شعر حسان فى بكاء قتلى بئر معونة) :

وقال حسّان بن ثابت يبكى قَتلى بئر معونة ، ويخُصُّ المُنذر بن عمرو :

على قَتْـلَى مَعونةَ فاستهلِّى   بدَمْعِ العَيْنِ سَحًّا غـيرَ نَزْرِ[١]

على خَيْلِ الرَّسولِ غداةَ لاقَوا   مَناياهُم ولاقَتْهـم بقَـدْرِ[٢]

أصابهمُ الفَناءُ بعَقْـدِ قوْمٍ   تُخُوِّن عَقْدُ حَبْلهم بغَـدْرِ[٣]

فيا لَهْفى لمُنـذِرٍ إذْ تولَّى   وأعنَق فى منيّته بصَـبْرِ[٤]

وكائنْ قد أُصيب غداة ذاكُم   منَ ابْيَض ما جدٍ من سرّ عمرو[٥]

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتا أبو زيد الأنصارى .

(شعر كعب فى يوم بئر معونة) :

وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر مَعونة ، يُعَـيِّر بنى جعفر بن كلاب :

ترَكْتُم جارَكم لبَنِى سُـلَيم   مخافةَ حَـرْبِهم عَجزًا وهُونا[٦]

فلو حَبْلاً تناولَ من عُقَيل   لمَدَّ بحَبْلها حبـلا متَينا[٧]

أو القُرَطاء ما إن أسْـلَموه   وقِدْمًا ما وَفَوا إذ لا تَفُونا

(نسب القرطاء) :

قال ابن هشام: القُرطاء : قبيلة من هَوازن ، ويُروى « من نَفيل » مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح ؛ لأن القُرَطاء من نُفَيل قريب[٨] .

---

(١) استهل : أسيلى دمعك . والسح : الصب ، والنزر : القليل .

(٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول :

ولاقتهم مناياهم بقدر

(٣) تخون : تنقص (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٤) أعنق : أسرع . والعنق بفتحتين : ضرب من السير سريع .

(٥) سر القوم : خيرهم وخالصهم .

(٦) الهون : الهوان ، والهون لغة الحجازيين .

(٧) يعنى « بالحبل » : العهد والذمة .

(٨) قال أبو ذر : « القرطاء : بطون من العرب من بنى كلاب ، وهم : قراط (بالضم) وقريط (بالتصغير) وقريط (بفتح فكسر) . ويسمون القروط أيضا » .

أمر إجلاء بنى النضير

فى سنة أربع

(خروج الرسول إلى بنى النضير يستعينهم فى دية قتل بنى عامر وهمهم بالغدر به) :

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضير[1] يَسْتعينهم فى دِية ذينك القَتيلين من بنى عامر، اللذين قَتل عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى، للجوار الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَقد لهما، كما حدَّثنى يزيد بن رُومان، وكان بين بنى النَّضير وبين بنى عامر عَقْد وحِلْف. فلمَّا أتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَسْتعينهم فى دِية ذَيْنك القَتيلين، قالوا: نعم، يا أبا القاسم، نُعينك على ما أحببْت، مما استَعَنت بنا عليه. ثم خلا بعضُهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْب جِدار من بيوتهم قاعد — فمَنْ رجلٌ يعلُو على هذا البيت، فيُلْقى عليه صخرةً، فيُريحنا منه؟ فانتدَب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدُهم، فقال: أنا لذلك، فصَعد ليُلْقىَ عليه صخرَة كما قال، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعُمر وعلىٌّ، رِضْوان الله عليهم.

(انكشاف نيتهم للرسول واستعداده لحربهم) :

فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القومُ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة. فلما استَلبث النبىَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه، قاموا فى طَلبه، فلقُوا رجلاً مُقبلاً من المدينة، فسألوه عنه؛ فقال: رأيته داخلا المدينة. فأقبل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم، فأخبرهم الخبرَ، بما كانت اليهودُ أرادتْ من الغَدْر به، وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتَّهيُّؤ لحَرْبهم، والسَّيْر إليهم.

قال ابن هشام[2]: واستعمل على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم.

---

(١) قال السهيلى: «ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة فى هذا الموضع وكان ينبغى أن يذكرها بعد بدر لما روى عقيل وغيره عن الزهرى قال: كانت غزوة بنى النضير بعد بدر بستة شهور».

(٢) فى ا: «فيما قال ابن هشام» وقد وردت هذه العبارة بعقب كلمة «مكتوم».

قال ابن إسحاق : ثم سار بالنَّاس [١] حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك فى شهر ربيع الأول ، فحاصرهم ستّ ليال ، ونزل تحريم الخمر

(حصار الرسول لهم وتقطيع نخلهم) :

قال ابن إسحاق : فتحصَّنوا منه فى الحُصون ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقَطْع النَّخيل والتَّحْريق فيها ، فنادَوْه : أنْ يا محمد ، قد كنتَ تَنْهى عن الفَساد ، وتَعيبه على مَن صَنَعه ، فما بال قَطْع النخل وتحريقها [٢] ؟

(تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح) :

وقد كان رَهْط من بنى عَوْف بن الخزرج ، منهم (عدُوّ الله) [٣] عبدُ الله بن أُبَىّ ابن سَلول (و [٤]) وديعة ومالك بن أبى قَوْقل ، وسُوَيد وداعِس ، قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتُوا وتمنَّعوا ، فإنَّا لن نُسلمَكم ، إن قوتلتم [٥] قاتلنا معكم ، وإن أُخْرِجتم خرَجنا معكم ، فتربَّصوا ذلك من نَصْرهم ، فلم يَفْعلوا ، وقَذَف الله فى قلوبهم الرُّعب ، وسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْلِيَهم ويكفَّ عن دمائهم ، على أنّ لهم ما حَملت الإبل من أموالهم إلا الحلْقة [٦] ، ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبل ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِم بيتَه عن نِجاف [٧] بابه ، فيَضعه على ظَهْر بعيره فينطلق به . فخرَجوا إلى خَيْبرَ ، ومنهم مَن سار إلى الشام .

(من هاجر منهم إلى خيبر) :

فكان أشرافَهم مَنْ سار منهم [٨] إلى خَيْبر : سلاّم بن أبى الحُقَيق ، وكِنانة ابن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق ، وحُيَىّ بن أخْطب . فلما نزلوها دان لهم أهلُها .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) قال السهيلى : « قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء حتى أنزل الله تعالى : « ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها . . . » الآية .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قتلتم » وهى ظاهرة التحريف .

(٦) الحلقة : السلاح كله ، أو خاص بالدروع .

(٧) النجاف (بوزن كتاب) : العتبة التى بأعلى الباب . والأسكفة : العتبة التى بأسفله .

(٧) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

قال ابن إسحاق : فحدّثني عبد الله بن أبي بَكر أنه حُدِّث : أنهم استقلُّوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدُّفوف والمَزامير ، والقِيان يَعْزفن خَلْفهم ، وإنّ فيهم لأمّ عَمْرو صاحبةَ عُرْوة بن الوَرْد العَبْسىّ ، التى ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بنى غِفار[١] ، بزهاء[٢] وفَخْر ما رُئِىَ مثله من حىّ من الناس فى زمانهم .

(تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين) :

وخلَّوُا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّةً ، يضعها حيث يشاء ، فقسَّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار . إلا أنّ سَهْل بن حُنَيف وأبا دُجانة سِماك ابن خَرَشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[٣] .

(من أسلم من بنى النضير) :

ولم يُسْلم من بنى النَّضير إلا رجلان : يامينُ بن عُمير ، أبو[٤] كَعْب بن عمرو ابن جِحاش ؛ وأبو سعد بن وَهْب ، أسْلما على أموالهما فأحْرزاها .

(تحريض يامين على قتل ابن جحاش) :

قال ابن إسحاق – وقد حدثنى بعض آل يامين : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم ترمالقِيتُ من ابن عمّك ، وما همّ به من شأنى ؟ فجعل يامينُ ابن عُمير لرجل جُعْلاً على أن يقتل له عَمْرو بن جِحاش ، فقتَله فيما يزعمون .

(ما نزل فى بنى النضير من القرآن) :

ونزل فى بنى النَّضير سورةُ الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقْمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وماعمل به فيهم ، فقال

---

(١) هى سلمى . وقال الأصمعى : اسمها ليلى بنت شعواء . وقال أبو الفرج : «هى سلمى أم وهب» امرأة من كنانة كانت (ناكحة فى مزينة) ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسباها . قال السهيلى : وكونها من كنانة لايدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار ، لأن غفار من كنانة ، فهو غفار بن مليل بن ضمرة ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . « راجع الروض الأنف للسهيلى » .

(٢) الزهاء : الإعجاب والتكبر .

(٣) قال السهيلى : « وقال غير ابن إسحاق : وأعطى ثلاثة من الأنصار » .

(٤) فى الأصول : « ابن » والتصويب عن شرح السيرة لأبى ذر .

تعالى : « هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ ١ ، ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُم مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ ، فَأَتاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى المُؤْمِنِينَ » ، وذلك لهدْمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها . « فاعْتَبِرُوا يا أُولى الأَبْصارِ ، وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ » وكان لهم من الله نقمة ، « لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيا » : أى بالسيف ، « وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذابُ النَّارِ » مع ذلك . « ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً على أُصُولِها » . واللينة : ما خالف العجوة من النخل « فَبِإِذْنِ اللهِ » : أى فبأمر الله قُطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقْمة من الله « وَلِيُخْزِىَ الفاسِقِينَ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : اللِّينة : من الألوان ، وهى ما لم تكن بَرْنيَّة ولا عَجْوة من النخل ، فيما حدّثنا أبوعُبيدة ٢ . قال ذوالرُّمَّة :

كأنّ قُتُودى فوْقها عُشُّ طائر ... على لِينَةٍ سَوْقاءَ تَهْفو جُنُوبها٣

وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما أفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ » — قال ابن إسحاق : يعنى من بنى النَّضير — « فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكابٍ ، وَلكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ ، وَاللهُ على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » : أى له خاصة .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير . قال تميم بن أُبىّ بن مُقْبِل أحد بنى عامر بن صَعْصعة :

---

(١) قال السهيلى : روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى أرض المحشر ، وهى الشام ؛ وقيل إنهم كانوا فى بسطة لم يصبهم جلاء قبلها . فلذلك قال : لأول الحشر ؛ والحشر : الجلاء .

(٢) فى ا : « قال ابن هشام : قال أبو عبيدة » .

(٣) القتود : الرحل مع أدواته . وسوقاء : غليظة الساق . وتهفو : تهتز وتضطرب . وجنوبها : نواحيها .

مذاويد بالبيض الحَـــديثِ صِقالها   عن الرّكب أحيانا إذا الركبُ أوْجَفوا[١]

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الوجيف . (و[٢]) قال أبو زبيد[٣] الطائىّ ، واسمه حَرْمَلة بن المُنْذِر :

مُسْنفات كأنهنّ قَنا الهنْـــدِ لطُول الوَجيف جَدْبَ المَرُود[٤]

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : السِّناف : البِطان[٥] . والوجيف (أيضًا) : وجيف القلب والكبد ، وهو الضَّربان . قال قيس بن الخَطِيم الظَّفَرى :

إنَّا وإن قَدَّموا التى علمُوا[٦]   أكْبادُنا مِنْ وَرائهم تَجِفُ

وهذا البيت فى قصيدة له :

« ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَللهِ وللرَّسُولِ »ــ قال ابن إسحاق : ما يُوجِف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفُتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ــ « ولِذِى القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْلا يَكُونَ دُولةً بينَ الأغْنِياءِ مِنْكُمْ ، وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ ، وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا » . يقول : هذا قَسْم آخر فيما أُصيب بالحرب[٧] بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « ألَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا » يعنى عبدالله بن أُبَىٍّ وأصحابه ، ومَن كان على مثل أمرهم « يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ » : يعنى بنى النَّضير ، إلى قوله « كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبا

---

(١) المذاويد : جمع مذواد ، وهو الذى يدفع عن قومه . والبيض : السيوف . والحديث صقالها ، أى القريب عهدها بالصقل .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « زيد » وهو تحريف .

(٤) مسنفات : مشدودات بالسنف ، وهو الحزام . والجدب : النفر . والمرود : الموضع الذى يرتاده الرائد ، أى الطالب للرعى .

(٥) البطان : حزام منسوج .

(٦) فى م ، ر : « عملوا . » .

(٧) فى م ، ر : « الحرب » .

ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » : يعنى بنى قَيْنُقَاع . ثم القصة ... إلى قوله : « كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلإِنْسانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ ، إِنِّى أَخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ ، فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فى النّارِ خالِدِينَ فِيها ، وَذلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ » .

(ما قيل فى بنى النضير من الشعر) :

وكان مما قيل فى بَنى النَّضير من الشعر قولُ ابن لُقَيْم العَبْسى ، ويقال : قاله قيس بن بَحْر بن طَرِيف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعى — فقال :

أَهْلِى فِداءٌ لامرئٍ غيرِ هالكٍ … أَحَلَّ اليهودَ بالحَسِىِّ المُزَنَّمِ[1]
يَقيلون فى جَمْرِ الغَضَاةِ وبُدِّلُوا[2] … أُهَيْضِبَ[3] عُودَى[4] بالوَدِىِّ المُكَمَّمِ[5]
فإِنْ يَكُ ظَنِّى صادقا بمُحَمَّدٍ … تَرَوْا خَيْلَهُ بين الصَّلا ويَرَمْرَمِ[6]

---

(١) قال أبو ذر : « الحسى والحساء : مياه تغور فى الرمل تمسكها صلابة الأرض ، فإذا حفر عنها وجدت . والمزنم (على هذا التقول) : المقال اليسير . ومن رواه : بالحشى . أراد به حاشية الإبل ، وهى صغارها وضعافها ، وهو الصواب . والمزنم (على هذا التقول) : أولاد الإبل الصغار . وقد يكون المزنم (هنا) : المعز ، سميت بذلك للزنمتين اللتين فى أعناقها ، وهما الهنتان اللتان تتعلقان من أعناقها » .

وقال السهيلى : « يريد أحلهم دار غربة فى غير عشائرهم ، والزنيم والمزنم : الرجل يكون فى القوم وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحسى ، أى المبعد الطريد ، وإنما جعل الطريد الذليل حسيا ، لأنه عرضة الأكل . والحسى والحسو : مايحسى من الطعام حسوا ، أى أنه لايمتنع على آكل . ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغذى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف . الذى لايستطيع الرعى ؛ يقال : بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم رذال المال وغذاء الغنم والمزنم منه . فهذا وجه يحتمل . وقد أكثرت التنقير من الحسى فى مظانه من اللغة فلم أجد نصا شافيا أكثر من قول أبى على : الحسية والحسى : مايحسى من الطعام . وإذا قد وجدنا الغذى ، واحدة غذاء الغنم ، فالحسى فى معناه غير ممتنع أن يقال ، والله أعلم . والمزنم (أيضا) صغار الإبل » .

وقد يكون الحسى أيضا : الغصن من النبات . ويكون المزنم ماله زنم وهو الورق .

(٢) كذا فى ا . والغضاة : واحدة الغضى ، وهو شجر . وفى سائر الأصول : « العضاة » وهو شجر أيضا ؛ الواحدة : عضة .

(٣) كذا فى أكثر الأصول وشرح السيرة لأبى ذر . والأهيضب : المكان المرتفع . وفى ا « أهيصب » بالصاد المهملة .

(٤) كذا فى ا . قال أبو ذر : « غودى » : اسم موضع . ومن رواه : عودا ، فهو من عاد يعود ، أو الصواب رواية من رواه : « عودى » . وفى سائر الأصول : « عورى » .

(٥) الودى : صغار النخل . والمكم : الذى خرج طلعه .

(٦) الصلا ويرمرم : موضعان .

يَؤُم بهَا عمرو بن بُهثة إنهم ... عدوٌ و ما حيٌ صديق كَمُجرِم
عليهنّ أبطالٌ مساعيرُ فى الوَغَى ... يهزّون أطرافَ الوَشيج المُقوّم[1]
وكُلّ رقيق الشَّفرتين مهنّد ... تُوُورِثن منْ أزْمان عادٍ وجُرْهم
فمَنْ مُبْلغٌ عنّى قُرَيشا رِسالةً ... فهل بعدهم فى المجْدِ من مُتكرّم
بأنّ أخاكم فاعلمُنّ محمّداً ... تَليدُ النّدى بين الحَجون وزَمْزم[2]
فدِينُوا له بالحقّ تَجْسُمُ أمُورُكم ... وتَسْموا من الدُّنيا إلى كل مُعْظَم[3]
نبىٌ تلاقتْه من الله رحمةٌ ... ولا تَسألوه أمرَ غيْبٍ مُرَجّم[4]
فقد كانَ فى بَدْرٍ لعَمْرِى عِبْرةٌ ... لكم يا قُرَيشا والقَليبِ المُلَمّم[5]
غداةَ أتى فى الخَزْرجيّة عامداً ... إليكم مُطيعا للعظيم المُكَرّم
مُعانا برُوح القُدُس يُنْكى عدُوّه ... رسولا مِنَ الرّحمن حقّاً بمَعْلَم[6]
رَسولا مِنَ الرّحمن يتْلو كتابَه ... فلمّا أنارَ الحَقُّ لم يتَلَعْثَم[7]
أرى أمرَه يَزْداد فى كلّ مَوْطن ... عُلُوّا لأمر حَمّه اللهُ مُحْكَم[8]

قال ابن هشام : عمرو بن بُهثة ، من غَطَفان . وقوله « بالحىّ المزنم » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب : يذكر إجلاء بنى النضير ، وقتْل كعب بن الأشْرف .

قال ابن هشام : قالها رجلٌ من المسلمين غير علىّ بن أبى طالب ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم بالشّعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلىّ :

---

(١) مساعير : يسعرون الحرب ويهيجونها . والوشيج : الرماح .
(٢) تليد . قديم . والندى : الكرم . والحجون : موضع بمكة .
(٣) فدينوا ، أى أطيعوا . وتجسم : تعظم . وتسمو : ترفع .
(٤) المرجم : المظنون الذى لا يتيقن .
(٥) الملمم : المجموع .
(٦) روح القدس : جبريل عليه السلام . وينكى عدوه : يبالغ فى ضرره . والمعلم : الموضع المرتفع المشرف .
(٧) لم يتلعثم : لم يتأخر ولم يتوقف .
(٨) حمه : قدره .

عرفتُ ومَنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفِ ... وأيْقَنْتُ حقًّا ولم أصْدِفِ[1]

عَنِ الكلِمِ المُحْكَمِ اللاءِ[2] من ... لدى الله ذى الرَّأفة الأرأفِ

رسائلُ تُدْرَسُ فى المُؤْمنين ... بِهِنَّ اصطَفَى أحمدَ المُصْطَفَى

فأصْبَحَ أحمدُ فينا عزيزًا ... عزيزَ المَقامةِ والمَوْقِفِ[3]

فيأيها المُوعِدوه سَفاها ... ولم يأتِ جَوْرًا ولم يَعْنُفِ[4]

ألستم تخافُون أدنى العذابِ ... وما آمِنُ اللهِ كالأخْوفِ

وأنْ تُصْرَعوا تحت أسيافه ... كمَصْرعِ كعبٍ أبى الأشْرفِ

غداةَ رأى اللهُ طُغْيانه ... وأعْرضَ كالجَمَلِ الأجْنَفِ[5]

فأنزَلَ جبريلَ فى قتْله ... بوَحْيٍ إلى عَبْده مُلْطَفِ

فدَسَّ الرَّسولُ رسولا له ... بأبْيَضَ ذى هَبَّةٍ مُرْهَفِ[6]

فبَاتَتْ عيُونٌ لهُ مُعْوِلاتٍ ... متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِفِ[7]

وقُلْنَ لأحمدَ ذَرْنا قليلاً ... فإنَّا مِنَ النَّوْحِ لم نَشْتَفِ

فخلَّاهُمُ ثم قالَ اظْعَنُوا ... دُحورا على رَغْمِ الآنُفِ[8]

وأجْلَى النَّضِيرَ إلى غُرْبَةٍ ... وكانوا بدارِ ذوى زُخْرُفِ[9]

إلى أذرِعاتٍ رُدَافَى وهُم ... على كلِّ ذى دَبَرٍ أعْجَفِ[10]

---

(١) لم أصدف : لم أعرض .

(٢) فى ا : « الآى » .

(٣) المقامة (بضم الميم) : موضع الإقامة .

(٤) الموعدوه : المهددوه . والسفاه : الضلال . ولم يعنف : لم يأت غير الرفق .

(٥) الأجنف : المائل إلى جهة .

(٦) بأبيض : يعنى سيفا . والهبة : الاعتزاز . والمرهف : القاطع .

(٧) معولات : باكيات بصوت . وينعى : يذكر خبر قتله . وتذرف : تسيل بالدموع .

(٨) اظعنوا : ارحلوا . والدحور (بالدال المهملة) : الذل والهوان . وعلى رغم الآنف : على المذلة ؛ يقال : أرغم الله أنفه ، إذا أذله . والآنف : جمع أنف .

(٩) الغربة (بضم الغين) : الاغتراب . (وبفتح الغين) : البعد . والزخرف : الزينة وحسن التنعم .

(١٠) أذرعات : موضع بالشام . وردافى : أى مرتدفين يردف بعضهم بعضا ؛ الواحد : ردف (كسكرى وسكارى) . ويروى : ردافا ، وهو بهذا المعنى . وذو دبر أعجف : يعنى جملا . ودبر : جرح . والأعجف : الهزيل الضعيف .

فأجابه سَمّاك [1] اليهودىّ ، فقال :

إنْ تَفْخَرُوا فَهُوَ فَخرٌ لكم بمَقْتَلِ كَعْبِ أبى الأشْرَف
غَــداةَ غَدَوْتُم على حَتْفِــه ولم يأْتِ غدراً ولم يُخْلِف
فَعَلَّ اللّيالى وَصَرْفَ الدُّهُور يُديل [2] مِنَ العادلِ المُنْصِف [3]
بقَتْلِ النَّضيــر وأحْــلافِها وعَقْرِ النَّخيل ولم تُقْطَف [4]
فإنْ لا أمُتْ نَأْتكُم بالقَنَا وكلّ حُسامٍ مَعا مُرْهَف [5]
بكفِّ كَمِىٍّ به يَحْتَمى متى يَلْقَ قِرْنا له يُتْلِف [6]
مَعَ القَوْم صَخْرٌ وأشْــياعُه إذا غاوَرَ القَوْمَ لم يَضْعُف [7]
كَلَيْثٍ بِتَرْجٍ حمَى غيــلَه أخِى غابةٍ هاصِرٍ أجْوَف [8]

(شعر كعب فى إجلاء بنى النضير وقتل ابن الأشرف) :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النَّضير وقَتْل كعب ابن الأشرف :

---

(١) كذا فى ا : وفى سائر الأصول : « سمال » وهو تحريف .

(٢) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . ويديل : من الدولة ، أى نصيب منه مثل ما أصاب منا . وفى ا : « يدين » وفى سائر الأصول : « يدان » .

(٣) ويريد بالعادل المنصف : النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو ذر : فإن قيل : كيف قال اليهودى فيه : العادل المنصف ، وهو لايعتقد ذلك ؟ فالجواب أن يقال : أن يكون ذلك مما لفظه لفظ المدح ومعناه الذم ، مثل قوله تعالى : « ذق إنك أنت العزيز الكريم » وكما قال الآخر :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فهذا إن كان ظاهره المدح ، فمعناه الذم .

(٤) الأحلاف : جمع حلف ، وهو الصاحب . ويروى : وإجلائها ، يعنى وإخراجها من بلادها . ولم تقطف (بفتح الطاء) لم يؤخذ ثمرها ؛ ويروى بكسر الطاء ، أى لم تبلغ زمن القطاف .

(٥) الحسام المرهف : السيف القاطع .

(٦) الكمى : الشجاع . والقرن : الذى يقاومك فى قتال .

(٧) صخر : هو أبو سفيان بن حرب .

(٨) ترج : جبل بالحجاز تنسب إليه الأسود . والغيل : أجمة الأسد . والهاصر : الذى يكسر فريسته إذا أخذها . والأجوف : العظيم الجوف .

حزِينَتْ بغَدْرتها الحَبُور كذاكَ الدَّهْرُ ذو صرْف يَدُورُ[1]
وذلك أنَّهم كَفَرُوا بربِّ عَزيز أمرُه أمرٌ كَبِير
وقد أُوتُوا مَعًا فَهْمًا وَعِلْمًا وجاءهُمُ مِنَ اللهِ النَّذِير
نَذِيرٌ صادِقٌ أدَّى كِتابا وآياتٍ مُبيِّنةٌ تُنِير
فقالوا ما أتيْتَ بأمرِ صِدْق وأنتَ بمُنْكَرٍ منّا جَدِير[2]
فقال بَلَى لقد أدَّيْتُ حَقًّا يُصدِّقنى به الفَهِمُ الخَبِير
فمن يَتْبعه يُهْدَ لكلِّ رُشْد ومن يَكْفر به يُجزَ الكَفُور
فلما أُشْرِبوا غدرًا وكُفْرًا وحاد بهم[3] عن الحقِّ النُّفور
أرى اللهُ النَّبِيَّ برأيِ صِدْق وكان اللهُ يَحْكُمُ لا يَجُور
فأيَّده وسَلَّطه عليهم وكان نَصِيرُه نِعْمَ النَّصِير
فغُودِر منهمُ كَعْبٌ صَرِيعا فذلَّت بعد مَصْرعه النَّضِير
على الكَفَّيْن ثَمَّ وقد علَتْه بأيْدِينا مُشَهَّرَةٌ ذُكُور[4]
بأمر محمَّدٍ إذ دسَّ[5] لَيْلًا إلى كَعْب أخا كَعْب يَسِير
فمَا كَره فأنْزله بمَكْرٍ ومَحْمُودٌ أخو ثِقَةٍ جَسُور
فتلكَ بنو النَّضِير بدارِ سَوْءٍ أبارَهم بما اجتَرمُوا المُبِير[6]
غَداةَ أتاهُمُ في الزَّحْفِ رَهْوًا رسولُ اللهِ وَهْوَ بهم بَصِير[7]
وغَسَّانَ الحُماة مُؤازِرُوهُ على الأعْداء وَهْوَ لهُم وَزِير
فقال السِّلْمَ[8] وَيْحَكُمُ فَصَدُّوا وحالفَ[9] أمرَهم كَذِب وزُور

(١) الحبور: جمع حبر، وهو العالم، ويقال فى جمعه: أحبار (أيضا) ويريد «بالحبور»: علماء اليهود.

(٢) جدير: حقيق وخليق.

(٣) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر: وحادبهم، أى مال بهم. وفى جميع الأصول: «وجد بهم».

(٤) مشهرة ذكور: سيوف مسلولة من أغمادها، قوية قاطعة.

(٥) فى ا: «دش» (بالشين المعجمة).

(٦) أبارهم: أهلكهم. واجترموا: كسبوا.

(٧) الرهو: مشى فى سكون.

(٨) السلم (بفتح السين وكسرها): الصلح.

(٩) كذا فى ا وشرح السيرة، وحالف: صاحب — وفى سائر الأصول: «وخالف» بالخاء المعجمة.

فذاقوا غِبَّ أمْرِهِمُ وَبالاً   لكلُّ ثلاثةٍ مِنهُمْ بَعيرُ[١]
وأجْلَوا عامِدِينَ لِقَيْنُقاعٍ   وغُودِرَ منهمُ نخلٌ ودُورُ[٢]

[شعر سماك فى الرد على كعب] :

فأجابه سمّاكٌ اليهوديّ ، فقال :

أرِقتُ وضافَنِي همٌّ كبيرٌ   بِلَيْلٍ غيرُه ليلٌ قصيرُ[٣]
أرَى الأحْبار تُنْكِره جميعا   وكلُّهمُ له عِلْمٌ خَبيرُ
وكانوا الدّارِسين لكلّ عِلْمٍ   به التَوْرَاة تَنْطِق والزَّبُورُ
قَتَلتم سَيِّد الأحْبار كَعْبا   وقِدْما كانَ يأمَن مَنْ يُجِيرُ
تَدَلَّى نحو محمودٍ أخيه   ومحمودٌ سَريرته الفُجُورُ
فغادَره كأنّ دَما نَجيعا   يَسيل على مَدارِعه عَبيرُ[٤]
فقد وأبيكُم وأبى جميعا   أُصيبتْ إذ أصيبَ به النَّضيرُ
فإنْ نَسْلَم لكم نَترك رِجالاً   بكَعْبٍ حَولَهم طَيْرٌ تَدُورُ
كأنهم عَتائر يومِ عيدٍ   تُذَبَّحُ وَهْيَ ليس لها نَكِيرُ[٥]
ببِيضٍ لا تُلِيقُ لهُنّ عَظْماً   صَوَافى الحَدّ أكثَرُها ذُكورُ[٦]
كما لاقَيْتُمُ مِن بأسِ صَخْرٍ   بأُحْدٍ حيثُ ليس لكم نصيرُ[٧]

(شعر ابن مرداس فى امتداح رجال بنى النضير) :

وقال عباسُ بنُ مرداس أخو بنى سليم يمتدح رجال بنى النضير :

---

(١) الوبال : النكال .

(٢) عامدين : قاصدين . وقينقاع : قبيلة من اليهود .

(٣) أرقت : امتنع النوم عنى . وضافنى : نزل بى .

(٤) النجيع : الدم الطرى . والمدارع : جمع مدرعة ، وهى ثوب يلبس . وقال بعضهم : لاتكون المدرعة إلا من صوف . ويروى : (مذارعه) . بالذال المعجمة ، والمذارع من البعير والدابة : قوائمهما ، وأراد به هنا : اليدين والرجلين . والعبير : الزعفران .

(٥) العتائر جمع عتيرة ، وهى الذبيحة .

(٦) لاتليق : لاتبقى .

(٧) صخر : هو أبو سفيان بن حرب .

لو أنّ أهلَ الدّار لم يتصدّعُوا ... رأيتَ خِلال الدارِ مَلْهًى ومَلعبا[١]

فإنّكَ عَمْرِى هل أُريكَ ظَعائنا[٢] ... سَلَكْنَ على رُكن الشَّطاة[٣] فتيأبا[٤]

عليهنّ عِينٌ[٥] من ظباء تَبالة ... أوانسُ يُصْبين الحليمَ المُجرّبا[٦]

إذا جاء باغى الخير قُلْنَ فُجاءةً ... له بوجُوه كالدّنانير مَرْحبا

وأهلاً فلا مَمْنوع خير طَلَبْتَه ... ولا أنتَ تَخْشى عندنا أن تُؤَنّبا

فلا تحسبنّى كنت مولى ابن مِشكم ... سَلامِ ولا مَوْلى حُيَىّ بن أخْطبا[٧]

(شعر خوات فى الرد على ابن مرداس) :

فأجابه خَوّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال :

تُبَكِّى على قَتْلَى يهودَ وقد ترى ... مِن الشّجْو لو تَبْكى أحبَّ وأقربا[٨]

فهلاّ على قَتْلَى ببطْنِ أُرَيْنِق ... بكيْتَ ولم تُعْوِل من الشّجو مُسْهِبا[٩]

إذا السِّلْم دارت فى صديق رددتَها ... وفى الدين صَدّاداً وفى الحَرْب ثَعْلبا[١٠]

عمدتَ إلى قَدْرٍ لقَوْمِك تَبْتغى ... لهم شَبَها كَيْما تَعِزّ وتَغْلِبا

فإنّك لمّا أنْ كَلِفْتَ تَمَدُّحا ... لمن كان عَيْبا مدحُه وتَكَذُّبا

رحلْتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمثْله ... ولم تُلْفِ فيهم قائلاً لك مَرْحَبا

فهلاّ إلى قَوْمٍ مُلُوكٍ مدحتَهم ... تَبَنَّوْا مِن العزّ المُؤَثَّل مَنْصِبا[١١]

---

(١) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا .

(٢) الظعائن : النساء فى الهوادج .

(٣) كذا فى ا وشرح السيرة لأبى ذر . والشطاة (بالطاء المهملة) : موضع . وفى سائر الأصول = « الشظاة » .

(٤) تيأب : موضع .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والعين : جمع عيناء ، وهى الكبيرة العين وفى ا : « عير » .

(٦) تبالة : موضع اليمن . ويصبين : يذهبن العقل .

(٧) المولى (هنا) : الحليف والصاحب .

(٨) الشجو : الحزن .

(٩) أرينق (بالراء والزاى) : موضع . ولم تعول : لم ترفع صوتك بالبكاء . والمسهب : المتغير الوجه

(١٠) الصداد : الذى يصد عن الدين والحق . وثعلبا ، أى كثير الروغان ، أى لا يصدق فى الحرب .

(١١) المؤثل : القديم .

إلى مَعْشَر صاروا مُلوكا وكُرِّمُوا ... ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العُرْف مُجْدِبا[١]
أولئك أحْرى مِن يَهُودَ بمدْحة ... تراهُم وفيهم عِزّةُ المَجْد تُرْتُبا[٢]

(شعر ابن مرداس فى الرد على خوات):

فأجابه عبَّاس بن مرداس السلمىّ، فقال:

هجَوْتَ صريحَ الكاهنَيْن وفيكُم ... لهم نِعَمٌ كانت من الدّهر تُرتُبا[٣]
أولئك أحْرَى لو بكَيْتَ عليهمُ ... و قومُك لوأدّوا من الحقّ مُوجَبا
من الشُّكر إنّ الشكر خيرٌ مَغَبّةً ... وأوفقُ فعلاً للذى كان أصْوَبا[٤]
فكُنْتَ كمَن أمسَى يُقطِّع رأسه ... ليَبْلُغ عِزًّا كان فيــه مُرَكَّبا
فبَكِّ بنى هارون واذكُر فَعالَهُم ... وقَتْلَهم للجُوع إذ كنتَ مُجْدِبا
أخوّاتُ أذرِ الدَّمعَ بالدَّمْع وابكِهم ... وأعْرِض عن المَكْرُوه منهم ونَكِّبا[٥]
فإنَّك لو لاقيتَهم فى ديارِهم ... لأُلْفيتَ عمَّا قد تَقُول مُنَكَّبا
سِراعٌ إلى العَلْيا كرامٌ لَدى الوَغى ... يُقال لباغِى الخَيْر أهلاً ومَرْحبا

(شعر لكعب أو ابن رواحة فى الرد على ابن مرداس):

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رَواحة، فيما قال ابن هشام، فقال:

لعَمْرى لقد حَكَّت رَحى الحرب بعدما ... أطارَتْ لُؤَيًّا قبلُ شَرْقا ومَغْربا
بقيَّـــة آل الكاهنَـــيْن وعِزَّها ... فعادَ ذليلاً بَعد ما كان أغْلَبا[٦]
فطاحَ سَلامٌ وابْنُ سَـــعْيَة عَنْوةً ... وقيدَ ذليلاً للمَنايا ابنُ أخْطَبا[٧]

---

(١) مجدب: من الجدب، وهو القحط وقلة الخير.

(٢) ترتب: (بضم التاء الثانية وفتحها): ثابت. والتاء الأولى فيه زائدة، وهو من «رتب» عند سيبويه.

(٣) الصريح: الخالص النسب. والكاهنان: قبيلان من يهود المدينة، يزعمون أنهم من ولد هارون عليه السلام. ويروى: «الكاهنين» للجمع.

(٤) خير مغبة، أى خير عاقبة بعد.

(٥) نكب: عرج عنهم.

(٦) الأغلب: الشديد.

(٧) طاح: ذهب وهلك. والعنوة: القهر والذلة.

وأجْلَبَ[١] يَبْغِي العزَّ والذلُّ يَبْتَغي ... خِلافَ يَدَيْه ما جَنَى حين أجلبا

كتاركِ سَهْلِ الأرضِ والحَزْنُ هَمُّهُ ... وقد كان ذا فى الناس أكْدَى وأصعبا[٢]

وشأسٌ وعَزّال وقد صَلَيا بها ... وما غُيِّبا عن ذاك فيمن تَغَيَّبا

وعوفُ بن سَلْمى وابن عوفٍ كلاهما ... وكَعبٌ رئيسُ القوم حان وخُيِّبا[٣]

فبُعْدًا وسُحْقًا للنَّضِير ومثلها ... إن اعقبَ فتحٌ أو إنِ اللهُ أعْقَبا[٤]

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بنى النَّضير بَنى المصْطلق . وسأذكر حديثَهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

فى سنة أربع

(الأهبة لها) :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النَّضير شهرَ ربيع الآخر وبعضَ جُمادَى[٥] ، ثم غزا نجدًا يُريد بنى مُحارب وبنى ثَعْلبة من غَطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغفارىّ[٦] ؛ ويقال : عثمان ابن عفّان ، فيما قال ابن هشام :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا « وأحلب » . قال أبوذر : « من رواه بالجيم ، فمعناه جمع وصاح ، ومن رواه بالحاء المهملة . فمعناه جمع (أيضا) ، إلا أن الذى بالجيم لايكون إلا مع صياح » .

(٢) الحزن : ما علا من الأرض . وأكدى : لم ينجح فى سعيه ؛ يقال : أكدى الرجل فى حاجته ، إذا لم يظفر بها .

(٣) حان : هلك .

(٤) إن الله أعقبا : أى إن الله جاء بالنصر عليهم .

(٥) قال الزرقانى : « وعند ابن سعد وابن حبان أنها كانت فى المحرم سنة خمس » وجزم ابو معشر أنها بعد بنى قريظة .

(٦) قال الزرقانى : « قاله ابن إسحاق ، وتعقبه ابن عبد البر بأنه خلاف ما عليه الأكثر ، وبأن أبا ذر لما أسلم بمكة رجع إلى بلاده فلم يجىء إلا بعد الخندق » .

(سبب تسميتها بذات الرقاع):

قال ابن إسحاق: حتى نزل نخلا [١]، وهى غزوة ذات الرّقاع.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها غزوة ذات الرّقاع، لأنهم رقّعوا فيها راياتهم؛ ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرّقاع [٢].

قال ابن إسحاق: فلقى بها جمعا عظيما [٣] من غطفان، فتقارب النّاسُ: ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضُهم بعضًا، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّاس صلاة الخَوْف، ثم انصرف بالناس.

(صلاة الخوف):

قال ابن هشام: حدثنا عبد الوارث بن سعيد التَّنُّوريّ — وكان يُكنى: أبا عُبَيدة [٤] — قال: حدثنا يونس بن عُبيد، عن الحسن بن أبى الحسن، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخَوْف، قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥] بطائفة ركْعتين ثم سلّم، وطائفة مُقْبلون على العدوّ. قال: فجاءوا فصلى بهم ركعتين أُخريين، ثم سلّم.

قال ابن هشام: وحدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا أيوب، عن أبى الزبير، عن جابر، قال: صفّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفّين، فركع بنا جميعا،

---

(١) نخل: موضع بنجد من أرض غطفان. (راجع معجم البلدان).

(٢) قال أبو ذر: «إنما قيل لها ذات الرقاع، لأنهم نزلوا بجبل يقال له ذات الرقاع. وقيل أيضا: إنما قيل لها ذلك، لأن الحجارة أو هنت أقدامهم، فشدوا رقاعا، فقيل لها: ذات الرقاع».

وقال السهيلى بعد ما عرض رأى ابن هشام: «وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود، وبقع بيض، كلها مرقعة برقاع مختلفة، قد سميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة، وأصح هذه الأقوال كلها ما رواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى، قال: خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة، ونحن ستة بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماى وسقطت أظفارى، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا».

وقال الزرقانى فى شرح المواهب بعد ما ساق كلاما لا يخرج عن هذا: «وهى غزوة محارب، وغزوة بنى ثعلبة، وغزوة بنى أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها بها، وغزوة الأعاجيب. لما وقع فيها من الأمور العجيبة».

(٣) فى ا: «جمعا مع غطفان».

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا.

(٥) كذا فى ا. وزادت سائر الأصول: «صلاة الخوف ثم انصرف بالناس. قال ابن هشام».

ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم ، ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ؛ فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين .

قال ابن هشام [١] : حدثنا عبدالوارث بن سعيد التنورى ، قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة . وطائفة مما يلى عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلى العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلى كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

(غورث وماهم به من قتل الرسول) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بنى محارب ، يقال له : غورث [٢] ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمدا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم — وكان محلى بفضة ، فيما قال ابن هشام — قال : فأخذه فاستله ، ثم جعل يهزه ، ويهم فيكبته الله [٣] ؛ ثم قال : يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدى السيف ؟ قال : لا ، يمنعنى (الله [٤]) منك . ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرده عليه . قال : فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٢) يحكى بالفتح على وزن جعفر ، كما يحكى بضم أوله . ووقع عند الخطيب بالكاف بدل الثلثة ، وحكى الخطابى فيه غويرث ، بالتصغير (راجع شرح المواهب) .

(٣) يكبته الله : يذله ويقمعه .

(٤) زيادة عن ا .

إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » .

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رُومان : أنها إنما أنزلت فى عَمْرو بن جِحاش ، أخى بنى النَّضير وما هَمّ به ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

(جابر وقصته هو وجمله مع الرسول) :

قال ابن إسحاق: وحدّثنى وهب بن كَيْسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزْوة ذات الرّقاع من نخل ، على جَمَل لى ضعيف ؛ فلما قفَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعلتِ الرِّفاق[1] تمضى ، وجعلت أتخلّف ، حتى أدركنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك يا جابر ؟ قال: قلت : يا رسول الله ، أبطأ بى جملى هذا ؛ قال : أنخه ؛ قال : فأنختُه ، وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصا من شَجرة ؛ قال : ففعلت . قال : فأخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنخَسه بها نَخسات ، ثم قال: اركب ، فركبتُ ، فخرج ، والذى بعثه بالحقّ ، يُواهق[2] ناقتَه مُواهقة .

قال : وتحدّثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا يا جابر؟ قال : قلت: يا رسول الله ، بل أهَبه لك ؛ قال : لا ، ولكن بِعْنيه؛ قال : قلت : فسُمْنيه يا رسول الله ؛ قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال : قلت : لا ، إذن ، تغبِننى يارسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأوقيّة . قال : فقلت : أفقد رضيتَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعم ؛ قلت : فهو لك ؛ قال : قد أخذته . قال: ثم قال : ياجابر ، هل تزوّجتَ بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيِّبا أم بكرًا ؟ قال: قلت : لا ، بل ثيِّبا ؛ قال : أفلا جارية تُلاعبها وتلاعبك ! قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبى أُصيب يوم أُحُد وترك بنات له سَبْعا ، فنكحت

---

(١) فى ا : « الرقاع » ولا معنى لها .

(٢) يواهق ناقته : يعارضها فى المشى لسرعته .

امرأةً جامعةً ، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ؛ قال : أصبتَ إن شاء الله ، أما إنّا لو قد جئنا صِرارًا [١] أمرْنا بجزور فنُحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنفّضتْ نمارقَها [٢] . قال : قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فاذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيِّسا . قال : فلما جئْنا صرارًا أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنُحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما أمسَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثتُ المرأة الحديثَ ، وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فدُونك ، فسمع [٣] وطاعة . قال : فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل ، فأقبلتُ به حتى أنخته على باب [٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ثم جلستُ فى المسجد قريبا منه ؛ قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ؛ فقال : ماهذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به جابر ؛ قال : فأين جابر ؟ قال : فدُعيتُ له ؛ قال : فقال : يابن أخى خُذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا بلالاً ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أُوقية . قال : فذهبت معه ، فأعطانى أوقية ، وزادنى شيئا يسيرا . قال : فوالله ما زال ينْمِى عندى ، ويُرى مكانه من بيتنا ، حتى أُصيب أمسِ فيما أُصيب لنا يعنى يوم الحرّة [٥] .

---

(١) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة . (راجع معجم البلدان) .

(٢) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « سمع » .

(٤) فى ا : « على باب مسجد » .

(٥) يريد وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى ، الذى يسميه أهل المدينة : مسرف بن عقبة . وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان ابن الحكم وبنى أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد . ولم يوافق على هذا الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم .

وكان من أمر جابر هذا فى هذا اليوم أنه أخذ يطوف فى أزقة المدينة ، والبيوت تنتهب وهو أعمى ، وهو يعثر فى القتلى ، ويقول : تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد حديثه صلى الله عليه وسلم : من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبى فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره مروان ، وأدخله بيته . (راجع الروض الأنف) .

(ابن ياسر وابن بشر ، وقيامهما على حراسة جيش الرسول ، وما أصيبا به) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمى صَدَقة [١] بن يَسار ، عن عَقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المُشركين ؛ فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجُها وكان غائبا ؛ فلما أُخبر الخبر حلَف لاينتهى حتى يُهرِيق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دما ، فخرج يتبع أثَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رَجل يكلؤنا [٢] ليلتَنا (هذه) [٣] ؟ قال : فانتدبَ رجلٌ من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ؛ قال : فكونا بِفَمِ الشِّعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه قد نزلوا إلى شِعب من الوادى ، وهما عمَّار بن ياسر وعبَّاد بن بِشْر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فَم الشِّعب ، قال الأنصاريُّ للمهاجريِّ أىَّ الليل تحبّ أن أكفيكه : أوّلَه أم آخرَه ؟ قال : بل اكفنى أوّله ؛ قال : فاضطجع المهاجرِىّ فنام ، وقام الأنصارى يصلى ؛ قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخصَ الرجلِ عرَف أنه رَبيئة [٤] القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ؛ قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائما ؛ قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائما ؛ ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ؛ قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهبّ [٥] صاحبَه فقال : اجلس فقد أُثْبِتُّ [٦] ، قال : فوثبَ

---

(١) صدقة هذا خزرى سكن بمكة ، وليس بعم محمد بن إسحاق . قال أبو ذر : « وقد خرجه أبو داود عن محمد بن إسحاق ولم يذكر فيه « عمى » .

(٢) يكلؤنا : يحفظنا .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الربيئة : الطليعة الذى يحرس القوم .

(٥) أهب : أيقظ .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . وأثبت : جرحت جرحا لا يمكن التحرك معه . وفى : ا « أتيت » . وأثبت : أصبت .

فلما رآهما الرجلُ عرف أن[1] قد نَذِرا[2] به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجرىّ ما بالأنصارىّ من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهببتنى أوّل مارماك ؟ قال : كنت فى سُورة أقرؤها فلم أُحبَّ أن أقطعها حتى أُنْفِدَها ، فلما تابع علىّ الرَّمْىَ ركعتُ فأذِنْتك ، وايم الله، لولا أن أُضيِّع ثَغْرا أمرنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقَطع نفسى قبل أن أقطعَها أوأُنْفِدَها .

(رجوع الرسول) :

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

قال ابن إسحاق : ولما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرّقاع ، أقام بها بقية جمادَى الأولى وجمادَى الآخرة ورجبا

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

(خروج الرسول) :

قال ابن إسحاق : ثم خرج فى شعبان إلى بَدْر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

(استعماله ابن أبى على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبدَالله بن عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول الأنصارىّ .

(رجوع أبىّ سفيان فى رجاله) :

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانىَ ليال ينتظر أبا سُفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكّة حتى نزل َمجنَّة ، من ناحية الظَّهران ؛ وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ، إنه لايصلحكم إلاّ عام خَصيب تَرْعون فيه الشَّجر ، وتَشْربون فيه اللبن ، وإنّ عامكم هذا عامُ جدْب ،

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أنه » .

(٢) نذرا به : علما .

وإني راجعٌ ، فارجعوا ، فرجع الناس : فسمّاهم أهلُ مكة جيش السَّويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السَّويق .

(الرسول ومخشى الضمرى) :

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مَخْشِي بن عَمْرو الضَّمْري، وهو الذى كان وادَعه على بنى ضَمْرة فى غزوة ودّان ، فقال : يامحمد ، أجئتَ للقاء قُريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بنى ضَمْرة ، وإن شئتَ مع ذلك رَددنا إليك ماكان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لاوالله يامحمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

(معبد وشعره فى ناقة الرسول هوت) :

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ، فمرّ به مَعْبَد بن أبى مَعْبد الخُزاعى ، فقال ، وقد رأى مكان [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى[2] به :

قد نفرَتْ من رُفقتَىْ مُحمَّدِ ... وعَجْوَةٍ من يَثْرب كالعَنْجَدِ [3]
تَهْوى على دِين أبيها الأتْلَدِ ... قد جعلَتْ ماءَ قُدَيْد مَوْعِدِى [4]
وماء ضَجْنان [5] لها ضُحى الغَدِ

(شعر لابن رواحة أو كعب فى بدر) :

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة فى ذلك — قال ابن هشام : أنشدنيها أبوزيد الأنصارى لكعب بن مالك :

وَعَدْنا أباسُفْيانَ بدرًا فلم نَجِدْ ... لميعاده صِدْقًا وما كان وَافيا
فأُقسِم لو وافيْتَنا فلَقيتنا ... لأُبْتَ ذَميما وافتقدْتَ المَوَاليا [6]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وقد كان رسول الله . . الخ » .
(٢) تهوى : تسرع .
(٣) العنجد : حب الزبيب ، ويقال : هو الزبيب الأسود .
(٤) الدين : الدأب والعادة . والأتلد : الأقدم . وقديد : موضع قرب مكة .
(٥) ضجنان (بالفتح وبالتحريك) : جبل بناحية تهامة ، وقيل على بريد من مكة . (راجع معجم البلدان) .
(٦) تفقدت : فقدت . والموالى : القرابة .

تركْنا به أوصالَ عُتْبة وابنه | وعمرًا أبا جَهْل تركْناه ثاويا[1]
عصيتم رسولَ الله أُفٍّ لدينكم | وأمرُكم السَّىءُ الذى كان غاويا[2]
فإنّى وإن عنَّفتمونى لقائلٌ | فِدًى لرسول الله أهلى وماليا[3]
أطعْناه لم نَعْدلْهُ فينا بغيره | شِهابا لنا فى ظُلْمة اللَّيل هاديا[4]

(شعر حسان فى بدر):

وقال حسَّان بن ثابت فى ذلك:

دعُوا فَلَجات الشَّام قد حال دُونها | جِلادٌ كأفواه المَخاض الأوارِك[5]
بأيْدى رِجالٍ هاجرُوا نحو ربِّهم | وأنصارِه حقًّا وأيْدِى المَلائك
إذا سَلَكْتَ للغَوْرِ من بَطْنِ عالج | فقُولا لهَا ليس الطَّريق هُنالك[6]
أقمْنا على الرَّسِّ النَّزُوع ثمانيا | بأرْعَنَ جرَّارٍ عَريض المَبارِك[7]
بكُلّ كُمَيْتٍ جَوْزُه نِصْف خَلْقه | وقُبٍّ طِوال مُشْرِفات الحَوارِك[8]
ترَى العَرْفَج العامىَّ تَذْرِى أُصُوله | مَناسِمُ أخْفاف المَطىِّ الرَّواتِك[9]
فانْ نَلْقَ فى تَطْوافِنا والتماسنا | فُراتَ بن حَيَّان يكُنْ رَهْنَ هالِك
وإن تَلْقَ قَيْس بن امرئ القَيْس بعده | يُزَدْ فى سَوادٍ لونُه لونُ حالك[10]

---

(1) ثاويا: مقيما.

(2) السىء (بالتخفيف): السىء (بالتشديد).

(3) عنفتمونى: لمتمونى.

(4) لم نعدله: لم نر معه غيره.

(5) الفلجات: جمع فلج، وهو الماء الجارى؛ سمى فلجا لأنه فلج فى الأرض، وفرق بين جانبيه. والمخاض: الحوامل من الإبل. والأوارك: التى ترعى الأراك، وهو شجر

(6) الغور: المنخفض من الأرض. وعالج: مكان فيه رمل كثير.

(7) الرس: البئر. والنزوع: التى يخرج ماؤها بالأيدى. والأرعن: الجيش الكثير الذى له أتباع وفضول.

(8) الكميت: الفرس. وجوزه: وسطه، ويريد بطنه. وقب: جمع أقب، وهو الضامر. والحوارك جمع حارك، وهو أعلى الكتفين من الفرس.

(9) العرفج: نبات. والعامى: الذى أتى عليه العام. وتذرى أصوله: تقلعها وتطرحها. ومناسم: جمع منسم، وهو طرف خف البعير. والرواتك: المسرعة.

(10) الحالك: الشديد السواد.

فأبلغْ أبا سفْيان عنّى رسالةً · فإنّك منْ غُرّ الرّجال الصّعالك[١]

(شعر أبي سفيان في الرد على حسان) :

فأجابه أبوسفيان بنُ الحارث بن عبدُالمطلب ، فقال :

أحسّان إنّا يابن آكلة الفغا · وجدّك نغتال الخُروق كذلك[٢]

خرجْنا وما تنجو اليعافير بيْننا · ولو وألتْ منّا بشدٍّ مُدارك[٣]

إذا ما انبعثْنا من مُناخٍ حسِبْتهُ · مُدمّن أهل الموْسِم المُتعارك[٤]

أقمتَ على الرسّ النّزوع تُريدنا · وتركْتنا في النّخْل عند المَدارك[٥]

على الزّرْع تمْشي خيْلُنا وركابُنا · فما وَطِئتْ ألْصَقْنه بالدّكادك[٦]

أقمْنا ثلاثا بين سَلْع وفارع · بجُرْدِ الجياد والمَطيّ الرّواتك[٧]

حسِبْتُم جِلاد القوْم عند قِبابهم · كمأخذكم بالعين أرْطال آنُك[٨]

فلا تبعثِ[٩] الخيل الجياد وقُلْ لها · على نحْو قول المُعْصِمِ المتماسك[١٠]

---

(١) الغر : البيض . والصعالك : جمع صعلوك : وأصله الصعاليك ، حذفت ياؤه لإقامة الوزن ، وهو الفقير الذى لامال له .

(٢) الفغا : التمر ؛ وقيل : هو غبرة تعلو التمر قبل أن يطيب . قال أبو ذر : يريد أنهم أهل نخيل وتمر . ونغتال : نقطع . والخروق : جمع خرق ، وهو الفلاة الواسعة

(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ولد الظبية ، يريد أنهم لكثرتهم لاتنجو معهم الظباء . ووألت : اعتصمت ولجأت ، يقال : وألت إلى الجبل ، أى اعتصمت به ، ومنه : الموئل ، وهو الملجأ . والشد : الجرى . والمدارك : المتتابع .

(٤) المدمن : الموضع الذى ينزلون فيه فيتركون به الدمن ، أى آثار الدواب والإبل ، وأرواثها وبعارها . وأهل الموسم ، أى جماعة الحجاج ؛ وكل مكان كانت العرب تجتمع فيه فهو موسم ، إذا كان ذلك عادة منهم فى ذلك المكان ، كسوق عكاظ وذى المجاز وأشباهها . والمتعارك: الذى يزدحم فيه الناس .

(٥) الرس النزوع : البئر التى تنزع ماؤها بالأيدى . والمدارك : المواضع القريبة . ويروى : « المبارك » .

(٦) الدكادك : جمع دكدك ، وهو الرمل اللين .

(٧) سلع وفارع : جبلان . والرواتك : المسرعة .

(٨) كذا فى ا . قال أبو ذر : « العين (هنا) : المال الحاضر . والعين (أيضا) : الدر ، وكلاهما يصلح هاهنا » . وفى سائر الأصول : « العير » . قال أبو ذر : « ومن رواه » بالعير « فالعير : الرفقة من الإبل . والآنك : القزدير .

(٩) فى ا : « لا تنعت » .

(١٠) المعصم : المستمسك بالشىء .

سعِدْتم بها وغَيرُكم كان أهلَها[1] فوارسُ من أبناء فِهر بنِ مالك
فإنَّك لا فى هجرةٍ إن ذَكرْتَها ولا بِحُرُماتِ الدينِ أنتَ بناسِك[2]

قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها، لقُبح اختلاف قوافيها. وأنشدنى أبو زيد الأنصارىّ هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليَعافير بينَنا

والبيت الذى بعده لحسَّان بن ثابت فى قوله:

دعُوا فَلَجاتِ الشأمِ قد حالَ دونَها

وأنشدنى له فيها بيته «فأبلغ أبا سفيان».

غزوة دومة الجندل

فى شهر ربيع الأول سنة خمس

(موعدها):

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فأقام من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دُومة الجَنْدل[3]

(استعمال ابن عرفطة على المدينة):

قال ابن هشام: فى شهر ربيع الأوّل، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفطة الغفارىّ.

(رجوع الرسول):

قال ابن إسحاق: ثم رَجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها، ولم يَلْقَ كيدًا، فأقام بالمدينة بقيَّة سنته.

---

(١) قال السهيلى: «وفى حاشية الشيخ: شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها».

(٢) كذا فى أكثر الأصول. والناسك: المتبع لمعالم دينه وشرائعه. ويروى «ناسكى» منسوبا، وخففت الياء للقافية. ورواية الشطر الثانى فى ا: ولا حرمات دينها أنت ناسك

(٣) دومة (بضم الدال وتفتح) من أعمال المدينة، وبينها وبينها خمس عشرة ليلة، سميت بدومى ابن إسماعيل، كان نزلها. (راجع الروض ومعجم البلدان وشرح المواهب).

غزوة الخندق[1]

في شوال سنة خمس

(تاريخها) :

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس[2] :

(تحريض اليهود لقريش وما نزل فيهم) :

فحدثنى يزيد بن رُومان مولى آل الزُّبير بن عُروة بن الزبير ، ومَن لا أتَّهم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، ومحمد بن كعْب القرظىّ ، والزّهْرى ، وعاصم ابن عمر بن قَتَادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث ما لا يحدّث به[3] بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود ، منهم : سلاّم بن أبى الحُقيق النَّضَرى[4] ، وحُيىّ بن أخْطب النَّضرى ، وكنانة[5] بن أبى الحُقيق النَّضَرى ، وهَوْذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمَّار الوائلى ، فى نفر من بنى النَّضير ، ونفَر من بنى وائل ، وهُم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قَدِموا على قُريش مكةَ ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نَستأصله . فقالت لهم قُريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأوّل والعلم بما أصْبحنا نَخْتلف فيه نحن ومحمد ، أفدِينُنا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دِينكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولى بالحقّ

---

(١) بهذه الغزوة يبتدئ الجزء الرابع عشر من أجزاء السيرة .

(٢) قال الزرقانى : « واختلف فى تاريخها ، فقال موسى بن عقبة فى مغازيه التى شهد مالك والشافعى بأنها أصح المغازى ، كانت سنة أربع . قال الحافظ : وتابعه على ذلك الإمام مالك » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٤) قال السهيلى : « ونسب طائفة من بنى النضير ، فقال فيهم : النضرى ، وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه : النضيرى ، إلا أن يقول من باب قولهم : ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس » .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى » .

«منه)[١]. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ[٢]، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا»: . إلى قوله تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»: أى النبوّة[٣]، «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا».

(تحريض اليهود لغطفان):

قال[٣]: فلما قالوا ذلك لقُريش، سرّهم ونَشطوا لما دَعَوْهم إليه، من حَرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له. ثم خرج أولئك النَّفر من يهودَ، حتى جاءوا غَطفان، من قيس عيلان، فدَعَوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخْبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

(خروج الأحزاب من المشركين):

قال ابن إسحاق: فخرجت قريش، وقائدُها أبوسُفيان بن حَرْب؛ وخرجت غَطَفان، وقائدها عُيَينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر[٤]، فى بنى فَزارة؛ والحارث ابن عَوْف بن أبىحارثة المُرّى، فى بنى مُرّة؛ ومِسْعر بن رُخَيلة بن نُويرة بن طَريف بن سُحْمة بن عبدالله بن هِلال بن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطفان، فيمن تابعه من قومه من أشْجع.

---

(١) زيادة عن ا.

(٢) الجبت والطاغوت: كل ما يعبد من دون الله.

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا.

(٤) كان اسم عيينة بن حصن: حذيفة، وسمى عيينة، لشتر كان بعينه. أسلم ثم ارتد وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ أسيرا، فأتى به أبوبكر رضى الله عنه فن عليه، ولم يزل مظهرا الإسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة أعرابيته حتى مات. وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم: الأحمق المطاع، لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة. (راجع الروض وشرح المواهب).

[حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين] :

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضَرب الخَنْدَق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْغيبا للمسلمين فى الأجر ، وعَمل معه المسلمون فيه ، فدَأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرّون[1] بالضَّعيف من العمل ، ويتسلَّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن . وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابتْه النائبة ، من الحاجة التى لابدّ له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبةً فى الخير ، واحتسابا له .

(ما نزل فى العاملين فى الخندق مؤمنين ومنافقين) :

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحِسْبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشىء عند الهرب ، قال حسّان بن ثابت :

---

(١) يورون : ويسترن .

وقُرَيْش تَفِــرُّ مِنَّا لِواذًا أن يُقيموا وخَفَّ منها الحُلومُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، قد ذكرتها فى أشعار يوم أُحُد .

« ألا إنَّ لِلّهِ ما فِى السَّمَوَاتِ والأرْضِ قَدْ يَعْلَمُ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ » :

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

« وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » .

(ارتجاز المسلمين فى حفر الخندق) :

قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعَيل ، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَمرًا ، فقالوا :

سَمّاه مِنْ بَعْــدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وكان للبائس يوما ظَهْرًا[1]

فاذا[2] مرّوا « بعَمرو » قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عمرًا ، وإذا مرّوا « بظَهْر » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهرا[3] .

(ما ظهر من المعجزات) :

قال ابن إسحاق : وكان فى حفر الخندق أحاديثُ بلَغتنى ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوّته ، عاين ذلك المسلمون :

(معجزة الكدية) :

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبدالله كان يحدّث : أنه اشتدّت عليهم فى بعض الخَنْدق كُدية ، فشكَوْها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء ، فتفَل فيه ؛ ثم دعا بما شاء الله أن يَدْعوَ به ، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُدْية ؛

---

(١) الظهر : القوة والمعونة . والضمير فى « سماه » و « كان » للنبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو ذر « وقد يجوز فيه وجه ثان ، وهو أن يكون الظهر (هنا) : الإبل ، فيكون البيت على وجه آخر ، تقديره وكان المال للبائس يوما ظهرا ؛ فأضمر اسم كان وإن لم يتقدم ما يفسره ، لأن مساق الكلام يدل عليه ، كما قالوا : إذا كان غدا فأتنى ، أى إذا كان اليوم غدا » .

(٢) زادت ا بعد هذا البيت « فى كتاب ابن إسحاق ظهرا » .

(٣) أى قال معهم آخر أيضا ، فكانوا يرتجزون هذا الشعر ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول معهم أواخر أبياته .

فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا ، لانهالت [١] حتى عادت كالكثيب ، لا ترد فأسا ولا مسحاة .

(البركة فى تمر ابنة بشير) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا أنه حدث : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بنية ، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ؛ فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله ، هذا تمر ، بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رواحة يتغديانه ؛ قال : هاتيه ؛ قالت : فصببته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق : أن هلم إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

(البركة فى طعام جابر) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق ، فكانت عندى شويهة ، غير جد سمينة [٢] . قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأمرت امرأتى ، فطحنت لنا شيئا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزا ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق — قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا — قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف

---

(١) انهالت : تفتتت .

(٢) غير جد سمينة : غير كاملة السمن .

معى إلى منزلى ، وإنما أُريد أن يَنْصَرِف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدَه.
قال : فلما أن قلت له ذلك ؛ قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرَخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمّى (الله) [١] ، ثم أكل ، وتواردَها الناس ، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس ، حتّى صدر أهلُ الخندق عنها .

(ما أرى الله رسوله من الفتح) :

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سَلْمان الفارسىّ ، أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق ، فغَلُظت علىّ صخرةٌ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريب منى ؛ فلما رآنى أضرب ورأى شدّة المكان علىّ ، نزل فأخذ المِعْول من يدى ، فضرب به ضربةً لَمَعَت تحت المِعْول برقةٌ ؛ قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلَمعت تحته برقة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلَمعت تحته برقة أخرى. قال : قلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما هذا الذى رأيت لَمَع تحت المِعول وأنت تضرب ؟ قال: أوَقد رأيت ذلك ياسَلْمان ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأولى فإنّ اللهَ فَتَحَ علىّ بها اليمن ؛ وأما الثانية فإنّ الله فتَح علىّ بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح علىّ بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتّهم عن أبى هُريرة أنه كان يقول ، حين فُتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفسُ أبى هُريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تَفْتَتِحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمدًا صلى الله عليه وسلم مفاتيحَها قبل ذلك .

(نزول قريش المدينة) :

قال ابن إسحاق : ولمّا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتّى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة ، بين الجُرُف وزَغابة [٢] فى عشرة آلاف

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) قال أبو ذر : «كذا وقع هنا بالزاء مفتوحة . ورغابة بالراء المفتوحة هو الجيد ، وكذلك رواه الوقشى» .

من أحابيشهم ، ومَنْ تَبِعهم من بَنى كِنانة وأهل تِهامة ، وأقبلت غَطَفان ومَن تَبِعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذَنَب نَقَمَى ، إلى جانب أُحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُسلمون ، حتى جعلوا ظُهورهم إلى سَلْع [١] ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عَسْكَره ، والخَنْدق بينه وبين القوم .

(استعمال ابن أم مكتوم على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذَّرارى والنساء فجُعلوا فى الآطام [٢] .

(حمل حيى كعبا على نقض عهده للرسول) :

(قال) [٣] : وخرج عدوّ الله حُيَيّ بن أخْطب النَّضْرىّ ، حتى أتى كَعْب ابن أسد القُرَظى ، صاحب عَقْد بنى قُريظة وعَهْدهم ، وكان قد وادَع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كَعْب بحُيَيّ بن أخْطب أغْلق دونه باب حِصْنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيَيّ : ويحك يا كعب ! افتح لى ؛ قال : ويحك يا حُيَيّ : إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمدًا ، فلستُ بناقض ما بينى وبينه ، ولم أرَ منه إلا وفاء وصِدْقا ؛ قال ويحك افتح لى أكلمك ؛ قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جشيشتك [٤]

وقال السهيلى : « زغابة : اسم موضع ، بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة . وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زعابة ، بضم الزاى والعين المهملة . وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث : بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف . قال السهيلى : والأعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال زغابة ، بالغين المنقوطة ، لأن فى الحديث المسند أنه عليه الصلاة والسلام قال فى ناقة أهداها إليه أعرابى ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابى : أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها كما أعرف بعض أهلى ، ذهبت منى يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط » .

(١) سلع : جبل بالمدينة .

(٢) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش ، وهو البر يطحن غليظا ، وهو الذى تقول له العامة « دشيش » بالدال ، والصواب الجيم .

أن آكل معك منها [١] ؛ فاحفظ [٢] الرجلَ ، ففتح له ؛ فقال : ويحك يا كعب ، جئتُك بعزّ الدهر وببحر طام [٣] ، جئتك بقُريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمُجتمع الأسيال من رُومة ؛ وبغَطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقْمى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبْرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذُلّ الدهر ، وبجَهام [٤] قد هَرَاق ماءَه ، فهو يَرْعد ويبرق ، ليس فيه شىء ، ويحك يا حُيىّ ! فدَعْنى وما أنا عليه ، فإنى لم أرَ من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حُيىّ بكعب يَفْتِله فى الذّروة والغارب [٥] ، حتى سَمح له ، على أن أعطاه عهدًا (من الله) [٦] وميثاقا : لئن رجعتْ قريش وغَطفان ، ولم يُصيبوا محمدًا أن أدخلَ معك فى حصنك حتى يُصيبنى ما أصابك . فنقض كَعبُ بن أسد عَهْده ، وبَرِئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(تحرى الرسول عن نقض كعب للعهد) :

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سعدَ بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيِّد الأوس ، وسعدَ ابن عُبادة بن دُليم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيِّد الخزرج ومعهما عبدُ الله بن رَواحة ، أخو بنى الحارث بن الخزرج [٧] ، وخَوّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء

---

(١) كذا وردت هذه العبارة فى ا . ونصها فى سائر الأصول : « إن أغلقت الحصن دونى إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل منها معك » .

(٢) أحفظه : أغضبه .

(٣) طام : مرتفع ؛ ويريد كثرة الرجال .

(٤) الجهام : السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه .

(٥) هذا مثل ، وأصله فى البعير يستصعب عليك ، فتأخذ القرادة من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة ، فيأنس عند ذلك . فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة .

(٦) زيادة عن ا .

(٧) فى ا : « أخو بنى الخزرج » .

القوم أم لا ؟ فان كان حقًا فالحنوا لى لحنا [١] أعرفه ، ولا تَفُتُّوا فى أعْضاد الناس [٢] وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهرُوا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، (فيما) [٣] نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله ؟ لاعهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعدُ ابن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدَّة ؛ فقال له سعدُ بن عبادة : دع عنك مُشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أرْبى [٤] من المشاتمة . ثم أقبل سَعْدٌ وسعدٌ ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقارة ؛ أى كغدر عَضَل والقارة بأصْحاب الرجيع ، خُبَيب وأصحابه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

(ما عم المسلمين من الخوف وظهور نفاق المنافقين) :

(قال) [٣] : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتدَّ الخوف ، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم ، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظَنّ ، ونَجَم النِّفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّب بن قُشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لايأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

(رأى ابن هشام فى نفاق معتب) :

قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم : أن مُعتِّب بن قُشير لم يكن من المنافقين ، واحتجّ بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيْظِيّ ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا عَوْرة من العدوّ ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فَنَرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) اللحن : اللغز ، وهو أنه يخالف ظاهر الكلام معناه .

(٢) يقال : فت فى عضده ، إذا أضعفه وأوهنه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) أربى : أعظم .

وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شَهْر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا [١] بالنبل والحِصار .

قال ابن هشام : ويقال الرِّمِّيا .

(هم الرسول بعقد الصلح بينه وبين غطفان ثم عدل) :

فلما اشتدّ على الناس البلاء ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مُسلم بن عبيد [٢] الله بن شهاب الزهرى ، إلى عيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المُرّى ، وهما قائدا غَطَفان ، فأعطاهما ثُلُث ثمار المدينة على أن يَرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكِتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصُّلح ، إلا المُراوضة فى ذلك . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سَعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ؛ فقالا له : يارسول الله ، أمرًا نُحبه فنَصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لابدّ لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شىء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العَرب قد رَمتْكم عن قَوْس واحدة ، وكالبوكم [٣] من كلّ جانب ، فأردت أن أكْسِر عنكم من شَوْكتهم إلى أمرٍ ما ؛ فقال له سَعْد بن مُعاذ : يارسول الله ، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعِبادة الأوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لايَطْمعُون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى [٤] أو بيعا ، أفحين أكْرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه ، نُعْطيهم أمْوالنا ! (والله) [٥] مالنا بهذا مِن حاجة ، والله لانُعْطيهم إلا السَّيف حتى يَحْكم الله بيننا وبينهم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن مُعاذ الصَّحيفة ، فمحا ما فيها من الكِتاب ، ثم قال : ليَجْهدوا علينا .

---

(١) الرميا (بكسر الراء والميم مشددتين وتخفيف الياء) : المراماة .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عبد الله » .
(٣) كالبوكم : اشتدوا عليكم .
(٤) القرى : ما يصنع للضيف من الطعام .
(٥) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(عبور نفر من المشركين الخندق) :

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قِتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عَبْد وُدّ بن أبى قَيس ، أخو بنى عامر بن لُؤَىّ .

ــ قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عَبْد بن أبى قَيس ــ

قال ابن إسحاق : وعِكْرمة بن أبى جهل ، وهُبيرة بن أبى وهب المخزوميّان ، وضِرار بن الخطّاب الشاعر[1] ابن مرداس ، أخو بنى محارب بن فِهر ، تلبّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيْلهم ، حتى مرّوا بمنازل بنى كِنانة ، فقالوا : تهيّئوا يا بنى كنانة للحرب [2] ، فستَعلمون مَنِ الفُرسان اليوم . ثم أقْبلوا تُعْنِق[3] بهم خيلُهم ، حتى وقفوا على الخَندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لَمكيدة ما كانت العربُ تكيدها .

(سلمان وإشارته بحفر الخندق) :

قال ابن هشام : يقال : إن سَلمان الفارسى أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثنى [4] بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سَلمان منّا ؛ وقالت الأنصار : سلمان منّا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهلَ البيْت .

(قتل على لعمرو بن عبد ود وشعره فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : ثم تيمّموا مكانا ضيّقا من الخنْدق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السَّبخة بين الخندق وسَلْع ، وخرج علىّ بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثّغرة [5] التى أقحموا منها خيلهم

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .
(٢) فى ا : « للقتال » .
(٣) تعنق : تسرع .
(٤) زادت م ، ر قبل هذه الكلمة : « قال ابن هشام » .
(٥) الثغرة : الثلم الذى كان هناك فى الخندق .

وأقبلت الفُرسان تُعْنِق نحوَهم ، وكان عمرو بن عَبْدِ وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يَشْهد يوم أُحد ؛ فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلما[1] ليُرى مكانُه ؛ فلما وقف هو وخيلُهُ ، قال : من يبارز؟ فبرز له علىّ بن أبى طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قُريش إلى إحدى خلّتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ؛ قال له علىّ : فانى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لى بذلك ؛ قال : فانى أدعوك إلى النِّزال ؛ فقال له : لِمَ يابن أخى ؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك ، قال له علىّ : لكنى والله أحبّ أن أقتلك ؛ فحَمِىَ[2] عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضَرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ رضى الله عنه[3] . وخرجت خيلهم مُنهزمة ، حتى اقتحمت من الخَندق هاربةً .

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نَصَر الحِجارةَ مِن سَفاهةِ رأيِه ... ونَصَرْتُ ربَّ محمَّدٍ بصَوابى[4]

فصَددت حين تركْته متجدّلا ... كالجِذْع بين دَكادِكٍ ورَوابى[5]

وعَففت عن أثوابه ولو انَّنى ... كنتُ المُقَطَّرَ بزَّنى أثوابى[6]

لا تحْسَبُنَّ اللهَ خاذلَ دِينِه ... ونَبيِّه يا مَعْشَر الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشكّ فيها لعلىّ بن أبى طالب .

---

(١) المعلم : الذى جعل له علامة يعرف بها .

(٢) حمى : اشتد غضبه .

(٣) ساق السهيلى هذه القصة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائى بزيادة عما هنا ، نكتفى بالإشارة إليها (راجع الروض ج ٢ ص ١٩١) .

(٤) الحجارة (هنا) : الأنصاب التى كانوا يعبدونها ويذبحون لها .

(٥) متجدلا : لاصقا بالأرض واسمها الجدالة . والجذع : فرع النخلة . والدكادك : جمع دكداك ، هو الرمل اللين . والروابى : جمع رابية ، وهى الكدية المرتفعة .

(٦) المقطر : الذى ألقى على أحد قطريه ، أى جنبيه . والقطر . الجانب ؛ يقال : طعنه فقطره ، أى ألقاه على أحد جنبيه . وبزنى : سلبنى وجردنى .

(شعر حسان فى فرار عكرمة) :

قال ابن إسحاق [١] : وألقى عِكْرِمة بن أبى جهل رُمْحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ؛ فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

فرَّ وألْقَى لَنا رُمْحَــــه لعَلّكَ عِكْرِمَ لم تَفْعَلِ
ووَلَّيْتَ تَعْدوكعَدْوِالظّليم [٢] ما إن تَجور [٣] عن المَعْدِلِ
ولم تَلق ظهرك [٤] مُسْتأنِسا كأن قَفاك قَفا فُرْعُلِ

قال ابن هشام : الفُرعل : صغير الضباع ، وهذه الأبيات فى أبيات له .

(شعار المسلمين يوم الخندق) :

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة : حم ، لايُنْصرون .

(شأن سعد بن معاذ) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل [٥] الأنصارى ، أخو بنى حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن مُعاذ معها فى الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب : فمرّ سعد وعليه درع له مُقلَّصة [٦] ، قد خرجت منها ذراعه كلّها ، وفى يده حربته يرقد [٧] بها ويقول :

لَبّثْ قليلا يَشْهَدِ الهَيْجا جَمَل لابأس بالمَوت إذا حانَ الأجَل [٨]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام » .
(٢) الظليم : ذكر النعام .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « تحور » بالحاء المهملة .
(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول « ولم تلو » .
(٥) هذه الكلمة ساقطة فى ا .
(٦) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ، يقال : تقلص الشىء ، إذا ارتفع وانقبض .
(٧) كذا فى ا . ويرقد : يسرع . وفى سائر الأصول « يرقل » .
(٨) كذا فى الأصول . قال أبو ذر : « جمل » : اسم رجل . وهذا الرجز قديم تمثل به سعد » . وفى الروض : « حمل » بالحاء المهملة ، قال السهيلى : « هو بيت تمثل به ، يعنى به حمل بن سعدانة بن الحارث ابن معقل بن كعب بن عليم بن جناب الكلبى » .

(قال) فقالت له أمه : الحقْ : أى ابنى ، فقد والله أخَّرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أمَّ سعد ، والله لوددْتُ أن درْع سعد كانت أسبغ[١] مما هى ؛ قالت : وخِفْتِ عليه حيث أصاب السَّهمُ منه ، فرُمِى سعدُ بنُ معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل[٢] ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، حِبَّان[٣] بن قَيْس بن العَرِقة[٤] ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، فلما أصابه ، قال : خُذْها منى وأنا ابن العرقة ؛ فقال له سعد : عرَّق الله وجهك فى النار ، اللهمَّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لاقوم أحبّ إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه ، اللهمّ وإن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تُمِتنى حتى تُقِرّ عينى من بنى قُريظة .

(شعر لأسامة يدل على أنه قاتل سعد) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعدًا يومئذ إلا أبو أسامة الجُشَمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعرا[٥] لعِكرمة بن أبى جهل :

أعِكْرِمَ هلاَّ لُمْتنى إذْ تقول لى ... فداك بآطام المَدينَــة خالدُ[٦]
ألستُ الذى ألزمتُ سَعدًا مُرِشَّةً[٧] ... لها بين أثناء المَرَافِق عاندُ[٨]
قَضَى نَحْبه منها سُعَيد فأعْوَلت ... عليه مع الشُّمْط العَذَارَى النَّواهِدُ[٩]

(١) أسبغ : أكمل وأطول .
(٢) الأكحل : عرق فى الذراع .
(٣) قال السهيلى : « حبان » هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى » .
(٤) العرقة : هى قلابة بنت سعد بن سعد بن سهم ، وتكنى أم فاطمة ، وسميت العرقة لطيب ريحها ، وهى جدة خديجة ، أم أمها هالة . (راجع الروض) .
(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال لعكرمة . . . الخ » .
(٦) الآطام : الحصون والقصور ؛ الواحد : أطم .
(٧) كذا فى ا . ومرشة : يعنى رمية أصابته فأطارت رشاش الدم منه . وفى سائر الأصول : « مريشة » .
(٨) العاند : العرق الذى لا ينقطع منه الدم .
(٩) النحب : الأصل . وأعولت : بكت بصوت مرتفع . والشمط : جمع شمطاء ، وهى التى خالط شعرها الشيب . والعذارى : الأبكار . والنواهد : جمع ناهد ، وهى التى ظهر نهدها .

وأنتَ الذى دافعْتَ عنه وقد دَعا عُبيدةُ جمعا منهُــم إذ يُكابد
على حين ماهُم جائر عن طَرِيقه وآخر مَرْعُوب عن القَصْد قاصد[١]

(والله أعلم أىّ ذلك كان) [٢] .

(قاتل سعد فى رأى ابن هشام) :

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رَمى سعداً خَفَاجة بن عاصم بن حِبّان .

(صفية وحسان وما ذكرته عن جبنه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفيَّة بنت عبد المطَّلب فى فارِع ، حِصْن حسَّان بن ثابت ؛ قالت : وكان حسَّان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصِّبيان . قالت صفيَّة ؛ فمرَّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطِيفُ بالحِصْن ، وقد حاربتْ بنو قُرَيظة ، وقطعت ما بينها وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يَدْفع عنا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوّهم ، لايَستطيعون أن يَنْصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسَّان ، إن هذا اليهودىّ كما ترى يُطِيفُ بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلَّ على عَوْرتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغِل عنَّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يَغْفِر الله لك يابنة عبد المطَّلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجزت [٣] ثم أخذت عَمودا ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه ، فضربتُه بالعَمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحِصْن ، فقلت : يا حسَّان ، انزل إليه فاسلبه ، فانه لم يَمْنعنى من سلبِه إلا أنه رَجل ؛ قال : مالى بسَلَبه من حاجة يابنة عبد المطلب [٤] .

---

(١) المرعوب : المفزع . قال أبو ذر : من رواه مرغوب ، بالغين المعجمة ، فمعناه : رغب عن القصد : أى تركه ، وهو على معنى النسب : أى ذو رغبة .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) احتجزت : شددت وسطى . قال أبو ذر : « ومن رواه : اعتجرت ، فمعناه : شددت معجرى » .

(٤) قال السهيلى : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جبانا شديد الجبن . وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لهجى به حسان ، فإنه كان

(شأن نعيم فى تخذيل المشركين عن المسلمين) :

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدّة ، لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فَوْقهم ومن أسفل منهم ؟

(قال) ١ : ثم إن نُعيم بن مَسْعود بن عامر بن أُنَيف بن ثعلبة بن قُنْفد بن هِلال بن حَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطفان ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد أسلمتُ ، وإن قومى لم يعلموا باسلامى، فمرْنى بما شئْت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ، فخذّل عنا ٢ إن استطعت ، فان الحَرب خُدعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهليَّة ، فقال : يا بنى قُريظة ، قد عرفتم ودّى إياكم ، وخاصَّة ما بينى وبينكم ؛ قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتَّهم ؛ فقال لهم : إنّ قريشا وغَطَفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لاتقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّ قريشا وغَطفان قد جاءوا لحرب محمَّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فان رأوا نُهزة ٣ أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم وخلَّوْا بينكم

يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول عليه . وممن أنكر أن يكون هذا صحيحا أبو عمر رحمه الله فى كتاب الدرر له .

وعقب على هذا الحديث أبوذر أيضا بما لايخرج عما ذكره السهيلى .

وقال الزرقانى بعد ما ساق ولى أبى عمر فى الدرر ، واستبعاده هذا على حسان : « وإنما كان أولى ، لأن ابن إسحاق لم ينفرد به ، بل جاء بسند متصل حسن كما علم ، فاعتضد حديثه . وقد قال ابن السراج : سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة ، لأنه شاعره صلى الله عليه وسلم » .

(١) زيادة عن ا .

(٢) خذل عنا : أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا .

(٣) النهزة : انتهاز الشىء واختلاسه .

وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تُناجزوه ؛ فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قُريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودّى لكم وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيتَ علىّ حقّا أن أبلغكموه ، نُصْحا لكم ، فاكتموا عنّى ؛ فقالوا : نفعل ؛ قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القَبيلتين ، من قُريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنُعطيكهم ، فتضربَ أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فان بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهنا من رجالكم فلا تَدْفعوا إليهم منكم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصْلى وعشيرتى ، وأحبّ الناس إلىّ ، ولا أُراكم تتّهمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتّهم ؛ قال : فاكتموا عنى ؛ قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ [١] ، ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم .

(دبيب الفرقة بين المشركين) :

فلما كانت ليلة السّبت من شوّال سنة خمس ، وكان من صُنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن [٢] أرسل أبو سفيان بن حرْب ورءوس غطفان إلى بنى قُريظة عِكْرِمة بن أبى جهل ، فى نَفر من قُريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفّ والحافر [٣] ، فاغدُوا للقتال حتى نُناجز محمدا ، ونفرغ مما بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو (يوم) [٤] لانعمل فيه

(١) هذه العبارة « فما أمرك » ساقطة فى ا .
(٢) فى ا : « أنه » .
(٣) يريد « بالخف » : الإبل ، و « بالحافر » : الخيل .
(٤) زيادة عن ا .

شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا ، فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فانا نخشى إن ضرستكم [١] الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا [٢] إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا بنى قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ؛ فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فان رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم . وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمدا [٣] حتى تعطونا رهنا ؛ فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم [٤] ، وتطرح أبنيتهم [٥] .

(أرسل الرسول حذيفة ليتعرف ما حل بالمشركين) :

(قال) [٦] : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يابن أخى ؛ قال : فكيف كنتم تصنعون ؟

---

(١) ضرستكم الحرب : نالت منكم ، كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه .
(٢) أن تنشمروا : أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .
(٣) هذه الكلمة « محمدا » ساقطة فى ا .
(٤) تكفأ قدورهم : تميلها وتقلبها .
(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « آنيتهم » .
(٦) زيادة عن ا .

قال : والله لقد كنا نجهَد ؛ قال : فقال : والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ولحمَلناه على أعناقنا : قال : فقال حذيفة : يابن أخى ، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هُوِيًّا [1] من اللَّيل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع — يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرّجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام [2] رجُل من القوم ، من شدّة الخوف ، وشدّة الجوع ، وشدّة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بدّ من القيام حين دَعانى ؛ فقال : يا حُذيفة ، اذهب فادخُل فى القوم ، فانظُر ماذا يصنعون [3] ، ولا تُحْدِثَنّ شيئا حتّى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم والرّيح وجُنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لاتَقُرّ لهم قِدْرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان ، فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ مَنْ جَلِيسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان [4] .

(مناداة أبى سفيان فيهم بالرحيل) :

ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصْبَحتم بدار مُقام ، لقد هَلك الكُراع [5] والخفّ ، وأخْلفتنا بنُو قريظة ، وبلَغنا عنهم الذى نَكره ، ولَقينا من شدّة الريح ما تَرَوْن ، ما تطمئنّ لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يَستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإنى مرتحل ؛ ثم قام إلى جَمله وهو مَعْقول ، فجَلَس عليه ، ثم ضَربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أُطلق عِقاله إلا وهو قائم ، ولولا عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ « أن لا تُحدث شيئا حتّى تأتينى » ، ثم شئت ، لقتلته بسهم .

---

(١) هويا من الليل (بفتح الهاء وضمها) : قطعة منه .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال » .

(٣) فى ا : « يفعلون » .

(٤) فى شرح المواهب : « فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى ، فأخذت بيده ، فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أبى سفيان ؛ ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو ابن العاص » .

(٥) الكراع : الخيل .

(رجوع حذيفة إلى الرسول بتخاذل المشركين وانصرافهم) :

قال حُذيفة : فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى في مِرْط [١] لبعض نسائه ، مراجل :

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن .

فلما رآنى أدخلنى إلى رِجليه ، وطَرح علىّ طَرَف المِرْط ، ثم ركع وسجَد ، وإنى لفيه ، فلما سلَّم أخبرته الخبر ، وسمعتْ غَطفان بما فعلَت قُريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم :

(انصراف الرسول عن الخندق) :

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة [٢] والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بنى قريظة

فى سنة خمس

(أمر الله لرسوله على لسان جبريل بحرب بنى قريظة) :

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزُّهرى ، معتجرًا [٣] بعمامة من إستبرق [٤] ، على بَغْلة عليها رِحالة [٥] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القَوم ، إن الله عزّ وجلّ يأمرك يا محمد بالمَسيرِ إلى بنى قُريظة ، فانى عامدٌ إليهم فمزلزل بهم :

---

(١) المرط : الكساء .

(٢) كان دخول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الأربعاء ، يوم منصرفه من الخندق ، لسبع بقين من ذى القعدة . (راجع شرح المواهب) .

(٣) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون تلح ، أى لايلقى شيئا تحت لحيته .

(٤) الإستبرق : ضرب من الديباج غليظ .

(٥) الرحالة : السرج .

(دعوة الرسول المسلمين للقتال) :

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذّنا ، فأذّن فى الناس : من كان سامعا مطيعا ، فلا يصلينّ العصرَ إلا ببنى قُريظة .

(استعمال ابن أم مكتوم على المدينة) :

واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

(تقدم على وتبليغه الرسول ماسمعه من سفهائهم) :

قال ابن إسحاق : وقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناسُ . فسار علىّ بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث ؛ قال : لِمَ ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حُصونهم . قال : يا إخوان القِرَدة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

(سأل الرسول عن مربهم فقيل دحية فعرف أنه جبريل) :

ومرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنَفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْن [1] قبل أن يصل إلى بنى قُريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مرَّ بنا دِحْية بن خَليفة الكلبى ، على بَغْلة بَيضاء عليها رِحالة ، عليها قَطيفة ديباج . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جِبْريل ، بُعث إلى بنى قُريظة يُزَلزل بهم حُصونهم ، ويقذف الرعبَ فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا [2] .

---

(١) الصورين : موضع قرب المدينة . (عن معجم البلدان) .

(٢) أنا (كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة ؛ ويروى بموحدة بدل النون) : من آبار بنى قريظة . (راجع الروض وشرح المواهب ومعجم البلدان) .

قال ابن هشام : بئر أنّى .

(تلاحق المسلمين بالرسول) :

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم [١] من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العَصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايصلينّ أحدٌ العصرَ إلا ببنى قُريظة ، فشغَلهم ما لم يكن منه بدٌّ فى حَرْبهم ، وأبَوْا أن يصلّوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلّوْا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابَهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنّفهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [٢] . حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاقُ بن يسار ، عن مَعبد بن كَعْب بن مالك الأنصارى .

(حصارهم ومقالة كعب بن أسد لهم) :

(قال) [٣] : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين [٤] ليلة ، حتى جَهدهم الحصار ، وقذفَ اللهُ فى قُلوبهم الرعبَ .

وقد كان حُيَيّ بن أخْطب دخل مع بنى قريظة فى حصْنهم ، حين رجعت عنهم قُريش وغَطَفان ، وفاءً لكَعْب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غير مُنْصرف عنهم حتى يُناجزهم ، قال كعب ابن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخُذوا أيها شئتم ؛ قالوا : وما هى؟ قال : نُتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيّن لكم أنه لنبىٌّ مُرْسَل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأْمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم [٥] ؛ قالوا : لانفارقُ حكمَ التّوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال : فاذا أبيتم علىَّ هذه ، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ،

---

(١) هذه الكلمة « منهم » ساقطة فى ا .

(٢) يؤخذ من هذا أنه لا يعاب من أخذ بظاهر حديث أو آية ولا من استنبط من النص معنى يخصصه ، كما يؤخذ منه أن كل مجتهد فى الفروع مصيب . (راجع الروض وشرح المواهب) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) وقيل : خمس عشرة ليلة ، وقيل بضع عشرة . (راجع الطبقات وشرح المواهب) .

(٥) هذه الكلمة « ونسائكم » ساقطة فى ا .

ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلتين السيوفَ ، لم نترك وراءَنا ثَقَلا ، حتى يَحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نَهلِك نَهلِك ، ولم نترك وراءَنا نَسلا نخشى عليه ، وإن نَظهر فلعَمرى لنجدنّ [١] النساء والأبناء ؛ قالوا : نقتُل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فان أبيتم علىّ هذه ، فان الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا [٢] فيها ، فانزلوا لعلّنا نُصيب من محمد وأصحابه غِرّة ؛ قالوا : نُفسد سَبْتنا علينا ، ونُحدث فيه ما لم يحدث مَن كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخْف عليك من المَسخ ! قال : ما باتَ رجل منكم منذ ولَدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

(أبو لبابة وتوبته) :

(قال) [٣] : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة [٤] بن عبد المُنذر ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا حُلفاء الأوس ، لنَستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجَهَش [٥] إليه النساء والصبيان يَبكون فى وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حُكم محمد [٦] ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حَلقه ، إنه الذبح [٧] . قال أبو لُبابة : فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفتُ

---

(١) فى ا : « لنتخذن » .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أمنوا » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى المدنى ؛ واختلف فى اسمه ، فقيل : رفاعة ، وقيل : مبشر ، وقيل : بشير ، وهو أحد النقباء ، عاش إلى خلافة على (راجع الاستيعاب والروض وشرح المواهب) .

(٥) جهش : تهيأ للبكاء.

(٦) قال الزرقانى : « وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة ، انزلوا شاس بن قيس فكلمه صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والذرارى وما حملت الإبل إلا الحلقة ؛ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل ؛ فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه ؛ وعاد شاس إليهم بذلك » . (راجع شرح المواهب) .

(٧) كأن أبا لبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول لهم بحقن دمائهم ، وعرف أن الرسول سيذبحهم إن نزلوا على حكمه ، وبهذا أشار لبنى قريظة . (راجع شرح المواهب) .

أنى قد خنتُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق أبولبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمُده ، وقال : لاأبرح مكانى هذا حتّى يتوب الله علىّ مما صنعت ، وعاهد الله : أن لاأطأ بنى قريظة أبدا ، ولا أُرى فى بلد خُنْت الله ورسوله فيه أبدا .

(ما نزل فى خيانة أبى لبابة) :

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى فى أبى لُبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى قتادة : « يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

(موقف الرسول من أبى لبابة وتوبة الله عليه) :

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه [1] لو جاءنى لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقُه من مكانه حتّى يَتُوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط : أنّ توبة أبى لُبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر [2] ، وهو فى بيتِ أمّ سَلَمة ؛ (فقالت أمّ سَلَمة [3]) : فسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك . قالت : فقلت : ممّ تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنَّك ؛ قال : تِيب على أبى لُبابة ؛ قالت : قلت : أفلا أُبشِّره يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئتِ . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يُضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لُبابة ، أبْشِر فقد تاب الله عليك . قالت [4] : فثار الناس إليه ليُطلقوه فقال : لاوالله حتّى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطلقنى بيده ؛ فلما مرّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.

---

(١) فى ا : « أما إن لو كان . . . الخ » .

(٢) هذه الكلمة « من السحر » ساقطة فى ا .

(٣) زيادة من ا .

(٤) فى م ، ر : « قال » .

(ما نزل فى التوبة على أبى لبابة) :

قال ابن هشام: أقام أبو لُبابة مُرتبطا بالجذع ستّ ليال ، تأتيه امرأته فى كلّ وَقْت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فيَرْتبط بالجِذْع ،فيما حدثنى بعض أهل العلم، والآية [١] التى نزلت فى توْبته قولُ الله عزّ وجلّ : « وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

(إسلام نفر من بنى هدل) :

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَة ، وأُسيد بن سَعْية ، وأسد بن عُبيد ، وهم نفر من بنى هَدْل ، ليسوا من بنى قُريظة ولا النَّضير ، نَسَبُهُم فوق ذلك ، هم بنو عمّ القوم ، أسلَموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(أمر عمرو بن سعدى) :

وخرج فى تلك اللَّيلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظى ، فمرّ بحَرَس رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى — وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا — فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه [٢] : اللهمّ لاتحرمنى إقالة عَثَرات الكِرام ، ثم خلّى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى [٣] باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ؛ فقال : ذاك رجل نجّاه الله بوَفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِق بِرُمَّة [٤] فيمن أُوثِقَ من بنى قُريظة ، حين نزلوا على حُكم رسول الله

---

(١) فى ا : « الآيات » .
(٢) فى م ، ر : « طرفه » وهو تحريف .
(٣) فى ا : « حتى بات فى مسجد . . . الخ » .
(٤) الرمة : الحبل البالى .

صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رمَّتُه مُلْقاة ، ولا يُدْرى أين ذهب ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أىّ ذلك كان .

(نزول بنى قريظة على حكم الرسول وتحكيم سعد) :

(قال) [١] فلما أصبحوا نزلوا على حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتَواثبتِ الأوْس ، فقالوا : يارسول الله ، إنهم [٢] موالينا دون الخَزرج ، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قُريظة قد حاصَر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حُلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبَىّ بن سلول ، فوَهبهم له — فلما كلَّمته الأوس قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ألا تَرْضون يا معشر الأوس أن يَحْكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن مُعاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بنَ معاذ فى خَيْمة لامرأة من أسْلَم [٣] ، يُقال لها رُفَيدة ، فى مسجده ، كانت تُداوى الجَرْحَى ، وتحْتسب بنفسها على خِدْمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المُسلمين ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خَيْمة رُفَيدة حتى أعُوده من قريب . فلما حكَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُريظة ، أتاه قومه فحَملوه على حمار قد وطَّئوا له بوسادة من أدَم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسِنْ فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّما ولاك ذلك لتُحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أَنَى لسَعد أن لاتأخذه فى الله لَوْمةُ لائم . فرجع بعضُ من كان معه من قَوْمه إلى دار بنى عبد الأشْهل ، فنَعَى لهم رجال بنى قُريظة ، قبل أن يَصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى م ، ر : « إنهم كانوا » .

(٣) وقيل إنها أنصارية . (راجع الإصابة وشرح المواهب) .

قوموا إلى سيِّدكم — فأما المُهاجرون من قَريش ، فيقولون : إنما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون : قد عمّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد وَلاَّك أمرَ مواليك لتَحكم فيهم ؛ فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أنّ الحُكمَ فيهم لَمَا حكَمْتُ ؟ قالوا : نعم : وعلى مَنْ هاهنا ؟ في الناحية التي فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعرِض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تُقتل الرجالُ ، وتُقسّم الأموال ، وتُسْبَى الذرارى والنساء :

(رضاء الرسول بحكم سعد) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو ابن سَعْد بن مُعاذ ، عن عَلْقمة بن وقّاص اللَّيْثى ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحُكم الله من فوق سبعة أرْقعة [١] .

(سبب نزول بنى قريظة على حكم سعد فى رأى ابن هشام) :

قال ابنُ هشام : حدثنى بعضُ من أثقُ به من أهل العلم : أن عليّ بن أبى طالب صاح وهم مُحاصرو بنى قُريظة : يا كَتيبة الإيمان ، وتقدّم هو والزُّبير بن العوّام ، وقال : والله لأذوقنّ ما ذاق حَمْزة أو لأَفْتَحَنّ حِصْنَهم ؛ فقالوا : يامحمد ، ننزل على حُكم سَعد بن مُعاذ .

(مقتل بنى قريظة) :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحارث [٢] ، امرأة من بنى النَّجّار ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأرقعة : السموات ؛ الواحدة : رقيع .

(٢) قال السهيلى : « واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس . وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز » .

وقال الزرقانى : « هى رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد ، زوجة معاذ بن الحارث ابن رفاعة ، تكرر ذكرها فى السيرة . والواقدى يقول : رملة بنت الحدث (بفتح الدال المهملة) . وليست هى كيسة بنت الحارث » .

إلى سوق المدينة ، التى هى سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، يُخرج بهم إليه أرسالا [١] ، وفيهم عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب ، وكَعْب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستّ مئة أو سبع مئة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كَعْب ، ما تراه يُصنع بنا ؟ قال : أفى كلّ موطن لا تَعْقِلُون ؟ ألا ترون الداعى لا يَنْزِع ، وأنه من ذُهب به منكم لا يَرْجِع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(مقتل ابن أخطب وشعر ابن جوال فيه) :

وأُتِيَ بحُيَيّ بن أخْطَبَ عدوّ الله ، وعليه حُلّة له فقّاحية [٢] — قال ابن هشام : فقّاحية : ضرب من الوشى — قد شقّقها عليه من كل ناحية قدر أنملة (أنملة)[٣] لئلا يُسْلبها ، مجموعة يداه إلى عُنقه بحبل . فلما نَظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يَخْذل الله يُخْذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بَأْس بأمر الله ، كِتاب وقدر وملْحمة كَتَبها [٤] الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضُربتْ عنقه .

فقال جَبَل بن جَوّال الثّعلبى [٥] :

لعَمْرك ما لامَ ابنُ أخْطَب نَفْسَه ... ولكنَّه مَنْ يَخْذُل اللهَ يُخْذَل

لجاهَد حتى أبْلغ النّفس عُذْرَها ... وقَلْقَل يَبْغى العزّ كلّ مُقَلْقَل [٦]

---

(١) أرسالا ، أى طائفة بعد طائفة .

(٢) فقاحية : تضرب إلى الحمرة ، أى على لون الورد حين هم أن يتفتح (اللسان) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) فى ا : « كتبت » .

(٥) كان ابن جوال هذا من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وكان يهوديا فأسلم ، وكانت له صحبة . (راجع الروض والاستيعاب) .

(٦) قلقل : تحرك .

(قتل من نسائهم امرأة واحدة):

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تحدث معي، وتضحك ظهرا وبطنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله؛ قالت: قلت لها: ويلك؛ مالك؟ قالت: أُقتل؛ قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته؛ قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها [١]؛ فكانت عائشة تقول: فوالله ما أنسى عجبا منها، طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تُقتل.

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد، فقتلته.

(شأن الزبير بن باطا):

قال ابن إسحاق: وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري، أتى الزبير [٢] بن باطا القرظي، وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزبير قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية [٣]. ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان منّ عليه يوم بعاث، أخذه فجزّ ناصيته، ثم خلّى سبيله — فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؛ قال: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي؛ قال: إن الكريم يجزي الكريم؛ ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إنه قد كانت للزبير عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك، فهو لك؛ قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي

---

(١) قال أبو ذر: «هي امرأة الحسن القرظي».

(٢) قال السهيلي: «هو الزبير، بفتح الزاي وكسر الباء، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح. واختلف في الزبير بن عبد الرحمن؛ فقيل: الزبير، بفتح الزاي وكسر الباء، كاسم جده، وقيل الزبير».

(٣) في ا: «ذكر».

يا رسول الله ، هَبْ [١] لى امرأته وولَده ؛ قال : هُمْ لك : قال : فأتاه فقال : هذ وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَك وولدك ، فهم لك ؛ قال : أهلُ بيت بالحجاز لامال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، مالَه ؛ قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالَك ، فهو لك ؛ قال : أىْ ثابت ، ما فعل الذى كأن وجْهه مرآة صِينيَّة يتراءى فيها عَذَارى الحىّ ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل سيِّد الحاضر والبادى حُيَىّ بن أخْطَب ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل مُقدّمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فَرَرنا ، عزَّال بن سَمَوْأل ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قُريظة وبنى عَمْرو بن قريظة ؛ قال : ذهبوا قُتلوا ؟ قال : فانى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألْحَقْتَنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَتْلَة دَلْو ناضح [٢] حتى ألْقى الأحبَّة . فقدّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصدّيق قوله « ألْقى الأحبَّة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا (فيها) [٣] مخلَّدًا .

قال ابن هشام : قبلة دلو [٤] ناضح . (و) [٣] قال زهير بن أبى سُلمى فى « قبلة » :

وقابِلٍ يتَغَنَّى كلَّما قَدَرَتْ على العَرَاقى يَداه قائما دَفَقا [٥]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : ويُروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول [٦] .

---

(١) فى ا : « يا رسول الله ، امرأته وولده » .

(٢) الناضح : الجبل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية . وأراد بقوله له : فتلة دلو ناضح ؛ مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض ، يفتلها أو يردها إلى موضعه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) قال أبو ذر : « ومن رواه : قبلة ، بالقاف والباء ، فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ، ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة » .

(٥) القابل : الذى يقبل الدلو . ودفق الماء صبه ، والعراقى : جمع عرقوة ، وهى العود الذى يكون فى أذنى الدلو .

(٦) كذا وردت هذه العبارة التى تلى بيت زهير مروية عن ابن هشام فى أكثر الأصول ، وهى —

(أمر عطية ورفاعة) :

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمَر بقَتْل كلّ من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى شُعبة بن الحجّاج ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يُقتل من بنى قُريظة كلّ من أنبت منهم ، وكنت غلاما ، فوجدونى لم أُنبت ، فخلّوا سبيلى .

قال (ابن إسحاق) [١] : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صَعْصعة أخو بنى عدىّ بن النّجار : أن سَلْمى بنت قيس ، أم المُنذر ، أختَ سليط بن أختَ سليط بن قيس — وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلّت معه القبلتين ، وبايعته بيعةَ النّساء — سألته رفاعةَ بن سَمَوْأل القُرظى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذَ [٢] بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبىّ الله ، بأبى أنت وأمى ، هبْ لى رِفاعة ، فانه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها ، فاستَحْيته .

(قسم فىء بنى قريظة) :

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسّم أموال بنى قُريظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهْمان الخيل وسُهْمان الرجال ، وأخرج منها الخُمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قُريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أوّل فىء وقعت فيه السُّهمان ، وأُخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنّة فى المغازى .

= فى « ا » على الوجه الآتى : « قال ابن هشام : هو تفسير بيت زهير ، ويعنى قابل الذى يتلقى الدلو إذا خرج من البئر . والناضح : البعير الذى يستقى الماء لسقى النخل ، وهذا البيت فى قصيدة له » .

(١) زيادة عن ا .

(٢) لاذ بها : التجأ إليها .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَعد بن زيد الأنصاريّ أخا بنى عبد الأشهل بسَبايا من سبايا بنى قُريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

(شأن ريحانة) :

(قال) [١] : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة [٢] ، إحدى نساء بنى عمرو بن قُريظة [٣] ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوُفّىَ عنها وهى فى مِلْكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَض عليها أن يتزوّجها ، ويَضْرب عليها الحجاب ؛ فقالت : يا رسول الله ، بل تتركنى فى مِلْكك ، فهو أخفّ علىّ وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهوديّة ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَجد فى نفسه لذلك من أمرها . فبينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقْع نعلين خَلْفه ؛ فقال : إن هذا لثعلبة بن سَعْية يبشرنى باسلام رَيْحانة ؛ فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أَسْلمت ريحانة ، فسرّه ذلك من أمرها .

(ما نزل فى الخندق وبنى قريظة) :

قال ابن إسحاق [٤] : وأنزل الله تعالى فى أمر الخَنْدق ، وأمر بنى قُريظة من القرآن ، القِصّةَ فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البَلاء ، ونِعْمته عليهم ، وكفايته إياهم حينَ فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق : « يا أيها الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحا وجُنُودًا لَمْ تَرَوْها ، وكانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » . والجنود قريش وغَطفان وبنو قُريظة ، وكانت الجنود التى أرسلَ الله عليهم مع الريح الملائكةَ . يقول الله تعالى : « إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإذْ زَاغَتِ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ ، وَتَظُنُّونَ باللهِ

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى أكثر الأصول وشرح المواهب مضبوطة بالعبارة . وفى ا : « جنافة » .

(٣) وقيل : كانت من بنى النضير متزوجة فى قريظة رجلا يقال له الحكم . (راجع شرح المواهب) .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .

الظنونا » . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفلَ منهم قُريش وغَطفان . يقول الله (تبارك و) ¹ تعالى : « هُنالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً ، وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً » لقول مُعَتِّب بن قُشير إذ يقول ما قال . « وَإِذْ قالَتْ طائفةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فارْجِعُوا ويَسْتأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِراراً » لقول أوس بن قيظى وَمَنْ كان على رأيه من قومه « وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها » : أى المدينة .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ؛ وواحدها : قطر ، وهى الأقتار ؛ وواحدها : قتر ؛

قال الفرزدق :

كم من غِنًى فتَح الإلهُ لهم به والخيلُ مُقْعية على الأقْطارِ²

ويُروى : « على الأقتار » . وهذا البيت فى قصيدة له .

« ثم سئلوا الفتنة » : أى الرجوع إلى الشرك « لآتَوْها وَما تَلَبَّثُوا بِها إلاَّ يَسِيراً . وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبارَ ، وكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً » ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين همّوا أن يَفْشلوا يوم أُحُد مع بنى سَلِمة حينَ همّتا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : « قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْلِ ، وَإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً . قُلْ مَنْ ذا الذى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً ، أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً . قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ » : أى أهل النفاق « والقائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ، وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) مقعية : أى ساقطة على آجنابها روم النيام ، كما تقعى الكلاب على أذنابها وأفخاذها .

قَلِيلًا » : أى إلا دفعا وتعذيرا[1] « أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ » : أى للضِّغْن الذى فى أنفسهم « فإذَا جاءَ الخَوْفُ رأيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ ، تَدُورُ أعْيُنُهُمْ كالذى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ » : أى إعظاما له وفَرَقا منه « فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدَادٍ » : أى فى القول بما لاتحبون ، لأنهم لايرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبَة[2] ، فهم يَهابون الموتَ هَيْبَةَ من لايرجو ما بعده .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذَوْكم . تقول العرب : خطيب سَلاّق ، وخطيب مِسْلَق ومِسْلاق . قال أعشَى بنى قَيْس ابن ثعلبة :

فيهم المجدُ والسَّماحةُ والنجْـــدة فيهم والخاطب السلاّقُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا » قُرَيش وغَطفان « وإنْ يَأْتِ الأحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ فِى الأعْرَابِ يَسْألُونَ عَنْ أنْبائِكُمْ ولَوْ كانُوا فِيكُمْ ماقاتلُوا إلاَّ قَلِيلًا » .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ » : أى لئلا يرْغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكانٍ هُوَ به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعدهُمُ الله من البلاء يختبرهم[3] به ، فقال : « ولَمَّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ[4] قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ ، وصَدَقَ اللهُ ورَسُولُهُ ، وما زَادَهُمْ إلاَّ إيمَانا وتَسْلِيماً » : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحقّ ، لما كان الله تعالى وَعدهم ورسوله[5] صلى الله عليه وسلم

---

(١) التعذير : أن يفعل الرجل الشىء بغير نية ، وإنما يريد أن يقيم به العذر عند من يراه .

(٢) كذا فى « ا » . والحسبة (بالكسر) : طلب الأجر . وفى سائر الأصول : « حسنة » .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ليختبر » .

(٤) هذه الجملة : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب » من الآية ساقطة فى ا .

(٥) فى ا : « لما كان الله وعدهم الله ورسوله » .

ثم قال : « مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ » : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن [1] استشهد يوم بَدْر ويوم أُحُد .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : قضى نَحْبَه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة وجمعه : نحوب . قال ذو الرمَّة :

عَشِــيَّةَ فَرَّ الحارِثِيُّونَ بَعْدَ ما قَضَى نَحْبَه فى[2] مُلْتَقَى الخَيل هَوْبَرُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وهَوْبر : من بنى الحارث بن كَعْب ، أراد : يزيدَ ابن هَوْبر . والنحب (أيضا) : النذر . قال جَرير بن الخَطَفَى :

بِطِخْفَةَ جالَدْنا [3] المُلوكَ وخَيْلُنا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول : على نَذْر كانت نَذَرت أن تَقْتله فقَتلتْه ، وهذا البيت فى قصيدة له . وبسطام : بسطام بن قَيس بن مسعود الشَّيبانى ، وهو ابن ذى الجَدَّين . حدثنى أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار . وطِخْفَة : موضع بطريق البصرة [4] .

والنحب (أيضا) : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نَحَبَتْ كَلْبٌ على النَّاس أيُّنا على النَّحْبِ أعطَى للجزيل وأفضلُ

والنَّحب (أيضا) : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب (أيضا) : الحاجة والهمَّة ؛ تقول : مالى عندهم نَحْب . قال مالكُ بن نُوَيرة اليَرْبوعى :

وما لِىَ نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غيرَ أنَّنِى تَلَمَّسْت ما تَبغى من الشُّدُن الشُّجْر [5]

وقال نَهار بن تَوْسِعة ، أحد بنى تيم اللات بن ثَعْلبة بن عُكابة بنِ صعب بن علىّ بن بكر بن وائل .

---

(١) فى ا : « لمن » .

(٢) هذه الكلمة : « فى » ساقطة فى ا . ولا يستقيم الوزن بدونها .

(٣) فى ا : « خالدنا » .

(٤) هذه العبارة : « بطريق البصرة » ساقطة فى ا .

(٥) الشدن : الإبل منسوبة إلى شدن ، موضع باليمن . والشجر : التى فى أعينها حمرة .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بنى حنيفة [١] :

وَنجّى يوسفَ الثقفىَّ رَكْضٌ دِراكٌ بعد ما وَقَع اللّواءُ [٢]
ولو أدرَكْنه لَقَضَيْنَ نَحْبًا [٣] به ولِكُلِّ مُخْطَأَةٍ وقاء

والنَّحب (أيضا) : السير الخفيف المَرّ .

قال ابن إسحاق [٤] : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » : أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على مامضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : « وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا » : أى ما شكوا وما تردّدوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . « لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ إنْ شاءَ ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا رَحِيما . وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بغَيْظِهِمْ » : أى قريشا وغطفان « لَمْ يَنالُوا خَيْرًا ، وكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ وكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا . وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ » : أى بنى قريظة « من صَيَاصِيهِمْ » ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سُحَيم عَبْد بنى الحَسْحاس ؛ وبنو الحسحاس من بنى أسد ابن خُزَيمة :

وأصْبحت الثِّيران صَرْعى وأصْبحت نساء تَميم يَبْتَدِرْنَ الصَّياصِيا [٥]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصّياصى (أيضا) : القرون . قال النابغة الجعدى :

وسادَةَ رَهْطِى حتى بَقِيتُ فرْدًا كصِيصِيَة الأعْضَبِ [٦]

يقول : أصاب الموت سادةَ رهطى [٧] . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو دواد الإيادىّ [٨] :

---

(١) فى م ، ر : « هو مولى أبى حنيفة الثقفيه » .
(٢) الركض : الجرى . ودراك : متتابع .
(٣) فى م ، ر : « ولو أدركته لقضيت » .
(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(٥) كذا فى ا . وفى م ، ر : « يلتقطن » . وزيد فيهما بعد هذا البيت : « ويروى يبتدرن » .
(٦) الأعضب : المكسور القرن .
(٧) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(٨) فى الأصول : « أبو داود » وهو تحريف .

فَذَعَرْنا سُحْمَ الصَّياصى بأيدِيــــهنّ نَضْحٌ من الكُحَيْل وقار[١]

وهذا البيت فى قصيدة له[٢] . والصّياصى (أيضا) : الشوك الذى للنّساجين ، فيما أخبرنى أبو عُبيدة . وأنشدنى لدُريد بن الصِّمّة الجُشَمى ، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

نَظَرْتُ إليه والرّماح[٣] تَنُوشُــه[٤] كوَقْع الصَّياصى فى النَّسيج المُمَدَّدِ

وهذا البيت فى قصيدة له . والصّياصى (أيضا) : التى تكون فى أرْجل الدِّيَكة ناتئة كأنها القرون الصّغار ، والصياصى (أيضا) : الأصول . أخبرنى أبو عُبيدة أن العَرَب تقول : جَذّ الله صيصيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : « وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا » : أى قتل الرجال ، وسبى الذّرارى والنساء ، « وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا » : يعنى خَيْبر « وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا » .

(وفاة سعد بن معاذ وما ظهر مع ذلك) :

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قُريظة انفجّر بسعد بن مُعاذ جُرحه ، فمات منه شهيدًا .

قال ابن إسحاق[٥] : حدثنى مُعاذ بن رفاعة الزُّرَقى ، قال : حدثنى مَنْ شئت من رجال قومى : أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين قُبض سعد بن مُعاذ من جوف الليل معتجرًا بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من

(١) ذعرنا ، من الذعر ، وهو الفزع . والسحم : السود . والصياصى : القرون . ويريد « بسحم الصياصى » . الوعول التى فى الجبال . ونضح : لطخ . والكحيل : القطران . والقار : الزفت أراد مافى أيديها من السواد . فشبهه بالكحيل والقار .

(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٣) فى ا : « والريح » وهو تحريف .

(٤) تنوشه : تتناوله من قرب .

(٥) هذه العبارة ساقطة فى ا .

هذا المَيِّت الذى فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتزّ له [١] العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجرّ ثَوبه إلى سَعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق [٢] : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أُسيد بن حُضير ، فلقيه موتُ امرأة له ، فحزِن عليها بعضَ الحُزن ، فقالت له عائشة [٣] : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصِبْت بابن عمك ، وقد اهتزّ له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن الحسن البَصْرى ، قال : كان سعد رجلا بادِنا ، فلما حمله الناس وجَدوا له خفّة ، فقال رجالٌ من المنافقين [٤] : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخفّ منه ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنّ له حَمَلةً غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتزّ له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مُعاذ بن رِفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو ابن الجموح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبَّح الناس معه ، ثم كبر

---

(١) قال السهيلى عند الكلام على اهتزاز العرش : « وقد تكلم الناس فى معناه وظنوا أنه مشكل . وقال بعضهم : الاهتزاز (هاهنا) : بمعنى الاستبشار بقدوم روحه . وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعادا منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة . ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق ، ويجوز عليه الحركة والهزة ، ولا يعدل عن ظاهر (اللفظ) ما وجد إليه سبيل . وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح . قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة . وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : أنه سرير سعد اهتز ، لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن . رواه أبو الزبير عن جابر ، يرفعه ، ورواه البخارى عن طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان ، كلاهما عن جابر . ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدرى وأسيد بن حضير ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى ، والعجب لما روى عن مالك رحمه الله ، من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواة له . ولعل هذه الرواية لم تصح عند مالك ، والله أعلم » .

(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٣) فى م ، ر : « ياعائشة » وهو تحريف .

(٤) كذا فى ا والاستيعاب فى ترجمة سعد بن معاذ ، وفى سائر الأصول : « المسلمين » .

فكبّر الناس معه ، فقالوا : يا رسول الله ، ممّ سبّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرّجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للقبر لَضَمَّةً لو كان أحد منها ناجيا لكان سعدُ بن مُعاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك سمِعْنا به إلا لسَعْدِ أبى عَمْرو

وقالت أمُّ سعد ، حين احتُمل نعشه وهى تبكيه — قال ابن هشام — وهى كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر [1] ، وهو خُدْرة [2] ابن عَوْف بن الحارث بن الخزرج :

وَيْلُ أمِّ سَعْدٍ سعدا [3] صَرامةً وحَدًّا [4]

وسُودَدًا ومجدا وفارسا مُعَدًّا

سُدَّ به مَسَدًّا يَقُدُّ هاما قَدًّا [5]

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلّ نائحة تكْذب ، إلا نائحة [6] سعد بن معاذ .

(شهداء يوم الخندق) :

قال ابن إسحاق : ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفرٍ .

(من بنى عبد الأشهل) :

ومن بنى عبد الأشهل : سعدُ بن مُعاذ ، وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

(من بنى جشم) :

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلمة : الطُّفيل بن النعمان ، وثَعلبة ابن غَنَمة . رجلان .

---

(١) فى الاستيعاب : «كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر» .

(٢) فى ا : «الأنجر وهو جدرة» وهو تصحيف .

(٣) كسرت اللام من «ويل» إتباعا لكسرة الميم من «أم» .

(٤) فى ا : «وجدا» .

(٥) هذا الشطر ساقط فى ا .

(٦) فى ا : «ناحية» وهو تحريف .

(من بنى النجار) :

ومن بنى النَّجار ، ثم من بنى دينار : كعبُ بن زيد ، أصابه سهم غَرْب ، فقتله .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : سَهْمُ غَرْبٍ وسَهْمٌ غَرْبٌ ، باضافة وغير إضافة ، وهو الذى لايُعرف من أين جاء ولا من رَمى به [١] .

(قتل المشركين) :

وقُتل من المشركين ثلاثة نفر .

(من بنى عبد الدار) :

من بنى عبد الدَّار بن قُصَىّ : مُنبِّه بن عثمان بن عُبَيد بن السبَّاق بن عبدالدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أُميَّة بن منبِّه بن عُبيد بن السبَّاق .

(عرض المشركين على الرسول شراء جسد نوفل) :

قال ابن إسحاق : ومن بنى مَخزوم بن يَقَظَة : نوْفل بن عبد الله بن المُغيرة ؛ سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يَبيعهم جَسَده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورَّط [٢] فيه ، فقُتل ، فغلَب المُسلمون على جَسَده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاحاجة لنا فى جَسده ولا بثَمنه ، فخلَّى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزُّهرى .

(من بنى عامر) :

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لُؤَىّ ، ثم من بنى مالك بن حِسْل : عمرو ابن عَبْد وُدّ ، قتله علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدّث عن ابن شهاب الزهرىّ أنه قال : قتل علىّ بن أبى طالب يومئذ عَمْرو بن عبد ودّ وابنَه حِسْل بن عمرو .

---

(١) هذه العبارة : « قال ابن هشام . . . رمى به » ساقطة فى ا .

(٢) تورط فيه : انتشب

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد وَدّ ، ويقال : عمرو بن عَبْد .

(شهداء المسلمين يوم بني قريظة) :

قال ابن إسحاق : واستُشهد يوم بني قُريظة من المسلمين ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : خلاّد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحًى ، فشدَخته شَدْخا شديدا ، فزعموا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجرَ شهيدين

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أخو بني أسد بن خُزيمة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قُريظة ، فدُفن في مَقْبرة بني قُريظة التي يَدْفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتَهم في الإسلام .

(بشر الرسول المسلمين بغزو قريش) :

ولما انصرف أهلُ الخَنْدَق عن الخندق ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : لن تَغْزوكم قريش بعد عامكم هذا ؛ ولكنكم تَغزونهم . فلم تغزهم قُريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يَغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

ماقيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

(شعر ضرار) :

وقال ضِرار بن الخَطّاب بن مِرْداس ، أخو بني مُحارب بن فِهْر ، في يوم الخندق :

ومُشْفِقة تَظُنّ بنا الظُّنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسة طَحُونا[1]
كأنّ زُهاءها أُحُد إذا ما ... بَدَتْ أَرْكانُه للنّاظِرينا[2]
ترَى الأبدانَ فيها مُسْبَغاتٍ ... على الأبطال واليَلَبَ الحَصِينا[3]
وجُرْدًا كالقِداح مُسَوَّماتٍ ... نَؤُمّ بها الغُواة الخاطِئينا[4]

---

(١) العرندسة : الشديدة القوة . يريد : كتيبة . والطحون : التي تطحن كل ما مرت به .

(٢) زهاؤها : تقدير عددها .

(٣) الأبدان (هنا) : الدروع . ومسبغات : كاملة . واليلب : الترسة أو الدرق .

(٤) الجرد : الخيل العتاق . والقداح : سهام . والمسومات : المرسلة ، ويقال : هي المعلمة بالأسوام . ونؤم : نقصد .

كأنهم إذا صالوا وصُلنا ... بباب الخندقين مصافحونا[1]
أناس لانرى فيهم رشيداً ... وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهم شهراً كريتا ... وكنا فوقهم كالقاهرينا[2]
نُراوحهم ونغدو كل يوم ... عليهم في السلاح مدججينا[3]
بأيدينا صوارمُ مرهفاتٌ ... نقدّ بها المفارق والشئونا[4]
كأن وميضهن معرّيات ... إذا لاحت بأيدي مصلتينا[5]
وميضُ عقيقة لمعت بليل ... ترى فيها العقائق مستبينا[6]
فلولا خندقٌ كانوا لديه ... لدمّرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا ... به من خوفنا متعوّذينا
فإن نرحل فإنا قد تركنا ... لدى أبياتكم سعداً رهينا
إذا جنّ الظلام سمعت نوحى ... على سعد يرجّعن الحنينا[7]
وسوف نزوركم عما قريب ... كما زرناكم متوازرينا[8]
بجمع من كنانة غير عزل ... كأسد الغاب قد حمت العرينا[9]

(شعر كعب في الرد على ضرار):

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة، فقال:

وسائلة تُسائل ما لقينا ... ولو شهدت رأتنا صابرينا

---

(١) المصافحة: أخذ الرجل بيد الرجل عند السلام.

(٢) أحجرناهم: حصرناهم. وشهراً كريتا: تاما كاملا.

(٣) المدجج (بفتح الجيم وكسرها): الكامل السلاح.

(٤) الصوارم: السيوف. ومرهفات: قاطعة. ونقد: نقطع. والمفارق: جمع مفرق، وهو حيث يفرق الشعر في أعلى الجبهة. ويريد «بالشئون». مجمع العظام في أعلى الرأس.

(٥) الوميض: اللمعان. والمصلت: الذي جرد سيفه من غمده.

(٦) العقيقة: السحابة التي تشق عن البرق.

(٧) النوحى: جماعة النساء اللائي ينحن.

(٨) متوازرين: متعاونين.

(٩) العزل: الذين لا سلاح معهم؛ الواحد: أعزل. والغاب جمع غابة، وهي الأجمة. والعرين: موضع الأسد.

صَبَرْنا لانرَى لله عَدْلاً ... على ما نَابَنَا مُتَوَكِّلِينا
وكان لنا النبىّ وزيرَ صدْقٍ ... به نَعْلُو البَرِيَّة أجمَعِينا
نُقاتِل مَعْشَرًا ظلَموا وعَقُّوا ... وكانُوا بالعَداوة مُرْصِدِينا[١]
نُعاجِلهم إذا نَهَضُوا إلينا ... بضَرْبٍ يُعْجِل المُتَسرِّعِينا
تَرَانا فى فَضَافِضَ سابغاتٍ ... كغُدْرانِ المَلا مُتَسَرْبِلينا[٢]
وفى أيمانِنا بِيضٌ خِفافٌ ... بها نَشْفِى مِرَاحَ الشَّاغِبِينا[٣]
بِباب الخَنْدَقَين كأنّ أُسْدًا ... شَوَابِكُهُنّ يَحْمِينَ العَرِينا[٤]
فوارِسُنا إذا بَكَرُوا ورَاحُوا ... على الأعْدَاءِ شُوسًا مُعلَمِينا[٥]
لِننْصر أحمدًا والله حتى ... نكونَ عِبادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينا
ويعلْم أهلُ مكّة حين سارُوا ... وأحزَابٌ أتَوْا مُتَحزِّبِينا
بأنّ الله ليسَ لهُ شَرِيكٌ ... وأنّ اللهَ مَوْلَى المُؤْمِنِينا
فإمَّا تَقْتُلوا سَعْدًا سَفاهًا ... فإنّ اللهَ خيرُ القادرِينا
سيُدْخِله جِنانًا طَيِّباتٍ ... تكونُ مُقامَةً للصَّالحِينا
كما قد رَدّكُمْ فَلًّا شَرِيدًا ... بغَيْظِكُمُ خَزَايا خائبِينا[٦]
خَزَايا لَمْ تَنالُوا ثَمّ خَيْرًا ... وكِدْتُم أن تكُونوا دامِرِينا[٧]
بِرِيحٍ عاصِفٍ هَبّتْ عليكُمْ ... فكُنْتُمْ تحتَها مُتَكَمِّهِينا[٨]

(شعر ابن الزبعرى) :

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى ، فى يوم الخندق :

---

(١) المرصد : المعد الأمر عدته .

(٢) الفضافض : الدروع المتسعة . وسابغات : كاملة . والملا (مقصور) : المتسع من الأرض . ومتسربلون : لابسون للدروع .

(٣) المراح : النشاط .

(٤) الشوابك : التى يتشبث بها فلا يفلت .

(٥) الشوس : جمع أشوس ، وهو الذى ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه . والمعلم (بفتح اللام وكسرها) : الذى أعلم نفسه بعلامة الحرب ليشتهر بها .

(٦) الفل : القوم المنهزمون . والشريد : الطريد .

(٧) دامرين : هالكين .

(٨) العاصف : الريح الشديدة . والمتكمه : الأعمى الذى لايبصر .

حتىّ الديارَ محا معارفَ رَسْمِها ... طُولُ البِلى وتراوحُ الأحقابِ[١]
فكأنما كَتَبَ اليهودُ رُسومَها ... إلاّ الكَنيف ومَعْقِد الأطْناب[٢]
قَفْرًا كأنك لم تَكُنْ تَلْهو بها ... فى نِعْمَـةٍ بأوانسٍ أتْراب[٣]
فاتْرُك تذكُّر ما مَضَى من عيشة ... ومَحَـلّةٍ خَلَقِ المَقام يَباب[٤]
واذْكُر بلاءَ معاشرٍ واشْكُرْهُمُ ... سارُوا بأجمَعهم من الأنْصاب[٥]
أنْصاب مكّةَ عامدِين ليَثْرِب ... فى ذى غَياطِلَ جَحْفلٍ جَبْجاب[٦]
يَدَعُ الحُزُونَ مناهِجا معلومةً ... فى كُلِّ نَشْزٍ ظاهر وشِعاب[٧]
فيها الجِيادُ شُـوازِبٌ مَجْنوبةٌ ... قُبُّ البطون لَوَاحق الأقْرَاب[٨]
مِن كلّ سَلْهبةٍ وأجْرَد سَلْهَب ... كالسِّيِّدِ بادَرَ غَفْلةَ الرُّقاب[٩]
جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قاصدٌ بلوائه ... فيـه وصَخْرٌ قائدُ الأحزاب
قَرْمان كالبَدْرَيْن أصبَح فيهما ... غَيْثُ الفَقير ومَعْقِل الهُراب[١٠]
حتى إذا وَردوا المدينـة وارتَدَوْا ... للمَوْت كلَّ مُجَرَّب قَضّاب[١١]

---

(١) الأحقاب : الدهور ؛ الواحد : حقب .

(٢) الكنيف : الحظيرة والزرب الذى يصنع للإبل ، وسمى كنيفا ، لأنه يكنفها ، أى يسترها . والأطناب : الحبال التى تشد بها الأخبية وبيوت العرب . ويريد « بمعقدها » : الأوتاد التى تربط بها .

(٣) الأتراب : جمع ترب وهن المتساويات فى السن .

(٤) اليباب : القفر .

(٥) قال أبو ذر : « الأنصاب هنا : الحجارة التى يعلم بها الحرم . والأنصاب (أيضا) : حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها » .

(٦) يريد « بذى غياطل » : جيشا كثير الأصوات . والغياطل : جمع غيطلة ، وهى الصوت هنا . وجحفل : جيش . وجبجاب : كثير .

(٧) الحزون : جمع حزن ، وهو ما ارتفع من الأرض . والمناهج : جمع منهج ، وهو الطريق البين . والنشز : المرتفع من الأرض ، ويقال فيه نشز أيضا . (وهى رواية) . والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض بين جبلين

(٨) الشوازب : الضامرة . والمجنوبة : المقودة . وقب : ضامرة . ولواحق : ضامرة (أيضا) . والأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة وما يليها .

(٩) السلهبة : الطويلة . والسيد : الذئب .

(١٠) قرمان : فحلان سيدان . ومعقل الهراب : ملجؤهم .

(١١) ارتدوا : تقلدوا . وكل مجرب : أى كل سيف قد جرب . والقضاب : القاطع .

شهراً وعشراً قاهرين محمــداً ... وصحابُه فى الحرْب خير صحَاب
نادوا برحلَتِهم صَبيحة قُلْــتُمُ ... كِدْنا نكون بها مع الخُيَّاب
لولا الخَنادِق غادروا من جَمْعهم ... قَتْلى لطَــيْرٍ سُغَّبٍ[١] وذِئاب

(شعر حسان) :

فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

هل رَسْم دارســةِ المقام يَبَابِ[٢] ... مُتَكلِّم لمحاور[٣] بجَــواب
قَفْر عفَا رِهَمُ السَّحاب رُسومه ... وهُبُوبُ كلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبابِ[٤]
ولقد رأيت بها الحلول يزينُهم ... بِيضُ الوُجوه ثواقب الأحْساب[٥]
فَدع الدّيار وذِكْر كلِّ خَرِيدة ... بَيضاءَ آنسةِ الحــديث كَعَاب[٦]
واشكُ الهُموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظَلَموا الرَّسول غضاب
ساروا بأجمعهم إليــه وألَّبُوا ... أهلَ القُرَى وبَوَادِىَ الأعْراب[٧]
جَيْش عُيَينةَ وابنُ حَرْب فيهمُ ... مُتَخَمِّطُون بحلبة الأحــزاب[٨]
حتى إذا وردُوا المَدينة وارْتجَوْا ... قَتْلَى الرسول ومَغْنَم الأسلاب
وغَدَوْا علَيْنا قادرين بأيْدِهم ... رُدُّوا بغَيْظِهِم على الأعْقاب[٩]
بهبُوب مُعْصِفةٍ تُفَرِّق جَمْعهم ... وجُنُودِ رَبِّكَ سـيِّدِ الأرْباب[١٠]
فكَفَى الإله المُؤْمِنــينَ قِتالَهُم ... وأثابَهُم فى الأجْرِ خيرَ ثَواب

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وسغب : جائعة . وفى ا : « شعب » . . وهو تصحيف .

(٢) اليباب : القفر .

(٣) كذا فى ا . والمحاور : الذى يراجعك ويتكلم معك . وفى سائر الأصول : « لمحارب » .

(٤) عفا : تغير ودرس . ورهم : جمع رهمة ، وهى المطر ، ومطلة : مشرفة . ومرباب : دائمة ثابتة .

(٥) الحلول : البيوت المجتمعة . وثواقب : مشرقة ، ومنه قوله تعالى : « النجم الثاقب » .

(٦) الخريدة : المرأة الناعمة . والكعاب : التى نهد ثديها فى أول ما ينهد .

(٧) ألبوا : جمعوا .

(٨) متخمطون : مختلطون . قال أبو ذر : « ويقال : المتخمط : الشديد الغضب المتكبر » . والحلبة جماعة الخيل التى تعد للسباق .

(٩) الأيد : القوة .

(١٠) المعصفة : الريح الشديدة .

مِن بعد ما قَنطوا ففرّق جمْعهم ... تَنْزِيلُ نَصْر مليكنا الوهَّاب
وأقرَّ عَـيْن محمَّدٍ وصِحابه ... وأذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتاب
عاتى الفُؤَادِ مَوَقَّعٍ ذى رِيبة ... فى الكُفْر ليس بطاهرِ الأثْوابِ[1]
عَلِق الشَّـقاءُ بقَلْبه فَفُؤادُه ... فى الكُفْر آخرُ هذه الأحقابِ

(شعر كعب) :

وأجابه كعْب بن مالك أيضا ، فقال :

أبقَى لنا حَدَثُ الحُرُوب بقيةً ... من خَـيْرِ نحْلة رَبِّنا الوَهَّابِ[2]
بَيْضَاءَ مُشْرِفة الذُّرى ومَعاطِنا ... حُمَّ الجُذوع غزِيرَة الأحْلاب[3]
كاللُّوب يُبْذَل جَمُّها وحَفِيلُها ... للْجارِ وابنِ العَـمِّ والمُنْتاب[4]
ونَزَائِعا مثل السَّراح نَمَى بها ... عَلَفُ الشَّعِير وجِزَّةُ المِقْضاب[5]
عَرِىَ الشَّوَى منها وأرْدَفَ نحضَها ... جُرْدُ المُتُـون وسائر الآراب[6]
قُودًا تَرَاح إلى الصِّياح إذ غَدَت ... فعل الضِّراء تَراح للكَلَّابِ[7]
وتَحوط سائمَـة الدِّيار وتارةً ... تُرْدِى العِدا وتَئُوبُ بالأسْلاب[8]

---

(١) عاتى الفؤاد : قاسيه . وموقع : ذوعيب ، وأصله من التوقيع فى ظهر الدابة ، وهو انسلاخ يكون فيه .

(٢) النحلة : العطاء .

(٣) الذرى : الأعالى . ويعنى بها : الآطام . ويعنى « بالمطاعن » : منابت النخل عند الماء ، تشبيها لها بمطاعن الإبل ، وهى مباركها حول الماء . وحم : سود . ويريد « بالجذوع » : أعناقها . والأحلاب : ما يحلب منها .

(٤) اللوب : جمع لوبة ، وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود . وجمها : ما اجتمع من لبنها . والمنتاب : القاصد الزائر .

(٥) النزائع : الخيل العربية التى حملت من أرضها إلى أرض أخرى . والسراح : الذئاب ، الواحد سرحان . وجزة المقضاب : أى ما يجز لها من النبات فتطعمه ، والمقضاب : من القضب ، وهو القطع .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . والشوى : القوائم . والنحض : اللحم . وجرد المتون : ملس الظهور . والآراب : جمع إرب ، وهو كل عضو مستقل بنفسه . وفى ا « وسار فى الآراب » .

(٧) قود : طوال ، الواحد : أقود وقوداء . وتراح : تنشط . والضراء : الكلاب الضارية فى الصيد والكلاب الصائد صاحب الكلاب ؛ الواحد : كالب .

(٨) السائمة : الماشية المرسلة فى المرعى إبلا كانت أو غيرها . وتردى : تهلك . وتئوب : ترجع.

حُوشُ الوُحوش مطارة عند الوَغَى ... عُبْس اللِّقاء مُبينة الإنجاب[١]

عُلِفت على دَعة فصارتْ بُدَّنا ... دُخْسَ البَضيع خَفيفةَ الأقْصَاب[٢]

يَغْدُونَ بالزَّغْف المُضاعف شَكَّة ... وبمُتْرَصات فى الثِّقاف صِياب[٣]

وصَوارم نَزَع الصَّياقِل غُلْبها ... وبكُلّ أرْوع ماجد الأنساب[٤]

يصِل اليمين بمارن مُتقارِب ... وُكِلَت وقيعتُه إلى خبَّاب[٥]

وأغَرّ أزْرق فى القَناة كأنَّه ... فى طُخْيَة الظَّلْماء ضوءُ شِهاب[٦]

وكَتيبة يَنْفِى القِرانَ قَتيرُها ... وتَرُدُّ حَدَّ قَواحِذ النُّشَّاب[٧]

جَأْوَى مُلَمْلَمة كأنَّ رماحها[٨] ... فى كُلّ مَجْمَعة ضَريمةُ غاب[٩]

يأوِى إلى ظِلّ اللِّواءِ كأنَّه ... فى صَعْدة الخَطِّىّ فَىْءُ عُقاب[١٠]

أعْيَتْ أبا كَرِب وأعْيَتْ تُبَّعا ... وأبَتْ بَسالَتُها على الأعراب[١١]

ومَواعظ من ربِّنا نُهْدَى بها ... بلسان أزْهَرَ طَيِّب الأثواب[١٢]

عُرِضتْ علَيْنا فاشْتَهيْنا ذِكْرَها ... من بعد ما عُرِضتْ على الأحْزاب

حِكَما يَراها المُجْرِمون بزَعْمهم ... حَرَجا ويَفْهمها ذَوو الألْباب[١٣]

---

(١) الحوش : النافرة . والمطارة : المستخفة . والوغى : الحرب . والإنجاب : الكرم و العتق .

(٢) البدن : السمان . ودخس : كثيرة اللحم . والبضيع : اللحم . والأقصاب : الأمعاء ، الواحد : قصب .

(٣) الزغف : الدروع اللينة : والمترصات . الشديدات وصياب : صائبة .

(٤) صوارم : سيوف قاطعة . وغلبها : خشونتها وما عليها من الصدأ . والأروع : الذى يروع بكماله وجماله . والماجد : الشريف .

(٥) المارن : الرمح اللين . ووقيعته : صنعته وتطريته وتحديده . وخباب : اسم قين .

(٦) يعنى بالأغر الأزرق : سنانا . والطخية : شدة السواد .

(٧) القران : تقارن النبل واجتماعه . والقتير : مسامير حلق الدرع . ويريد الدروع . وقواحذ النشاب : النبال التى تصيب الأفخاذ .

(٨) جأوى (الأصل فيه المد وقصر للضرورة) : يخالط سوادها حمرة . وململة : مجتمعة .

(٩) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والضريمة : اللهب المتوقد . وفى الأصول : « صريمة » بالصاد المهملة .

(١٠) الصعدة : القناة المستوية . والخطى : الرماح . والفىء : الظل .

(١١) أبو كرب وتبع : ملكان من ملوك اليمن . وبسالتها : شدتها .

(١٢) الأزهر : الأبيض .

(١٣) حرجا : حراما . والألباب : العقول .

جاءت سَخينة كى تُغالب ربَّها فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاّب[١]

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به ، قال : حدثنى عبد الملك بن يَحيى بن عبَّاد ابن عبد الله بن الزّبير ، قال : لما قال كَعْب بن مالك :

جاءت سَخينة كىْ تُغالِب ربَّها فَلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلاّب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كَعْب على قولك هذا.

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

مَن سَرّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بعضُه بعضًا كَمَعْمَعَة الأباء المُحْرَقِ[٢]

فَلْيأْتِ مَأْسدةً تُسَنّ سُيوفُها[٣] بين المَذاد[٤] وبين جزْع[٥] الخَنْدق

دَرِبوا بضَرْبِ المُعْلِمين وأسْلَموا مُهُجاتِ أنْفُسِهِمْ لِرَبّ المَشْرِق[٦]

فى عُصْبَة نَصَرَ الإلهُ نَبِيَّه بِهِمُ وكانَ بعَبْده ذا مَرْفِق[٧]

فى كلّ سابِغَة تَخُطُّ[٨] فضولُها كالنِّهْى هبَّتْ رِيحُه المُتَرَقْرِق[٩]

بَيْضاء مُحْكمة كأنّ قَتيرَها حَدَق الجَنادِب ذات شَكّ مُوثَق[١٠]

---

(١) سخينة : لقب قريش فى الجاهلية . وذكروا أن قصيا كان إذا ذبح ذبيحة أو نحر نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة - وهو لحم يطبخ ببر - فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة . وقيل : إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز . وهو الوبر والدم ، وتأكل قريش الخزيرة ، فنفست عليهم ذلك ، فلقبوهم سخينة . (راجع الروض) .

(٢) المعمعة : صوت التهاب النار وصريفها . والأباء : القصب ؛ ويقال . الأغصان الملتفة .

(٣) المأسدة : موضع الأسود ، ويعنى بها هنا موضع الحرب .

(٤) كذا فى ا . والمذاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق ؛ وقيل هو بين سلع وخندق المدينة . وفى سائر الأصول : « المزاد » وهو تحريف .

(٥) كذا فى ا . والجزع : الجانب . وفى سائر الأصول : « الجذع » وهو تحريف .

(٦) المعلمون الذين : يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها . والمهجات : الأنفس ؛ الواحدة : مهجة ولرب المشرق : يريد لرب المشرق والمغرب ، فحذفه للعلم به .

(٧) العصبة الجماعة : .

(٨) فى ا : « يحط » بالحاء المهملة .

(٩) السابغة : الدروع الكاملة . وتخط فضولها : ينجر على الأرض ما فضل منها . والنهى : الغدير من الماء . والمترقرق : الذى تصفقه الريح ، فيجىء ويذهب .

(١٠) القتير : مسامير الدروع . والجنادب : ذكور الجراد . والشك : إحكام السرد .

جَدْلاء يَحْفِزها نِجادُ مُهَنَّــد — صافى الحَديدة صارم ذى رَوْنق[١]
تِلْكم مع التَّقْوى تكون لِباسَنا — يوم الهِياج وكلَّ ساعةِ مَصْدَق
نَصِل السُّيوف إذا قَصُرن بخَطْونا — قُدُما ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَق
فَتَرى الجَماجِم ضاحيا هاماتُها — بَلْهَ الأكُفَّ كأنّها لم تُخْلَق[٢]
نَلْقَى العدوّ بفَخْمَة[٣] مَلْمومة — تَنْفِى الجُموع كقَصْد رأس المَشْرق[٤]
ونُعِــد للأعْداء كلَّ مُقَلَّص — وَرْدٍ ومَحْجولِ القوائم أبْلَق[٥]
تَرْدِى بفُرْسانٍ كأنّ كُماتَهم — عند الهِياج أُسود طَلّ مُلْثِق[٦]
صُدُقٍ يُعاطون الكُماةَ حُتُوفَهم — تحت العَماية بالوَشيج المُزْهِق[٧]
أمَرَ الإلهُ برَبْطها لعَــدُوّه — فى الحَرْب إنّ الله خَــيْرُ مُوَفِّق
لتَكُونَ غَيْظا للعَــدوّ وحُيَّطا — للدّارِ إنْ دَلَفَتْ خيُول النُّزَّق[٨]
ويُعينُنا اللهُ العَــزيزُ بقُوَّة — منه وصِدْق الصَّــبْر ساعةَ نَلْتَقى
ونُطيعُ أمرَ نَبيِّنا ونُجيبــه — وإذا دَعا لكَريهةٍ لم نُسْــبَق
ومتى يُنادِ إلى الشَّــدائدِ نَأْتِها — ومتى نَرَ الحَوْماتِ فيها نُعْنِق[٩]

---

(١) الجدلاء : الدرع المحكمة النسج . ويحفزها : يرفعها ويشمرها . والنجاد : حمائل السيف وصارم قاطع . والرونق : اللمعان .

(٢) الجماجم : الرءوس . وضاحيا : بارزا للشمس . وبله : اسم فعل بمعنى اترك ودع ، ويصح نصب « الأكف » به ، أو جره على أنه مصدر مضاف له .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . ويريد « بالفخمة » : الكتيبة . وفى سائر الأصول : « فحمة » بالحاء المهملة .

(٤) الململومة : المجتمعة ، والمشرق : جبل بين الصريف والعصيم من أرض ضبة (راجع معجم البلدان) .

(٥) المقلص ، الفرس الخفيف .

(٦) تردى : تسرع . والكماة : الشجعان . والطل : الضعيف من المطر . والملثق : ما يكون من الطل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجرأ فى ذلك الحين .

(٧) يريد بالعماية : سحابة الغبار وظلمته . و الوشيج : الرماح . والمزهق : المذهب للنفوس . وقد وردت هذه الكلمة بالراء المهملة .

(٨) حيط : جمع حائط ، وهو اسم الفاعل من حاط يحوط . ودلفت : قربت . والنزق : الناضبو السيئو الخلق ؛ الواحد : نازق .

(٩) الحومات : مواطن : القتال ؛ الواحدة : حومة . ونعنق : نسرع .

مَنْ يَتَّبِع قولَ النَّبيِّ فإنَّه فينا مُطاعُ الأمْر حقٌّ مُصَدَّق
فبذاك يَنْصرنا ويُظْهر عزَّنا ويُصيبنا من نَيْل ذاك بِمِرْفَق
إنَّ الذين يُكَذِّبون محمدًا كَفَروا وضَلُّوا عن سبيل المُتَّقِى

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

تِلكم مع التَّقْوَى تكون لِباسنا

وبيته :

من يتَّبع قول النبيِّ

أبو زيد . وأنشدنى :

تَنْفِى الجموعَ كرأس قُدْس المشرق[1]

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

لقَدْ علِمَ الأحزابُ حِينَ تألَّبوا علَيْنا ورامُوا دِيننا ما نُوادِعُ[2]
أضاميمُ من قَيْس بن عَيْلان أصْفقت وخِنْدِف لم يَدْرُوا بما هو واقعُ[3]
يَذُودوننا عن ديننا ونَذُودُهم عَنِ الكُفْر والرَّحمن راءٍ وسامعُ[4]
إذا غايَظونا فى مقامٍ أعانَنا على غَيْظِهم نَصْرٌ من الله واسعُ
وذلك حِفْظ الله فِينا وفَضْله علَيْنا ومن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائع
هدَانا لدين الحَقِّ واختاره لَنا ولله فوقَ الصَّانِعين صَنائع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

ألا أبْلِغْ قُرَيْشا أنَّ سَلْعا وما بين العُرَيْض إلى الصِّمادِ[5]

---

(1) أشار السهيلى إلى أن هذه الرواية أولى وقال : لأن قدس جبل معروف من ناحية المشرق .

(2) تألبوا : تجمعوا . ونوادع : نصالح ونهادن .

(3) أضاميم : جماعات انضم بعضها إلى بعض . ويروى : أصاميم . والأصاميم : الخالصون فى أنسابهم . وأصفقت : اجتمعت وتوافقت على الأمر .

(4) يذودوننا : يدفعوننا ويمنعوننا .

(5) سلع : جبل بسوق المدينة . والعريض : واد بالمدينة . قال أبو ذر : « ويحتمل أن يكون تصغير عرض ، واحد الأعراض ، وهى أودية خارج المدينة فيها النخل والشجر » . والصماد (بالفتح والكسر) ، جبل . قال أبو ذر : « ويمكن أن يكون جمع صمد ، وهو المرتفع من الأرض » .

نُواضحُ فى الحُروبِ مُدَرَّباتٌ   وخوصٌ ثُقِّبَتْ مِن عَهْدِ عادِ[١]

رَوَاكد يَزْخَرُ المُرَّار فيها   فَلَيْسَتْ بالجِمامِ ولا الثِّمادِ[٢]

كأنَّ الغابَ والبَرْدِيَّ فيها   أجَشُّ إذا تَبَقَّعَ للحَصادِ[٣]

ولم نَجعل تجارتَنا اشْتِراء الـ   ـحَمير لأرض دَوْسٍ أو مُرادِ[٤]

بلادٌ لم تُثَرْ إلا لكَيْما   نُجالِد إنْ نَشِطْتم للجِلادِ[٥]

أثَرْنا سِكَّةَ الأنْباطِ فيها   فلم تَر مثْلَها جَلَهاتِ وَادِ[٦]

قصَرْنا كُلَّ ذى حُضر وطُول   على الغايات مُقْتَدِر جوادِ[٧]

أجيبُونا إلى ما نَجْتَديكم   من القول المُبَيَّنِ والسَّدادِ[٨]

وإلا فاصبرُوا لجلاد يَوْمٍ   لكم مِنَّا إلى شَطْرِ المَذادِ[٩]

نُصَبِّحكم بكلِّ أخى حُروب   وكلِّ مُطَهَّمٍ[١٠] سَلِسِ القِيادِ

---

(١) يعنى بالنواضح : حدائق نخل تسقى بالنضح . والخوص : الآبار الضيقة . وثقبت : حفرت .

(٢) رواكد : ثابتة دائمة . ويزخر : يعلو ويرتفع . والمرار : نهر . قال أبو ذر : ومن رواه « المداد » يعنى الماء الذى يمدها . والجمام جمع جمة ، وهى البئر الكثيرة الماء . والثماد : الماء القليل . ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى ا : « رواكد تزجر المران الخ » .

(٣) الغاب : الشجر الملتف . والبردى : نبات ينبت فى البرك تصنع منه الحصر الغلاظ . وأجش : عالى الصوت . وتبقع : صارت فيه بقع صفر .

(٤) دوس ومراد : قبيلتان من اليمن .

(٥) لم تثر : لم تحرث .

(٦) السكة : النخل المصطف ؛ والأنباط : قوم من العجم . أى حرثناها وغرسناها كما تفعل الأنباط فى أمصارها لاتخاف عليها كيد كائد . وجلهات الوادى : ما استقبلك منه إذا نظرت إليه من الجانب الآخر ؛ الواحد : جلهة . وقال السهيلى : « جلهات الوادى : ما كشفت عنه السيول فأبرزته ، وهو من الجله ، وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس » .

(٧) الحضر : الجرى . ويريد « بذى الحضر » : الخيل . ويروى : « خطر » أى قدر .

(٨) نجديكم : نطلب . . .

(٩) الشطر : الناحية والقصد . والمذاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق ؛ وقيل هو بين سلع وخندق المدينة .

(١٠) كذا فى أكثر الأصول . والمطهم : الفرس التام الخلق . وفى ا : « مطهر » .

وكلَّ طِمِرَّةٍ خَفِقٍ حشاها تَدِفُّ دفيفَ[1] صَفْراء الجَرادِ[2]
وكلَّ مُقلِّص الآراب نَهْدٍ تميمِ الخَلْق من أُخُرٍ وهادى[3]
خيول لا تُضاعُ إذا أُضيعتْ خيولُ النَّاس فى السَّنة الجَماد[4]
يُنازِعْن الأعنَّة مُصْغِيات إذا نادَى إلى الفَزَع المُنادِى[5]
إذا قالَت لنا النُّذُر استعدُّوا تَوَكَّلْنا على رَبِّ العِباد
وقُلْنا لَنْ يُفَرِّج ما لَقِينا سوى ضَرْب القَوانس والجِهاد[6]
فلم تَر عُصْبةً فيمن لَقِينا مِنَ الأقوامِ مِنْ قارٍ وبادِى[7]
أشَدَّ بسالةً منَّا إذا ما أرَدْناه وألْيَنَ فى الوِداد[8]
إذا ما نحْنُ أشْرَجْنا عليها[9] جِياد الجُدْل[10] فى الأُرَبِ الشِّداد[11]
قَذَفْنا فى السَّوابِغ كلَّ صَقْرٍ كريمٍ غير مُعْتَلِثِ الزِّناد[12]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول ؛ ويقال: دف الطائر : إذا حرك جناحيه ليطير . وفى ا « تذف ذفيف » بالذال المعجمة .

(٢) صفراء الجراد : الخيفانة منها ، وهى التى ألقت سرأها ، أى بيضها ، وهى أخف طيرانا .

(٣) المقلص : المنشمر الشديد ، والآراب : قطع اللحم ؛ الواحدة : أربة (بضم الهمزة) . والنهد : الغليظ . والهادى : العنق . يريد أنه تام الخلق من مقدمه ومؤخره .

(٤) السنة الجماد : سنة القحط .

(٥) مصغيات : مستمعات .

(٦) القوانس : أعالى بيض الحديد .

(٧) القارى : من كان من أهل القرى . والبادى : من كان من أهل البادية .

(٨) البسالة : الشدة والشجاعة .

(٩) أشرجنا : ربطنا .

(١٠) الجدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع المحكمة النسج .

(١١) كذا فى أكثر الأصول . والأرب : جمع أربة ،وهى العقدة الشديدة . ويروى : الأزب بالزاء ، وهو الشديد الضيق . وفى ا : « الأدب » وهو تحريف .

(١٢) السوابغ : الدروع الكاملة . واعتلث الرجل زندا : أخذه من شجر لا يدرى أيورى أم لا يصفه بحسن الاستعداد للحرب .

أشَمّ [١] كأنه أســدٌ عَبُوس غَداةَ بَدا [٢] ببطْنِ الجزع غادى [٣]
يُغَشِّى هامَــة البَطل المُذَكّى صَبِىَّ السَّيْف مُسْتَرْخى النِّجاد [٤]
لنُظْهِر دينَكَ اللّهــمّ إنّا بكَفّكَ فاهْدِنا سُــبُل الرَّشاد

قال ابن هشام بيته :

قَصَرْنا كلّ ذى حُضْر وطَوْل

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشَمّ كأنّه أســدٌ عَبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارىّ .

(شعر مسافع فى بكاء عمرو) :

قال ابن إسحاق : وقال مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، يبكى عمرو بن عَبْد وُدّ ، ويذكر قَتْل علىّ بن أبى طالب إياه :

عمرُو بن عَبْدٍ كان أوّل فارس جزع المَذاد وكان فارسَ يَلْيَل [٥]
سَمْحُ الخَلائقِ ماجد ذو مرّةٍ يَبْغى القتال بِشِكةٍ لم يَنْكُل [٦]
ولقد علمتم حين وَلّوْا عنكمُ أن ابنَ عبدٍ فيهمُ لم يَعْجَل
حتى تَكَنّفه الكُماةُ وكلُّهم يَبْغى مَقاتله وليس بمُؤْتلى [٧]
ولقد تَكَنّفت الأســنّة فارسا بجنوب سَلْع غيرَ نكْس أمْيل [٨]
تَسَلُ النِّزالَ علىٌّ فارسَ غالبٍ بجنوبِ سَلْع ، لَيْته لم ينزل

(١) الأشم : العزيز ، وأصله من الشمم ، وهو ارتفاع قصبة الأنف .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وبدا : ظهر . وفى ا : « ندى » ، وندى الصوت : ارتفع . يريد إذا ارتفع صوت غاد طالب للغوث . ويروى : « يرى » .

(٣) الجزع : جانب الوادى وما انعطف منه .

(٤) المذكى : الذى بلغ الغاية فى القوة . وصبى السيف : وسطه . والنجاد : حمائل السيف .

(٥) جزع : قطع . والمذاد : موضع . (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦١ من هذا الجزء) ويليل : واد ببدر .

(٦) المرة : الشدة والقوة . والشكة : السلاح . ولم ينكل : لم يرجع من هيبة ولا خوف .

(٧) تكنفه : أحاط به : وليس بمؤتل : ليس بمقصر .

(٨) سلع : جبل بسوق المدينة . قال الأزهرى : موضع قرب المدينة (راجع معجم البلدان) . والنكس : الضعيف من الرجال . والأميل : الذى لا رمح معه ؛ وقيل : الذى لا ترس معه .

فاذهبْ علىّ فما ظفِرتَ بمثله فخرًا ولا لاقيتَ مثلَ المُعْضِل[1]
نفسي الفداءُ لفارسٍ من غالبٍ لاقَى حِمام الموْت لم يتحلْحَل[2]
أعنى الذى جزَع المذّاد بمُهْرِه طلبا لثأرٍ معاشر لم يخذُل

(شعر مسافع فى تأنيب الفرسان الذين كانوا مع عمرو) :

وقال مُسافع أيضًا يؤنّب فُرسان عَمْرو الذين كانوا معه ، فأجْلَوْا عنه وتركوه

عمرو بن عبْد والجيادُ يقودُها خيْلٌ تُقاد له وخيلٌ تُنْعَل[3]
أجْلَتْ فوارسُه وغادر رهْطُه رُكْنا عظيما كان فيها أوَّل[4]
عجَبا وإن أعْجَبْ فقد أبْصَرْته مهْما تسومُ علىّ عَمْرًا ينْزِل[5]
لا تبْعَدَنَّ فقد أُصِبْتُ بقتْله ولقِيتُ قبل الموت أمرًا يثْقُل
وهُبيرة المسْلوب ولى مُدْبِرًا عند القِتال مخافةً أن يُقْتَلُوا
وضرار كأن البأسُ منه مُحْضَرًا ولى كما ولّى اللئيمُ الأعْزَل[6]

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنْكرها له . وقوله : « عمرًا ينزل » عن غير ابن إسحاق .

(شعر هبيرة فى بكاء عمرو والاعتذار من فراره) :

قال ابن إسحاق : وقال هُبيرة بن أبي وَهْب يعتذر من فراره ، ويبكي عمرًا ، ويذكر قتل علىّ إياه :

لعَمْرِى ما ولَّيْتُ ظهْرِى محمدًا وأصحابه جُبْنا ولا خِيفةَ القتْلِ
ولكنَّنِى قلَّبت أمْرِى فلم أجِد لسيْفى غَناءً إن ضربتُ ولا نَبْلى
وقفْت فلمَّا لم أجِدْ لى مقْدَمًا صَدَدتُ كضِرغامٍ هِزَبْرٍ أبى شِبْل[7]

(١) المعضل : الأمر الشديد .
(٢) لم يتحلحل : لم يبرح مكانه .
(٣) تنعل : تلبس النعال من الحديد لتقوى .
(٤) أجلت : تفرقت وولت .
(٥) تسوم : تطلب وتكلف .
(٦) الأعزل : الذى لاسلاح معه .
(٧) الضرغام : الأسد . والهزبر : الشديد . والشبل : ولد الأسد .

تَنَى عِطْفَهَ عن قِرْنه حين لم يَجِد مَكَرًّا وقِدْماً كان ذلك من فِعَلى[1]
فلا تَبْعَدن يا عمرو حيًّا وهالكا وحُقّ لِحُسْن المدْح مثلُك من مثلى
ولا تَبْعَدَن يا عَمْرو حيًّا وهالكا فقد بِنْتَ محمود الثَّنا ماجد الأصْل[2]
فمَنْ لِطرَاد الخيْل تُقْدَع بالقَنا وللفَخْر يوما عند قَرْقَرة البُزْل[3]
هُنالك لو كان ابنُ عبد لزَارَها وفرَّجها حقًّا فتًى غيرُ ما وَغْل[4]
فعَنْك علىّ لاأرى مثلَ موقفٍ وقفْتَ على نَجْد المُقدَّم كالفَحْل[5]
فمَا ظَفِرَتْ كفَّاك فخرًا بمثله أمِنْت به ماعِشْت من زلَّة النَّعْل

(شعر آخر لهبيرة فى بكاء عمرو) :

وقال هُبيرة بن أبى وَهْب يبكى عمرو بن عَبْد ودّ ، ويذكر قَتْل علىّ إياه :

لقد علِمتْ عُلْيا لُؤَىّ بن غالب لفارسها عَمْرو إذا ناب نائبُ
لفارسها عَمْرو إذا ما يَسُومُه علىّ وإنّ اللَّيث لابدّ طالب[6]
عَشِيَّةَ يَدْعوه علىّ وإنَّه لفارسُها إذ خام عنه الكتائب[7]
فيا لهْف نفسى إنّ عمرًا تركتُه بيَثْرب لا زالت هُناك المصائب

(شعر حسان فى الفخر بقتل عمرو) :

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عَبْد وُدّ :

بَقِيَّتكم عَمْرو أبَحْناه بالقَنا بيَثْربَ نَحْمِى والحُماة قَليل
ونحن قَتَلْناكم بكلّ مُهنَّد ونحنُ وُلاة الحَرْب حين نَصُول
ونحن قَتَلْناكم ببَدْر فأصْبحت مَعاشِرُكم فى الهالكين تَجُول

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنكرها لحسَّان .

---

(١) العطف : الجانب . والقرن : الذى يقاومك فى شدة أو قتال .

(٢) الثنا : الذكر الطيب . ويروى : النثا .

(٣) تقدع : تكف. والقرقرة : من أصوات فحول الإبل . والبزل : الإبل القوية . وضربه مثلا للمفاخرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر .

(٤) الوغل : الفاسد من الرجال .

(٥) فعنك : اسم فعل بمعنى تباعد . والنجد : الشجاع .

(٦) يسومه : يكلفه .

(٧) خام : جبن ورجع .

قال ابن إسحاق: وقال حسَّان بن ثابت أيضا فى شأن عَمْرو بن عَبْد وُدّ:

أمْسَى الفتَى عمرو بن عَبْدٍ يَبْتَغِى بجنوب يَثْرِب ثأْرَه لم يُنْظَرِ[1]
فلقد وَجدتَ سُيوفَنا مشْهورةً ولقد وجدتَ جيادنا لم تُقْصَرِ[2]
ولقَدْ لَقيتَ غَداةَ بَدْرٍ عُصْبَةً ضَرَبوكَ ضَرْبا غيرَ ضرْب الحُسَّرِ[3]
أصْبَحت لا تُدْعَى ليوم عَظِيمةٍ يا عَمْرو أو لجسيمِ أمْرٍ مُنْكَرِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسَّان[4].

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

ألا أبْلِغْ أبا هِدْم رسولاً مُغَلْغَلة تَخُبُّ بها المَطِىّ[5]
أكنتُ وليَّكم فى كلّ كُرْهٍ وغيرى فى الرَّخاء هو الوَلِىّ
ومنكم شاهِد ولقد رآنى رُفِعْتُ له كما احْتُمِلَ الصَّبِىّ

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أُمية الدّيلى، ويروى فيها آخرها

كَبَبْتَ الخزرجىّ على يَدَيْه وكان شِفاءَ نفسى الخَزْرجىّ

وتُروى أيضًا لأبى أسامة الجُشمىّ.

(شعر حسان فى يوم بنى قريظة وبكاء ابن معاذ):

قال ابن إسحاق: وقال حسَّان بن ثابت فى يوم بنى قُرَيظة يَبْكى سعد بن مَعاذ ويذكر حُكمه فيهم:

لقد سَجَمت من دَمع عَيْنِى عَبرةٌ وحُقّ لعَيْنِى أن تفيض على سَعْد[6]
قَتِيل ثَوَى فى معرك فُجِعتْ بِهِ عيُونٌ ذوارِى الدَّمْع دائمةُ الوَجْد[7]

---

(١) لم ينظر: لم يمهل ولم يؤخر.

(٢) لم تقصر: لم تكف.

(٣) الحسر: جمع حاسر، وهو الذى لادرع له؛ ويروى. «الخشر» بالخاء والشين المعجمتين، وهم الضعفاء من الناس؛ كما يروى: «الحسر» بالخاء المعجمة والسين المهملة، وهو جمع خاسر.

(٤) وقد بحثنا عنها فى ديوان حسان فلم نجدها.

(٥) المغلغة: الرسالة تحمل من بلد إلى بلد. وتخب: تسرع.

(٦) سجمت: سالت.

(٧) ثوى: أقام. والمعرك: موضع القتال. وذوارى الدمع: تسكبه. والوجد: الحزن.

على مِلَّةِ الرَّحمن وارثَ جَنَّــةٍ ... مع الشهداء وَفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودَّعتنا وتركتنا ... وأمسَيْت فى غَــبراء مُظلمة اللَّحد[١]
فأنت الذى يا ســعد أُبْت بمَشهد ... كَريم وأثواب المكارم والحَمْد
بحُكْمك فى حَيَّى قُرَيظة بالّذى ... قَضَى الله فيهم ما قَضَيْت على عَمْد
فوافَق حُكمَ الله حُكمُك فيهمُ ... ولم تعفُ إذ ذُكِّرْت ما كان من عهد
فإن كان رَيْبُ الدهرِ أمْضاك فى الأُلى ... شَرَوْا هذه الدنْيا بجنَّاتها الخُلْــد
فنِعْم مَصــير الصَّادقين إذا دُعوا ... إلى الله يوما للوَجاهة والقَصْــد

(شعر حسان فى بكاء ابن معاذ وغيره) :

وقال حسَّان بن ثابت أيضا ، يبكى سعد بن مُعاذ ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء ، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير :

ألا يا لقومى هَلْ لِما حُمَّ دافِع ... وهل مامَضَى من صالح العيش راجع[٢]
تذكَّرت عَصْرًا قد مضَى فتهافتتْ ... بناتُ الحَشَى وانهلّ منى المَدامع[٣]
صَبابة[٤] وَجْدٍ ذكَّرَتْنِى أحبَّةً[٥] ... وقَتلى مضَى[٦] فيها طُفَيل[٧] ورافع
وسَعْدٌ فأضحوا فى الجِنان وأوْحشَتْ ... منازلهــم فالأرض منهم بلاقع[٨]
وفَوْا يوْمَ بَدْرٍ للرَّسُولِ وفوْقَهم ... ظلالُ المَنايا والسُّــيوف اللوامع
دَعا فأجابوه بحــقّ وكلُّهم ... مُطيــع له فى كلّ أمْرٍ وسامِع
فمَا نَكَلُوا[٩] حتى تَوَلَّوْا جماعــةً ... ولا يَقْطَع الآجال إلا المَصارع[١٠]

---

(١) يريد « بالغبراء » : القبر . واللحد : ما يشق للميت فى جانب القبر .

(٢) حم : قدر (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٣) تهافتت : سقطت بسرعة . وبنات الحشى : القلب وما اتصل به . وانهل : سال وانصب .

(٤) الصبابة : رقة الشوق .

(٥) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « أخوة » .

(٦) فى الديوان : « مضوا » .

(٧) فى الديوان «نفيع » . ولم يسبق له ذكر .

(٨) بلاقع : قفار خالية .

(٩) فى الديوان : « فما بدلوا حتى توافوا جماعة » .

(١٠) نكلوا : رجعوا هائبين . والمصارع : أى مصارع القتل .

لأنهم يرجون منه شفاعةً إذا لم يكنْ إلا النَّبِيُّون شافع
فذلك يا خيرَ العباد بلاؤُنا[1] إجابتُنا لله والموْت ناقع[2]
لنا القَدم الأولى إليك وخلْفُنا[3] لأوّلنا فى مِلَّة[4] الله تابعُ
ونعْلم أنَّ المُلْكَ لله وَحْدَه وأنّ قضاء الله لابدّ واقع

(شعر لحسان فى يوم بنى قريظة) :

وقال حسَّان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قُرَيظة[5] :

لقدْ لقِيَتْ قُرَيْظة ما سآها[6] وما وَجَدتْ لِذُلّ منْ نَصير
أصابَهُم بَلاءٌ كان فيه سوى ما قد أصاب بنى النَّضير
غَداةَ أتاهُمُ يَهْوِى إليهم رسولُ الله كالقمَر المُنير
له خيْلٌ مُجَنَّبة تَعادَى[7] بفُرْسان عليها كالصُّقُور
تركْناهم وما ظَفِروا بشَىْء دِماؤُهُمُ عليهمْ كالغَدير[8]
فهم صَرْعى تَحُوم[9] الطيرُ فيهم كذاك يُدان[10] ذوالعَنَد الفَجور[11]
فأنْذِرْ مثلَها نُصْحا قُرَيْشا من الرحمن إن قَبِلَت نَذيرى[12]

وقال حسَّان بن ثابت فى بنى قُرَيظة :

لقد لقِيَتْ قُرَيظةُ ما سآها وحلّ بحِصْنها ذُلّ ذَليل

---

(١) فى الديوان : « ومشهدنا فى الله » .
(٢) بلاؤنا : اختبارنا . وناقع : ثابت .
(٣) القدم الأولى : أى السبق إلى الإسلام . وخلفنا : أى آخرنا .
(٤) فى الديوان « فى طاعة » .
(٥) هذه العبارة : « فى يوم بنى قريظة » . ساقطة فى ا .
(٦) ما سآها : يريد ماساءها ، فقلب . والعرب تفعل ذلك فى بعض الأفعال ؛ يقولون : رأى ، وراء ، بمعنى واحد على جهة القلب .
(٧) الخيل المجنبة ؛ هى التى تقاد ولا تركب . وتعادى : تجرى وتسرع .
(٨) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : العبير ، وهو الزعفران .
(٩) تحوم : تجتمع حولهم محلقة .
(١٠) كذا فى أكثر الأصول . ويدان : يجزى . وفى ا : « يدين » .
(١١) كذا فى أكثر الأصول . والعند : الخروج عن الحق . وفى ا : « كذلك دين ذى العند الفخور » .
(١٢) النذير : الإنذار .

وسَعْد كان أنذَرهم بنُصْح بأنّ إلهكم ربٌّ جَليل
فما برِحُوا بنَقْض العَهْد حتى فَلاهم في بلادهمُ الرَّسول[1]
أحاطَ بحِصْنهم مِنَّا صُفُوف له من حَرّ وَقْعتهم صَليل[2]

وقال حسَّان بن ثابت أيضا في يوم بني قُريظة :

تَفاقد مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشا وليس لهم ببَلْدَتهم نَصير[3]
هُم أُوتوا الكِتاب فَضيَّعوه وهم عُمْي مِن التَّوْراة بُور[4]
كَفَرْتم بالقُرْان وقد أتيتم بتَصْديق الذى قال النَّذير
فهان على سَراة بَني لُؤَيّ حَريقٌ بالبُوَيرة مُسْتطير[5]

(شعر أبي سفيان في الرد على حسان) :

فأجابه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك مِنْ صَنيع وحَرّق في طَرائقها السَّعير[6]
ستَعْلم أيُّنا منها بِنُزْهٍ[7] وتعلم أيُّ أرضينا تَضير[8]
فلو كان النَّخيل بها رِكابا لقالوا لا مُقام لكم فسيروا

(شعر ابن جوال في الرد على حسان) :

وأجابه جَبَل بن جَوَّال الثَّعلبي أيضا ، وبكى النَّضير وقُريظة ، فقال :

ألا يا سَعْدُ سَعْدَ بني مُعاذ لما لقِيَتْ قُريظة والنَّضيرُ
لعَمْرك إنّ سَعْد بني مُعاذ غَداة تَحَمَّلوا لهو الصَّبُور
فأما الخَزْرَجيّ أبُو حُباب فقالَ لقَيْنُقاع لا تَسيرُوا

---

(١) فلاهم : قتلهم بالسيوف .
(٢) الصليل : الصوت .
(٣) تفاقد معشر : فقد بعضهم بعضا ، وهو دعاء عليهم . وفي ا : « تعاهد » .
(٤) بور : ضلال ، أو هلكى
(٥) سراة القوم : خيارهم ؛ والبويرة : موضع بني قريظة .
(٦) الطرائق : النواحي . والسعير : النار الملتهبة .
(٧) النزه : البعد .
(٨) كذا في أكثر الأصول . وتضير : تضر . وفي ا « تصير » أي تشق وتقطع .

وبُدِّلت المَوَالى مِنْ حُضَير ... أُسَيْدًا والدَّوائرُ قَد تدُور[١]
وأقْفَرَتِ البُوَيْرة من سَلام ... وسَعْية وابن أخْطب فهى بُور
وقد كانوا ببَلْدتهم ثِقالا ... كما ثَقُلت بمَيْطان الصُّخور[٢]
فان يَهْلِك أبو حَكَم سَلام ... فلا رَثُّ السِّلاح ولا دَثُور[٣]
وكلّ الكاهنَيْن وكان فيهم ... مع اللِّين الخَضارمة الصُّقُور[٤]
وجَدْنا المَجْد قد ثَبتُوا عليه ... بمَجْد لا تُغَيِّبه البُدور[٥]
أقيموا يا سراةَ الأوْس فيها ... كأنّكم من المَخْزاة عُور[٦]
تركتم قدْركم لا شىءَ فيها ... وقدْر القَوْم حاميةٌ تَفُور

مقتل سلام بن أبى الحقيق

(استئذان الخزرج الرسول فى قتل ابن أبى الحقيق) :

قال ابن إسحاق[٧] : ولمّا انقضى شأن الخندق ، وأمْر بنى قُريظة ، وكان سلاّم بن أبى الحُقَيق ، وهو أبو رافع فيمن حزّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أُحُد قد قَتَلت كعب بن الأشرف ، فى عَداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى قَتْل سلام بن أبى الحُقَيق ، وهو بخيبر ، فأذِن لهم .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين

---

(١) الموالى ، الحلفاء . وحضير وأسيد : قبيلتان .
(٢) ميطان : جبل من جبال المدينة مقابل الشوران ، به بئر ماء . (راجع معجم البلدان) .
(٣) الرث : الخلق . والدثور : الدارس المتغير .
(٤) الكاهنان : حيان . والخضارمة : الأجواد الكرماء ؛ الواحد : خضرم .
(٥) البدور : الشهور والدهور .
(٦) عور : جمع أعور .
(٧) هذه العبارة ساقطة فى ا .

الحيين من الأنصار ، والأوس والخزرج ، كانا يتصاولان [١] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تَصاول الفَحْلين ، لاتصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَنَاء [٢] إلا قالت الخزرج : والله لاتذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الإسلام . قال : فلاينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لاتذهبون بها فضلا علينا أبدًا ؛ قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحُقَيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله ، فأذن لهم .

(النفر الذين خرجوا لقتل ابن أبى الحقيق وقصتهم) :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سَلِمة خمسة نفر : عبد الله بن عَتِيك ، ومسعود ابن سِنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، وخزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمَّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عَتِيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدًا أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خَيْبر ، أتَوْا دار ابن أبى الحُقَيق ليْلا ، فلم يَدعوا بيتا فى الدار إلا أغْلقوه على أهْله . قال : وكان فى عِلِّية له إليها عجلة [٣] قال : فأسندوا فيها [٤] ، حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجتْ إليهم [٥] امرأته ، فقالت : من أنتم؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس المِيرَة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ؛ قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوّفا أن تكون دونه مجاولة [٦] تحول بيننا وبينه ، قالت :

---

(١) يتصاولان : يتفاخران ، إذا فعل أحدهما شيئا فعل الآخر مثله .

(٢) غناء : منفعة .

(٣) العجلة : جذع النخلة ينقر فى موضع منه ويجعل كالسلم فيصعد عليه إلى العلالى والغرف .

(٤) أسندوا فيها : علوا .

(٥) فى م ، ر : « إليها » وهو تحريف .

(٦) المجاولة : حركة تكون بينهم وبينه .

فصاحت امرأته ، فنوّهت بنا [١] وابتَدَرْناه ، وهو على فراشه بأسْيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سَواد اللَّيل [٢] إلا بياضُه كأنه قُبطيَّة [٣] مُلقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منّا يرفع عليها سيفَه ، ثم يذكر نَهْيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفّ يدَه ، ولولا ذلك لفرغنا منها بلَيْل . قال : فلما ضربناه بأسْيافنا تحامَل عليه عبدُ الله بن أنيس بسَيْفه فى بَطْنه حتى أنفذَه ، وهو يقول : قَطْنى قَطْنِى : أى حَسْبى حَسْبى . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عَتيك رجلا سيِّئ البصر ، قال : فوقع من الدَّرجة فوثِئتْ [٤] يده وَثْئًا شديدا – ويقال : رجله ، فيما قال ابن هشام – وحملناه حتى نأتى به مَنْهَرًا [٥] من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدّوا فى كلّ وجه يَطْلبوننا ، قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يَقْضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دَخل فى الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المِصْباح تنظر فى وجهه ، وتحدّثهم وتقول : أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عَتيك ، ثم أكذبتُ نفسى وقلت : أنّى ابن عَتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ [٦] وإله يهود ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت ألذّ إلى نفسى منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلُّنا يدّعيه . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هاتُوا أسيافكم ؛ قال : فجئْناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتَله ، أرى فيه أثر الطعام .

---

(١) نوهت بنا : رفعت صوتها تشهر بنا . ويروى : فوهت .

(٢) فى ا : « البيت » .

(٣) القبطية (بضم القاف وكسرها) : ضرب من الثياب البيض تصنع بمصر .

(٤) وثئت : أصاب عظمها شىء ليس بكسر ؛ وقيل : هو أن يصاب اللحم دون العظم .

(٥) المنهر : مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله .

(٦) فاظ : مات .

(شعر حسان في قتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق) :

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قَتْل كَعْب بن الأشرف ، وقتل سلاّم بن أبي الحُقَيق :

لله دَرّ عِصابَة لاقيتَهم يابنَ الحُقَيق وأنت يابن الأشْرف[1]
يَسْرون بالبِيض الخِفاف إليكمُ مَرَحا كأُسْدٍ في عَرِينٍ مُغْرِف[2]
حتى أتَوْكم في محلّ بلادِكم فسَقَوْكُمُ حَتْفا ببِيض ذُفَّف[3]
مُسْتَبْصِرين[4] لنَصْر دين نَبيِّهم مُسْتَصغرين لكلّ أمْرٍ مُجْحِف[5]

قال ابن هشام : قوله : « ذُفَّف » ، عن غير ابن إسحاق .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

(ذهاب عمرو مع آخرين إلى النجاشي) :

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حَبِيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثّقفي ، قال : حدثني عمرو بن العاص مِنْ فِيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالا من قُرَيش ، كانوا يرون رأيي ، ويَسْمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون[6] والله أني أرى أمرَ محمد يعلو الأمور علوّا مُنْكرا ، وإني قد رأيت أمرًا ، فما ترَوْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نَلْحق بالنَّجاشي فنكون عنده ، فان ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشي ، فانا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَيْ محمد وإن ظهر قومُنا فنحن مَن قد عرَفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأيُ[7]

---

(١) العصابة : الجماعة .

(٢) البيض الرقاق : السيوف . ومرحا : نشاطا . والعرين : غابة الأسد . ومغرف : ملتف الأغصان .

(٣) ذفف : سريعة القتل .

(٤) كذا في ا وديوان حسان . وفي سائر الأصول : « مستنصرين » .

(٥) مجحف : يذهب بالأموال والأنفس .

(٦) في ا : « تعلموا » .

(٧) في ا : « لرأى » .

لت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم[1] .
نجمعنا له أدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قَدِمْنا عليه .

(سؤاله النجاشى فى قتل عمرو الضمرى ورده عليه) :

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرو بن أُميّة الضَّمْرى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جَعْفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أُميّة الضَّمْرى ، لو قد دخلتُ على النجاشى وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فاذا فعلت ذلك رأت قُريش أنى قد أجزأت عنها[2] حين قتلت رسولَ محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقى ، أهديتَ إلىّ من بلادك شيئا ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدما كثيراً ؛ قال : ثم قرّبته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إنى قد رأيتُ رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فانه قد أصابَ من أشرافنا وخيارنا ؛ قال : فغضب ، ثم مدّ يده فضَرب بها أنفَه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقّت لى الأرضُ لدخلت فيها فَرَقا منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظَنَنت أنك تكره هذا ما سألتكه ؛ قال : أتسألنى أن أُعطيك رسولَ رجل يأتيه النّاموسُ الأكبر الذى كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو؟ قال : ويحك ياعمرو أطِعنى واتّبعه ، فانه والله لعَلى الحقّ ، وليَظْهرَنّ على مَنْ خالَفَهُ ، كما ظهر موسى على فِرْعون وجُنوده ؛ قال : قلت : أفتُبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبَسط يَده ، فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابى إسلامى .

(اجتماع عمرو وخالد على الإسلام) :

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُسلم ، فلقيتُ خالدَ بن الوليد ، وذلك قُبيل الفتح ، وهو مُقْبل من مكة ؛ فقلت : أين يا أبا سُليمان ؟

(١) الأدم : الجلد .
(٢) أجزأت عنها : كفيتها .

قال : والله لقد استقام المَنْسِم[١] ، وإن الرجل لنبيّ ، أذهبُ والله فأُسلم ، فحتّى متّى ؛ قال : قلت : والله ما جئتُ إلا لأُسلم . قال : فقدِمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أبايعك على أن يُغْفَر لى ما تقدّم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو ، بايعْ ، فان الإسلام يَجُبُّ[٢] ما كان قبله ، وإن الهجرة تَجبُّ ما كان قبلها ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يَحُتّ[٣] ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحُتّ ما كان قبلها .

(إسلام ابن طلحة) :

قال ابن إسحاق ، وحدثنى من لا أتّهم : أن عثمان بن طلحة بن أبى طلْحة ، كان معهما ، حين أسْلما .

(شعر السهمى فى إسلام ابن طلحة وخالد) :

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزِّبَعْرَى السَّهْمى :

أَنْشُدُ عُثمانَ بن طَلْحَةَ حِلْفَنا[٤] ... ومُلْقَى نِعالِ القَوْم عند المُقَبَّلِ[٥]

وما عَقَد الآباء مِنْ كُلِّ حِلْفِه ... وما خالِدٌ مِنْ مِثْلِها بمُحَلَّلِ

أَمِفتاحَ بيتٍ غيرِ بيتِك تَبْتَغِى ... وما يُبْتَغَى من مَجْدِ بيتٍ مُؤَثَّلِ[٦]

فَلا تأمَنَنَّ خالِدًا بعْــدَ هذه ... وعُثمانُ جاء بالدُّهَــيْمِ المُعَضَّــلِ[٧]

---

(١) كذا فى شرح السيرة . وفى الأصول : « الميسم » . قال أبو ذر : « ومعناه : تبين الطريق ووضح . وأصل المنسم : خف البعير ، ومن رواه الميسم ، فهو الحديدة التى توسم بها الإبل وغيرها والمنسم (بالنون) هو الصواب » .

(٢) يجب : يقطع .

(٣) يحت : يسقط .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خلفنا » .

(٥) يريد « بالمقبل » : موضع تقبيل الحجر الأسود .

(٦) المؤثل : القديم .

(٧) الدهيم : من أسماء الداهية . والمعضل : الشديد .

وكان فَتح بنى قُريظة فى ذى القَعدة وصَدْر ذى الحجَّة ، وولى تلك الحجَّة المُشركون [١] .

غزوة بنى لحيان

(خروج الرسول إلى بنى لحيان) :

قال ابن إسحاق [٢] : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجَّة والمحرّم وصفرًا وشهرَىْ ربيع ، وخرج فى جُمادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فَتْح قُريظة ، إلى بنى لحْيانَ يَطلب بأصحاب الرَّجيع : خُبيب بن عدىّ وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشامَ ، ليُصيب من القوْم غِرَّة [٣] .

(استعماله ابن أم مكتوم على المدينة) :

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستَعْمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، فيما قال ابنُ هشام .

(طريقه إليهم ثم رجوعه عنهم) :

قال ابن إسحاق : فسلك على غُراب : جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَحيص [٤] ، ثم على البَتْراء ، ثم صَفَّق [٥] ذاتَ اليَسار ، فخرج على بِيْن [٦] ، ثم على صُخَيْرات اليَمام [٧] ، ثم استقام به الطريقُ على المحجَّة من طريق مكة ، فأغذَّ [٨] السير

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الرابع عشر من أجزاء السيرة .

(٢) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال حدثنا زياد بن عبد البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال » .

(٣) الغرة : الغفلة .

(٤) كذا فى شرح المواهب ومعجم البلدان . وفى الأصول : « مخيض » وهو تصحيف .

(٥) صفق : عدل .

(٦) بين (بالكسر) كما ضبطه ياقوت فى معجمه ، وبالفتح أو التحريك ، كما ضبطه الزرقانى نقلا عن غيره : واد قرب المدينة .

(٧) صخيرات اليمام : منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر . وهو بين السيالة وقريش . وقد ذكر فى معجم البلدان « صخيرات الثمام » بالثاء ، وأشير فيه إلى هذه الرواية . وذكر الزرقانى بالثاء ولم يشر إلى الرواية الثانية » وفى رواية بشرح القاموس : « صخيرات »

(٨) أغذ : أسرع .

سريعا ، حتى نزل على غُرَان ، وهى منازل بنى لِحْيان ، وغرَان وادٍ بين أمَج وعُسْفان ، إلى بلد يقال له : سايَة ، فوجدهم قد حَذِروا وتمنَّعوا فى رءوس الجبال . فلما نزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأخْطأه من غِرّتهم ما أراد ، قال : لو أنا هَبَطنا عُسفان لرأى أهلُ مكَّة أنَّا قد جئنا مكة ، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ، ثم بعث فارسَيْن من أصحابه حتى بلَغا كُراع الغَميم [١] ، ثم كرّ وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا [٢] .

(مقالة الرسول فى رجوعه) :

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا : آيبون تائبون إن شاء الله لربّنا حامدون ، أعوذ بالله مِنْ وَعْثاء [٣] السَّفر ، وكآبة [٤] المُنْقَلب ، وسوء المنْظر فى الأهل والمال .

(شعر كعب فى غزوة بنى لحيان) :

والحديث فى غَزْوة بنى لِحْيان ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك فى غَزْوة بنى لِحْيان :

لو انَّ بنى لِحْيانَ كانُوا تَناظَرُوا ... لَقُوا عُصَبًا فى دارِهم ذاتَ مَصْدَقِ [٥]

لقُوا سَرَعانا يَمْــلأُ السَّرْب رَوْعُه ... أمامَ طَحُون كالمجرَّةِ فَيْلَقِ [٦]

---

(١) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال . (عن معجم البلدان) .

(٢) وذكر ابن سعد أنه حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عسفان بعث أبابكر مع عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم ، فأتوا كراع الغميم ولم يلقوا كيدا . قال الزرقانى : « ويمكن الجمع بأنه بعثهما ثم بعث أبابكر فى العشرة ، أو عكسه » .

(٣) وعثاء السفر : مشقته وشدته .

(٤) الكآبة : الحزن .

(٥) تناظروا : انتظروا . والعصب : الجماعات .

(٦) السرعان : أول القوم . والسرب (بفتح السين) : الطريق . والسرب (بكسر السين) : النفس وكلا المعنيين محتمل . والروع : الفزع . والطحون : الكتيبة تطحن كل ما تمر به . والمجرة : نجوم كثيرة يختلط ضوءها فى السماء ، والفيلق : الكتيبة الشديدة .

ولكنّهم كانُوا وِبارًا تتَبّعتْ   شِعاب حِجاز غــير ذى مُتَنَفَّق[١]

غزوة ذى قرد

(غارة ابن حصن على لقاح الرسول) :

ثم قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يُقِم بها إلا ليالى قلائلَ ، حتى أغار عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر الفَزارى[٢] ، فى خَيْل من غَطفان على لقاحٍ[٣] لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابَة[٤] ، وفيها رجلٌ من بنى غِفار[٥] وامرأة له ، فقَتلوا الرجلَ ، واحتملوا المرأة فى اللِّقاح .

(بلاء ابن الأكوع فى هذه الغزوة) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومَنْ لا أَتّهم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، كلٌ قد حدّث فى غزوة ذى قَرَد[٦] بعض الحديث[٧] : أنه كان أوّل من نَذَرَ[٨] بِهم سَلَمة بن عمرو بن الأكْوع الأسْلمىّ ، غدا يريد الغابة متوشِّحا قَوْسه ونَبْله ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله معه فَرَس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّة الوَداع نظرَ إلى بعض خُيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يَشْتَدّ فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لَحق بالقوْم ، فجعَل يَردُّهم بالنَّبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا

---

(١) الوبار : جمع وبر ، وهى دويبة على قدر الهرة ، تشبه بها العرب الضعيف . والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض من الأرض . والحجاز : أرض مكة وما يليها . ويروى : « حجان » بالنون ، أى معوجة ؛ كما روى : « حجار » وهو جمع حجر . وغير ذى متنفق : أى ليس له باب يخرج منه . وأصله من النافقاء ، وهو أحد أبواب حجرة اليربوع .

(٢) وقيل إن الذى أغار هو عبد الرحمن بن عيينة .

(٣) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

(٤) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة (راجع معجم البلدان)

(٥) هذا الرجل الغفارى هو ابن أبى ذر ، كما صرح بذلك ابن سعد . واسم امرأته ليلى .

(٦) ذو قرد : ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان ؛ وقيل على مسافة يوم منها .

(٧) بين رجال السير خلاف فى وقت هذه الغزوة عرض له الزرقانى فى شرح المواهب ، فى شىء من التفصيل .

(٨) نذر : علم .

ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضَّع [١] ، فاذا وُجِّهت الخيلُ نحوه انطلق هاربا ، ثم عارضهم ، فاذا أمكنه الرَّمْى رمى ، ثم قال : خذْها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضَّع ، قال : فيقول قائلهم : أُوَيْكعنا هو أوّل النهار .

(صراخ الرسول وتسابق الفرسان إليه) :

قال : وبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صِياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفزَع الفزَع ، فترامت الخيولُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أوّل من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفُرسان : المِقْداد ابن عمرو ، وهو الذى يُقال له : المِقْداد بن الأسْود ، حليف بنى زُهرة ؛ ثم كان أوّلَ فارس وقَف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المِقْداد من الأنصار ، عبَّاد بن بشر بن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء ، أحد بنى عَبْدِ الأشْهل ؛ وسَعْد ابن زيد ، أحد بنى كَعْب بن عبد الأشهل ؛ وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، أخو بنى حارثة ابن الحارث ، يُشكّ فيه ؛ وعُكّاشة بن مِحْصَن ، أخو بنى أسَد بن خُزيمة ؛ ومُحْرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزيمة ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبْعِىّ ، أخو بنى سَلِمة ؛ وأبو عيَّاش ، وهو عُبيد بن زيد بن الصَّامت ، أخو بنى زُرَيق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّرَ عليهم سعدَ بن زَيْد ، فيما بلَغنى ، ثم قال : اخرُج فى طَلَب القوم ، حتى ألْحقك فى الناس .

(الرسول ونصيحته لأبى عياش بترك فرسه) :

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيق ، لأبى عيَّاش : يا أبا عياش ، لو أعْطيت هذا الفرس رجلا ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربتُ الفرس ، فوالله ما جرَى بى خمسين ذراعا حتى طرَحنى ، فعَجِبت أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيتَه أفرسَ منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس ؟ فزعم رجالٌ من بنى زُرَيق أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطَى فرس أبى عيَّاش مُعاذ بن ماعص ، أو عائذَ بن ماعص بن قَيس بن خَلَدة ، وكان ثامنا ، وبعض

---

(١) الرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم : والمعنى : اليوم يوم هلاك اللئام .

الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أُسيدَ بن ظُهير ، أخا بنى حارثة ، والله أعلم أىّ ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كان أوّل من لحق بالقوم على رِجْليه . فخرج الفرسانُ فى طلب القوم حتّى تلاحقوا .

(سبق محرز إلى القوم ومقتله) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنّ أوّل فارس لحق بالقوم مُحْرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزَيْمة — وكان يُقال لمحرز : الأخرَم [1] ؛ ويقال له قُمَيْر [2] — وأن الفزع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مَسْلمة فى الحائط ، حين سمِع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صَنِيعا [3] جامًّا ، فقال نساءٌ من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرسَ يجول فى الحائط بجِذْع نخل هو مَرْبوط فيه : يا قُمَيْر ، هل لك فى أن تركب هذا الفَرَس ؟ فانه كما ترى ، ثم تلْحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينَه إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذّ الخيل بجَمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قِفُوا يا معشر بنى اللَّكيعة [4] حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أدْباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجلٌ منهم فقتَله ، وجال الفرس ، فلم يَقْدر عليه حتى وقف على آرِيِّه [5] من بنى عَبْد الأشهل ، فلم يُقتل من المسلمين غيره .

(رأى ابن هشام فيمن قتل مع محرز) :

قال ابن هشام : وقُتل يومئذ من المسلمين مع مُحرز ، وقّاص بن مُجزِّز [6] المُدْلجىّ ، فيما ذَكر غير واحد من أهل العلم .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب . وفى ا : « الأخزم » .

(٢) فى الاستيعاب : « فهيرة » .

(٣) الفرس الصنيع : الذى يخدمه أهله ويقومون عليه .

(٤) اللكيعة : اللئيمة .

(٥) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريا أيضا .

(٦) كذا فى ا والاستيعاب والمشتبه والقاموس . وفى سائر الأصول هنا وفيما سيأتى « محرز » وهو تصحيف .

(أسماء أفراس المسلمين) :

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمّة .

قال ابن هشام : وكان اسم فرس سَعْد بن زيد : لاحِق ؛ واسم فرس المِقْدَاد بَعْزَجة[1] ؛ ويقال : سبحة[2] ، واسم فرس عُكاشة بن مِحْصن : ذو اللِّمة ؛ واسم فرس أبى قَتادة : حَزْوة[3] ؛ وفرس عَبَّاد بن بِشْر : لَمَّاع ، وفرس أُسَيد بن ظُهير : مَسْنُون ؛ وفرس أبى عيَّاش : جُلْوة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ من لا أتّهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك : أنّ مُجَزّزًا إنما كان على فَرَس لعُكاشة بن مِحْصن ، يقال له : الجَناح ، فقُتل مُجزّز واستُلبت الجَناح .

(القتلى من المشركين) :

ولما تلاحقت الخيل قَتَل أبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، أخو بنى سَلِمة ، حبيب ابن عُيينة بن حِصْن ، وغشَّاه بُرْده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين :

(استعمال ابن أم مكتوم على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أمّ مَكْتوم .

قال ابن إسحاق : فاذا حَبيب مُسَجًّى[4] ببرد أبى قَتادة ، فاسترْجع[5] الناس وقالوا : قُتل أبو قَتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قَتادة ، ولكنه قَتيل لأبى قَتادة ، وضَع عليه بُرْدَه ، لتَعْرِفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشة بنُ مِحْصن أَوْبارًا[6] وابنه عَمْرو بن أَوْبار ، وهما على بَعير

---

(١) قال السهيلى : « البعزجة » : شدة جرى فى مغالبة ، كأنه منحوت من « بعج » إذا شق ، و « عز » أى غلب .

(٢) قال السهيلى : « وأما سبحة فمن سبح ، إذا علا علوا فى اتساع ؛ ومنه : سبحان الله » .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . قال السهيلى : « وحزوة : من حزوت الطير ، إذا زجرتها ؛ أو حزوت الشىء ، إذا أظهرته » . وفى ا : « حزورة » .

(٤) مسجى : مغطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) فى الطبقات : « أثار » بضم الهمزة .

واحد ، فانتظمها بالرمح ، فقتلهما جميعا ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوما وليلة ؛ وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحتنى فى مئة رجل لاستنقذتُ بقيّة السَّرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : إنهم الآن ليُغبَقُون [1] فى غطفان .

(تقسيم الفىء بين المسلمين) :

فقسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مئة رجل جزُورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدِم المدينة .

(امرأة الغفارى وما نذرت مع الرسول) :

وأقبلت امرأة الغفاريّ [2] على ناقة [3] من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبرَ ، فلما فرغت ، قالت : يارسول الله ، إنى قد نذرت لله أن أنحرها إنْ نجّانى الله عليها ؛ قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس ما جزَيْتِها أن حملك اللهُ عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها ! إنّه لانذْر فى معْصية الله ولا فيما لا تمْلكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفاريّ وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبى الزبير المكّيّ ، عن الحسن بن أبى الحسن البَصْريّ :

(شعر حسان فى ذى قرد) :

وكان مما قيل من الشِّعر فى يوم ذى قَرَد قولُ حسّان بن ثابت :

أولا الذى لاقتْ ومَسّ نُسُورها بجنوب سايةَ أمسِ فى التّقْوَاد [4]

---

(١) يغبقون : يسقون اللبن بالعشى .

(٢) هى ليلى امرأة ابن أبى ذر ، وقد تقدم ذكرها .

(٣) اسم هذه الناقة : العضباء . (راجع شرح المواهب) .

(٤) أضمر ذكر الخيل ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لأن الكلام يدل عليها . والنسور : مايكون فى باطن حافر الدابة ، مثل الحصى والنوى . وساية : موضع ، وقد تقدم شرحه .

كَلَقِينكم يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ   حامِى الحَقيقة ماجِدِ الأجْدادِ[١]

ولَسَرَّ أوْلادَ اللَّقِيطة أنَّنا   سِلْمٌ غَدَاةَ فَوارِسِ المِقْدادِ[٢]

كُنَّا ثَمانِيَةً وكانُوا جَحْفَلاً   لِجَبا فشُكُّوا بالرِّماح بَدَادِ[٣]

كُنَّا مِن القَوْم الذين يَلُونَهم   ويُقَدِّمون عِنانَ كُلَّ جَواد

كلا وربَّ الرَّاقصات إلى مِنًى   يَقْطَعْنَ عَرْضَ مَخارِمِ الأطْوَادِ[٤]

حتى نُبيل[٥] الخَيل فى عَرَصاتكم   ونَؤُوب بالمَلَكات والأوْلادِ[٦]

رَهْــوًا بكُلِّ مُقَلَّصٍ وطِمِرَّةٍ   فى كلِّ مُعْتَرك عَطَفْنَ ووادى[٦]

أفْنَى دوابرَها ولاحَ مُتُونَها   يومٌ تُقاد به ويَوْمُ طِرَادِ[٨]

فكَذاك إنَّ جيادَنا مَلْبُــونةٌ   والحربُ مُشْعَلَة بريح غَوادِ[٩]

وسُيوفنا بيضٌ الحَدائد تَجْتلى   جُــنَنَ الحَديد وهامَةَ المُرْتادِ[١٠]

أخَــذَ الإلهُ عليهمُ لحَــرامه   ولعِــزَّة الرحمن بالأسْــدادِ[١١]

كانُوا بدارٍ ناعِمِــين فبُدِّلُوا   أيَّامَ ذى قَرَد وُجُوهَ عِبادِ[١٢]

---

(١) المدجج (بفتح الجيم وكسرها) : الكامل السلاح . والماجد : الشريف .

(٢) أولاد اللقيطة : الملتقطون الذين لايعرف أباؤهم . والسلم (بفتح السين وكسرها) : الصلح .

(٣) الجحفل : الجيش الكثير . واللجب : الكثير الأصوات ، ولا يكون إلا عن كثرة عدده ، وشكوا : طعنوا . وبداد : من التبدد ، وهو التفرق .

(٤) الراقصات : الإبل ؛ والرقص : ضرب من مشيها . والأطواد ؛ : الجبال المرتفعة . والمخارم : الطرق بين الجبال .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . ونبيل : نجعلها تبول . وفى ا : « ننيل» .

(٦) العرصات : جمع عرصة ، وهى وسط الدار . ونؤوب : نرجع : والملكات : النساء يسبين فى الحرب .

(٧) الرهوب : المشى فى سكون . ومقلص : مشمر . وطمرة ، فرس وثابة سريعة . والمعترك : موضع الحرب . ورواد ، قال أبوذر : من رواه بفتح الراء فعناه : سريعات ، من ردى الفرس يردى ، إذا أسرع ؛ ومن رواه بكسر الراء ، فهو من المشى الرويد ، وهو الذى فيه فتور .

(٨) دوابرها : أواخرها . ولاح : غير وأضعف . ومتونها : ظهورها ، والطراد : مطاردة الأبطال بعضهم بعضا .

(٩) ملبونة : تسقى اللبن . ومشعلة : موقدة .

(١٠) تجتلى : تقطع . والجنن : جمع جنة ، وهى السلاح . والمرتاد : الطالب للحرب .

(١١) الأسداد : جمع سد ، وهو ما يسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه .

(١٢) كذا فى ا . وعباد : أى عبيد . وفى سائر الأصول : « عناد » .

(غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استرضاءه) :

قال ابن هشام : فلمَّا قالها حسَّان غَضِب عليه سعدُ بن زيد ، وحلَف أن لايكلِّمه أبدًا ؛ قال : انطلَق إلى خَيْلي وفوارسي فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه حسَّان وقال : والله ما ذاك أردتُ ، ولكن الرويَّ وافق اسمَ المِقْداد ؛ وقال أبياتا يُرضي بها سعدًا :

إذا أرَدْتُم الأشَدَّ الجَلْدا ... أو ذا غَناء فعلَيكم سَعْدا
سَعْد بن زَيْد لا يُهَدّ هَدًّا

فلم يقبل منه سعد ولم يغْنِ شيئا.

(شعر آخر لحسان فى يوم ذى قرد) :

قال حسَّان بن ثابت فى يوم ذى قَرَد :

أظَنَّ عُيَيْنَةُ إذْ زَارها ... بأن سوفَ يَهْدِم فيها قُصورًا[1]
فأُكْذِبْتَ ما كنتَ صَدَّقته ... وقُلْتم سَنَغْنَمُ أمْرًا كَبيرًا
فَعفْتَ المَدينةَ إذْ زُرتَها ... وآنَسْت للأُسْد فيها زَئيرا[2]
فوَلَّوْا سِرَاعا كشَدِّ النَّعام ... ولم يكشفوا عن مُلِطٍّ حَصيرا[3]
أميرٌ علينا رسُولُ المَليك ... أحْبِب بذاكَ إلينا أميرا
رسُولٌ نُصَدِّقُ ما جاءه ... ويَتْلو كِتابا مضيئا مُنِيرًا

(شعر كعب فى يوم ذى قرد) :

وقال كعب بن مالك فى يوم ذِي قَرَد للفوارس :

أتحسَبُ أولادُ اللَّقِيطةِ أنَّنا ... على الخَيْل لسنا مِثلهم فى الفوارِس
وإنَّا أناسٌ لا نرى القَتل سُبَّةً ... ولا نَنْثَنى عند الرِّماح المَداعس[4]

---

(١) زارها ، أى المدينة .

(٢) عفت : كرهت . وآنست : احسست ووجدت .

(٣) الشد : الجرى . ولم يكشفوا عن ملط حصيرا ، أى لم يصيبوا بعيرا ، ولا كشفوا عنه حصيرا . ويعنى « بالحصير » : ما يكنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة . والملط : من قولهم لطت الناقة وألطت بلبنها : إذا أدخلته بين رجليها .

(٤) المداعس : المطاعن ؛ يقال : دعسه بالرمح ، إذا طعنه .

وإنَّا لنَقْرى الضَّيفَ من قَمَعِ الذُّرا ... ونَضرب رأسَ الأبْلخِ المتشاوسِ[١]

نَرُدُّ كُماةَ المُعْلَمين إذا انتخَوْا ... بضربٍ يُسَلِّى نَخْوةَ المُتقاعِسِ[٢]

بكلِّ فتًى حامى الحَقيقة ماجدٍ ... كريمٍ كسِرْحانِ الغَضاة مُخالِسِ[٣]

يَذُودون عن أحْسابِهم وتِلادِهم ... ببيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحت القَوانِسِ[٤]

فسائلْ بَنِى بدْرٍ إذا ما لَقِيتَهم ... بمَا فَعَلَ الإخوانُ يَوْمَ التَّمارُسِ[٥]

إذا ما خرجتم فاصدُقوا[٦] مَن لَقِيتُمُ ... ولا تكتُموا أخبارَكم فى المجالِسِ

وقُولُوا زَلَلْنا عن مَخالب خادرٍ ... به وَحَرٌ فى الصَّدْرِ ما لم يُمارِسِ[٧]

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « وإنَّا لنَقْرى الضَّيف » أبو زيد .

(شعر شداد لعيينة) :

قال ابن إسحاق : وقال شدَّاد بن عارض الجُشَمى ، فى يوم ذى قَرَد : لعَيينة ابن حِصْن ، وكان عُيينة بن حِصْن يُكنى بأبى مالك :

فهلاَّ كَرَرْتَ أبا مالك ... وخَيْلُك مُدْبِرة تُقتَلُ

ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَرَ ... وهَيْهاتَ قد بَعُدَ المُقْفَلُ[٨]

وطَمَّنْتَ[٩] نَفْسَك ذا مَيْعة ... مِسَحَّ الفَضاء إذا يُرْسَلُ[١٠]

---

(١) القمع : جمع قمعة ؛ وهى أعلى سنام البعير . والذرا : الأسنمة ، والأبلخ : المتكبر والمتشاوس : الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر .

(٢) انتخوا : تكبروا . والمتقاعس : الذى لايلين ولاينقاد .

(٣) السرحان : الذئب ، والغضاة : شجرة ، وجمعها غضى . ويقال : إن أخبث الذئاب ذئاب الغضى وقد وردت هذه الكلمة فى ا « العضاة » .

(٤) يذودون : يمنعون ويدفعون . والتلاد : المال القديم . وتقد : تقطع . والقوانس : أعالى بيض الحديد ؛ الواحدة قونسة .

(٥) التمارس : المضاربة فى الحرب والمقاربة .

(٦) فى ا : « فاكتموا » .

(٧) خادر ، أى أسد خادر ، وهو الذى يلزم أجمته . والوحر : الحقد .

(٨) الإياب : الرجوع . وعسجر : موضع قرب مكة . والمقفل : الرجوع .

(٩) فى ا : « وضمنت » .

(١٠) ذو ميعة : فرس ذو نشاط . والمسح : الكثير الجرى . والفضاء : المتسع من الأرض .

إذا قَبَّضَتْهُ إليكَ الشِّمَا لُ جاشَ كما اضطرمَ المِرْجَلُ[١]
فلمَّا عَرَفْتُم عِبادَ الإلـهِ لم يَنْظُر الآخِرَ الأوَّلُ[٢]
عَرَفْتُم فَوارِسَ قد عُوِّدُوا طِرادَ الكُماةِ إذا أَسْهَلوا[٣]
إذا طَرَدُوا الخَيْلَ تَشْقَى بهم فِضَاحًا وإن يُطْرَدُوا يَنْزِلوا[٤]
فيَعْتَصِمُوا فى سَوَاءِ المُقا مِ بالبِيضِ أَخْلَصَها الصَّيْقَلُ[٥]

غزوة بنى المصطلق[٦]

(وقتها) :

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعضَ جمادى الآخرة ورجبا ، ثم غزا بنى المُصطلق من خُزاعة ، فى شَعْبان سنة ستّ[٧] .

(استعمال أبى ذر على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغِفارىّ ؛ ويقال : نُميلة بن عبد الله الليثى .

---

(١) جاش : تحرك وعلا . واضطرم : التهب ؛ ويروى : اضطرب .
(٢) لم ينظر : لم ينتظر .
(٣) الكماة : الشجعان . وأسهلوا : نزلوا السهل .
(٤) الفضاح : الفاضحة .
(٥) أخلصها الصيقل : أى أزال ما عليها من الصدأ .
(٦) وتسمى أيضا : « المريسيع » .
(٧) فى وقت هذه الغزوة خلاف ذكره الزرقانى وعقب عليه بما يأتى : « وقال الحاكم فى الإكليل : قول عروة وغيره إنها كانت سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق ؛ قلت : ويؤيده ما ثبت فى حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة فى أصحاب الإفك ، فلو كانت المريسيع فى شعبان سنة ست مع كون الإفك منها ، لكان ما وقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا ، لأنه مات أيام قريظة ، وكانت فى سنة خمس على الصحيح ، وإن كانت كما قيل سنة أربع ، فهو أشد غلطا ، فظهر أن المريسيع كانت فى سنة خمس فى شعبان قبل الخندق ، لأنها كانت فى شوال سنة خمس أيضا ، فيكون سعد بن معاذ موجودا فى المريسيع ورمى بها بعد ذلك بسهم فى الخندق ، ومات من جراحته فى قريظة » .

(سبب غزو الرسول لهم) :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبدُ الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يَحيي بن حَبَّان ، كلٌّ قد حدثني بعض حديث بني المُصطلق ، قالوا : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنَّ بني المُصطلق يَجْمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضِرار أبو جُوَيْرية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ؛ فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهم خرَج إليهم ، حتى لَقيهم على ماءٍ لهم[1] يقال له : المُرَيسيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ؛ فتزاحف الناسُ واقتَتلوا ، فهزَم اللهُ بَني المُصطلق ، وقُتل من قُتل منهم ، ونَفَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

(موت ابن صبابة) :

وقد أُصيب رجلٌ من المسلمين من بني كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له : هشام بن صُبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رَهْط عُبادة ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأً .

(جهجاه وسنان وما كان من ابن أبي) :

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردةُ الناس ، ومع عمر بن الخطَّاب أجيرٌ له من بني غِفار ، يقال له : جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسَه ، فازدحم جَهْجاه وسِنان بن وَبَر[2] الجُهَني ، حليف بني عَوْف بن الخزرج ، على الماء ، فاقتتلا ، فصَرخ الجُهَني : يامعشر الأنصار ، وصرخ جَهْجاه : يا معشر المهاجرين[3] ؛ فغضب عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول ، وعنده رَهْط من

---

(١) في ا : « من مياههم » .

(٢) قال السهيلي : « وقال غيره : هوسنان بن تيم ، من جهينة بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلي : « ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها ، وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما قال : دعوها فإنها منتنة ؛ يعني أنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية . وجعل الله المؤمنين إخوة وحزبا واحدا ، فإنما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين . فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية ، فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال ، أحدها أن يجلد من استجاب له خمسين سوطا ، اقتداء بأبي موسى الأشعري في حده النابغة الجعدي خمسين سوطا ، حين سمع « يالعامر » فأقبل يشتد بعصبه . والثاني أن فيها

قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حَدث ، فقال : أوَقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب[1] قريش إلا كما قال الأوّل : سَمّن كَلْبك يأكلك ، أما والله لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخْرِجنّ الأعزّ منها الأذلّ . ثم أقبل على مَنْ حضَره من قومه ، فقال لهم : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمْسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه ، فأخبره الخبرَ ، وعنده عمرُ بن الخطّاب ، فقال : مُرْ به عَبّاد بن بشر فلْيقتله ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فكيفَ يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ! لا ولكن أذّن بالرّحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناسُ .

(اعتذار ابن أبى للرسول) :

وقد مشى عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ماقلت ما قال ، ولا تكلمت به . — وكان فى قومه شريفا عظيما — ، فقال مَنْ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوْهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَبا على ابن أُبَىّ بن سَلول ، ودَفْعا عنه .

(الرسول وأسيد ومقالة ابن أبى) :

قال ابن إسحاق : فلما استقلّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضير ، فحيّاه بتحيّة النبوّة وسلّم عليه ، ثم قال : يا نبىّ الله ، والله لقد رُحتَ فى ساعة مُنكرة ، ما كنتَ تروح فى مثلها ؛ فقال له رسولُ الله

= الجلد دون العشر لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد قومه العشرة إلا فى حد . والقول الثالث : اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(١) جلابيب قريش : لقب من كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون . وأصل الجلابيب : الأزر الغلاظ ، كانوا يلتحفون بها ، فلقبوهم بذلك .

صلى الله عليه وسلم : أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأىّ صاحب يا رسول الله قال : عبد الله بن أُبَىّ ؛ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرجن الأعزّ منها الأذلّ ، قال : فأنت يارسول الله والله تُخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليلُ وأنت العزيز ؛ ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنّ قومه ليَنْظمون له الخرز ليتوّجوه ، فانه ليَرى أنك قد استلبته مُلكا .

(سير الرسول بالناس ليشغلهم عن الفتنة) :

ثم مشى[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى ، وليلتَهم حتى أصبح ، وصَدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وَجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليَشغل النّاس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله ابن أبَىّ .

(تنبؤ الرسول بموت رفاعة) :

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّاس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النّقيع ؛ يقال له : بقعاء . فلما راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوها ، فانما هبّت لموت عَظيم من عُظماء الكُفّار . فلمّا قدموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زَيد بن التّابوت ، أحد بنى قَيْنقاع ، وكان عظيما من عُظماء يهود ، وكهفا للمُنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

(مانزل فى ابن أبى من القرآن) :

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أُبَىّ ومَن كان على مثل أمره ، فلما نزلتْ أخذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأُذن زَيْد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوْفى الله بأُذنه . وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبىّ الذى كان من أمر أبيه .

(طلب ابن عبد الله بن أبى أن يتولى هو قتل أبيه وعفو الرسول) :

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصمُ بن عُمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله

(1) فى ا : « متن » يعنى أنه سار بهم حتى أضعف إبلهم ؛ يقال : متن بالإبل ، إذا أتعبها حتى تضعف .

صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتلَ عبد الله بن أُبَىّ فيما بلغك عنه ، فان كنت لابدّ فاعلا فمُرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعُنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَىّ يمشى فى الناس ، فأقتلَه فأقتلَ (رجلا[١]) مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفّق به ، ونُحْسن صُحبته ما بقى معنا .

(تولى قوم ابن أبي مجازاته) :

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدثَ كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعنّفُونه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعُمر بن الخطّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى ياعمر ؛ أما والله لوقتلته يوم قلتَ لى اقتُله ، لأُرْعدت له آنُفٌ ، لو أمرتُها اليوم بقَتْله لقتلته ؛ قال : قال عمر : قد والله علمتُ لَأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

(مقيس بن صبابة وحيلته فى الأخذ بثأر أخيه وشعره فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : وقَدِم مِقْيَس بن صُبابة من مكّة مسلما ، فيما يُظْهِر ، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلما ، وجئتك أطلُب دِيَة أخى ، قُتل خطأ . فأمر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هِشام بن صُبابة ؛ فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غَير كثير ، ثم عَدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدًّا ؛ فقال فى شعر يقوله :

شَفَى النفسَ أن قد مات بالقاع مُسْنَدا ... تُضَرّج ثَوْبَيْه دماءُ الأخادِع[٢]

وكانت هُموم النَّفس من قبل قَتْله ... تُلِم فتَحْمِينى وِطاء المَضاجِع[٣]

حَلَلت به وِتْرى وأدركتُ ثُؤْرَتى ... وكنتُ إلى الأوْثان أوّل راجع[٤]

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتضرج : تلطخ . والأخادع : عروق القفا ، وإنما هما أخدعان ، فجمعهما مع ما يليهما .

(٣) تلم : تساورنى وتحل بى . وتحمينى : تمنعنى . ووطاء المضاجع : لينها .

(٤) الوتر : طلب الثأر . والثؤرة : الثأر .

نَأرتُ به فهرًا وحملت عَقْــله سراةَ بنى النَّجَّار أربابَ فارِعِ[1]

وقال مِقيَس بن صُبابة أيضا :

جلَّلته[2] ضَرْبةً باءت[3] لها وشَلٌ من ناقِع الجَوْف يَعلوه ويَنْصَرِمُ[4]

فقُلْتُ والمَوْتُ تَغشاه أسِرَّته لا تأمَنَنَّ بَنى بَكْرٍ إذا ظُلِموا[5]

(شعار المسلمين) :

قال ابن هشام : وكان شعار المُسلمين يوم بنى المُصْطلق : يامنصور ، أمِتْ أمِتْ.

(قتل بنى المصطلق) :

قال ابن إسحاق : وأُصيب من بنى المُصْطلق يومئذ ناسٌ ، وقَتَل علىُّ بن أبى طالب منهم رجلَين ، مالكا وابنه ، وقَتَل عبدُ الرحمن بن عوف رجلاً من فُرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أُحَيمر[6] .

(أمر جويرية بنت الحارث) :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سَبْيا كثيرًا ، فَشا قَسْمُه فى المسلمين ؛ وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضِرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المُصْطلق ، وقعتْ جُوَيرية بنت الحارث فى السّهم لثابت بن قيس بن الشّمَّاس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوةً مُلاّحة[7] ، لايراها أحد إلا أخذت بنَفْسه فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تَسْتعينه فى كِتابتها ؛ قالت عائشة : فوالله ماهو

---

(١) العقل : الدية . وسراة بنى النجار : خيارهم . وفارع : حصن لهم .

(٢) جللته ضربة : علوته بها .

(٣) كذا فى ا . وباءت : أخذت بالثأر ؛ يقال : بؤت بفلان ، إذا أخذت بثأره . وفى سائر الأصول « بانت » .

(٤) وشل قطر ويريد « بناقع الجوف » : الدم . وينصرم . ينقطع .

(٥) الأسرة : التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة .

(٦) هذه العبارة من قوله « وقتل عبد الرحمن » إلى قوله « أو أحيمر » ساقطة فى ا .

(٧) الملاحة : الشديدة الملاحة .

إلا أن رأيتُها على باب حُجرتى فكرِهتها ، وعرَفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيتُ ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البَلاء ، ما لم يَخْفَ عليك ، فوقعت فى السّهم لثابت بن قَيس بن الشّماس ، أو لابن عمّ له ، فكاتبتُه على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ؛ قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوّجك ؛ قالت : نعم يا رسول الله ؛ قال : قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد تزوّج جُويرية ابْنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم ؛ قالت : فلقد أُعتِق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بنى المُصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظمَ على قومها بركة منها [1] .

قال ابن هشام [2] : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصطلِق ومعه جُويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيّبهما فى شِعب من شِعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شِعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله

---

(١) قال السهيلى : « وأما نظره عليه الصلاة والسلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ، فإنما كان ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجائز أن يكون نظر إليها لأنه أراد نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت : إنى قد وهبت نفسى لك يا رسول الله فصعد فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها من غيره . وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام الرخصة فى النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يدوم بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك » .

(٢) هذا الحديث زيادة عن ا .

فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارثُ ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ودُفِعَت إليه ابنته ُ جويرية ، فأسلمت ، وحسُن إسلامها ؛ فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مئة درهم .

(الوليد بن عقبة وبنو المصطلق وما نزل فى ذلك من القرآن) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة بن أبى مُعيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله ، ومنعوه ماقِبَلهم من صَدَقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غَزْوهم ، حتى همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغْزوهم ، فبيناهم على ذلك قَدِم وفدُهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنُكْرِمه ، ونُؤدّى إليه ما قِبَلنا من الصدقة ، فانشمر[1] راجعا ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ؛ فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : « يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مافَعَلْتُمْ نادِمِينَ وَاعْلَمُوا أنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ » . . . إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثنى من لاأتّهم عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ماقالوا .

---

(١) انشمر : جد وأسرع .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

(سنة ستّ) ١

قال ابن إسحاق : حدّثنا الزهرى ، عن علقمة بن وقّاص ، وعن سعيد بن جَبير وعن عُروة بن الزّبير ، وعن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أوْعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدّثنى القوم .

(شأن الرسول مع نسائه فى سفره) :

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهْل الإفك ما قالوا ، فكُلّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدّث بعضهم ما لم يحدّث صاحبه ، وكلّ كان عنها ثقة ، فكلّهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقْرع بين نِسائه ، فأيّتهنّ خرَج سهمُها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بنى المُصْطلِق أقْرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سَهْمى عليهنّ معه ، فخرج بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

(سقوط عقد عائشة وتخلفها للبحث عنه) :

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق ٢ لم يَهِجْهن ٣ اللّحم فيَثْقلن ، وكنت إذا رُحّل لى بعيرى جلستُ فى هَوْدجى ، ثم يأتى القومُ الذين يُرَحّلون لى ويَحْملوننى ، فيأخذون بأسفل الهَوْدج ، فيرفعونه ، فيَضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فَرَغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجّه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة

(١) زيادة عن ا .

(٢) العلق بضم ففتح : جمع علقة ، وهى ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء .

(٣) التهبيج : كالورم فى الجسد .

نزل منزلا ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذّن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناسُ ، وخرجتُ لبعض حاجتى ، وفى عُنُقى عِقْدٌ لى ، فيه جزْعُ[١] ظَفَار ، فلما فرغت انسلَّ من عُنُقى ولا أدْرى ، فلما رجعتُ إلى الرَّحل ذهبتُ ألتمسه فى عُنُقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرّحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدْته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كانوا يُرَحِّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودَج ، وهم يظنُّون أنى فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ؛ فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب ، قد انطلق الناس .

(مرور ابن المعطل بها واحتماله إياها على بعيره) :

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعتُ فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتُقدت لرُجع إلىّ . قالت : فوالله إنى لمُضطجعة إذ مرّ بى صفوان بن المعطّل السُّلَمى ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبَعْض حاجته[٢] ، فلم يبتْ مع الناس ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف علىّ ، وقد كان يرانى قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنَّا لله وإنَّا إليْهِ رَاجِعُونَ ، ظَعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلففة فى ثيابى ؛ قال : ما خلّفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلّمته ، ثم قرّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنّى . قالت : فركبتُ ، وأخذَ برأس البعير ، فانطلق سريعا ، يطلب الناسَ ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدْت حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، فارتعج[٣] العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

(إعراض الرسول عنها) :

ثم قَدِمْنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك

---

(١) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ، وينسب إليها الجزع الظفارى .

(٢) كان صفوان على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف . (راجع الروض) .

(٣) ارتعج العسكر : تحرك ، اضطرب . وفى ر : « ارتج » أى اضطرب .

شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوىّ لايذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لُطْفه بى ، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمنى ، ولَطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكْواى تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمى تمرضنى — قال ابن هشام : وهى أم رومان ، واسمها زَيْنب بنت عبد دُهمان ، أحد بنى فراس ابن غَنْم بن مالك بن كنانة — قال : كيف تِيكم ، لايزيد على ذلك .

(انتقالها إلى بيت أبيها وعلمها بما قيل فيها) :

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وَجدتُ فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ مارأيت من جفائه لى : لوأذنتَ لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرّضتنى ؟ قال : لاعليك . قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علْم لى بشىء مما كان ، حتى نَقِهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا ، لانتخذ فى بُيوتنا هذه الكُنُف التى تتّخذها الأعاجم ، نَعافها ونكرهها ، إنما كنّا نذهب فى فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كلّ ليلة فى حوائجهنّ ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتى ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سَعد بن تيم ، خالة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ؛ قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطها [١] ؛ فقالت : تَعس مِسْطح ! ومِسْطح لقب واسمه عوف ؛ قالت : قلت : بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ؛ قالت : أومابلغك الخبر يابنت أبى بكر؟ قالت : قلت : وما الخبر؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوْ قدكان هذا ؟ قالت : نعم والله لقدكان . قالت : فوالله ماقدرت على أن أقْضى حاجتى ، ورجعت ؛ فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع [٢] كَبدى ؛ قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بماتحدثوا به ، ولاتذكرين لى من ذلك شيئا ! قالت : أى بنيّة ، خفّضى [٣]

---

(١) المرط : الكساء .
(٢) سيصدع : سيشق .
(٣) خفضى عليك : هونى عليك .

عليك الشأن ، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلاّ كَثّرْن وكَثّر الناس عليها .

(خطبة الرسول فى الناس يذكر إيذاء قوم له فى عرضه) :

قالت : وقد قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يَخْطُبهم ولا أعلم بذلك ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يُؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحقّ ، والله ماعلمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيرًا ، وما يَدْخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى .

(أثر ابن أبى وحمنة فى إشاعة هذا الحديث) :

قالت : وكان كُبْر[1] ذلك عند عبد الله بن أُبىّ بن سلولَ فى رجال من الخزرج مع الذى قال مِسْطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصِينى[2] فى المنزلة عنده غيرها ؛ فأما زينب فعَصَمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حَمْنة بنت جَحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادُّنى لأختها ، فشَقِيت بذلك .

(ما كان بين المسلمين بعد خطبة الرسول) :

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أُسَيد بن حُضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نَكْفِكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سَعْد ابن عُبادة ، وكان قبل ذلكَ يُرَى رجلا صالحا ؛ فقال : كذبت لعَمْرُ الله ، لاتضرب أعناقَهم ، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عرَفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا ، فقال أُسَيد : كذبت لعَمر الله ، ولكنّك مُنافق تُجادل عن المُنافقين ؛ قالت : وتساور[3] الناس ، حتى كاد يكون بين هذين

---

(١) الكبر بالضم والكسر : الإثم ، ومعظم الشىء .

(٢) كذا فى الروض . قال السهيلى : « وقول عائشة : لم تكن امرأة تناصبنى فى المنزلة عنده غيرها ، هكذا فى الأصل « تناصبنى » ، والمعروف فى الحديث : تناصينى ، من المناصاة وهى المساواة » .

(٣) وتساور الناس : قام بعضهم إلى بعض ، وفى بعض النسخ : « تثاوروا » .

الحيّين من الأوس والخزرج شرّ . ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل عليّ

(استشارة الرسول لعلى وأسامة) :

(قالت[١]) فدعا عليّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ؛ فأمّا أُسامة فأثنى عليّ خيرًا وقاله ؛ ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل ؛ وأما عليّ فانه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسَل الجارية ، فانها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُريرة ليسألها ؛ قالت : فقام إليها عليّ بن أبى طالب ، فضربها ضربا شديدًا ، ويقول : اصْدُقِى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فتقول والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا ، إلا أنى كنت أعجن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله .

(نزول القرآن ببراءة عائشة) :

قالت : ثم دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ياعائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءا [٢] مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فان الله يقبل التوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص [٣] دمعى ، حتى ما أُحسّ منه شيئا ، وانتظرت أبوىّ أن يُجيبا عنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلّما قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأنا من أن يُنزل الله فىّ قرآنا يُقرأ به فى المساجد ، ويُصَلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئا يكذّب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يُخبر خبرا ؛ فأمّا قرآن ينزل فىّ ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوىّ يتكلّمان ، قالت : قلت لهما : ألا تُجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

(١) زيادة عن ا .

(٢) قارفت سوءا : دخلت فيه .

(٣) قلص : ارتفع .

قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نُجيبه ؛ قالت : ووالله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم مادخل على آل أبي بكر فى تلك الأيام ؛ قالت : فلما أن استعجما علىّ ، استعبرتُ فبكيتُ ؛ ثم قلت : والله لاأتوب إلى الله مما ذكرت أبدا . والله إنى لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولنّ مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدّقوننى . قالت : ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ فقلت : ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف : « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى ما تَصِفُونَ » . قالت : فوالله ما برَح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تَغَشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه ، فسُجِّى بثوبه ووُضعت له وسادة من أدَم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزِعت ولا باليتُ ، قد عرَفت أنى برَيئة ، وأن الله عزّ وجلّ غيرُ ظالمى ؛ وأمَّا أبَواى ، فوالذى نفسُ عائشة بيده ، ما سُرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسُهما ، فرَقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ؛ قالت : ثم سُرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلَس ، وإنه ليتحدّر منه مثل الجُمان [١] فى يوم شات ، فجعل يَمْسح العرَق عن جَبينه ، ويقولُ : أبْشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله برَاءتك ؛ قالت : قلت : بحمد الله ثم خرج إلى الناس ، فخَطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمِسْطح بن أُثاثة ، وحسَّان بن ثابت ، وحَمْنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفْصح بالفاحشة ، فضُربوا حدَّهم .

(أبو أيوب وذكره طهر عائشة لزوجه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسار عن بعض رجال بنى النَّجَّار : أن أبا أيُّوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيُّوب : يا أبا أيُّوب ، ألا تَسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يا أمّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ماكنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرٌ منك .

(ما نزل من القرآن فى ذلك) :

قالت : فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك

---

(١) الجمان : حب من فضة يصنع فى مثل الدر .

قال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، وذلك حسّان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا .

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبد الله بن أُبيّ وأصحابه .

قال ابن هشام : والذى تولى كِبرَه عبد الله بن أُبىّ ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : « لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا » : أى فقالوا كما قال أبو أيّوب وصاحبته . ثم قال : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ » .

(هم أبى بكر بعدم الإنفاق على مسطح ثم عدوله) :

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مِسْطح لقرابته وحاجته : والله لا أُنفق على مِسْطح شيئا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ؛ قالت : فأنزل الله فى ذلك « وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

(تفسير ابن هشام بعض الغريب) :

قال ابن هشام : يقال : كِبْره وكُبْره فى الرواية ، وأما فى القرآن فكِبره بالكسر[1] .

قال ابن هشام : « ولا يأتل أولوا الفضل منكم » ولا يألُ أولو الفضل منكم .

قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدى :

ألا رُبَّ خَصْمٍ فيك أَلْوَى رَدَدْتُه ... نصيح على تَعْذاله غيرُ مؤْتَل

وهذا البيت فى قصيدة له ؛ ويقال : وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ : ولا يحلف أولو الفضل ، وهو قول الحسن بن أبى الحسن البصْرى ، فيما بلغنا عنه .

---

(١) هذه العبارة من قوله « قال ابن هشام » إلى قوله « بالكسر » ساقطة فى ا .

في كتاب الله تعالى : « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ » وهو من الألية ، والألية : اليمين . قال حسَّان بن ثابت :

آلَيْتُ ما في جميع الناس مُجتهدًا مِنِّى أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيرِ إفْنادِ[1]

وهذا البيت في أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها . فمعنى : أن يؤتوا في هذا المذهب : أن لايؤتوا ، وفي كتاب الله عزّ وجلّ : « يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا » يريد : أن لاتضلوا ؛ « وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ » يريد أن لاتقع على الأرض ، وقال ابن مفرّغ الحميرى :

لاذَعَرْتُ السَّوَامَ فى وَضَحِ الصُّبْـــحِ مُغيرًا ولا دُعيتُ يزيدا[2]
يوم أُعْطى مَخافَةَ المَوْت ضَيْمًا والمَنايا يَرْصُدْنَنى أن أحيدا[3]

يريد : أن لاأحيد ؛ وهذا البيتان في أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إنى لأحبّ أن يَغْفِر الله لى ، فرَجع إلى مِسْطح نَفقته التى كان يُنفق عليه ، وقال : والله لاأنزِعها منه أبدا .

(هم ابن المعطل بقتل حسان) :

قال ابن إسحاق : ثم إن صَفوان بن المُعَطَّل اعترض حسَّان بن ثابت بالسَّيف ، حين بلغه ماكان يقول فيه ، وقدكان حسَّان قال شعرا مع ذلك يعرّض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مُضر ، فقال :

أمْسَى الجَلابيبُ قد عزّوا وقدكثُرُوا وابنُ الفُرَيْعة أمْسَى بَيْضة البَلَدِ[4]
قد ثَكِلت أمه مَن كنتَ صاحبَه أو كان مُنْتَشِبا فى بُرْثُن الأسدِ[5]
ما لِقَتِيلى الذى أغْدُو فآخُذُه مِنْ دِيَةٍ فِيهِ يُعطاها وَلا قَوَدِ[6]

---

(١) الإفناد : الكذب .

(٢) ذعرت : أفزعت . والسوام : المال المرسل فى المرعى . والوضح : البياض .

(٣) الضيم : الذل . وأحيد : أعدل .

(٤) الجلابيب : الغرباء . وبيضة البلد : أى منفردا لايدانيه أحد ، قال أبو ذر : « وهو فى هذا الموضع مدح ، وقد يكون ذما ، وذلك إذا أريد أنه ذليل ليس معه غيره » .

(٥) ثكلته أمه : فقدته . والبرثن : الكف مع الأصابع ، ومخلب الأسد ، أو هو للسبع كالإصبع للإنسان .

(٦) القود : قتل النفس .

ما البَحْر حين تَهبّ الرّيح شاميــةً فيَغْطَئِلُ ويَرْمى العِـبر بالزَّبَد[1]
يومًا بأغلَب منى حــين تُبْصِرنى مِلْغَيْظ أفرى كَفَرْى العارضِ البَرِد[2]
أمّا قُرَيْشٌ فإنى لَن أُسالمهم حتى يُنيبوا من الغيّات للرَّشَد[3]
ويتركوا اللاتَ والعزّى بمَعْـزِلة ويَسْجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمد
ويَشْهَدُوا أنّ ما قالَ الرّسولُ لهم حَقّ ويُوفُوا بعَهْدِ الله والوُكُد[4]

فاعترضه صَفْوان بن المُعَطَّل، فضَربه بالسَّيف، ثم قال: كما حدثنى يعقوب بن عتبة:

تَلَقّ[5] ذُباب السَّيف عنى فإننى غُـلام إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى: أن ثابت بن قيس بن الشَّماس وثب على صَفْوان بن المُعطَّل، حين ضَرب حسَّان، فجمع يدَيه إلى عُنقه بحبل، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج؛ فلقيه عبد الله ابن رواحة، فقال: ما هذا؟ قال: أما أعجبك ضرب حسان بالسَّيف! والله ما أراه إلا قد قتله؛ قال له عبدالله بن رَواحة: هل علِم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت؟ قال: لا والله؛ قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل؛ فأطلقه، ثم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا ذلك له، فدعا حسّان وصفوان بن المُعطَّل؛ فقال ابنُ المعطَّل: يا رسول الله: آذانى وهجانى، فاحتملنى الغضب، فضربته؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسّان: أحسن يا حسان[6]، أتَشَوَّهْتَ[7] على قومى أن هداهم الله للإسلام؛ ثم قال: أحسن يا حسّان فى الذى أصابك؛ قال: هى لك يا رسول الله.

(١) يغطئل: يجول ويتحرك. والعبر: جانب النهر أو البحر.
(٢) أفرى: أقطع. والعارض: السحاب. والبرد (بكسر الراء): الذى فيه برد.
(٣) ينيبوا: يرجعوا. والغيات: جمع غية، من الغى، وهو خلاف الرشد.
(٤) يريد «بالوكد» العهود المؤكدة.
(٥) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «تلحق».
(٦) هذه العبارة ساقطة فى ا.
(٧) أتشوهت على قومى: أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله.

قال ابن هشام : ويقال : أبعد أن هداكم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضا منها بيرَحاء [١] ، وهى قصر بنى حُديلة اليوم بالمدينة ، وكانت مالاً لأبى طَلْحة بن سَهْل تصدّق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَسَّان فى ضَرْبته ، وأعطاه سيرين ، أمَة قِبْطيّة ، فولدت له عبدَ الرحمن بن حسَّان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن ابن المُعطل ، فوَجدوه رجلا حَصُورا ، ما يأتى النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيدا .

قال حسَّان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ ... وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوَافلِ [٢]

عَقيلة حىّ من لُؤَىّ بن غالبٍ ... كِرَام المَسَاعى مَجْدُهم غير زَائلِ [٣]

مُهَذّبَةٌ قد طَيَّبَ اللهُ خِيمَها ... وطَهّرَها مِنْ كُلّ سُوءٍ وباطلِ [٤]

فان كُنْتُ قد قلتُ الذى قد زَعَمْتُمُ ... فَلا رفَعتْ سَوْطِى إلىّ أناملِى [٥]

وكيفَ وودّى ماحَييتُ ونُصْرتى ... لآل رسولِ الله زَيْنِ المَحافلِ

له رتَب عالٍ على النّاس كلّهِمْ ... تَقَاصَرُ عنه سَوْرَة المُتَطاولِ [٦]

فإنّ الذى قد قيلَ لَيْس بلائطٍ ... ولكنّه قَوْلُ امرئٍ بىَ ماحِلِ [٧]

---

(١) بيرحاء : بكسر الباء ، وبإضافة البئر إلى حاء ، وهو اسم رجل .

(٢) الحصان : العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها ، التى لاتتصرف كثيرا . وما تزن : أى ما تتهم . وغرثى : جائعة . والغوافل : جمع غافلة ، ويعنى بها الغافلة القلب عن الشر ، كما قال سبحانه « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات » جعلهن غافلات لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ، ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ مايكون من الوصف بالعفاف . ويريد بقوله « وتصبح غرثى من لحوم الغوافل » : أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم .

(٣) العقيلة : الكريمة . والمساعى : جمع مسعاة ، وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والمكارم .

(٤) الخيم : الطبع .

(٥) الأنامل : الأصابع .

(٦) الرتب : ما ارتفع من الأرض وعلا . ويريد به هنا الشرف والمجد . والسورة (بفتح السين) : الوثبة . (وبضم السين) : المنزلة .

(٧) لائط : لاصق . والماحل : الماشى بالنميمة .

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حى » والذى بعده ، وبيته : « له رتب عال » عن أبى زَيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن امرأة مدحت بنتَ حسَّان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حَصَانٌ[١] رزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ   وتُصْبح غرثى من لُحوم الغَوافِلِ[٢]

فقالت عائشة : لكن أبوها[٣] .

(شعر فى هجاء حسان ومسطح) :

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسَّان وأصحابه فى فِرْيَتهم على عائشة — قال ابن هشام : فى ضرب حسَّان وصاحبيه — :

لَقَدْ ذَاقَ حَسَّان الذى كانَ أهْلَه   وحَمْنةُ إذْ قالُوا هَجيرًا ومِسْطَحُ[٤]

تعاطَوْا برَجْمِ الغَيْب زوج نَبيِّهم   وسَخْطة ذى العَرْش الكَريم فأُترحوا[٥]

وآذَوْا رسولَ الله فيها فجُلِّلوا   مَخازِىَ تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحوا

وصُبَّت علَيهم مُحْصَدات كأنَّها   شآبيبُ قَطْر من ذُرَا المُزْنِ تسْفَحُ[٦]

---

(١) حصان : من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع عن الرجال من نظرهم إليها . قالت جارية من العرب لأمها :

يا أمتا أبصرنى راكب   يسير فى مسحنفر لاحب
جعلت أحثى الترب فى وجهه   حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقالت لها أمها :

الحصن أدنى لو تآييته   من حثيك الترب على الراكب

(٢) الرزان : الثقيلة الحركة . وغرثى من لحوم الغوافل : أى خميصة البطن من لحوم الناس : أى اغتيابهم . وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف . ويريد بالغوافل : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر .

(٣) قال أبو ذر : « يروى أبوها وأباها . فمن قال « أبوها » : « فمعناه . لكن أبوها لم يكن كذلك ؛ ومن قال « أباها » فإنه يعنى أن حسان أبى هذه الفضيلة » .

(٤) الهجير : الهجر وقول الفاحش القبيح .

(٥) الرجم : الظن . وأترحوا : أحزنوا ، من الترح ، وهو الحزن . ويروى « فأبرحوا » بالباء ، وهو من البرح ، أى المشقة والشدة .

(٦) محصدات : يعنى سياطا محكمة الفتل شديدات . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والذرى : الأعالى . والمزن : السحاب . وتسفح : تسيل .

أمر الحديبية فى آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو

(خروج الرسول) :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهرَ رمضان وشوّالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمرًا ، لايريد حربا .

(نميلة على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد الله اللَّيْثى .

(استنفار الرسول الناس) :

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومن لَحِق به من العرب ، وساق معه الهَدْى ، وأحرم بالعُمرة ليأمن النَّاسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت ومعظِّما له .

(عدة الرجال) :

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن عُروة بن الزُّبير عن مِسْوَر بن مَخْرمة ومَرْوان بن الحَكم أنهما حدّثاه قالا : خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحُدَيْبِية [1] يريد زيارة البيت ، لايريد قتالا ، وساقَ معه

---

(١) الحديبية (بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء . وقد اختلف فيها ، فنهم من شدد ومنهم من خفف) : قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها ، بينها وبين مكة مرحلة ، وبينهما وبين المدينة تسع مراحل . (عن معجم البلدان) .

الهَدْىَ سبعين بَدَنةً ، وكان الناس سبع مئة رجل ، فكانت كلُّ بدنة عن عَشْرة نفر :

وكان جابر بن عبدالله ، فيما بلغني، يقول : كنَّا أصحابَ الحُدَيبية أربعَ عشرة مئة.

(الرسول وبشر بن سفيان) :

قال الزهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعُسْفان[1] لقيه بشر بن سُفيان الكَعْبى – قال ابن هشام: ويقال بُسْر – فقال : يا رسول الله هذه قُريش ، قد سَمِعت بمَسيرك ، فخرجوا معهم العُوذ المَطافيل[2] ، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور ، وقد نَزلوا بذى طُوى[3] ، يُعاهدون الله لاتَدْخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلِهم قد قَدَّموها إلى كُراع الغَميم[4] ؛ قال : فقال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يا وَيْحَ قُريش! لقد أكَلَتهم الحربُ ، ماذا عليهم لوخلَّوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابُونى كان الذى أرادُوا ، وإن أظْهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافِرين ، وإن لم يَفْعلوا قاتَلُوا وبهم قُوّة ، فما تَظُنُّ قريش ، فوالله لاأزال أُجاهد على الذى بَعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تَنْفرد هذه السَّالفة[5] ، ثم قال : مَنْ رجل يَخْرج بنا على طَريق غير طَريقهم التى هُمْ بها ؟

(تجنب الرسول لقاء قريش) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر : أن رجلا من أسْلم قال : أنا يارسول الله ؛ قال : فسَلك بهم طريقا وعرًا أجرَل[6] بين شِعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقَّ ذلك على المُسلمين وأفْضوا إلى أرض سَهْلة عند مُنْقطع الوادى ؛

---

(١) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ؛ وقيل : هى بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ؛ وقيل غير ذلك . (راجع معجم البلدان) .

(٢) العوذ : جمع عائذ ، وهى من الإبل الحديثة النتاج ، والمطافيل : التى معها أولادها يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان ، وهو على الاستعارة .

(٣) ذو طوى (مثلث الطاء وينون) : موضع قرب مكة .

(٤) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال . (عن معجم البلدان) .

(٥) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى بانفرادها عن الموت .

(٦) الأجرل : الكثير الحجارة ؛ ويروى : أجرد ، أى ليس فيه نبات .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس: قُولوا نَستغفرُ اللهَ ونَتوب إليه ؛ فقالوا ذلك ، فقال : واللهِ إنها لَلْحِطَّة[1] التى عُرِضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابنُ شهاب : فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرى الحَمْش ، فى طريقٍ (تُخرجه[2]) على ثَنِيَّةِ المُرَار مَهْبَط الحُديبية من أسفل مكَّة ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَتَرَةَ[3] الجيش قد خالفوا عن طَريقهم ، رَجعوا راكضين إلى قُريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك ، فى ثَنِيَّة المُرار بركَت ناقته ، فقالت الناس : خَلأتِ[4] الناقة ، قال : ما خلأتْ وما هو لها بخُلُق ، ولكنْ حَبَسها حابسُ الفيلِ عن مكة . لا تَدْعونى قريش اليومَ إلى خُطَّة يسألوننى فيها صِلَةَ الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلُوا ؛ قيل له : يا رسول الله : ما بالوادى ماءٌ نَنزل عليه ، فأخرج سهما من كِنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فنَزل به فى قَلِيب[5] من تلك القُلُب . فغَرَزه فى جَوْفه ، فجاش[6] بالرَّواء[7] حتى ضَرب الناس عنه بعَطَن[8] .

(الذى نزل بسهم الرسول فى طلب الماء) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعضُ أهل العلم عن رجال من أسْلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُندَب بن عمير بن يَعمر ابن دارم بن عمرو بن وائلة بن سَهْم بن مازن بن سلامان بن أسْلم بن أفْصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدْن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الحطة : يريد قول الله تعالى لبنى إسرائيل : « وقولوا حطة » ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٢) زيادة عن ا . وفى رواية « تخرجهم » .

(٣) قترة الجيش : غباره .

(٤) خلأت : بركت . قال أبو ذر : « الخلاء فى الإبل : بمنزلة الحران فى الدواب ، وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة .

(٥) القليب : البئر .

(٦) جاش : ارتفع .

(٧) الرواء (بفتح الراء) : الكثير .

(٨) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

قال ابن هشام : أقْصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعضُ أهل العلم : أن البَراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فالله أعلم أىّ ذلك كان .

(شعر لناجية يثبت أنه حامل سهم الرسول) :

وقد أنْشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجيةُ ، قد ظَنّنا أنه هو الذى نَزَل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدَلْوها ، وناجية فى القَليب يميح[1] على الناس ، فقالت :

يأيها المائح دَلْوى دُونَكا إنى رأيتُ الناسَ يَحْمَدونَكا
يثْنون خيرًا ويُمجِّدونكا

قال ابن هشام : ويُروى :

إنى رأيت النّاسَ يَمدحونكا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو فى القَليب يَميح على الناس :

قد علمت جاريةٌ يَمانيَــهْ أنى أنا المائح واسمى ناجيَــهْ
وطَعنةٍ ذات رَشاش واهيَهْ طعنتُها عند صــدور العاديه[2]

(بديل ورجال خزاعة بين الرسول وقريش) :

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أتاهُ بُدَيل ابن وَرْقاء الخُزاعىّ ، فى رجال من خُزاعة ، فكلّموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حربا ، وإنما جاء زائرًا للبيت ، ومعظّما لحُرمته ، ثم قال لهم نحوًا مما قال لبِشْر بن سُفْيان ، فرَجعوا إلى قُريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تَعْجلون على محمد ، إن محمدا لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرًا هذا البيت ، فاتّهموهم وجَبَّهوهم[3] وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لايدخلها علينا عَنْوة أبدا ، ولا تحدّثُ بذلك عنّا العرب .

---

(١) يميح على الناس : يملأ الدلاء .

(٢) الواهية : المسترخية الواسعة الشق . والعادية : القوم الذين يعدون ، أى يسرعون العدو .

(٣) جبهوهم : خاطبوهم بما يكرهون .

قال الزهرى : وكانت خُزاعة عَيْبة نُصْح[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مُسْلمُها ومُشْركها ، لا يُخفون عنه شيئا كان بمكة .

(مكرز رسول قريش إلى الرسول) :

قال : ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأخْيَف ، أخا بنى عامر بن لؤىّ ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبلا قال : هذا رجل غادر ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلّمه ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحوًا مما قال لبُدَيل وأصحابه ؛ فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(الحليس رسول من قريش إلى الرسول) :

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلقمة أو ابن زَبّان ، وكان يومئذ سيِّد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة ؛ فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألّهون[٢] ، فابعثوا الهَدْى فى وَجْهه حتى يراه ، فلما رأى الهَدْى يَسيل عليه من عُرْض[٣] الوادى فى قلائده[٤] ، وقد أكل أوْباره من طُول الحَبس عن مَحِلّه[٥] ، رجع إلى قُرَيْش ، ولم يَصِل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعْرابى لا عِلْم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن الحُلَيس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قُريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيُصدّ عن بيت الله من جاء معظّما له ! والذى نفس الحُلَيس بيده ، لتُخَلُّنّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفْرة رجل واحد . قال : فقالوا له : مَهْ ، كفّ عنا يا حُلَيس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

---

(١) عيبة نصح الرسول ، أى خاصته وأصحاب سره . وليس فى ا كلمة « نصح » .
(٢) يتألهون : يتعبدون ويعظمون أمر الإله .
(٣) عرض الوادى : جانبه .
(٤) القلائد : ما يعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .
(٥) محله : موضعه الذى ينحر فيه من الحرم .

(عروة بن مسعود رسول من قريش إلى الرسول) :

قال الزهريّ في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُروة بن مَسْعود الثَّقفي ؛ فقال : يامعشر قريش ، إني قد رأيت ما يلْقى منكم مَنْ بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التَّعنيف وسُوء اللَّفظ ، وقد عَرَفتم أنكم والدٌ [1] وإني وَلد — وكان عُروة لسُبَيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعتُ من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسَيْتكم [2] بنفسي ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتَّهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعتَ أوْشاب [3] الناس ، ثم جئتَ بهم إلى بَيْضتك [4] لتَفُضّها [5] بهم ، إنها قُريش قد خرَجت معها العُوذُ المطافِيل . قد لَبِسوا جُلود النُّمور ، يُعاهدون الله لاتدْخلها عليهم عَنْوة أبدا . وايْم الله ، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنْك غَدا . قال : وأبوبكر الصدّيق خلْف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ؛ فقال : امصُصْ بظْر اللات ، أنحن ننْكشِف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قُحافة ؛ قال : أما والله لولا يدٌ كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ؛ قال : ثم جعلَ يتَناول لِحْية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلِّمه ؛ قال : والمغيرة بنُ شُعْبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ؛ قال : فجعلَ يقْرع يدَه إذا تناول لِحْية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفف يدَك عن وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ أن لاتصلَ إليك ؛ قال : فيقولُ عروة : ويحك ! ما أفظّك وأغلظك ! قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له عُروة : مَن هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المُغيرة ابن شُعْبة ؛ قال : أى غُدَر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءتك إلا بالأمس ؟

— قال ابن هشام : أراد عُروة بقوله هذا أن المُغيرة بن شُعبة قبل إسلامه قتل

(١) والد : أى كل واحد منكم كالوالد : وقيل أى أنكم حى قد ولدنى لأنه كان لسبيعة بنت عبد شمس .

(٢) آسيتكم : عاونتكم .

(٣) الأوشاب : الأخلاط .

(٤) بيضة الرجل : أهله وقبيلته .

(٥) تفضها : تكسرها .

ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيّان من ثقيف : بنو مالك رهط المَقتولين ، والأحلاف رَهْط المُغيرة ، فودَى عُروة المَقتولين ثلاثَ عَشرة ديَةً ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق: قال الزهرى : فكلَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنَحْوٍ مما كلَّم به أصحابه ، وأخْبره أنه لم يأتِ يُريد حَرْبا .

فقام من عند رسول‌الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابُه ، لايتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يَبْصق بُصاقا إلا ابتدروه . ولا يَسْقط من شَعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قُريش ، فقال: يامعشر قُريش، إنى قد جئتُ كِسْرى فى مُلكه ، وقيصر فى مُلكه . والنَّجاشيَّ فى مُلكه . وإنى والله ما رأيت مَلِكا فى قوم قطّ مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قوما لايُسْلمونه لشيء أبدا ، فرَوْا رأيكم .

(خراش رسول الرسول إلى قريش) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أُميَّة الخُزاعى ، فبَعثه إلى قُرَيْش بمكة ، وحَمَله على بعير له يقال له الثَّعلب ، ليبلِّغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعَقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتْله ، فمَنَعَتْه الأحابيش ، فخلَّوا سبيله ، حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

(النفر القرشيون الذين أرسلتهم قريش للعدوان ثم عفا عنهم الرسول) :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ من لاأتّهم عن عِكْرِمة مولى ابن عبَّاس عن ابن عبَّاس : أن قُرَيْشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يُطيفوا بعَسْكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحدًا ، فأُخذوا أخذا ، فأُتِى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعَفا عنهم ، وخلَّى سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْل .

(عثمان رسول محمد إلى قريش) :

ثم دعا عمرَ بن الخطّاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى ، وليس بمكة من بنى عدىّ بن كَعْب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قُرَيش عداوتى إياها ، وغلْظتى عليها ، ولكنى أدلُّك على رجل أعزّ بها منى ، عثمانَ بن عفّانَ . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفّان ، فبعَثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش ، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظّما لحُرْمته .

(إشاعة مقتل عثمان) :

قال ابن إسحاق : فخرج عثمانُ إلى مكة ، فلَقيه أبانُ بن سَعيد بن العاص حين دخَل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلّغ رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سُفيان وعُظماء قريش ، فبلّغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تَطُوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتَبسْته قُرَيْش عندها ، فبلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أنّ عثمان بن عفّان قد قُتل .

بيعة الرضوان

(مبايعة الرسول الناس على الحرب وتخلف الجد) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدالله بن أبى بكر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل : لا نَبْرح حتى نُناجز القوم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيْعة الرّضْوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايَعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المَوْت ، وكان جابرُ بن عبد الله يقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمْ يُبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لانفرّ .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجَدّ بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته : قد ضَبَأ [١] إليها ، يَسْتتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الذى ذُكر من أمر عثمان باطل .

(أول من بايع) :

قال ابن هشام : فذكرَ وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشَّعبىّ : أن أوّل منْ بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الرّضوان أبو سِنان [٢] الأسدى .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه باسْناد له ، عن ابن أبى مُلَيْكة عن ابن أبى عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضَرب باحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة

(إرسال قريش سهيلا إلى الرسول للصلح) :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثتْ قُريش سُهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر ابن لُؤَىّ ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائْت محمداً فصالحْه ، ولا يكن فى صُلْحه إلا أن يرجعَ عنَّا عامه هذا ، فوالله لاتحدّث العربُ عنَّا أنه دَخلَها علينا عَنْوَةً أبدا . فأتاه سُهيل بن عمرو ؛ فلما رآهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلَّم فأطال الكلامَ ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

(عمر ينكر على الرسول الصلح) :

فلما التأم الأمر ولم يَبْقَ إلا الكتابُ ، وثَب عمر بن الخطّاب ، فأتى أبا بكر ،

---

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

(٢) اختلف فى اسم أبى سنان هذا ، فقيل : وهب بن عبد الله ، وقيل : عبد الله بن وهب ، وقيل عامر ؛ وقيل بل اسمه وهب بن محصن بن حرثان ، أخو عكاشة بن محصن ، وهذا الرأى الأخير أصح الآراء . وكانت وفاته فى سنة خمس من الهجرة وهو ابن أربعين سنة . (راجع الاستيعاب) .

فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نُعطى الدّنيّة [١] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : ياعمر ، الزم غَرْزه [٢] ، فانى أشهد أنه رسولُ الله ؛ قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله ؛ ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى ؛ قال : أو لَسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو لَيسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نُعْطَى الدَّنيَّة فى ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أُخالف أمرَه ، ولن يُضيّعَنى ! قال : فكان عُمر يقول : ما زِلت أتصدّق وأصوم وأصلى وأُعتق ، مِن الذى صنعتُ يومئذٍ ! مخافةَ كلامى الذى تكلّمت به ، حتى رجوتُ أن يكون خيرًا .

(على يكتب شروط الصلح) :

قال : ثم دَعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتبْ : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ قال : فقال سُهَيل : لاأعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللّهمّ ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهمّ ، فكتبها ؛ ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهَيل بن عمرو ؛ قال : فقال سُهيل : لوشهدت أنّك رسول الله لم أُقاتلك ، ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهَيل بن عمرو ، اصطلحا على وَضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأْمن فيهنّ الناسُ ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدًا من قُرَيش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ؛ ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة [٣] ، وأنه لاإسلال ولا إغلال [٤] ، وأنه من

---

(١) الدنية : الذل والأمر الخسيس .
(٢) الزم غرزه : أى الزم أمره . والغرز للرحل : بمنزلة الركاب للسرج .
(٣) أى صدور منطوية على ما فيها ، لاتبدى عداوة ، وضرب العيبة مثلا .
(٤) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

أحبّ أن يدخل فى عقْد محمد وعَهْده دَخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل فى عقْد قُرَيش وعهدهم دخل فيه :

(دخول خزاعة فى عهد محمد وبنى بكر فى عهد قريش) :

فتواثبت خُزاعة فقالوا : نحن فى عقْد محمد وعَهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عَقْد قُريش وعَهْدهم ، وأنَّك ترجع عنَّا عامَك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرَجنا عنك فدَخلْتها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السُّيوف فى القُرُب ، لاتدْخلها بغيرها .

(ما أهم الناس من الصلح ومجىء أبى جندل) :

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتابَ هو وسُهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جَنْدل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشُكُّونَ فى الفَتْح ، لرُؤْيا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوْا ما رأوْا من الصُّلح والرُّجوع ، وما تحمل عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم، حتى كادوا يهلكون ؛ فلما رأى سُهيل أباجَنْدل قام إليه فضَرَب وَجْهه ، وأخذ بتلبيبه ؛ ثم قال: يامحمد ، قد َلجَّت [1] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال : صدقتَ ، فجعل ينتره [2] بتلبيبه ، ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جَنْدل يَصْرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأرَدّ إلى المشركين يَفْتنونى فى دينى؟ فزاد ذلك النَّاسَ إلى ما بهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جَنْدل ؛ اصبر واحتَسِبْ ، فان الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المُسْتضعفين فرَجا ومَخْرجا ، إنَّا قَد عَقدنا بيننا وبين القوم صُلحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنَّا لانَغْدِر بهم ؛ قال : فوثب عمر بن الخطّاب مع أبى جندل يَمْشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فانما هم المشركون ، وإنما دَمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُدْنى قائم السَّيف منه . قال : يقول عمر :

---

(١) لجت القضية : تمت .

(٢) ينتره : يجذبه جذبا شديدا .

رجوتُ أن يأخذ السَّيفَ فيضرب به أباه ؛ قال : فضنّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضيَّة .

(من شهدوا على الصلح) :

فلما فرغ (رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسَعد بن أبى وقَّاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكْرَز بن حَفْص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلىّ بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

(نحر الرسول وحلق فاقتدى به الناس) :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا فى الحِلّ [1] ، وكان يُصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصُّلح قدم إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحَلَق رأسه ، وكان الذى حَلقه ، فيما بلغنى ، فى ذلك اليوم خِراش بن أُميَّة بن الفضل الخزاعىّ ؛ فلما رأى الناسُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحَلَق تواثبوا يَنْحَرون ويَحْلِقون .

(دعوة الرسول للمحلقين ثم للمقصرين) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مُجاهد ، عن ابن عبَّاس ، قال : حلق رجالٌ يوم الحُدَيبية ، وقَصَّر آخرون . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَرْحم الله المحلِّقين ، قالوا : والمُقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلِّقين ؛ قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلِّقين ؛ قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصِّرين ؛ فقالوا : يا رسول الله : فلم ظاهرت [2] الترحيم للمحلِّقين دون المقصِّرين ؟ قال : لم يشكُّوا .

---

(١) مضطربا فى الحل : أى أن أبنيته كانت مضروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم ، وهذا لقرب الحديبية من الحرم .

(٢) ظاهرت الترحيم : أى قويته وأكدته بتكريرك إياه ؛ والمظاهرة : القوة والمعاونة .

(أهدى الرسول جملا فيه برة من فضة) :

وقال عبدالله بن أبى نَجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهْدى عام الحُدَيبية فى هَداياه جملا لأبى جَهْل ، فى رأسه بُرَةٌ [1] من فضَّة ، يغيظ بذلك المشْركين :

(نزول سورة الفتح) :

قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : « إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَما تَأخَّرَ ، ويُتِمّ نِعْمَتَه عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيَكَ صِرَاطا مُسْتَقِيما » :

(ذكر البيعة) :

ثم كانت القصَّة فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيْعة ، فقال جلّ ثناؤه : « إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ ، فَسَيُؤْتِيهِ أجرًا عَظِيما » :

(ذكر من تخلف) :

ثم ذكر من تخلَّف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزّهم للخروج معه فأبطئوا عليه : « سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونا » . ثم القصَّة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : « سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إذا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغانِمَ لِتأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلوا كَلامَ اللهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ » ... ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عَن عطاء بن أبى رباح ،

---

(١) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل ويرتاض ، فإن كانت من شعر فهى خزامه ، وإن كانت من خشب فهى خشاش .

عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى أنه قال : أولو البأس الشديد حنيفةُ مع الكذّاب .

ثم قال تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وأثابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبا . وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها ، وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيما . وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذهِ ، وكفَّ أيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِراطا مُسْتَقِيما . وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أحاطَ اللهُ بِها ، وكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا » .

(ذكر كف الرسول عن القتال) :

ثم ذكر محبسه وكَفَّهُ إياه عن القتال ، بعدَ الظفر منه بهم ، يعنى النَّفر الذين أصاب منهم وكفَّهم عنه ، ثم قال تعالى : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وكانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » . ثم قال تعالى : « هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ والهَدْيَ مَعْكُوفا أنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وكأنَّ السُّموط عكَّفه السِّلْـــك بعِطْفَى جَيْداء أُمِّ غَزَالِ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : « وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بغيرِ عِلْمٍ » ؛ والمعرّة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم (معرّة) بغير علم فتخرجوا ديته ، فإما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد بن الوليد

---

(١) السموط : جمع سمط ، وهو ما يعلق من القلادة على الصدر . والسلك : الخيط الذى ينظم فيه . والجيداء : الطويلة الجيد .

ابن المُغيرة ، وَسَلَمة بن هشام ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جَنْدل بن سُهيل » وأشباههم :

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : « إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فى قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ ، حَمِيَّةَ الجاهلِيَّةِ » يعنى سهيل بن عمرو حين حَمِى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : « فأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِينَ ، وألْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » ، وكانوا أحقّ بها وأهلها : أى التوحيد ، شهادة أن لاإله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : « لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِين لاتخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا » : أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنا لايخاف ؛ يقول : محلّقين رءوسكم ، ومقصِّرين معه لاتخافون ، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ، صلح الحديبية .

يقول الزهرى: فما فُتح فى الإسلام فتح قبلَه كان أعظَم منه ، إنما كان القتال حيث التَقى الناس ؛ فلما كانت الهُدنة ، ووُضعت الحرب ، وآمن الناس بعضُهم بعضا ، والتقوا نتفاوضوا فى الحديث والمُنازعة ، فلم يكلَّم أحد بالإسلام يَعْقل شيئا إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تَيْنك السَّنتين مثلُ مَنْ كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزُّهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحُدَيبية فى ألف وأربع مئة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

ما جرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

(مجىء أبى بصير إلى المدينة وطلب قريش له) :

قال ابن إسحاق : فلمَّا قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آتاه أبو بَصير عُتْبة [١] بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزْهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة ، والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثَّقفى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لُؤَىّ ، ومعه مولى لهم ، فقَدِما على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبابصير إنا قد أعطينا هؤلاء القومَ ما قد علمتَ ، ولا يصلحُ لنا فى ديننا الغدرُ ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعَفين فرجا ومخرجا ، فانْطَلِق إلى قومك ؛ قال : يا رسول الله ، أتردّنى إلى المشركين يَفْتنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلِق ، فانّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُسْتَضْعفين فرجا ومخْرجا .

(قتل أبى بصير العامرى ومقالة الرسول فى ذلك) :

فانطلَق معهما ، حتى إذا كان بذى الحُلَيفة [٢] ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بَصير : أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظرُ ، إن شئت . قال : فاستلّه أبو بَصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعا ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قَتَل صاحبُكم صاحبى . فوالله ما بَرِح حتى طلَع أبو بَصير متوشّحا بالسَّيف ، حتى وقف على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا رسول الله ، وَفَتْ ذِمَّتك ، وأدّى الله عنك ، أسلَمْتنى بيد القوم وقد امتنعتُ بدينى أن أُفتن

(١) وقيل عبيد : (راجع الاستيعاب) .

(٢) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال ، أو سبعة . ومنها ميقات أهل المدينة .

نيه ، أو يُعْبَث [١] بى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل امه مَحش [٢] حرب لو كان معه رجال !

(اجتماع المحتبسين إلى أبى بصير وإيذاؤهم قريشا وإيواء الرسول لهم) :

ثم خرج أبو بَصير حتى نزل العِيصَ ، من ناحية ذى المَرْوة ، على ساحل البحر ، بطريق قُرَيش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المُسْلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : « وَيْلُ امه مِحَش حَرب لو كان معه رجال ! » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعِيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيَّقوا على قُرَيش ، لايظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تَمرُّ بهم عِيرٌ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قُرَيش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم . فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : أبو بصير ثَقَفىّ .

(أراد سهيل ودى أبى بصير وشعر موهب فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سُهَيل بن عمرو قتلُ أبى بَصير صاحبَهم العامرىّ ، أسند ظهرَه إلى الكعبة ، ثم قال : والله لاأؤخر ظَهْرى عن الكَعْبة حتى يُودَى هذا الرجل ؛ فقال أبوسفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السَّفه ، والله لايُودَى (ثلاثا) . فقال فى ذلك مَوْهَب بن رياح أبو أُنَيس ، حليف بنى زُهرة :

ــ قال ابن هشام : أبو أُنَيس أشعرىّ ــ

أتانِى عَنْ سُهَيْلٍ ذَرْءُ قَوْلٍ [٣] ... فأيقظنى وما بِىَ مِنْ رُقادِ
فانْ تَكُنِ العِتابَ تُرِيدُ مِنِّى ... فعاتِبْنِى فمَا بِكَ مِن بِعادى

---

(١) فى م ، ر : « يبعث » وهو تحريف .

(٢) محش حرب : موقد حرب ومهيجها ؛ يقال : حششت النار ، وارثتها ، وأذكيتها ، وأثقبتها ، وسعرتها ، بمعنى واحد . وفى الصحيح : « ويل امه مسعر حرب » .

(٣) كذا فى شرح السيرة . وفى الأصول : «ذرو» . قال أبو ذر : «ذرء قول ، أى طرف قوله ، وهو مهموز ، ويروى : ذرو قول ، بالواو . والصواب الهمز » .

أتُوعدنى وعبدَ مَنافَ حَوْلى ... بِمَخزوم أَلْهفَا مَنْ تُعادى[1]
فانْ تَغْمِز قَنَاتى لا تجِدْنى ... ضَعيف العُود فى الكُرَب الشِّداد
أُسامِى الأكْرَمِين أبًا بقَوْمى ... إذا وَطِئَ الضَّعيفُ بهم أُرادى[2]
همُ مَنَعوا الظَّواهرَ غيرَ شَكٍّ ... إلى حيثُ البَواطِنُ فالعَوادى[3]
بكُلِّ طِمِرَّة وبكُلِّ نَهْد ... سَوَاهِمَ قَدْ طُوِين من الطِّراد[4]
لهم بالخَيْف قد عَلِمَتْ مَعدّ ... رِوَاق المَجْدِ رُفِّع بالعِماد[5]

(شعر ابن الزبعرى فى الرد على موهب):

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى، فقال:

وأمْسَى مَوْهَب كحِمار سَوْء ... أجازَ ببَلْدةٍ فيها يُنادِى
فانّ العبدَ مِثلك لا يُناوِى ... سُهَيلاً ضَلَّ سَعْيُكَ من تُعادى[6]
فأقْصِر يابنَ قَيْن السُّوء عنه ... وعَدِّ عَن المَقالة فى البِلاد[7]
ولا تذكُر عِتاب أبى يزيدٍ ... فهَيْهات البُحور من الثِّماد[8]

أمر المهاجرات بعد الهدنة

(هجرة أم كلثوم إلى الرسول وإباؤه ردها):

(قال ابن إسحاق)[9]: وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كُلْثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط فى تلك المدة، فخرج أخَوَاها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة،

---

(١) أتوعدنى: أتهددنى.

(٢) أسامى: أعالى. وأرادى: أرامى؛ يقال: راديته، إذا راميته.

(٣) الظواهر: ما علا من مكة. والبواطن: ما انخفض منها. والعوادى: جوانب الأودية.

(٤) الطمرة: الفرس الوثابة السريعة. والنهد: الغليظ. وسواهم: عوابس متغيرة. وطوين: ضمفن وضمرن.

(٥) الخيف: موضع بمنى. والرواق: ضرب من الأخبية.

(٦) لايناوى: لايعادى، وترك همزه لضرورة الشعر.

(٧) القين: الحداد.

(٨) الثماد: الماء القليل.

(٩) زيادة عن ا.

حتى قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردّها عليهما بالعَهْد الذى بينه وبَين قُريش فى الحُديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك :

(سؤال ابن هنيدة لعروة عن آية المهاجرات ورده عليه) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزُّهرى ، عن عُروة بن الزُّبير ، قال : دخلتُ عليه وهو يَكْتب كتابا إلى ابن أبى هنيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : « يأيُّها الَّذين آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ ، اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنَّ ، فانْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ ، لاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا ، وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

— قال ابن هشام : واحدة العِصم : عِصْمة ، وهى الحبل والسَّبب : قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إلى المَرْءِ قَيْسٍ نُطِيلُ السُّرَى ونأخذ من كُلِّ حَىٍّ عِصَمْ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ ، وَلْيَسْئَلُوا ما أنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

(عود إلى جواب عروة) :

قال : فكتب إليه عُروة بن الزُّبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قُرَيْشا يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم مَنْ جاء بغير إذن وليّه ؛ فلما هاجر النساءُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أَبَى اللهُ أنْ يُرْدَدْنَ إلى المُشْركين إذا هنّ امتُحِنّ بِمِحْنة الإسلام ، فعرَفوا أنهنّ إنما جِئْن رغبة فى الإسلام ، وأمرَ بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن احتَبَسن عنهم ، إن هم ردّوا على المسلمين صداقَ مَن حُبِسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وردّ الرجال ، وسأل الذى

أمره الله به أن يسأل من صدُقات نساء من حبَسوا منهن ، وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما ردّ الرجال ،ولولا الهُدنة والعَهْد الذى كان بينه وبين قُريش يوم الحُديبية لأمسك النساء، ولم يردُدْ لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمَنْ جاءه من المسلمات قبل العهد .

(سؤال ابن إسحاق الزهرى عن آية المهاجرات) :

قال ابن إسحاق : وسألت الزُهْرى عن هذه الآية ، وقول الله عزّ وجلّ فيها : « وإنْ فاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا ، واتَّقُوا اللهَ الَّذِى أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ » فقال : يقول : إن فات أحدًا منكم أهلُه إلى الكفّار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوهم من فَىْء إن أصبتموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : « يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ » . . . إلى قول الله عزّ وجلّ : « ولَا تُمْسِكُوا بعِصَمِ الكَوَافِرِ » ، كان ممن طلّق عمرُ بن الخطّاب ، طلّق امرأته قُريبة بنت أبى أُميَّة بن المُغيرة ، فتزوّجها بعده مُعاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأمّ كلثوم بنت جرْوَل أمّ عبيد الله بن عمر الخُزاعيَّة ، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شرْكهما .

(بشرى فتح مكة وتعجل بعض المسلمين) :

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ بعضَ منْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنا ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم مِنْ عامى هذا؟قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام .[1]

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الخامس عشر من أجزاء السيرة .

ذكر المسير إلى خيبر

فى المحرم سنة سبع

(الخروج إلى خيبر):

قال محمد بن إسحاق [١]: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحُدَيبية، ذا الحجة وبعضَ المحرّم، ووَلِى تلك الحِجّة المشركون، ثم خرج فى بقيّة المحرّم إلى خَيبر.

(استعمال نميلة على المدينة):

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نُمَيْلة بن عبد الله اللَّيْثى، ودفع الراية إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه؛ وكانت بيضاء.

(ارتجاز ابن الأكوع ودعاء الرسول له واستشهاده):

قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دُهْر الأسلمى أنّ أباه حدّثه: أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مسيره إلى خَيبر لعامر بن الأكوع، وهو عمّ سَلَمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع سِنان: انزل يابن الأكوع، فخُذ لنا من هَناتك [٢]، قال: فنزلَ يرتجز برسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

والله لولا اللهُ ما اهتَدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

إنَّا إذا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنا ... وإن أرادوا فِتْنة أبَيْنا

---

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال». وإذا عرفنا أن الجزء السادس عشر من أجزاء السيرة يبدأ بالكلام فى هذه الغزوة لم ننكر على أكثر الأصول هذه الزيادة التى تستفتح بها كل جزء.

(٢) هناتك، أى أخبارك وأمورك وأشعارك؛ وهى جمع هنة، ويكنى بها عن كل شىء لاتعرف اسمه، أو تعرفه فتكنى عنه. وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحدو بهم، والإبل تستحث بالحداء، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز.

فأنزلَنْ سَكِينةً علَيْنا[١] وثبِّتِ الأقْدام إنْ لاقينا[٢]

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطَّاب : وَجبتْ والله يارسول الله ، لو أمْتَعْتنا به ! فقُتِل يوم خَيبر شهيدا ، وكان قَتْله ، فيما بلغنى ، أنّ سيفه رَجع عليه وهو يُقاتل ، فكَلمه كلْما شديدًا ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكُّوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحُه ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيدٌ ، وصلَّى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

(دعاء الرسول لما أشرف على خيبر) :

قال ابن إسحاق : حدثنى من لاأتّهم ، عن عَطاء بن أبى مَرْوان الأسلمى ، عن أبيه ، عن أبى مُعتِّب بن عمرو : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خَيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قِفُوا ، ثم قال : اللهمّ ربّ السموات وما أظْللْن وربَّ الأرضين وما أقللْن ، وربَّ الشَّياطين وما أضللْن ، وربَّ الرِّياح وما أذْرين فإنَّا نسألك خيرَ هذه القَرْية وخيرَ أهلها وخيرَ مافيها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ مافيها ، أقدِموا بسم الله . قال : وكان يقولُها عليه السلام لكلّ قَرْية دَخَلَها .

(فرار أهل خيبر لما رأوا الرسول) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتّهم عن أنَس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزَا قوما لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبح ، فان سَمِع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا أغار . فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يَسْمع أذانا ، فركب ورَكِبْنا معه ، فركبتُ خلف أبى طلحة ، وإن قَدَمى لتمسّ قَدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبَلنا عُمَّال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحِيهم ومَكاتِلهم[٣] ، فلما رأوا رسول الله

---

(١) السكينة : الوقار والتثبت .

(٢) ذكر الزرقانى هذا الرجز وهو يختلف عما هنا فى ألفاظه ويزيد عليه .

(٣) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد . والمكاتل : جمع مكتل ، وهى قفة كبيرة .

صلى الله عليه وسلم والجيشَ ، قالوا : محمد والخَميس[1] معه ! فأدْبروا هُرَّابا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خَربت خيبر ، إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المُنذَرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حُميد ، عن أنس بمثله .

(منازل الرسول فى طريقه إلى خيبر) :

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خَيْبر سلك على عِصْر[2] ، فبنى له فيها مَسجدٌ ، ثم على الصَّهباء[3] ، ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجَيْشه ، حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غَطَفَان ، ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظاهِرِين على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

(غطفان ومحاولتهم معونة خيبر ثم انخذالهم) :

فبلغنى أنّ غَطفان لمَّا سَمِعت بمَنْزِل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر جمَعوا له ، ثم خرجوا ليُظاهِروا[4] يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلةً[5] سمعوا خلْفهم فى أموالهم وأهْليهم حسًّا ، ظَنّوا أن القَوم قد خالفوا إليهم ، فرَجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلَّوا بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

(افتتاح رسول الله الحصون) :

وتدنَّى[6] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حِصْنا حِصْنا ، فكان أوّل حُصونهم افتُتح حِصْن ناعم ، وعنده قُتل محمود بنَ مَسْلمة ،

---

(١) الخميس : الجيش .

(٢) عصر (بالكسر ، ويروى بالتحريك ، والأول أشهر وأكثر) : جبل بين المدينة ووادى الفرع . (عن معجم البلدان) .

(٣) الصهباء : موضع بينه وبين خيبر روحة . (راجع معجم البلدان) .

(٤) ليظاهروا : ليعاونوا .

(٥) منقلة : مرحلة .

(٦) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

أُلقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القَموص ، حِصْن بنى أبى الحُقيق ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم سَبَايا ، منهن صَفيَّة بنتُ حيىّ بن أخْطب ، وكانت عندَ كنانة بن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق ، وبِنْتَى عَمّ لها ؛ فاصطفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفيَّة لنفسه .

وكان دِحْية بن خَليفة الكَلْبى قد سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَفية ، فلما أصفاها لنفْسه أعطاه ابنتَىْ عمِّها ، وفَشَت السَّبايا من خَيْبر فى المُسلمين .

(نهى الرسول يوم خيبر عن أشياء) :

وأكل المُسلمون لحُوم الحُمر الأهليَّة من حُمرها ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنَهى الناسَ عن أُمور سمَّاها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن عمرو بن ضمْرة الفَزارى عن عبد الله بن أبى سَليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نَهْىُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكْل لحُوم الحُمر الإنسيَّة ، والقُدور تفُور بها ، فكفأْناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من السَّبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كلّ ذى ناب من السباع ، وعن بيْع المغانم حتى تُقْسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلاَّم بن كِرْكِرة ، عن عَمْرو بن دينار ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارى ، ولم يشْهَد جابر خَيْبر : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين نَهَى الناس عن أكل لُحوم الحُمر ، أذِن لهم فى أكل لحوم الخَيْل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تُجيب ، عن حنش الصَّنعانى ، قال : غزونا مع رُوَيْفع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتحَ قرية من قُرى المغرب يقال لها جِربة [١] ، فقام فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إنى لاأقول فيكم إلا ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لايحلّ لامرئ يؤْمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقىَ ماؤه زرعَ غيره ، يعنى إتيانَ الحبالى من السَّبايا ، ولا يحلّ لامرئ

---

(١) جربة (بالكسر) : جزيرة بالمغرب من ناحية قابس . (عن معجم البلدان) .

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السَّبى حتى يستبرئها ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَبيع مَغنْما حتى يقسم ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابَّة مِنْ فَىْء المسلمين حتى إذا أعْجَفَها [١] ردّها فيه ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَلْبس ثوبا من فَىْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبدالله بن قُسَيط ، أنه حدَّث عن عُبادة ابن الصامت ، قال : نهانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبر عن أن نَبيع أو نَبْتاع تِبر الذّهب بالذّهب العين ، وتبر الفضَّة بالوَرِق العين ؛ وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالوَرِق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَتدَنَّى الحُصون والأموال .

(شأن بنى سهم الأسلميين) :

فحدثنى عبدُ الله بن أبى بَكْر أنه حدّثه بعضُ أسْلم : أن بنى سَهْم من أسْلم أتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء ؛ فلم يَجِدوا عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم شيئا يُعطيهم إياه ؛ فقال : اللهمّ إنك قد عرَفت حالَهم وأن ليْست بهم قوّة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعْظم حُصونها عنهم غناء ، وأكثرها طَعاما ووَدَكا ، فغدا الناسُ ، ففتح الله عزّ وجلّ حِصْنَ الصَّعْب بن مُعاذ ، وما بخَيبر حِصْن كان أكثر طَعاما ووَدَكا منه .

(مقتل مرحب اليهودى) :

قال ابن إسحاق : ولمَّا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حُصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ماحاز ، انتهوا إلى حِصْنيهم الوَطِيح والسُّلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

---

(١) أعجفها : هزلها وأضعفها .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يا منصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن سَهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرْحب اليهوديّ من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد علِمتْ خيْبرُ أنّى مَرْحَبْ ... شاكى السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبْ[1]

أطْعُنُ أحْيانا وحِينا أضْرِبْ ... إذا الليُوث أقْبلَتْ تحَرَّبْ[2]

إن حِماى للحِمى لا يُقرب[3]

وهو يقول : من يُبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علِمَت خيْبر أنّى كَعْبُ ... مُفَرِّجُ الغَمَّى جرِىءٌ صَلْبُ[4]

إذْ شبَّت الحربُ تلَتْها الحربُ ... معى حُسام كالعقيق عَضْبُ[5]

نَطؤُكم حتى يَذِلّ الصَّعْب ... نُعْطِى الجَزاءَ أو يفِىءَ النَّهبُ

بكفّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

قد علِمَتْ خيْبرُ أنّى كَعْبُ ... وأنّنِى متى تُشَبُّ الحَرْبُ

ماضٍ على الهَوْل جرِىءٌ صُلْب ... معى حُسام كالعقيق عَضْبُ

بكفّ ماضٍ ليْس فيهِ عتْبُ ... ندكُّكم حتى يَذِلّ الصَّعْبُ

قال ابن هشام : ومَرْحب من حِمْير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سَهْل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مَسْلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله المَوتور الثائر ، قُتل أخى بالأمس ؛ فقال : فقم إليه ،

---

(١) شاكى السلاح : حاد السلاح .

(٢) تحرب : أى مغضبة .

(٣) زادت (ا) بعد هذا الشطر :

يحجم عن صولتى المجرب

(٤) الغمى : الكرب والشدة .

(٥) شبت الحرب : أثيرت . والعقيق : شعاع البرق ، شبه السيف به .

اللهم أعِنْهُ عليه . قال : فلما دنا أحدُهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمْرية[١] من شجر العُشَر[٢] ، فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه ، كلّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كلّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرّجل القائم ، ما فيها فَنَن ، ثم حمل مَرْحبٌ على محمد بن مَسْلمة ، فضربه ، فاتّقاه بالدّرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمسكته ، وضربه محمدُ بن مَسْلمة حتى قتله .

(مقتل ياسر أخي مرحب) :

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرْحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز . فزعم هشام بنُ عروة أن الزّبير بن العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفيّة بنت عبد المطلب : يقتل ابني يارسول الله ! قال : بل ابنُك يقتله إن شاء الله . فخرج الزّبير فالتقيا ، فقتله الزّبير .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بنُ عروة : أن الزّبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارمًا عَضْبا ، قال : والله ما كان صارما ، ولكني أكرهتُه .

(شأن علي يوم خيبر) :

قال ابن إسحاق : وحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه برايته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خَيْبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فَتْحٌ ، وقد جهد ؛ ثم بعث الغد عمرَ بن الخطّاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطينّ الرّايةَ غدًا رجلا يحبّ الله ورسولَه ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل في عينه ، ثم قال : خُذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

---

(١) عمرية . قديمة .

(٢) العشر : شجر أملس مستو ضعيف العود .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأْنح [١] ، يُهرول هَرْولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركَز رايته فى رضْم [٢] من حجارة تحت الحصْن ، فاطّلع إليه يهودى من رأس الحصْن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب . قال : يقول اليهودى : علَوتم ، وما أُنزل على موسى ، أوكما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يدَيه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛ فلما دنا من الحصْن خرج إليه أهله فقاتَلهم ، فضَربه رجلٌ من يهود ، فطاح تُرْسُه من يده ، فتناول علىّ عليه السلام بابا كان عند الحصْن فترّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نَفَر سبعة معى ، أنا ثامنهم ، نَجْهد على أن نَقْلب ذلك الباب ، فما نقلبه :

(أمر أبى اليسر كعب بن عمرو) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بن سفيان الأسلمى ، عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليَسر كَعْب بن عمرو ، قال : والله إنّا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيبر ذات عشيّة ، إذ أقبلت غَنم لرجل من يَهود تريد حِصْنَهم ، ونحن محاصروهم فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَن رجلٌ يُطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليَسر : فقلت : أنا يارسول الله ؛ قال : فافعل ؛ قال : فخرجت أشتدّ مثل الظَّليم [٣] ، فلما نظَر إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مولّيا قال : اللهمّ أمْتِعنا به ؛ قال : فأدركتُ الغنم وقد دخلت أُولاها الحصْن ، فأخذت شاتين من أُخْراها ، فاحتضنتهما تحت يدىّ ، ثم أقبلت بهما أشتدّ ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما

---

(١) يأنح : أى به نفس شديد من الإعياء فى العدو . قال السهيلى : « هو من الأنيح ، وهو علو النفس » .

(٢) الرضم : الحجارة المجتمعة .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوها فأكلوها ، فكان أبو اليَسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أُمتِعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هُلْكا .

(أمر صفية أم المؤمنين) :

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَموص ، حصن بنى أبى الحُقَيق ، أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفيَّة بنة حُيَىّ بن أخْطب ، وبأخرى معها ، فمرّ بهما بلال ، وهو الذى جاء بهما على قتْلى من قتْلى يهود ؛ فلما رأتهم التى مع صفيَّة صاحت ، وصكَّت وجهها وحثَت التراب على رأسها ؛ فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أعْزِبوا [1] عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفيَّة فحيزَت خلفه ، وألقَى عليها رداءَه ؛ فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهوديَّة ما رأى : أنزعتْ منك الرحمة يا بلال ، حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفيَّة قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، أن قمرًا وقَع فى حجرها ؛ فعرضت رؤياها على زوْجها ؛ فقال : ما هذا إلا أنك تمنَّين ملك الحجاز محمدًا ، فلطَم وجهها لطمةً خضَّر عينها منها . فأُتى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

بقية أمر خيبر

(عقوبة كنانة بن الربيع) :

وأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكِنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنْز بنى النَّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخَرِبة كلّ غداة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكِنانة :

---

(١) أعزبوا : أبعدوا .

أرأيت إن وجدناه عندك ، أ أقتلك ؟ قال : نعم ؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحُفِرت ، فأخرج منها بعض كَنْزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يُؤَدّيه ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الزّبيرَ بن العوّام ، فقال : عذّبه حتى تَستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزَنْدٍ فى صَدره ،حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسْلمة ، فضرب عُنقه بأخيه محمود بن مَسْلمة .

(مصالحة الرسول أهل خيبر) :

وحاصر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أهلَ خيبر فى حِصْنيهم الوَطِيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهَلَكة ، سألوه أن يُسَيِّرَهم[1] وأن يحقِن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشَّق ونَطاةَ والكَتيبة وجميع حصونهم ، إلا ماكان من ذَيْنك الحصْنين . فلما سَمِع بهم أهلُ فَدَك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسَيِّرهم ، وأن يَحْقِنَ دماءهم ، ويخلُّوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مَشَى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك مُحيِّصة بن مَسْعود ، أخو بنى حارثة ، فلما نزل أهلُ خَيْبر على ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعاملهم فى الأموال على النِّصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على النِّصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فَدك على مثل ذلك ، فكانت خَيْبر فَيْئا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يَجْلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

(أمر الشاة المسمومة) :

فلما اطمأنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينبُ بنت الحارث ، امرأة سلاَّم بن مِشْكم ، شاةً مَصْلِيّةً[2] ، وقد سألتْ أىَّ عُضْو من الشاة أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذّراع ؛ فأكثرت فيها من السمّ ،

(١) يسيرهم : يجليهم .
(٢) مصلية : مشوية .

ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ؛ فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تناول الذّراع ، فلاك منها مُضْغة ، فلم يُسِغها ، ومعه بِشْر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلَفَظها ، ثم قال : إن هذا العَظْم ليُخبرنى أنه مَسْموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ؛ فقال : ماحملك على ذلك ؟ قال : بلغتَ من قَوْمى ما لم يَخْف عليك ، فقلت : إن كان مَلِكا استرحتُ منه ، وإن كان نبيًّا[1] فسيُخْبَرُ ، قال : فتجاوزَ عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بِشْر من أكْلَته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مَرْوان بن عثمان بن أبى سَعيد بن المُعَلَّى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أم بِشْر بنت البَراء بن مَعْرور تَعوده : يا أمّ بشر، إن هذا الأوان وجدتُ فيه انقطاع أبهرى[2] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخَيبر . قال : فان كان المسلمون لَيُرَوْن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

(رجوع الرسول إلى المدينة) :

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر انصرف إلى وادى القُرى ، فحاصَر أهلَه ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

(مقتل غلام رفاعة الذى أهداه للرسول) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مُطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خَيبر إلى وادى القُرى نزلنا بها أصيلا مع مَغْرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له[3] ، أهداه له رِفاعة بن زيد الجذامىّ ، ثم الضُّبَيْنىّ[4] .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . وهما أبهران يخرجان من القلب ، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين . (راجع لسان العرب مادة بهر) .

(٣) اسم هذا الغلام : مدعم ، (راجع الاستيعاب) .

(٤) كذا فى المشتبه والاستيعاب ، فى إحدى روايتيهما ؛ وفى الرواية الأخرى : « الضبيبى » —

قال ابن هشام : جُذام ، أخو لخم ؛

قال : فوالله إنه ليضع رَحْل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ آتاه سَهْم غَرْب [١] فأصابه فقتله ؛ فقلنا : هنيئا له الجنةُ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إنّ شملته [٢] الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غَلَّها [٣] من فىْء المسلمين يوم خَيْبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شِراكَيْن لِنَعلين لى ؛ قال : فقال : يُقدّ [٤] لك مثلهما من النار .

(ابن مغفل وجراب شحم أصابه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُغَفَّل المُزنى ، قال : أصبت من فَىْء خَيبر جرابَ [٥] شَحْم ، فاحتملته على عاتقى إلى رَحْلى وأصحابى . قال : فلقينى صاحبُ المَغانم الذى جُعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هَلُمّ هذا نقسمه بين المسلمين ؛ قال : قلت : لا والله لا أُعطيكه ؛ قال : فجعل يُجابذنى الجراب . قال : فرآنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن نَصْنع ذلك . قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المَغانم : لاأبا لك ، خلّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحْلى وأصحابى ، فأكَلْناه .

(بناء الرسول بصفية وحراسة أبى أيوب للقبة) :

قال ابن إسحاق : ولما أعْرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفيَّة ، بخَيْبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جَمَّلتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومَشَّطَتها

وفى ا : « الضبيبى » . وفى سائر الأصول : « الضبى » . قال الذهبى : « وبمعجمة ثم موحدة الضبينى نسبة إلى ضبينة بطن من جذام منهم رفاعة بن زيد الضبينى . وقال بعض المحدثين الضبيبى من الضبيب ابن جذام ، له صحبة وعرض له ابن عبد البر بما لا يخرج عن هذا » .

(١) سهم غرب : هو الذى لا يعلم من رماه أو من أين أتاه .

(٢) قال أبو ذر : الشملة : كساء غليظ يلتحف به .

(٣) غلها : اختانها من المغنم .

(٤) يقد : يقطع (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٥) الجراب : المزود .

وأصلحت من أمرها [١] أمّ سُلَيم [٢] بنت مِلْحان ، أمّ أنس بن مالك. فبات بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قُبّة له ، وبات أبو أيُّوب خالد بن زيد ، أخو بنى النّجّار متوشّحًا سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُطيف بالقُبّة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفْتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكُفر ، فخِفتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهمّ احفظ أبا أيوب كما بات يحفَظنى .

(تطوع بلال للحراسة وغلبة النوم عليه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُهرى ، عن سعيد بن المُسيّب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفَجر لعلّنا ننام ؟ قال بِلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلى ، فصلى ماشاء الله عزّ وجلّ أن يصلى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفَجْرَ يَرمُقه ، فغَلَبَتْه عينه ، فنام ، فلم يُوقظهم إلاّ مَسّ الشمس ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولَ أصحابه هَبّ ، فقال : ما ذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ؛ قال : صدقت ؛ ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره [٣] غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس ؛ فلما سلّم أقبل على الناس فقال : « إذا نَسيتم الصلاة فصلُّوها إذا ذَكَرْتموها ، فان الله تبارك وتعالى يقول : « أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرى » .

(شعر ابن لقيم فى فتح خيبر) :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى

---

(١) فى ا : « شأنها » .

(٢) اختلف فى اسمها ، فقيل سهلة ، ورميلة ، ورميثة ، ومليكة ، والغيصاء ، والرميصاء . (راجع الاستيعاب) .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

ابن لُقَيم العَبسىّ ، حين افتتح خَيْبر ، ما بها من دَجاجة أو داجن [١] ، وكان فَتح خَيبر فى صَفر ، فقال ابنُ لقيم العَبْسى [٢] فى خَيبر :

رُميتْ نَطاة من الرّسول بفَيْلَق ... شَهْباءَ ذات مَناكب وفَقار [٣]

واستَيْقنت بالذّلّ لما شُيِّعَتْ ... ورجال أسْلَم وسْطها وغفار [٤]

صَبحتْ بنى عمرو بن زُرْعة غُدوةً ... والشَّقُّ أظْلَم أهلُه بنَهار [٥]

جرّتْ بأبطَحها [٦] الذيول [٧] فلم تدع ... إلا الدَّجاج تَصيح فى الأسْحار [٨]

ولكلّ حِصْن شاغل من خَيْلهم ... من عَبْد أشهَلَ أو بنى النَّجّار [٩]

ومُهاجرينَ قدَ اعلَمُوا سيماهُمُ ... فوقَ المَغافر لم يَنُوا لفِرار [١٠]

ولقد علِمتْ ليَغْلبنّ محمّد ... وليَثْوِينّ بها إلى أصْفار [١١]

فرّت [١٢] يهودٌ يوم ذلك فى الوَغَى ... تحت العَجاج غَمائمَ [١٣] الأبْصار

---

(١) الداجن : كل ما ألف الناس فى بيوتهم ، كالشاة التى تعلف والحمام .

(٢) قال أبو ذر : « كان ابن لقيم العبسى يعرف بلقيم الدجاج » .

(٣) نطاة : حصن بخيبر ؛ وقيل عين بها . والفيلق : الكتيبة . والشهباء : الكثيرة السلاح تلمع فيها السيوف والأسنة وذات مناكب وفقار : أى شديدة .

(٤) شيعت : فرقت . وأسلم وغفار : قبيلتان .

(٥) الشق (بالفتح وبالكسر) : من حصون خيبر . ويريد « بإظلام أهله » : ما أصابهم من شدة وسوء حال .

(٦) الأبطح : المكان السهل .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « الذيول » .

(٨) فى ا : « بالأشجار » .

(٩) عبد أشهل وبنو النجار : من الأنصار .

(١٠) المغافر : ما يكون على الرأس وقاية لها فى الحرب ؛ الواحد : مغفر .

(١١) ليثوين : ليقيمن . وأصفار : جمع صفر ، وهو الشهر المعروف .

(١٢) الوغى : الحرب . والعجاج : الغبار .

(١٣) كذا فى أكثر الأصول . قال أبو ذر : « الغمائم ، بالغين المعجمة ، جفون العين . قال ابن سراج : ويصح أن تكون عمائم ، بالعين المهملة : جمع عمامة ، وتكون الأنصار بالنون » . وبهذه الرواية وردت فى ا . وقال السهيلى : « وهو بيت مشكل ، غير أن فى بعض النسخ ، وهى قليلة ، عن ابن هشام ، أنه قال : فرت : فتحت ، من قولك : فرت الدابة ، إذا فتحت فاها ، وغمائم الأبصار ، هى مفعول فرت ؛ وهى جفون أعينهم هذا قول . وقد يصح أن يكون فرت من الفرار ؛ وغمائم الأبصار ، من صفة العجاج =

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : فَرّت : كشفت ، كما تُفرّ الدّابة بالكشف عن أسنانها ؛ يريد كشفت عن جُفون العُيون غمائم الأبصار ، يريد الأنصار[1] .

(شهود النساء خيبر وحديث المرأة الغفارية) :

قال ابن إسحاق : وشهد خَيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نِساء من نساء المسلمين ، فَرَضَخ لهنّ[2] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الفَيء ، ولم يضرب لهنّ بسهْم :

قال ابن إسحاق : حدثني سليمان بن سُحَيم ، عن أُميّة بن أبي الصلت ، عن امرأة من بني غِفار ، قد سمّاها لى ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نِسْوة من بني غِفار ، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خَيْبر ، فنُداوى الجَرْحى ، ونُعين المسلمين بما استَطعنا ؛ فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حَدَثة ، فأرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَقيبةِ رَحْله . قالت : فوالله لنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبح وأناخ ، ونزلت عن حَقيبة رَحْله ، وإذا بها دَمٌ منى ، وكانت أوّلَ حَيْضة حِضْتها ، قالت : فتقبّضت إلى الناقة واستحيَيت ؛ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نُفِست[3] ؛ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خُذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه مِلْحا ، ثم اغْسلى به ما أصاب الحَقيبة من الدم ، ثم عودى لمَرْكبك :

قالت : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَيبر ، رضَخ لنا من الفَيء ،

= وهو الغبار ونصبه على الحال من العجاج وإن كان لفظه لفظ المعرفة فهو نكرة ، لأنه لم يرد الغمائم حقيقة ، وإنما أراد مثل الغمائم ؛ فهو مثل قول امرئ القيس : « بمنجرد قيد الأوابد هيكل » .

(١) كذا وردت هذه العبارة فى أكثر الأصول . وهى فى ا كما يأتى : « قال ابن هشام فرت ، يريد كشفت الجفون عن العين ، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها » .

(٢) رضخ لهن : أعطاهن عطاء يسيرا ، لم يصل إلى نصيب السهم .

(٣) نفست : حضت .

وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها ، وعلّقها بيده فى عنقى ، فوالله لاتفارقنى أبدا .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها . قالت : وكانت لاتطهّر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحا ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

(شهداء خيبر من بنى أمية) :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سخبرة [1] بن عمرو بن بكير [2] بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وثقيف بن عمرو ، ورفاعة ابن مسروح .

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسد بن عبد العزّى : عبد الله بن الهبيب ، ويقال : ابن الهبيب ، فيما قال ابن هشام ، ابن أهيب بن سحيم بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

(من الأنصار) :

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة التى سمّ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وفضيل بن النعمان . رجلان .

(من زريق) :

ومن بنى زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق .

(من الأوس) :

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدىّ بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

---

(١) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « صخيرة » .

(٢) كذا فى الاستيعاب . وفى الأصول : « لكيز » .

(من بنى عمرو) :

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح[1] بن ثابت بن النُّعمان بن أميَّة بن[2] امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ؛ والحارث بن حاطب ؛ وعروة بن مُرَّة ابن سُراقة ؛ وأوس بن القائد ؛ وأنيف بن حبيب ؛ وثابت بن أثلة ؛ وطلحة[3] .

(من غفار) :

ومن بنى غِفار : عُمارة بن عُقبة ، رمى بسهم .

(من أسلم) :

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ؛ والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خَيبر .

(من بنى زهرة) :

وممن استُشهد بخَيبر فيما ذكر ابن شهاب الزُّهرىّ ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارَة .

(من الأنصار) :

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قَتادة .

أمر الأسود الراعى فى حديث خيبر

(إسلامه واستشهاده) :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى ، فيما بلغنى : أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حُصون خيبر ، ومعه غَنَم له ، كان فيها أجيرًا لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض علىّ الإسلام ، فعَرَضه عليه ، فأسلم — وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْقِر أحدًا أن يَدْعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه — فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيرا لصاحب

(١) فى الطبرى : «أبو ضياح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية بن البرك» .

(٢) اسمه النعمان ؛ وقيل عمير . (راجع الاستيعاب) .

(٣) هو طلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة . (راجع شرح السيرة) .

هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وُجوهها ، فإنها ستَرْجع إلى ربها — أو كما قال — فقال الأسود ، فأخذ حَفْنة من الحصى [١] ، فرَمى بها فى وُجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لاأصحبكِ أبدًا ، فخرجت مجتمعة ، كأنّ سائقا يسوقها ، حتى دخلت الحِصْن ، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قطّ ؛ فأُتى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضع خلفه ، وسُجِّى بشَمْلَة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يارسول الله ، لِمَ أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زَوْجتَيه من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نَجيح أنه ذُكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلّت (له) [٢] زَوْجتاه من الحُور العين ، عليه تَنْفُضان التّراب عن وجهه ، وتقولان : تَرّب الله وجهَ من ترّبك ، وقتلَ مَنْ قتلك .

أمر الحجاج بن علاط السلمى

(حيلته فى جمع ماله من مكة) :

قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجّاجُ بن عِلاط السُّلمى ثم البَهْزى ، فقال : يا رسول الله ، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أمّ شَيْبة بنت أبى طلحة — وكانت عنده ، له منها مُعْرض بن الحجاج — ومالٌ متفرّق فى تجّار أهل مكة ، فأْذن لى يارسول الله ؛ فأذن له ، قال : إنه لابدّ لى يارسول الله من أن أقول ؛ قال : قل . قال الحجّاج : فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بثَنيّة البيضاء [٣] رجالا من قريش يتسمّعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قَرْية الحجاز ، رِيفا ومَنَعة ورجالا ، فهم يتحسّسون الأخبار ، ويسألون

---

(١) فى ا : « الحصباء » .

(٢) زيادة عن (ا) .

(٣) قال ياقوت : « والبيضاء : ثنية التنعيم بمكة ، لها ذكر فى كتاب السيرة » .

الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن عِلاط – قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى عنده والله الخبر – أخْبِرنا يا أبا محمد ، فانه قد بلغنا أنّ القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ؛ قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسرّكم ؛ قال : فالتَبطوا بجنبىْ ناقتى [١] يقولون : إيهِ ياحجاج ؛ قال : قلت : هُزِم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قطّ ، وقُتِل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأسر محمد أسرًا ، وقالوا : لانقتله حتى نَبْعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظْهرهم بمَنْ كان أصاب من رِجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم ، فيُقتل بين أظْهُرِكم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكّة وعلى غُرمائى ، فانى أريد أن أقْدم خيبر ، فأصيب من فَلّ [٢] محمد وأصحابه قبل أن يَسْبقنى التجّار إلى ماهنالك :

قال ابن هشام : ويقال : من فىء محمد .

(العباس يستوثق من خبر الحجاج ويفاجئ قريشا) :

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحثّ [٣] جَمْع سمعت به . قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عِندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخَيْبر ، فأُصيبَ من فُرص البيع قبل أن يسبقنى التجّار ؛ قال : فلما سمع العباس ابن عبد المطّلب الخبَر ، وجاءَه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جَنْبى وأنا فى خيمة من خِيام التجار ، فقال : يا حجّاج ، ماهذا الخبر [٤] الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حِفْظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم ، قال : قلت : فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فانى فى جَمْع مالى كما ترى ، فانصرفْ عنى حتى أفرُغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروجَ ، لقيت العباسَ ، فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل ، فانى أخشى الطلب ثلاثا ، ثم قل ماشئت ،

---

(١) التبطوا بجنب ناقتى : مشوا إلى جنبها ملازمين لها ، مطيفين بها ، كشى المرجان ، لازدحامهم حولها .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

(٣) كأحث : كأسرع .

(٤) هذه الكلمة « الخبر » ساقطة فى ا .

قال : أفعل ؛ قلت : فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بِنْت مَلِكهم ـ يعنى صفيَّة بنت حُيَىّ ، ولقد افتتَح خَيْبر ، وانتثل[1] ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ؛ فقال : ماتقول يا حجَّاج ؟ قال : قلت : إى والله ، فاكتم عنى ، ولقد أسلمتُ وماجئت إلا لآخذ مالى ، فرَقا من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرك ، فهو والله على ماتحبّ ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لَبس العباس حلة له ، وتخلَّق[2] ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلُّد لحرّ المصيبة ؛ قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خَيبر وتُرك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحتْ له ولأصحابه ؛ قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مُسْلما ، فأخذ مالَه ، فانطلق ليَلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ؛ قالوا : ياللعباد الله ! انفلت عدوّ الله ؛ أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال : ولم يَنْشَبوا[3] أن جاءهم الخبر بذلك .

(شعر حسان فى يوم خيبر) :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسَّان بن ثابت :

بِئْسَما قاتَلَتْ خَيَابر عَمَّا جَمَعُوا من مَزارع ونخيل[4]
كَرِهُوا المَوْتَ فاستُبيحَ حِماهُم وأقَرّوا فِعْلَ اللَّئيم الذَّليل
أمِنَ المَوْتِ يَهْرَبُونَ فإنَّ الْـ ـموت مَوْت الهُزَال غيرُ جميل

(شعر حسان فى عذر أيمن لتخلفه عن خيبر) :

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا ، وهو يعذر أيمَن بن أمّ أيمن بن عُبيد ، وكان قد تخلَّف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أمّ أسامة بن زيد ، فكان أخا أُسامة لأمه :

---

(١) انتثل : استخرج .

(٢) تخلق : تطيب بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب .

(٣) لم ينشبوا : لم يلبثوا غير قليل .

(٤) خيابر : جمع خيبر ، ويريد أهل خيبر .

على حِينَ أن قالتْ لأيمنَ أُمُّهُ جَبُنْتَ ولم تَشْهَد فوارسَ خَيْبَرِ
وأيْمَنُ لم يجْبُن ولكنَّ مُهْرَه أضرَّ به شُرْبُ المَديدِ المُخمَّرِ [١]
ولولا الذى قد كان من شأن مُهْرِه لَقاتل فيهم فارسا غير أعسر [٢]
ولكنَّه قد صدَّه فعل مُهره وما كان منه عندَه غير أيْسَر [٣]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك ، وأنشدنى :

ولكنَّه قد صَدَّهُ شأنُ مُهْرِه وما كانَ لولا ذاكمُ بمُقَصِّرِ

(شعر ناجية فى يوم خيبر) :

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جُنْدب الأسلمىّ :

يا لِعِبادِ للهِ فِيمَ يُرْغَبُ ما هُوَ إلا مَأكلٌ ومَشْرَبُ
وجَنَّةٌ فيها نَعِيمٌ مُعْجِبُ

وقال ناجية بن جُنْدَب الأسْلَمىّ أيضا :

أنا لِمَنْ أنْكَرَنِى ابْنُ جُنْدَبِ يا رُبَّ قِرْنٍ فِى مَكَرِّى أنْكَبِ [٤]
طاحَ بمَغْدَى أنْسُرٍ وثَعْلَبِ [٥]

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله : « فى مَكَرِّى » ، و« طاح بمَغْدَى » .

(شعر كعب فى يوم خيبر) :

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

---

(١) المديد (بدالين) ، قال أبو ذر « هو الدقيق يخلط مع الماء ، فتشربه الخيل . والمخمر : الذى ترك حتى يختمر » . قال السهيلى : « ألفيت فى حاشية الشيخ عن ابن دريد : المريد ، براء ، والمريس أيضا ، وهو تمر ينقع ثم يمرس » .

(٢) الأعسر : الذى يعمل بالشمال ، ولا يعمل باليمين .

(٣) صده : منعه . والأيسر ، قال أبو ذر : هو « الفرس المصنوع المنظور إليه » ، أى الذى يعنى به صاحبه ، ويحسن القيام عليه .

(٤) القرن : الذى يقاوم فى قتال أو شدة . والمكر : الموضع الذى تكر فيه الخيل فى الحرب . والأنكب المائل إلى جهة .

(٥) طاح : ذهب وهلك . ومغدى : بالدال ، من الغدو ، أو بالذال ، المعجمة من الغذاء . وأنسر : جمع نسر ، وهو الطائر المعروف ؛ وكان من حقه أن يقول وثعالب ، فوضع الواحد موضع الجمع .

ونحن وَرَدْنا خَيْـبَرًا وفُرُوضَهُ بكلِّ فَتًى عارِى الأشاجِع مِذْوَدِ[١]
جَوادٍ لدى الغايات لا وَاهِنِ القُوَى جَرِئٍ على الأعداء فى كلِّ مَشْهَدِ[٢]
عظيم رَمادِ القِدْرِ فى كلِّ شَتْوَةٍ ضَرُوبٍ بنصلِ المَشْرَفِىِّ المُهَنَّدِ[٣]
يَرَى القَتْلَ مَدْحا إنْ أصابَ شَهادةً مِنَ اللهِ يَرْجُوها وَفَوْزًا بأحمَدِ
يَذُودُ ويحمى عَن ذِمارِ محمدٍ ويدفَعُ عنـه باللِّسان وباليدِ[٤]
وينصُره مِن كلِّ أمْرٍ يَرِيبـه يجُود بنَفْس دونَ نَفْسِ محمَّدِ
يصـدِّق بالأنباء بالغيب مُخْلِصا يريد بذاك الفوزَ والعزَّ فى غـدِ

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

(الشق ونطاة والكتيبة):

قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر، على الشِّقِّ ونطاةَ والكَتيبةَ فكانت الشِّقُّ ونَطاةُ فى سُهْمان المسلمين، وكانت الكَتيبةَ خُمْسَ الله، وسهمَ النبىِّ صلى الله عليه وسلم، وسهم ذوى القُرْبَى واليتامى والمساكين، وطُعْمَ أزواج النبىِّ صلى الله عليه وسلم، وطُعْمَ رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فَدَكَ بالصلح؛ منهم مُحيِّصة بن مَسْعود، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وَسْقًا[٥] من شعير، وثلاثين وَسْقًا من تمر، وقُسمت خيبرُ على أهل الحُدَيبية، مَن شهد خيبر، ومَن غاب عنها، ولم يَغِب عنها إلا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام؛ فقَسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كَسَهْم مَنْ حضرها، وكان واديها، وادى السُّرَيْرة، ووادى خاص[٦]، وهما اللذان قُسِمت عليهما خيبر، وكانت نَطاة والشِّقُّ ثمانية عشر سهما، نَطاة من ذلك خمسة أسهم،

(١) الفروض: المواضع التى يشرب منها من الأنهار. والأشاجع: عروق ظاهر الكف. ومذود: مانع.

(٢) الواهن: الضعيف.

(٣) المشرفى: السيف. والمهند: المصنوع فى الهند.

(٤) يذود: يمنع ويدفع. والذمار: ما تجب حمايته.

(٥) الوسق (بالفتح ويكسر): ستون صاعا، أو حمل بعير.

(٦) كذا فى الأصول ومعجم البلدان، وذهب السهيلى إلى أنه تحريف وصوابه «خلص».

والشَّقِّ ثلاثةَ عَشَرَ سهما ، وقُسِمت الشَّقُّ ونَطاةُ على ألف سهم ، وثمان مِئَة سهم .

(عدة من قسمت عليهم خيبر) :

وكانت عِدَّةُ الذين قُسِمت عليهم خَيْبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمان مِئة سهم ، برجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فارس ؛ فكان لكلّ فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكلّ راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جُمِع إليه مئة رجل ،فكانت ثمانية عشر سهما جُمع .

قال ابن هشام : وفى يوم خَيبر عَرَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربىّ من الخيل ، وهَجَّن الهجين .

(قسمة الأسهم على أربابها) :

قال ابن إسحاق : فكان علىّ بن أبى طالب رأسا ، والزُّبير بن العوّام ، وطلحةُ ابنُ عبيد الله وعُمر بن الخطَّاب ، وعبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عَدىّ ، أخو بنى العَجْلان ، وأُسَيْدُ بن حُضَير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عُبيد[1] ، وسهم بنى حَرام من بنى سَلمة ، وعُبَيْد السِّهام.

قال ابن هشام: وإنما قيل له عُبَيْد السّهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عُبَيْدُ بن أوْس ، أحدُ بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوْس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ،وسهم غِفار وأسْلَم ،وسهم النّجار وسهم حارثة ، وسهم أوْس . فكان أوّل سهم خرَج من خَيْبر بنَطاةَ سهم الزُّبير بن العوّام ، وهو الخَوْع[2] ، وتابعه السُّرَيْر ؛ ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج . ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف

---

(١) فى م ، ر : « عبيدة » .

(٢) الخوع : موضع قرب خيبر .

ابن الخَزْرج ومُزَينة وشُركائهم ، وفيه قُتِل محمود بن مَسْلمة ؛ فهذه نَطاة .

ثم هبطوا إلى الشَّق ، فكان أوّل سهم خرج منه سهم عاصم بن عَدِى ، أخى بنى العَجْلان ، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن ابن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجّار ، ثم سهم علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طَلْحة بن عُبيد الله ، ثم سهم غِفار وأسْلَم، ثم سهم عمر بن الخطّاب ، ثم سهما سَلَمة بن عُبَيْد وبنى حَرام، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيْد السّهام ، ثم سهم أوْس ، وهو سهم [1] اللفيف ، جمعت إليه جُهَينْة ومن حَضر خيبر من سائر العرب ؛ وكان حَذْوهُ [2] سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدىّ .

ثم قسَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكَتِيبة ، وهى وادى خاص [3] ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مئتى وَسْق ، ولعلىّ بن أبى طالب مئة وَسْق ، ولأُسامة ابن زيد مئتى وَسْق ، وخمسين وسقا من نوًى ، ولعائشة أمّ المؤمنين مئتى وَسْق ، ولأبى بكر بن أبى قُحافة مئة وَسْق ، ولعَقيل بن أبى طالب مئة وَسْق وأربعين وَسْقا ، ولبنى جعفر خمسين وَسْقا ، ولربيعة بن الحارث مئة وَسْق ، وللصَّلْت بن مَخْرَمة وابنيه مئة وَسْق ، للصَّلْت منها أربعون وَسْقا ، ولابى نَبِقة [4] خمسين وَسقا، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وَسْقا، ولقَيْس بن مَخْرَمة ثلاثين وَسْقا ، ولأبى القاسم ابن مَخْرَمة أربعين وَسْقا ، ولبنات عُبَيْدة بن الحارث وابنة الحُصَين بن الحارث مئة وَسْق ، ولبنى عُبيد [5] بن عبد يزيد ستين وَسْقا ، ولابن أوْس بن مَخْرمة ثلاثين وَسْقا . ولِمِسْطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وَسْقا ، ولأُمّ رمَيْثة

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ثم سهم . . . الخ » .

(٢) حذوه : بازائه .

(٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٤٦ .

(٤) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقيل غير ذلك . ومن ولده أبو الحسين المطلبى ، وكان إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (راجع الروض) .

(٥) فى م ، ر : « عبيدة » .

أربعين وَسْقا ، ولنُعَيْم بن هند ثلاثين وَسْقا ، ولبَحَيْنة بنت الحارث ثلاثين وَسْقا ، ولعُجَيْر بن عبد يزيدَ ثلاثين وَسْقا ، ولأمّ حَكيم [1] (بنت الزّبير بن عبد المطّلب [2]) ثلاثين وَسْقا ، ولجُمانة بنت أبي طالب ثلاثين وَسْقا ، ولابن [3] الأرقم خمسين وَسْقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وَسْقا ، ولحمْنَة بنت جَحْش ثلاثين وَسْقا ، ولأُمّ الزبير أربعين وَسْقا ، ولضُباعة بنت الزُّبير أربعين وَسْقا ، ولابن أبي خُنَيْس ثلاثين وَسْقا ، ولأمّ طالب أربعين وَسْقا ، ولأبي بصْرة [4] عشرين وَسْقا ، ولنُمَيْلة الكَلْبي خمسين وَسْقا ، ولعبد الله بن وَهْب وابنتيه تسعين وَسْقا ، لابنيه منها أربعين وَسْقا ، ولأمّ حبيب بنت جَحْش ثلاثين وَسْقا ، ولمَلْكُو بن عَبْدَة ثلاثين وَسْقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعُ مئة وَسْق .

قال ابن هشام [5] : قمحٌ وشعير وتمر ونَوًى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطّلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

(عهد الرسول إلى نسائه بنصيبهن في المغانم) :

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خَيْبر [6] :
قسم [7] لهنّ مئة وسْق وثمانين وَسْقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) كذا في الروض . وفي الأصول : « أم الحكم » . قال السهيلي : « . . . والمعروف فيها أنها أم حكيم ، وكانت تحت ربيعة بن الحارث . وأما أم حكم فهي بنت أبي سفيان ، وهي من مسلمة الفتح ، ولولا ذلك لقلت إن ابن إسحاق إياها أراد ، لكنها لم تشهد خيبر ، ولا كانت أسلمت بعد » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) في ا : « ولأم الأرقم » .

(٤) في م ، ر : « ولأبي نضرة » وهو تصحيف .

(٥) هذه العبارة المروية عن ابن هشام ساقطة في ا .

(٦) في م ، ر : « فتح خيبر » .

(٧) زادت م ، رقبل هذا هذه العبارة : « قسمه على قدر حاجاتهم ، فكانت الحاجة في بني عبد المطلب خاصة ، فلذلك أعطاهم أكثر » . وهي تكرار لما سبق .

خمسة وثمانين وَسْقا ، ولأُسامة بن زيد أربعين وَسْقا ، وللمِقْداد بن الأسود خمسة عشر وَسْقا ، ولأمّ رُمَيْثَة [١] خمسة أوْسُق .

شهد عثمانُ بن عَفّان وعباسٌ وكتب .

(ما أوصى به الرسول عند موته) :

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كَيْسان ، عن ابن شهاب الزُّهْرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يُوص رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث [٢] ، أوصى للرَّهاويين [٣] بجادّ مئة وَسْق من خيبرَ ، وللداريين [٤] بجادّ مئة وَسْق [٥] من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجادّ مئة وَسْق من خيبر ؛ وأوصى بتَنْفيذ [٦] بعث أُسامة بن زيد بن حارثة ؛ وألاّ يُتْرك بجزيرة العرب دينان .

أمر فدك فى خبر خيبر

(مصالحة الرسول أهل فدك) :

قال ابن إسحاق : فلما فرَغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبرَ قذف الله الرُّعْب فى قلوب أهل فَدَك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فَدَك ، فقدمت عليه رُسُلُهم بخيبر ، أو بالطائف [٧] ، أو بعد ما قَدِم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فَدَك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجَف [٨] عليها بخيل ولا ركاب

(١) قال السهيلى : « . . . ولا تعرف إلا بهذا الخبر وشهودها فتح خيبر » .

(٢) فى م ، ر : « بست » .

(٣) الرهاويون : نسبة إلى رهاوة (بالضم وبالفتح) : قبيلة باليمن . قال أبو ذر : « ويقال فيها رهاء ، وهو الأصح » .

(٤) الداريون : نسبة إلى الدار بن هانىء ، وسيأتى ذكرهم بعد خبر فدك .

(٥) بجاد مئة وسق : أى ما يجد منه مئة وسق ، أى يقطع .

(٦) فى ا : « بتنفيل » .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بالطريق » .

(٨) لم يوجف : لم يجتمع .

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

(نسبهم) :

وهم بنو الدار بن هانئ بن حَبيب بن نُمارةَ بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس ونُعَيْم بن أوْس أخوه ، ويزيد ابن قَيْس ، وعرفة بن مالك ، سماه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن.

_ قال ابن هشام : ويقال : عزّة بن مالك : وأخوه مُرّان[١] بن مالك .

قال ابن هشام : مَرْوان بن مالك :

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نُعْمان ، وجَبَلة بن مالك ، وأبو هِنْد بن بَرّ ، وأخوه الطيِّب بن بَرّ ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

(خرص ابن رواحة ثم جبار على أهل خيبر) :

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رَواحَة خارصا[٢] بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ، فاذا قالوا : تعدّيت علينا ؛ قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السمواتُ والأرض .

وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رَواحَة عاما واحدًا ، ثم أصيب بمُؤْتة يرحمه الله ، فكان جبَّار بن صخر بن أُمية بن خَنْساء ، أخو بني سَلمة ، هو الذي يخْرُص عليهم بعد عبد الله بن رَواحة .

(مقتل ابن سهل ودية الرسول إلى أهله) :

فأقامت يهود على ذلك . لايرى بهم المسلمون بأسا فى معاملتهم ، حتى عدَوْا فى عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سَهل ، أخي بني حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

---

(١) فى م ، ر : « مروان » .

(٢) الخارص : الذى يحزر ما على النخل والكرم من ثمر ، وهو من الخرص أى الظن ، لأنه تقدير بظن .

قال ابن إسحاق : فحدثني الزّهريّ عن سهل بن أبي حَثْمة ؛ وحدثني أيضا بُشَير بن يَسار ، مولى بني حارثة ، عن سهل بن أبي حَثْمَة ، قال : أُصيب عبد الله بن سهل بخَيبر ، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار [١] منها تمرًا ، فوُجِد في عَين قد كُسِرَتْ عنُقه ، ثم طُرح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيّبوه ، ثم قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم إليه أخوه عبدُ الرحمن ابن سهل ، ومعه ابنا عمّه حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًّا ، وكان صاحبَ الدم ، وكان ذا قَدم في القوم ، فلما تكلّم قبل ابني عمّه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكُبْرَ الكُبْرَ [٢] .

قال ابن هشام : ويقال : كَبِّرْ كَبِّرْ – فيما ذكر مالك بن أنس – فسكت ؛ فتكلّم حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلَ صاحبهم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أتُسَمُّون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنُسْلِمه إليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لانعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يمينا ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يَبرءون من دمه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، مافيهم من الكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه [٣] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده مئة ناقة .

قال سهل [٤] : فوالله ما أنسى بَكْرَةً منها حمراء ضربتني وأنا أحُوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ [٥] ، عن عبد الرحمن ابن بُجَيْد بن قَيْظِيّ ، أخي بني حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وايم الله ، ما كان سَهْل بأكثر علما منه ، ولكنّه كان أسنّ منه ؛ إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوْهَمَ ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احلفوا على

---

(١) يمتار التمر : يجلبه .

(٢) الكبر الكبر ، أي قدموا الأكبر للكلام ، إرشادا إلى الأدب في تقديم الأسن . (راجع النهاية لابن الأثير) .

(٣) وداه : أعطاهم ديته .

(٤) كذا في الأصول وسهل بن أبي حثمة راو للخبر . وأما صاحب الدية فهو عبد الرحمن بن سهل .

(٥) في م ، ر : « التميمي » . وهو تحريف .

مالا علم لكم به ، ولكنه كتب إلى يهود خيبرَ حين كلَّمته الأنصار : إنه قد وُجِدَ قتيل بين أبياتكم فَدُوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ماقتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ؛ فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجيد ، إلا أنه قال في حديثه : دُوهُ أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ؛ فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

(إجلاء اليهود عن خيبر أيام عمر) :

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهريّ : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبرَ نخلَهم ، حين أعطاهم النخل على خرْجها ، أبَتّ ذلك لهم حتى قُبِض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابنُ شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوَةً بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عزّ وجلّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خمسها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقسّمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارُها بيننا وبينكم ، وأُقِرُّكُمْ ما أقرّكُمُ الله ، فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رَوَاحة ، فيقسم ثَمَرَها ، ويعدِل عليهم في الخَرْص ، فلما توفّى الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، أقرّها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المُعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تُوفى ؛ ثم أقرّها عمر رضى الله عنه صدرا من إمارته . ثم بلغ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وَجَعه الذي قبضه الله فيه : لا يَجْتمعنّ بجزيرة العرب دينان ؛ ففحص عُمَرُ ذلك ، حتى بلغه الثَّبْتُ ، فأرسل إلى يهودَ ، فقال : إن الله عزّ وجلّ قد أذن في جلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يَجْتَمِعَنّ بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به ، أُنْفِذْه

له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجْلَى عُمَرُ من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم.

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزُّبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قَدِمْنا تفرّقنا فى أموالنا ، قال : فعُدِىَ علىَّ تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففُدِعَتْ[1] يدَاىَ من مِرْفَقَىَّ ، فلما أصبحت استصرِخَ علىّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صَنَع هذا بك ؟ فقلت : لاأدرى ؛ قال : فأصلَحا من يدَىَّ ، ثم قَدِما بى على عمر رضى الله عنه ؛ فقال : هذا عمل يهودَ ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامَل يهودَ خيبر على أنا نخرجُهم إذا شئنا ، وقد عَدَوا على عبد الله بن عمر ، ففَدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم[2] على الأنصارىّ قبله ، لانشكّ أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم ، فمن كان له مال بخَيبر فليلحق به ، فانى مُخرج يهودَ ، فأخرجهم .

(قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مَكْنَف ، أخى بنى حارثة ، قال : لمَّا أخرج عمرُ يهودَ من خيبرَ ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبَّار بن صخر بن أميَّة بن خنساء ، أخو بنى سَلَمة ، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسبَهم — ويزيدَ بن ثابت ، وهما قَسَما خَيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السُّهْمان ، التى كانت عليها .

وكان ما قَسَمَ عمر بن الخطَّاب من وادى القُرَى ، لعثمانَ بن عفَّان خَطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن عوف خَطَرٌ ، ولعمرَ بن أبى سَلَمة خَطَرٌ ، ولعامر بن أبى ربيعة خَطَرٌ ، ولعمرو بن سُراقة خَطَرٌ ، ولأُشَيم خَطَر ؛

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خَطَر ، ولمُعَيْقيب خَطَر ، ولعبد الله بن الأرقم خَطَرٌ ، ولعبد الله وعُبَيْد الله خَطَرَان ، ولابن عبد الله

(١) فدعت يداه : أى أزيلت مفاصلها عن أماكنها . (النهاية لابن الأثير) .

(٢) فى ا : « عدوتهم » .

ابن جَحْش خَطَرَ ، ولابن البُكَيْر خَطَرٌ ، ولمُعْتمر خَطَرَ [١] ، ولزيد بن ثابت خَطَرَ ، ولأُبيّ بن كَعْب خَطَرَ ، ولمُعاذ بن عَفْراء خَطَرَ ، ولأبى طلحة وحَسَن خَطَرَ ، ولجبَّار بن صخْر خَطَرَ ، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خَطَرَ ، ولمالك بن صَعْصَعَة وجابر بن عبد الله بن عَمْرو خَطَرَ ، ولابن حُضَيْر خَطَرَ ، ولابن سَعْد بن مُعاذ خَطَرَ ، ولسَلامة بن سَلامة خَطَرَ ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خَطَرَ ، ولأبى عَبْس بن جَبر خَطَرَ ، ولمحمَّد بن مَسلمة خَطَرَ ، ولعبادة بن طارق خَطَرَ .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجَبْر بن عَتيك نِصْفُ خَطَرَ ، ولابنى الحارث بن قَيس نصف خَطَرَ ، ولابن حَزَمَة والضحاك خَطَرَ ، فهذا ما بلغنا من أمر خَيبر ووادى القُرَى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخَطَرَ : النَّصيب . يقال : أخْطَرَ لى فلان خَطَرًا .

* ذكر قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

وحديث المهاجرين إلى الحبشة

(فرح الرسول بقدوم جعفر) :

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيَيْنة عن الأجْلح ، عن الشَّعْبي : أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ فتح خَيْبر ، فقبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عَيْنيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أُسَرُّ : بفتح خَيْبر ، أم بقدوم جعفر ؟

(مهاجرة الحبشة الذين قدم بهم عمرو بن أمية) :

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرَو بن أُميّة الضَّمْري ، فحملهم في سفينتين ، فقَدِم بهم عليه وهو بخَيْبر بعد الحُديبية .

(من بني هاشم) :

من بني هاشم بن عبد مَناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المُطّلب ، معه امرأته أسْماء بنت عُمَيس الخَثْعمية ؛ وابنه عبد الله بن جَعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قُتل جعفر بمُؤتة من أرض الشام أميرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل .

(من بني عبد شمس) :

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سَعيد بن العاص بن أُمَيّة بن عبد شَمس ، معه امرأته أُمينة بنت خلف بن أسْعد — قال ابن هشام : ويقال : هُمينة بنت خلف — وابناه سعيد بن خالد ، وأمه بنت خالد ، ولدتهما بأرض

* — من هنا يبتدئ الجزء الرابع من تقسيمنا لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جرينا عليه في الطبعة الأولى .

الحبشة . قُتل خالد بمَرْج الصفَّر[١] فى خلافة أبى بكر الصدّيق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ؛ معه امرأته فاطمة بنت صَفْوان بن أُميَّة بن محرّث الكنانى ؛ هلكت بأرض الحبشة . قُتل عمرو بأجْنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

(شعر سعيد بن العاص لابنه عمرو) :

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سَعيد بن العاص بن أُميّة أبو أُحَيحة :

ألا ليتَ شعْرى عنك يا عمرو سائلا ... إذا شَبَّ واشتدّت يَداه وسُلّحا[٢]

أتترُك أمْرَ القَوْمِ فيـــه بَلابل ... تكشّف غيظا كان فى الصَّدر مُوجَحا[٣]

(شعر أبان بن العاص لأخويه خالد وسعيد ، وردّ خالد) :

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سَعيد بن العاص ، حين أسْلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيْبة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

ألا لَيْتَ مَيْتا بالظُّرَيْبَــةِ شاهدُ ... لما يفْــتَرِى[٤] فى الدّين عَمْرو وخالدُ

أطاعا بِنا أمْرَ النِّساء فأصْــبَحا ... يُعِينان مِنْ أعْــدائنا مَن نُكايِد[٥]

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخى ما أخى لا شاتمٌ أنا عِرْضَــه ... ولا هو من سُـــوء المَقالة مُقْصِرُ

يقولُ إذا اشتدّت[٦] عليــه أُمورُه ... ألا لَيْتَ مَيْتا بالظُّرَيْبة يُنْشَر

فدَعْ عَنْكَ مَيْتا قد مَضَى لسبيلِه ... وأقْبِل على الأدنى الذى هوَ أفْقَر

ومُعَيْقِيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المُسلمين وكان

---

(١) مرج الصفر (بالضم وتشديد الفاء) : موضع بدمشق . وفيه يقول خالد بن سعيد :

هل فارس كره النزال يعيرنى ... رمحا إذا نزلوا بمرج الصفر

(٢) سلح : ألبس السلاح (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٣) البلابل : التخليط والاضطراب . وموجحا : أى مستورا .

(٤) الافتراء : الكذب ، قال أبو ذر : ومن رواه يقترى (بالقاف) معناه : يتتبع .

(٥) فى معجم البلدان : « كل كايد » .

(٦) فى شرح السيرة لأبى ذر : « اشتدت » أى تفرقت .

إلى آل سعيد بن العاص ؛ وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عُتبة ابن ربيعة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الأسود بن نوفل بن خُويلد . رجل .

(من بنى عبد الدار) :

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : جَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحبيل ، معه ابناه عمرو بن جَهْم وخُزيمة بن جهم ، وكانت معه امرأته أمّ حَرملة بنت عَبْد الأسود هَلَكَت بأرض الحبشة ، وابناه لها . رجل .

(من بنى زهرة) :

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عامر بن أبى وقّاص ، وعُتبة بن مسْعود ، حليف لهم من هُذيل . رجلان .

(من بنى تيم) :

ومن بنى تَيْم بن مُرّة بن كَعْب : الحارث بن خالد بن صخْر ، وقد كانت معه امرأته رَيطة بنت الحارث بن جُبيلة ، هَلَكت بأرض الحبشة . رجل .

(من بنى جمح) :

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بن رَبيعة بن أُهبان . رجل .

(من بنى سهم) :

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ، مَحْمِيَة بن الجَزْء[1] ، حليف لهم من بنى زُبيد ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، جعله على خُمُس المسلمين . رجل .

(من بنى عدى) :

ومن بنى عَدِىّ بن كعب بن لُؤَىّ : مَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة . رجل .

---

(١) يروى بتشديد الزاى غير مهموز ، والصواب فيه الهمز . وكذا قيده الدارقطنى . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

(من بنى عامر) :

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ بن غالب : أبو حاطب بن عَمْرو بن عبد شمس ؛ ومالك بن ربيعة بن قَيْس بن عبد شمس ، معه امرأته عَمْرة بنت السعْدِى بن وَقْدان بن عَبْد شمس . رجلان .

(من بنى الحارث) :

ومن بنى الحارث بن فِهْر بن مالك : الحارث بن عَبْد قَيْس بن لَقيط . رجل . وقد كان حُمِل معهم فى السَّفينتين نساءٌ من نساء من هَلَك هنالك من المسلمين .

(عدة من حلهم مع عمرو بن أمية) :

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى فى السَّفينتين ، فجميع من قَدِم فى السَّفينتين إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ستةَ عشر رجلا .

(سائر مهاجرة الحبشة) :

وكان ممَّن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدَم إلا بعد بدر ، ولم يَحْمل النجاشى فى السَّفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مُهاجرة الحبشة . :

(من بنى أمية) :

من بنى أميَّة بن عبد شَمْس بن عبد مَناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب الأُسْدى ، أسد خُزيمة ، حليف بَنى أُميَّة بن عبد شمس ، معه امرأته أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان ، وابنته حَبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تُكنى أمّ حَبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رَمْلة .

(تنصر ابن جحش بالحبشة وخلف الرسول على امرأته) :

خرج مع المُسلمين مُهاجرًا ، فلما قَدِم أرض الحبشة تنصّر بها وفارق الإسلام ، ومات هُنالك نصرانيا ، فخلَف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أمّ حَبيبة بنت أبى سُفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عُروة ، قال : خرج

عُبيد الله بن جَحْش مع المُسلمين مُسْلِما ، فلما قدم أرضَ الحبشة تنصَّر ، قال : فكان إذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقَّحنا [١] وصأصأتم ، أى قد أبْصرْنا وأنتم تلْتمسون البصر ولم تُبْصِروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك ، فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنّا قد فقَّحنا أعيُننا فأبْصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتُبْصِروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله . رجل من بنى أسد بن خزَيْمة . وهو أبو أميَّة [٢] بنت قَيْس التى كانت مع أمّ حَبِيبة ؛ وامرأته بركة بنت يَسار . مولاة أبى سُفيان بن حرب ، كانتا ظِئْرَى [٣] عُبيد الله بن جحش ؛ وأمّ حَبِيبة بنت أبى سُفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة . رجلان [٤] .

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسد بن عبد العزَّى بن قُصَىّ : يزيد بن زَمْعَة بن الأسود بن المطَّلب ابن أسد ، قُتل يوم حُنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدًا ؛ وعمرو بن أُميَّة بن الحارث بن أسد ، هَلَك بأرض الحبشة . رجلان .

(من بنى عبد الدار) :

ومن بنى عَبْد الدّار بن قُصىّ : أبو الرُّوم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدّار ؛ وفِراس بن النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن علْقمة بن عَبْدمناف ابن عبد الدار . رجلان .

(من بنى زهرة) :

ومن بنى زُهرة بن كِلاب بن مُرّة : المُطَّلب بن أزهر بن عبد عَوْف بن عبد (بن) [٥] الحارث بن زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبيرة بن سُعيد

---

(١) فى ا : «فقحنا» ويقال : فقح الجرو : وذلك إذا فتح عينيه أول ما يفتح وهو صغير .

(٢) كذا فى الأصول . ولم نعثر لها على ذكر فى المراجع التى بين أيدينا .

(٣) الظئر : المرأة التى ترضع ولد غيرها . ورواية هذه العبارة فى الاستيعاب فى ترجمة قيس هنا : «كانت ظئرا لعبيد الله بن جحش وأم حبيبة» .

(٤) فى م ، ر : «رجل» وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ا والاستيعاب .

ابن سَعْد بن سهم ، هَلَك بأرض الحبشة ، وولدت له هنالك عبدَ الله بن المُطّلب ، فكان يقال : إن كان لأوّلُ رجل وَرِث أباه فى الإسلام . رجل .

(من بنى تيم) :

ومن بنى تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سَعْد بن تَيْم ، قُتل بالقادسيّة مع سعد بن أبى وقّاص . رجل .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب : هَبّار بن سُفيان بن عبد الأسد، قُتل بأجْنادِين من أرض الشام ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وأخوه عبد الله ابن سُفيان ، قُتِل عام اليَرْموك بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يشكّ فيه أقتل ثَمّ أم لا ؛ وهشام [1] بن أبى [2] حُذيفة بن المُغيرة ، ثلاثة نفر .

(من بنى جمح) :

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : حاطب بن الحارث بن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المُجلّل [3] . هَلَك حاطب هنالك مُسلما ، فقَدِمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السَّفينتين ؛ وأخوه حطّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيْهة بنت يَسار ، هَلَك هنالك مُسلما ، فقَدِمت امرأته فُكَيهة فى إحدى السَّفينتين ؛ وسُفيان بن مَعْمر بن حَبيب ، وابناه جُنادة وجابر ، وأمهما معه حَسَنة [4] ، وأخوهما لأمهما شُرَحبيل بن حَسَنة ؛ وهَلك سفيان وهلك ابناه جُنادة وجابر فى خلافة عمر ابن الخطّاب رضى الله عنه . ستة نفر .

---

(١) قال ابن عبد البر بعد ما سبق هذا نقلا عن ابن إسحاق : « إلا أن الواقدى كان يقول : هاشم ابن أبى حذيفة ، ويقول « هشام » وهم ممن قاله . ولم يذكره موسى بن عقبة ولا أبو معشر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة » .

(٢) فى ا : « ابن حذيفة » وهو تحريف . (راجع الاستيعاب) .

(٣) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب . وفى ا : « المحلل » بالحاء المهملة .

(٤) نص هذه العبارة فى الاستيعاب نقلا عن ابن إسحاق : « ومعه ابنه جابر بن سفيان وجنادة ابن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما » .

(من بنى سهم) :

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعب : عبد الله بن الحارث بن قَيْس ابن عدىّ بن سعد [1] بن سَهم الشاعر ، هَلَك بأرض الحبشة ، وقَيْس بن حُذافة ابن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سَهم ؛ وأبو قَيْس بن الحارث بن قَيس بن عدىّ ابن سعد بن سهم ، قُتِل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ؛ وعبد الله بن حُذافة بن قَيس بن عدىّ بن سعد بن سهم ، وهو رسولُ (رسول [2]) الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ؛ والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ؛ ومعمر ابن الحارث بن قيس بن عدىّ ؛ وبِشر بن الحارث بن قيس بن عدىّ ؛ وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قُتِل بأجْنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ؛ وسعيد بن الحارث بن قَيس ، قُتل عام اليَرْموك فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ؛ والسائب بن الحارث بن قيس ، جُرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقُتل يوم فِحْل [3] فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، ويقال : قُتل يوم خَيبر ، يُشكّ فيه ؛ وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة ابن مِهْشم بن سعد بن سهم ، قُتل بعَيْن التمر مع خالد بن الوليد ، مُنْصَرَفه من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه . أحد عشر رجلا .

(من بنى عدى) :

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف ابن عُبيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كعب ، هَلك بأرض الحبشة ؛ وعدىّ بن نَضْلة ابن عبد العُزّى بن حُرْثان ، هَلك بأرض الحبشة . رجلان .

---

(١) فى الأصول هنا وفيما سيأتى : « سعيد » وهو تحريف . قال السهيلى : « وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق « سعيد » ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد ، وإنما سعيد ابن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، وفى سهم سعيد آخر وهو ابن سعيد المذكور » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) فحل (بكسر أوله وسكون ثانيه) : موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم ، وكان يوم فحل بعد فتح دمشق بعام واحد ، (راجع معجم البلدان) .

(تولية عمر النعمان على ميسان ثم عزله) :

وقد كان مع عدىّ ابنه النُّعمان بن عدىّ ، فقَدِم النعمان مع من قَدِم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتّى كانت خلافة عمر بن الخطّاب ، فاستعمله على مَيْسان ، من أرض البَصْرة ، فقال أبياتا من شعر ، وهى :

ألا هَلْ أتى الحَسْناءَ أنّ حَليلَها بمَيْسان يُسْقَى فى زُجاجٍ وحَنْتَمِ[1]

إذا شئْتُ غَنّتْنى دَهاقِينُ[2] قَرْيةٍ ورقّاصَةٌ[3] تجذُو على كلّ مَنْسِمِ[4]

فانْ كنت نَدْمانى فبالأكْبر اسْقِنى ولا تَسْقِنى بالأصْغَر المُتَثَلّمِ

لعَلّ أميرَ المُؤْمِنينَ يَسُوءُه تَنادُمُنا فى الجَوْسَقِ المُتَهَدّمِ[5]

فلمّا بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءنى ، فمن لقيه فلْيُخبره أنى قد عزَلْته ، وعزَله . فلما قَدِم عليه اعتذر إليه وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ماصنعت شيئا ممّا بلغك أنى قلتُه قطّ ، ولكنى كنت امرأ شاعرًا ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ؛ فقال له عمر : وايمُ الله ، لاتعملُ لى على عمل ما بقيتُ ، وقد قلتَ ما قلت[6] .

(من بنى عامر) :

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر : سَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، وهو كان رسول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوذة بن علىّ الحَنَفى باليمامة . رجل .

---

(١) الحليل : الزوج . والحنتم : جرار مدهنة بخضرة تضرب إلى الحمرة .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو العارف بأمور القرية ومنافعها ومضارها .

(٣) يروى : « وصناجة » . والصناجة : التى تضرب بالصنج ، وهو من آلات الغناء .

(٤) تجذو : تبرك على ركبتيها . ويريد بالمنسم : طرف قدمها . وأصل المنسم للبعير . وهو طرف خفه ، فاستعاره هنا للإنسان . ورواية هذا الشطر الأخير فى معجم البلدان عند الكلام على « ميسان » :

وصناجة تجثو على حرف منسم

(٥) الجوسق : البنيان العالى ، ويقال هو الحصن . وهذه الأبيات كتبها النعمان إلى امرأته ، وكانت قد أرادها على الخروج معه إلى ميسان فأبت عليه .

(٦) لم يول عمر من قومه بنى عدى ولاية قط غيره ، لما كان فى نفسه من صلاحه .

(من بنى الحارث) :

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غَنْم بن زُهير بن أبى شدّاد ، وسعد بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر بن أُميَّة بن ظَرِب بن الحارث بن فِهْر ، وعياض بن زُهير بن أبى شدّاد . ثلاثة نفر .

فجميع من تخلّف عن بَدْر ، ولم يَقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ومن قَدِم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السَّفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

(الهالكون منهم) :

وهذه تسمية (جملة [1]) من هَلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

(من بنى عبد شمس) :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب ، حليف بنى أمية ، مات بها نَصْرانيا .

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عمرو بن أميَّة بن الحارث بن أسد .

(من بنى جمح) :

ومن بنى جُمح : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه حطّاب بن الحارث .

(من بنى سهم) :

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قَيْس .

(من بنى عدى) :

ومن بنى عدىّ بن كعب بن لُؤَىّ : عُروة بن عبد العُزّى بن حُرْثان بن عوف ، وعَدِىّ بن نَضْلة . سبعة نفر .

(من الأبناء) :

ومن أبنائهم ، من بنى تَيْم بن مُرّة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخْر ابن عامر . رجل .

---

(١) زيادة عن ا .

(مهاجرات الحبشة) :

وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء، من قَدِم منهن ومن هَلك هنالك ستَّ عشرةَ امرأة ، سوى بناتهن اللاتى وُلدن هنالك ، من قَدِم منهن ومن هَلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خرجن :

(من قريش) :

من قُريش ، من بنى هاشم : رُقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(من بنى أمية) :

ومن بنى أميَّة : أم حبيبة بنت أبى سُفيان ، معها ابنتُها حَبيبة ،خرجت بها من مكة ، ورَجعت بها معها .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مخزوم :أم سَلمة بِنْت أبى أمية ،قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سَلمة ولدتها هنالك .

(من بنى تيم) :

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة ، هلكت بالطريق ، وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، هَلكن جميعا ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرُها ، يقال لها فاطمة .

(من بنى سهم) :

ومن بنى سَهْم بن عمرو : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن ضُبيرة .

(من بنى عدى) :

ومن بنى عدىّ بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

(من بنى عامر) :

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ : سودة بنت زَمْعة بن قيس ؛ وسهلة بنت سُهَيل ،

ابن عمرو ، وابنة المجلَّل[١] ، وعمرة بنت السَّعْدى بن وقدان ؛ وأمّ كُلثوم بنت سُهَيل بن عمرو .

(من غرائب العرب) :

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان الخَثْعمية ؛ وفاطمة بنت صَفْوان بن أُميَّة بن مُحرِّث الكِنانية ، وفُكَيْهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسَنة ، أمّ شُرَحبيل بن حَسَنة .

(أبناؤهم بالحبشة) :

وهذه تسمية من وُلد من أبنائهم بأرض الحبشة .

(من بنى هاشم) :

ومن بنى هاشم : عبدُ الله بنَ جعفر بن أبى طالب .

(من بنى عبد شمس) :

ومن بنى عبد شَمْس : محمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد بن سَعِيد ، وأختهُ أمَة بنت خالد .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سَلمة بن الأسد .

(من بنى زهرة) :

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المُطَّلب بن أزْهر .

(من بنى تيم) :

ومن بنى تَيْم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

(الذكور منهم) :

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جَعفر ، ومحمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبد الله بن المطَّلب ، وموسى بن الحارث .

---

(١) في ا : « المحلل » .

(الإناث منهم) :

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سَلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

عمرة القضاء

فى ذى القعدة سنة سبع

(خروج الرسول معتمرا فى ذى القعدة) :

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع وجُمادَيَيْن ورجبا وشعبان ورمضان وشوّالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمرًا عُمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدّوه عنها .

(ابن الأضبط على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُويف بن الأضبط الدّيلى [١] .

(سبب تسميتها بعمرة القصاص) :

ويقال لها عمرة القِصاص ، لأنهم صدّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ستّ ، فاقتصّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدّوه فيه ، من سنة سبع [٢] .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : « والحُرُماتُ قِصَاصٌ » .

(خروج المسلمين الذين صدوا أولا معه) :

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صُدّ معه فى عُمرته [٣] تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ، وتحدّثت قُريش بينها أن محمدا وأصحابه فى عُسرة وجَهد وشدّة .

---

(١) وعند الواقدى أن الذى استعمل على المدينة هو أبو رهم .

(٢) كما تسمى أيضا : عمرة القضية وعمرة الصلح . (راجع شرح المواهب) .

(٣) كانت عدة المسلمين ألفين سوى النساء والصبيان .

(سبب الهرولة بين الصفا والمروة) :

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم، عن ابن عبَّاس، قال: صَفُّوا له عند دار النَّدوة ليَنْظروا إليه وإلى أصحابه؛ فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع[١] بردائه، وأخرج عَضُدَه اليمنى، ثم قال: رحم الله امرأ أراهم اليومَ من نفسه قوّةً، ثم استلم الرُّكن، وخرج يُهَرْوِل[٢] ويهرول أصحابُه معه، حتى إذا واراهُ البيت منهم، واستلم الركنَ اليمانى، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرَها. فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحيّ من قُريش للذى بلغه عنهم، حتى إذا حجّ حِجّة[٣] الوداع فلزمها، فمضت السُّنّة بها:

(ارتجاز ابن رواحة وهو يقود ناقة الرسول) :

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بنُ أبى بكر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العُمرة دخلها وعبدُ الله بنُ رواحة آخذ بخطام[٤] ناقته يقول:

خلُّوا بنى الكفَّار عن سبيلِه ... خلُّوا فكلُّ الخير فى رسولِه

يا ربِّ إنى مُؤْمنٌ بقيلِه[٥] ... أعرِف حقَّ الله فى قبُولِه

* * *

نحْنُ قتَلْناكم على تأويلِه ... كمَا قتَلْناكم على تنزيلِه[٦]

ضَرْبا يُزيل الهام عن مَقيِله ... ويُذْهل الخليل عن خَليلِه

قال ابن هشام: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمَّار بن ياسر فى غير هذا اليوم[٧]، والدليل على ذلك أن ابن رواحةَ إنما أراد المُشركين،

---

(١) اضطبع بردائه: أدخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.
(٢) الهرولة: فوق المشى ودون الجرى.
(٣) حجة: للمرة الواحد، وهو شاذ لأن القياس بالفتح (القاموس المحيط).
(٤) الخطام: الذى تقاد به الناقة.
(٥) قيله: قوله.
(٦) أى نحن نقاتلكم على تأويله، كما قتلناكم على إنكار تنزيله.
(٧) أى يوم صفين، يوم قتل عمار بن ياسر.

والمُشركون لم يُقِرّوا بالتنزيل ، وإنما يُقْتَل على التأويل [١] من أقرّ بالتنزيل

(زواج الرسول بميمونة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبانُ بن صالح وعبد الله بن أبى نَجيح ، عن عطاء ابن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج ، عن ابن عباس : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ميمونةَ بنتَ الحارث فى سفره ذلك وهو حرَام ، وكان الذى زوّجه إيّاها العبّاسُ بن عبد المُطّلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرَها إلى أختِها أمّ الفَضْل ، وكانت أمُّ الفضل تحت العبّاس ، فجعلت أمُّ الفضل أمرَها إلى العباس ، فزوّجها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة [٢] ، وأصدَقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهَم .

(إرسال قريش حويطبا إلى الرسول يطلب منه الخروج من مكة) :

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا ، فأتاه حُوَيْطِب ابنُ عبد العزّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قُرَيش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قُرَيش قد وكّلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنّه قد انقضى أجلُك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا : لاحاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلّف أبا رافع مولاه على ميمونة ، حتّى أتاه بها بسَرِف [٣] ، فبنى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ذى الحجة .

(ما نزل من القرآن فى عمرة القضاء) :

قال ابن هشام : فأنزل الله عزّ وجلّ عليه ، فيما حدثنى أبو عبيدة : « لَقَدْ

---

(١) كذا فى م ، ر . وفى ا : « على التنزيل » .

(٢) هذه الكلمة : « بمكة » ساقطة فى ا .

(٣) سرف (ككتف) : موضع قرب التنعيم .

صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالحَقِّ ، لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ ، فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا ، فجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً » يعنى خيبر .

ذكر غزوة موتة [1]

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقيَّة ذى الحجة ، وولِىَ تلك الحجَّة المشركون ، والمحرّم وصفرا وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثَه إلى الشام الذين أصيبوا بمُوتة .

(بعث الرسول إلى موتة واختياره الأمراء) :

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى موتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيدَ بن حارثة وقال : إن أُصيب زيدٌ فجعفرُ بن أبي طالب على الناس ، فان أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس [2] .

(بكاء بن رواحة مخافة النار وشعره للرسول) :

فتجهّز الناس ثم تهيّئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجُهم ودّع الناسُ أمراءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلّموا عليهم . فلما ودّع عبدُ الله بنُ رواحة من ودّع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛ فقالوا : ما يبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حبّ الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آيةً من كتاب الله عزّ وجلّ ، يذكر فيها النار « وإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها كانَ على رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا » ،

---

(١) موتة (مهموزة الواو . وحكى فيه غير الهمز) : قرية من أرض البلقاء من الشام . وتسمى أيضا غزوة جيش الأمراء ، وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها وما لاقوه من الحرب الشديد مع الكفار . (راجع السهيلى ، والنهاية ، وشرح أبى ذر ، وشرح المواهب) .

(٢) زاد الزرقانى : « فان قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم » .

فلستُ أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الورود ؛ فقال للمسلمون : صحِبَكم الله ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله بن رواحة :

لكنَّنِى أسألُ الرَّحمنَ مَغْفِــرةً وضربةً ذات فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدَا[1]
أو طَعْنَةً بيَدَىْ حَرّانَ مُجْهِزَةً بحَرْبَة تُنْفِــذ الأحشاءَ والكَبِدا[2]
حتى يُقال إذا مَرُّوا على جَدَثى[3] أرشدَه الله من غازٍ وقد رَشَدَا[4]

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيَّئوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودَّعه ، ثم قال :

فثبَّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ تَثْبيتَ موسى ونَصْرًا كالذى نُصروا[5]
إنى تفرَّستُ فيكَ الخــيرَ نافلةً اللهُ يعــلم أنى ثابتُ البَصَر[6]
أنتَ الرَّسولُ فمَن يُحرَم نَوافِلَه والوجهَ منه فقد أزرى به القَدَرُ[7]

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنتَ الرَّسولُ فمَن يُحرَم نوافلَه والوَجْهَ منهُ فقَد أزْرَى به القَدَرُ
فثبَّت الله ما آتاك مِن حَسَنٍ فى المرسلين ونصرًا كالذى نُصِرُوا
إنى تفرَّست فيك الخــير نافلةً فراسةً خالفتْ فيكَ الذى نظروا

يعنى المشركين ؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القومُ ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا ودَّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلامُ على امرئٍ ودَّعتــه فى النَّخْلِ خــيرَ مُشَيِّعٍ وخليلِ

---

(١) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم . (عن أبى ذر) .
(٢) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تخترقها .
(٣) الجدث والجدف : القبر .
(٤) فى شرح المواهب : « يا أرشد الله » .
(٥) كذا فى م ، ر ، وفى ا : « نصرا » .
(٦) فى هذا البيت إقواء .
(٧) نافلة : هبة من الله وعطية منه . والنوافل : العطايا والمواهب . وأزرى به القدر ، أى قصر به . (عن أبى ذر) .

(تخوف الناس من لقاء هرقل وشعر ابن رواحة يشجعهم) :

ثم مضوا حتى نزلوا مَعان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقلَ قد نزَل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مئة ألف من الروم ، وانضمّ إليهم من لخم وجُذام والقَيْنِ وبَهْراء وبَلِيّ مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلِيّ ثم أحدُ إرَاشة ، يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبرُه بعدد عدوّنا ، فإمّا أن يُمِدّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له .

(تشجيع ابن رواحة الناس على القتال) :

قال : فشجّع الناسَ عبدُ الله بنُ رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التى تكرهون ، للّتى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثْرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلِقُوا فإنما هى إحدَى الحُسنيين إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابنُ رواحة . فمضى الناس فقال عبد الله بن رواحة فى مَحْبسهم ذلك :

جلَبْنا الخيلَ من أجإٍ وفَرْعٍ ... تُغَرّ من الحَشيش لها العُكُومُ[1]
حذَوْناها من الصَّوّان سِبْتا ... أزلّ كأنّ صَفحتَه أديمُ[2]
أقامت ليلتَيْن على مَعانٍ ... فأعقبَ بعدَ فترتها جُمُومُ[3]

(١) أجأ : أحد جبلى طيىء ، والآخر سلمى . وفرع (بالفتح) : اسم موضع من وراء الفرك . وقال ياقوت : « الفرع : أطول جبل بأجأ وأوسطه » . . وظاهر أن هذا هو المراد هنا . وتغر (بالغين المعجمة) : تطعم شيئا بعد شىء . يقال غر الفرخ غرا وغرارا : زقه . والعكوم : جمع عكم (بالفتح) وهو الجنب .

(٢) قال أبو ذر : « حذوناها : جعلنا لها حذاء ، وهو النعل : والصوان : حجارة ملس ؛ واحدتها صوانة . والسبت : النعال التى تصنع من الجلود المدبوغة . وأزل ، أى أملس صفحته ظاهرة . والأديم : الجلد » . . وقال السهيلى : « أى حذوناها نعالا من حديد ، جعله سبتا لها مجازا وصوان من الصون ، يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فقد كانوا يحذونها السريح ، وهو جلد يصون أخفافها . والأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان : يبيس الأرض ، أى لاسبت لها إلا ذلك » .

(٣) معان (بفتح الميم) : موضع بالشام . والفترة : الضعف والسكون . والجموم : اجتماع القوة والنشاط بعد الراحة .

فرُحْنا والجياد مُسَوَّمات   تَنَفَّسُ فى مَناخِرِها السَّمُومُ[1]
فَلا وأبى مَآبَ لَنَأْتِيَنْها   وإن كانت بها عَرَبٌ ورُومُ[2]
فَعَبَّأْنا أعِنَّتَها فَجاءَتْ   عَوابِسَ والغُبارُ لَها بَرِيمُ[3]
بذى لَجَبٍ كأنَّ البَيْضَ فيه   إذا بَرَزتْ قوانِسها النُّجُومُ[4]
فراضِيَةُ المَعيشَةِ طَلَّقَتْها   أسنَّتُها فتَنْكِحُ أو تَئِيمُ[5]

قال ابن هشام: «ويروى: جلبنا الخيل من آجام قُرح[6]»، وقوله: «فعبأنا أعنتها» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناسُ، فحدثنى عبدالله بن أبى بكر أنه حُدِّث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره، فخرج بى فى سفره ذلك مُرْدِفى على حَقيبة[7] رَحْله، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه

إذا أدَّيْتِنِى وحملتِ رَحْلى   مسيرةَ أربعٍ بعدَ الحساء[8]

---

(١) مسومات: مرسلات. والسموم: الريح الحارة.

(٢) مآب: اسم مدينة فى طرف الشام من نواحى البلقاء. قال السهيلى: «يجوز نصبه بفعل مقدر، أو مرفوع على الابتداء».

(٣) البريم فى الأصل: خيطان مختلطان أحمر وأبيض، تشدهما المرأة على وسطها أو عضدها. وكل مافيه لونان مختلطان فهو بريم أيضا. يريد ما علاها من الغبار، فخالط لونه لونها. والدمع المختلط بالإثمد. وهذا أقرب لمعنى البيت: أى أن دموع الخيل اختلطت بالتراب فصارت كالبريم.

(٤) ذى لجب: أى جيش. واللجب: اختلاط الأصوات وكثرتها: والبيض: ما يوضع على الرأس من الحديد. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة.

(٥) قال أبو ذر: «تئيم: تبقى دون زوج، يقال: آمت المرأة إذا لم تتزوج».

(٦) قرح (بالضم): سوق وادى القرى، وبهذه الرواية ورد هذا البيت فى ياقوت منسوبا إلى ابن رواحة.

(٧) (الحقيبة) فى الأصل: العجيزة؛ ثم سمى ما يحمل من القماش على الفرس خلف الراكب حقيبة، مجازا، لأنه محمول على العجز. (المصباح).

(٨) الحساء: جمع حسى، وهو ماء يغور فى الرمل حتى يجد صخرا، فإذا بحث عنه وجد يريد مكانا فيه الحساء.

فشأنُكِ أنعُمٌ وخَـلاكِ ذمٌّ ولا أرجعْ إلى أهلى ورائى[١]
وجاء المُسلمونَ وغادَرونى بأرض الشام مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ[٢]
وردَّكَ كلُّ ذى نسب قَريب إلى الرحمن مُنْقطعَ الإخاء
هنالك لا أبالى طَلْعَ بَعْـلٍ ولا نَخْـلٍ أسافلُها رِوَاءِ[٣]

فلما سمعتُهنَّ منه بكيت . قال : فخفَقَنى[٤] بالدِّرَّة ، وقال : ما عليك يا لُكَع[٥] أن يرزقنى الله شهادةً وترجعَ بين شُعْبتى[٦] الرَّحْل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلات الذُّبَّلِ تطاول اللَّيـلُ هُدِيتَ فانزِلِ[٧]

(لقاء الروم) :

قال ابن إسحاق : فمضى الناسُ ، حتى إذا كانوا بتُخوم[٨] البلْقاء لقيتْهم جموع هِرَقْل ، من الروم والعرب ، بقرية من قُرى البلقاء يقال لها مَشارف ، ثم دنا العدوّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناسُ عندها ، فتعبَّأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذرة ، يقال له : قُطْبة بنُ قَتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عُباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عُبادة بنُ مالك .

---

(١) فشأنك أنعم : يريد أنه لا يكلفها سفرا بعد ذلك ، وإنما تنعم مطلقة ، لعزمه على الموت فى سبيل الله . ولا أرجع : قال أبو ذر : « هو مجزوم على الدعاء ، دعا على نفسه أن يستشهد ولا يرجع إلى أهله » .

(٢) الثواء : الإقامة فى المكان . وفعله : ثوى يثوى (من باب ضرب) .

(٣) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض . ورواء (بكسر الهمزة) : صفة النخل .

(٤) خفقنى بالدرة : أى ضربنى بها . والدرة : السوط .

(٥) اللكع (كصرد) : اللئيم .

(٦) شعبتى الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر (عن أبى ذر) .

(٧) اليعملات : جمع يعملة ، وهى الناقة السريعة . والذبل : التى أضعفها السير ، فقل لحمها . (عن أبى ذر) .

(٨) التخوم : الحدود الفاصلة بين أرض وأرض ، وهى جمع : تخم . (انظر اللسان) .

(مقتل ابن حارثة) :

قال ابن إسحاق : ثم التقى الناسُ واقتتلوا ، فقاتلَ زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط [١] فى رماح القوم .

(إمارة جعفر ومقتله) :

ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له [٢] شقراء ، فعقرها [٣] ، ثم قاتَل القوم حتى قُتِل . فكان جعفرُ أولَ رجل من المسلمين عقَر فى الإسلام [٤] .

وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزّبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مُرّة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مُؤْتة قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحمَ عن فَرس له شقراءَ ، ثم عقَرها ثم قاتَل حتى قُتل وهو يقول :

يا حبَّذا الجنَّــةُ واقترابُها　　طيِّبَــةً وباردًا شرابُها

والرومُ رومٌ قد دَنا عذابُها　　كافرةٌ بعيــدةٌ أنسابُها

علىَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم : أن جعفرَ بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطِعت ، فأخذه بشماله فقُطعت ، فاحتضنه بعَضُدَيه حتى قُتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه [٥] بنصفين .

---

(١) يقال شاط الرجل : إذا سال دمه فهلك . (عن أبى ذر) .

(٢) ألحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصا . واقتحم عن فرس له : رمى بنفسه عنها .

(٣) عقرها : ضرب قوائمها وهى قائمة بالسيف. وفى رواية لابن عقبة والواقدى وابن إسحاق أيضا « فعرقبها » أى قطع عرقوبها ، وهو الوتر الذى بين الساق والقدم .

(٤) قال السهيلى : « لم يعب ذلك عليه أحد ، فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل [عليها] المسلمين ، فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم وقتلها عبثا ، غير أن أباداود قال : ليس [هذا] الحديث بالقوى . وقد جاء فيه نهى كثير عن الصحابة . . . »

وقال الزرقانى مستدركا : « وكأنه يريد : ليس بصحيح ، وإلا فهو حسن ، كما جزم به الحافظ « [و]تبعه المصنف » .

(٥) فى رواية أبى ذر : « فقطه » . وهى بمعنى قطعه .

(إمارة ابن رواحة ومقتله) :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبّاد قال : حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مُرّة بن عوف ، قال : فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية ، ثم تقدّم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردّد بعض التردّد ، ثم قال :

أقْسَمْتُ يا نفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... لَتَنْزِلِنَّ أوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إن أجْلَبَ الناسُ وشدّوا الرَّنّهْ ... مالى أراكِ تَكرهين الجَنَّهْ[١]
قد طالَ ما قد كنتِ مُطمئنهْ ... هل أنتِ إلا نُطْفَة فى شَنَّهْ[٢]

وقال أيضا :

يا نفس إلا تُقْتَلِى تموتى ... هذا حِمام المَوْت قد صَليتِ
وما تمنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ ... إن تفعلى فِعْلَهما هُدِيتِ

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعَرْق[٣] من لحم فقال : شُدّ بهذا صلبَك ، فانك قد لقيتَ فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتَهَس[٤] منه نَهْسة ، ثم سمع الحَطْمَة[٥] فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدّم ، فقاتل حتى قُتل .

(ابن الوليد وانصرافه بالناس) :

ثم أخذ الراية ثابتُ بن أقْرم[٦] أخو بنى العَجْلان ، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على

---

(١) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا . و الرنة : صوت ترجيع شبه البكاء . (عن أبى ذر) .

(٢) النطفة : الماء القليل الصافى . والشنة : السقاء البالى ، أى فيوشك أن تهراق النطفة أو ينخرق السقاء ، ضرب ذلك مثلا لنفسه فى جسده .

(٣) العرق : العظم الذى عليه بعض لحم . (عن أبى ذر) .

(٤) انتهس : أخذ منه بفمه يسيرا . (عن أبى ذر) .

(٥) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .

(٦) كذا فى المواهب اللدنية والاستيعاب . وهو ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدى بن العجلان البلوى ثم الأنصارى . وكان مقتله سنة إحدى عشرة فى الردة ، وقيل سنة اثنتى عشرة . وفى سائر الأصول : « أرقم » وهو تحريف .

خالد بن الوليد [١] ؛ فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى [٢] بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس :

(تنبؤ الرسول بما حدث للمسلمين مع الروم) :

قال ابن إسحاق : ولمّا أُصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتّى قُتل شهيدًا ؛ ثم أخذها جعفرٌ فقاتل بها حتّى قُتل شهيدًا ؛ قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنُّوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض مايكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتّى قُتل شهيدا ؛ ثم قال : لقد رُفعوا إلىّ فى الجنّة ، فيما يرى النائم ، على سُرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا [٣] عن سريرى صاحبَيْه ، فقلت : عمّ هذا ؟ فقيل لى : مَضيا وتردّد عبد الله بعض التردّد ، ثم مضى .

(حزن الرسول على جعفر ووصايته بآله) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أمّ عيسى الخُزاعية ، عن أمّ جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدّتها أسماء بنة عُميس ، قالت : لما أُصيب جعفر وأصحابه دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دبَغْتُ أربعين منّا [٤] — قال ابن هشام : ويروى أربعين منيئة — وعجنت عجينى ، وغسلت بنىّ ودهنتهم ونظّفتهم . قالت : فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتينى ببنى جعفر ؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشمّمهم وذرفت عيناه ، فقلت : يارسول الله ،

---

(١) وروى الطبرانى عن أبى اليسر قال : أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب ابن رواحة ، فدفعها إلى خالد وقال : أنت أعلم بالقتال منى . (راجع شرح المواهب) .

(٢) كذا فى ا : وحاشى بهم (بالحاء المهملة) : انحاز بهم ، وهو من الحشى ، وهى الناحية . وفى م ، ر : «خاشى» (بالخاء المعجمة) . والمخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم .

(٣) ازورارا : ميلا وعوجا .

(٤) فى الأصول : «منئا» . والتصويب عن أبى ذر ؛ وهذا نص عبارته : «المنا» (بالقصر) : الذى يوزن به . وهو الرطل . وتعنى أربعين رطلا من دباغ . ومن روى : «منيئة» فمعناه : الجلد ما دام فى الدباغ . وبهذه الرواية الثانية روى الحديث صاحب (اللسان : منأ) .

بأبى أنت وأمى ، ما يُبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال : نعم ، أُصيبوا هذا اليوم . قالت : فقُمت أصيح ، واجتمعتْ إلىّ النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لاتُغْفِلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أتى نَعْى[١] جعفر عرَفنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله ، إن النساء عنَّيْننا وفَتنَّنا ؛ قال : فارجع إليهن فأسْكِتْهُن . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك — قال : تقول وربما ضرّ التكلُّف أهله — قالت : قال : فاذهب فأسكتهُن ، فإن أبينَ فاحثُ فى أفواههن التراب[٢] ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ! فوالله ما تركتَ نفسك وما أنت بمُطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لايقدر على أن يَحْثِى فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قُطْبة بن قَتادة العُذْرىّ ، الذى كان على مَيْمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة[٣] فقتله ، فقال قُطبة بن قتادة :

طعنتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإرا ... ش برُمح مضَى فيه ثم انْحَطَمْ[٤]
ضربْتُ على جيدِه ضَرْبَةً ... فمال كما مال غصنُ السَّلَمْ[٥]
وسُقْنا نساء بنى عمِّه ... غداة رقُوقَيْن سَوْقَ النَّعَمْ[٦]

قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .

---

(١) النعى (بسكون العين) : خبر الميت الذى يأتى . والنعى (بكسر العين وتشديد الياء) : هو الرجل الذى يأتى بخبر موته .

(٢) يقال : حثا الرجل التراب يحثوه حثوا ويحثيه حثيا ، إذا قبضه بيده ثم رماه .

(٣) كذا فى ا : وفى م ر ، هنا وفيما يأتى : « رافلة » بالراء المهملة .

(٤) انحطم : انكسر .

(٥) السلم : شجر العضاه ؛ الواحدة : سلمة .

(٦) رقوقين : اسم موضع . ويروى : « رقوفين » (بالفاء فى الثانى) ، (عن أبى ذر) .

والبيت الثالث عن خَلاّد [١] بن قُرة ، ويقال : مالك بن رافلة [٢] :

(كاهنة حدس وإنذارها قومها) :

قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنةٌ من حَدَس [٣] حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قد قالت لقومها من حَدَس ، وقومُها بطن يقال لهم بنو غَنْم — أُنذركم قوما خُزْرًا [٤] ، ينظرون شَزْرًا [٥] ، ويقودون الخيل تَتْرَى [٦] ، ويُهرِيقون دما عَكَرًا [٧] . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لَخم ؛ فلم تزل بعدُ أثرى [٨] حدَس . وكان الذين صَلَوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدَس ، فلم يزالوا قليلا بعدُ . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

(رجوع الجيش وتلقى الرسول له وغضب المسلمين) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عروة بن الزّبير ، قال : لما دنوا من حول المدينة تلقّاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ؛ قال : ولقيهم الصبيانُ يشتدُّون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطونى ابنَ جعفر . فأُتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثُون على الجيش التّراب ، ويقولون يا فُرّار ، فررتم فى سبيل الله ! قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أمّ سلمة زوج النبىّ

---

(١) كذا فى م ، ر ، وفى ا : « خالد » .

(٢) كذا فى ا . وفى م ، ر : « راقلة » (بالقاف) .

(٣) حدس : قبيلة من لخم ، ولخم : قبيلة من اليمن . (عن أبى ذر) .

(٤) الخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر . (عن أبى ذر) .

(٥) الشزر : نظر العداوة .

(٦) تترى : متتابعة شيئا بعد شىء . قال تعالى : « ثم أرسلنا رسلنا تترى » . ومن رواه : « نترى » فهو مصدر ، من قولك : نتر الشىء ، إذا جذبه . (عن أبى ذر) .

(٧) العكر : المتعكر ، يريد دما مختلطا .

(٨) « أثرى » : من الثروة ، وهى الكثرة . أى أكثر مالا وعددا .

صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أمّ سلمة لامرأة سلمةَ بن هشام بن العاص بن المغيرة : مالى لاأرى سَلَمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فُرّار ، فَرَرْتم فى سبيل الله ، حتّى قعد فى بيته فما يخرج .

(شعر قيس فى الاعتذار من تقهقر خالد) :

قال ابنُ إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومُخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قَيْسُ بن المُسَحَّر اليَعْمَرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تَنْفَكُّ نفسى تلُومنى على مَوْقِفى والخيل قابعةٌ قُبْلُ[1]

وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجيرا[2] فنافذا ولا مانعا مَنْ كان حُمّ له القَتْل

على أننى آسَيْتُ نَفْسى بخالد ألا خالدٌ فى القوم لَيْس له مِثْل[3]

وجاشت إلىّ النفسُ من نحو جَعْفَر بمُؤْتةَ إذ لا يَنْفع النابلَ النَّبْل[4]

وضمّ إلَيْنا حَجْزَتَيْهم كليهما مهاجِرةٌ لا مُشركون ولا عُزْل[5]

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقّق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه : أمّر المسلمون عليهم خالدَ بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتّى قفل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم .

(شعر حسان فى بكاء قتلى مؤتة) :

قال ابن إسحاق : وكان مما بُكىَ به أصحاب مُؤْتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسّان بن ثابت :

---

(١) قال أبوذر : « قائعة » من رواه بالهمز فمعناه : واثبة ، يقال : قأع الفحل على الناقة : إذا وثب عليها . ومن رواه : « نائعة » بالنون ، فمعناه رافعة رءوسها . ومن رواه : « قابعة » بالباء ، فمعناه منقبضة . وقبل : جمع أقبل وقبلاء ، وهو الذى يميل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى » .

(٢) كذا فى (ا) . وفى م ، ر : « مستحيزا » ، ومعناه : منحازا إلى ناحية .

(٣) آسيت نفسى بخالد : اقتديت به ، من الأسوة ، وهى القدوة .

(٤) جاشت : ارتفعت . والنابل : صاحب النبل .

(٥) حجزتيهم : ناحيتيهم ؛ يقال : بعد حجزة ، أى ناحية ، وعزل : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه

تأوّبنى ليلٌ بيثرب أعسَرُ ... وهمّ إذا ما نوّم الناسُ مُسْهِرُ[١]

لذكرى حبيب هيّجتْ لى[٢] عَبرَةً ... سَفُوحا وأسبابُ البكاء التّذكّرُ[٣]

بلى ، إن فقدانَ[٤] الحبيب بليّةٌ ... وكمْ من كريم يُبْتَلى ثم يَصْبر

رأيتُ خيارَ المؤْمنين تَوَارَدُوا ... شَعُوبَ وخَلْفا بعدَهمْ يتأخّر[٥]

فلا يُبْعِدنّ اللهُ قتلى تتابعُوا ... بمُؤْتةَ منهم ذو الجناحين جعفر

وزيدٌ وعبد الله حين تتابعُوا ... جميعا وأسبابُ المنيّةِ تخطِر[٦]

غداةَ مضَوا بالمؤْمنين يقودُهم ... إلى الموت ميمونُ النَّقيبة أزْهَرُ[٧]

أغرُّ كضوء البدر من آل هاشم ... أبىّ إذا سِيمَ الظُّلامةَ مِجْسَرُ[٨]

فطاعن حتى مال غير مُوَسَّد ... لمُعْتَرك[٩] فيه قنًا مُتَكَسِّرُ[١٠]

فصار مَع المُسْتَشْهَدِينَ ثوَابُهُ ... جِنانٌ وملتفُّ الحَدائق أخْضَرُ

وكنّا نرَى فى جعفر من محمّد ... وفاءً وأمْرًا حازما حين يَأمُر

فما زال فى الإسلام من آل هاشم ... دعائمُ عِزّ لا يَزُلْن ومَفْخَرُ

هُمُ جبلُ الإسلامِ والناسُ حولهم[١١] ... رِضامٌ إلى طَوْدٍ[١٢] يَروق ويقْهَرُ[١٣]

---

(١) تأوبنى : عاودنى ورجع إلى . وأعسر : عسير . ومسهر : مانع من النوم .

(٢) فى ديوان حسان : ثم .

(٣) سفوح : سائلة غزيرة .

(٤) فى ديوان حسان (بلاء وفقدان) .

(٥) قال أبوذر : من رواه بضم الشين ، فهو جمع شعب ، وهى القبيلة ؛ وقيل : هو أكثر من القبيلة ؛ ومن رواه بفتح الشين ، فهو اسم للمنية ، من قولك : شعبت الشىء ، إذا فرقته ، ويجوز فيه الصرف وتركه . وخلفا : أى من يأتى بعد ورواية هذا الشطر الأخير فى ديوانه :

شعوب وقد خلفت فيمن يؤخر

(٦) تخطر : تختال وتهتز .

(٧) ميمون النقيبة : مسعود الجد ، وأزهر : أبيض .

(٨) أبى : عزيز الجانب . وسيم : كلف وحمل (بالبناء للمجهول فيهما) . والمجسر : المقدام الجسور.

(٩) المعترك : موضع الحرب .

(١٠) فى الديوان . « فيه القنا يتكسر » .

(١١) فى الديوان : « حوله » .

(١٢) الرضام : جمع رضم ، وهى الحجارة يتراكم بعضها فوق بعض . والطود : الجبل .

(١٣) فى (١) يقهر .

بها لِيلُ منهم جَعْفر وابن أُمِّه ... علىٌّ ومنهم أحمدُ المتخيرُ[١]

وحمزة والعبَّاس منهُم ومنهمُ ... عَقيلٌ وماءُ العود من حيثُ يُعْصَر

بهم تُفْرَج اللَّأْواءُ فى كلّ مأزِق ... عَماسٍ إذا ما ضاق بالناس مَصدَر[٢]

همُ أولياءُ الله أنزَل حُكْمَه ... عليهم ، وفيهم ذا الكتاب المُطهَّر

(شعر كعب فى بكاء قتلى مؤتة) :

وقال كعب بن مالك :

نام العيُونُ ودَمعُ عيْنك يَهمُلُ ... سَحًّا كما وكَفَ[٣] الطِّبابُ المُخْضَلُ[٤]

فى ليْلةٍ وَرَدَتْ علَىَّ هُمُومُها ... طورا أحِنُّ[٥] وتارَةً أتَمَلْمَلُ[٦]

واعتادنى حُزْنٌ فَبِتّ كأننى ... ببنات نَعْشٍ والسِّماكِ مُوَكَّلُ[٧]

وكأنَّما بينَ الجوَانِح والحشَى ... مما تأوَّبَنى شِهابٌ مُدْخَلُ[٨]

وجْدا على النَّفَر الذين تَتابعُوا ... يوما بمُؤتة أُسْندوا لم يُنْقَلُوا

صَلَّى الإلهُ علَيْهم مِنْ فِتْيَةٍ ... وسَقَى عِظامهمُ الغَمام المُسْبِلُ[٩]

صَبَروا بمُؤتَةَ للإله نُفُوسَهُمْ ... حَذَرَ الرَّدَى ومخافَةً أن يَنْكُلُوا[١٠]

فمَضَوا أمامَ المُسْلمين كأنَّهمْ ... فُنُقٌ عليهنَّ الحديد المُرْفَلُ[١١]

---

(١) البهاليل : جمع البهلول : وهو السيد الوضىء الوجه .

(٢) اللأواء : الشدة . والعماس : المظلم . يريد ظلامه من كثرة النقع المثار وقت الحرب .

(٣) همل الدمع : سال ، وسحا : صبا ، ووكف : قطر .

(٤) كذا فى أكثر الأصول وشرح أبى ذر والروض . والطباب : جمع طبابة ، وهى سير بين خرزتين فى المزادة ، فإذا كان غير محكم وكف منه الماء . وفى (١) الضباب . والمخضل : السائل الندى .

(٥) كذا فى (١) وأحن (بالحاء المهملة) : من الحنين ، وفى سائر الأصول : « أخن » (بالخاء المعجمة) . والخنين : صوت يخرج من الأنف عند البكاء .

(٦) أتململ : أتقلب متبرما بمضجعى .

(٧) يريد أنه بات يرعى النجوم طول ليله من طول السهاد .

(٨) المدخل : النافذ إلى الداخل .

(٩) المسبل : الممطر .

(١٠) صبروا نفوسهم : حبسوها على ما يريدون . وينكلوا : يرجعوا هائبين لعدوهم .

(١١) الفنق : الفحول من الإبل ، الواحد : فنيق . المرفل : الذى تنجر أطرافه على الأرض ، يريد أن دروعهم سابغة .

إذ يهتدون بجعفر ولوائه قُدَّام أولهم فنعم الأول

حتى تفرجت الصفوف وجعفرٌ حيث التقى وعث الصفوف مجدَّل[١]

فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل[٢]

قرم[٣] علا بنيانه من هاشم فرعا أشمَّ وسؤددا ما ينقل[٤]

قومٌ بهم عصم الإله عباده وعليهم نزل الكتاب المنزل

فضلوا المعاشر عزة وتكرما وتغمدت أحلامهم من يجهل[٥]

لا يطلقون إلى السفاه حباهم ويرى خطيبهم بحق يفصل[٦]

بيض الوجوه ترى بطون أكفهم تندى إذا اعتذر الزمان الممحل[٧]

وبهديهم رضي الإله لخلقه وبجدهم نصر النبي المرسل[٨]

(شعر حسان فى بكاء جعفر بن أبى طالب) :

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولقد بكيت وعزّ مهلك جعفر حبّ النبي على البرية كلها

ولقد جزعت وقلت حين نعيت لى من للجلاد لدى العقاب وظلها[٩]

بالبيض حين تسل من أغمادها ضربا وإنهال الرماح وعلها[١٠]

---

(١) وعث الصفوف : التحامها حتى يصعب الخلاص من بينها ، تشبيها بالوعث ، وهو الرمل الذى تغيب فيه الأرجل ، ويصعب فيه السير . ومجدل : مطروح على الجدالة ، وهى الأرض .

(٢) تأفل : تغيب .

(٣) القرم : السيد .

(٤) كذا فى الأصول . وفى شرح أبى ذر : « ما ينقل : من رواه بالفاء فمعناه لايحجر ، ومن روا بالقاف فهو معلوم » .

(٥) تغمدت من يجهل : سترت جهل الجاهلين .

(٦) إطلاق الحبوة : كناية عن النهضة للنجدة . والحبوة (فى الأصل) : أن يشبك الإنسان أصابع يديه بعضها فى بعض . ويجعلها على ركبتيه إذا جلس . وقد يحتبى بحمائل السيف وغيرها .

(٧) الممحل : وهو الشديد القحط .

(٨) كذا فى (ا) وفى سائر الأصول : « بجدهم » بالحاء المهملة . قال أبو ذر : « من رواه بالحاء المهملة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم ؛ ومن رواه « بجدهم » بالجيم المكسورة ، فهو معلوم » .

(٩) العقاب : اسم لراية الرسول .

(١٠) الإنهال : الشرب الأول ، والعل : الشرب الثانى ، يريد الطعن بعد الطعن .

بعدَ ابنِ فاطِمَةَ المُبارك جَعْفَرِ خَيْرِ البريَّة كلِّها وأجلِّها[١]
رُزْءًا وأكْرَمِها جميعا مَحْتِدًا وأعَزِّها مُتَظَلِّما وأزَلِّها[٢]
للحقّ حين ينوبُ غير تَنَحُّلٍ[٣] كَذِبا ، وأنْداها يدًا[٤] ، وأقلِّها
فُحشا ، وأكثرِها إذا ما يُجْتَدَى[٥] فَضْلا ، وأبْذلِها نَدًى ، وأبَلِّها[٦]
بالعُرف غيرَ محمَّدٍ لا مثلُه حيٌّ منَ احياء البريَّة كلِّها[٧]

(شعر حسان فى بكاء ابن حارثة وابن رواحة) :

وقال حسَّان بن ثابت فى يوم مُؤْتة يبكى زيدَ بن حارثة وعبد الله بن رواحة :

عينِ جُودى بدَمْعك المَنْزورِ واذكُرى فى الرَّخاء أهل القُبورِ[٨]
واذكُرى مُؤْتَةَ وما كان فيها يومَ راحُوا فى وقْعة التَّغْويرِ[٩]
حين راحوا وغادَرُوا ثَمَّ زَيْدًا نعْمَ مأوى الضَّريك والمأسُورِ[١٠]
حِبَّ خَيْر الأنامِ طُرًّا جميعا سَيِّدَ النَّاسِ حُبُّهُ فى الصُّدُور
ذاكُمُ أحمدُ الذى لاسواهُ ذاكَ حُزْنى له معا وسُرورى
إنَّ زَيْدًا قد كانَ مِنَّا بأمْرٍ ليسَ أمْرَ المُكَذَّب المَغْرُور
ثم جُودى للخَزْرَجىّ بِدَمْعٍ سَيِّدًا كانَ ثَمَّ غيرَ نَزُورِ[١١]

---

(١) فاطمة : هى أم جعفر وعلى بن أبى طالب ، وهى فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى . (عن أبى ذر) .

(٢) المحتد : الأصل .

(٣) التنحل : الكذب .

(٤) فى ديوانه : «وأغمرها ندى» .

(٥) الاجتداء : طلب الجدوى ، وهى العطية .

(٦) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : «وأنداها يدا» .

(٧) رأينا هذا البيت فى ديوانه :

عَلَمٌ خير بَعْدَ مُحَمَّد لاشِبْهُهُ بَشَرٌ يُعَدُّ مِنَ البَرِيَّةِ جِلُّهَا

(٨) المنزور : القليل ، يريد أنه بكى حتى قل دمعه : فهو يأمر عينه أن تجود بذلك القليل على ما هو عليه .

(٩) التغوير : الإسراع إلى الفرار .

(١٠) الضريك : الفقير .

(١١) الخزرجى : هو عبد الله بن رواحة . والنزور : القليل العطاء . وهذا البيت غير مذكور فى الديوان .

قد أتانا مِن قَتْلِهِمْ ما كفانا فبحُزْن نَبِيت غير سُرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجَع من غزوة مُوْتة :

كَفى حزَنا أنى رَجَعْتُ وجَعْفر وزَيد وعبدُ الله فى رَمْس أقْبُرِ

قَضَوْا نحبَهمْ لما مَضَوْا لسَبيلهم وخُلِّفْتُ للبَلْوَى مع المتغَبِّر[1]

ثلاثة رَهْط قُدّمُوا فتقَدَّمُوا إلى وِرد مَكْروه من المَوْت أحمر

(شهداء مؤتة) :

وهذه تسمية من استُشهد يوم مُوْتة .

(من بنى هاشم) :

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفرُ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وزيدُ بن حارثة رضى الله عنه .

(من بنى عدى) :

ومن بنى عدىّ بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة .

(من بنى مالك) :

ومن بنى مالك بن حِسْل : وَهْب بن سعد بن أبى سَرْح .

(من الأنصار) :

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخَزْرج : عبد الله بن رواحَة ، وعبَّاد ابن قَيْس .

ومن بنى غَنم بن مالك بن النجَّار : الحارث بن النُّعمان بن أساف بن نَضْلة ابن عبد بن عوف بن غَنم .

ومن بنى مازن بن النَّجار : سُراقة بن عمرو بن عطيَّة بن خنساء .

(من ذكرهم ابن هشام) :

قال ابن هشام : وممن استُشْهد يوم مُوْتة ، فيما ذكر ابن شهاب .

---

(١) كذا فى الأصول . والمتغبر : الباقى . قال أبو ذر : ومن رواه « المتعذر » فهو معلوم .

من بنى مازن بن النَّجار : أبو كُلَيب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مَبْذول وهما لأب وأم .

ومن بنى مالك بن أفْصى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفْصى .

قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو [١] .

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان

(القتال بين بكر وخزاعة) :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بَعْثه إلى مُوْتة جمادى الآخرة ورجبا .

ثم إن بنى بكر بن عبد مَناة بن كنانة عَدَت على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوَتير ، وكان الذى هاج مابين بنى بكر وخُزاعة أن رجلا من بنى الحَضْرمى ، واسمه مالك بن عبَّاد — وحِلْف الحَضْرمى يومئذ إلى الأسود بن رَزْن [٢] — خرج تاجرا ، فلما توسَّط أرض خزاعة ، عَدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعَدت بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعدَت خزاعةُ قُبَيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْن الدِّيلى — وهم مَنْخَرُ [٣] بنى كنانة وأشرافهم — سَلْمى وكُلثوم وذُؤيب — فقتلوهم بعرَفة عند أنصاب الحرم [٤] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من بنى الدِّيل ، قال : كان بنو الأسود بن رِزْن يُوْدَوْن فى الجاهليَّة ديتين ديتين ، ونُودَى ديةً دية ، لفضلهم فينا .

---

(١) إلى هنا ينتهى الجزء السادس عشر من أجزاء السيرة .

(٢) رزن : يروى بكسر الراء وفتحها ، وإسكان الزاى وفتحها ؛ وقيده الدارقطنى بفتح الراء وإسكان الزاء لاغير . (راجع شرح السيرة) .

(٣) كذا فى ا . ويريد بالمنخر : المتقدمين ، لأن الأنف هو المقدم من الوجه . وفى سائر الأصول : « مفخر » بالفاء .

(٤) أنصاب الحرم : حجارة تجعل علامات بين الحل والحرم .

قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صلحُ الحُديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قُرَيش، كان فيما شرَطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرَط لهم، كما حدثنى الزهرى، عن عروة بن الزّبير، عن المِسْوَر بن مَخْرمة ومروان بن الحكم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحبّ أن يدخل فى عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعَهده فليدخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل فى عَقد قُرَيش وعهدهم فليدخل فيه. فدخلت بنو بكر فى عَقد قُريش وعهدهم، ودخلت خُزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعَهده [1].

قال ابن إسحاق: فلما كانت الهُدْنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خُزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأْرًا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن، فخرج نوفل بن معاوية الدّيلى فى بنى الديل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كلّ بنى بكر تابَعه [2] حتى بيَّت خُزاعة وهم على الوَتِير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلا، وتحاوزوا واقتتلوا، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح، وقاتل معهم من قُريش مَن قاتل بالليل مستخفيا، حتى حازوا [3] خُزاعةَ إلى الحَرَم، فلما انتهَوْا إليه، قالت بنو بكر: يا نَوْفل، إنّا قد دخلنا الحرم، إلهكَ إلهكَ، فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم، فلعمرى إنكم لتَسْرِقون [4] فى الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؛ وقد أصابوا منهم ليلة بيَّتوهم بالوَتير رجلا يقال له منبه وكان منبه رجلا مفئودا [5] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك، فأما أنا فوالله إنى لميِّت، قتلونى أو تركونى، لقد انبَتَّ [6] فؤادى، وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا مُنَبِّها فقتلوه، فلما دخلت

(١) هذه الكلمة ساقطة فى (أ).

(٢) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «بايعه».

(٣) كذا فى ا. وحازوهم: ساقوهم. وفى سائر الأصول: «حاوزوهم».

(٤) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «لتسرفون».

(٥) مفئودا: ضعيف الفؤاد.

(٦) انبت: انقطع.

خُزاعة مكة ، لجئوا إلى داربُدَيْل بن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تميم بن أسَد يعتذر من فراره عن مُنَبّه :

(شعر تميم فى الاعتذار من فراره عن منبه) :

لَمّا رأيتُ بَنِى نُفاثةَ أقبَلُوا ... يَغْشَوْنَ كُلَّ وَتِيرَةٍ [1] وحِجاب [2]
صَخْرًا ورَزْنا لا عَرِيبَ سِوَاهمُ ... يُزْجُونَ كُلَّ مُقَلِّص خَنَّاب [3]
وذكرتُ ذَحْلاً [4] عِندَنا مُتَقادِما ... فيما مَضَى مِنْ سالِف الأحقاب [5]
ونَشَيْتُ ريحَ المَوْتِ مِن تِلْقائهم ... ورهِبْتُ وَقْعَ مُهَنَّدٍ قَضَّاب [6]
وعرفتْ أن مَنْ يَثْقَفُوهُ يَتْرُكوا ... لَحْما لِمُجْرِيَة وشِلْوَ غُرَاب [7]
قوَّمتُ رِجْلا لا أخافُ عِثارَها ... وطَرَحت بالمَتْنِ العَرَاءِ ثِيابى [8]
ونَجَوْتُ لا يَنْجو نَجائى أحْقَبٌ ... عِلْجٌ أقَبُّ مشمَّرُ الأقْرَاب [9]
تَلْحَى ولو شَهِدَتْ لكان نكيرُها ... بَوْلاً يَبُلُّ مَشافِرَ القَبْقاب [10]
القَوْمُ أعْلم ما تركتُ مُنَبِّها ... عَن طِيبِ نَفْسٍ فاسألى أصحابى

(١) كذا فى الأصول . وفى شرح السيرة : « وثيرة » بالثاء المثلثة . قال أبو ذر : « من رواه بالثاء المثلثة فهى الأرض اللينة الرطبة . ومنه يقال : فراش وثير : إذا كان وطيا . ومن رواه بالتاء باثنتين ، يعنى الأرض الممتدة » .

(٢) الحجاب : ما اطمأن من الأرض وخفى .

(٣) لاعريب : أى لا أحد ، يقال : مابالدار عريب ولاكتيع ولا ذبيح ، فى أسماء غيرها ، وكلها بمعنى : ما بها أحد . ويزجون : يسوقون . والمقلص : الفرس المشمر . والخناب : الفرس الواسع المنخرين. ويروى : خباب ، أى مسرع ، من الخبب ، وهو السرعة فى السير .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . والذحل : طلب الثأر . وفى ا : « دخلا » .

(٥) الأحقاب : السنون .

(٦) نشى : شم . والمهند القضاب : السيف القاطع .

(٧) المجرية : اللبؤة التى لها جراء ، أى أولاد . والشلو : بقية الجسد .

(٨) المتن : ما ظهر من الأرض وارتفع . والعراء : الخالى لا يخفى فيه شىء .

(٩) نجوت : أسرعت . وأحقب : أى حمار وحش أبيض المؤخر ، وهو موضع الحقيبة . وعلج : غليظ . وأقب : ضامر البطن . ومشمر الأقراب : منقبض الخواصر وما يليها . ويروى : « مقلص الأقراب » ، وهو بمعناه .

(١٠) تلحى : تلوم . والمشافر : النواحى والجوانب . والقبقاب : من أسماء الفرج .

قال ابن هشام : وتُروى لحبيب بن عبد الله (الأعلم[١]) الهُذلى : وبيته : « وذكرت ذَحْلا عندنا مُتقادما » عن أبى عُبيدة ، وقوله « خناب » و « علج أقبّ مشمّر الأقراب » عنه أيضا .

(شعر الأخزر فى الحرب بين كنانة و خزاعة) :

قال ابن إسحاق : وقال الأخْزَر بن لُعْط الدّيلى ، فيما كان بين كِنانة وخُزاعة فى تلك الحرب :

ألا هَلْ أتى قُصْوَى الأحابيشِ أنّنا ... رَدَدْنا بنى كَعْب بأفْوَق ناصِلِ[٢]

حَبَسْناهُمُ فى دارَةِ العَبْدِ رَافعٍ ... وعنْدَ بُدَيْلٍ مَحْبِسا غير طائلِ[٣]

بِدارِ الذّليلِ الآخِذِ الضّيْمِ بعدَما ... شَفَيْنا النُّفُوسَ منهُمُ بالمَناصِلِ[٤]

حَبَسْناهُمُ حتى إذا طالَ يَوْمُهُمْ ... نَفَحْنا لهُمْ مِنْ كلّ شِعْبٍ بوَابلِ[٥]

نُذَبّحُهُمُ ذَبْحَ التُّيُوس كأنّنا ... أسُودٌ تَبارَى فيهِمُ بالقَوَاصِلِ[٦]

هُمُ ظَلَمونا واعتَدَوْا فى مَسيرِهم ... وكانُوا لَدَى الأنْصاب أوّلَ قاتل

كأنّهُمُ بالجِزْعِ[٧] إذْ يطرُدونَهم ... بفاثور[٨] حُفّان النّعام الجَوافلِ[٩]

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) قصوى : أبعد . والأحابيش : كل من حالف قريشا ، ودخل فى عهدها من القبائل . ويريد بقوله « بأفوق ناصل » : أنها ردت خائبة . والأفوق (فى الأصل) : السهم الذى انكسر فوقه ، وهو طرفه الذى يلى الوتر . والناصل : الذى زال نصله : أى حديدته التى تكون فيه .

(٣) الدارة : الدار .

(٤) الضيم : الذل . والمناصل : جمع منصل : وهو السيف .

(٥) نفحنا : وسعنا . والشعب : المطمئن بين جبلين . والوابل المطر الشديد ، وأراد به هنا دفعة الخيل

(٦) يريد « بالقواصل » : الأنياب .

(٧) الجزع : ما انعطف من الوادى .

(٨) كذا فى أكثر الأصول - . وفاثور : موضع بنجد ، قال أبو ذر . « ظاهره أنه اسم موضع ومن رواه : فغاثور ، ثثور : اسم جبل بمكة ، ومنعه هذا الشاعر الصرف ، لأنه قصد البقعة ، وقفاه : ورواه » . وفى ا : « فعاثور » .

(٩) حفان النعام : صغارها . والجوافل : المولية المسرعة

(شعر بديل فى الرد على الأخزر)

فأجابه بُدَيْل بن عبد مَناة بن سَلَمة بن عمرو بن الأجبّ [1] ، وكان يقال له : بُديل بن أمّ أصرم ، فقال :

تفاقَدَ قومٌ يفخَرُون ولم نَدَعْ … لهم سَيِّدًا يَنْدُوهُمُ غيرَ نافلِ [2]
أمِنْ خِيفةِ القومِ الأُلى تَزْدَرِيهِمُ … تُجيز الوَتيرَ خائفا غيرَ آئلِ [3]
وفى كلّ يومٍ نحنُ نَحْبُو حِباءنا … لعَقْلٍ ولا يُحْبَى لنا فى المَعاقِلِ [4]
ونحن صبَحْنا بالتَّلاعة دارَكُمْ … بأسْيافنا يَسْبِقْن لَوْمَ العَواذلِ [5]
ونحنُ منَعْنا بين بَيْضٍ وعتودٍ … إلى خَيْفِ رَضْوَى [6] من مَجَرّ القَنابلِ [7]
ويومَ الغَميم قد تَكَفَّتَ ساعيا … عُبَيْسٌ فجعَنْاه بجَلْدٍ حُلاحلِ [8]
أأن أجمَرت فى بيتها أمُّ بعضكم … بجُعْمُوسِها تَنْزُونَ أنْ لم نُقاتِلِ [9]
كذبْتُمْ وبيتِ اللهِ ما إنْ قَتَلْتُمُ … ولكنْ تَرَكْنا أمْرَكم فى بَلابِلِ [10]

قال ابن هشام : قوله « غير نافل » ، وقوله « إلى خَيْف رَضوى » عن غير ابن إسحاق .

---

(١) فى ا : « الأحب ، بالحاء المهملة » . وفى الاستيعاب لابن عبد البر : « الأخنس » . وقد ساق ابن عبد البر نسبه فقال : « هو أحد المنسوبين إلى أمهاتهم ، وهو بديل بن سلمة بن خلف بن عمرو بن الأخنس ابن مقياس بن حبتر بن عدى بن سلول بن كعب الخزاعى » .

(٢) يندوهم : يجمعهم فى الندى ، وهو المجلس .

(٣) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة ، وغير آئل : غير راجع .

(٤) نحبو : نعطى . والعقل : الدية .

(٥) التلاعة (بالفتح والتخفيف) : ماء لبنى كنانة بالحجاز . ويسبقن لوم العواذل : يشير إلى المثل المعروف : « سبق السيف العذل » .

(٦) بيض (بالفتح) : من منازل بنى كنانة بالحجاز : وعتود (بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح الواو . وروى بفتح أوله) : ماء لكنانة أيضا . والخيف : ما انحدر من الجبل . ورضوى : جبل بالمدينة .

(٧) كذا فى ا . والقنابل : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل .

(٨) الغميم : موضع بين مكة والمدينة . وتكفت : حاد عن طريقه . وعبيس : رجل . والجلد : القوى . والحلاحل : السيد .

(٩) الجعموس : العذرة . و « أجمرت . . . الخ » : أى رمت به بسرعة ، وهو كناية عن ضربه من الحدث يسمج وصفه : يريد الفزع وعدم الاطمئنان .

(١٠) البلابل : اختلاط الهم ووساوسه .

(شعر حسان فى الحرب بين كنانة وخزاعة) :

قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت فى ذلك:

لَحَا اللهُ قوما لم ندَعْ من سَرَاتِهم ... لهم أحَدا يَنْدُوهُمُ غيرَ ناقبِ[١]

أخُصْيَيْ حِمارٍ ماتَ بالأمْسِ نَوْفلاً ... متى كنتَ مِفْلاحا عدوَّ الحقائبِ[٢]

(شعر عمرو الخزاعى للرسول يستنصره ورده عليه) :

قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنوبكر وقُرَيش على خُزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونَقَضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلُّوا من خُزاعة، وكان فى عَقْده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعىُّ، ثم أحد بنى كعب، حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مَكَّة، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهْرانى الناس، فقال:

يارَبِّ إنى ناشدٌ محمدا ... حِلْفَ أبينا وأبيه الأتْلدا[٣]

قدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أسْلَمْنا فلَمْ نَنْزِعْ يدَا[٤]

فانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْرًا أعتَدا ... وادعُ عِبادَ اللهِ يأتوا مدَدا[٥]

فيهم رسولُ الله قد تجرَّدا ... إن سِيمَ خَسْفا وجهُه تَرَبَّدَا[٦]

فى فَيْلَقٍ كالبحر يجْرِى مُزْبِدا ... إنّ قُريشا أخلفوك المَوْعِدا[٧]

---

(١) سراة القوم: أشرافهم وخيارهم. وينْدوهم: يجمعهم فى النادى، وناقب: رجل. (عن أبى ذر واللسان).

(٢) المفلاح: من الفلاح، وهو بقاء الخير، والحقائب: جمع حقيبة، وهو ما يجعله الراكب وراءه إذا ركب. (عن أبى ذر).

(٣) ناشد: طالب ومذكر. والأتلد: القديم.

(٤) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة، وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية. والولد (بالضم) بمعنى الولد (بالتحريك). وأسلمنا: من السلم. قال السهيلى: «لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد، غير أنه قال: «ركعا وسجدا» فدل على أنه كان فيهم من صلى لله فقتل». (راجع الروض).

(٥) أعتد: حاضر، من الشيء العتيد، وهو الحاضر، والمدد: العون.

(٦) تجرد: من رواه بالحاء المهملة، فعناه: غضب: ومن رواه بالجيم، فعناه: شمر وتهيأ للحرب. وسيم: طلب منه وكلف. والخسف: الذل، وتربد: تغير إلى السواد.

(٧) الفيلق: العسكر الكثير.

ونَقَضُوا مِيثاقَكَ المُوَكَّدَا وجَعَلُوا لى فى كَدَاءِ رُصَّدا[1]
وزَعموا أنْ لستُ أدعُو أحَدَا وهُمْ أذَلّ وأقلّ عَدَدا
هُمْ بَيَّتُونا بالوَتِير هُجَّدا وقَتَلُونا رُكَّعا وسُجَّدا[2]

(يقول : قتلنا وقد أسلمنا[3]) .

قال ابن هشام : ويُروى أيضا :

فانصر هداك الله نصرا أيدا[4]

قال ابن هشام : ويُروى أيضا :

(نحن ولدناك فكنت ولدا[3])

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم[5] . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَان[6] من السَّماء ، فقال : إن هذه السَّحابة لتستَهِلّ بنصر بنى كعب .

(ذهاب ابن ورقاء إلى الرسول بالمدينة شاكيا وتعرف أبي سفيان أمره) :

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فأخبَروه بما أُصيب منهم ، وبمُظاهرة[7] قُريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشُدّ العَقْد ، ويَزيد فى المُدة . ومضى بُدَيل بن ورقاء وأصحابه حتى لقُوا أبا سُفيان بن حرب بعُسفان[8] ، قد بعثته قُريش إلى

---

(١) كداء بوزن سحاب : موضع بأعلى مكة ، ورصد كركع جمع راصد ، وهو الطالب للشيء الذى يرقبه ، ويجوز أن يكون رصدا كسبب ، وهو بمعنى الأول .

(٢) الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة . والهجد : النيام ، وقد يكون « الهجد » أيضا : المستيقظين وهو من الأضداد . ورواية هذا الشعر فى الاستيعاب تخالف روايته هنا تقديما وتأخيرا وزيادة وحذفا .

(٣) ما بين القوسين ساقط فى ا .

(٤) أيدا : قويا ، وهو من الأيد ، وهو القوة .

(٥) فى الاستيعاب : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لانصرنى الله إن لم أنصر بنى كعب » .

(٦) عنان : سحاب .

(٧) المظاهرة : المعاونة .

(٨) عسفان : على مرحلتين من مكة . على طريق المدينة . (راجع معجم البلدان) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليشُدّ العقد ، ويزيد فى المُدّة ، وقد رَهِبوا الذى صنعوا . فلما لقى أبو سفيان بُدَيْل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يا بُدَيْل ؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : تسيّرت فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ؛ قال : أو ما جئت محمدا ؟ قال : لا ؛ فلما راح بُدَيْل إلى مكة ، قال أبو سفيان : لئن جاء بُدَيْل المدينة لقد علَف بها النَّوى ، فأتى مَبْرك راحلته ، فأخذ من بَعرها ففتّه ، فرأى فيه النَّوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمدا .

(خروج أبى سفيان إلى المدينة للصلح وإخفاقه) :

ثم خرج أبو سفيان حتى قَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أمّ حبيبة بنت أبى سفيان ؛ فلما ذهب ليَجْلس على فِراش رسولِ الله صلى الله عليه وسلم طَوَتْه عنه ؛ فقال : يابُنيَّة ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفِراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مُشرك نجس ، ولم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله لقد أصابك يا بُنيَّة بعدى شرّ . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلَّمه ، فلم يردّ عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلَّمه أن يُكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطَّاب فكلَّمه ، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذَّرّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضوانُ الله عليه ، وعنده فاطمة بنتُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسنُ بن علىّ ، غلام يَدِبّ بين يديها ، فقال : يا علىّ ، إنك أمسّ القوم بى رحما ، وإنى قد جئت فى حاجة ، فلا أرجعنّ كما جئت خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ؛ فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزَم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلِّمه فيه . فالتفت إلى فاطمة فقال : يابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بُنَيَّك هذا فيُجيرَ بين الناس ، فيكون سيِّدَ العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بنىّ ذاك أن يُجير بين الناس ، وما يُجير أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدّت علىّ ، فانصحنى ؛ قال : والله ما أعلم لك شيئا يغنى عنك شيئا ، ولكنك سيِّد بنى كِنانة ، فقُم فأجِرْ بين الناس ، ثم الحق بأرضك ؛ قال : أو ترى ذلك مُغْنيا عنى شيئا ؟ قال : لا والله ، ما أظنُّه ، ولكنى لاأجد لك غير ذلك . فقام أبوسُفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى قد أجرتُ بين الناس . ثم ركب بعيرَه فانطلق ، فلما قدم على قُريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جِئْتُ محمدا فكلَّمته ، فوالله ماردَّ علىَّ شيئا ، ثم جئت ابن أبى قُحافة ، فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطَّاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدوّ .

قال ابن إسحاق : ثم جئت عليًّا فوجدته ألينَ القوم ، وقد أشار علىّ بشىء صنعتُه ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ؛ قالوا : ويلك ! والله إنْ زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يُغنى عنك ما قلت . قال : لاوالله ، ما وجدت غيرَ ذلك .

(تجهيز الرسول لفتح مكة) :

وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجَهاز ، وأمر أهلَه أن يجهِّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرّك بعض جَهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أى بُنَيَّة : أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهِّزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهَّزْ ؛ قال : فأين ترَيْنه يُريد ؟ قالت : (لا) والله ما أدرى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجِدّ والتَّهيُّؤ ، وقال : اللهمّ خذ العُيون والأخبار عن قُريش حتى نَبغتَها [١] فى بلادها . فتجهَّز الناس .

(شعر حسان فى تحريض الناس) :

فقال حسَّان بن ثابت يحرّض الناس ، ويذكر مُصاب رجال خزَاعة :

---

(١) هو من البغتة ، وهو الفجأة ، يقال : بغته الأمر وفجأه : إذا جاء ولم يعلم به .

عنّانى ولم أشهَد ببطحاء مكّةٍ ... رِجالُ بنى كَعْبٍ تُحَزُّ رِقابُها[١]
بأيْدِى رِجالٍ لم يَسُلّوا سُيوفَهم ... وقَتْلَى كثيرٌ لم تُجَنّ ثيابُها[٢]
ألا ليتَ شِعْرى هل تنالنّ نُصْرتى ... سُهَيل بن عمرو وخزُها وعِقابُها[٣]
وصَفْوانُ عَوْدٌ[٤] حَنّ من شُفْراسته[٥] ... فهذَا أوانُ الحرْب شُدّ عصابُها
فَلا تَأمَنَنّا يابن أُمّ مُجالد ... إذا احتُلِبت صِرْفا وأعْصَل نابُها[٦]
ولا تجزَعوا منّا فانّ سيوفَنا ... لهَا وقعَةٌ بالموْت يُفتَحُ بابُها

قال ابن هشام: قول حسّان: « بأيدى رجال لم يَسُلّوا سيوفَهم » يعنى قريشا؛ « وابن أمّ مجالد » يعنى عكْرمة بن أبى جهل.

(كتاب حاطب إلى قريش وعلم الرسول بأمره)

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمد بن جعفر بن الزُّبير، عن عُروة بن الزّبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسيرَ إلى مكة، كتب حاطبُ بن أبى بَلْتعة كتابا إلى قُريش يُخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم، ثم أعطاه امرأةً، زعم محمدُ بن جعفر أنها من مُزينة، وزعم لى غيره أنها سارَة، مولاةٌ لبعض بنى عبد المطّلب، وجعل لها جُعلا على أن تبلّغه قريشا، فجعلته فى رأسها، ثم فَتلت عليه قُرونها، ثم خرجت به؛ وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث علىّ بن أبى طالب والزبيرَ بن العوّام رضى الله عنهما، فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطبُ بن أبى بَلْتعة بكتاب إلى قريش، يحذّرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم

---

(١) عنانى: أهمنى. وفى الديوان: « غبنا فلم نشهد ببطحاء مكة رعاة... الخ ».
(٢) لم تجن ثيابها: لم تستر. يريد أنهم قتلوا ولم يدفنوا. وموضع هذا البيت متأخر فى الديوان.
(٣) كذا فى الديوان.
(٤) العود: المسن من الإبل.
(٥) كذا فى الديوان. وفى م: « شعر استه ».
(٦) الصرف: اللبن الخالص هنا. وأعصل: اعوج، والعصل: اعوجاج الأسنان. ورواية الديوان للشطر الثانى: « إذا لقحت حرب وأعصل نابها » وابن أم مجالد: هو عكرمة بن أبى جهل.

فخرجا حتى أدركاها بالخليقة[١] ، خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها ، فالتمسا فى رَحْلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها علىّ بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كَذَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كُذِبنا ، ولتُخرجِنّ لنا هذا الكتابَ أو لنكشفنَّك ، فلما رأت الجِدّ منه ، قالت : أعرِض ؛ فأعرض ، فحلّت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : ياحاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيَّرت ولا بدّلت ، ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهُرهم ولد وأهلٌ ، فصانَعْتهم عليهم . فقال عمر بن الخطّاب ، يا رسول الله ، دَعْنى فلأضرب عُنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يُدْريك يا عمر ، لعلّ الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى فى حاطب : « يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بالمَوَدَّةِ » . . . إلى قوله : « قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ، إذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وِممَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والبَغْضاءُ أَبَدًا حَتى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ » . . . إلى آخر القصة .

(خروج الرسول فى رمضان واستخلافه أبا رهم) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مُسلم بن شهاب الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسْعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسَفَره ، واستخلف على المدينة أبا رُهم ، كُلثوم بن حُصَين ابن عُتبة بن خَلَف الغفارىّ ، وخرج لعَشْر مَضَيْن من رمضان ، فصام رسولُ

(١) الخليقة : كذا وقع هنا بضم الخاء المعجمة فيهما . ورواه الخشنى : « بالخليقة » بفتح الخاء المعجمة فيهما . وفى كتاب ابن إسحاق : بذى الخليفة ، خليفة بنى أحمد ، بضم الخاء المعجمة فيهما ، بالفاء ، وهو اسم موضع . (عن أبى ذر) .

الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيد ، بين عُسْفان وأمَج أفطر .

(نزولهم مر الظهران وتجسس قريش أخبار الرسول) :

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران فى عشرة آلاف من المُسلمين ، فسبَّعت سُلَيم ، وبعضهم يقول ألَّفت [١] سُلَيم ، وألَّفت مُزَينة . وفى كلِّ القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المُهاجرون والأنصار ، فلم يتخلَّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظهران ، وقد عُمِّيَت الأخبار عن قُريش ، فلم يأتِهم خبرٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يَدْرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سُفيان بن حَرْب ، وحكيم بن حِزام ، وبُدَيل بن ورقاء ، يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به ، وقد كان العبَّاس بن عبد المطَّلب لقِىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

(هجرة العباس) :

قال ابن هشام : لقيه بالجُحْفة مُهاجرا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مُقيما بمكة على سِقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راضٍ ، فيما ذكر ابنُ شهاب الزُّهرى .

(إسلام أبى سفيان بن الحارث وعبد الله بن أمية) :

قال ابن إسحاق : وقد كان أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب وعبد الله بن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة قد لقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أيضا بنِيق العُقاب ، فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدُّخول عليه ، فكلَّمته أمُّ سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصِهْرك ؛ قال : لاحاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتَك عِرضى ، وأما ابن عمّتى وصِهْرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال . قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بُنَىٌّ له . فقال : والله ليأذنَنَّ لى أو لآخذنَّ بيدى بنى هذا ، ثم لنذهبَنَّ فى الأرض حتى نموت عطشا وجُوعا ؛ فلما بلغ ذلك

(١) سبعت سليم : أى كانت سبع مئة . وألفت : أى كانت ألفا .

رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهُما ، ثم أذِن لهُما ، فدَخلا عليه ، فأسلما.

(شعر أبى سفيان فى الاعتذار عما كان فيه قبل إسلامه) :

وأنشد أبو سُفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مَضَى منه ، فقال :

لَعَمْرُكَ إنى يوم أحمِلُ رايةً ... لتَغْلِبَ خيْلُ اللات خيل محمّدِ[1]

لكالمُدلج الحيرانِ أظْلم ليلُهُ ... فهذا أوانى حين أُهْدَى وأهتدى[2]

هدانى هادٍ غيرُ نَفسِى ونالَنى ... مع[3] الله من طرّدتُ كلّ مُطرّدِ

أصدّ وأنأى جاهدًا عن محمد ... وأدعى (وإن لم أنتسب) من محمّدِ[4]

هُمُ ما هُمُ مَنْ لم يقُلْ بهَواهُمُ ... وإن كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفنَّدِ[5]

أُريد لأرضيهم ولستُ بلائطٍ ... مع القوْم ما لم أُهْدَ فى كلّ مَقْعدِ[6]

فقُل لثَقيف لا أُريد قتالَها ... وقل لثقيفٍ تلك : غَيرى[7] أوعِدى[8]

فما كنت فى الجَيْش الذى نال عامرًا ... وما كان عن جرًا لسانى ولا يدى[9]

قَبائل جاءتْ مِن بلادٍ بَعيدةٍ ... نزائعَ جاءت مِنْ سَهام وسُرْدَدِ[10]

قال ابن هشام: ويروى «ودَلّنى على الحقّ من طردت كلّ مطرد».

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولَه : «ونالنى مع الله من طرّدت كلّ مطرّد» ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى صَدْره ، وقال : أنت طرّدتنى كل مطرّد.

---

(١) أحمل راية : يريد : أقود الناس للحرب. واللات : صنم من أصنام العرب. وخيل اللات : جيوش الكفر.

(٢) المدلج : الذى يسير بالليل.

(٣) كذا فى ا. وفى سائر الأصول : «ودلنى على الله» وقد آثرنا ما فى (ا) لإجماع الأصول عليها بعد.

(٤) أنأى : أبعد.

(٥) يفند : يلام ويكذب.

(٦) لائط : ملصق. يقال : لاط حبه بقلبى ، أى لصق به.

(٧) كذا فى ا ، وفى م ، ر «غيرى».

(٨) أوعدى : هددى.

(٩) عن جرا : من جراء.

(١٠) سهام (بوزن سحاب) ، وسردد (بوزن جؤذر) : موضعان من أرض عك. (انظر الروض

(قصة إسلام أبى سفيان على يد العباس) :

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْران ، قال العبَّاس بن عبد المطَّلب : فقلت : واصباح قُرَيش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عَنْوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قُريش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجتُ عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلى أجد بعضَ الحطَّابة أو صاحبَ لبن أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيُخبرَهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليَخْرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنْوة . قال : فوالله إنى لأسير عليها ، وألتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سُفيان وبُديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سُفيان يقول : ما رأيت كالليَّلة نيرانا قطّ ولا عسكرا ، قال : يقول بُدَيْل : هذه والله خُزاعة حَمشتها [١] الحرب . قال : يقول أبو سُفيان : خُزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرَفت صوته ؛ فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : ويحك يا أبا سُفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصباحَ قُريش والله . قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : والله لئن ظَفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفى ورجَع صاحباه ؛ قال : فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها ، قالوا : عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلىّ ؛ فلما رأى أبا سُفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سُفيان عدوّ الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد ، ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضْت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابةُ البطيئة الرجلَ البطىء .

---

(١) حمشتها الحرب : أحرقتها . ومن قال : حمستها (بالسين المهملة) فمعناه : اشتدت عليها ، وهو مأخوذ من الحماسة ، وهى الشدة والشجاعة .

قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمرُ ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبوسُفيان قد أمكن الله منه بغير عَقْد ولا عهد ، فدَعْنى فلأضرب عنقه ؛ قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد أجرتُه ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لايُناجيه الليلةَ دونى رجل ؛ فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدىّ بن كعب ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ؛ فقال : مهلا يا عبَّاس ، فوالله لإسلامُك يوم أسْلمت كان أحبّ إلىّ من إسلام الخطّاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطّاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به ياعبَّاس إلى رَحْلك، فاذا أصبحتَ فأتِنى به ؛ قال : فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غَدَوْتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يَأْنِ [١] لك أن تعلم أنه لاإله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحْلمك وأكرمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سُفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العبَّاس : ويحك ! أسلم واشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تُضرب عنقك . قال : فشَهِد شهادة الحقّ ، فأسلم ؛ قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سُفيان رجل يحبّ هذا الفخر ، فاجعل له شيئا ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سُفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهبَ لينصرفَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عبَّاس ، احبسه بمَضِيق الوادى عند خَطْم الجبل [٢] ، حتى تمرّ به جنود الله فيراها . قال :

---

(١) ألم يأن : ألم يحن ؛ يقال : آن الشى يئين ، وأنى يأنى ، (كرمى يرمى) وأنى يأنى (من باب فرح) كله بمعنى حان .

(٢) خطم الجبل . الخطم : أنف الجبل . وهو شىء يخرج منه ، يضيق به الطريق . ووقع فى البخارى فيه

فخرجتُ حتى حبَسْتُه بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحْبِسه .

(عرض جيوش الرسول أمام أبى سفيان) :

قال : ومرّت القبائل على راياتها ، كلما مرّت قبيلة قال : يا عبّاس ، مَن هذه ؟ فأقول : سُليم ، فيقول : مالى ولسُليم ، ثم تمرّ القبيلة فيقول : يا عباس ، مَن هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة ، فيقول : مالى ولمُزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمرّ به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فاذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حِلِّزة اليشكرى :

ثم حُجْرًا أعنى ابنَ أُمّ قَطامٍ وله فارِسيَّة خَضْراء

يعنى الكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسّان بن ثابت الأنصارى :

لمّا رأى بَدْرًا تَسِيل جِلاهُه بكتيبة خضراء مِنْ بَلْخَزْرَجِ

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لايرى منهم إلا الحَدق من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ؛ قال : ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة ؛ والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت : يا أبا سُفيان ، إنها النبوّة . قال : فنعم إذن .

(رجوع أبى سفيان إلى أهل مكة يحذرهم) :

قال : قلت : النجاءَ[1] إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيها لاقِبَل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان

رواية أخرى لبعض الرواة وهى : « عند حطم الخيل » (بالحاء المهملة) ، وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضا .

(١) النجاء : السرعة : . تقول : نجا ينجو نجاء : إذا أسرع .

فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمس[١] ، قُبّح من طليعة [٢] قوم ! قال : ويلكم لاتغرّنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لاقبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؛ قالوا : قاتلك الله ! وما تُغنى عنّا دارك ؛ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

(وصول النبي إلى ذى طوى) :

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طُوى وقف على راحلته مُعتجرًا بشُقّة بُرْدٍ حِبَرة [٣] حمراء ، وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليَضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونه ليكاد يمسّ واسطة الرَّحْل .

(إسلام أبي قحافة) :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، عن جدّته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لمّا وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى طُوًى قال أبو قُحافة لابنة من أصغر ولده : أى بنيّة ، اظْهَرى بي على أبي قبيس [٤] ؛ قالت : وقد كُفّ بصره ؛ قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أى بُنيّة ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سوادًا مجتمعا ، قال : تلك الخيل ؛ قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلا ومدبرًا ، قال : أى بنيّة ، ذلك الوازع [٥] ، يعني الذى يأمر الخيل ويتقدّم إليها ؛ ثم قالت : قد والله انتشر السواد ؛ قالت : فقال : قد والله إذن دُفعت الخيل ، فأسرعى بي إلى بيتي ، فانحطّت به ، وتلقاه الخيلُ

---

(١) الحميت : زق السمن ، الدسم : الكثير الودك ، والأحمس هنا : الشديد اللحم . والمعنى على تشبيه الرجل بالزق لعبالته وسمنه .

(٢) الطليعة : الذى يحرس القوم .

(٣) الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة ، والشقة : النصف والحبرة : ضرب من ثياب اليمن

(٤) اظهرى بي : اصعدى وارتفعى . وأبو قبيس : جبل بمكة .

(٥) الوازع : الذى يرتب الجيش ويسويه ويصفه ، فكأنه يكفه عن التفرق والانتشار .

قبل أن يصلَ إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوْقٌ من وَرِق [١] ، فتلقّاها رجل فيقتطعه من عنقها ؛ قالت : فلما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتّى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر ، يا رسول الله ، هو أحقّ أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت ؛ قال : (قالت) : فأجلسه بين يديه ، ثم مَسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ؛ قالت : فدخل به أبوبكر وكأنّ رأسه ثَغامة [٢] ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذامن شعره ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يُجبه أحد ؛ قالت : فقال : أى أُخَيَّة ، احتسبى طوقَك ، فوالله إنّ الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

(دخول جيوش المسلمين مكة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه من ذى طُوًى ، أمَرَ الزّبير بن العوّام أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ، وكان الزّبير على المُجَنِّبة اليسرى ، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَدَاء [٣] .

(تخوف المهاجرين على قريش من سعد وما أمر به الرسول) :

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وُجه داخلا ، قال : اليومُ يوم المَلْحمة ، اليوم تُستَحَلّ الحُرمة ؛ فسمعها رجلٌ من المهاجرين — قال ابن هشام : هو عمر بن الخطّاب — فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عُبادة ، ما نأمَن أن يكون له فى قُرَيْش صَوْلة ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطوق هنا : القلادة . والورق : الفضة .

(٢) الثغامة : واحدة الثغام ، وهو من نبات الجبال ، وأشد ما يكون بياضا إذا أمحل ، يشبهون به الشيب .

(٣) كداء (كسماء) : جبل بأعلى مكة ، وهى الثنية التى عند المقبرة وتسمى تلك الناحية المعلاة . ودخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة منها . و (ككرى) : جبل بأسفل مكة ، وخرج منه النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل غير ذلك . (راجع معجم البلدان والقاموس وشرحه) .

لعلى بن أبى طالب : أدركه ، فخُذ الراية منه فكُن أنت الذى تدخُل بها .

(طريق المسلمين فى دخول مكة) :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح فى حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط ، أسفلَ مكة ، فى بعض الناس . وكان خالد على المُجَنِّبة اليمنى ، وفيها أسلمُ وسُليم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عُبيدة بن الجرّاح بالصفّ من المسلمين يَنصبّ لمكة بين يدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضُربت له هنالك قُبَّته .

(تعرض صفوان فى نفر معه للمسلمين) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صَفْوان بن أُميَّة وعِكْرِمة بن أبى جهل وسُهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخَندمة ليُقاتلوا ، وقد كان حِماس بن قَيْس بن خالد ، أخو بنى بكر ، يُعِدّ سلاحا قبل دُخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُصلح منه ؛ فقالت له امرأته : لماذا تُعِدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ؛ قالت : والله ما أراه[1] يقوم لمحمد وأصحابه شىء ؛ قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم ، ثم قال :

إن يُقبِلوا اليومَ فما لى عِلَّه   هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّه[2]

وذو غِرارين سريع السَّلَّه[3]

ثم شهد الخَندمة مع صَفوان وسُهيل وعِكْرِمة ؛ فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوهم شيئا من قتال ، فقتل كُرز بن جابر ، أحد بنى محارب ابن فِهْر ، وخُنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى مُنْقذ ؛ وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذّا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقُتلا جميعا . قُتل خنيس

(١) كذا فى ا . وفى بعض النسخ : ما أرى أنه .

(٢) الألة : الحربة لها سنان طويل .

(٣) ذو غرارين : سيف ذو حدين .

ابن خالد قبل كُرز بن جابر ، فجعله كُرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتَل عنه حتى قُتِل ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ صَفْراء من بنى فِهرْ نَقيّـــة الوَجْه نقيّة الصّـــدرْ

لأضربنَّ اليومَ عن أبى صَخرْ [١]

قال ابن هشام : وكان خُنيس يُكنى أبا صخر ؛ قال ابن هشام : خُنيس بن خالد ، من خُزاعة :

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن بكر ، قالا : وأصيب من جُهينةَ سَلَمة بن الميْلاء ، من خيل خالد بن الوليد ؛ وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حِماسٌ منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى ؛ قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنّكِ لو شهدتِ يوم الخَنْدَمهْ إذ فرّ صفوان وفرّ عِكْرِمهْ

وأبو يزيدَ قائم كالمُوتَمَــهْ واستقبلتْهُمْ بالسُّيوف المُسْلِمه [٢]

يقطعنَ كلّ ساعد وجُمْجُمهْ ضَرْبا فلا يُسْمَع إلا غمغمه [٣]

لهم نَهيتٌ خلْفَنا وهَمْهَمهْ لم تنطِقِى فى اللَّوم أدنى كلمه [٤]

---

(١) يروى هذا الرجز بكسر الهاء فى (فهر) والدال فى الصدر (والخاء) فى (صخر) على مذهب العرب فى الوقف على ما أوسطه ساكن فإن منهم من ينقل حركة لام الكلمة إلى عينها فى الوقف إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضا ، ولا يفعلون ذلك فى النصب (راجع الروض) .

(٢) وأبو يزيد : قلب الهمزة ألفا ساكنة تخفيفا فى ضرورة الشعر . والمراد بأبى يزيد : سهيل بن عمرو خطيب قريش . والموتمة والموتم بلا همز ، وتجمع على مياتم ، وهى المرأة مات زوجها وترك لها أيتاما . وقال ابن إسحاق فى غير هذه الرواية : « المؤتمة » الأسطوانة ، وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ، لأنه تفسير راوى الحديث . وعلى قوله هذا يكون لفظ المؤتمة من قولهم : وتم : وأتم إذا ثبت ، لأن الأسطوانة تثبت ما عليها . ويقال فيها على هذا : مؤتمة بالهمز ، وتجمع على مآتم ، وموتمة بلا همز ، وتجمع على مواتم . (انظر الروض الأنف) .

(٣) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .

(٤) النهيت : صوت الصدر ، وأكثر ما يوصف به الأسد . والهمهمة : صوت فى الصدر أيضا .

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالموّتمه » ، وتُروى للرعاش [1] الهذلى .

(شعار المسلمين يوم الفتح وحنين والطائف) :

وكان شِعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحُنين والطائف ، شعارُ المهاجرين : يا بنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يا بنى عبد الله ، وشعار الأوس : يا بنى عُبيد الله .

(عهد الرسول إلى أمرائه وأمره بقتل نفر سماهم) :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يُقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عَهِد فى نفر سمّاهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر بن لؤىّ .

(سبب أمر الرسول بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه) :

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، فارتدّ مُشركا راجعا إلى قُريش ، ففرّ إلى عثمان بن عفّان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيّبه حتى أتى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأنّ الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه : فقال رجل من الأنصار : فهلا أومأت إلىّ يا رسول الله ؟ قال : إنّ النبىّ لا يقتل بالإشارة :

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق وعبد الله بن خطَل ، رجل من بنى تَيْم بن غالب : إنما أمر

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « الرعاس » قال أبو ذر : « الرعاش » : يروى هاهنا بالسين والشين ، وصوابه بالشين المعجمة لاغير » .

بقتله أنه كان مسلما ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدّقا [١] ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تَيْسا ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدّ مشركا .

(أسماء من أمر الرسول بقتلهم وسبب ذلك) :

وكانت له قَيْنتان : فَرْتَنى وصاحبتها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والحُوَيرث بن نُقَيذ بن وهب بن عبد بن قُصَىّ ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأمّ كلثوم ، ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الحُوَيرث ابن نُقَيذ ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق ومِقْيس بن حُبابة [٢] : وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قُريش مُشركا . وسارَة ، مولاة لبعض بنى عبد المُطّلب . وعِكْرِمة بن أبى جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ؛ فأما عِكْرِمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمّنه ، فخرجت فى طلبه إلى اليمن [٣] ؛ حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خَطَل ، فقتله سعيد بن حُرَيث المخزومى وأبو بَرْزة الأسلمى ، اشتركا فى دمه ؛ وأما مِقْيس بن حُبابة [٤] فقتله نُمَيلة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيس فى قتله :

لعَمْرى لقد أخزَى نُمَيْلَةُ رهطَه ... وفَجّع أضيافَ الشّتاء بمِقْيس

---

(١) مصدقا ، بتشديد الدال : جامعا للصدقات ، وهى الزكاة .

(٢) كذا فى القاموس وشرحه . وفى ا : « ضبابة » ، وفى م ، ر : « صبابة » .

(٣) هذه الكلمة (إلى اليمن) ساقطة فى ا .

(٤) راجع الحاشية (رقم ٢ ص ٥٢) .

فلله عينا من رأى مثلَ مِقْيَس إذا النُّفَساء أصبحت لم تُخَرَّس[١]

وأما قينتا ابن خَطَل فقُتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استُؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمَّنها . وأما سارَة فاستُؤمن لها فأمَّنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرسا فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحُوَيرث بن نُقَيذ فقتله علىّ بن أبى طالب .

(حديث الرجلين اللذين أمنتهما أم هانىء) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هِنْد ، عن أبى مُرَّة ، مولى عَقيل ابن أبى طالب ، أن أمّ هانئ بنة أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فرّ إلىّ رجلان من أحمائى ، من بنى مخزوم ، وكانت عند هُبَيرة بن أبى وَهْب المخزومى ، قالت : فدخل علىّ علىّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما بابَ بيتى ، ثم جئْت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جَفْنة إنّ فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىّ ، فقال : مرحبا وأهلا يا أمّ هانئ ، ماجاء بك ؟ فأخبرته خبرَ الرجلين وخبر علىّ ؛ فقال : قد أجرنا من أجرتِ ، وأمَّنا من أمَّنت ، فلا يقتلهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزُهيرُ بن أبى أُميَّة بن المُغيرة .

(طواف الرسول بالبيت وكلمته فيه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزّبير ، عن عُبيد الله بن عبد الله ابن أبى ثَوْر ، عن صَفيَّة بنت شَيْبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، واطمأنّ الناس ، خرج حتى جاء البيتَ ، فطاف به سَبْعا على راحلته ، يستلم الركن بمِحْجَن[٢] فى يده ؛ فلما قضى طوافه ، دعا عثمانَ بن طلحة ، فأخذ منه مِفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حَمامة من عِيدان ، فكَسَرها بيده

---

(١) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام خرس وخرسة (بضم الخاء)، وإنما أرادت به زمن الشدة .

(٢) المحجن : عود معوج الطرف ، يمسكه الراكب للبعير فى يده

ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناس [١] فى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : « لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزَم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثُرة [٢] أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قَدَمَىَّ هاتين إلاَّ سَدَانة [٣] البيت وسِقاية الحاج ، ألا وقتيلُ الخطأ شبه العمد بالسَّوْط والعصا ، ففيه الدّيةُ مغلظة ، مئة من الإبل ، أربعون منها فى بطونها أولادها . يامعشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى ، وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا ، إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ » . . . الآية كلها . ثم قال : يامعشر قريش ، ما تُرَوْن أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطُّلقاء »

(إقرار الرسول بن طلحة على السدانة) :

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقام إليه علىٌّ بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السِّقاية صلى الله عليك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طَلْحة ؟ فدُعِي له ، فقال : هاكَ مِفتاحَك ياعثمان ، اليومُ يومُ برّ ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سُفيان بن عُيَيْنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلىّ : إنما أعطيكم ما تُرْزَءُون لاما تَرْزَءُون [٣] .

---

(١) استكف له الناس : استجمع ، من الكافة ، وهى الجماعة . وقد يجوز أن يكون « استكف » هنا بمعنى نظروا إليه وحدقوا أبصارهم فيه كالذى ينظر فى الشمس : من قولهم : استكففت الشىء ، إذا وضعت كفك على حاجبيك ونظرت إليه ، وقد يجوز أن يكون استكف هنا بمعنى استدار ، ومنه قول النابغة : « إذا استكف قليلا تربه انهدما » . (عن أبى ذر) . والذى فى اللسان : « استكفوه : صاروا حواليه ؛ واستكف به الناس : إذا أحدقوا به » .

(٢) المأثرة : الخصلة المحمودة التى تتوارث ويتحدث بها الناس .

(٣) سدانة البيت : خدمته .

(٤) ما ترزءون لا ما ترزءون : قال أبو على : « إنما معناه : إنما أعطيتكم ما تمنون كالسقاية التى تحتاج إلى مؤن ، وأما السدانة فيرزأ لها الناس بالبعث إليها ، يعنى كسوة البيت » .

(أمر الرسول بطمس ما بالبيت من صور) :

قال ابنُ هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوّرا فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام[1] ، ما شأن إبراهيم والأزلام ! « ماكانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلَكِنْ كانَ حَنِيفا مُسْلِما ، وَماكانَ مِنَ المُشْرِكِينَ » . ثم أمر بتلك الصُّوَر كلها فطُمِسَت[2] .

(صلاة الرسول بالبيت وتوخى ابن عمر مكانه) :

قال ابنُ هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلّف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبَل وجهه ، وجعلَ الباب قِبَل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قَدْر ثلاث أذرع ، ثم يصلى ، يتوخَّى[3] بذلك الموضع الذى قال له بلال .

(سبب إسلام عتاب والحارث بن هشام) :

قال ابن هشام ، وحدثنى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل الكَعبة عام الفَتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذّن ، وأبو سُفيان بن حَرب وعتَّاب بن أسِيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسِيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه مُحِقّ لاتّبعته ، فقال أبو سُفيان : لاأقول شيئا ، لو تكلّمت لأخبرَتْ عنى هذه الحصَى ، فخرج عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمتُ الذى قُلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعتَّاب : نَشْهد أنّك رسول الله ، والله ما اطّلَع على هذا أحَدٌ كانَ معَنا ، فنقُول أخبَرك .

---

(١) الأزلام : واحدها زلم ، بضم الزاء وفتحها ، وهى السهام . ويستقسم بها : يضرب بها .

(٢) طمست : غيرت .

(٣) يتوخى : يتحرى يقصد .

(سبب تسمية الرسول لخراش بالقتال) :

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدَر الأسلمى ، عن رجل من قومه ، قال : كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا [١] ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غَطَّ [٢] غطيطا مُنكرا لايخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات مُعْتَنِزاً [٣] ، فإذا بُيِّتَ الحىّ [٤] صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لايقوم لسبيله شىء . فأقبل غَزِىّ [٥] من هُذَيل يريدون حاضره ، حتى إذا دنوا من الحاضر [٦] ، قال ابنُ الأثوع الهُذلى : لاتعجلوا علىَّ حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سَبيل إليهم ، فإن له غطيطا لايخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صَدْره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصَرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ؛ فلما كان عام الفتح ، وكان الغدُ من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهُذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شِرْكه ، فرأته خُزاعة ، فعَرَفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمرَ فَمَه [٧] ؟ قال : إذْ أقبلَ خراش بن أُميَّة مُشتملا على السَّيف ، فقال : هكذا عن الرجُل [٨] ، ووالله ما نظنّ إلا أنه يريد أن يُفرِج الناس عنه : فلما انفرَجنا عنه حمل عليه ، فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله

---

(١) علق أبو ذر على هذا الاسم بأنه جملة مركبة ، ولعله يريد أنه « احمر » بتشديد الراء ، فيكون منقولا من جملة فعلية مثل : « تأبط شراً » .

(٢) الغطيط : ما يسمع من صوت الآدميين إذا ناموا .

(٣) معتنزا : أى ناحية من الحى . يقال : هذا بيت معتنز : إذا كان خارجا عن بيوت الحى .

(٤) بيت الحى : غزوا ليلا .

(٥) الغزى : جماعة القوم يغزون .

(٦) الحاضر : الذين ينزلون على الماء .

(٧) فه : [illegible] ى بالاستفهامية ، حذفت ألفها واجتلبت هاء السكت فى الوقف ، ومعناه : فى الذى تريدون أن تصنعوه ؟

(٨) قال أبو ذر : « هكذا : اسم سمى به الفعل ، ومعناه تنحوا عن الرجل . وعن متعلقة بما فى هكذا من معنى الفعل » . ويفهم من قول خراش « هكذا » إشارته بيده إلى الناس ليتنحوا عن ابن الأثوع ، وليس يريد أنه من أسماء الأفعال .

لكأنى أنظر إليه وحِشْوَتُه [١] تسيل من بطنه ، وإن عينيه لَتُرَنِّقان [٢] فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يا معشرَ خُزاعة ؟ حتى انْجَعَفَ [٣] فوقع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر خُزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثُر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأَدِيَنَّه :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حَرْملة الأسلمى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خِراش بن أُميَّة ، قال : إن خِراشا لقَتَّال ؛ يعيبه بذلك .

(ما كان بين أبى شريح وابن سعد حين ذكره بحرمة مكة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المَقْبُرِىّ ، عن أبى شُرَيح الخُزاعى ، قال : لما قدِم عَمْرو بن الزّبير [٤] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزّبير ، جئته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكَّة ، فلما كان الغد من يوم الفَتح عَدَت خُزاعة على رجل من هُذَيل فقتلوه وهو مُشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إنّ اللهَ حرَّم مكَّة يوم خلَق السَّموات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِن بالله واليوْم الآخر ، أنْ يَسفِك فيها دَما ،

---

(١) الحشوة (بالكسر) : ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها .

(٢) لترنقان : يريد أنهما قريبان أن تنغلقا . يقال : رنقت الشمس ، إذا دنت للغروب ، ورنقه النعاس ، إذا ابتدأه قبل أن تنغلق عينه . قال الشاعر :

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... فى عينه سِنة وليس بنائم

(٣) انجعف : سقط سقوطا ثقيلا . يقال : انجعفت الثمرة ، إذا انقلعت أصولها فسقطت .

(٤) قال السهيلى : هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : وهو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو الأشدق . . . وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبنى أمية . هذا ما ذهب إليه السهيلى . وقد نقل ابن أبى الحديد عن المسعودى، فى شرح نهج البلاغة (ج ٤ ص ٤٩٥) ما يثبت أن قتالا كان بين عمرو بن الزبير وأخيه عبد الله ، قال : « كان يزيد بن معاوية قد ولى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان المدينة ، فسرح منها جيشا إلى مكة لحرب عبد الله ابن الزبير ، عليه عمرو بن الزبير أخوه ، وكان منحرفا عن عبد الله ، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر به عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد مجرداً ، ولم يزل يضرب بالسياط حتى مات » .

ولا يَعْضِدَ [١] فيها شجرا ، لم تَحْلِل لأحد كان قبلى ، ولا تَحِلّ لأحد يكون بعدى ، ولم تَحْلِلْ لى إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رَجَعَتْ كحُرمتها بالأمس ، فليبلّغ الشّاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله (قد) [٢] قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلّها لرسوله ، ولم يُحْلِلْها لكم ، يا معشر خُزاعة ارفعوا أيديَكم عن القتل ، فلقد كثُر القتل إنْ نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأَدِيَنَّهُ ، فمن قُتِل بعد مَقامى هذا فأهله بخير النَّظَرَين : إن شاءوا فدَم قاتله ؛ وإن شاءوا فعَقْلُهُ . ثم وَدَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خُزاعة ؛ فقال عمرو لأبى شُريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحُرْمتها منك ، إنها لاتمنع سافكَ دم ، ولا خالعَ طاعة ، ولا مانع جِزْية ؛ فقال أبو شُريح : إنى كنتُ شاهدا وكنتَ غائبا ، ولقد أمرَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبلِّغ شاهدُنا غائبَنا ، وقد أبلغتُكَ ، فأنت وشأنك .

(أول قتيل وداه الرسول يوم الفتح) :

قال ابن هشام : وبلغنى أن أوّل قتيل وَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيْدب بن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوَدَاهُ بمئة ناقة .

(تخوف الأنصار من بقاء الرسول فى مكة وطمأنة الرسول لهم) :

قال ابن هشام : وبلغنى عن يحيى بن سعيد : أن النبىّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو (الله) [٣] ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أتُرَون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فَرَغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لاشىء يا رسول الله ؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : مَعاذ الله ! المَحْيا محياكم ، والمَمات مماتكم .

(سقوط أصنام الكعبة بإشارة من الرسول) :

قال ابن هشام : وحدثنى من أثِق به من أهل الرّواية فى إسناد له ، عن ابن شهاب

---

(١) لا يعضد : لايقطع .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

الزهرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرَّصاص ، فجعل النبىّ صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول « جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إن الباطِلَ كانَ زهُوقا » فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ؛ فقال تميم بن أسَد الخزاعىّ فى ذلك :

وفى الأصْنام مُعْتَـــبَر وعِلْم ... لمن يَرْجو الثَّوابَ أو العقابا

(كيف أسلم فضالة) :

قال ابن هشام : وحدثنى : أن فَضالة بن عُمَير بن المُلَوَّح الليْثىَّ أراد قتل النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عامَ الفتح ؛ فلما دنا منه ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أفَضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ؛ قال : ما ذا كنت تحدّث به نفسك ؟ قال : لاشىء ، كنت أذكر الله ؛ قال : فضحك النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : : استَغْفِر الله ، ثم وضع يده على صدْره ، فسكن قلبه ؛ فكان فَضالة يقول : والله مارفع يده عن صدرى حتى مامِنْ خلْقِ الله شىءٌ أحبّ إلىّ منه . قال فضالة : فرَجعت إلى أهلى ، فمررت بامرأة كنت أتحدّث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فَضالة يقول :

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلت لا ... يَأبَى عليْكِ اللهُ والإسْــلامُ

لَوْما رأيتِ محمَّدًا وقَبيــلَه ... بالفتح يومَ تَكَسَّر الأصْــنام

لرأيتِ دينَ اللهِ أضْحَى بيِّنا ... والشِّركُ يغشَى وجهَه الإظــلامُ

(أمان الرسول لصفوان بن أمية) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزّبير ، قال : خرج صفوان بن أُميَّة يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عُمَير بن وَهْب : يانبىّ الله إن صفوان بن أميَّة سيِّد قومه ، وقد خرج هاربا منك ، ليقذف نفسه فى البحر ، فأمِّنْه ، صلى اللهُ عليكَ ؛ قال : هو آمن ؛ قال : يا رسول الله ، فأعطنى آية يعرف بها أمانك ؛ فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عِمامَته التى دخل فيها مكة ،

فخرج بها عُمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال : يا صفوان ، فِداك أبى وأمى ، اللهَ اللهَ فى نفسك أن تُهلكها ، فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ؛ قال : ويحك ! اغرُب عنى فلا تكلّمْنى ؛ قال : أى صفوان ، فداك أبى وأمى ، أفضلُ النَّاس ، وأبرُّ الناس ، وأحلْم الناس ، وخير النَّاس ، ابن عمك ، عزُّه عزُّك ، وشَرفه شرفك ، ومُلْكه مُلكك ؛ قال : إنى أخافه على نفسى ؛ قال : هو أحلم من ذاك وأكرم : فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمَّنْتَنِى قال : صدق ؛ قال : فاجعلنى فيه بالخِيار شهرين ؛ قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قُريش من أهل العلم أن صفوان قال لُعمير : وَيْحك ! اغرُبْ عنى ، فلا تكلّمْنى ، فإنَّك كذَّاب ، لِما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

(إسلام عكرمة وصفوان) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاختة بنت الوليد — وكانت فاختة عند صَفْوان بن أُميَّة ، وأمّ حكيم عند عِكْرِمة بن أبى جَهل — أسلَمَتا ؛ فأما أمّ حكيم فاستأمَنَت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعِكْرِمة ، فأمَّنَه ، فلحقتْ به باليمن ، فجاءت به ؛ فلما أسلم عِكْرِمة وصفوان أقرّهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأوّل .

(إسلام ابن الزبعرى وشعره فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت : قال : رَمى حسَّانُ بنُ الزِّبَعْرَى وهو بنجرانَ ببيت واحد ما زاده عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجُلاً أحَلَّك بُغْضُهُ ... نجرانَ فى عَيْشٍ أحَذَّ لئيم[1]

---

(١) أحذ (بالحاء المهملة والذال المعجمة) : هو القليل المنقطع . ومن رواه : أجد ، (بالجيم والدال المهملة) : فمعناه منقطع أيضا . وقد يجوز أن يكون معناه : فى عيش لئيم جدا . (عن شرح أبى ذر) .

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبَعْرَى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

يا رَسُولَ المَليكِ إنّ لِساني ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ[١]
إذْ أبارِى الشَّيطانَ فى سَنَنِ الغَىِّ ... ومَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبورُ[٢]
آمَنَ اللَّحْمُ والعِظامُ لِرَبِّى ... ثم قَلْبِى الشَّهيدُ أنتَ النَّذيرُ
إنَّنِى عَنْكَ زاجِرٌ ثمَّ حَيًّا ... مِنْ لُؤَىٍّ وكُلُّهُمْ مَغْرُورُ

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى أيضا حين أسلم :

مَنَعَ الرُّقادَ بَلابِلٌ وهُمُومُ ... واللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّواقِ بَهِيمُ[٣]
مِمَّا أتانِى أنَّ أحمدَ لامَنِى ... فِيهِ فبِتُّ كأنَّنِى مَحْمُومُ
يا خيرَ مَنْ حَمَلَتْ على أوْصالِها ... عَيْرانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْنِ غَشُومُ[٤]
إنِّى لَمُعْتَذِرٌ إلَيْكَ مِنَ الَّذِى ... أسْدَيْتُ إذْ أنا فى الضَّلالِ أهِيمُ[٥]
أيَّامَ تَأْمُرُنِى بأغْوَى خُطَّةٍ ... سَهْمٌ وتَأْمُرُنِى بها مَخْزُومُ
وأمُدُّ أسبابَ الرَّدَى ويَقُودُنِى ... أمْرُ الغُوَاةِ وأمرُهم مَشْئُومُ[٦]
فاليَوْمَ آمَنَ بالنَّبِىِّ مُحَمَّدٍ ... قَلْبِى ومُخْطِئُ هذهِ مَحْرُومُ
مَضَتِ العَداوَةُ وانقَضَتْ أسْبابُها ... ودَعَتْ أواصِرُ بينَنا وحُلُومُ[٧]

---

(١) الراتق : الساد ، تقول : رتقت الشيء ، إذا سددته . قال الله تعالى : « كانتا رتقا ففتقناهما » . وفتقت : يعني في الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة رتق . ومن أجل ذلك قيل للتوبة نصوح : من نصحت الثوب إذا خطته ، والنصاح : الخيط . وبور : هالك . يقال : رجل بور وبائر ، وقوم بور .

(٢) أبارى : أجارى وأعارض . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور : هالك .

(٣) البلابل : الوساوس المختلطة والأحزان . معتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . والبهيم : الذى لاضياء فيه .

(٤) عيرانة : ناقة تشبه العير فى شدته ونشاطه . والعير هنا : حمار الوحش . وسرح اليدين : خفيفة اليدين . وغشوم : لاترد عن وجهها . ويروى : (سعوم) وهى القوية على السير . ويروى أيضا (رسوم) ومعناه أنها ترسم الأرض وتؤثر فيها ، من شدة وطئها .

(٥) أسديت : صنعت وحكيت ، يعنى ما قال من الشعر قبل إسلامه وأهيم : أذهب على وجهى متحيرا .

(٦) الردى : الهلاك .

(٧) الأواصر : جمع آصرة ، وهى قرابة الرحم بين الناس .

فاغْفِر فِدًى لك والداى كِلاهما زَلَلى ، فإنَّك رَاحِمٌ مَرْحُومُ
وعليكَ مِنْ عِلْمِ المَليك عَلامَةٌ نُورٌ أغَرُّ وخاتَمٌ مختُومُ
أعْطاكَ بعْد مَحَبَّةٍ بُرْهانه شَرَفا وبُرْهانُ الإلهُ عَظِيمُ
ولقد شَهِدتُ بأن دينكَ صادقٌ حَقٌ وأنَّك فى العباد جَسِيمُ
والله يشْهَدُ أنَّ أحمد مُصْطَفًى مُسْتَقْبَل فى الصالحِين كَرِيمُ[١]
قَرْمٌ عَلا بُنْيانه مِنْ هاشمٍ فَرْع تمكن فى الذُّرا وأُرُومُ[٢]

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

(بقاء هبيرة على كفره وشعره فى إسلام زوجه أم هانئ) :

قال ابن إسحاق : وأما هُبيرة بن أبى وَهْبٍ المخزومىُّ فأقام بها حتّى مات كافرا ، وكانت عنده أمّ هانئ بنة أبى طالب ، واسمها هِنْد ، وقد قال حين بلغه إسلام أمّ هانئ :

أشاقتكَ هِنْدٌ أمْ أتاكَ سُؤَالُهَا[٣] كذاكَ النَّوى أسْبابُها وانْفِتالُها[٤]
وقد أرَّقَتْ فى رأس حِصْن ممنَّع بنجرانَ يسرِى بعدَ ليلٍ خيالُها[٥]
وعاذلة هَبَّتْ بلَيْلٍ تَلُومُنِى وتَعْذِلُنِى باللَّيْلِ ضَلَّ ضَلالُهَا[٦]
وتَزْعُمُ أنى إنْ أطَعْتُ عَشيرتى سأرْدَى وهل يُرْدِين إلاَّ زِيالُهَا[٧]
فانى لِمِنْ قَوْم إذا جَدَّ جِدُّهُم على أىِّ حال أصبحَ اليومَ حالُهَا
وإنى لحامٍ مِن وراءِ عشيرتى إذا كان من تحت العوالى مجالُهَا[٨]

(١) مستقبل : منظور إليه ملحوظ .

(٢) قرم : سيد ، وأصله الفحل من الإبل . والذرا : الأعالى ، جمع ذروة . والأروم : الأصول، جمع أرومة (بفتح أوله وضمه) .

(٣) كذا فى م ، ر . وفى ا : « نآك » . قال أبو ذر فى شرحه : « نآك » أى بعد عنك . والنأى: البعد » .

(٤) وانفتالها : أى تقلبها من حال إلى حال . ويروى : « وانتقالها » .

(٥) أرقت : أزالت النوم . ونجران : بلد من اليمن .

(٦) هبت : استيقظت . وضل ضلالها : دعاء عليها بالضلال .

(٧) سأردى : سأهلك . وزيالها : ذهابها .

(٨) العوالى : أعالى الرماح .

وصارت بأيديها السُّيُوف كأنَّها مخاريقُ وِلْدان ومنها ظِلالُها[١]
وإنى لأقْلى الحاسِدينَ وفِعلَهُمْ على الله رزقٌ نفسُها وعيالُها[٢]
وإنّ كلام المَرْء فى غير كُنْهِه لكالنَّبْل تَهوى ليس فيها نِصالُها[٣]
فانْ كنتِ قد تابعت دِينَ محمَّد وعطَّفَتِ الأرْحامَ منك حِبالُها
فكونى على أعلى سَحيقٍ بِهَضْبةٍ مُلَمْلَمةٍ غَبْراء يَبْسٍ بِلالُها[٤]

قال ابن إسحاق: ويُروى: «وقطعت الأرحامَ منك حبالُها».

(عدة من شهد فتح مكة من المسلمين):

قال ابن إسحاق: وكان جميع من شَهد فتح مكة من المسلمين عشرةَ آلاف. من بنى سُلَيم سبع مئة. ويقول بعضهم: ألف؛ ومن بنى غِفار أربع مئة، ومن أسْلَم أربع مئة؛ ومن مُزَيْنة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قُريش والأنصار وحُلفائهم، وطوائف العرب من تَميم وقَيْس وأسد.

(شعر حسان فى فتح مكة):

وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسَّان بن ثابت الأنصارىّ[٥]:

عَفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواءُ إلى عَذْرَاءَ مَنزِلُها خَلاءُ[٦]

---

(١) المخاريق: جمع مخراق، وهى مناديل تلف ويمسكها الصبيان بأيديهم، يضرب بها بعضهم بعضا، شبه السيوف بها.

(٢) قلاه: (كرماه ورضيه، قلى وقلاء ومقلية): أبغضه وكرهه غاية الكراهة، فتركه. ونفسها وعيالها: يريد نفسه وعياله.

(٣) كنهه: حقيقته. والنصال: حديد السهام.

(٤) السحيق: البعيد. والهضبة: الكدية العالية. والململمة: المستديرة. والغبراء: التى علاها الغبور. ويبس: يابسة.

(٥) وردت هذه القصيدة فى ديوان حسان المطبوع بأوروبا بزيادة بعض الأبيات واختلاف فى ترتيب بعض.

(٦) عفت: تغيرت ودرست. ذات الأصابع والجواء: موضعان بالشام؛ وبالجواء كان منزل الحارث ابن أبى شمر الغسانى، وكان حسان كثيرا مايفد على ملوك غسان بالشام يمدحهم، فلذلك يذكر هذه المنازل. وعذراء: قرية على بريد من دمشق.

دِيارٌ من بنى الحَسْحاس قَفْرٌ ... تُعَفِّيها الرَّوامسُ والسَّماءُ[١]

وكانَتْ لا يَزالُ بها أنِيسٌ ... خِـلالَ مُرُوجِها نَعَمٌ وشاءُ[٢]

فدَعْ هذا ، ولكنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنى إذا ذَهَبَ العِشاءُ[٣]

لِشَعْثاءَ التى قد تَيَّمَتْه ... فلَيسَ لقَلْبِه منها شِفاءُ[٤]

كأنَّ خَبِيئَةً مِن بيت رأس ... يكون مِزاجَها عسلٌ وماءُ[٥]

إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْنَ يَوْما ... فهُنَّ لطَيِّبِ الرَّاحِ الفِداءُ[٦]

نوَلِّيها المَلامَةَ إن أَلَمْنا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاءُ[٧]

ونَشْرَبها فتَتْركُنا مُلوكا ... وأُسْدًا ما يُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ[٨]

عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لم تَرَوْها ... تُثِير النَّقعَ مَوْعِدُها كَداءُ[٩]

يُنازِعْنَ الأعِنَّةَ مُصْغِيات ... على أكْتافِها الأَسَلُ الظِّماءُ[١٠]

---

(١) بنو الحسحاس : حى من بنى أسد . وأصل الحسحاس الرجل الجواد ، ولعله مراد هنا . والروامس : الرياح التى ترمس الآثار أى تغطيها . والسماء : المطر . (عن السهيلى) .

(٢) النعم : المال الراعى ، وهو جمع لا واحد له من لفظه ، وأكثر ما يقع على الإبل . والشاة من الغنم ، يقع على الذكر والأنثى ، والجمع شاء وشياه .

(٣) الطيف : خيال المحبوبة يلم فى النوم . ويؤرقنى : يسهرنى . يريد أن الطيف إذا زال عنه وجد له لوعة تؤرقه .

(٤) شعثاء : اسم امرأة ، قيل هى بنت سلام بن مشكم اليهودى ، كما فى السهيلى ، وقيل هى امرأة من خزاعة ، كما فى نوادر ابن الأعرابى ، وقيل غير ذلك .

(٥) الخبيئة : الخمر المخبوءة المصونة المضنون بها . وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة . وبعد هذا البيت فى الديوان المطبوع بأوربا :

على أنيابها أو طعم غض ... من التفاح هصره اجتناء

وعلق عليه السهيلى فقال : البيت موضوع ، لا يشبه شعر حسان ولا لفظه .

(٦) الأشربات : جمع الأشربة : والأشربة : جمع شراب . يريد أن الأشربة غير راح بيت رأس لا تدانيها فى اللذة .

(٧) نوليها الملامة : نصرف اللوم إليها . إن ألمنا : إن فعلنا ما نستحق عليه اللوم . يقال : ألام الرجل فهو مليم . والمغث : الضرب باليد . واللحاء : السباب .

(٨) ينهنهنا : يزجرنا ويردنا .

(٩) النقع : الغبار . وكداء (بوزن سحاب) : ثنية بأعلى مكة (راجع الحاشية الأولى ص ٤٠٦) .

(١٠) الأعنة : جمع عنان ، وهو اللجام . والمصغيات : الموائل المنحرفات للطعن . والأسل . الرماح . والظماء : العطاش . ويروى : (يبارين الأسنة) بدل : (ينازعن الأعنة) . و (مصعدات) بدل مصغيات.

تظلُّ جيادُنا مُتَمَطِّراتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بالخُمُرِ النِّساءُ[١]
فإمّا تُعْرِضُوا عَنّا اعْتَمَرْنا وكان الفَتحُ وانكَشَفَ الغِطاءُ[٢]
وإلا فاصْبِرُوا لِجِلادِ يَوْمٍ يُعِينُ اللهُ فيهِ مَنْ يَشاءُ[٣]
وجِبريلٌ رسولُ اللهِ فينا ورُوحُ القُدْسِ ليس له كِفاءُ[٤]
وقالَ اللهُ قد أرْسَلْتُ عَبْدًا يقُولُ الحَقَّ إنْ نَفَعَ البَلاءُ[٥]
شَهِدتُ به فَقُومُوا[٦] صَدِّقُوهُ فقلْتُمْ لانقوم ولا نَشاءُ
وقالَ اللهُ قد سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الأنْصارُ عُرْضَتُها اللِّقاءُ[٧]
لَنا فى كلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاءُ
فنُحْكِمُ بالقَوافى مَنْ هَجانا ونَضْرِبُ حين تختلطُ الدِّماءُ[٨]
ألا أبْلِغْ أبا سُفيانَ[٩] عَنِّى مُغَلْغَلَةً[١٠] فقد بَرِحَ الخَفاءُ
بأن سُيُوفَنا تَرَكَتْكَ عَبْدًا وعبدُ الدّارِ سادَتُها الإماءُ[١١]

---

(١) المتمطرات : قيل معناه المصوبات بالمطر . ويقال : المتمطرات : التى يسبق بعضها بعضا . ويلطمهن : تضرب النساء وجوههن لتردهن . والخمر : جمع خمار ، وهو ماتغطى به المرأة رأسها ووجهها ، أى أن النساء كن يضربن وجوه الخيل بخمرهن يوم الفتح . قال السهيلى : وقال ابن دريد فى الجمهرة : كان الخليل رحمه الله يروى بيت حسان : (يطلمهن بالخمر) وينكر : (يلطمهن) ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما عليهن من غبار أو نحو ذلك .

(٢) اعتمرنا : أدينا مناسك العمرة ، وهى زيارة بيت الله الحرام .

(٣) الجلاد : القتال بالسيوف . ويروى : (يعز الله) بدل (يعين الله) .

(٤) كفاء : مثل .

(٥) البلاء : الاختبار .

(٦) رواية الديوان : (وقوى) .

(٧) عرضتها اللقاء : عادتها أن تتعرض للقاء ، فهى قوية عليه .

(٨) نحكمه : نمنعه ونكفه ، ومنه سمى القاضى حاكما ، لأنه يمنع الناس من الظلم .

(٩) أبو سفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبى ، وكان هجا النبى قبل أن يسلم .

(١٠) مغلغلة : رسالة ترسل من بلد إلى بلد . ورواية هذا البيت فى الديوان :

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نخب هواء

والمجوف : الخالى الجوف ، يريد به الجبان . وكذلك النخب والهواء .

(١١) يريد أن سيوف الأنصار جعلت أبا سفيان كالعبد الذليل يوم فتح مكة ، وأن سادة بنى عبد الدار صاروا كالإماء فى المذلة والهوان .

هَجَوْتَ محمَّدًا وأجبْتُ عنهُ ... وعنــدَ الله فى ذاكَ الجزاءُ
أتهْجُوهُ ولستَ لهُ بكُفْءٍ ... فشرُّكما لخيركما الفِداءُ
هَجَوْتَ مُباركا برًّا حَنيفا ... أمينَ الله شيمتُــه الوفاءُ[1]
أمَنْ يهْجو رسولَ الله منكمْ ... ويمدَحُــه وينصرُه سَـــواءُ ؟
فإنَّ أبى ووالده وعِــرضى ... لعرض محمَّــد منكم وِقاءُ
لسانى صارمٌ لا عيبَ فيــه ... وبحــرى لا تُكدِّره الدِّلاءُ

قال ابن هشام : قالها حسَّان يوم الفتح . ويُروى : « لسانى صارم لاعتب فيه »

وبلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النِّساء يَلْطِمْن الخيلَ بالخُمُر تبسَّم إلى أبى بكر الصدِّيق رضى الله عنه .

(شعر أنس بن زنيم فى الاعتذار إلى الرسول مما قال ابن سالم) :

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُنَيْم الدِّيلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عَمرو بن سالم الخزاعى :

أأنتَ الذى تُهْدى مَعَــدٌّ بأمره ... بَلِ اللهُ يَهْديهم وقالَ لكَ اشْهَدِ
وما حَمَلَتْ مِنْ ناقَةٍ فَوْقَ رَحْلِها ... أبَرَّ وأوْفَى ذِمَّــةً مِن مُحَمَّــدِ
أحَثَّ على خــيرٍ وأسبغَ نائلا ... إذا راحَ كالسَّيف الصَّقيلِ المُهنَّدِ
وأكْسَى لِبُرْدِ الخالِ قبلَ ابتذالِه ... وأعْطى لرأس السَّابق المتجــرِّدِ[2]
تعلَّمْ رسولَ الله أنَّكَ مُدْرِكى ... وأنَّ وَعيدًا منك كالأخذِ باليدِ[3]
تَعَلَّمْ رسُولَ الله أنَّكَ قادرٌ ... على كل صِرْمٍ مُتْهمين ومُنْجِدِ[4]
تعَلَّمْ بأن الرَّكبَ رَكْبُ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكاذبونَ المُخْلِفُو كلِّ مَوْعِدِ
ونَبَّوْا رسولَ الله أنِّى هَجَوْتُه ... فلا حملَتْ سوطى إلىَّ إذَنْ يَدِى

---

(١) الحنيف : المسلم ، وسمى حنيفا ، لأنه مال عن الباطل إلى الحق . وشيمته : طبيعته .

(٢) الخال : ضرب من برود اليمن ، وهو من رفيع الثياب . والسابق (هنا) : الفرس . والمتجرد : الذى يتجرد من الخيل فيسبقها .

(٣) تعلم : اعلم . والوعيد : التهديد .

(٤) صرم : بيوت مجتمعة . ومتهمين : ساكنين فى تهام ، وهى المنخفض من الأرض . والمنجد من يسكن النجد ، وهو المرتفع .

سوى أننى قد قلتُ ويلُ امّ فِتْيَةٍ   أُصيبُوا بنحْسٍ لا بطلْقٍ وأسْعُدِ[١]
أصَابَهُمُ مَنْ لم يكُنْ لدِمائِهِمْ   كِفاءً فعزتْ عَبْرَتِى وتَبَلُّدِى[٢]
فانكَ قد أخفرْتَ إن كنتَ ساعيا   بعبد بن عبد الله وابنة مَهْوَدِ[٣]
ذُوَيْبٌ وكُلْثُوم وسَلْمَى تَتَابعوا   جميعا فإلاَّ تدمَع العينِ أكْمَدِ[٤]
وسَلْمى وسَلْمى ليس حَىٌّ كَمِثْله   وإخوته وهل مُلوك كأعْبُدِ؟
فانىَ لا دِينا فَتَقْتُ ولا دَما   هَرَقْتُ تبينْ عالِمَ الحقِّ واقْصِد

(شعر بديل فى الرد على ابن زنيم):

فأجابه بُدَيْل بن عبد مناف بن أمّ أصْرَم، فقال:

بكى أنَسٌ رَزْنا فأعْوَلَهُ البُكا   فَألاَّ عَدِيًّا إذْ تُطَلُّ وتُبْعَدُ[٥]
بكَيْتَ أبا عَبْسٍ لقُرْب دمائها   فتُعذِرَ إذْ لا يُوقدُ الحربَ مُوقد
أصابهُمُ يومَ الخنادِمِ فِتيَةٌ   كِرامٌ فسَلْ، منهم نفيلٌ ومعبَدُ[٦]
هنالك إن تسفَحْ[٧] دموعُك لا تُلَم   عليهم وإن لم تدمعِ العينُ فاكْمَدُوا[٨]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات فى قصيدة له.

(شعر بجير فى يوم الفتح):

قال ابن إسحاق: وقال بُجير بن زُهَيْر بن أبى سُلْمى فى يوم الفتح:

نَفَى أهلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ   مُزَينَةُ غُدْوَةً وبنُو خُفاف[٩]

---

(١) الطلق: الأيام السعيدة، ويقال: يوم طلق إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شىء يؤذى؛ وكذلك ليلة طلق وطلقة (بسكون اللام فيهما).

(٢) تبلدى: تحيرى. ويروى: تجلدى، أى تصبرى.

(٣) أخفرت: نقضت العهد.

(٤) أكمد: من الكمد، وهو الحزن.

(٥) العويل: رفع الصوت بالبكاء. وتطل: يبطل دمها ولا يؤخذ بثأرها.

(٦) يوم الخنادم: أراد يوم الخندمة، فجمعها مع ماحولها، وهى جبل بمكة.

(٧) تسفح: تسيل.

(٨) فى ا: فأكمد (بكسر الدال) على أنه أمر للواحد، وبهذه الرواية يكون فى البيت إقواء.

(٩) قال السهيل: «الحبلق» أرض يسكنها قبائل من مزينة وقيس. والحبلق: الغنم الصغار. ولعله واد بقوله: «أهل الحبلق» أصحاب الغنم. وبنو خفاف: بطن من سليم.

ضَرَبْناهُمْ بمكّةَ يومَ فَتْحِ النّـــبىّ الخـَيْرِ بالبِيضِ الخِفافِ[١]
صَبَحْناهم بِســـبْعٍ من سُلَيْمٍ وألفٍ منْ بنى عثمانَ وافِ[٢]
نَطا أكْتافَهُمْ ضَرْبا وطَعنا[٣] ورشْـــقا بالمرَيَّشَةِ اللِّطافِ[٤]
تَرَى بينَ الصُّفوفِ لهَا حَفِيفا كما انصاعَ الفُواقُ من الرِّصافِ[٥]
فَرُحْنا والجِيادُ تجول فيهِـــمْ بأرْماحٍ مُقَوَّمَـــةِ الثِّقافِ
فأُبْنا غانمِـــينَ بما اشْتَهَيْنا وآبوا نادمِـــينَ على الخِلافِ
وأعطينا رسولَ اللهِ منَّا مَواثِقنا على حُسْنِ التَّصافى
وقد سمعوا مَقالَتنا فهمُّـــوا غَـــداةَ الرّوعِ مِنَّا بانصرافِ

(شعر ابن مرداس فى فتح مكة):

قال ابن هشام: وقال عباس بن مرداس السُّلمى فى فتح مكة:

مِنَّا بمكّةَ يومَ فَتْحِ محمَّـــدٍ ألْفٌ تسيلُ به البطاحُ مُسَوَّمُ[٦]
نَصَرُوا الرَّسولَ وشاهَدوا أيّامَه وشعارُهُمْ يومَ اللِّقاءِ مُقَدَّمُ[٧]
فى مَنْزِلٍ ثبَتَتْ به أقْدامُهُمْ ضَنْكٍ كأنّ الهامَ فيـــه الحَنْتَمُ[٨]
جرَّتْ سَنابِكَها بنَجْـــدٍ قَبْلَها حتى استَقاد لها الحجازُ الأدهَمُ
اللهُ مكَّنَـــه لَهُ وأذلَّهُ حُكْمُ السُّيوفِ لنا وجَدٌ مِزْحَمُ[٩]

---

(١) الخير: أى ذو الخير، ويجوز أن يريد الخير، بتشديد الياء، فخفف، كما يقال هين وهين (بالتشديد والتخفيف).

(٢) بسبع: أى بسبع مئة. وبنو عثمان: هم مزينة.

(٣) كذا فى م، ر. وفى ا: «أكنافهم» بالنون. والأكناف: الجوانب.

(٤) نطا: أراد نطأ، فخفف الهمزة. والرشق: الرمى السريع، والمريشة: يعنى السهام ذوات الريش.

(٥) الحفيف: الصوت. وانصاع: انشق. والفواق هنا: الفوق، وهو طرف السهم الذى يلى الوتر. والرصاف: جمع رصفة، وهى عصبة تلوى على فوق السهم.

(٦) البطاح: جمع بطحاء، وهى الأرض السهلة المتسعة. ومسوم: أى مرسل، أو هو المعلم بعلامة.

(٧) شعارهم: علامتهم فى الحرب.

(٨) ضنك: ضيق. والهام: الرءوس: والحنتم. الحنظل.

(٩) مزحم: كثير المزاحمة، يريد أن جدهم غالب.

عَوْدُ الرِّياسـةِ شامخٌ عِرْنِينُهُ متطلّعٌ ثُغَرَ المكارم خِضْرِمُ[1]

إسلام عباس بن مرداس

(سبب إسلام ابن مرداس) :

قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مِرْداس ، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مِرْداس وَثَنٌ يعبده ، وهو حجر كان يُقال له ضِمار[2] ، فلما حضر مِرْداس قال لعباس : أى بنى ، اعْبُدْ ضِمارِ فانه ينفعك ويضرّك ، فبينا عباس يوما عند ضِمار ، إذ سمع من جوف ضِمار مناديا يقول :

قُلْ للقبائل مِنْ سُلَيْمٍ كُلِّها أودى ضِمارِ وعاشَ أهْلُ المَسْجِدِ[3]

إنّ الذى وَرِثَ النُّبوّةَ والهُدَى بعدَ ابن مريمَ مِن قُرَيْشٍ مُهْتَدِى

أوْدَى ضِمارِ وكانَ يُعْبَدُ مَرّةً قبل الكِتابِ إلى النّبىِّ محمدِ

فحرّق عباس ضِمار ، ولحق بالنبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلم .

(شعر جعدة فى يوم الفتح) :

قال ابن هشام : وقال جَعْدة بن عبد الله الخُزاعىُّ يوم فتح مكة :

أكَعْبَ بن عَمْرو دعوةً غيرَ باطِلٍ لِحَيْنٍ لهُ يومَ الحَديد مُتاحِ[4]

أُتِيحَتْ له مِنْ أرضه وسمائه لتقتله لَيْلا بغير سلاح

ونحن الأُلَى سَدّت غَزالَ خُيولُنا ولِفْتا سَددناه وفَجّ طِلاحِ[5]

خَطَرْنا وراء المسلمينَ بجَحْفَلٍ ذَوِى عَضُدٍ من خيلنا ورِماحِ[6]

---

(١) العود (هنا) : الرجل المسن . وشامخ : مرتفع . والعرنين : طرف الأنف . والخضرم : الجواد الكثير العطاء .

(٢) ضمار : هو بالبناء على الكسر كحذام ورقاش .

(٣) أودى : هلك . والمسجد (هنا) : مسجد مكة ، أو مسجد النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) الحين : الهلاك . ومتاح : مقدر .

(٥) الألى : الذين . وغزال : اسم موضع (يصرف ولايصرف) . ولفت : موضع أيضا . وفج طلاح : موضع . ويحتمل أن يكون طلاح جمع طلح ، الذى هو الشجر ، وأضيف الفج إليه .

(٦) خطرنا : اهتززنا . ويروى حظرنا « بالحاء المهملة والظاء المعجمة » ومعناه : منعنا . والجحفل : الجيش الكثير .

وهذه الأبيات فى أبيات له :

(شعر بجيد فى يوم الفتح) :

وقال بُجَيْد [١] بن عِمْران الخُزاعىّ :

وقد أنْشأ اللهُ السَّحاب بنَصْرنا رُكامَ صحَابِ الهَيْدَبِ المُتَراكِبِ [٢]
وهِجْرتنا فى أرْضِنا عندنا بها كتابٌ أتى من خير مُمْلٍ وكاتب
ومِنْ أجْلِنا حلَّتْ بمكَّة حُرْمة لندرِك ثأرًا بالسيوف القواضب [٣]

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة [٤] من كنانة ومسير على لتلافى خطأ خالد

(وصاة الرسول له وما كان منه) :

قال ابن إسحاق : وقد بعَث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكةَ السَّرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممَّن بعث خالدُ بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفلِ تهامة داعيا ، ولم يبعثه مُقاتلا ، فوطئ بنى جَذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عبَّاس بن مِرْداس السُّلَمى فى ذلك :

فان تَكُ قد أمَّرت فى القوم خالدًا وقدَّمته فإنه قد تقدَّما
بجندٍ هداهُ الله أنتَ أميرُه نُصيب به فى الحقّ من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حَكيم بن حكيم بن عباد بن حُنيف ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين

---

(١) كذا فى (ا) وفى م ، ر : « نجيد » بالنون فى أوله . وبالنون قيده الدارقطنى . (عن أبى ذر) .

(٢) المتراكب : الذى يركب بعضه بعضا . والهيدب : المتدانى من الأرض . وفى م ، ر : « الهيدم » بالميم فى آخره .

(٣) القواضب : القواطع .

(٤) تعرف هذه السرية بغزوة الغميصاء ، وهو اسم ماء لبنى جذيمة .

افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مُقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سُلَيم بن منصور ، ومُدْلج بن مُرّة ، فوطئوا بنى جَذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فان الناس قد أسلموا :

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جَذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق والله لا أضع سلاحى أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : ياجحدم ، أتريد أن تَسْفِك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح[1] ، ووُضِعَت الحرْب ، وأمِن الناس . فلم يزالوا به حتّى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد :

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكُتِفُوا ، ثم عرضهم على السَّيف ، فقتَل من قَتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللّهُمّ إنى أبْرأ إليك ممَّا صنع خالد بن الوليد :

(غضب الرسول مما فعل خالد وإرساله عليا) :

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، أنه حُدِّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : رأيتُ كأنى لَقِمْت لُقْمَةً من حَيْس[2] فالتذذْتُ طَعْمَها ، فاعترض فى حلقى منها شىء حين ابتلعتها ، فأدخل علىّ يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه : يا رسول الله ، هذه سَرِيَّة من سَراياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحبّ ، ويكون فى بعضها اعتراض ، فتبعث عليّا فيسهّله :

قال ابن هشام : وحدثنى أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنْكَرَ عليه

---

(١) هذه الجملة : « ووضعوا السلاح » ساقطة فى ا .

(٢) الحيس : أن يخلط السمن والتمر والأقط فيؤكل . والأقط : شىء يعقد من اللبن ويجفف .

أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعة ١ ، فنَهَمَهُ ٢ خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ٣ ، فراجعه ، فاشتدّت مراجعتهما ؛ فقال عمر بن الخطّاب : أما الأوّل يا رسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم ، مولى أبى حُذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا علىّ ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك . فخرج علىّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودَى لهمُ الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليَدى لهم ميلَغةَ الكلب ٤ ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وَدَاه ، بقيت معه بَقيّة من المال ، فقال لهم علىّ رضوان الله عليه حين فرَغ منهم : هل بقى لكم بقيّة من دم أو مال لم يُودَ لكم ؟ قالوا : لا . قال : فانى أُعطيكم هذه البقيّة من هذا المال ، احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال أصبت وأحسنت ! قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه ليُرى مما تحت مَنْكبيه ، يقول : اللهمّ إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرّات .

(معذرة خالد فى قتال القوم) :

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالدا إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبدُ الله بن حُذافة السَّهْمىّ ، وقال : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

---

(١) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير .

(٢) نهمه : زجره .

(٣) مضطرب : ليس مستوى الخلق .

(٤) الميلغة : شىء يحفر من خشب ، ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم ، وعند أهل البادية .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنىّ : لما أتاهم خالد ، قالوا : صبأْنا صبأْنا[1] .

(ما كان بين خالد وبين عبد الرحمن وزجر الرسول لخالد) :

قال ابن إسحاق : وقد كان جَحْدَمٌ قال لهم حين وضعوا السلاح[2] ورأى مايصنع خالد ببنى جَذِيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عمِلت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك : فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكه بن المُغيرة ، حتى كان بينهما شرّ . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غَدْوةَ رجل من أصحابى ولا روحته :

(ما كان بين قريش وبنى جذيمة من استعداد للحرب ثم صلح) :

وكان الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف ابن عبد الحارث بن زُهرة ، وعفَّان بن أبى العاص بن أُميَّة بن عبد شمس قد خرجوا تجارا إلى اليمن ، ومع عفَّان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جَذِيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادّعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولَقِيهم بأرض بنى جَذِيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه[3] ، وقاتلوه ، فقُتِل عوفُ بن عبدعوف ، والفاكه بن المُغيرة ، ونجا عفَّان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المُغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمَّت قُرَيش بغزو بنى جَذِيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملَإ منا ، إنما عدا

---

(١) صبأنا : يعنون دخلنا فى دين محمد ، وكانوا يسمون النبى صلى الله عليه وسلم الصابىء ، لأنه خرج من دينهم . يقال : صبأ الرجل ، إذا خرج من دين إلى دين ، ومنه الصابئون ، لأن دينهم بين اليهودية والنصرانية ، فيما ذكر بعض أهل التفسير .

(٢) كذا فى ا . وفى م ، ر : « سلاحه » .

(٣) كذا فى م ، ر . وفى ا : « ليأخذه » .

عليهم قوم بجَهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نَعْقل لكم ما كان لكم قِبَلَنَا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

(شعر سلمى فيما بين جذيمة وقريش) :

وقد قال قائل من بنى جَذِيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلْمى :

ولولا مقالُ القَوْمِ للقَوْمِ أسلِمُوا للاقَت سُلَيْمٌ يومَ ذلكَ ناطحا
لَماصَعَهُم بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمٍ[1] ومُرَّةُ حتى يترَكوا البَرْكَ ضابحا[2]
فكائِنْ تَرى يوم الغُمَيصاء من فتًى أصيب ولم يُجرَح وقد كان جارحا[3]
أَلَظَّتْ بخُطَّابِ الأيامَى وطلَّقت غداتئذ منهُنَّ مَن كان ناكحا[4]

قال ابن هشام : قوله « بُسْر » ، « وأَلظَّتْ بخُطَّاب » عن غير ابن إسحاق .

(شعر ابن مرداس فى الرد على سلمى)

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، ويقال بل الجَحَّاف بن حكيم السُّلمى :

دعى عنكِ تَقْوال الضَّلال كَفَى بنا لكبش الوَغى فى اليوم والأمس ناطحا[5]
فخالدُ أولى بالتَّعَذُّر منكُم غَدَاة عَلا نَهْجا من الأمر واضحا
مُعانا بأمْرِ الله يُزْجِى إليكُمُ سَوانحُ لا تكبُو له وبَوَارِحا[6]
نَعَوْا مالكا بالسَّهْل لَمَّا هَبَطْنَهُ عَوابسَ فى كابِى الغُبار كوالحا[7]

---

(١) المماصعة والمصاع : المضاربة بالسيوف . والبرك : الإبل الباركة .

(٢) كذا فى م ، ر . وضابحا ، أى صائحا . وأصل « الضبح » نفس الخيل والإبل إذا أعيت . وفى (ا) صابحا .

(٣) الغميصاء : موضع .

(٤) ألظت : لزمت وألحت . والأيامى : جمع أيم ، وهى التى لا زوج لها .

(٥) الكبش : الرجل السيد .

(٦) قال أبو عمرو الشيبانى : « ما جاء عن يمينك إلى يسارك ، وولاك جانبه الأيسر » وهو إنسيه ، فهو سانح ، وما جاء عن يسارك إلى يمينك وولاك جانبه الأيمن ، وهو وحشيه ، فهو بارح . قال « والسانح أحسن حالا عندهم فى التيمن من البارح » . لا تكبوا : أى لا تسقط .

(٧) كابى الغبار : مرتفعه . والكوالح : العوابس التى انقبضت شفاهها ، فظهرت أسنانها .

فإن نَكُ أثكلناكِ سَلْمى فمالكٌ تركتُمْ عليْه نائحاتٍ ونائحا[1]

(شعر الجحاف فى الرد على سلمى):

قال الجَحَّاف بنُ حَكيم السُّلمى:

شَهِدْنَ مَعَ النَّبِىِّ مُسَوَّماتٍ حُنَيْنًا وَهىَ دَامِيَةُ الكِلامِ[2]

وغَزْوة خالد شهدت وجرّتْ سنابكَهُنَّ[3] بالبَلدِ الحَرَامِ[4]

نعرِّض للطِّعان إذَا الْتَقَيْنا وجُوها لا تُعَرَّضُ لِلَّطام

ولسْتُ بِخالعٍ عنِّى ثِيابى إذَا هَزَّ الكُماة ولا أُرَامى

ولكنى يَجُولُ المُهْرُ تحتى إلى العَلَوات بالعضب الحسام[5]

(حديث ابن أبى حدرد الفتّى الجذمى يوم الفتح):

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوبُ بن عُتبةَ بن المُغيرة بن الأخنس، عن الزُّهرى، عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمىّ، قال: كنت يومئذ فى خيل خالد بن الوليد، فقال لى فتى من بنى جَذِيمة، وهو فى سنى، وقد جُمعَتْ يداه إلى عُنُقه برُمَّة[6]، ونسوة مجتمعات غيرَ بعيد منه: يا فتى؛ فقلت: ماتشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة، فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهنّ حاجة، ثم تردّنى بعد، فتصنعوا بى ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله لَيَسيرٌ ماطلبت. فأخذت برمّته فقُدته بها، حتى وقف عليهنّ، فقال: اسْلَمى حُبَيْشُ[7]، على نَفَدِ من العيش[8]:

أرَيْتُكِ إذْ طالَبْتُكُمْ فوجَدْتُكُمْ بحَلْيَةَ أو ألْفَيْتُكُمْ بالخَوانِقِ[9]

ألمْ يَكُ أهْلاً أن يُنَوَّلَ عاشِقٌ تكَلَّفَ إدْلاجَ السُّرَى والوَدائقِ[10]

---

(١) أثكلناك: أفقدناك.
(٢) مسومات: يعنى الخيل مسومات، أى مرسلات أو معلمات بعلامة. والكلام: الجراح؛ جمع كلم.
(٣) سنابكهن: مقدم أطراف حوافرهن.
(٤) كذا فى م، ر. وفى ا: «التهام»، يعنى مكة.
(٥) هذا البيت والذى قبله ساقطان فى م، ر.
(٦) الرمة: الحبل البالى.
(٧) حبيش: مرخم حبيشة.
(٨) كذا فى ا وفى م، ر: «على نفد العيش». يريد على تمامه، من قولك نفد الشىء إذا تم وفنى.
(٩) حلية والخوانق: موضعان.
(١٠) الإدلاج: السير بالليل. والودائق: جمع وديقة، وهى شدة الحر فى الظهيرة.

فلا ذنبَ لى قد قلت إذْ أهلُنا مَعا أثِيبى بوُدّ قبل إحدَى الصَّفائِق ١
أثِيبى بوُدّ قبل أن تَشْحَطَ النَّوَى وينْأَى الأميرُ بالحَبِيبِ المُفارِق ٢
فإنّى لا ضَيَّعتُ سِرَّ أمانَة ولا راقَ عَيْنى عنك بعدَك رائق ٣
سوَى أنّ ما نال العشيرة شاغلٌ عن الوُدّ إلا أن يكونَ التَّوامُق ٤

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر البيتين الآخِرَيْن منها له .

قال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس، عن الزهرى عن ابن أبى حَدْرَدٍ الأسلمى ، (قال) ٥ قالت : وأنت فحُيِّيت سبعا وعشرا ، وِتْرًا وثمانيا تَتْرَى ٦ . قال : ثم انصرفتُ به . فضُربت عُنُقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سُنبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضُربتْ عُنُقه ، فأكبّت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده ٧ .

(شعر رجل من بنى جذيمة فى يوم الفتح) :

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بنى جَذيمة :

جزَى الله عنا مُدْلِجا حيث أصبحتْ جزاءة بُوْسَى حيث سارتْ وحلّتِ
أقامُوا على أقْضَاضنا يَقْسِمُونَها وقد نَهِلَتْ فينا الرِّماح وعَلّت ٨
فوالله لَوْلا دينُ آل محمَّد لقد هربت منهم خيُول فشلّت ٩

(١) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ؛ الواحدة : صفيقة .
(٢) تشحط : تبعد . والنوى : البعد .
(٣) ولا راق : ما أعجب .
(٤) التوامق : الحب ، وفى هذا البيت والذى قبله إقواء .
(٥) زيادة يقتضيها السياق .
(٦) تترى : متتابعة ، وأصله وترى ، أبدلت التاء من الواو .
(٧) كذا فى م ، ر . وفى ا : « ماتت عليه » .
(٨) الأقضاض : جمع قض ، وأراد به هنا الأموال المجتمعة . يقال : جاء القوم قضهم بقضيضهم : إذا جاءوا بأجمعهم . ونهلت . من النهل ، وهو الشرب الأول . وعلت ، من العلل ، وهو الشرب الثانى .
(٩) شلت : أى طردت .

وما ضَرَّهم أن لا يُعينوا كَتيبة كرِجْل جَراد أرسلت فاشْمَعَلَّتِ[1]
فامَّا ينبــوا أو يثُوبوا لأمْرِهِمْ فلا نحن نجزيهم بما قد أضَلَّتِ[2]

(شعر وهب فى الرد عليه) :

فأجابه وهب ، رجل من بنى ليث ، فقال :

دَعَوْنا إلى الإسْلامِ والحَقّ عامرًا فما ذَنْبُنا فى عامرٍ إذْ تَوَلَّتِ
وما ذَنْبنا فى عامرٍ لا أبا لَهُــمْ لِأَنْ سَفِهَت أحلامُهم ثم ضَلَّتِ

وقال رجل من بنى جَذيمة :

ليهنِ بنى كَعْب مُقَدَّم خالد وأصحابِه إذْ صَبَّحتنا الكتائبُ[3]
فلا تِرةٌ يسعَى بها ابن خُوَيْلد وقد كنتَ مكفيًا لوَانَّك غائبُ[4]
فلا قومُنا يَنْهَوْن عنّا غُواتَهم ولا الداء من يوم الغُميصاءِ ذاهبُ[5]

(شعر غلام جذمى هارب أمام خالد) :

وقال غلام من بنى جَذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهنّ من جيش خالد :

رَخّينَ أذْيالَ المُرُوط وارْبَعَنْ مَشْىَ حَيِيّات كأنْ لم يُفْزَعَنْ[6]
إنْ تُمْنَعِ اليوْمَ نِساءٌ تُمْنَعَنْ

(ارتجاز غلمة من بنى جذيمة حين سمعوا بخالد) :

وقال غِلْمة من بنى جَذيمة ، يقال لهم بنو مُساحِق ، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم :

قد عَلِمَتْ صفراءُ بيْضاءُ الإطِلْ يَحُوزُها ذُو ثَلَّةٍ وذُو إبِلْ[7]
لأُغْنِيَنَّ اليوْمَ ما أغْنَى رَجُلْ

---

(١) رجل جراد : جماعة منه . واشمعلت : تفرقت .
(٢) يثوبوا : يرجعوا .
(٣) مقدم ، بتشديد الدال ، أى قدوم .
(٤) الترة : العداوة وطلب الثأر .
(٥) غواتهم : سفهاؤهم .
(٦) المروط : جمع مرط ، وهو كساء من خز أو غيره ، وأربعن ، يقال : ربعت عليه إذا أقمت عليه .
(٧) الإطل : الخاصرة . والثلة ، بفتح الثاء : القطيع من الغنم .

وقال الآخر :

قد علمتْ صفراءُ تُلهى العِرْسا لا تملأُ الحَيْزومَ منها نَهْسا[1]

لأَضْرِبَنَّ اليومَ ضَرْبا وَعْسا ضَرْبَ المُحِلِّينَ مَخاضا قُعْسا[2]

وقال الآخر :

أقْسَمْتُ ما إن خادرٌ ذو لِبدَهْ شَثْنُ البَنانِ فى غَدَاةِ بَرْدَهْ[3]

جهْمُ المُحيَّا[4] ذوسِبال[5] وَرْدَهْ يُرْزِمُ بينَ أيْكَةٍ وجَحْدَهْ[6]

ضارٍ بتأكال الرجالِ وحْدَهْ بأصدقَ الغداةَ مِنى نَجْدَهْ[7]

مسير خالد بن الوليد لهدم العزى

(خالد وهدمه للعزى) :

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزَّى ، وكانت بنَخْلَة [8] ، وكانت بيتا يعظِّمه هذا الحىّ من قُريش وكنانة ومُضَر كلها ، وكانت سَدَنتُها وحُجَّابها بنى شيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلَمىّ بمسير خالد إليها ، علَّق عليها سيفه ، وأسْنَد فى الجبل [9] الذى هى فيه وهو يقول :

---

(١) الحيزوم : أسفل عظام الصدر ، وهو ما يقع عليه الحزام . والنهس : أكل اللحم بمقدم الأسنان. يريد أنها قليلة الأكل .

(٢) وعسا : سريعا. والمحلون الذين خرجوا من الحرم إلى الحل . والمخاض الإبل الحوامل . والقعس : التى تتأخر وتأبى أن تمشى .

(٣) الخادر : الأسد الداخل فى الخدر ، والخدر ، الأجمة ، وهى موضع الأسد . واللبدة : الشعر الذى نوق كتفيه . وشثن : غليظ . والبنان : الأصابع . وبرده : أى باردة .

(٤) جهم : عابس . والمحيا : الوجه .

(٥) كذا فى م ، ر . والسبال : الشعر الذى حول فمه . وفى (ا) الشبال : وهو جمع شبل .

(٦) يرزم : يصوت . والأيكه : الشجرة الكثيرة الأغصان . والجحدة القليلة الورق والأغصان .

(٧) ضار : متعود . والتأكال : الأكل . والنجدة : الشجاعة .

(٨) نخلة : اسم موضع .

(٩) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .

أيا عُزَّ شُدّى شدّةً لا شَوَى لهَا [1] على خالد ألْقِى القِناعَ وشَمِّرى

يا عُزُّ إنْ لم تقتُلى المرءَ خالدًا فبُوئى [2] بإثمٍ عاجلٍ أو تَنَصَّرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزّهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح

(اجتماع هوازن) :

قال ابن إسحاق : ولما سمعتْ هوازنُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة [3] ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلُّها ، واجتمعت نَصْر وجُشَم كلّها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هِلال ، وهم قليل ، ولم يشهدْها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَم دُرَيْد بن الصِّمة شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التَّيمن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخا مُجَرّبا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، (و [4]) فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود ابن مُعَتِّب ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجِماعُ أمرِ الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس [5]

---

(١) كذا فى ا . ومعنى لا شوى لها : أنها لا تبقى على شىء . وفى ا « ولا شوى لها » .

(٢) بوئى : ارجعى ، وفى البيت خرم .

(٣) كذا فى م ، ر . وفى ا « من فتح مكة » .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) أوطاس : واد فى ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين ، وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم :

اجتمع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصّمة فى شجار[١] له يُقاد به ، فلما نزل قال : بأىّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوْطاس ، قال : نِعمَ مجَالُ الخيل ! لاحَزْنٌ ضِرْس[٢] ، ولا سَهْلٌ دَهْس[٣] ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشّاء[٤] ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالَهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعِى له ، فقال : يامالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدَه من الأيّام . مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبُكاء الصغير ، ويُعار الشّاء ؟ قال : سُقْتُ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولِمَ ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خَلْفَ كلّ رجل منهم أهلَه ومالَه ، ليُقاتل عنهم ، قال : فَأنْقَضَ به[٥] . ثم قال : راعِىَ ضأنٍ[٦] والله! وهل يَرُدُّ المنهزمَ شىءٌ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلتْ كعبٌ وكِلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحَدّ[٧] والجِد ، ولو كان يومَ عَلاء ورِفعة لم تغب عنه كعب ولا كِلاب ، ولَوَدِدْتُ أنّكُمْ فعلتم ما فعلتْ كعبٌ وكِلابٌ ، فمن شهدَها منكم ؟ قالوا : عمرُو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانَك الجَذَعان[٨] من عامر ، لاينفعان ولا يضرّان ؛ يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم

الآن حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق النبى إليها . (راجع معجم ياقوت والسهيل) .

(١) الشجار : شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى . (عن أبى ذر) .

(٢) الحزن : المرتفع من الأرض . والضرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٣) الدهس : اللين الكثير التراب .

(٤) يعار الشاء : صوتها .

(٥) أنقض به ، أى زجره . من الإنقاض ، وهو أن تلصق لسانك بالحنك الأعلى ، ثم تصوت فى حافيه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه . أو هو التصويت بالوسطى والإبهام كأنك تدفع بهما شيئا ، وذلك حين تنكر على غيرك قولا أو عملا .

(٦) قوله « راعى ضأن » يجهله بذلك ، كما قال الشاعر :

أصبحت هزء الراعى الضأن أعجبه ... ماذا يريبك منى راعى الضأن ؟

(٧) غاب الحد : يريد الشجاعة والحدة .

(٨) الجذعان : يريد أنهما ضعيفان فى الحرب ، بمنزلة الجذع فى سنه .

البَيْضَةِ بيضة هوازن ١ إلى نحور الخيل شيئا ، ارْفَعْهُم إلى مُتمَنَّع بلادهم وعَلْيا قومهم ، ثم الْقَ الصُّبَّاءَ ٢ على مُتُون الخيلِ ، فإن كانت لك لَحق بك مَنْ وراءَك ، وإن كانت عليك ألْفاكَ ذلك قد أحرزْت أهلك ومالك . قال: والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كَبِرْتَ وكَبِرَ عقْلك . والله لتطيعُنَّنِي يا معشر هوازن أو لأتَّكئَنَّ على هذا السَّيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدُريدِ بن الصِّمة فيها ذكر أو رأى ؛ فقالوا :أطعناك ؛ فقال دُريد بن الصِّمة : هذا يوم لم أشهدْه ولم يفُتْنى :

يا ليْتَنِى فيها جَــذَعْ أخُبُّ فيها وأضَــعْ ٣
أقُودُ وطْفاءَ الزَّمَعْ كأنَّها شاةٌ صَــدَعْ ٤

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« يا ليتنى فيها جَذَعْ »

(الملائكة وعيون مالك بن عوف) :

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكْسِروا جُفُون سيوفكم ، ثم شُدّوا شَدَّة رجل واحد .

قال : وحدثنى أميَّة بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدِّث : أنَّ مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله ، فأتوْه وقد تفرّقت أوصالُهم ، فقال : ويْلَكُمْ ! ما شأنُكُمْ ؟ فقالوا : رأينا رجالا بِيضًا على خيل بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أنْ أصابَنا ما ترى ، فوالله ما ردَّه ذلك عن وجهه أنْ مَضَى على ما يريد .

(بعث ابن أبى حدرد عينا على هوازن) :

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بعثَ إليهم عبدَ الله

---

(١) بيضة هوازن : جماعتهم .

(٢) الصباء : جمع صابئ ، وهم المسلمون عندهم ، كانوا يسمونهم بهذا لأنهم صبئوا من دينهم ، أى خرجوا من دين الجاهلية إلى الإسلام .

(٣) الجذع : الشاب . والخبب والوضع : ضربان من السير .

(٤) الوطفاء : الطويلة الشعر . والزمع : الشعر الذى فوق مربط قيد الدابة . يريد فرسا صفتها هكذا وهو محمود فى وصف الخيل . والشاة هنا : الوعل . وصدع : أى وعل بين الوعلين ، ليس بالعظيم ولا بالحقير .

ابنَ أبي حَدْرد الأسْلمى ، وأمَرَه أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم عِلْمَهم ، ثم يأتيَه بخبرهم . فانطلق ابنُ أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، (فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبي حدرد . فقال ابن أبي حدرد : إن كذّبتنى فربما كذّبْتَ بالحقّ يا عمر ، فقد كذّبتَ من هو خير منى . فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر) [١].

(سأل الرسول صفوان أدراعه وسلاحه فقبل) :

فلما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليَلقاهم ، ذُكِر له أن عند صفوانَ بن أميّة [٢] أدراعا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أُميّة ، أعِرْنا سلاحك هذا نَلْق فيه عدوّنا غدًا ، فقال صفوان : أغصبًا يا محمد ؟ قال : بل عاريةٌ ومضمونة حتى نؤدّيها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مِئة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله [٣] أن يكفيهم حملها ، ففعل .

(خروج الرسول بجيشه إلى هوازن) :

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفا . واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسِيد بن أبي العِيص بن أُميّة ابن عبد شمس على مكة ، أميرًا على من تخلّف عنه من الناس ، ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هَوازن .

---

(١) ما بين القوسين أغفلته نسخة ا . وهو مذكور فى شرح الزرقانى على المواهب من رواية الواقدى .

(٢) وهو يومئذ فى المدة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيار فيها . (راجع شرح المواهب) .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر : « طلب منه أن يكفيهم . . . الخ » .

(قصيدة عباس ابن مرداس) :

فقال عباس بن مِرْداس السُّلَمِىّ :

أصابتِ العامَ رِعْلاً غُولُ قومِهم ... وَسْطَ البيوت ولَوْنُ الغُول ألوانُ[١]

يا لَهْفَ أمّ كِلابٍ إذ تُبَيّتُهم ... خيلُ ابن هَوْذَةَ لاتُنْهَى وإنْسانُ[٢]

لاتَلْفظُوها وشُدُّوا عَقْدَ ذِمّتكم ... أنّ ابنَ عمّكم سعدٌ ودُهْمانُ[٣]

لن تَرْجعوها[٤] وإن كانت مُجَلَّلَةً[٥] ... ما دام فى النَّعَم المأخُوذ ألْبانُ

شَنْعاء جُلِّل من سَوْآتها حَضَنٌ ... وسالَ ذو شَوْغَرٍ منها وسُلْوانُ[٦]

ليستْ بأطْيَبَ مما يَشْتَوِى حَذَفٌ ... إذْ قال : كلُّ شواءِ العَيرِ جُوفانُ[٧]

وفى هوازنَ قومٌ غيرَ أن بهمْ ... داءَ اليمانى فان لم يغْدِرُوا خانُوا

فيهم أخٌ لو وَفَوْا أو بَرَّ عَهْدُهُمُ ... ولو نَهَكْناهُمُ بالطَّعْنِ قد لانُوا[٨]

أبْلِغْ هوازِنَ أعْلاها وأسفلَها ... مِنّى رِسالةَ نُصْح فيه تِبْيانُ

أنى أظنّ رسولَ اللهِ صابِحَكُمْ ... جَيْشًا لهُ فى فَضاءِ الأرضِ أركانُ

فيهم أخوكم سُلَيم غيرَ تارِكِكُمْ ... والمسلمُونَ عِبادَ اللهِ غَسّانُ

وفى عِضادته اليُمْنى بنو أسَد ... والأجْرَبان بنو عَبْسٍ وذُبْيانُ[٩]

تكاد تَرْجُف منه الأرض رَهبَتَه ... وفى مُقَدَّمه أوْسٌ وعُثمانُ

---

(١) رعل : قبيلة من سليم . والغول : الداهية .

(٢) إنسان : قبيلة من قيس ، ثم من بنى نصر . قاله البرقى . وقيل هم من بنى جشم بن بكر (انظر السهيل) . وقال أبو ذر : إنسان هنا اسم قبيل فى هوازن .

(٣) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر ، من هوازن .

(٤) كذا فى م ، ر . وفى ا « لاترجعوها » .

(٥) مجللة : مغطية .

(٦) حضن : جبل بنجد . وذو شوغر ، وسلوان : واديان .

(٧) حذف هنا : اسم رجل ، وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة . ويروى أيضا جدف بالجيم والدال المهملة ، وهى رواية الخشنى . والعير : حمار الوحش . والجوفان : غرموله . يريد أن كل ما يشوى من العير فهو كالغرمول لا يستساغ .

(٨) نهكناهم : أى أذللناهم ، وبالغنا فى ضرهم .

(٩) سماهما الأجربين تشبيها لهما بالأجرب الذى يفر الناس منه .

قال ابن إسحاق : أوْس وعثمان : قَبيلا مُزَيْنَة :

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، فى هذا اليوم ، وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة .

(أمر ذات أنواط) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزّهرىّ ، عن سنان بن أبى سنان الدؤلى ، عن أبى واقد الليثى ، أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حُنَيْن ، قال : وكانت كفّار قريش ومَنْ سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنْواط ، يأتونها كلّ سنة ، فيعلّقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكُفون عليها يوما . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سِدْرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جَنَبات الطّريق : يا رسول الله ، اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : « اجْعَلْ لَنا إلَها كما لَهُمْ آلِهَةٌ ، قالَ إنّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ » . إنها السُّنن ، لتركَبُنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكم :

(لقاء هوازن وثبات الرسول) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلْنا وادىَ حُنين انحدرنا فى وادٍ من أوْدية تِهامة أجوف [1] حَطُوط [2] ، إنما ننحدر فيه انحدارا ، قال : وفى عَماية الصّبْح [3] ، وكان القومُ قد سبقونا إلى الوادى ، فكَمَنُوا لنا فى شِعابه وأحنائه [4] ومَضايقه ،

---

(١) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . وأجوف : متسع . وحطوط : منحدر .

(٢) كذا فى ا . وفى م ، ر : « أجوف ذى خطوط » .

(٣) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

(٤) الشعاب هنا : الطرق الخفية . وأحناؤه : جوانبه . ورواية الزرقانى : «وأجنابه» .

وقد أجمعوا وتهيَّئوا وأعدّوا ، فوالله ماراعنا ونحن منحطون إلا الكتائبُ قد شدّوا علينا شدّة رجل واحد ، وانْشَمر الناس [١] راجعين ، لايَلْوِى أحدٌ على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلُمّوا إلىّ ، أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شىء [٢] ، حملت الإبل بعضُها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَر من المهاجرين والأنصار وأهلِ بيته .

(أسماء من ثبت مع الرسول) :

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علىٌّ بن أبى طالب والعباسُ بن عبد المطّلب ، وأبوسفيانَ بن الحارث ، وابنُه ، والفضلُ بن العباس ، وربيعةُ بن الحارث ، وأسامةُ بن زيد . وأيمَنُ بن عُبيد ، قُتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبى سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبى سُفيان المغيرة ؛ وبعض الناس يَعُدّ فيهم قُثَم بن العباس ، ولا يعد ابنَ أبى سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح له طويل ، أمام هوازنَ ، وهوازن خلفه ، إذا أدْرَك طَعَن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتّبَعوه .

(شماتة أبى سفيان وغيره بالمسلمين) :

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلّم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْن [٣] ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعَهُ فى كنانته [٤] . وصرخ جَبَلة بن الحنبل — قال ابن هشام : كَلَدة بن الحنبل — وهو

---

(١) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا .

(٢) كذا فى الأصول . وفى شرح المواهب : « فلأى شىء » . يريد : فلشىء عظيم .

(٣) الضغن : العداوة .

(٤) الضمير راجع إلى أبى سفيان . والأزلام : السهام التى يستقسمون بها .

مع أخيه صفوانَ بن أميَّة مشرك فى المدَّة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السِّحْرُ اليومَ ! فقال له صفوان : اسكتْ فَضَّ الله فاكَ [١] . فوالله لأن يَرُبَّنى [٢] رجلٌ من قُريش أحبُّ إلىَّ من أن يَرُبَّنى رجل من هَوازن .

(شعر حسان فى هجاء كلدة) :

[٣] قال ابن هشام : وقال حسَّان بن ثابت يهجو كَلَدَةَ :

رأيتُ سوادًا من بَعيد فراعنى أبو حَنْبَلٍ ينزو على أمّ حَنْبَلِ

كأنَّ الذى ينزو به فَوْقَ بَطْنِها ذراعُ قَلُوص من نِتاج ابن عِزْهِلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أُميَّة ، وكان أخا كَلَدَةَ لأمِّه .

(عجز شيبة عن قتل الرسول وقد هم به) :

قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبى طلحة ، أخو بنى عبد الدّار : قلت : اليومَ أدركُ ثأْرى (من محمد) [٤] ، وكان أبوه قُتِل يوم أُحُد ، اليوم أقْتُل محمدا . قال : فأدَرْتُ برسول الله لأقتله ، فأقبل شىء حتى تَغَشَّى فؤادِى ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع منى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فَصَل من مكة إلى حُنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نغْلَبَ اليوْمَ من قِلَّةٍ .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها .

(رجوع الناس بنداء العباس والانتصار بعد الهزيمة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهْرى ، عن كَثير بن العبَّاس ، عن أبيه العبَّاس ابن عبد المطَّلب . قال : إنى لمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخِذٌ بحَكَمَة

---

(١) فض الله فاه : أى أسقط أسنانه .

(٢) يربنى : يكون ربا لى ، أى مالكا على .

(٣) من هنا إلى قوله : «وكان أخا كلدة لأمه» ساقط فى ا .

(٤) زيادة عن ا .

بغلته البيضاءِ قد شَجَرَتْها بها [١] ، قال : وكنتَ امرأ جسيما شديد الصوت ، قال . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يَلْوُون على شيء ، فقال : يا عباس، اصْرُخْ ، يامعشر الأنصار : يامعشر أصحاب السَّمُرَة ، قال : فأجابوا : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ! قال : فيذهب الرجل ليثْني بعيرَه ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درْعه ، فيقذفها فى عنقه ؛ ويأخذ سيفه وتُرسَه ، ويقتحم عن بعيره ، ويخلّى سبيله ، فيؤمّ الصوت ، حتى ينتهىَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدّعوى أوّلَ ما كانت : يا لَلْأَنصار . ثم خلَصَت أخيرا : يا لَلْخزرج . وكانوا صُبُرًا عند الحرب ، فأشرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه . فنظر إلى مُجتَلَد القوم [٢] وهم يَجْتلدون ، فقال : الآنَ حَمِىَ الوَطِيس [٣].

(بلاء على وأنصارى فى هذه الحرب) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هَوازن صاحبُ الراية على جمله يصنع ما يصنع ، إذ هوى له [٤] علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علىّ بن أبى طالب من خلفه ، فضرب عُرْقُوبَىِ الجمل ، فوقع على عجزه [٥] ، ووثب الأنصارىّ على الرجل ، فضربه ضربة أطَنّ قَدَمَه [٦] بنصف ساقه ، فانجعف [٧] عن رحله ، قال : واجْتَلَد الناس ، فوالله ما رجَعَتْ راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكَتَّفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) شجرتها بها : أى وضعتها فى شجرها ، وهو مجتمع اللحيين .
(٢) مجتلد القوم : مكان جلادهم بالسيوف ، وهو حيث تكون المعركة .
(٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣٢٧ من هذا الجزء .
(٤) يقال : هوى له وأهوى إليه : إذا مال عليه .
(٥) عجزه : مؤخره .
(٦) أطن قدمه : أطارها ، وسمع لضربه طنين ، أى دوى .
(٧) انجعف عن رحله : سقط عنه صريعا .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صَبَرَ يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حَسَنَ الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر بغلته [١] ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك [٢] يا رسول الله .

(شأن أم سليم) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أمّ سُلَيم [٣] بنة مِلْحان ، وكانت مع زوجها أبى طلحة [٤] وهى حازمة وسطها ببُرد لها ، وإنها الحامل بعبد الله بن أبى طلحة ، ومعها جملُ أبى طلحة ، وقد خشِيت أن يَعُزَّها [٥] الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها فى خِزامته [٦] مع الخِطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سُلَيم ؟ قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اقتُلْ هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يُقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أمّ سُلَيم [٧] ؟ قال : ومعها خِنْجَر [٨] ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخَنْجَر معك يا أُمّ سُلَيم ؟ قالت : خِنْجَر أخذته ، إنْ دنا منى أحدٌ من المُشْركين

(١) الثفر بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

(٢) قوله : أنا ابن أمك : إنما هو ابن عمك ، لكنه أراد أن يتقرب إليه ، لأن الأم التى هى الجدة قد تجمعهما فى النسب .

(٣) فى اسمها خلاف ، قيل هى (مليكة بنت ملحان) وقيل (رميلة) ، ويقال (سهيلة) . وتعرف بالغميصاء ، لرمص كان فى عينيها .

(٤) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام .

(٥) يعزها : يغلبها .

(٦) الخزامة : حلقة من شعر تجعل فى أنف البعير .

(٧) وفى رواية : إن الله قد كفى وأحسن . ويؤخذ من رد النبى على أم سليم أن فرار المسلمين يوم حنين لم يكن من الكبائر ، ولم يجمع العلماء على أن الفرار معدود فى الكبائر إلا فى يوم بدر ، قال تعالى : (ومن يولهم يومئذ دبره) فيومئذ إشارة إلى يوم بدر ، أما الفارون يوم أحد فقد نزل فيهم : (ولقد عفا الله عنهم) ولعل الفارون فى يوم حنين فقد نزل فيهم أيضا (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله : (غفور رحيم) .

(٨) الخنجر بفتح الخاء - وكسرها - السكين .

ا بَعَجته ١ به قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمعُ يا رسول الله ما تقول أمُّ سُلَيم
الرُّمَيْصَاء ؟

(شعر مالك بن عوف فى هزيمة الناس) :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين وَجّه إلى حُنين ، قد ضمّ بنى سُلَيم الضحاك بن سفيان الكِلابى ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه . :

أقْدِمْ مُحاجُ إنّهُ يومٌ نُكُرْ ... مِثْلى على مِثْلِكَ يَحْمى ويَكُرّ ٢

إذا أُضيعَ الصَّفُّ يَوْمًا والدُّبُرْ ... ثم احزألّتْ زُمَرٌ بعد زُمَرْ ٣

كَتائبٌ يكلّ فيهنّ البَصَرْ ... قد أطْعُنُ الطَّعنةَ تَقْذِى بالسُّبُرْ ٤

حين يُذَمُّ المُسْتَكينُ المنجَحِرْ ... وأطعنُ النَّجلاءَ تَعْوِى وتَهِرّ ٥

لها مِنَ الجوْفِ رَشاشٌ مُنْهَمِرْ ... تَفْهَقُ تاراتٍ وحينا تنفجِرْ ٦

وثعلبُ العامِلِ فيها مُنْكَسِرْ ... يا زَيْدُ يا بن هَمْهَمٍ أيْنَ تفرّ ٧

قد نَفِدَ الضِّرْسُ وقد طال العُمُرْ ... قد علم البيضُ الطَّويلاتُ الخُمُرْ ٨

أنّىَ فى أمثالها غيرُ غَمِرْ ٩ ... إذْ تُخْرَجُ الحاصِنُ من تحت السُّتُرْ ١٠

---

(١) بعجته : يقال : بعج بطنه ، إذا شقه .

(٢) محاج : اسم فرس مالك بن عوف .

(٣) احزألت : ارتفعت . وزمر جماعات .

(٤) يكل فيهن البصر : يعيا عن إدراك نهايتها لكثرة عددها . والسبر : جمع سبار ، وهو الفتيل يسبر به الجرح . وتقذى يقال : قذت العين تقذى (من باب رمى) قذيا وقذيانا : قذفت بالغمص والرمص : ومعنى تقذى بالسبر : تقذف بها لكثرة مايندفق منها من دم ونحوه .

(٥) المستكين : الذليل الخانع . والمنجحر : المتستر فى جحره ، والمراد من اعتصم بمكان . والنجلاء : الطعنة المتسعة . وتعوى وتهر : أى التى يسمع لخروج الدم منها صوت كالعواء والهرير .

(٦) الرشاش : ما يخرج من الدم متفرقا . ومنهمر : منصب . وتفهق : تنفتح . وينفجر : يسيل منها الدم .

(٧) الثعلب : ما دخل من عصا الرمح فى السنان . والعامل : أعلى الرمح .

(٨) نفد الضرس : يريد أنه كبرت سنه حتى ذهبت أسنانه ، فهو محتنك مجرب . والخمر : جمع خمار ، وهو ثوب تغطى به المرأة رأسها .

(٩) الغمر : بفتح فكسر : أو بفتحتين (وفيه لغات أخرى) الذى لم يجرب الأمور .

(١٠) كذا فى ا . والحاصن : العفيفة الممتنعة . وفى م ، ر : « الحاضن » (بالضاد المعجمة) وهى التى تحضن ولدها .

وقال مالك بن عوف أيضا :

أَقْدِمْ مُحاجُ إنّها الأساوِرَهْ ولا تَغُرَّنَّكَ رِجْلٌ نادِرَه[١]

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم[٢]

(شأن أبى قتادة وسلبه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدِّث عن أبى قتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتّهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غِفار أبى محمد عن أبى قتادة ، قالا[٣] : قال أبو قتادة : رأيت يوم حُنَيْن رجلين يقتتلان : مسلما ومشركا ، قال : وإذا رجل من المُشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم : قال : فأتيته ، فضربت يده ، فقطعتُها ، واعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتّى وجدت ريح الدم — ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام[٤] — وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه[٥] لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال[٦] ، ومرّ به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها[٧] وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سَلَبُه ، فقلت : يا رسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سَلَب ، فأجْهضنى عنه القتال ، فما أدرى مَن استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسَلَبُ ذلك القتيل عندى ، فأرْضِه عنى مِنْ سَلَبه ، فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه : لاوالله ، لايرضيه منه ، تَعْمِد إلى أسَدٍ من أُسْدِ الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سَلَبه ! اردد عليه سَلَب قتيله ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : صدق

---

(١) الأساورة : جمع أسوار (بضم الهمزة وكسرها) وهو قائد الفرس ، وقيل هو الجيد الرمى بالسهام ، وقيل هو الجيد الثبات على ظهر الفرس . ونادرة : أى قد ندرت وانقطعت وبعدت .

(٢) فى غير هذا اليوم : يعنى أنهما قيلا فى يوم القادسية لا فى حنين .

(٣) كذا فى ا .

(٤) كذا فى م ، ر . وفى ا : « حتى وجدت ريح الموت ، ويروى ريح الدم ، فيما قال ابن هشام » .

(٥) نزفه الدم : سال منه حتى أضعفه ، فأشرف على الموت .

(٦) أجهضنى عنه القتال : شغلنى وضيق على وغلبنى .

(٧) أوزار الحرب ، أثقالها وآلاتها . وهى استعارة .

رد عليه سَلَبه . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مَخْرَفا[١] ، فإنه لأول مال اعْتَقَدْتُه[٢] .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن أبي سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يومَ حُنَين وحدَه عشرين رجلا .

(نصرة الملائكة) :

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يَسار ، (أنه حدث)[٣] عن جبير ابن مُطْعِم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد[٤] الأسْوَد ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فاذا نمل أسود مبثوث[٥] قد ملأ الوادي ، لم أشكّ أنها الملائكة ، ثم لم يكن[٦] إلا هزيمة القوم .

(هزيمة المشركين) :

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حُنين ، وأمكن رسولَه صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خَيلُ الله خَيْلَ اللاتِ والله أحَقُّ بالثَّباتِ

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غَلَبَتْ خيلَ الله خيلَ اللاتِ وخَيْلُهُ أحَقُّ بالثَّباتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحرّ[٧] القتل من ثَقيف في بني مالك ، فقُتِل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث

---

(١) المخرف : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر ، فأما ما فوق ذلك فهو بستان أو حديقة . (انظر السهيل) .

(٢) اعتقدته : يقال : اعتقدت مالي : أي اتخذت منه عقدة ، كما تقول : نبذة أو قطعة والأصل فيه من العقد ، وأن من ملك شيئا عقد عليه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) البجاد : الكساء .

(٥) مبثوث : متفرق ، يعني رآه ينزل من السماء .

(٦) كذا في م ، ر . وفي ا « ولم يكن » .

(٧) استحر : اشتد .

ابن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار [١] ، فلما قُتِل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قُتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُه ، قال : أبعده الله ! فانه كان يُبْغِضُ قريشا .

(الغلام النصرانى الأغرل وما كاد يلحق ثقيفا بسببه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة بن المُغيرة بن الأخنس : أنه قُتِل مع عثمان بن عبد الله غلامٌ له نصرانىّ أغْرَلُ [٢] ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلُب قتْلى ثقيف ، إذ كشف العبدَ يسلُبُه ، فوجده أغْرَلَ . قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب : يعلم الله أنَّ ثقيفا غُرْل . قال المُغيرة بن شُعبة : فأخذتُ بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلتُ : لاتقل ذاك ، فَداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال : ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختَنين كما ترى !

(فرار قارب وقومه وشعر ابن مرداس فى هجائهم) :

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارِب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتل من الأحلاف غيرُ رجلين : رجلٍ من غِيَرَة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كُبَّة [٣] ، يقال له الجُلاح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجُلاح : قُتِل اليوم سيدُ شباب ثقيف ، إلاَّ ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هُنيدة الحارث بن أُوَيس .

(قصيدة أخرى لابن مرداس) :

فقال عبّاس بن مرداس السلَمى يذكر قارب بن الأسود وفِرارَه من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبْسه قومَه للموت :

(١) ذو الخمار : عوف بن الربيع .

(٢) الأغرل : هو الذى ليس بمختتن . والغرلة : هى الجلدة التى يقطعها الخاتن .

(٣) كذا فى م ، ر وفى ا « كنة » بالنون . قال أبو ذر : « . . . . ورواه الخشنى بالباء بواحدة من أسفل ، وهو الصواب » .

ألا مِنْ مُبَلِّغٌ غَيْلانَ عنّى — وسَوْفَ إخالُ يأتيه الخبيرُ[١]

وعُرْوَةَ إنّما أُهْدِى جوابا — وقَوْلاً غيرَ قولِكُما يَسيرُ

بأنَّ مُحمَّداً عبدٌ رسول — لربٍّ لا يَضِلُّ ولا يَجُورُ

وجدناه نَبيًّا مثلَ موسى — فكلُّ فتًى يُخايِرُهُ مَخيرُ[٢]

وبِئْسَ الأمرُ أمرُ بَنِى قَسِيٍّ — بوَجَّ إذْ تُقُسِّمَتِ الأُمُورُ[٣]

أضاعُوا أمرَهُمْ ولكُلِّ قَوْمٍ — أميرٌ والدّوائرُ قد تَدُورُ

فَجِئْنا أُسْدَ غاباتٍ إليهمْ — جنُودُ اللهِ ضاحيةً تَسيرُ[٤]

يؤُمُّ الجمعَ جمعَ بنى قَسِيٍّ — على حَنَقٍ نَكادُ له نَطيرُ[٥]

وأُقْسِمُ لو هُمُ مكثوا لسِرْنا — إليهِمْ بالجُنود ولم يَغُوروا[٦]

فكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حتى — أبَحْناها وأُسْلِمَتِ النُّصُورُ[٧]

ويومٌ كانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ — فأقْلَعَ والدِّماءُ به تَمُورُ[٨]

مِنَ الأيّامِ لم تَسْمَعْ كيَوْمٍ — ولم يَسْمَعْ به قَوْمٌ ذُكُورُ

قَتَلْنا فى الغَبار بنى حُطَيْطٍ — على راياتها والخيلُ زُورُ[٩]

ولم يكُ ذو الخمار رئيسَ قَوْمٍ — لهم عَقْلٌ يُعاقب أو مَكيرُ

أقامَ بهم على سَنَنِ المَنايا — وقد بانتْ لِمُبْصِرها الأُمُورُ[١٠]

---

(١) الفعل المستقبل هو يأتيه ، وإن كان الحرف « سوف » داخلا على إخال فى اللفظ ، فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثانى . وهو كقول زهير :

« وما أدرى وسوف إخال أدرى »

(٢) يخايره : يقول له : أنا خير منك . ومخير : هو اسم مفعول أى مغلوب فى الخير .

(٣) قسى : اسم ثقيف . ووج : اسم واد بالطائف قبل حنين .

(٤) ضاحية : بارزة لاتختفى .

(٥) نؤم : نقصد . والحنق الغضب .

(٦) لم يغوروا : لم يذهبوا .

(٧) لية « بكسر اللام » : اسم موضع قريب من الطائف . والنصور : من هوازن ، وهم رهط مالك ابن عوف النصرى (انظر السهيلى) .

(٨) تمور : تسيل .

(٩) بنو حطيط : يروى هنا بالحاء والخاء ، وبالمهملة رواه الخشنى . وزور : مائلة .

(١٠) سنن المنايا : طريقها .

فأفلَتَ مَنْ نَجا منهم جَرِيضًا ... وقُتِّــلَ منهمُ بَشَرٌ كثيرُ[١]

ولا يُغْـنِى الأمُورَ أخُو التَّوانى ... ولا الغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الحَصُورُ[٢]

أحانَهُــمُ وحانَ ومَلَّكُوهُ ... أُمُورَهُمُ وأفْلَتَتِ الصُّقُورُ[٣]

بنو عوف تَمِيــح بهم جِيادٌ ... أُمِــينَ لهَا الفَصافِص والشَّعيرُ[٤]

فلَوْلا قارِبٌ وبنو أبِيــه ... تُقُسِّمَتِ المزارِع والقُصُــورُ

ولكنَّ الرياسَــة عُمِّموها ... على يُمْنٍ أشار به المُشِــيرُ[٥]

أطاعوا قارِبا ولهم جــدود ... وأحــلام إلى عِزّ تصــيرُ

فانْ يَهْدُوا إلى الإسْلام يُلْفَوْا ... أُنُوفَ النَّاسِ ما سَمَر السَّــمِيرُ[٦]

وإن لم يُسْــلِمُوا فهم أذانٌ ... بحرب الله ليسَ لهُمْ نَصِــيرُ

كما حَكَتْ بنى سَــعْد وحَرْبٌ ... برَهْط بنى غَــزِيَّةَ عَنْقَفيرُ[٧]

كأنَّ بنى مُعاويةَ بن بَكْرٍ ... إلى الإسْــلامِ ضائنَةٌ تَخُورُ[٨]

فقُلْنا أسْــلِمُوا إنَّا أخُوكُمْ ... وقد برأتْ مِنَ الإحَنِ[٩] الصُّدورُ

كأن القومَ إذْ جاءُوا إلينا ... مِنَ البَغْضاء بعــد السِّلْم عُورُ

قال ابن هشام: غَيْلان: غَيْلان بن سَلَمة الثقفى، وعُروة: عروة بن مسعود الثقفى:

---

(١) الجريض: المختنق بريقه.

(٢) الغلق: الكثير الجرح، كأنه تنغلق عليه أموره. والصريرة «بتشديد الياء» تصغير الصرورة، وهو الذى لا يأتى النساء. والحصور هنا: بمعنى ما قبله، ويجوز أن يكون معناه: الهيوب المحجم عن الشر.

(٣) حانهم: أهلكهم. وحان: هلك.

(٤) تميح: تمشى مشيا حسنا. والفصافص: جمع فصفصة، وهى البقلة التى تأكلها الدواب (البرسيم).

(٥) عمموها: أسندت إليهم وقدموا لها.

(٦) أنوف الناس: أشرافهم والمقدمون فيهم. والسمير: جماعة السمار وهم الذين يجتمعون للحدث بالليل.

(٧) العنقفير: الداهية.

(٨) تخور: تصيح.

(٩) كذا فى م، ر. والإحن: جمع إحنة، وهى العداوة. وفى ا: «الترة»، وهى بمعنى الإحنة.

(مقتل دريد بن الصمة) :

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن الدغنة وهى أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لذعة فيما قال ابن هشام — دريد بن الصمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شجار له ، فاذا برجل ، فأناخ به ، فاذا شيخ كبير ، وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئا ، فقال : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ، وكان الرحل فى الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فانى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد ابن الصمة ، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشف ، ، فاذا عجانه[1] وبطون فخذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء [2] ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا .

فقالت عمرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريدا :

لعمرك ما خشيت على دريد ببطن سميرة [3] جيش العناق [4]

---

(١) عجانة : ما بين فرجيه .

(٢) أعراء : جمع عرى (بوزن قفل) وهو الفرس الذى لاسرج له .

(٣) سميرة : واد قرب حنين قتل فيه دريد بن الصمة .

(٤) العناق : الخيبة أو الداهية ، وكلاهما مناسب للمقام ، لأنها إذا قصدت « جيش الخيبة » فهو على معنى المبالغة للجيش ، وإذا قصدت « جيش الداهية » فهو على معنى مدح دريد بشجاعته التى يقهر بها مثل هذا الجيش .

جزَى عنـهُ الإلهُ بنى سُلَيْمٍ ... وعقّتْهُمْ بما فَعَلوا عَقاقِ[١]

وأسْقانا إذا قُدْنا إليهم ... دماءَ خيارهم عند التّلاقى

فرُبَّ عظيمة دافعتَ عنهم ... وقد بلَغتْ نفوسُهُم التَّراقى

ورُبَّ كريمة أعتقتَ منهُمْ ... وأُخرَى قد فككْتَ من الوَثاقِ

ورُبَّ مُنَوّهٍ بكَ من سُلَيم ... أجبْتَ وقد دَعاكَ بلا رَماقِ[٢]

فكانَ جَزاؤُنا منهُمْ عُقُوقا ... وهَمّا ماعَ منهُ مُخُّ ساقى[٣]

عفَتْ آثارخيْلك بعد أيْنٍ ... بذى بقَرٍ إلى فَيْفِ النُّهاقِ[٤]

وقالت عَمْرة بنت دُرَيد أيضًا :

قالوا قتلنا دُرَيدا قلتُ قد صَدقوا ... فظلّ دمعى على السِّرْبالِ ينْحدرُ[٥]

لوْلا الّذى قهَرَ الأقوَامَ كُلَّهُمُ ... رأت سُلَيم وكَعْب كيف تأتمرُ

إذَنْ لصَبَّحهم غِبًّا وظاهرةً ... حيثُ استقرّتْ نواهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ[٦]

قال ابن هشام : ويقال اسم الذى قتل دُرَيدا : عبد الله بن قُنَيْع بن أُهْبان ابن ثعْلبة بن ربيعة .

(مقتل أبى عامر الأشعرى) :

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجّه قِبَلَ أوْطاس أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعضَ من انهزم ، فناوشوه القتال[٧]، فرُمِى أبو عامر بسهم فقُتِل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشْعرىّ ، وهو ابن عمه ،

---

(١) عقاق : على وزن فعال بكسر اللام ، من العقوق .

(٢) المنوه : الذى يناديك بأشهر أسمائك نداء ظاهرا . والرماق ، بفتح الراء وكسرها : بقية الحياة .

(٣) ماع : ذاب ، وكل سائل مائع (عن أبى ذر) .

(٤) عفت : درست وتغيرت . وذو بقر : موضع ، ويروى بالنون والفاء . والفيف القفر . والنهاق هنا : موضع . وقال ابن سراج : أين وذو نفر : موضعان .

(٥) السربال القميص .

(٦) أصل الغب : أن ترد الإبل الماء يوما وتدعه يوما . والظاهرة : أن ترده كل يوم ؛ فضربه هاهنا مثلا . والجحفل الجيش الكثير . وذفر (بالدال والذال معا) : كريه الرائحة من سهك السلاح ، وصدأ الحديد .

(٧) يقال : تناوش القوم فى القتال ، إذا تناول بعضهم بعضا بالرماح ، ولم يتدانوا كل التدانى .

فقاتلهم : ففتح الله على يديه ، وهزمهم : فيزعمون أن سَلَمة بن دُرَيْد هو الذى رَمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب رُكبته ، فقتله ، فقال :

إنْ تسألوا عنّى فإنى سَلَمَهْ ابنُ سَمادِيرَ لمَنْ تَوَسَّمَهْ[1]
أضربُ بالسيف رءوس المسلِمَهْ

(دعاء الرسول لبنى رئاب)

وسمادير : أمه .

واستحرّ القتل من بنى نَصْر فى بنى رِئاب ، فزعموا أن عبد الله بن قَيْس — وهو الذى يُقال له ابن العَوْراء ، وهو أحد بنى وَهْب بن رِئاب — قال : يارسولَ الله ، هلكت بنو رئاب . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهمّ اجبر مصيبتَهم .

(وصية مالك بن عوف لقومه ولقاء الزبير لهم) :

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنيّة[2] من الطَّريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حتى تمضى ضُعَفاؤكم ، وتلْحق أُخراكم . فوقف هناك حتى مضى مَن كان لحِق بهم من مُنْهزمة الناس ؛ فقال مالك بن عَوْف فى ذلك :

ولولا كَرَّتان على مُحاجٍ لضاق على العَضاريط الطَّريقُ[3]
ولولا كَرّ دُهْمانَ بن نَصْر لدَى النَّخَلات مُنْدَفَع الشَّديقِ[4]
لآبَتْ جَعْفَرٌ وبنُو هِلال خزَايا مُحْقِبين على شُقُوق[5]

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عَوْف فى غير هذا اليوم . ومما يدلُّك

(١) توسمه : استدل عليه ونظر فيه .

(٢) الثنية : موضع مرتفع بين جبلين .

(٣) محاج : اسم فرسه . والعضاريط : جمع عضروط (كعصفور) وهو الخادم على طعام بطنه ، والأجير . ويجمع أيضا على عضارط وعضارطة .

(٤) الشديق : واد بأرض الطائف ، مخلاف من مخاليفها ؛ ويروى بالذال المعجمة .

(٥) محقبين : مردفين لمن انهزم منهم . قال أبو ذر : « ومن رواه محمقين ، فهو من الحمق . يقال : حمقت خيل الرجل : إذا لم تنجب . ومن رواه : مجلبين ، فمعناه مجتمعون » . وعلى شقوق : أى على مشقة .

على ذلك قولُ دُرَيد بن الصِّمَّة فى صَدْر هذا الحديث : ما فعلت كعْب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يَشْهدها منهم أحد . وجعفرٌ بن كلاب . وقال مالك بن عوف فى هذه الأبيات : « لآبَتْ جَعفرٌ وبنو هلال » .

قال ابن هشام : وبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا ترَوْن ؟ فقالوا : نرى قوْما واضعى رِماحهم بين آذان خيلهم ، طويلةً بوادُهم [١] ؛ فقال : هؤلاء بنو سُلَيم ، ولا بأسَ عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ؛ فقال لأصحابه : ماذا ترَوْن ؟ قالوا : نرى قوما عارضى [٢] رِماحهم ، أغْفالا [٣] على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأوْس والخزْرَج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهَوْا إلى أصل الثَّنيَّة سلكوا طريق بنى سُلَيم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا ترَوْن ؟ قالوا : نرى فارسا طويل البادِّ ، واضعا رمحه على عاتقه [٤] ، عاصبا رأسه بملاءة [٥] حمراء فقال : هذا الزُّبير بن العوَّام وأحلِف باللاَّت ليخالطنَّكم ؛ فاثْبُتوا له . فلما انتهى الزُّبير إلى أصل الثَّنِيَّة أبصر القوم ، فصَمَد لهم [٦] ، فلم يزل يُطاعِنهم حتى أزاحهم [٧] عنها .

(شعر سلمة فى فراره) :

قال ابن إسحاق : وقال سَلَمَة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَّيْتِنى ما كنتِ غيرَ مُصابَةٍ ... ولقد عرفْتِ غَداةَ نَعْف الأظْرُبِ [٨]

أنّى مَنَعْتُكِ والرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ ... ومشيْتُ خلفَكِ مثل مشْىِ الأنكَبِ [٩]

---

(١) البواد : جمع الباد ، وهو باطن الفخذ .

(٢) عارضى رماحهم : أى واضعيها بالعرض وهو كناية عن عدم مبالاتهم أعداءهم .

(٣) أغفالا : جمع غفل ، وهو الذى لا علامة له . يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشىء يعرفون به .

(٤) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

(٥) الملاءة الملحفة صغيرة كانت أو كبيرة .

(٦) صمد : قصد .

(٧) أزاحهم عنها : أزالهم عنها ونحاهم .

(٨) النعف : أسفل الجبل . والأظرب : موضع . ويحتمل أن يكون جمع ظرب ، وهو الجبل الصغير .

(٩) الأنكب : المائل إلى جهة .

إذ فرّ كلُّ مُهَذَّبٍ ذى لِمَّةٍ عَنْ أُمِّه وخَليله لم يَعْقَبِ[١]

(بقية حديث مقتل أبى عامر) :

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه : أن أباعامر الأشعرىّ لقى يوم أوطاس عشرةَ إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدُهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليه ، فقتله أبو عامر : ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ،وبقى العاشر ، فحمل على أبى عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهمّ اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهمّ لاتشهد علىّ ، فكفّ عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعدُ فحسُن إسلامه . فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شَريدُ أبى عامر . ورمى أبا عامر أخَوان : العلاءُ وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدُهما قلبَه ، والآخر رُكبته ،فقتلاه . ووَلِىَ الناسَ أبو موسى الأشعرى فحمل عليهما فقتلهما ؛ فقال رجل من بنى جُشَم بن معاوية يرثيهما :

إنّ الرَّزِيَّةَ قَتْلُ العَلاءِ وأَوْفَى جَميعا ولمْ يُسْنَدَا[٢]

هُما القاتلان أبا عامرٍ وقد كان ذا هَبَّة[٣] أَرْبَدَا[٤]

هُما ترَكاه لدَى مَعْرَكٍ كأنّ على عِطْفه مُجْسَدَا[٥]

فلم تَرَ فى النَّاسِ مِثْلَيْهِما أقَلّ عِثارا وأرْمَى يَدَا

(نهى الرسول عن قتل الضعفاء) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ

---

(١) المهذب : الخالص من العيوب ، والمهذب (أيضا) : المسرع ، من التهذيب فى السير ، وهو الإسراع . وخليله : صاحبه . ولم يعقب : لم يرجع .

(٢) لم يسندا : أى لم يدركا وبهما رمق ، فيسندا إلى ما يمسكهما .

(٣) كذا فى ا : وذاهبة : يعنى سيفا ذا هبة ؛ وهبة السيف : اهتزازه ، وفى م ، ر « داهية » .

(٤) الأربد : الذى فيه ربد ، أى طرائق من جوهر .

(٥) المعرك : موضع الحرب . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران .

يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفُون [١] عليها فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدرِكْ خالدًا ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تَقْتل وَليدًا أو امرأة و عسيفا [٢] .

(شأن بجاد والشيماء) :

قال ابن إسحاق ،وحدثني بعض بني سعد بن بكر:أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قَدَرتم على بِجاد ، رجل من بني سعد بن بكر ، فلا يفلِتَنَّكم ، وكان قد أحدث حَدَثا ، فلما ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشَّيْماءَ ، بنت الحارث بن عبد العُزَّى أختَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرّضاعة ، فعَنُفُوا عليها في السِّياق ؛ فقالت للمسلمين : تعلَّموا والله أني لأخت صاحبكم من الرّضاعة ؛ فلم يصدّقوها حتى أتَوْا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن عُبيد السَّعديّ ، قال : فلما انتُهِيَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ، إني أُختك من الرضاعة ؛ قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عَضَّة عَضِضْتَنيها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ [٣] ؛ قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخيّرها ، وقال : إن أحببتِ فعندِي مُحَبَّةٌ مُكْرَمَة ، وإن أحْبَبْتِ أنْ أُمَتِّعَك [٤] وترجعي إلى قومك فعلتُ ؛ فقالت : بل تمتّعُني وتردُّني إلى قومي . فمتّعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّها إلى قومها ؛ فزعمت بنوسعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوّجت أحَدهُما الأُخرَى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

---

(١) مزدحمون منقصمون . ويروى : منقصفون (بالنون) وهو بمعناه .

(٢) الأجير ، والعبد المستهان به .

(٣) متوركتك : حاملتك على وركي .

(٤) متعك : أي أعطيك ما يكون به الإمتاع ، أي الانتفاع .

قال ابن هشام : وأنزل الله عزّ وجلّ فى يوم حُنين : « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ » ... إلى قوله « وَذلكَ جَزَاءُ الكافِرِينَ » .

(تسمية من استشهد يوم حنين) :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشْهِد يوم حُنَيْن من المسلمين :

من قريش ثم من بنى هاشم : أ يْمَن بن عُبيد .

ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : يزيد بن زَمَعَة بن الأسود بن المطّلب بن أسد ، جمَح به فرس له يقال له الجناح ، فقُتل .

ومن الأنصار : سُرَاقةُ بن الحارث بن عدىّ ، من بنى العَجْلان .

ومن الأشعريين : أبوعامر الأشعرى .

(جمع سبايا حنين) :

ثم جُمِعَتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبَايا حُنَيْن وأموالُها ، وكان على المغانم مسعودُ بن عمرو الغِفارىّ ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسّبايا والأموال إلى الجعْرَانة ، فحُبِسَتْ بها .

(شعر بجير يوم حنين) :

وقال بُجَير بن زُهَير بن أبى سُلْمَى فى يوم حُنَيْن :

لوْلا الإلهُ وعَبْدُهُ وَلَّيْتُمُ ... حين استخفَّ الرُّعبُ كُلَّ جَبانِ (١)

بالجِزع يَوْمَ حَبَا لَنا أقْرَانُنا ... وسَوَابِحٌ يَكْبُونَ للأذْقانِ (٢)

مِنْ بينِ ساعٍ ثوْبُهُ فى كَفِّهِ ... ومقطَّرٍ بسَنابكٍ ولَبانِ (٣)

واللهُ أكْرَمَنا وأظْهَرَ دِينَنا ... وأعَزَّنا بعِبادَةِ الرَّحمنِ

واللهُ أهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... وأذَلَّهُمْ بعِبادَةِ الشَّيْطانِ

---

(١) ويروى : « جنان » والجنان : القلب .

(٢) الجزع : ما انعطف من الوادى . وحبا : اعترض . و السوابح : خيل كأنها تسبح فى جريها ، أى تعوم . ويكبون : يسقطن .

(٣) مقطر : مرمى على قطره ، وهو جنبه . والسنابك : جمع سنبك ، وهو طرف مقدم الحافر . واللبان (بفتح اللام) : الصدر .

قال ابن هشام : ويَرْوِى فيها بعضُ الرُّواة :

إذْ قامَ عَمُّ نبيِّكم ووَليُّــه يدعُون : يا لَكتيبةِ الإيمانِ

أين الذينَ هُمُ أجابوا ربَّهمْ يَوْمَ العُرَيْض وبَيْعة الرِّضْوانِ [1]

(شعر لعباس بن مرداس فى يوم حنين) :

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مِرداس فى يوم حُنَيْن :

إنى والسَّــوابح يومَ جَمْعٍ وما يَتْلو الرَّسولُ مِن الكتابِ

لقد أحببتُ ما لَقِيتْ ثَقيفٌ بجَنْب الشِّعْب أمسِ من العذاب

هُمُ رأسُ العدوِّ من اهلِ نَجْدٍ فقتلهُمُ ألَذُّ مِنَ الشَّرابِ

هزَمْنا الجَمْعَ جمعَ بَنى قَسِيٍّ وحَكَّتْ بَرْكَها ببَنى رِئابِ [2]

وصِرْما مِنَ هِــلال غادرتْهمْ بأوْطاس تُعَفَّــر بالتُّرابِ [3]

ولو لاقَيْنَ جَمْعَ بنِى كِلابٍ لَقامَ نِساؤُهم والنَّقْعُ كابى

ركَضْنا الخيلَ فيهم بين بُسٍّ إلى الأوْرال تَنْحِطُ بالنِّهابِ [4]

بذِى لَجَبٍ رسولُ الله فيهــم كتيبتهُ تعَــرَّضُ للضِّرابِ [5]

قال ابن هشام : قوله « تُعَفَّر بالتُّراب » : عن غير ابن إسحاق .

(شعر ابن عفيف فى الرد على ابن مرداس) :

فأجابه عطية بن عُفَيِّف [6] النَّصْرىّ ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أفاخِرَةٌ رِفاعــةُ فى حُنَــيْنٍ وعبَّاسُ بن رَاضِــعةِ اللِّجابِ [7]

---

(١) العريض : واد بالمدينة .

(٢) جمع : هى مزدلفة ، وهى المشعر الحرام أيضا . والبرك : الصدر ، ويريد بحك الحرب بركها = شدة وطأتها .

(٣) الصرم : جماعة بيوت انقطعت عن الحى الكبير . وأوطاس : موضع .

(٤) بس : موضع فى أرض بنى جشم . والأورال : أجبل ثلاثة سود ، حذاءهن ماءة لبنى عبد الله ابن دارم . وتنحط . : تخرج أنفاسها عالية . والنهاب : جمع نهب ، وهو ما ينتهب ويغنم .

(٥) بذى لجب : بجيش كثير الأصوات .

(٦) روى بفتح العين وبضمها مع تخفيف الياء ، وبالضم مع التشديد قيده الدارقطنى .

(٧) اللجاب : جمع لجبة ، وهى الشاة القليلة اللبن . وقيل : هى العنز خاصة .

عانَكَ والفِجارَ كذاتِ مِرْطٍ   لِرَبَّتِها وتَرْفُلُ فى الإهابِ[١]

قال ابن إسحاق: قال عطية بن عُفَيْف هذين البيتين لمَّا أكثرَ عباسٌ على هَوَازِن فى يوم حُنَيْن. ورفاعة من جُهَينة.

(شعر آخر لعباس بن مرداس):

قال ابن إسحاق: وقال عبَّاس بن مرداس أيضا:

يا خاتَم النُّبَآءِ إنَّكَ مُرْسَلٌ   بالحقّ كلُّ هُدى السَّبيل هُداكا

إنَّ الإله بنى عليك محبَّةً   فى خَلْقِه ومُحَمَّدًا سَمَّاكا

ثُمَّ الذينَ وَفَوْا بما عاهدتَهم   جُنْدٌ بعَثْتَ عليهمُ الضَّحَّاكا

رجُلاً به ذَرَبُ السِّلاح كأنَّه   لما تَكَنَّفَه العَدُوُّ يَرَاكا[٢]

يغشى ذوى النَّسَب القَريب وإنما   يبغى رِضَا الرَّحمن ثم رِضَاكا

أُنْبيكَ أنى قد رأيتُ مَكَرَّهُ   تحتَ العَجاجَة يدْمَغُ الإشراكا[٣]

طَوْرًا يُعانِقُ باليَدَين وتارةً   يَفْرِى الجماجِمَ صارما بتَّاكا[٤]

يغشَى به هامَ الكماة ولو ترَى   منه الذى عاينتُ كان شِفاكا[٥]

وبنو سُلَيْم مُعْنِقُون أمامه   ضَرْبا وطَعْنا فى العدوّ دِراكا[٦]

يَمْشُون تحتَ لِوَائِه وكأنَّهُمْ   أُسْدُ العَرِينِ أرَدْنَ ثَمَّ عِراكا[٧]

ما يَرْتجُون مِن القَريبِ قرابة   إلاَّ لطاعَة ربهم وَهَوَاكا

هذِى مَشاهدُنا التى كانَتْ لَنا   مَعْروفةً ووَلِيُّنا مَوْلاكا

---

(١) الفجار: المفاخرة. والمرط: كساء غير مخيط من خز أو صوف أو كتان. وترفل: تمشى متبخترة، والإهاب: الجلد؛ ويريد به الثوب.

(٢) ذرب السلاح: حدته ومضاؤه؛ ومنه يقال: فلان ذرب اللسان، إذا كان حاد اللسان.

(٣) العجاجة: الغبار المنتشر. ويدمغ يقهر ويذل؛ وهو من الضرب على الدماغ.

(٤) يفرى: يقطع. ويروى «يقرى» بالقاف؛ أى يقدم الجماجم قرى لسيفه. وبتاك: قاطع.

(٥) هذا البيت ساقط فى ا. والهام: الرءوس. والكماة: جمع كمى، وهو الشجاع المستتر فى سلاحه.

(٦) معنقون: مسرعون. يقال: أعنق يعنق: إذا أسرع. ودراك: متتابع.

(٧) العرين: موضع الأسد. والعراك: المدافعة فى الحرب.

وقال عباس بن مرداس أيضا :

إمَّا تَرَىْ يا أُمَّ فَرْوَةَ خَيْلَنا	منها مُعَطَّلَةٌ تُقاد وظُلَّعُ [١]
أَوْهَى مَقَارِعَةُ الأعادِى دمَّها	فيها نَوافِذُ مِن جِراحٍ تَنْبَعُ [٢]
فلربَّ قائِلَةٍ كَفاها وَقْعُنا	أَزْمَ الحروب فَسِرْبُها لا يَفْزَعُ [٣]
لا وَفْدَ كالوَفْدِ الأُلَى عقدوا لنا	سَبَبًا بحَبْلِ محمدٍ لا يُقْطَع
وفد أبو قطَنٍ حُزابَةُ منهُمُ	وأبو الغُيُوث وواسِعٌ والمِقْنَع
والقائد المِئَةَ التى وَفَّى بها	تسْعَ المِئين فَتَمَّ [٤] ألفٌ أقرَعُ [٥]
جمَعَتْ بنو عوْفٍ ورهطُ مُخاشِنٍ	ستًّا وأَحْلُبُ [٦] من خُفافٍ أربعُ [٧]
فهناك إذْ نُصِرَ النَّبِىِّ بألْفِنا	عقدَ النَّبِىِّ لنا لِواءً يَلْمَعُ
فُزْنا برايتِهِ وأوْرَثَ عَقْدُهُ	مجْدَ الحَياة وسُودَدًا لا يُنزَعُ
وغداة نحنُ معَ النَّبِىِّ جناحُه	ببِطاحِ مكَّةَ والقَنا يَتَهَزَّعُ [٨]
كانَتْ إجابَتُنا لداعى ربِّنا	بالحَقِّ منَّا حاسِرٌ ومُقَنَّعُ [٩]
فى كُلِّ سابِغَةٍ تَخَيَّرَ سَرْدَها	داودُ إذ نَسَجَ الحديدَ وتُبَّعُ [١٠]
ولَنا على بِئرَىْ حُنَيْنٍ موكِبٌ	دَمَغَ النِّفاقَ وهَضْبَةٌ ما تُقْلَعُ [١١]

(١) كذا فى م ، ر . والظلع : العرج . وفى ا « ضلع » بالضاد ، والظلع والضلع بمعنى .

(٢) أو هى : أضعف . ودمها (بالدال) : تسويتها بالعلف والتسمنة لها حتى استوى لحمها ، يقال : دممت الأرض ، إذا سويتها . ورروى « رمها » (بالراء) ، والمعنى على الروايتين واحد . وتنبع : تسيل بالدم .

(٣) أزم الحروب : شدتها . وسربها : أى نفسها ؛ وقيل أهلها .

(٤) كذا فى م ، ر . وفى ا « ثم » بالثاء المثلثة .

(٥) ألف أقرع : أى تام لاينقص منه شىء .

(٦) كذا فى م ، ر . و « أحلب » بالحاء المهملة : جمع . وفى ا : « أجلب » بالجيم ، وهى بمعناها ، إلا أن الإجلاب جمع مع حركة وصوت .

(٧) خفاف (بضم الخاء) : اسم رجل تنسب إليه القبيلة .

(٨) يتهزع : معناه يضطرب ويتحرك . ورروى بالراء ، ومعناه : يسرع إلى الطعن ، من قولك : أهرعت إذا أسرعت .

(٩) الحاسر الذى لادرع عليه . والمقنع : الذى على رأسه مغفر .

(١٠) السابغة : الدرع الكاملة . وسردها : نسجها . وتبع : ملك من ملوك اليمن .

(١١) دمغ النفاق : أصابه فى دماغه ، وهى استعارة هنا . والهضبة : الرابية ، يصف جيشه بالثبات والقوة فلا يزحزح عن مكانه .

نَصرَ النَّبيَّ بنا وكُنَّا مَعْشَرًا ... فى كُلِّ نائبَــةٍ نَضُرُّ ونَنْفَعُ
ذُدْنا[1] غداتَئذٍ هوازنَ بالقَنا ... والخيلُ يغمُرُها عَجاجٌ يَسْطعُ[2]
إذْ خافَ حَدَّهم النبيُّ وأسْندوا ... جمعا تكاد الشَّمْسُ منه تَخشعُ[3]
تُدْعَى بنوجُشَمٍ وتُدعَى وَسْطه ... أفْناءُ نَصْرٍ والأسِــنَّةَ شُرَّعُ[4]
حتّى إذا قالَ الرَّسولُ مُحَمَّـــدٌ ... أبنى سُلَيْمٍ قد وفَيْتُمْ فارْفَعوا[5]
رُحْنا ولولا نحنُ أجْحَفَ بأسُهُم ... بالمؤمنـــين وأحْرَزُوا ما جَمَّعُوا[6]

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حُنَين :

عفَا مِجْدَلٌ من أهْلِه فَمُتالِعُ ... فَمِطْلا أريكٍ قد خَلا فالمَصَانعُ[7]
ديارٌ لنا يا جُمْلُ إذْ جُلُّ عيشِنا ... رخىٌّ وصرفُ الدار للحىِّ جامعُ[8]
حُبَيِّبَةٌ ألْوَتْ بها غُرْبَة النَّوَى ... لِبَيْنٍ فهل ماضٍ من العيش راجعُ[9]
فان تبْتَغى الكُفَّارَ غيرَ ملومَة ... فانى وزيرٌ للنَّــبِىِّ وتابعُ
دعانا إليهم خَــيْرُ وفْدٍ عَلِمتُهم ... خُزَيْمَةُ والمرّار منهُم وواسعُ
فجئنا بألفٍ من سُلَيْمٍ عليهمُ ... لَبُوسٌ لهم من نَسْجِ داوُدَ رائعُ[10]
نُبايعُهُ بالأخْشَبَــيْنِ وإنَّمَا ... يَدَ اللهِ بينَ الأخْشَــبَيْنِ نُبايعُ[11]

---

(١) كذا فى ا . وذدنا : دافعنا . وفى م ، ر : « زرنا » .

(٢) العجاج : الغبار : ويسطع : يعلو ويتفرق .

(٣) تخشع : ينقص ضياؤها .

(٤) الأفناء (بالفاء) : جماعة مجتمعة من قبائل شتى . وشرع : مائلة إلى الطعن .

(٥) ارفعوا : أى كفوا أيديكم عن القتل ؛ ويروى : اربعوا (بالباء) وهو بمعناه .

(٦) أجحف : نقص وأضر . وأحرزوا ما جمعوا : احتووه .

(٧) عفا : درس وتغير . ومجدل : موضع ، وأصل المجدل : القصر ، ويقال : الحصن . ومتالع : جبل بنجد . والمطلاء (بكسر الميم ، يمد ويقصر) : أى أرض سهلة لينة تنبت العضاه . (راجع اللسان مادة : طلى) . وأريك : موضع . والمصانع : مواضع تصنع للماء مثل الصهاريج .

(٨) جمل : اسم امرأة . وجل العيش : أكثره . وعيش رض : ناعم . وصرف الدار : الخطب النازل بها .

(٩) كذا فى م ، ر . وهو تصغير حبيبة ، وفى ا : « حبيبية » وهو تصغير ترخيم مع النسب إلى بنى حبيب . وألوت بها : غيرتها . والنوى : البعد والفراق .

(١٠) رائع : معجب .

(١١) الأخشبان : جبلان بمكة .

حجسنا معَ المهْدىّ مكّةَ عَنْوَةً ... بأسْيافنا والنَّقْعُ كابٍ وساطعُ[١]
عَدَ نيةً والخيْلُ يغْشى متونها ... حميمٌ وآنٍ من دَمِ الجَوْف ناقعُ[٢]
ويومَ حُنَين حين سارَتْ هوَازِنٌ ... إلينا وضاقتْ بالنُّفوس الأضَالعُ
صَبَرْنَا مع الضحّاك لا يستفزّنا ... قِرَاعُ الأعادى منهُـــمُ والوقائعُ[٣]
أمامَ رسولِ الله يَخْفِقُ فوقَنا ... لواءٌ كخُذْرُوف السَّحابة لامعُ[٤]
عشيةَ ضحاكُ بنُ سُفيانَ معتصٍ ... بسيفِ رسولِ الله والموتُ كانعُ[٥]
نَذُود أخانا عن أخينا ولو نَرَى ... مَصَالاً لكُنَّا الأقْربِينَ نتابعُ[٦]
ولكنّ دينَ الله دينُ محمَّــدٍ ... رضينا به فيــه الهُدَى والشَّرائعُ
أقامَ به بعــد الضّلالةِ أمْرَنَا ... وليس لأمْرٍ حَمَّـــهُ اللهُ دافــعُ[٧]

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حُنَيْن :

تَقَطَّعَ باقى وَصْلِ أُمّ مُؤَمَّلٍ ... بعاقبــة واستبدَلَتْ نيَّةً خُلْفا[٨]
وقد حَلَفَتْ بالله لا تقطعُ القُوَى ... فمَا صَدَقَتْ فيه ولا برَّتِ الحَلْفا[٩]

---

(١) جسنا : وطئنا . والمهدى : النبى صلى الله عليه وسلم . وعنوة : قهرا . والنقع : الغبار . وكاب : مرتفع ، وساطع : متفرق .

(٢) متونها : ظهورها . والحميم (هنا) : العرق . وآن : حار . ونافع : كثير .

(٣) لايستفزنا : لايستخفنا .

(٤) خذروف السحابة : طرفها . وأراد به هنا سرعة تحرك هذا اللواء واضطرابه .

(٥) معتص : ضارب . يقال : اعتصوا بالسيوف : إذا ضاربوا بها . وكانع : دان ؛ يقال : كنع منه الموت ؛ إذا دنا .

(٦) نذود : ندفع . وأخانا عن أخينا : يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ؛ فعنى البيت : نقاتل إخوتنا هوازن ، ونذودهم عن إخوتنا من سليم ، ولو نرى فى حكم الدين مصالا وتطاولا على الناس ، لكنا مع الأقربين هوازن .

(٧) حمه الله : قدره .

(٨) النية : ما ينويه الإنسان من وجه ويقصده . وخلفا (بضم الخاء) : من خلف الوعد ومن رواه (بفتح الخاء) ، فهو من المخالفة . وقال السهيلى : « النية من النوى ، وهو البعد ، وخلفا : يجوز أن يكون مفعولا من أجله ، أى فعلت ذلك من أجل الخلف ، ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا للاستبدال ، لأن لاستبدالها خلف منها لما وعدته به . ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده » .

(٩) القوى هنا : قوى الحبل ، والحبل (هنا) : هو العهد . والحلف : اليمين والقسم .

خُفَافِيَّةٌ بَطْنُ العَقِيق مَصِيفُها ... وتحتلّ فى البادين وَجْرَة فالعَرْفا[١]
فإنْ تَتْبَعِ الكُفَّارَ أمُّ مُؤَمَّلٍ ... فقد زوّدَتْ قلبى على نأيها شَغْفا[٢]
وسوفَ يُنبِّيها الخَبِيرُ بأنَّنا ... أبَيْنا ولم نطلُبْ سِوَى رَبِّنا حِلْفا[٣]
وأنّا مَعَ الهادِى النَّبىِّ مُحَمَّدٍ ... وفَيْنا ولم يستوفها مَعْشَرٌ ألْفَا
بِفِتْيان صِدْقٍ من سُلَيم أعِزَّةٍ ... أطاعوا فما يَعْصُون من أمره حَرْفا
خُفَافٌ وذَكْوَانٌ وعَوْفٌ تَخَالهم ... مَصَاعِبَ زافَتْ فى طَرُوقَتِها كُلْفا[٤]
كأنّ النَّسِيجَ الشُّهْبَ والبيضَ مُلْبَسٌ ... أسُودًا تلاقَتْ فى مراصدها غُضْفا[٥]
بنا عَزَّ دينُ اللهِ غيرَ تَنَحُّلٍ ... وزِدْنا على الحَىِّ الذى معه ضِعْفا[٦]
بمكَّةَ إذْ جئْنا كأنَّ لِوَاءَنا ... عُقَابٌ أرادَتْ بعد تَحْلِيقِها خَطْفا
على شُخَّصِ الأبصار تحسبُ بينها ... إذا هِىَ جالت فى مَرَاوِدها عَزْفا[٧]
غداة وَطِئْنا المُشْرِكين ولم نجِدْ ... لأمرِ رسولِ اللهِ عَدْلًا ولا صَرْفا[٨]
بمُعْتَرَك لا يَسْمَعُ القَوْمُ وَسْطَه ... لَنا زَجْمَةً إلا التَّذامُرَ والنَّقْفا[٩]

---

(١) خفافية : نسبة إلى بنى خفاف ، حى من سليم . والعقيق : واد بالحجاز . ووجرة والعرف : موضعان .

(٢) كذا فى م ، ر . والشغف (بالغين) المعجمة : أن يبلغ الحب شغاف القلب ، وهو حجابه . وفى ا : « شعفا » بالعين المهملة ، ومعناه أن يحرق الحب القلب مع لذة يجدها المحب .

(٣) الحلف : المحالفة ، وهو أن يحالف القبيل على أن يكونوا يدا واحدة فى جمع أمورهم .

(٤) مصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل . وزافت : مشت . والطروقة : النوق التى يطرقها الفحل . وكلف : سود ؛ الواحد : أكلف .

(٥) النسيج : الدروع . والشهب : جمع شهباء ، وهى التى يخالط بياضها حمرة . ومراصدها : حيث يرصد بعضها بعضا ، وغضف : مسترخية الآذان .

(٦) غير تنحل : غير كذب .

(٧) شخص : جمع شاخص ، وهو الذى يفتح عينه ولا يطرف . والمراود : جمع مرود ، وهو الوتد ، قال السهيلى : « ويجوز أن يكون جمع مراد ، وهو حيث ترود الخيل ، أى تذهب وتجىء » . والعزف : الصوت والحركة .

(٨) العدل : الفدية والصرف : التوبة .

(٩) المعترك : موضع الحرب . وزجمة : أى صوت . والتذامر : أن يحض بعضهم بعضا على القتال . والنقف : كسر الرءوس ، ومنه ناقف الحنظلة ، وهو كاسرها ومستخرج ما فيها .

بِبِيضٍ نُطِيرُ الهامَ عن مُسْتَقَرِّها ... ونَقْطِفُ أعْناقَ الكُماة بها قَطْفا [1]

فكائن تركْنا من قَتِيل مُلَحَّبٍ ... وأرْمَلَةٍ تَدْعو على بَعْلها لَهْفا [2]

رِضًا الله نَنْوِى لا رضا الناس نبتغى ... ولله ما يَبْدُو جميعا وما يخفى

وقال عباس بن مرداس أيضا :

ما بالُ عَيْنِكَ فيها عائِرٌ سَهِرٌ ... مثلُ الحَماطةِ أغْضَى فوقَها الشُّفُرُ [3]

عَيْنٌ تأوَّبها مِنْ شَجْوِها أرَقٌ ... فالماءُ يَغْمُرُها طَوْرًا ويَنْحَدِرُ [4]

كأنَّه نَظْمُ دُرٍّ عندَ ناظِمَةٍ ... تَقَطَّعَ السِّلْكُ منه فهو مُنْتَثِرُ [5]

يا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ ترجو مودَّتَه ... ومَنْ أتى دُونَه الصِّمّانُ فالحَفَرُ [6]

دَعْ ماتقدَّم من عهد الشَّباب فقَدْ ... وَلَّى الشَّبابُ وزارَ الشَّيْبُ والزَّعَرُ [7]

واذْكُرْ بلاءَ سُلَيْمٍ فى مواطنها ... وفى سُلَيْم لأهْلِ الفَخْرِ مُفْتَخَر

قَوْمٌ هُم نصَرُوا الرَّحمن واتَّبعوا ... دِينَ الرَّسول وأمرُ النَّاس مُشْتَجِر [8]

لايَغْرِسونَ فَسِيلَ النَّخل وَسْطَهم ... ولا تخاوَرُ فى مَشْتاهُم البَقَر [9]

إلا سَوابحَ كالعِقْبانِ مقْرَبَةً ... فى دارَةٍ حَوْلَها الأخْطارُ والعَكَرُ [10]

---

(١) الهام : الرءوس ، الواحدة : هامة . ونقطف : نقطع .

(٢) ملحب : مقطع اللحم .

(٣) العائر : كل ما أعل العين من رمد أو قذى يتنخس فى العين كأنه يعورها . وسهر : من السهر ، وهو امتناع النوم . وجعله سهرا ، وإنما السهر للرجل ، لأنه لم يفتر عنه ، فكأنه سهر ولم ينم ، والحماطة (فى الأصل) : تبن الذرة إذا ذريت ، وله أكال فى الجلد ؛ ويريد به ما يقع منه فى العين فتقذى به . وأغضى فوقها : أغمض جفنه عليها . والشفر (أصله بسكون الفاء ، وحركت بالضم إتباعا) : أصل منبت الشعر فى الجفن .

(٤) تأوبها : جاءها مع الليل . والشجو : الحزن . والماء : الدمع . ويغمرها : يغطيها .

(٥) السلك : الخيط الذى ينظم فيه ، ومنتثر : متفرق .

(٦) الصمان والحفر : موضعان .

(٧) الزعر : قلة الشعر .

(٨) مشتجر : مختلف ، من الاشتجار : وهو الاختلاف وتداخل الحجج بعضها فى بعض .

(٩) الفسيل : صغار النخل . وتخاور : من الخوار ، وهو أصوات البقر . يريد أنهم ليسوا أهل زرع وتربية نعم ، وإنما هم أهل حرب وانتقال .

(١٠) السوابح (هنا) : الخيل التى كأنها تسبح فى جريها . والعقبان : جمع عقاب . ومقربة (كانا

تَدْعَى خُفافٌ وعَوْفٌ فى جوانبها ... وحىٌّ ذَكْوانَ لاميلٌ ولا ضُجُرُ [1]

الضَّاربونَ جُنود الشِّرْك ضاحيةً ... ببطْن مكَّة والأرواحُ تَبْتَدِرُ [2]

حتى دَفَعْنا وقَتْلاهُمْ كأنَّهُمُ ... نَخْلٌ بظاهِرَة البَطْحاء مُنْقَعِر [3]

ونحنُ يومَ حُنَيْن كانَ مشهَدُنا ... للدين عِزًّا وعنْدَ الله مُدَّخَر

إذ نركبُ المَوْتَ مخضرًّا بطائنُه ... والخيْلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِر [4]

تحت اللِّواء مع الضحاك يقْدُمنا ... كما مَشَى اللَّيْثُ فى غاباته الخَدِر [5]

فى مأزقٍ من مَجَرِّ الحرْبِ كلْكلُها ... تكادُ تأفِلُ منه الشَّمْسُ والقَمَرُ [6]

وقد صَبَرْنا بأوْطاسٍ أسِنَّتَنا ... لله نَنْصُرُ مَنْ شِئْنا ونَنْتَصِرُ

حتى تأوَّبَ أقْوَامٌ منازِلَهم ... لولا المليكُ ولولا نحنُ ما صَدَرُوا [7]

فمَا ترى مَعْشَرًا قلُّوا ولا كَثُرُوا ... إلاَّ قَدَ اصْبَحَ مِنَّا فيهم أثَر

وقال عبَّاس بن مِرْداس أيضا :

يَأيُّها الرَّجل الذى تَهْوِى به ... وجْناءُ مُجْمَرَةُ المَناسم عِرْمِسُ [8]

إمَّا أتَيْتَ على النَّبِيِّ فقُلْ لهُ ... حَقًّا عَلَيْكَ إذا اطْمأَنَّ المجْلِسُ

ياخيرَ من رَكِبَ المطِيَّ ومنْ مَشَى ... فوقَ التراب إذا تُعَدُّ الأنفُسُ

فى م ، ر) : قريبة من البيوت ، لركوبها إذا حدث ما يدعو إلى النجدة ونحوها : وفى ا : « مقرنة » . والدارة : كل ما أحاط بشىء . والأخطار : الجماعات من الإبل . والعكر : الإبل الكثيرة .

(١) خفاف ، وعوف ، وذكوان : قبائل . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاسلاح له . والضجر (بضم الضاد والجيم) : جمع ضجور ، من الضجر وهو الحرج وسوء الاحتمال .

(٢) ضاحية : منكشفة بارزة فى أشعة الشمس .

(٣) منقعر ؛ منقلع من أصله .

(٤) ساطع : غبار متفرق . وكدر : متغير إلى السواد .

(٥) الخدر : الداخل فى خدره . والخدر (هنا) : غابة الأسد .

(٦) مأزق : مكان ضيق فى الحرب . والكلكل : الصدر . وتأفل : تغيب .

(٧) تأوب : رجع .

(٨) تهوى به : تسرع . والوجناء : الناقة الضخمة ، أو هى الغليظة الوجنات البارزتها ، وذلك يدل على غئور عينيها ، وهم يصفون الإبل بغئور العينين عند طول السفار . والمجمرة : المجتمعة المنضمة ، وذلك أقوى لها . والمناسم : جمع منسم ، وهو مقدم طرف خف البعير . وعرمس : شديدة ؛ وأصل العرمس : الصخرة الصلدة ، وتشبه بها الناقة الجلدة القوية .

إنا وَفَيْنا بالذى عاهَـدْتَنا ... والخيلُ تُقْدَعُ بالكُماة وتُضْرَس[١]

إذا سالَ مِنْ أفناء بُهْثَةَ كلِّها ... جمعٌ تَظَلّ به المخارِمُ تَرْجُس[٢]

حتى صَبَحْنا أهْلَ مكَّة فَيْلَقا ... شَهْباءَ يقدُمُها الهُمامُ الأشْوَس[٣]

من كلِّ أغْلَبَ من سُلَيمٍ فوقَهُ ... بيضاءُ مُحْكَمَةَ الدِّخال وقَوْنَس[٤]

يَروِى القناة إذا تجاسَر فى الوَغَى ... وتخالُه أسَـدًا إذا ما يَعْبِس

يَغْشَى الكَتيبةَ مُعْلِما وبِكَفِّـه ... عَضْبٌ يَقُدُّ به ولَدْنٌ مِدْعَس[٥]

وعلى حُنَيْنٍ قد وَفَى مِن جَمْعِنا ... ألْفٌ أُمِدَّ به الرَّسولُ عَرَنْدَس[٦]

كانُوا أمامَ المُؤْمنين دَرِيئَـةً ... والشَّمْسُ يومئذ عليهم أشْمُس[٧]

نَمْضِي ويَحْرُسُـنا الإلهُ بحِفْظِه ... واللهُ ليسَ بضائع من يَحْرُس

ولقد حُبِسْـنا بالمَناقِب مَحْبِسا ... رَضِيَ الإلهُ بهِ فَنِعْمَ المَحْبِس[٨]

وغَدَاةَ أوْطاسٍ شدَدْنا شَدَّةً ... كفَتَ العدوّ وقيل منها : ياالحبِسوا

تَدْعُو هوازِنُ بالإخاوة بَيْننا ... ثَدْىٌ تَمُدُّ به هوازِنُ أيْبَس

حتى تَرَكْنا جَمْعَهم وكأنَّه ... عَـيْرٌ تعاقَبَه السِّباعُ مُفَرَّس[٩]

قال ابن هشام : أنشدنى خلفٌ الأحمر قوله : « وقيل منها يا احْبِسوا » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

نَصَرْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له ... بألفِ كَمِىّ لا تُعَدُّ حَوَاسِرُه[١٠]

---

(١) تقدع : تكف . وتضرس : تجرح .

(٢) سال : ارتفع . وبهثة : حى من سليم . والمخارم : الطرق فى الجبال . وترجس : تهتز وتتحرك .

(٣) صبحنا أهل مكة فيلقا : أتيناهم بفيلق عند الصبح . وشهباء : لها بريق من كثرة السلاح . والهمام : السيد . والأشوس : الذى ينظر نظر المتكبر .

(٤) الأغلب : الشديد الغليظ . ومحكمة الدخال : يريد قوة نسج الدرع . والقونس : أعلى بيضة الحديد

(٥) عضب : سيف قاطع . ولدن : لين ، يقصد به الرمح . ومدعس : طعان .

(٦) عرندس : شديد .

(٧) دريئة : مدافعة . وأشمس : جمع شمس . يريد لمعان الشمس فى كل درع وسيف وبيضة وسنان ، فكأنها شموس .

(٨) المناقب : اسم طريق الطائف من مكة .

(٩) العير : حمار الوحش . ومفرس : معقور ، افترسه السباع .

(١٠) حواسره : جموعه الذين لادروع عليهم ؛ يقال ؛ : رجل حاسر ، إذا لم يكن عليه درع .

حمَلْنا له فى عامِلِ الرّمْحِ رايةً   يذودُ بها فى حَوْمة الموْت ناصرُه[١]
ونحن خضَبْناها دَما فهْو لَوْنُها   غداةَ حنين يومَ صفوانُ شاجِرُه[٢]
وكنّا على الإسْــلام مَيْمَنَةً له   وكانَ لنا عَقْدُ اللّوَاءِ وشاهِرُه
وكُنَّا لَهُ دُون الجُنُــود بِطانَةً   يُشاوِرُنا فى أمْــرِه ونُشاوِره
دعانا فسمّانا الشّعارَ مُقَــدَّما   وكُنَّا لهُ عَوْنا على مَن يُنا كِره[٣]
جزَى الله خَــيرًا من نبيّ محمدًا   وأيّده بالنّصْر واللهُ ناصِرُه

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله : « وكنّا على الإسلام » إلى آخرها ، بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذى أوّله: « حملنا له فى عامِلِ الرمْح راية » . وأنشدنى بعد قوله : « وكان لنا عَقْد اللّواء وشاهرُه » ، « ونحن خضَبناه دما فهو لونه » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

مَنْ مُبْلِغ الأقْوَام أنّ محمَّــدا   رسولَ الإله راشــدٌ حيثُ يَمَّما[٤]
دَعا ربَّه واستَنْصر الله وَحْدَه   فأصبَح قد وَفَّى إليــه وأنْعَما
سَرَيْنا وواعــدنا قُدَيْدًا محمدًا   يَؤُمّ بنا أمرًا مِنَ الله مُحكَمَا
تمارَوْا بنا فى الفَجْر حتى تَبَيَّنوا   معَ الفَجْرِ فِتْيانا وغابا مُقَوّما[٥]
على الخَيْلِ مشدُودا علينا دُرُوعُنا   ورَجْلا كدُفّاع الأتىّ عرَمرَما[٦]
فانّ سَراة الحىّ إنْ كنتَ سائلا   سُلَيْمٌ وفيهمْ منهُمُ مَنْ تَسَلّما[٧]
وجنْدٌ مِنَ الأنْصار لا يَخْذُلُونه   أطاعوا فمَا يَعْصَونَه ما تَكَلّما

---

(١) عامل الرمح : ما يلى السنان ، وهو دون الثعلب .

(٢) شاجره : أى مخالطه بالرمح ؛ يقال : شجرته بالرمح ، إذا طعنته به ، وشجرت الرماح : إذا دخل بعضها على بعض .

(٣) الشعار : ما ولى جسد الإنسان من الثياب ، فاستعاره هنا لبطانته وخاصته .

(٤) فى هذا البيت خرم .

(٥) تماروا بنا : شكوا فينا . والغاب (هنا) : الرماح .

(٦) رجلا : مشاة . والأتى : السيل يأتى من بلد إلى بلد . ودفاعه : ما يدفعه أمامه . والعرمرم : الكثير الشديد .

(٧) تسلم : انتسب إلى سليم ، كما تقول : تقيس الرجل ، إذا اعتزى إلى قيس .

فان تكُ قد أمَّرْتَ فى القوْم خالدًا ... وقدَّمْتَــه فإنّه قدْ تقــدَّما
بجُنْد هَــداهُ اللهُ أنْتَ أمــيرُه ... تُصيبُ به فى الحقّ من كان أظْلَما
حلَفْتُ يمينا برَّةً لمُحمَّــد ... فأكْملْتُها ألْفا من الخيْل مُلْجَما
وقال نبىّ المُؤْمنــينَ تقَــدَّموا ... وحُبَّ إلينا أن نَكون المُقَدَّما
وبِتْنا بنهْى المُسْتَدير ولم يَكُنْ ... بنا الخوفُ إلا رَغْبــةً وتحزُّما
أطَعْناكَ حتى أسلَمَ النَّاسُ كلُّهُم ... وحتى صَبحْنا الجمعَ أهلَ يلَمْلَما[1]
يَضِلّ الحصان الأبلَقُ الوَرْدُ وسْطه ... ولا يَطمَئِنّ الشَّيْخ حتى يُسَوَّما[2]
سَموْنا لهُم ورْد القَطا زَفَّهُ ضُحًى ... وكلّ تراهُ عن أخيه قد احْجَما[3]
لدُنْ غُدْوَةً حتى ترَكْنا عَشيَّةً ... حُنَيْنا وقد سالَتْ دَوافعُه دَما[4]
إذا شئْتَ منْ كلّ رأيْتَ طمِرَّةً ... وفارسَها يَهْوِى ورُمْحًا مُحطَّما[5]
وقد أحرَزَت منَّا هوازنُ سَرْبَها ... وحُبَّ إليها أن نَخيبَ ونُحْرَما[6]

(شعر ضمضم فى يوم حنين) :

قال ابن إسحاق : وقال ضَمْضَم بن الحارث بن جُشَمَ بن عَبْد بن حَبيب ابن مالك بن عوْف بن يقَظَة بن عُصَيَّة السُّلَمىّ فى يوم حُنَين ، وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكَم بن خالد بن الشَّرِيد ، فقتَل به محْجَنا وابن عمّ له ، وهما من ثقيف :

نحن جلَبْنا الخيلَ من غير مَجْلَب ... إلى جُرَش[7] من أهل زيَّان[8] والفَم[9]

---

(١) يلملم ، أو ألملم : ميقات الحاج القادم من جهة اليمن ، وهو جبل على مرحلتين من مكة .

(٢) الأبلق : الذى فيه بياض مع سواد . والورد : المشرب حمرة . واجتماع هذه الألوان فى الحصان مايزيده ظهورا ، وهو مع ذلك يغيب فى غمرة هذا الموضع وزحمته . ويسوم : يعلم نفسه أوحصانه بعلامة يعرف بها .

(٣) سمونا لهم : نهضنا لقتالهم . والقطا : طائر معروف ، وزفه الضحى : أسرع به الضحى وساقه سوقا شديدا . وأحجم عن أخيه : شغل عنه .

(٤) دوافعه : مجارى السيول فيه .

(٥) طمرة : فرس سريعة وثابة . ومحطم : مكسر .

(٦) السرب (بفتح السين) : المال الراعى .

(٧) جرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

(٨) كذا فى ا . وهو اسم جبل . وفى م ، ر : «رهان» بالراء المهملة .

(٩) الفم : موضع .

تُقَتِّلَ أشْـبالَ الأُسُود ونبتغى طَوَاغِىَ كانَتْ قبلَنا لم تُهَــدَّم[١]
فان تَفْخَروا بابن الشَّريد فإنَّنى تركْتُ بوجّ مأتما بعــدَ مأتم[٢]
أبأتُهُما بابن الشَّريد وغــره جِوارُكُمُ وكان غـيرَ مُذَمَّم[٣]
تُصيبُ رجالاً من ثقيف رِماحُنا وأسْيافُنا يَكْلِمْنَهُمْ كلَّ مَكْلَم[٤]

وقال ضَمْضَم بن الحارث أيضًا :

أبْلِغْ لديكَ ذَوِى الحَلائل آيةً لا تَأْمَـنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِمار[٥]
بعْــد التى قالَتْ لجارَة بيتها قد كنتُ لو لَبِثَ الغَزِىُّ بِدار[٦]
لمَّا رأتْ رجــلا تسَفَّعَ لونَه وَغْرُ المَصِـيفةِ والعِظام عوارِى[٧]
مُشُطَ العِظام تراه آخِرَ لَيْـلِه مُتَسَرْبِلا فى دِرْعِــهِ لِغوَار[٨]
إذ لا أزالُ على رِحالةِ نَهْــدَةٍ جرْداءَ تُلْحِقُ بالنِّجاد إزارِى[٩]
يوْما على أثَرِ النِّهاب وتارَةً كُتُبِتْ مُجاهِدَةً مع الأنْصار[١٠]
وزُهاءَ كُلِّ خَمِيـلَةٍ أزْهقْتُها مَهَلاً تَمَهَّـلُه وكلَّ خَبار[١١]
كيما أُغَــيِّر ما بها مِنْ حاجَــة وتَودُّ أنى لا أؤوب فَجَارِ[١٢]

---

(١) طواغى : جمع طاغية ، وأراد بهما هاهنا البيوت التى كانوا يتعبدون فيها فى الجاهلية ويعظمونها سوى البيت الحرام

(٢) وج : موضع بالطائف . والمأتم : جماعة النساء يجتمعن فى الخير والشر ، واراد به هنا اجتماعهن فى الحزن .

(٣) أبأتهما بابن الشريد : جعلتهما بواء ، أو سواء به ، أى قتلتهما به .

(٤) يكلمنهم : يجرحنهم .

(٥) الحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة . وآية : علامة .

(٦) الغزى : جماعة القوم الذين يغزون .

(٧) تسفع لونه : أى غيره إلى السفعة ، وهى سواد بحمرة . والوغر : شدة الحر . والمصيفة : الأرض اشتد حرها .

(٨) مشط العظام : قليل اللحم الذى على العظام . ولغوار : أى للإغارة .

(٩) الرحالة : هنا : السرج . ونهدة : غليظة ، يعنى فرسا . وجرداء : قصيرة الشعر . والنجاد : حمائل السيف .

(١٠) النهاب : جمع نهب ، وهو ما يغنم وينهب .

(١١) خميلة : رملة طيبة ينبت فيها شجر . يريد أرضا مزروعة لينة . والخبار : أرض لينة التراب .

(١٢) لاأؤوب : لا أرجع . وفجار : بمعنى الفاجرة ، وهو معدول عنه ، وأكثر ما يستعمل فى النداء

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة، قال: أُسِر زُهير بن العَجْوَة الهُذَلي يوم حنين، فكُتِف، فرآه جميل[1] بن مَعْمَر الجُمَحي، فقال له: أأنت الماشي لنا بالمغايظ؟ فضرب عنقه؛ فقال أبو خراش[2] الهذلي يَرْثيه، وكان ابن عمه:

عَجَّفَ[3] أضيافي جميلُ بن مَعْمَرٍ ... بذي فَجَرٍ تأوِي إليه الأرامِلُ[4]

طَويل نجاد[5] السَّيف[6] ليس بجَيْدرٍ[7] ... إذا اهتزّ واسترْختْ عليه الحَمائلُ[8]

تَكادُ يَداه تُسْلِمان إزارَه[9] ... من الجُودِ لمَّا أذْلَقَتْه[10] الشَّمائلُ[11]

إلى بيْته يأوِي الضَّريكُ[12] إذا شتَا ... ومُسْتَنْبِحٌ[13] بالى الدَّرِيسَيْن عائلُ[14]

---

(١) هو غير جميل بن معمر العذري، صاحب بثينة، الشاعر المعروف.

(٢) اسمه خويلد بن مرة، وكان شاعرا إسلاميا. مات في خلافة عمر من حية نهشته.

(٣) كذا في الأصول. وعجف (بالتضعيف): أضعف وهزل. وفي ديوان أشعار الهذليين (المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٦ أدب ش): «فجع».

(٤) الفجر (بتحريك الجيم): الجود والكرم. والأرامل: المحتاجون؛ الواحد: أرمل وأرملة.

(٥) النجاد: حمائل السيف.

(٦) في ديوان الهذليين: «البز» وهو السلاح. ويريد به هنا السيف خاصة.

(٧) كذا في الديوان. والجيدر: القصير. وفي م، ر: «بجيدر» بالحاء المهملة. وفي ا: «بخيذر»، (بخاء وذال معجمتين)، وهما تصحيف.

(٨) الحمائل: جمع حمالة، وهي علاقة السيف؛ ويكنى بطولها عن طول القامة.

(٩) في الديوان: «رداءه».

(١٠) كذا في الأصول. والشمائل: رياح الشمال الباردة، ومعها القحط. وأذلقته: جهدته وأمحلته. يصفه بالجود مع الجدب وذلك حين تهيج الشمال شتاء. وفي الديوان: «لما استقبلته الشمائل». وهي بمعناها. وموضع هذا البيت في الديوان بعد بيته: «تروح مقرورا».

(١١) قال السهيلي: «يريد أنه من سخائه يريد أن يتجرد من إزاره لسائله، فيسلمه إليه. وألفيته بخط أبي الوليد الوقشي: «الجود (هاهنا)، وعلى هذه الرواية، وبهذه الرتبة: السخاء، وكذلك فسر الأصمعي والطوسي. وأما على ماوقع في شعر الهذلي، فسره في الغريب المصنف، فهو الجوع». ولم نجد هذه الرواية في ديوان الهذليين الذي أشرنا إليه.

(١٢) كذا في الأصول. والضريك: الفقير. وفي الديوان: «الغريب».

(١٣) كذا في الأصول. والمستنبح: الطارق ليلا، يقع في حيرة فينبح، فتنبحه الكلاب، فيقصد موضعها. وفي الديوان: «ومهتلك» وهو بمعنى المستنبح.

(١٤) الدريسان: الثوبان الخلقان؛ يريد رداءه وإزاره. والعائل: الفقير.

تروح مَقْرُورًا[١] وهبَّتْ عشيَّةً[٢] لهَا حَـــدَبٌ تحثّهُ فيُوَائل[٣]

فما بالُ أهل الدَّار لم يتَصدَّعوا[٤] وقد بانَ منها اللَّوْذعيّ الحُلاحِل[٥]

فأُقسم لو لاقيتَـــه غيرَ مُوثَق لآبك بالنَّعْف الضِّـــباعُ الجيائل[٦]

وإنَّك لو واجَهْتَـــه إذ[٧] لَقيته فنازلتــه أو كنتَ ممَّن يُنازل

لظلّ جميلٌ[٨] أفحشَ القوْم صرْعَة[٩] ولكنّ قِرْنَ الظَّهْر للمرْء شاغل[١٠]

فليْسَ كعَهْدِ الدار يا أُمَّ ثابتٍ[١١] ولكنْ أحاطتْ بالرِّقاب السَّلاسِل[١٢]

وعاد الفتَى كالشَّيْخ ليس بفاعل[١٣] سوَى الحقّ شيئا واستراحَ العواذِل[١٤]

---

(١) المقرور : الذى أصابه القر ، وهو البرد .

(٢) فى الديوان : « وراحت عشية » .

(٣) الحدب : تراكب الريح فى هبوبها كما يتراكب الماء فى جريه ، وذلك إذا اشتدت . قال السهيلى : « والخدب (بالخاء المعجمة) أشبه بمعنى البيت ، لأنهم يقولون ريح خدباء ، كأن بها خدبا ، وهو الهوج » . وتحثه : تسوقه سوقا سريعا . ويروى : « تجثه » بالجيم ، أى تقتلعه من الأرض . ويوائل : يطلب موئلا ، وهو الملجأ .

(٤) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا . وفى الديوان : « لم يتحملوا » . والتحمل : الرحيل .

(٥) اللوذعى : الحديد البين اللسان . والحلاحل : السيد .

(٦) كذا فى الأصول . وآبك : رجع إليك وزارك . والنعف : أسفل الجبل . والضباع جمع ضبع ، وهى من السباع . والجيائل : من أسماء الضباع ؛ الواحد : جيئل . ورواية هذا البيت فى الديوان :

فوالله لو لاقيته غير موثق لآبك بالجزع الضباع النواهل

والجزع : منعطف الوادى . والنواهل : المشتهيات للأكل كما تشتهى الإبل الماء .

(٧) كذا فى الديوان ، وفى الأصول : « أو » .

(٨) فى الديوان : « أسوة » .

(٩) كذا فى الأصول . والصرعة (بكسر الصاد المهملة) : هيئة الصرع . وفى الديوان : « تلة » ، وهى أيضا اسم للهيئة ، من تله يتله : إذا صرعه .

(١٠) قرن الظهر : هو الذى يأتيه من وراء ظهره من حيث لايراه . قال السهيلى : « قرن (بالقاف) جمعه أقران ، ويروى : (ولكن أقران الظهور مقاتل) . ومقاتل : جمع مقتل (بكسر الميم ، مثل محرب من الحرب) ، أى من كان قرن ظهر فإنه قاتل وغالب » .

(١١) فى الديوان : « يا أم مالك » .

(١٢) يريد أن الإسلام أحاط برقابنا ، فلا نستطيع أن نعمل شيئا .

(١٣) فى الديوان : « كالكهل ليس بقائل » . يقول : رجع الفتى عما كان عليه من فتوته وصار كأنه كهل .

(١٤) العواذل : اللوائم من النساء . واستراح العواذل ، لأنهن لايجدن ما يعذلن فيه سوى العدل ، أى سوى الحق .

وأصبحَ إخوانُ الصفاء كأنّما أهالَ عليهم جانبَ التُّرْبِ هائلُ[1]
فلا تحسبي أنّي نسيتُ لياليا بمكّةَ إذ لم نَعْدُ عمّا نُحاولُ[2]
إذِ النّاسُ ناسٌ والبلادُ بغِرّةٍ[3] وإذْ نحن لا تُثْنَى علينا المداخلُ[4]

(شعر ابن عوف فى الاعتذار من فراره) :

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

منَعَ الرُّقادَ فما أُغمّضُ ساعةً نعمٌ بأجْزاعِ الطّريقِ مُخَضْرَمُ[5]
سائلْ هوازنَ هل أضُرُّ عدوَّها وأُعينُ غارمَها إذا ما يَغْرَمُ
وكتيبةٍ لبّستُها بكتيبةٍ فِئتين منها حاسرٌ ومُلأَّمُ[6]
ومُقدَّمٍ تَعْيا النّفوسُ لضيقه قدّمتُه وشُهودُ قومى أعلمُ[7]
فوردْتُه وتركتُ إخوانا له يَرِدُون غمْرتَه وغمْرتُه الدّمُ[8]
فإذا انجلَتْ غمراتُه أورَثْنَنى مَجْدَ الحياة ومجدَ غُنْمٍ يُقْسَمُ
كلّفتمونى ذنبَ آلِ مُحمّدٍ واللهُ أعلمُ مَنْ أعقُّ وأظْلَمُ
وخذلتمونى إذ أُقاتلُ واحدًا وخذلتمونى إذ تُقاتلُ خثْعَمُ
وإذا بنَيْتُ المجدَ يهدِم بعضُكم لا يستوِى بانٍ وآخرُ يَهْدِمُ
وأقبَّ مِخْماصِ الشّتاءِ مُسارعٍ فى المَجْدِ يَنْمى للعُلى مُتكرِّمِ[9]

---

(١) أهال : صب .

(٢) لم نعد : لم يمنعنا شىء . ورواية هذا البيت فى الديوان :

ولم أنس أياما لنا ولياليا بحلية إذ نلقى بها من نحاول

(٣) كذا فى ا . والغرة : الغفلة . وفى سائر الأصول : « بعزة » .

(٤) لاتثنى : لاتعطف (بالبناء للمجهول فيهما) . ويروى : « لاتبنى » . ولم يرد هذا البيت فى ديوان أشعار الهذليين .

(٥) النعم : الإبل . أو كل ماشية أكثرها الإبل . وأجزاع الطريق : جمع جزع ، وهو ما انعطف منه . ومخضرم : صفة النعم ، وهو الذى قطع من أذنه ، ليكون ذلك علامة له .

(٦) الكتيبة : الجيش المجتمع . والحاسر : الذى لادرع عليه . والملأم : الذى لبس اللامة ، وهى الدرع .

(٧) مقدم : يعنى موضعا لايتقدم فيه إلا الشجعان .

(٨) الغمرة : الشدة ، والماء الكثير يغمر .

(٩) الأقب : الضامر الخصر . المخماص : الضامر البطن .

أكرهتُ فيه ألّةً يزنيّة سحماءَ يقدُمُها سنان سَلْجَم[١]
وتركت حَنّتَه تردُّ وليَّه وتقولُ ليس على فُلانةَ مقدم[٢]
ونصبتُ نفسى للرّماح مُدَجَّجا مثل الدَّرِيّة تُستَحَلُ وتُشرَم[٣]

(شعر لهوازنى يذكر إسلام قومه) :

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوازن أيضا ، يذكر مسيرَهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذْكُرْ مسيرَهُم للنّاس إذ جَمَعُوا ومالكٌ فوقَه الراياتُ تَخْتَفِقُ
ومالكُ مالكٌ ما فوقَه أحدٌ يومَ حُنَيْنٍ عليه التّاجُ يأتلِقُ[٤]
حتى لقُوا الباس حينَ الباسُ يقدُمُهم عليهمُ البَيْضُ والأبْدان والدَّرَقُ[٥]
فضاربُوا الناسَ حتى لم يروْا أحدًا حوْلَ النّبيّ وحتى جَنّهُ الغَسَقُ[٦]
ثُمّتَ نُزِّل جبريلٌ بنَصْرِهِم مِنَ السَّماءِ فَمَهْزوم ومُعْتَنَق[٧]
منّا ولو غيرُ جبريلٍ يُقاتِلُنا لمنَّعَتْنا إذَنْ أسْيافُنا العُتُقُ[٨]
وفاتَنا[٩] عُمَرُ الفاروق إذ هُزِمُوا بطعنةٍ بلّ منها سَرْجَه العَلَقُ[١٠]

---

(١) الألة : الحربة . ويزنية ، المنسوبة إلى ذى يزن ، وهو ملك من ملوك حمير . وسحماء : سوداء العصا . وسنان سلجم : أى طويل .

(٢) حنته : يعنى زوجته ، سميت بذلك لأنها تحن إليه ويحن إليها .

(٣) المدجج : الكامل السلاح . والدرية : الحلقة التى تنصب فيتعلم عليها الطعن ، أصله : دريئة سهلت الهمزة ، ثم أدغمت الياء فى الياء . وتستحل : من الحل ، ويروى : تستخل (بالخاء المعجمة) ، وهو من الخلال ، وهو أظهر فى المعنى . وتشرم : تقطع (راجع السهيلى) .

(٤) يأتلق : يلمع .

(٥) البأس : الشدة والشجاعة . والبيض : جمع بيضة ، وهى المغفر . والأبدان (هنا) : جمع بدن ، وهى الدرع . والدرق : جمع درقة ، وهى الترس من جلد بلا خشب ولا عقب .

(٦) جنه : ستره . والغسق : الظلمة ، يعنى ظلمة الغبار .

(٧) معتنق : أسير .

(٨) العتق (بوزن عنق) : جمع عتيق ، وهو النفيس .

(٩) كذا فى م ، ر . وفى ا : « وفاتنى » .

(١٠) العلق (بالتحريك) : الدم .

(شعر جشمية فى رثاء أخويها) :

وقالت امرأة من بنى جُشَم ترثى أخوَين لها أُصيبا يوم حنين :

أعَيْنَىَّ جُودَا على مالكٍ ... مَعًا والعَلاء ولا تَجْمُدَا [1]

هُما القاتِلان أبا عامرٍ ... وقد كان ذَا هَبَّةٍ أرْبدا

هما تركاهُ لدى مُجْسَدٍ ... ينُوءُ نَزيفًا وما وُسِّدا [2]

(شعر أبى ثواب فى هجاء قريش) :

وقال أبو ثواب زيدُ بن صُحار ، أحد بنى سعد بن بكر :

ألا هل أتاك أنْ غَلَبَتْ قرَيْشٌ ... هَوازنَ والخُطوبُ لها شُرُوطُ

وكُنَّا يا قُرَيْش إذا غَضِبْنا ... يجىء مِن الغِضاب دمٌ عَبيطُ [3]

وكُنا يا قُرَيْش إذا غَضِبْنا ... كأنَّ أُنُوفَنا فيها سَعُوطُ [4]

فأصْبَحْنا تُسَوِّقُنا قُرَيْشٌ ... سِياقَ العِيرِ يحْدُوها النَّبيطُ [5]

فلا أنا إن سُئلتُ الخَسْفَ آبٍ ... ولا أنا أنْ أُلينَ لَهُمْ نَشيطُ [6]

سَيُنْقلُ لحمُها فى كلِّ فَجٍّ ... وتكتَب فى مسامعها القُطُوطُ [7]

ويُروى « الخطوط » ، وهذا البيت فى رواية أبى سعد [8] .

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب. وأنشدنى خلَف الأحمر

---

(١) لاتجمدا : لاتبخلا بالدموع .

(٢) المجسد : الذى صبغ بالجساد ، وهو الزعفران ، والمراد أن دمه صبغ ثوبه بمثل لون الزعفران . وينوء : ينهض متثاقلا لإعيائه ، والنزيف : الذى سال دمه حتى ضعف . وقد سبقت هذه الأبيات بشىء من الخلاف فى صفحة (٤٥٧) من هذا الجزء . منسوبة إلى رجل من جشم لا امرأة .

(٣) الدم العبيط : الطرى .

(٤) السعوط (بفتح السين) : الدواء يوضع فى الأنف فيهيجه . يريد : تحمى أنوفنا .

(٥) النبيط : جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق ، ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم . (عن المصباح)

(٦) الخسف : الذل . وآب : اسم فاعل ، من أبى الخسف : إذا امتنع من قبوله .

(٧) القطوط : جمع قط ، وهو الصك ، أو الكتاب الذى تحصى فيه الأعمال . وهذا البيت ساقط من (ا) .

(٨) هذه العبارة ساقطة من ا .

قوله : « يجىء من الغضاب دَم عبيطُ » ، وآخرَها بيْتا عن غير ابن إسحاق ؛

(شعر ابن وهب فى الرد على ابن أبى ثواب) :

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ، ثم من بنى أسيِّد ، فقال :

بشَرْطِ اللهِ نضْرِب مَن لَقينا كأفضلِ ما رأيتَ مِن الشُروط
وكنَّا يا هوازنُ حينَ نَلْقَى نبُلَّ الهامَ من علَق عبِيط[1]
بجَمْعكُمُ وجمْع بنى قَسِيَ نحُكُّ البَرْكَ كالوَرَق الخَبيط[2]
أصَبْنا مِنْ سراتِكُم ومِلْنا بقَتْلٍ فى المُباين والخَليط[3]
به المُلْتاثُ مفْترِشٌ يدَيْه يمُجُّ الموْتَ كالبَكْر النَّحيط[4]
فانْ تَكُ قَيْسُ عَيْلانٍ غضابا فلا يَنْفَكُّ يُرْغِمُهُمْ سَعُوطِى

(شعر خديج فى يوم حنين) :

وقال خَديج بن العوجاء النَّصْرى :

لمَّا دَنَوْنا مِن حُنَيْنَ ومائه رأيْنا سوَادًا منكرَ اللَّون أخْصَفا[5]
بمَلْمُومَةٍ شَهْباءَ لو قَذَفُوا بها شَماريخَ[6] من عزْوَى[7] إذن عادَ صَفْصَفا[8]

---

(١) الهام : الرءوس ، والعلق : الدم . والعبيط : الطرى .

(٢) بنوقسى : يعنى ثقيفا أهل الطائف . والبرك : كلكل البعير وصدره الذى يدوك به الشىء تحته . يقال : حكه وكله ، وداكه ببركه ، وهذا على تشبيه شدة الحرب بحك البعير صدره بما تحته . والورق الخبيط : الذى يضرب بالعصا ليسقط ، فتأكله الماشية .

(٣) سراتكم : أشرافكم ، وأصل السراة أوسط القوم نسبا . والمباين : المفارق ، وهو المنهزم . والخليط الذى لايزال فى المعركة يخالط الأقران .

(٤) الملتاث (هنا) : اسم رجل . والبكر : الفتى من الإبل . والنحيط : الذى يردد النفس فى صدره حتى يسمع له دوى .

(٥) سوادا : يعنى أشخاصا على البعد . والأخصف : الذى فيه ألوان .

(٦) ملمومة : أى كتيبة مجتمعة ، وشهباء : عظيمة كثيرة السلاح . والشماريخ : أعالى الجبال ؛ واحدها : شمراخ .

(٧) كذا فى الأصول . قال أبو ذر : « وعروى (هنا) اسم رجل ، يروى بالدال والراء » .

(٨) الصفصف : المستوى من الأرض .

ولو أنّ قومى طاوعتْنى سَراتُهم إذنْ ما لَقينا العارض المُتكشّفا[١]

إذنْ ما لقينا جُنْدَ آل محمّد ثمانينَ ألفا واستمدّوا بخندفا[٢]

ذكر غزوة الطائف بعد حنين

فى سنة ثمان

(فلول ثقيف) :

ولما قَدِم فَلّ[٣] ثقيفٍ الطائفَ أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

(المتخلفون عن حنين والطائف) :

ولم يشهد حُنَيْنا ولا حصارَ الطّائف عُروةُ بن مسعود ، ولا غَيْلان بن سَلَمة ، كانا بجُرَش[٤] يتعلّمان صنعة الدّبّابات[٥] والمَجانيق[٦] والضُّبُور[٧] .

(مسير الرسول إلى الطائف وشعر كعب) :

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال كَعْب بن مالك ، حين أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السيرَ إلى الطائف

---

(١) العارض (هنا) : السحاب . والمتكشف : الظاهر .

(٢) خندف : قبيلة .

(٣) الفل : الجماعة المنهزمون من الجيش .

(٤) جرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة .

(٥) قال السهيلى : « الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها » . وقال أبو ذر : « الدبابات : آلات تصنع من خشب ، وتغشى بجلود ، ويدخل فيها الرجال ويتصلون بحائط الحصن » .

(٦) المجانيق : جمع منجنيق (بفتح الميم وكسرها) ، وهى من آلات الحصار يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها .

(٧) الضبور : مثل رءوس الأسفاط ، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف . وفى كتاب العين الضبور جلود يغشى بها خشبا ، تبقى بها فى الحرب (عن السهيلى) وفى اللسان : الضبر : جاء يحشى خشبا فيها رجال تقرب إلى الحصون لقتال أهلها . والجمع ضبور ، قال : وهى الدبابات التى تقرب للحصون ، لتنقب من تحتها .

قَضَيْنا مِنْ تِهامَةَ كلَّ رَيْبٍ وخَيْبَرَ ثم أجمَمْنا السُّيوفا[١]

نخَبِّرُها ولو نَطَقَتْ لقالَتْ قواطِعُهُنَّ : دَوْسا أوْ ثَقِيفا[٢]

فلَسْتُ لحاضِنٍ إنْ لم ترَوْها بساحةِ دارِكم منَّا أُلوفا[٣]

ونَنْتَزِعُ العُرُوشَ ببطنِ وَجٍّ وتُصْبِحُ دُورُكم منكم خُلُوفا[٤]

ويأتيكُمْ لَنا سَرَعانُ خَيْلٍ يُغادِرُ خَلْفَه جمعا كَثيفا[٥]

إذا نزَلُوا بساحَتِكُمْ سمِعتُمْ لها ممَّا أناخَ بها رَجيفا[٦]

بأيْديهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفاتٌ يُزِرْنَ المُصْطَلِينَ بها الحُتوفا[٧]

كأمْثالِ العَقائِقِ أخلَصَتْها قُيُونُ الهِنْدِ لم تُضْرَبْ كَتيفا[٨]

تخالُ جَدِيَّةَ الأبْطالِ فيها غَداةَ الزَّحْفِ جادِيًّا مَدُوفا[٩]

أجِدَّهُمُ أليسَ لهُمْ نَصيحٌ منَ الأقْوامِ كانَ بنا عَرِيفا[١٠]

يُخَبِّرُهُم بأنَّا قد جَمَعْنا عِتاقَ الخَيْلِ والنُّجُبَ الطُّرُوفا[١١]

---

(١) تهامة : ما انخفض من أرض الحجاز . والريب : الشك . وأجممنا : أى أرحنا .

(٢) نخبرها : نعطيها الخيرة ، ولو نطقت لاختارت أن نحارب دوسا أو ثقيفا .

(٣) الحاضن : المرأة التي تحضن ولدها ؛ كذا قال أبو ذر . ولعله : الحاصن ، وهى المرأة العفيفة ، كأنه يقول : « لست لرشدة إن لم تروها . . . الخ » وهو تهديد لهم . وساحة الدار : وسطها ، أوفناؤها.

(٤) العروش (هنا) : سقوف البيوت . ووج : موضع بالطائف أو هو من أسمائها. وخلوف : يريد : دورا تغيب عنها أهلها .

(٥) السرعان : المتقدمون . والكثيف : الملتف . ويروى : « كشيفا » بالشين بدل الثاء أى ظاهرا .

(٦) « رجيفا » يروى بالراء ، يعنى به الصوت الشديد مع اضطراب ، مأخوذ من الرجفة . ويروى : « وجيفا » بالواو بدل الراء ، فمعناه سريع يسمع صوت سرعته .

(٧) القواضب : السيوف القواطع ، جمع قاضب . والمرهفات : القاطعة (أيضا) . والمصطلون : المباشرون لها من أعدائهم . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت .

(٨) العقائق : جمع عقيقة ، هى شعاع البرق (هنا) . وكتيف ، جمع كتيفة وهى الصفائح الحديد التى تضرب للأبواب وغيرها . قال السهيلى : « وهى صفيحة صغيرة ، وأصل الكتيف : الضيق من كل شىء » .

(٩) الجدية : الطريقة من الدم . والزحف : دنو المتحاربين بعضهم من بعض ، والجادى : الزعفران . ومدوف : (اسم مفعول من دافه يدوفه) ومعناه مخلوط بغيره .

(١٠) أجدهم ، أى أجد منهم : ؛ وهو منصوب على المصدر . وعريفا (هنا) : عارفا .

(١١) عتاق : جمع عتيق ، والنجيب : جمع النجيب ، والطروف : جمع طرف (بكسر الطاء) ؛ وكلها بمعنى الكريمة الأصل من الخيل .

وأنَّا قدْ أتيْناهمْ بزَحْفٍ ... يُحيط بسُورِ حِصْنِهِم صُفوفا[1]
رئيسهُم النبىُّ وكانَ صُلْباً ... نَقِىَّ القلْب مُصْطَبِرًا عزُوفا[2]
رشيدَ الأمْرِ ذو حُكْمٍ وعِلْمٍ ... وحِلْمٍ لم يكن نَزِقا خَفِيفا[3]
نُطيع نبيَّنا ونطيعُ رَبَّا ... هو الرَّحمن كانَ بنا رَءُوفا
فان تُلْقوا إليْنا السَّلْمَ نقبل ... ونجْعلْكُمْ لَنا عَضُدًا ورِيفا[4]
وإن تأبَوْا نُجاهدْكم ونصبرْ ... ولا يكُ أمرُنا رَعِشا ضعيفا[5]
نجالد ما بقينا أو تُنيبوا ... إلى الإسلامِ إذْعانا مُضِيفا[6]
نُجاهدُ لا نُبالى مَنْ لَقِينا ... أأهلكْنا التِّلادَ أم الطَّرِيفا[7]
وكم مِنْ مَعْشَرٍ ألَبُوا علَيْنا ... صميمَ الجِذْم منهم والحَلِيفا[8]
أتَوْنا لا يرَوْنَ لهم كفاءً ... فجدَّعْنا المَسامِع والأُنوفا[9]
بكُلِّ مهنَّدٍ لَيْنٍ صَقيل ... يَسوقُهُمْ بها سَوْقا عَنِيفا[10]
لأمْرِ اللهِ والإسلامِ حتى ... يقُومَ الدِّينَ معتَدلا حَنِيفا
وتُنْسى اللاتُ والعزَّى ووَدَّ ... ونَسْلُبُها القَلائدَ والشُّنُوفا[11]
فأمْسَوْا قد أقَرُّوا واطْمأنُّوا ... ومَن لا يمتنعْ يقبل[12] خُسُوفا[13]

---

(١) زحف: أى جيش.

(٢) كذا فى الأصول. والعزوف: المنصرف عن الشىء زهدا فيه مع إعجابه به. وفى شرح السيرة لأبى ذر: «عروفا». والعروف: الصابر.

(٣) النزق: الكثير الطيش والخفة.

(٤) الريف: المواضع المخصبة التى على المياه.: يريد نتخذكم أعوانا على الحرب ونستمد من ريفكم العيش.

(٥) رعشا: متقلبا غير ثابت.

(٦) نجالد: نحارب بالسيوف. والإذعان: الخضوع والانقياد. ومضيفا: ملجئا.

(٧) التلاد: المال القديم، والطريف: المال المستحدث.

(٨) ألبوا علينا: جمعوا علينا. والصميم: الخالص. والجذم: الأصل.

(٩) جدعنا: قطعنا، وأكثر ما يستعمل فى قطع الأنوف.

(١٠) لين: مخفف من لين (بتشديد الياء) كما يقال: هين وهين، وميت وميت. والعنيف: الذى ليس فيه رفق.

(١١) الشنوف: جمع شنف، وهو القرط الذى يكون فى أعلى الأذن.

(١٢) كذا فى م، ر. وفى ا: «يقتل».

(١٣) الخسوف: الذل.

(شعر كنانة فى الرد على كعب)

فأجابه كِنانة بن عبد يالِيلَ بن عَمْرو بن عُمير ، فقال :

مَنْ كانَ يَبْغِينا يُريدُ قِتالَنا فإنَّا بدارٍ مَعْـلَمٍ لا نَرِيمُها[1]
وجَدْنا بها الآباءَ مِن قبلِ ما تَرَى وكانت لَنا أطْوَاؤُها وكُرُومُها[2]
وقد جَرَّبَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ فأخْـبَرَها ذو رأيها وحَلِيمُها[3]
وقد علِمَتْ إنْ قالتِ الحَقَّ أنَّنا إذا ما أبَتْ صُعْرُ الخُدود نُقيمُها[4]
نُقَوِّمُها حتى يَلِـينَ شَرِيسُها ويُعْرَفُ للحقِّ المُبِـين ظَلُومها[5]
علَيْنا دِلاصٌ من تُراثِ مُحَرِّق كلَوْن السماء زَيَّنَتْها نُجومُها[6]
نُرَفِّعُها عنَّا ببيضٍ صَوارِمٍ إذا جُرِّدتْ فى غَمْرة لا نَشِيمُها[7]

(شعر شداد فى المسير إلى الطائف) :

قال ابن إسحاق : وقال شدادُ بن عارض الجُشَمِىّ فى مَسِير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لاتَنْصُرُوا اللاتَ إنَّ الله مُهْلِكُها وكيف يُنْصَرُ مَنْ هوَ ليس ينْتَصِرَ

---

(١) معلم : مشهورة . ولا نريمها : لانبرح منها ولا نزول . وفى البيت خرم .

(٢) الأطواء : جمع طوى ، وهى البئر ، جمعت على غير قياس : ويروى « أطوادها » . (بالدال) ، يعنى بها الجبال .

(٣) وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر : قال هذا جوابا للأنصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو ابن عامر . ولم يرد أن الأنصار جربتهم قبل ذلك ، وإنما أراد إخوتهم وهم خزاعة ، لأنهم بنو ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة .

وقال البكرى : إنما أراد بنى عمرو بن عامر بن صعصعة ، وكانوا مجاورين لثقيف ، وكانت ثقيف قد أنزلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها ويكون لهم النصف فى الزرع والثمر . ثم إن ثقيفا منعتهم ذلك ، وتحصنوا بالحائط الذى بنوه حول حاضرهم ، فحاربتهم بنو عمرو بن عامر ، فلم يظفروا منهم بشىء ، وجلوا عن تلك البلاد (راجع السهيلى) .

(٤) صعر الخدود : هى المائلة إلى جهة تكبرا وعجبا .

(٥) شريسها : شديدها .

(٦) دلاص : دروع لينة . ومحرق (هنا) هو عمرو بن عامر ، وهو أول من حرق العرب بالنار . (عن السهيلى) .

(٧) لانشيمها : أى لانغمدها . يقال : شمت السيف ، إذا أغمدته ، وشمته إذا سللته ، فهو من الأضداد .

إن التى حُرِّقت بالسُّدِّ فاشتعلَتْ ولم يُقاتَلْ لَدَى أحْجارها هَدَرُ[1]
إنّ الرسول متى ينزلْ بلادَكُمُ يَظْعَنْ وليس بها من أهلها بَشَرُ[2]

(الطريق إلى الطائف) :

قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْلَةَ اليَمانِيةَ ، ثم على قَرْن ، ثم على المُلَيْح ، ثم على بُحْرَةِ الرُّغاءِ مِنْ لِيَّة[3] ، فابتنى بها مسجداً فصلَّى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ ببُحْرَةِ الرُّغاء ، حين نزلها ، بدم ، وهو أوّل دم أقيد به فى الإسلام ، رَجَلٌ من بنى لَيْث قَتَلَ رجلا من هُذَيل ، فقتله به ؛ وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بلِيَّةَ ، بحصن مالك بن عوف فهُدِم ، ثم سلك فى طريق يقال لها الضَّيْقَة ، فلما توجَّه فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسمُ هذه الطريق ؟ فقيل له الضَّيْقة ، فقال : بل هى اليُسْرَى ، ثم خرج منها على نَخِب ، حتى نزل تحت سِدْرَةٍ يقال لها الصادرة ، قريبا من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرُج ، وإما أن نُخرِبَ عليك حائطك ؛ فأبى أنْ يخرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف ، فضرب به عسكره ، فقُتِل به ناسٌ من أصحابه بالنَّبْل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النَّبْل تنالُهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أُصيب أولئك النَّفر من أصحابه بالنَّبْل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أُمُّ سَلَمة بنت أبى أُمَيَّة ،

---

(١) هدر : أى باطل لا يؤخذ بثأره .

(٢) يظعن : يرحل .

(٣) قرن ، ومليح ، وبحرة الرغاء ، ولية : مواضع بالطائف .

فضرب لهما قُبَّتين ، ثم صلى بين القبَّتين . ثم أقامَ ، فلما أسلمتْ ثقيف بَنَى على مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرُو بن أُميَّة بن وهب بن مُعَتِّب بن مالك مسجدا ، وكانت فى ذلك المسجد سارية ، فيما يَزْعمون ، لاتطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سُمِع لها [١] نَقِيض [٢] ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديدًا ، وتراموْا بالنَّبْل .

(الرسول أول من رمى بالمنجنيق) :

قال ابن هشام : ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمَنْجنيق : حدثنى من أثق به ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل من رَمى فى الإسلام بالمَنْجنيق ، رَمى أهلَ الطائف .

(يوم الشدخة) :

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يومُ الشَّدْخَة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دَبَّابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليَخْرِقوه ، فأرْسَلَتْ عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحْماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنَّبْل ، فقتَلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

(المفاوضة مع ثقيف) :

وتقدّم أبوسفيانَ بن حرْب والمُغيرة بن شُعْبة إلى الطائف ، فناد يا ثقيفا : أن أمِّنونا حتى نكلِّمكم فأمنوهما ، فدَعَوْا نساءً من نساء من قُرَيش وبنى كِنانة ليخرجْن إليهما ، وهما يخافان عليهنّ السِّباءَ ، فأبين ، منهنّ آمنة بنت أبى سُفيان ، كانت عند عُرْوَةَ بن مسعود ، له منها داوُد بن عُروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أمّ داود ميمونة بنت أبى سُفيان ، وكانت عند أبى مُرَّة بن عُرْوة بن مسعود ، فولدت له داود بن أبى مُرَّة .

قال ابن إسحاق : والفِراسِيَّةُ بنت سُوَيْد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن

---

(١) كذا فى م ، ر . وفى ا : « عليها » .
(٢) النقيض : الصوت .

ابن قارِب ، والفُقَيْمِيَّةُ أُمَيْمةُ بنت الناسىْ أميَّةَ بن قَلَع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويا مغيرة ، ألا أدلُّكما على خير مما جئتما له ، إن مالَ بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبْعَدُ رِشاءً ، ولا أشدُّ مُؤْنَةً ، ولا أبْعَدُ عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن قطعه لم يُعْمَرَ أبدا ، فكلِّماه فليأخذْ لنفسه ، أو ليدَعْه لله والرَّحِم ، فان بيننا وبينه من القرابة ما لا يُجْهَل ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم.

(رؤيا الرسول وتفسير أبى بكر لها) :

وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصدِّيق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنِّى أُهْدِيَتْ لى قَعْبَة [1] مملوءةٌ زبْدًا ، فنقرها ديك ، فهَرَاق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظنّ أنْ تُدْرِكَ منهم يومك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لاأرى ذلك .

(ارتحال المسلمين وسبب ذلك) :

ثم إنّ خُوَيلة بنت حكيم بن أُميَّة بن حارثة بن الأوقص السُّلَمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت : يا رسول الله ، أعطنى إنْ فتح الله عليك الطائفَ حُلِىَّ باديةَ بنتِ غَيْلانَ بن مظعون بن سلَمة ، أو حُلِىَّ الفارعةِ بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثَقيف .

فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يُؤذن لى فى ثقيف ياخُويلة ؟ فخرجت خُويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطَّاب ، فدخل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال (يا رسول الله) [2] : ما حديث حدَّثَتْنيه خُويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أوَما أُذِن لك فيهم يا رسول الله ؟ قال : لا . قال : أفلا أُؤذّن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذّن عُمَرُ بالرَّحيل .

---

(١) القعبة : القدح .
(٢) زيادة عن ا .

(عيينة وما كان يخفى من نيته) :

فلما استقلّ الناسُ نادى سعيد بن عُبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إنّ الحيَّ مقيم . قال : يقول عُيينة بن حِصْن : أجل ، والله مَجَدَةً كراما ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إني والله ما جئت لأُقاتل ثقيفا معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتَطِئُها ، لعلَّها تلد لى رجلا ، فان ثقيفا قوم مَناكير [1] .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته ممن كان محاصَرًا بالطائف عَبِيدٌ ، فأسْلَمُوا ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(عتقاء ثقيف) :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُكَدَّم ، عن رجال من ثقيف ، قالوا : لمَّا أسلم أهل الطائف تكلّم نفر منهم فى أولئك العَبِيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عُتَقاء الله ؛ وكان ممن تكلّم فيهم الحارث بن كَلَدَة .

قال ابن هشام : وقد سَمّى ابن إسحاقَ من نزل من أولئك العَبِيد .

(إطلاق أبى بن مالك من يد مروان وشعر الضحاك فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمَرْوَانَ بن قَيْس الدَّوْسِيّ ، وكان قد أسلم ، وظاهَرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قَيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قَيْس : خُذ يامروان بأهلك أوّل رجل من قَيْس تلقاه ، فلقى أُبَيّ بن مالك القُشَيْريّ ، فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضَّحاك بن سُفيانَ الكِلابى ، فكلّم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أُبَيّ بن مالك ، فقال الضحّاك بن سُفيان فى شيء كان بينه وبين أُبَيّ بن مالك :

---

(1) مناكير : ذوى دهاء وفطنة .

أتنْسَى بلائى يا أُبَىّ بْنَ مالك غداة الرسولُ مُعرِضٌ عنك أشوَسُ[١]
يقودك مَرْوان بن قَيْس بحبـله ذليـلا كما قِيد الذَّلول المُخَيَّس[٢]
فعادتْ عليكَ من ثقيف عِصَابَةٌ متى يأتهم مُسْتَقْبِسُ الشَرّ يُقْبِسوا[٣]
فكانُوا هُمُ المولى فعادت حُلُومُهُمْ عليك وقد كادتْ بك النَّفس تيأسُ[٤]

قال ابن هشام : « يُقْبِسُوا » عن غير ابن إسحاق .

(شهداء المسلمين يوم الطائف) :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشْهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف :

(من قريش) :

من قُرَيش ، ثم من بنى أُمَيَّة بن عبد شَمْس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أُميَّة ، وعُرْفُطَة بن جنَّاب ، حليفٌ لهم ، من الأسْد بن الغَوْث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُبَاب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تَيْم بن مُرَّة : عبد الله بن أبى بكر الصدّيق ، رُمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أُميَّة بن المغيرة ، من رَمْية رُمِيَها يومئذ .

ومن بنى عدىّ بن كَعْب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جُلَيحة بن عبد الله .

(من الأنصار) :

واستُشْهد من الأنصار : من بنى سَلِمَة : ثابت بن الجَذَع .

---

(١) البلاء (هنا) : النعمة ، والأشوس : الذى يعرض بنظره إلى جهة أخرى .
(٢) الذلول : المرتاض . والمخيس : المذلل .
(٣) مستقبس الشر : طالبه .
(٤) الحلوم : العقول .

ومن بني مازن بن النّجار : الحارث بن سَهْل بن أبي صعصعة .

ومن بني ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقَيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية .

فجميع من استُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثناعشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني ليث .

(شعر بجير في حنين والطائف) :

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القِتال والحِصار ، قال بُجَير بن زُهَير بن أبي سُلْمَى يذكر حُنَيْنا والطائف :

كانتْ عُلالةَ يومَ بطنِ حُنَيْنٍ وغداةَ أَوْطاسٍ ويومَ الأبرَقِ [١]

جَمَعَتْ باغْوَاءٍ هَوَازِنُ جَمْعَها فتَبَدَّدُوا كالطّائرِ المتمزّقِ [٢]

لم يَمْنَعُوا مِنّا مَقاما واحِدًا إلا جِدارَهُمُ وبطنَ الخَنْدَقِ

ولقَدْ تَعَرَّضْنا لكَيْما يَخْرُجُوا فتَحَصَّنوا منّا ببابٍ مُغْلَقِ

ترْتدُ حَسْرانا إلى رَجْرَاجَةٍ شَهْباءَ تَلْمَعُ بالمَنايا فَيْلَقِ [٣]

مَلْمُومَةٍ خَضْرَاءَ لو قَذَفُوا بها حَضَنا لظلَّ كأنّه لم يُخْلَقِ [٤]

مَشْيَ الضِّراءِ على الهَرَاسِ كأنّنا قُدْرٌ تَفَرَّقُ في القِياد وتَلْتقي [٥]

---

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال . وهي من العلل ، وهو الشرب بعد الشرب ، وأراد به هنا التكرار . وحذف التنوين من« علالة » ضرورة . وأضمر في كانت اسمها ، وهو القصة . قال السهيلي : وإن كانت الرواية بخفض « يوم » فهو أولى من الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن ألفيته في النسخة المقيدة . وحنين : رواه أبو ذر مصغرا ليستقيم الوزن ، ورواه السهيلي على الأصل ، وقال : إن فيه إقواء ، وهو أن ينقص حرفا من آخر القسم الأول من الكامل ، وكان الأصمعي يسميه المقعد . وأوطاس : واد في ديار بني هوازن ، كانت فيه وقعة حنين . والأبرق : موضع ، وأصله الجبل الذي فيه ألوان من الحجارة . والرمل .

(٢) باغواء : هو الغي الذي هو خلاف الرشد .

(٣) حسرى : جمع حسير ، وهو المعيى الكليل . ويجوز ان يكون : جمع حاسر ، وهو الذي لا درع عليه . والرجراجة : الكتيبة الضخمة التي يموج بعضها في بعض ، وهي من الرجرجة ، أي شدة الحركة والاضطراب . والفيلق : الجيش الكثير الشديد ، من الفلق ، وهي الداهية .

(٤) ململومة : مجتمعة . وخضراء : يعني من لون السلاح . وحضن (بالحاء والضاد) : اسم جبل بأعلى نجد .

(٥) الضراء (هنا) : الكلاب ، أو الأسود الضارية . والهراس : نبات له شوك . (وقدر بضم لنهاف

في كلِّ سابغة إذا ما استحْصَنَت ... كالنِّهْي هَبَّتْ ريحُهُ المترَقْرِق[1]
جُدُلٌ تَمَسُّ فُضُولُهُنَّ نعالَنا ... من نَسْجِ داودٍ وآلِ مُحَرِّقِ[2]

أمر أموال هوازن وسباياها ، وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

(دعاء الرسول لهوازن) :

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرفَ عن الطائف على دَحْنا[3] حتى نزل الجعْرانة فيمَنْ معه من الناس ، ومعه من هوازن سَبْيٌ كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظَعَنَ عن ثقيف : يا رسول الله ، ادع علَيْهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ اهْدِ ثقيفا وأْتِ بهم .

(منُّ الرسول على هوازن) :

ثم أتاه وَفْد هوازن بالجعْرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْيِ هوازنَ ستة آلاف من الذَّراريِّ والنساء ، ومن الإبل والشَّاءِ ما لا يُدْرَى ما عِدَّتُه .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه عبد الله بن عمرو : أنَّ وفْد هوازِنَ أتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصْلٌ وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخْفَ عليك ، فامنُنْ علينا ، مَنَّ الله عليك . قال : وقام رجل من هوازنَ ، ثم أحدُ بني سعد بن بكر ، يُقال له زُهير ، يكنى أبا صُرَد ، فقال : يا رسول الله ، إنما في الحظائر[4] عمَّاتك

وسكون الدال) الخيل تجعل أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت ؛ الواحد : أقدر . ويروى : « فدر » بضم الفاء والدال ، وهي الوعول المسنة ؛ واحدها : فادر .

(١) السابغة ، الدرع الكاملة . والنهى : الغدير من الماء . والمترقرق : المتحرك .

(٢) جدل : جمع جدلاء ، وهي الدرع الجيدة النسج . وآل محرق : يعني آل عمرو بن هند ملك الحيرة

(٣) دحنا (بالفتح ، ويروى مقصورا وممدودا) : من مخاليف الطائف

(٤) الحظائر : جمع حظيرة ، وهي الدرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها ، وكان السبي في حظائر مثله .

وخالاتك وحواضنك [١] اللاتى كن يكفلنك ، ولو أنّا ملَحْنا [٢] للحارث بن أبى شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته [٣] علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويُروى ولو أنا مالحْنا الحارث بن أبى شِمْر ، أو النّعمان ابن المنذر ؟

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شُعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ، خيَّرْتنا بين أموالنا وأحْسابنا ، بل تَرُدُّ إلينا نساءَنا وأبناءَنا ، فهو أحبّ إلينا ؛ فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطّلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صلّيت الظُّهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأُعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظّهر ، قاموا فتكلّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطّلِب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الأقرعُ بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عُيَيْنة بن حصْن : أما أنا وبنو فزَارة فلا . وقال عباس بن مِرْداس : أما أنا وبنوسُلَيم فلا . فقالت بنوسليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مِرْداس لبنى سُلَيم : وَهَنْتُمُونى [٤] .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمّا من تمسّك منكم بحقه من هذا السّبى

(١) حواضنك : يعنى اللاتى أرضعن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت حاضنته من بنى سعد بن بكر ، من هوازن ، وكانت ظئرا له .

(٢) ملحنا : أرضعنا . والملح : الرضاع . والحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام من العرب والنعمان بن المنذر ملك العراق من العرب .

(٣) عائدته : فضله .

(٤) وهنتمونى : أضعفتمونى .

فله بكلّ إنسان ستُّ فرائض ،من أوّل سَبْى أصيبُه ، فرُدُّوا إلى النّاس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وَجْزَة يزيد بن عُبيد السَّعدىّ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطَى علىَّ بن أبى طالب رضى الله عنه جارية ، يُقال لها رَيْطة بنت هِلال بن حيَّان بن عُمَيرة بن هِلال بن ناصرة بن قُصَيَّة [1] بن نصر ابن سعد بن بكر ، وأعطَى عثمان بن عفَّان جارية ، يُقال لها زينب بنت حيَّان بن عمرو بن حيَّان ، وأعطَى عمرَ بن الخطَّاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عُمَر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمَر ، عن عبد الله بن عُمَر ، قال : بعثتُ بها إلى أخوالى من بنى جُمَح ، ليُصْلِحُوا لى منها ، ويهيِّئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرَغْتُ ، فإذا النّاس يَشْتَدُّونَ ؛ فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردّ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءَنا ؛ فقلت : تلكم صاحبتُكم فى بنى جُمَح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عُيَيْنة بن حِصْن ، فأخذ عجوزا من عجائز هوازنَ ، وقال حين أخذها : أرى عجوزا إنى لأحسِب لها فى الحىّ نسبا ، وعسى أن يعظُم فِداؤها . فلما ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّبايا بستّ فرائض ، أبى أن يَردَّها ، فقال له زُهَير أبو صُرَد : خُذها عنك ، فوالله ما فُوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد [2] ، ولا دَرُّها بماكد [3] . فردّها بستّ فرائض حينَ قال له زُهَير ما قال ؛ فزعموا أن عُيَيْنةَ لقِىَ الأقرَع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتَها بيضاءَ غَريرة [4] ، ولا نَصَفا وَثيرة [5] .

---

(١) قصية : يروى بفتح القاف وضمها؛ ورواه ابن دريد بفاء مضمومة .(راجع شرح ابى ذر) .

(٢) بواجد : أى بحزين ؛ يريد أن زوجها لايحزن عليها ، لأنها عجوز .

(٣) الدر : اللبن . والماكد : الغزير .

(٤) الغريرة : المتوسطة فى السن من النساء .

(٥) الوثيرة من النساء : السمينة الناعمة .

[إسلام مالك بن عوف النصرى] :

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهلَه وماله ، وأعطيته مئة من الإبل ؛ فأُتِىَ مالكٌ بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يَعْلَموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهُيِّئَتْ له ، وأمر بفرس له ، فأُتِىَ به إلى الطائف ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحْبَس ، فركبها ، فلَحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجِعْرانة أو بمكة ، فردّ عليه أهلَه وماله ، وأعطاه مئة من الإبل ، وأسلم فحسُن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمِثْله ... فى النَّاس كلِّهم بمثل محمَّد
أوْفى وأعطَى للجزيل إذا اجتُدِى ... ومَتى تَشأْ يُخْبرْكَ عما فى غد
وإذا الكَتيبةُ عرَّدَت أنيابُها ... بالسَّمْهَرِىِّ وضَرْب كُلِّ مُهَنَّد[1]
فكأنَّهُ لَيْثٌ على أشْبالِه ... وسْط الهَباءَة خادرٌ فى مَرْصَد[2]

فاستعمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على من أسْلم من قومه ؛ وتلك القبائل : ثُمَالَةُ ، وسَلِمةُ[3] ، وفَهْم ، فكان يُقاتل بهم ثقيفا ، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلا أغار عليه ، حتى ضيَّق عليهم ؛ فقال أبو مِحْجَن[4] بن حَبيب بن عمرو بن عُمَير الثَّقفى :

هابَتِ الأعْداءُ جانِبَنا ... ثُم تَغْزُونا بنو سَلِمَهْ
وأتانا مالكٌ بِهِم ... ناقِضًا للعَهْدِ والحُرُمَهْ

---

(١) عردت أنيابها : قويت واشتدت . والسمهرى : الرمح . والمهند : السيف .

(٢) الهباءة : الغبار يثور عند اشتداد الحرب . والخادر : الأسد فى عرينه ، وهو حينئذ أشد ما يكون بأسا لخوفه على أشباله ؛ يصفه بالقوة . والمرصد : المكان يرقب منه ؛ يصفه باليقظة .

(٣) قال السهيلى : « هكذا تقيد فى النسخة (بكسر اللام) ؛ والمعروف فى قبائل قيس سلمة (بالفتح) . إلا أن يكونوا من الأزد ، فإن ثمالة المذكورين معهم حى من الأزد ، وفهم من دوس ، وهم من الأزد أيضا .

(٤) أبو محجن : اسمه مالك بن حبيب .

وأتَوْنا في مَنازِلِنا ولقد كنَّا أُولى نَقِمَهْ

(قسم الفيء) :

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب ، واتّبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسِم علينا فَيْئَنا من الإبل والغنم ، حتى ألْجَئُوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ؛ فقال : أدّوا عليّ ردائى أيُّها النّاس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تِهامَة نَعَمًا لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذّابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَة من سَنامه ، فجعلها بين أُصْبُعَيْه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالى من فَيْئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُس ، والخُمُس مردود عليكم . فأدُّوا الخِياط والمِخْيَط [1] ، فانّ الغُلُول [2] يكون على أهله عارًا ونارا وشَنارا [3] يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبَّة من خُيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكُبَّة أعمل بها بَرْذَعة بَعير لى دَبِر ؛ فقال : أما نصيبى منها فلك ! قال : أمّا إذ بَلَغَتْ هذا فلا حاجة لى بها ، ثم طَرَحَها من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسْلَم ، عن أبيه : أن عَقِيل بن أبى طالب دخل يوم حُنين على امرأته فاطمة بنت شَيْبة بن ربيعة ، وسيفه متلطِّخ دما ، فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونكِ هذه الإبرةَ تَخيطينَ بها ثيابَك ، فدفعها إليها ، فسمعَ مُناديَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئا فليردَّه ، حتى الخِياط والمِخْيَط . فرجع عَقيل ، فقال : ما أرَى إبرتكِ إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها فى الغنائم .

(عطاء المؤلفة قلوبهم) :

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المُؤَلَّفةَ قُلُوبُهم ، وكانوا أشرافا من أشراف الناس ، يتألَّفهم ويتألّفُ بهم قومَهم ، فأعطى أبا سفيانَ

---

(١) الخياط (هنا) : الخيط ؛ والمخيط : الإبرة .

(٢) الغلول : الخيانة .

(٣) الشنار : أقبح العار .

ابن حرب مئة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مئة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مئة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة ، أخا بنى عبد الدار مئة بعير .

قال ابن هشام : نَصير[1] بن الحارث بن كَلَدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضا .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارثَ بن هشام مئة بعير ، وأعطى سُهَيْل بن عمرو مئة بعير ، وأعطى حُوَيطب بن عبد العُزَّى بن أبى قَيْس مئة بعير ، وأعطى العَلاء بن جارية الثَّقفى ، حَليف بنى زُهْرة مئة بعير ، وأعطى عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر مئة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مئة بعير . وأعطى مالك ابن عوف النَّصْرىّ مئة بعير ، وأعطى صفوان بن أميَّة مئة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين

وأعطى دون المئة رجالا من قُرَيش ، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهرىّ ، وعُمَير ابن وهب الجُمَحِىّ ، وهشام بن عَمْرو أخو بنى عامر بن لُؤَىّ ، لاأحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المئة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثَة بن عامر بن مخزوم خمسينَ من الإبل ، وأعطى السَّهْمِىّ خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدىّ بن قيس .

(شعر ابن مرداس يستقل ما أخذ وإرضاء الرسول له) :

قال ابن إسحاق : وأعطى عبَّاسَ بن مِرْداس أباعرَ فسَخِطها ، فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مِرْداس يُعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانَتْ نِهَابا تَلافَيْتُها ... بكَرِّى على المُهْرِ فى الأجْرَعِ[2]

وإيقاظِىَ القَوْمَ أنْ يَرْقُدُوا ... إذا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أهْجَعِ[3]

فأصْبَح نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْـدِ ... بينَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ[4]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « نضير » بالضاد المعجمة .

(٢) نهابا : جمع نهب ، وهو ما ينهب ويغنم ؛ يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان السهل .

(٣) هجع : نام .

(٤) العبيد : اسم فرس عباس بن مرداس .

وقد كنتُ فى الحرْبِ ذَا تُدْرَإٍ   فلَمْ أُعْطَ شَيئًا ولم أُمْنَعِ [١]
إلاَّ أفائِلَ أُعْطِيتُهَا   عَدِيدَ قَوائمِها الأرْبَعِ [٢]
وما كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ   يفوقانَ شَيْخِيَ فى المَجْمَعِ [٣]
وما كنتُ دون امرئ منهما   ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

قال ابن هشام: أنشدنى يونُسُ النَّحْوىّ:

فمَا كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ   يَفُوقان مِرْداس فى المَجْمَعِ

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهبوا به، فاقطعوا عنى لسانَه، فأعطوْه حتى رَضِى، فكان ذلك قطعَ لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم: أن عبَّاس بن مرْداس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت القائل:

«فأصبح نَهْبى ونهبُ العُبَيْد بين الأقْرع وعُيَيْنة»؟

فقال أبو بكر الصدّيق: بين عُيينة والأقرع؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هما واحد؛ فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: «وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِى لَهُ».

(توزيع غنائم حنين على المبايعين):

قال ابن هشام: وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له، عن ابن شهاب الزهرى، عن عُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة، عن ابن عباس، قال: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم، فأعطاهم يوم الجِعْرانة من غنائم حُنَين.

من بنى أميَّة بن عبد شمس: أبوسفيان بن حرب بن أميَّة، وطليق بن سفيان ابن أميَّة، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أميَّة.

---

(١) ذا تدرأ: ذا دفع عن قوى.

(٢) الأفائل: الصغار من الإبل، الواحد أفيل.

(٣) شيخى: يعنى أباه مرداسا. ويروى: «شيخى» بتشديد الياء، يريد أباه وجده. ويروى: «يفوقان مرداس» واستشهدوا به على ترك صرف ما ينصرف لضرورة الشعر.

ومن بنى عبد الدار بن قصىّ : شَيْبة بن عثمان بن أبى طَلْحة بن عبد العُزَّى ابن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السَّنابل بن بَعْكك بن الحارث بن عُمَيْلة بن السَّبَّاق ابن عبد الدار ، وعِكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مَناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زُهَير بن أبى أميَّة بن المُغيرة ، والحارث بن هشام ابن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسُفيان ابن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسَّائب بن أبى السائب بن عائذ ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدىّ بن كَعْب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة ، وأبو جَهْم ابن حُذيفة بن غانم .

ومن بنى جُمَحَ بن عمرو : صفوانُ بن أميَّة بن خلف ، وأُحَيحة بن أميَّة ابن خلَف ، وعمير بن وهب بن خلَف .

ومن بنى سَهْم : عدىّ بن قيس بن حُذافة .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : حُوَيْطِبُ بن عبد العُزَّى بن أبى قَيس بن عبد وُدّ هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب .

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن رَزْن بن يَعْمَر بن نُفاثَة بن عدىّ بن الدِّيل .

ومن بنى قَيْس ، ثم من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب . ولَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن ربيعة : خالد بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، وحرملة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بنى سُلَيْم بن منصور : عباس بن مِرْداس بن أبى عامر : أخو بنى الحارث ابن بُهْثَة بن سُلَيم .

ومن بنى غطفان ، ثم من بنى فزارة عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرعَ بن حابس بن عِقال ، من بنى مجاشع ابن دارم .

(سئل الرسول عن عدم إعطائه جعيلا فأجاب) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ : أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عُيينة بن حِصْن والأقرعَ بن حابس مِئَةً مِئَةً ، وتركت جُعَيْل بن سُراقة الضَمْرى[1] ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفس محمد بيده لَجُعَيْل بن سُراقة خيرٌ من طِلاع الأرض[2] ، كُلُّهم مثل عُيَيْنة بن حِصْن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألّفتهما ليُسْلما ، ووَكَلْتُ جُعَيْل بنَ سُراقةَ إلى إسلامه .

(اعتراض ذى الخويصرة التيمى) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو عُبيدة بن محمد بن عَمّار بن ياسر ، عن مِقْسَم أبى القاسم ، مَوْلَى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتَلِيد بن كلاب اللَّيْثىّ ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلّقا نعلَه بيده ، فقلنا له : هل حَضَرْتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التيمىّ يومَ حُنَيْن ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بنى تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيتُ ما صنعتَ فى هذا اليوم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت؟ فقال : لم أرك عدلت ؛ قال : فغضب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى ، فعند من يكون ! فقال عمر بن الخطّاب : يارسول الله ، ألا أقتلُه ؟ فقال لا ، دَعْه فانه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين[3] حتى يخرجوا منه كما يخرج السَّهْمُ من الرَّمِيَّة[4] ؛

---

(١) قال السهيلى : « نسب ابن إسحاق جعيلا إلى ضمرة ، وهو معدود فى غفار لأن غفارا هم بنو مليل ابن ضمرة » .

(٢) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .

(٣) يتعمقون فى الدين : يتتبعون أقصاه .

(٤) الرمية : الشىء الذى يرمى .

ينظر فى النَّصْل [١] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القِدْح [٢] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفُوق [٣] ، فلا يوجد شىء ، سَبَق الفَرْثَ [٤] والدَّمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن علىّ بن الحُسين أبو جعفر بمثل حديث أبى عُبيدة ، وسماه ذا الخُوَيْصِرَة .

(شعر حسان فى حرمان الأنصار) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

قال ابن هشام : ولما أعطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطَى فى قريش وقبائل العرب ، ولم يعطِ الأنصارَ شيئا ، قال حسَّان بن ثابت يعاتبه فى ذلك :

زادَتْ هُمومٌ [٥] فماءُ العينِ مُنْحَدِرُ ... سَحًّا إذا حَفَلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ [٦]

وَجْدًا بشَمَّاءَ إذْ شَمَّاءُ بَهْكَنَةٌ ... هَيْفاءُ [٧] لادَنَسٌ [٨] فيها ولا خَوَرُ [٩]

دَعْ عنك شَمَّاءَ إذ كانت مودَّتُها ... نَزْرًا وشرُّ وِصَال الواصِلِ النَّزِرُ [١٠]

وأْتِ الرَّسول فقُل يا خيرَ مؤتَمَنٍ ... للمؤْمنين إذا ما عُدِّدَ [١١] البَشَرُ

علامَ تُدْعَى سُلَيْمٌ وَهْى نازحةٌ ... قُدَّامَ [١٢] قومٍ هُمُ آوَوْا وهُمْ نصرُوا

سَمَّاهُمُ اللهُ أنْصَارًا بِنَصْرِهِمِ ... دينَ الهُدَى وعَوانُ الحرب تستَعِرُ [١٣]

---

(١) النصل : حديد السهم .

(٢) القدح : السهم .

(٣) الفوق : طرف السهم الذى يباشر الوتر .

(٤) الفرث : ما يوجد فى الكرش .

(٥) كذا فى ديوان حسان طبع أوربة . وفى ا : « زاد الهموم » . وجاءت محرفة فى سائر الأصول .

(٦) السح : الصب . وحفلته : جمعته . ودرر : دارة سائلة .

(٧) الوجد : الحزن ، وشماء : لمرأة . وبهكنة : كثيرة اللحم . وهيفاء : ضامرة الخصر .

(٨) كذا فى ا والديوان . وفى سائر الأصول : « ذنن » بالذال المعجمة . قال أبوذر : « من رواه بالدال المهملة ، فمعناه تطامن بالصدر وغئور ؛ ومن رواه بالذال المعجمة ، فمعناه القذر ، ومنه الذنين ؛ وهو ما يسيل من الأنف » .

(٩) الخور : الضعف .

(١٠) نزرا : قليلا . والنزر : المقل ، وهو على تقدير مضاف .

(١١) فى الديوان : « عدل » .

(١٢) فى الديوان : « أمام » .

(١٣) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة . وتستعر : تشتعل وتشتد .

وسارعوا فى سبيل الله واعترفُوا للنّائبات وما خامُوا وما ضجِرُوا[١]

والناس ألْبٌ[٢] علينا فيك ليس لنا[٣] إلا السُّيوفَ وأطْراف القَنا وَزَرُ[٤]

نجالِدُ النّاسَ لانُبْقِى على أحَدٍ ولا نُضَيِّعُ ما تُوحِى به السُّوَرُ[٥]

ولا تَهِرّ جُناةُ الحَرْب نادِيَنا ونحنُ حين تَلَظَّى نارُها سُعُرُ[٦]

كما[٧] ردَدْنا ببَدْرٍ دون ما طَلَبُوا أهلَ النِّفاق وفينا يُنْزَلُ الظّفَرُ

ونحن جُنْدُكَ يوم النَّعْف من أُحُدٍ إذْ حزَّبتْ[٨] بطَرًا أحزابها[٩] مُضَرُ

فما وَنِينا وما خِمْنا وما خَبَرُوا منّا عِثارا وكلَّ الناس قد عَثَرُوا[١٠]

(وجد الأنصار لحرمانهم فاسترضاهم الرسول):

قال ابن هشام: حدثنى زياد بن عبدالله، قال: حدثنا ابن إسحاق: قال: وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لَبِيد، عن أبى سعيد الخُدْرِىّ، قال: لما أعْطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأعْطَى من تلك العَطايا، فى قريش وفى قبائل العرب، ولم يكن فى الأنصار منها شىءٌ، وجَد هذا الحىُّ من الأنصار فى أنفسهم، حتى كثُرت منهم القالة[١١] حتى قال قائلهم: لَقَدْ لَقِى والله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه، فدخل عليه سعد بن عُبادة، فقال: يارسول الله، إنّ هذا الحىّ من الأنْصار قد وَجَدوا عليك فى أنفسهم، لما صنعت فى هذا الفىء

---

(١) اعترفوا: صبروا وخاموا: جبنوا. وما ضجروا: ما أصابهم حرج ولا ضيق.

(٢) ألب: مجتمعون.

(٣) فى الديوان: «ثم ليس لنا».

(٤) الوزر: الملجأ.

(٥) هذا البيت ساقط من الديوان.

(٦) لاتهر: لاتكره. وجناة الحرب: الذين يخوضون غمارها. ونادينا: مجلسنا. وسعر: توقد الحرب وتشعلها. ورواية صدر هذا البيت فى الديوان: «ولا يهر جناب الحرب مجلسنا».

(٧) فى الديوان: «وكم».

(٨) النعف: أسفل الجبل. وحزبت: جمعت.

(٩) فى الديوان: «أشياعها».

(١٠) ونينا: ضعفنا وفترنا. وخمنا: جبنا.

(١١) القالة: الكلام الردىء.

الذى أصبتَ ، قَسَمْتَ فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ، ولم يك فى هذا الحىّ من الأنصار منها شىء : قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يارسول الله ، ماأنا إلا من قوْمى . قال: فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة [1] . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة . قال : فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحىّ من الأنصار ، فأتاهم رسول اللهُ صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يامعشر الأنصار : ماقالَةٌ بلغتنى عنكم ، وجِدَةٌ [2] وَجدتموها على فى أنفسكم ؟ ألم آتِكم ضُلاّلا فهداكم الله ، وعالةً [3] فأغناكم الله ، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أمَنّ [4] وأفْضَلُ . ثم قال : ألا تجيبوننى يامعشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المَنّ والفَضْلَ . قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقلتم ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ : أتيْتَنا مُكَذَّبا فصدَّقناك ، ومخذولا[5] فنَصَرْناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك [6] . أوجَدْتم يامعشر الأنصار فى أنفسكم فى لُعاعَةٍ [7] من الدّنيا تألّفْتُ بها قوْما ليُسْلِموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضوْن يامعشر الأنصار ،أن يذهب النّاسُ بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ،ولو سلك النّاس شِعْبا [8] وسَلَكت الأنْصارُ شِعْبا ، لسلكتُ شِعْبَ الأنصار . اللّهُمّ ارْحم الأنصار ، وأبناءَ الأنصار ، وأبناءَ أبناءِ الأنصار

---

(١) الحظيرة : شبه الزريبة التى تصنع للإبل والماشية تمنعها ، وتكف عنها العوادى .

(٢) كذا فى الأصول . قال أبو ذر : « الموجدة : العتاب ؛ ويروى جدة ، وأكثر ما تكون الجدة فى المال » .

(٣) عالة : جمع عائل ، وهو الفقير .

(٤) أمن : من المنة ، وهى النعمة .

(٥) المخذول : المتروك .

(٦) آسيناك : عاملناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٧) اللعاعة : بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

(٨) الشعب : الطريق بين جبلين .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم[١] ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

(اعتمار الرسول واستخلافه ابن أسيد على مكة) :

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا ، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة ، بناحية مر الظهران ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة[٢] ، وخلف معه معاذ بن جبل ، يفقه الناس في الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفيء .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بي حاجة إلى أحد .

(وقت العمرة) :

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقية ذي القعدة أو في ذي الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذي القعدة فيما زعم أبو عمرو المدني .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد ، وهي سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على

---

(١) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع .

(٢) وكان عمر عتاب إذ ذاك نحو عشرين سنة . (راجع شرح المواهب) .

شِرْكِهِمْ وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القَعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع :

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

(تخوف بجير على أخيه كعب ونصيحته له) :

ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مُنْصَرَفِه عن الطائف كتب بُجَير بنُ زُهَير بن أبى سُلْمَى إلى أخيه كَعْب بن زُهير يُخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شُعراء قريش ، ابنُ الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَة بن أبى وَهْب ، قد هربوا فى كلّ وجه ، فان كانت لك فى نفسك حاجة ، فطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لايقتل أحدا جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك [١] من الأرض ؛ وكان كَعْب ابن زُهَير قد قال :

ألا أبْلِغا عَنِّى بُجَيْرًا رِسالةً ... فهلْ لكَ فيما قلتُ وَيْحكَ هلْ لَكا؟[٢]

فبَيِّن لنا إنْ كنتَ لستَ بفاعلٍ ... عَلَى أىِّ شىءٍ غيرِ ذلك دَلَّكا[٣]

على خُلُقٍ لم أُلْفِ يوْما أبا لَهُ ... عَلَيْهِ وما تُلْفِى عَلَيْهِ أبا لَكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ ... ولا قائلٍ إمَّا عَثَرْتَ : لَعًا لَكا[٤]

سَقاكَ بها المَأْمونُ كأْسا رَوِيَّةً ... فأنْهَلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكا[٥]

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فبين لنا » : عن غير ابن إسحاق .

---

(١) إلى نجائك ، أى إلى محل ينجيك منه .

(٢) أبلغا : خطاب لاثنين ، والمراد الواحد ، أو خطاب لواحد مؤكد بنون توكيد خفيفة ، قلبت ألفا فى الوصل على نية الوقف .

(٣) فبين لنا : أى اذكر لنا مرادك من بقائك على دينك .

(٤) لعا لك : كلمة تقال للعاثر ، وهى دعاء له بالإقالة من عثرته .

(٥) روية (فعيلة بمعنى مفعلة ، بضم الميم وكسر العين) أى مروية . والنهل : الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثانى . والمأمون : يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت قريش تسميه به وبالأمين قبل النبوة . قال الزرقانى : « وفى رواية غير ابن إسحاق « المحمود » وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم » .

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

مَنْ مُبْلِغٌ عَنّى بُجَيْرًا رسالةً فهل لكَ فيما قلتُ بالخَيْفِ هل لَكا[1]
شَرِبتَ معَ المأمون كأسا رَوِيَّةً فأنهلكَ المأمونُ منها وعَلَّكا
وخالفتَ أسبابَ الهُدَى واتَّبعتَه على أىِّ شىء وَيْبَ غيرِك دَلَّكا[2]
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أُمًّا ولا أبا[3] عليه ولم تُدْرِك عليه أخا لَكا
فان أنتَ لم تفعل فلستُ بآسف ولا قائلٍ إمَّا عَثَرْتَ : لَعًا لَكا

قال : وبعث بها إلى بُجَير ، فلما أتتْ بُجيرا كَرِه أن يكتُمَها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سقاك بها المأمون » . صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : « على خُلُق لم تُلْفِ أمًّا ولا أبا عليه » قال : أجل ، لم يُلْفِ عليه أباه ولا أمَّه[4] .

ثم قال بجَير لكعب :

مَنْ مُبْلِغٌ كعبًا فهلْ لكَ فى التى تلوم عليها باطلا وهْىَ أحْزَمُ
إلى الله (لا العزَّى ولا اللات) وحْدَه فتنجو إذا كان النَّجاء وتَسْلَمُ
لدَى يوْمٍ لاينْجُو وليس بمُفْلِتٍ من النَّاس إلا طاهرُ القَلْبِ مُسْلِمِ
فدينُ زُهير وهو لاشىءَ دينُه ودين أبى سُلْمَى علىَّ مُحَرَّمُ

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور » فى قول ابن هشام ، لقول قريش الذى كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(قدوم كعب على الرسول وقصيدته اللامية) :

قال ابن إسحاق : فلما بلغ كَعْبًا الكتابُ ضاقت به الأرض: وأشفق على نفسه ،

---

(١) الخيف : أسفل الجبل ، ويريد به خيف منى .

(٢) ويب غيرك : أى هلكت هلاك غيرك . وهو بالنصب على إضمار الفعل .

(٣) قال السهيلى : « إنما قال ذلك لأن أمهما واحدة ، وهى كبشة بنت عمار السحيمية ، فيما ذكر عن ابن الكلبى » .

(٤) زاد الزرقانى نقلا عن ابن الأنبارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله .

وأرجف [١] به مَنْ كان فى حاضره [٢] من عَدُوّه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شىء بُدًّا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفَه وإرجافُ الوشاة به من عدوّه ، ثم خرج حتى قَدِم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جُهينة ، كما ذُكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسولُ الله ، فقم إليه فاستأمِنْهُ . فذُكر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعرفه ، فقال : يارسول الله ، إن كعب بن زُهَير قد جاء ليستأْمِنَ منك تائبا مُسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب بن زُهَير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دعنى وعدوَّ الله أضرِبْ عنقه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك ، فانه قد جاء تائبا ، نازعا (عما كان عليه [٣]) . قال فغضب كعبٌ على هذا الحىّ من الأنصار ، لِمَا صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال فى قصيدته التى قال حين قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانَتْ سُعادُ فقَلْبى اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبُولُ [٤]

---

(١) أرجف به : خاض فى أمره بما يسوءه ويفزعه .

(٢) حاضره : حيه .

(٣) زيادة عن م ، ر .

(٤) بانت : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأة . وقيل (كما فى الزرقانى) : هى امرأته وبنت عمه ، خصها بالذكر لطول غيبته عنها ، لهروبه من النبى صلى الله عليه وسلم . ومتبول : أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر ، ويروى : « لم يجز » ، و « لم يشف » . ومكبول : مقيد .

يريد الشاعر أن محبوبته فارقته ، فصار قلبه فى غاية الضنى والسقم والذل والأسر ، لايجد من قيده فكاكا ، ولا يستطيع من سجنه خلاصا . ورواية عجز هذا البيت فى ا : « متيم عندها لم يجز مكبول » .

وما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلوا ¹ إلا أغَنُّ غَضيضُ الطَّرْفِ مَكْحولُ ²

هَيْفاءُ مُقْبِلةً عَجْزاءُ مُدْبِرَةً لا يُشْتَكَى قِصَرٌ منها ولا طُولُ ³

تَجْلو عوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ كأنَّه مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلولُ ⁴

شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بأبطحَ أضْحَى وهْوَ مَشْمُولُ ⁵

تَنْفِي الرِّياحُ القَذَى عنهُ وأفْرَطَهُ من صَوْبِ غاديةٍ بِيضٌ يَعاليلُ ⁶

(١) فى ا : « إذ برزت » .

(٢) الأغن (هنا) : الظبى الصغير الذى فى صوته غنة ، وهى صوت يخرج من الخياشيم ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول : من الكحل (بتحريك الحاء المهملة) وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبى الموصوف بغنة الصوت ، وغض الطرف ، والكحل ، وهى من صفات الجمال .

(٣) هيفاء : صفة مشبهة من الهيف (بالتحريك) وهو ضمور البطن ، ودقة الخاصرة ، ومقبلة : حال . وعجزاء : صفة أيضا ، أى كبيرة العجز ، وهو الردف . ولا يشتكى قصر : أى لايشتكى الرائى عند رؤيتها قصرا فيها . يريد أن هذه المحبوبة يحسن منظرها فى كل حال ، فإذا أقبلت فهى هيفاء ، وإذا أدبرت فهى عجزاء ، وهى متوسطة بين الطول والقصر . وهذا البيت ساقط فى ا .

(٤) تجلو : تصقل وتكشف . والعوارض : جمع عارض أو عارضة ، وهى الأسنان كلها ، أو الضواحك خاصة ، أو هى من الأنياب . والظلم (بفتح الظاء وسكون اللام) : ماء الأسنان وبريقها ، أو هو رقتها وبياضها . والمنهل (بزنة اسم المفعول) : المسق ، من أنهله ، إذا سقاه النهل (بفتحتين) ، وهو الشرب الأول . وبالراح : متعلق بمنهل . والراح : الخمر . ومعلول : من العلل (بالفتح) ، وهو الشرب الثانى . يريد أن سعاد إذا ابتسمت كشفت عن أسنان ذات ماء وبريق ، أو ذات بياض ورقة ، وكأن ثغرها لطيب رائحته قد سق الراح مرة بعد مرة .

(٥) شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها ، وهو مجاز ، لأن الأصل فى الشج الكسر . وذو شبم : ماء شديد البرد . والمحنية (بفتح فسكون فكسر) : منعطف الوادى ، وخصه لأن ماءه أصفى وأبرد . والأبطح : المسيل الواسع الذى فيه دقاق الحصى ، وماء الأباطح عندهم معروف بصفائه . وأضحى : أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد حر الشمس . والمشمول : الذى ضربته ريح شمال حتى برد ، وهى أشد تبريدا للماء من غيرها .

(٦) القذى : مايقع فى الماء من تبن أو عود أو غيره مما يشوبه ويكدره . وأفرطه : سبق إليه وملأه . والصوب المطر . والغادية : السحابة تمطر غدوة ، ويروى « سارية » وهى السحابة تأتى ليلا . واليعاليل : الحباب الذى يعلو وجه الماء . وقيل المراد بالبيض اليعاليل : الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر ، ثم يسيل إلى الأباطح . يريد أن الرياح تزيل القذى عن ذلك الماء الذى مزج به الراح ، حتى لم يبق فيه مايكدره ، وأن ذلك الأبطح ملأته الفقاقيع البيض ، التى نشأت من مطر السحابة الغادية .

فيالَها خُلّةً لو أنها صَدَقَتْ	بوعدها أوْ لَوَ أنّ النّصحَ مَقْبولُ[١]
لكنها خُلّةٌ قَدْ سِيطَ من دَمِها	فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخْلافٌ وتَبْديلُ[٢]
فمَا تدومُ[٣] على حالٍ تكونُ بها	كما تَلَوّنُ فى أثوابها الغُولُ[٤]
وما[٥] تَمَسّكُ[٦] بالعهد الذى زعمت	إلا كما يُمْسِكُ الماءَ الغَرابيلُ
فلا يغرّنْكَ ما منّتْ وما وَعَدَت	إنّ الأمانىّ والأحلامَ تَضْليلُ[٧]
كانتْ مواعيدُ عُرْقوبٍ لَها مَثَلا	وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ[٨]
أرْجو وآمُلُ أنْ تَدْنو مودَتُها	وما إخال لَدَيْنا مِنْكِ تَنْويلُ[٩]

(١) الخلة (بالضم) : الصديقة . يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد وغيره . يريد أنها صديقة كريمة ، ولو أنها صدقت فى الوعد ، وقبلت النصح ، لكانت على أتم الخلال ، وأكمل الأحوال . ورواية هذا البيت فى ا : « ويلمها . . . . . . بوعدها ولوان . . . . . »

(٢) سيط : أى خلط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة فى البيت . ويروى : شيط (بالشين المعجمة) ، وهو بمعناه . والفجع : الإصابة بالمكروه كالهجر ونحوه . والولع والولعان : الكذب . والإخلاف : خلف الوعد . يريد أن محبوبته متصفة بهذه الأخلاق ، حتى صارت كأنها مختلطة بدمها .

(٣) فى ا : « فما تقوم » .

(٤) الغول : ساحرة الجن ، فى زعمهم . يزعمون أن الغول ترى فى الفلاة بألوان شتى ، فتأخذ جانبا من الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك . يريد أن هذه المحبوبة لاتدوم على حال تكون عليها ، بل تتغير من حال إلى حال ، فتتلون بألوان شتى وترى فى صور مختلفة ، كما تتلون الغول فى أثوابها بألوان كثيرة .

(٥) فى ا : « ولا » .

(٦) تمسك ، يروى بفتح التاء ، على أنه مضارع حذفت إحدى تاءيه ؛ أو بضم التاء وفتح الميم وكسر السين المشددة . « ولا تمسك » . يشبه تمسكها بالعهد بإمساك الغرابيل للماء ، مبالغة فى النقض والنكث وعدم الوفاء بالعهد ، لأن الماء بمجرد وضعه فى الغربال يسقط منه .

(٧) ما منت : ما منتك إياه ، وحملتك على تمنيه ، أو ما كذبت عليك فيه . يقول : لاتغتر بما حملتك على تمنيه منها ، أو بما كذبت عليك فيه من الوصل ، وما وعدتك به من ترك الهجر ، فإن الأمانى التى التى يتمناها الإنسان ، والأحلام التى يراها فى منامه سبب فى الضلال ، وضياع الزمان .
وهذا البيت متأخر فى (ا) عن البيتين التاليين له .

(٨) كانت : صارت . وعرقوب (بضم العين وإسكان الراء وضم القاف) : رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فضرب به المثل فى الخلف . والأباطيل : جمع باطل ، على غير قياس .

(٩) التنويل : العطاء ، والمراد به (هنا) : الوصل . يريد أنى مع اتصافها بالجفاء وإخلاف الوعد ، وعدم الوفاء بالعهد ، لاأقطع الرجاء من مودتها ، ولا أيأس من وصلها ، بل أرجو وآمل أن تقرب مودتها ،

أَمْسَتْ سُعادُ بأرضٍ لايُبلِّغُها إلا العِتاقُ النَّجيبات المَراسِيلُ [١]
ولن يُبلِّغَها إلا عُذافِرَةٌ لها على الأَيْنِ إرْقالٌ وتَبْغيلُ [٢]
من كلِّ نَضَّاخة الذِّفْرى إذا عَرِقت عُرْضَتُها طامِسُ الأعلامِ مَجْهُولُ [٣]
ترْمى الغُيُوبَ بعَيْنَىْ مُفرَدٍ لَهَقٍ إذا تَوَقَّدَتِ الحِزَّانُ والمِيلُ [٤]
ضَخْمٌ مُقَلَّدُها فَعْمٌ مقيَّدُها فى خَلْقِها عن بناتِ الفَحْلِ تَفضيلُ [٥]

وإن كان فى ذلك بعد . ورواية هذا البيت فى ا . :

أرجو وآمل أن يعجلن فى أبد وما إخال لهن الدهر تعجيل

(١) العتاق : الكرام ؛ الواحد : عتيق . والنجيبات : جمع نجيبة ، وهى القوية الخفيفة . ويروى : « النجيات » أى السريعات . والمراسيل : جمع مرسال (بالكسر) وهى السريعة . يريد أن محبوبته صارت بأرض بعيدة لايوصله إليها إلا الإبل الكرام الأصول ، القوية السريعة .

(٢) العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة . والأين : الإعياء والتعب . والإرقال : والتبغيل : ضربان من السير السريع . يقول : لايبلغ تلك الأرض إلا ناقة صلبة عظيمة قوية على السير . ورواية الشطر الثانى فى (ا) : « فيها على الأين . . . . » .

(٣) النضاخة : الكثيرة رشح العرق . والذفرى : النقرة التى خلف أذن الناقة ، وهى أول ما يعرق منها . وعرضتها : همتها . وطامس الأعلام : الدارس المتغير من العلامات التى تكون فى الطريق ليهتدى بها . يريد أن هذه الناقة كثيرة العرق ، وذلك لايكون إلا مع اشتداد فى السير ، وجهد نفسها فيه ، وأنها عارفة الطريق الدارس الأعلام ، المجهول المسالك ، لكثرة أسفارها وسلوكها المفازات .

ويروى الشطر الثانى من هذا البيت : « ولاحها طامس . . . . » . ولاحها : غيرها .

(٤) الغيوب : آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون . والمفرد : الثور الوحشى الذى تفرد فى مكان ، وشبه عينها بعينيه لأنه ألف البرارى وخبرها ، ولكونه من أحد الوحوش نظرا . واللهق (بفتح الهاء وكسرها) الأبيض . والحزان (بضم الحاء وكسر وتشديد الزاى) : الأمكنة الغليظة الصلبة تكثر فيها الحصباء، وهى جمع حزيز . والميل (بالكسر) : جمع (ميلاء) بالفتح ، وهى العقدة الضخمة من الرمل .

يريد أن هذه الناقة فى غاية من حدة البصر ، فتبصر ما غاب من آثار الطريق عن العيون بعينيها الشبيهتين بعينى الثور الوحشى الأبيض وقت اشتداد الحر ، فى الأمكنة الغليظة الصلبة ، والرمال المنعقدة الضخمة .

ورواية هذا البيت فى ا : « ترمى النجاد . . . الخ » .

(٥) المقلد : موضع القلادة فى العنق . وفعم : ممتلىء . ويروى : « عبل » وهو بمعناه . والمقيد : موضع القيد ، يريد قوائمها . وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة للفحل المعد للضراب . يصف الناقة بضخامة العنق ، وذلك مؤذن بضخامة جميع هامتها ، وبعظم القوائم ، وذلك دليل على قوتها فى السير ، وطاقتها على ثقل الحمل . وبتفضيلها على غيرها فى عظم الخلقة ، وحسن الكرمين .

غَلْباءُ وَجْناءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ ... فى دَفِّها سَعَةٌ قُدّامُها مِيلُ(١)

وجِلْدُها مِن أُطُومٍ مايُؤَيِّسه ... طِلْحٌ بضَاحِيَةِ المَتْنَيْنِ مَهْزُولُ(٢)

حَرْفٌ أخُوها أبُوها مِنْ مُهَجَّنَةٍ ... وعَمُّها خالُها قَوْداءُ شِمْليلُ(٣)

يَمْشِي القُرادُ علَيها ثم يُزْلِقُهُ ... مِنْها لَبانٌ وأقْرابٌ زَهالِيلُ(٤)

عَيْرانةٌ قُذِفتْ بالنَّحضِ عن عُرُضٍ ... مِرْفَقُها عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ(٥)

كأنَّما فاتَ عَيْنَيها ومَذْبَحَها ... من خَطْمِها ومِن اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ(٦)

(١) غلباء : غليظة العنق . ووجناء : عظيمة الوجنتين ، أو هى من الوجين ، وهو ما صلب من الأرض . وعلكوم : شديدة . ومذكرة : عظيمة الخلقة تشبه الذكران من الأباعر . وفى دفها سعة : أى هى واسعة الجنبين ، وهو كناية عن عظم الخلقة . وقدامها ميل : كناية عن طول عنقها ، أو سعة خطوها .

(٢) الأطوم : بفتح الهمزة سلحفاة بحرية غليظة الجلد ، وقيل : هى الزرافة . ويؤيسه : يذلله ولا يؤثر فيه . والطلح (بالكسر) : القراد دويبة معروفة يلزق بالدابة . والضاحية من كل شىء : ناحيته البارزة للشمس والمتنان : ما يكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم . وإنما خص ضاحية المتنين ، لأن القراد فى الشمس تقوى همته ، وتكثر حركته . ويشتد امتصاصه للدم . ومهزول : صفة لطلح ، أى قراد مهزول من الجوع . يريد أن جلد هذه الناقة فى غاية النعومة والملاسة ، فلا يؤثر فيه القراد المهزول من الجوع فيما برز للشمس من ناحيتى صلبها عن يمين وشمال .

(٣) الحرف (فى الأصل) : القطعة الخارجة من الجبل ، شبه الناقة بها فى القوة والصلابة . والحرف (أيضا) : الناقة الضامرة . وأخوها أبوها . . . الخ : يريد أنها مداخلة النسب فى الكرم ، لم يدخل فى نسبها غير أقاربها . والمهجنة : الكريمة الأبوين من الإبل ، والقوداء : الطويلة الظهر والعنق . وهى من صفات الإبل التى تمدح بها . والشمليل : الخفيفة السريعة .

(٤) يزلقه : من الإزلاق ، أى يسقطه . ومنها : أى عنها . واللبان (بالفتح) : الصدر ؛ وقيل وسطه . والأقراب (بالفتح) الخواصر ، والمراد بالجمع هنا المثنى . والزهاليل : الملس جمع زهلول . يريد أن هذه الناقة لملاستها لايثبت القراد عليها .

(٥) العيرانة : الناقة المشبهة عير الوحش فى سرعته ونشاطه وصلابته ، وهذا مما يستحسن فى أوصاف الإبل . والنحض : اللحم . وعن : بمعنى من . وعرض (بضمتين أو بضم أو فسكون) : جانب ، والمراد هنا العموم . يريد أنها رميت باللحم من كل جانب من جوانبها . والمرفق : يريد المرفقين . والزور : الصدر وقيل : وسطه . وبنات الزور : مايتصل به مما حوله من الأضلاع وغيرها . يريد أن مرفق تلك الناقة مصروف عما حوالى الصدر من الأضلاع وغيرها فتكون مصونة عن الضغط ؛ لبعد مرفقها عن أضلاعها ، فلا يصطك بها لخفتها ونشاطها .

(٦) الخطم : الأنف وما حوله . واللحيان : العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره . والبرطيل (بالكسر) : حجر مستطيل . يريد أن وجهها من خطمها ومن اللحيين يشبه الحجر

تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذا خُصَلٍ ... فى غارِزٍ لم تَخَوَّنْهُ الأحالِيلُ [1]
قَنْوَاءُ فى حُرَّتَيْها لِلْبَصِيرِ بِها ... عِتْقٌ مُبِينٌ وفى الخَدَّيْنِ تَسْهِيلُ [2]
تَخْدِى على يَسَرَاتٍ وَهْىَ لاحِقَةٌ ... ذَوابِلٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تَحْلِيلُ [3]
سُمْرِ العُجاياتِ يَتْرُكْنَ الحَصَى زِيَمًا ... لم يَقِهِنَّ رُءُوسَ الأُكْمِ تَنْعِيلُ [4]
كأنَّ أوْبَ ذِراعَيْها وقد عَرِقَتْ ... وقد تَلَفَّعَ بالقُورِ العَساقِيلُ [5]

المستطيل . وفى رواية « كأنما قاب . . . . الخ » : والقاب : المقدار . والمراد : المسافة من وجهها إلى عينيها ، كأنما قدر وجهها المنتهى إلى عينيها من خطمها قدر برطيل فى الاستطالة .

(١) عسيب النخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص ، فإن نبت عليه سمى سعفا . وذا خصل : يريد ذيلا له لفائف من الشعر . وفى غارز : أى على ضرع . ولم تخونه : لم تنقصه . والأحاليل : مخارج اللبن ، جمع إحليل (بالكسر) . يريد أن هذه الناقة تمر ذنبا مثل جريدة النخل فى الغلظ والطول ، كثير الشعر ، على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن ، لكونها لاتحلب ، فيكون ذلك أقوى لها على السير .

(٢) القنواء : المحدودبة الأنف . ويروى : « وجناء » . وقد عد الشاعر هذا من صفات المدح مع أن المنقول عن العرب أن القنا عيب فى الإبل والخيل . والحرتان : الأذنان . والعتق (بالكسر) : الكرم . والمبين : الظاهر . وتسهيل : سهولة ولين : لاخشونة ولا حزونة . يريد أن هذه الناقة محدودبة الأنف ، يظهر للعارف بالإبل الكرام كرم ظاهر فى أذنيها ، لحسنهما وطولهما ؛ ونجابة فى خديها : سهولة وليونة . وقد ورد هذا البيت فى (ا) متقدما على البيتين السابقين له .

(٣) تخدى : تسرع . ويروى « تخذى » بمعجمتين ، أى تسترخى ؛ وهذا أبلغ فى المدح ، لأنها مع استرخائها فى السير تلحق النوق السوابق ، فكيف لو أسرعت . وفى ا : « تهوى » وهى بمعنى الأولى . واليسرات : القوائم الخفاف . وهى لاحية : أى والحال أنها لاحقة بالنوق السابقة عليها ، أو بالديار البعيدة عنها . وفى ا : « وهى لاهية » أى غافلة عن السير ، فهى تسرع فيه من غير اكتراث ومبالاة ، كأن ذلك سجية لها . وقد فسر ابن هشام « اللاحقة » بالضامرة ، فيكون مرجع الضمير « هى » اليسرات . والذوابل : جمع ذابل ، وهو الرمح الصلب اليابس ، شبه قوائمها بها فى الصلابة والشدة . ومسهن : أى مس تلك اليسرات للأرض أو وقعهن عليها . وتحليل : أى قليل لم يبالغ فيه ، يريد أن هذه الناقة سريعة فى السير بقوائمها ، سريعة الرفع عن الأرض ، كأنها لاتمسها إلا تحلة القسم ، فهى فى غاية الإسراع فى سيرها .

(٤) العجايات : الأعصاب المتصلة بالحافر ؛ وقيل : اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن ، يشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته . وزيما : متفرقا . والأكم : هى الأراضى المرتفعة . والتنعيل : شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة . يريد أن أعصاب قوائم هذه الناقة شديدة كالرماح السمر ، ولشدة وطئها الأرض تجعل الحصى متفرقا ، ولصلابة خفافها لاتحتاج إلى تنعيل يقيها الحجارة التى تكون فى رءوس الأكم ، فلا تحفى ولا ترق قدمها .

(٥) الأوب (بالفتح) : سرعة التقلب والرجوع . وعرقت : أى وقت عرقها لا لتعب ولا لإعياء ،

يَوْمًا يظلّ به الحِرْباءُ مُصْطَخِدًا كأنّ ضَاحِيَــهُ بالشّمْسِ مَمْلُولُ ١
وقال للقَوْمِ حادِيهِمْ وقد جَعَلت وُرْقُ الجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصا قِيلوا ٢
شَدَّ النّهارِ ذِرَاعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قامت فجاوَبَها نُكْدٌ مَثاكِيلُ ٣
نَوّاحة رِخْوَة الضَّبْعَين ليسَ لها لمّا نَعَى بِكْرَها النّاعون مَعْقولُ ٤

لما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة ، بل لشدة الحر . وتلفع : اشتمل والتحف . والقور (بضم القاف). جمع قارة ، وهى الجبل الصغير . والعساقيل : السراب : . يصف سرعة ذراعى ناقته فى وقت الهاجرة وانتشا السراب فوق صغار الجبال . وسيأتى ذكر المشبه به فى البيت الثالث بعد هذا ، وهو خبر كأن . وهذا البيت متأخر عن البيتين التابعين له فى ا .

(١) الحرباء (بالكسر) : ضرب من العظاء ، يستقبل الشمس حيثما دارت ، ويتلون بألوان الأمكنة التى يحل فيها . ومصطخدا : محترقا بحر الشمس ، ويروى : « مصطخما » ، أى منتصبا قائما ، كما يروى « مرتبئا » أى مرتفعا . وضاحيه : ما برز للشمس منه . ومملول : موضوع فى الملة ، وهى الرماد الحار. يريد أن الجبال الصغار تلفعت بالسراب فى يوم يصير فيه الحرباء محترقا بالشمس ، كأن البارز للشمس فى أوب ذلك اليوم من ذلك الحيوان خبز معمول بالملة .

(٢) الحادى : السائق للإبل . والورق : جمع أورق أو ورقاء ، وهو الأخضر الذى يضرب إلى السواد . وقيل : الورقة: لون يشبه لون الرماد . والجنادب : جمع جندب (بضم الدال وتفتح) ضرب من الجراد . وقيل الجراد الصغير ؛ وإنما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة ، البعيدة من الماء . ويركضن الحصى : يحركنه بأرجلهن لقصد النزول ، بسبب الإعياء عن الطيران ، من شدة الحر. وقيلوا: أمر من قال يقيل قيلولة ، وهى الاستراحة فى وقت شدة الحر . والمراد أن هذا اليوم أشد حرا حتى إن الحادى الذى من شأنه أن ينشط الإبل قال للقوم : قيلوا واستريحوا .

(٣) شد النهار : وقت ارتفاعه ، وهو مبالغة فى شدة الحر. والعيطل : الطويلة . والنصف: المتوسطة فى السن ، وذلك حين استكمال قوتها ، وبلوغ أشدها ، فتكون أسرع فى الحركة ، وأمكن فى القوة . والنكد جمع نكداء ، وهى التى لايعيش لها ولد . والمثاكيل: جمع مثكال بالكسر ، وهى الكثيرة الثكل . فى هذا البيت والبيت السابق الذى أوله « كأن » يشبه سرعة حركة يدى هذه الناقة بسرعة حركة يدى المرأة الطويلة المتوسطة فى السن : فى اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها ، يجاوبها نسوة لا يعيش أولادهن ، فيشتد خملها ، ويقوى ترجيع يديها عند النياحة ، لرؤية حزن غيرها ، وشدة لطمهن .
ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى (ا) .

أوْبُ يَدَيْ فاقدٍ شَمْطاءَ مُعْوِلَةٍ

والفاقد التى فقدت ولدها . والشمطاء التى خالطها الشيب . والمعولة : الرافعة صوتها بالبكاء .
(٤) النواحة : الكثيرة النوح على ميتها . ورخوة الضبعين : مسترخية العضدين . والبكر بالكسر :

تَفْرِى اللَّبانَ بكَفَّيْها ومِدْرَعُها … مُشَقَّقٌ عن تَراقيها رَعابيلُ[١]

تَسْعَى الغُواة جَنابَيها وقولُهم … إنَّك يا ابنَ أبى سُلْمَى لَمَقْتُولُ[٢]

وقالَ كلُّ صَديقٍ كُنتُ آمُلُه … لا أُلْهِيَنَّكَ إنى عنكَ مَشْغُولُ[٣]

فقُلتُ خَلُّوا سَبِيلى لا أبا لكمُ … فكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمنُ مَفْعُولُ[٤]

كلُّ ابنِ أُنثى وإن طالت سلامتُه … يَوْماً على آلَةٍ حَدْباء مَحْمولُ[٥]

نُبِّئْتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعَدنى … والعَفْو عند رسولِ اللهِ مأْمُولُ[٦]

مَهْلاً هَداكَ الذى أعْطاكَ نافِلَةَ الـ … ـقرآن فيها مَواعيظٌ وتَفْصِيلُ[٧]

أول الأولاد . والناعون : المخبرون بالموت ، النادبون له . والمعقول (هنا) : العقل ، وهو من المصادر التى جاءت على « مفعول » كمعور وميسور ومفتون . يريد أن هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها ، مسترخية العضدين ، فيداها سريعتان فى الحركة ، ولما أخبرها الناعون بموت أول أولادها لم يبق لها عقل ، فهى لاتحس بالإعياء والتعب ، شأن هذه الناقة التى لاتحس بإعياء ولا تعب فى سيرها .

(١) تفرى: تقطع . واللبان : الصدر . والمدرع : القميص . ورعابيل : قطع متفرقة ، وهو جمع رعبول . يريد أن هذه المرأة تقطع مدرعها بأناملها لذهاب عقلها ، فقميصها مشقوق عن عظام صدرها قطعا كثيرة . يشبه الناقة بهذه المرأة فى أن كلا منهما مسلوب الإدراك ، فلا يحس بما يلاقى من مشقة وشدة .

(٢) الغواة : المفسدون ، جمع غاو . جنابيها : حواليها ، تثنية جناب (بفتح الجيم) . ومقتول : أى متوعد بالقتل ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد أهدر دمه . ورواية هذا البيت فى ا :

تمشى الغواة بجنبيها وقولهم . . . . الخ

(٣) آمله : أؤمل خيره وأترجى إعانته فى الملمات . وألهينك : أشغلنك . (لا) فيها : نافية ، والتوكيد قليل مع النفى . والمعنى : لا أشغلك عما أنت فيه من الخوف والفزع ، بأن أسهله عليك وأسليك ، فاعمل لنفسك ، فإنى لا أغنى عنك شيئا ، وقد يكون الكلام مثبتا ، واللام فيه للقسم ، أى والله لأجعلنك مشغولا عنى ، فلا تطلب منى نصرة أو معونة . ويروى هذا البيت :

« وقال كل خليل . . . . . الخ »

(٤) خلوا سبيلى : اتركوه . وقوله : لاأبا لكم : ذم لهم ، لكونهم لم يغنوا عنه شيئا ، أو مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء .

(٥) الآلة الحدباء : النعش الذى يحمل عليه الميت . يقول : كل إنسان صائر إلى الموت طالت سلامته أو قصرت ، فلا يشمت بى أحد إذ هلكت .

(٦) نبئت : أخبرت . ويروى : « أنبئت » . وأوعدنى : تهددنى بالقتل . ومأمول : مرجو ومطموع فيه .

(٧) هداك : زادك هدى ، أو هداك الله للصفح والعفو عنى ، فيكون على هذا البيت داعيا لنفسه . والنافلة : الزيادة ، وسمى القرآن نافلة لأنه عطية زائدة على النبوة .

لا تأخذَنّي بأقوالِ الوُشاةِ ولَمْ   أُذْنِبْ ولو كثُرت فيَّ الأقاويلُ ١

لقد أقومُ مقاما لو يقُومُ به   أرى وأسمعُ ما لو يسْمعُ الفيلُ ٢

لظَلّ يرْعَدُ إلا أنْ يكون له   منَ الرَّسول بإذْنِ الله تَنْوِيلُ ٣

حتى وضعتُ يميني ما أُنازعُه   في كفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُه القيلُ ٤

فلَهْوَ أخوفُ عندي إذْ أكلّمُه   وقيلَ إنّكَ منْسوبٌ ومسْئُولُ ٥

(١) هذا البيت من تتمة الاستعطاف والتلطف في القول ، فلا ، وإن كانت ناهية بحسب وضعها ، لكن المراد منها التضرع والتذلل . والمعنى : لاتستبح دمى بسبب أقوال الوشاة الساعين بيني وبينك بالإفساد والكذب والبهتان .

(٢) لقد أقوم : معناه : والله لقد أقوم مقاما ، فهو جواب قسم محذوف . ويروى : « إني أقوم مقاما » والأولى أبلغ للقسم . والمقام (هنا) مجلس النبي . والمراد بالقيام فيه حضوره ، والمعنى على المضى أي لقد حضرت مجلسا .

(٣) يرعد : تأخذه الرعدة ، ويصح بناؤه للمفعول . والتنويل : التأمين . والمعنى : لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع ، وإنما خصه بذلك لأنه أراد التعظيم والتهويل ، والفيل أعظم الدواب جثة وشأنا . إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تأمين يسكن به روعه ، وتثبت به نفسه . ورواية هذا البيت في ا :

لظل ترعد من وجد بوادره   إن لم يكن من رسول الله تنويل

والوجد : شدة الحزن . والبوادر : اللحم الذي بين العنق والكتف

زادت (ا) بعد هذا البيت :

ما زلتُ أقتطعُ البيداءَ مُدّرِعا   جُنْحَ الظلامِ وثوبُ الليلِ مسْبُولُ

(٤) حتى وضعت : أي فوضعت . وخص اليمين لأن الأشياء الشريفة تفعل باليمين . ولا أنازعه : أي حال كوني طائعا له ، راضيا بحكمه ، في غير منازع له ولامخالف . والنقمات (بفتح فكسر) جمع نقمة والمراد بصاحب النقمات : النبي صلى الله عليه وسلم . لأنه كان ينتقم من الكفار ، فكان شديد السطوة والإغلاظ فيهم . وقيله : قوله . والمراد أن قوله معتد به لكونه نافذا ماضيا . يشير بالبيت إلى حاله مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو في المسجد ، ووضع يده في يده يستأمنه .

(٥) أخوف : أشد إخافة وإرهابا . ومنسوب : أي إلى أمور صدرت منك ، كقولك لأخيك بحير : « سقاك بها المأمون » . . . الخ . ومسئول : أي عن سببها ، أو مسئول عن نسبك ، فكأنه يقول : من قبيلتك التي تجيرك مني ؟ ومن قومك الذين يعصمونك مني ؟ فقد تبرءوا منك ، وتخلوا عنك . ويروى : « لذاك أهيب » و « فذاك أهيب » و « لكان أهيب » و « فلهو أخوف » . ويروى : « أرهب » مكان : « أهيب » .

مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأرضِ مُخْدَرُهُ . . . فى بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونهُ غِيلُ (١)

يَغْدُو فيُلْحِمُ ضِرْغامَين عيشُهما . . . لحمٌ من النَّاسِ مَعْفُورٌ خَرَاديلُ (٢)

إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يَحِلُّ لهُ . . . أن يترُكَ القِرْنَ إلا وهو مَفْلُولُ (٣)

منه تَظَلُّ سِباعُ الجوِّ نافرةً . . . ولا تَمَشَّى بواديه الأراجيلُ (٤)

ولا يَزالُ بوَاديه أخُو ثِقَةٍ . . . مُضَرَّجُ البزِّ والدُّرْسانِ مَأكولُ (٥)

إنَّ الرَّسولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ به . . . مُهَنَّدٌ من سُيوفِ اللهِ مَسلولُ (٦)

---

(١) ضيغم : أسد . وضراء الأرض : الأرض التى فيها شجر . والمخدر : غابة الأسد . وعثر (بفتح العين وتشديد المثلثة) : اسم مكان مشهور بكثرة السباع . والغيل : الشجر الكثير الملتف . وغيل دونه غيل : أى أجمة تقربها أجمة أخرى ، فتكون أسدها أشد توحشا ، وأقوى ضراوة . يريد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهيب من أسود عثر فى آجامها . وفى رواية « من خادر » . والخادر : الأسد الداخل فى خدره ، وهو حينئذ يكون أشد قوة وبأسا .

(٢) يغدو : يخرج فى أول النهار يتطلب صيدا لشبليه . وفى رواية : « يغذو » بالذال : أى يطعم . ويلحم : يطعمهما اللحم . والضرغام : الأسد . ويريد بالضرغامين شبليه . ومعفور : ملقى فى العفر ، وهو التراب . ووصفه بذلك لكثرته وعدم اكتراثه به لشبعه . وخراديل : قطع صغار . يصف هذا الأسد بكثرة الافتراس ، وعظم الاصطياد .

(٣) يساور : يواثب . والقرن (بكسر القاف) : المقاوم فى الشجاعة . وفى ذكر القرن إشارة إلى أن هذا الأسد لايساور ضعيفا ولاجبانا ، وإنما يساور مقاومه فى الشجاعة ، ومساويه فى القوة . والمفلول : المكسور المهزوم .

(٤) الجو : اسم موضع ، أو هو ما اتسع من الأودية ، أو مابين السماء والأرض . ونافرة : بعيدة ، ويروى : « ضامزة » والضامز : الذى يمسك جرته بفيه ولايجتر . ويروى « ضامرة » أى جياعا لعدم قدرتها على الاصطياد . والأراجيل : الجماعات من الرجال ، وهو جمع أرجال ، وأرجال : جمع رجل ، ورجل : اسم جمع لراجل ، يصف هذا الأسد بالقوة ، حتى خافته السباع والناس .

(٥) أخو ثقة : الشجاع الواثق بشجاعته . ومضرج : مخضب بالدماء . ويروى : « مطرح » ، أى مطروح . والبز : السلاح والدرسان (بضم الدال) : أخلاق الثياب الواحد دريس ومأكول : أى طعام لذلك الأسد . يريد أنه لايمر بوادى هذا الأسد شجاع إلا أكله وطرح ثيابه التى مزقها ، فلا يولع إلا بالشجعان ، ولا يلتفت لغيرهم .

(٦) يستضاء به : يهتدى به إلى الحق . ويروى : « لسيف » فى مكان « لنور » وقد كانت عادة العرب إذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم أن يشهروا السيف الصقيل ، فيبرق ، فيظهر لمعانه من بعد فيأتون إليه ، مهتدين بنوره ، مؤتمين بهديه . شبه الرسول بذلك . والمهند : السيف المطبوع فى الهند ، وسيوف الهند قديما أحسن السيوف . ومن سيوف الله : أى من سيوف عظمها الله بنيل الظفر والانتقام والمسلول : المخرج من غمده .

فى عُصْبَةٍ مِن قُرَيشٍ قال قائلُهم ... ببَطْن مكَّةَ لمَّا أسْلَمُوا زُولُوا[١]

زالُوا فمَا زال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عنــد اللِّقاء ولا مِيلٌ مَعازِيلُ[٢]

شُمُّ العــرانين أبْطال لَبُوسُهُمُ ... من نَسْجِ داوُد فى الهَيْجا سَرَابيلُ[٣]

بِيضٌ سَوَابِغُ قد شُكَّتْ لهَا حَلَقٌ ... كأنها حَلَقُ القَفْعاء مَجْــدُولُ[٤]

ليسُوا مَفاريح إن نالت رِماحُهُمُ ... قَوْمًا وليسُوا مَجَازِيعا إذا نِيــلوا[٥]

يَمْشون مَشْىَ الجمال الزُّهْر يَعصِمهم ... ضَرْبٌ إذا عَرَّد السُّودُ التَّنابِيلُ[٦]

لا يَقَع الطَّعْنُ إلا فى نُحــورهِمُ ... وما لَهُم عَن حِياض الموت تَهليلُ[٧]

---

(١) العصبة : الجماعة ويروى : « فى فتية » جمع فتى ، وهو السخى الكريم . وزولوا : فعل أمر من زال التامة ، أى تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٢) الأنكاس : جمع نكس (بالكسر) وهو الرجل الضعيف . والكشف (بضم فسكون وحرك للشعر) : جمع أكشف ، وهو الذى لاترس معه ، أوهم الشجعان الذين لاينكشفون فى الحرب ، أى لاينهزمون والميل : جمع أميل ، وهو الذى لاسيف له أوهو الذى لايحسن الركوب فيميل عن السرج . والمعازيل الذين لاسلاح معهم واحدهم معزال (بكسر الميم) .

(٣) شم : جمع أشم ، وهو الذى فى قصبة أنفه علو ، مع استواء أعلاه . والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف . وصفهم بهذا الوصف إما على الحقيقة لأن ارتفاع الأنف من الصفات المحمودة فى خلق الإنسان ؛ وإما على المجاز ، يريد ارتفاع أقدارهم ، وعلو شأنهم . واللبوس : ما يلبس من السلاح . ونسج داود : أى أى منسوجه ، وهو الدروع . والهيجا (بالقصر هنا) : الحرب . والسرابيل : جمع سربال ، وهو القميص أو الدرع . ووصفها بأنها من نسج داود دليل على مناعتها .

(٤) بيض : مجلوة صافية مصقولة ، لأن الحديد إذا استعمل لم يركبه الصدأ . والسوابغ : الطوال السوابل ، ويلزم من طول الدروع قوة لابسها ، إذ حملها مع طولها يدل على القوة والشدة . وشكت : أدخل بعضها فى بعض ، ويروى : « سكت » بمعنى ضيقت . والقفعاء : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض ، تشبه به حلق الدروع . ومجدول : محكم الصنعة .

(٥) مفاريح : كثيرو الفرح . ونالوا : أصابوا . ومجازيع : كثيرو الجزع . ويروى : « لايفرحون .... الخ » .

(٦) الزهر : البيض . يصفهم بامتداد القامة ، وعظم الخلق ، والرفق فى المشى ، وبياض البشرة ، وذلك دليل على الوقار والسؤدد . ويعصمهم : يمنعهم . وعرد : فر وأعرض عن قرنه وهرب عنه . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو القصير .

(٧) وقوع الطعن فى نحورهم : دليل على أنهم لاينهزمون حتى يقع الطعن فى ظهورهم . وحياض الموت : موارد الحتف ، يريد بها ساحات القتال . وتهليل : تأخر . ويروى « فما لهم عن حياض الموت » بالصاد المهملة ، جمع حوص بمعنى مضايقه وشدائده .

قال ابن هشام : قال كَعْب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة : وبيته : « حَرْف أخوها أبوها » وبيتُه : « يمشى القُرَاد » وبيته : « عَيْرانةٌ قُذِفَتْ » ، وبيته : « تُمِرُّ مثلَ عَسِيبِ النَّخْل » ، وبيته : « تَفْرِى اللَّبان » ، وبيته : « إذا يُساوِرُ قِرْنًا » ، وبيته : « ولا يزال بواديه » : عن غير ابن إسحاق .

(استرضاء كعب الأنصار بمدحه إياهم) :

قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عُمَر بن قَتادَة : فلما قالَ كعْبٌ : « إذا عرَّدَ السُّودُ التَّنابيل » ، وإنما يريدُنا معْشَرَ الأنصارِ ، لِمَا كان صاحبنا صنعَ به ما صنع[1] ، وخصَّ المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحته ، غضبَت عليه الأنصار ؛ فقال بعد أن أسْلم يَمْدَحُ الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضِعَهُم من اليَمَن :

مَن سَرَّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزَلْ ... فى مِقْنَبٍ من صالحى الأنصارِ[2]

ورِثُوا المَكارِمَ كابِرًا عَن كابِرٍ ... إنَّ الخِيارَ هُمُ بنُو الأخْيارِ

المُكْرِهــين السَّمْهرِىَّ بأذرعٍ ... كَسَوَالِف الهندىِّ غير قِصارِ[3]

والنَّاظِرِينَ بأعْــيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كالجَمْرِ غــير كَليلة الأبْصارِ

والبائعــينَ نُفوسَهُم لنبيِّهم ... للمَوْتِ يومَ تعانُقٍ وكِرَارِ

والقائدينَ[4] النَّاسَ عن أدْيانِهِمْ ... بالمَشْرَفِىِّ وبالقَنا الخَطَّارِ[5]

يتطهَّرُون يَرَوْنَهُ نُسْكا لَهُم ... بدِماءِ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الكُفَّارِ

دَرِبوا كما دَرِبَتْ ببطْنِ خَفِيَّةٍ ... غُلْبُ الرقاب من الأسود ضَوَارِى[6]

---

(١) هذه الكلمة : « ما صنع » ساقطة فى ا .

(٢) المقنب : الجماعة من الخيل . يريد به القوم على ظهور جيادهم .

(٣) السمهرى : الرمح . وسوالف الهندى : يريد حواشى السيوف ؛ وقد يراد به الرماح أيضا لأنها قد تنسب إلى الهند .

(٤) كذا فى م ، ر . وقد شرحها أبو ذر على أنها « والذائدين » بمعنى المانعين والدافعين

(٥) المشرفى : السيف . والقنا : الرماح ، جمع قناة . والخطار : المهتز . وهذا البيت ساقط من ا .

(٦) دربوا : تعودوا . وخفية : اسم مأسدة . وغلب الرقاب : غلاظ الأعناق . وضوارى : متعودات الصيد والافتراس .

وإذا حَلَلْتَ لِيَمْنَعوك إليهمُ أصْبَحْتَ عنـد مَعاقل الأعفارِ[١]
ضَرَبُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرٍ ضَرْبَةً دانَتْ لوَقْعَتِها جميعُ نِزَارِ[٢]
لو يعـلَمُ الأقوامُ عِلْمِىَ كلَّه فيهم لصَدَّقنى الذين أُمارِى[٣]
قوْمٌ إذا خوَتِ النُّجومُ فإنهم للطَّارِقين النَّازِلينَ مَقارِى[٤]
فى الغُرِّ مِن غسَّانَ من جُرْثومةٍ أعْيَتْ مَحافِرُها على المِنْقارِ[٥]

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : « بانتْ سُعادُ فقلبى اليوْم متبول » : لَوْلا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب هذه الأبيات ، وهى فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وذكر لى عن علىّ بن زيد بن جُدْعان أنه قال : أنشد كَعْب ابن زُهَيْر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

« بانَتْ سُعادُ فقلبى اليومَ مَتْبول[٦] »

غزوة تبوك

فى رجب سنة تسع

(أمر الرسول الناس بالتهيؤ لتبوك) :

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثمّ أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مابين

---

(١) المعاقل : جمع معقل ، وهو الموضع الممتنع . والأعفار : جمع عفر ، وهو ولد الوعل ، ويضرب المثل بامتناع أولاد الوعول فى قلل الجبال .

(٢) عليا : يريد على بن مسعود بن مازن الغسانى ، وإليه تنسب بنو كنانة ، لأنه كفل ولد أخيه عبد مناة بن كنانة بعد وفاته ، فنسبوا إليه .

(٣) أمارى : أجادل .

(٤) خوت النجوم : أى سقطت ولم تمطر فى نوئها . والطارقون : الذين يأتون بالليل . والمقارى : جمع مقراة ، وهى الجفنة التى يصنع فيها الطعام للأضياف . يريد أنهم إذا انحبس المطر ، واشتد الزمان ، وعم القحط ، يكونون أصحاب قصاع لقرى للأضياف الذين يطرقونهم ، وينزلون بهم .

(٥) هذا البيت ساقط من (١) .

(٦) إلى هنا ينتهى الجزء السابع عشر من أجزاء السيرة .

ذى الحجَّة إلى رجب ، ثم أمر الناسَ بالتَّهيُّؤ لغزو الروم ؛ وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رُومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمَر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ حدث فى غزوة تبوكَ مابلغه عنها ، وبعضُ القوم يحدّث ما لايحدّث بعض : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتَّهيُّؤ لغزو الروم ، وذلك فى زَمان من عُسْرة الناس ، وشدّة من الحرّ ، وجدْبٍ من البلاد : وحين طابت الثمار ، والناس يُحبّون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشُّخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّما يخرج فى غزوة إلا كَنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يَصْمِدُ له [1] ، إلا ما كان من غزوة تَبوكَ ، فانه بيَّنها للناس ، لبُعد الشُّقَّة [2] ، وشدة الزمان ، وكثرة العدوّ الذى يصْمد له ، ليتأهب الناس لذلك أُهْبَته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

(تخلف الجد وما نزل فيه) :

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجدّ بن قيس أحد بنى سَلِمَة : يا جَدّ ، هل لك العام فى جِلاد بنى الأصفر [3] ؟ فقال : يا رسول الله ، أوَ تأذنُ لى ولا تَفتِنِّى ؟ فوالله لقد عرَف قومى أنه مامن رجل بأشدّ عُجْبا بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيتُ نساءَ بنى الأصفر أن لاأصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنتُ لك . ففى الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى وَلا تَفْتِنِّى ، ألا فِى الفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرِينَ » . أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : « وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَرَائِهِ » :

---

(١) يصمد : يقصد .

(٢) الشقة : بعد المسير .

(٣) بنى الأصفر : يريد الروم .

(ما نزل فى القوم المثبطين) :

وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لاتَنْفِروا فى الحرّ ، زهادة فى الجهاد ، وشكًّا فى الحقّ ، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : « وَقالُوا لاتَنْفِرُوا فِى الحَرِّ ، قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ » .

(تحريق بيت سويلم وشعر الضحاك فى ذلك) :

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة عمن حدّثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، أنّ ناسا من المُنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيْلِم اليهودىّ ، وكان بيته عند جاسومَ [1] ، يُثَبِّطونَ النَّاسَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوكَ ، فبعث إليهم النبىُّ صلى الله عليه وسلم طلحةَ بن عُبيد الله فى نفَر من أصحابه ، وأمَرَهُ أن يُحرّق عليهم بيت سُوَيلم ، ففعل طلحة . فاقتحم الضَّحاكُ بنُ خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا . فقال الضحاك فى ذلك :

كادَتْ وبَيْتِ الله نارُ محمَّــدٍ يَشِيطُ بها الضَّحَّاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ [2]
وظَلْتُ وقد طبَّقتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ أنوءُ على رجْلى كَسِيرًا ومِرْفَقِى [3]
سَــلامٌ عليكم لا أعودُ لِمِثْلِها أخاف ومن تَشْمل به النارُ يُحْرَقِ

(حث الرسول على النفقة وشأن عثمان فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ فى سفره ، وأمَرَ الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهلَ الغنى على النَّفقة والحُمْلان [4] فى سبيل

---

(١) جاسوم : اسم موضع .
(٢) يشيط : يحترق .
(٣) طبقت : علوت . والكبس (بكسر الكاف) : البيت الصغير .
(٤) الحملان : مصدر حمل يحمل ، وقد يراد به : ما يحمل عليه من الدواب (انظر اللسان) .

الله ، فحمَل رجالٌ من أهل الغنى واحتسبوا ١ ، وأنفق عثمان بن عفّان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحدٌ مثلَها .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به : أن عثمان بن عفّان أنفق فى جيش العُسْرة فى غزوة تَبُوك ألف دينار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ ارضَ عن عثمان ، فإنى عنه راض .

(شأن البكائين) :

قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكّاءون ، وهم سبعةُ نفَر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عَوْف : سالمُ ابن عُمَير ، وعُلْبَة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليْلى عبدُ الرحمن بن كَعْب ، أخو بنى مازن بن النَّجَّار ، وعمرو بن حُمام بن الجَموح ، أخو بنى سَلِمة ، وعبدُ الله ابن المغفّل المُزَنىّ — وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزنىّ — وهَرَمىّ ابن عبد الله ، أخو بنى واقف ، وعِرْباضُ بن سارية الفَزَارىّ . فاستحملوا ٢ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهْلَ حاجة ، فقال : لا أجد ما أحمِلكم عليه ، فتولَّوْا وأعينهم تفيض من الدَّمع حزَنا ألاّ يجدوا ما يُنفقون ٣ .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أنّ ابنَ يامين بن عُمَيْر ٤ بن كَعْب النَّضْرى لَقِىَ أبا ليْلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفَّل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضحا ٥ له ، فارتحلاه ، وزوّدهما شيئا من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(شأن المعذرين) :

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذِرهم الله تعالى . وقد ذُكر لى أنهم نَفَرٌ من بنى غفار .

---

(١) احتسبوا : أخرجوا ذلك حسبة ، أى جعلوا أجر ما بذلوا عند الله .

(٢) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه .

(٣) فى تسمية بعض البكائين خلاف فليراجع فى شرح الزرقانى على المواهب اللدنية .

(٤) فى الزرقانى على المواهب اللدنية : « لقى يامين بن عمرو » .

(٥) الناضح : الجمل الذى يستقى عليه الماء .

(تخلف نفر من غير شك) :

ثم استتب [١] برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفرٌ من المسلمين أبطأتْ بهم النيةُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شكٍّ ولا ارتياب ؛ منهم : كعبُ بن مالك بن أبي كعب ، أخو بني سَلِمة ومُرارة بن الربيع ، أخو بني عمرو بن عوف ، وهلالُ بن أميَّة ، أخو بني واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بني سالم بن عوْف . وكانوا نفر صِدق ، لا يتّهمون في إسلامهم .

(خروج الرسول واستعماله على المدينة) :

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكرَه على ثنيَّة الوداع [٢] .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمدَ بن مَسْلَمةَ الأنصاريَّ .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْديّ [٣] عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مَخْرَجه إلى تبوكَ ، سباعَ بن عُرْفُطَة .

(تخلف المنافقين) :

قال ابن إسحاق : وضرب عبدَ الله بن أبيّ معه على حِدَة عسكرَه أسفل منه ، نحو ذُباب [٤] ، وكان فيما يزعمون ليس بأقلّ العسكرين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبيّ ، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب .

(شأن علي بن أبي طالب) :

وخلّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه ، على أهْلِه ، وأمَرَه بالإقامة فيهم ، فأرجَف به المنافقون ، وقالوا : ما خلّفه إلا استثقالا له ، وتخفُّفا منه . فلما قال ذلك المنافقونَ ، أخذ عليّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجُرْف [٥] ، فقال : يا نبيّ الله ، زَعَم المنافقون أنّكَ إنّما خلّفتني أنك استثقلتني

---

(١) استتب : تتابع واستمر .

(٢) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة .

(٣) في ا : « الأندراوردي » وهي رواية فيه ، والمشهور ما أثبتناه . (راجع شرح أبي ذر) .

(٤) ذباب : (بالكسر والضم) : جبل المدينة .

(٥) الجرف : (بالضم ثم السكون) : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

وتخفّفَت منى ؛ فقال : كذبوا ، ولكنى خلّفتُك لما تركتُ ورائى ، فارجع فاخلُفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا علىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لانبىّ بعدى ، فرجع علىّ إلى المدينة ؛ ومَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سفره :

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمدُ بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقّاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلىّ هذه المقالة .

(شأن أبى خيثمة)

قال ابن إسحاق : ثم رجع علىّ إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره ، ثم إن أبا خَيْثمةَ رجع بعد أن سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيّاما إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجَد امرأتين له فى عريشين [١] لهُما فى حائطه [٢] ، قد رشّت كلُّ واحدة منهما عريشها ، وبرّدت له فيه ماءً ، وهيأت له فيه طعاما . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وماصنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحِّ [٣] والرّيح والحرّ ، وأبو خيثمة فى ظلّ بارد ، وطعام مهيّأ ، وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ، ما هذا بالنَّصَف ! ثم قال : والله لاأدخُلُ عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لى زادا ، ففعلتا . ثم قدّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تَبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عُمَيرُ بن وهب الجُمحىّ فى الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوَا من تبوك . قال أبوخيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تخلّفَ عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى إذادنا . من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب

---

(١) العريش : شبيه بالخيمة ، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٢) الحائط : البستان .

(٣) الضح : (بالكسر) : الشمس .

على الطريق مُقْبل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا : يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوْلى لكَ [1] يا أبا خيثمة . ثم أخبرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك شعرا [2] ، واسمه مالك بن قَيْس :

لمَّا رأيتُ النَّاسَ فى الدين نافَقُوا ... أتيتُ التى كانَتْ أعَفَّ وأكْرَما
وبايَعْتُ باليُمْنَى يدى لمُحَمَّد ... فلم أكتسِبْ إثْما ولم أغْشَ مَحْرَما
تركتُ خضيبا فى العَريش وصِرمَةً ... صَفَايا كِرَاما بُسْرُها قد تحمَّما [3]
وكنتُ إذا شكَّ المنافقُ أسمَحَتْ ... إلى الدين نفسى شطرَه حيثُ يَمَّما [4]

(النبى والمسلمون بالحجر) :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرَّ بالحِجْر نزلها ، واستقَى الناسُ من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا تتوضَّئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعْلِفُوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يَخرُجنَّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدُهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فانه خُنِق على مَذْهبه ؛ وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيِّئ . فأُخْبِر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنْهَكم

---

(١) أولى لك : كلمة فيها معنى التهديد . وهى اسم سمى به الفعل ، ومعناها فيما قال المفسرون : دنوت من الهلكة .

(٢) هذه الكلمة : « شعرا » ساقطة فى ا .

(٣) الخضيب : المخضوبة . والصرمة : جماعة النخل . وصفايا : كثيرة الحمل ؛ وأصله فى الإبل ، يقال : ناقة صفى ، إذا كانت غزيرة الدر ، وجمعها صفايا . والبسر : التمر قبل أن يطيب . وتحمما : أى أخذ فى الإرطاب فاسود .

(٤) أسمحت : انقادت . وشطره : نحوه وقصده .

أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحبُه ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى ؛ وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيىء ، فان طيئا أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سَهل بن سعد الساعدىّ ؛ وقد حدثنى عبدُ الله بن أبى بكر أنْ قد سمَّى له العبَّاسُ الرجلين ، ولكنه استوْدَعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسمِّيَهُما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر سجَّى ثوبه على وجهه [١] ، واستحَثَّ [٢] راحلته ، ثم قال : لاتدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفا أن يُصيبكم مثلُ ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكَوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابةً فأمطرت حتى ارْتوَى الناس ، واحتملوا حاجتَهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النِّفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إنْ كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمِّه وفى عشيرته ، ثم يَلبسُ بعضُهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجالٌ من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ؛ فلما كان من أمر الناس [٣] بالحجر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السَّحابةَ ، فأمطرَت حتى ارْتوَى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : وَيْحَك ، هل بعد هذا شيء ! قال : سحابةٌ مارَّة .

(ناقة الرسول ضلت وحديث ابن اللصيت) :

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّتْ ناقته ، فخرج أصحابُه فى طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سجى ثوبه على وجهه : غطاه به .

(٢) استحث راحلته : استعجلها .

(٣) فى ا : «من أمر الماء» . وفى الزرقانى : «من أمر الحجر» نقلا عن ابن إسحاق .

رجل من أصحابه ، يُقال له عُمارة بن حزم ، وكان عَقَبيا بَدْرِيًّا ، وهو عم بنى عمرو بن حزم ، وكان فى رَحْله زيدُ بن اللُّصيت القَيْنُقاعى ، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لُصيب (بالباء) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا [1] : فقال زيد بن اللُّصَيت ، وهو فى رحل عُمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبى ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لايدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمَّدٌ يخبركم أنه نبيّ ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لايدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ماعلَّمنى الله وقد دلّنى الله عليها ، وهى فى هذا الوادى ، فى شِعب كذا وكذا ، قد حبستْها شجرةٌ بزمامها ، فانطلقُوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عُمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعَجَبٌ من شىء حدَّثَناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آنفا ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذى قال زيدُ بن لُصَيْت ؛ فقال رجل ممن كان فى رحل عُمارة ولم يحضُر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيدٌ والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى . فأقبل عُمارة على زيد يَجَأ فى عُنقه [2] ويقول : إلىَّ عباد الله ، إنَّ فى رحلى لداهيةً وما أشعر ، اُخْرُجْ أىْ عدوَّ الله من رحلى ، فلا تَصْحَبْنى .

(شأن أبى ذر) :

قال ابن إسحاق : فزعم بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس لم يزل مُتَّهَما بشَرّ حتى هَلك .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائرا ، فجعل يتخلَّفُ عنه الرجُل ، فيقولون : يارسول الله ، تخلَّف فلان ، فيقول : دعوه ، فان يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلَّف أبو ذرّ ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فان يك فيه

---

(١) هذا السند كله ساقط من ا .

(٢) يجأ فى عنقه : يطعنه فى عنقه .

خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غيرُ ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوَّم [١] أبو ذرّ على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فحمَله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا . ونزل رسول الله فى بعض منازله ، فنظر ناظرٌ من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُنْ أبا ذرّ [٢] . فلما تأمَّله القومُ قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذرّ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذرّ ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : فحدثنى بُرَيْدَة بن سفيانَ الأسلمىّ ، عن محمد بن كَعب القُرظى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمانُ أبا ذرّ إلى الرَّبَذَة [٣] ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحدٌ إلا امرأتُه وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلانى وكفِّنانى ، ثم ضَعانى على قارعة الطَّريق ، فأول رَكْب يمرّ بكم فقولوا : هذا أبو ذرّ صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفْنه . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبدُ الله بن مسعود فى رَهْط من أهل العراق عُمَّار ، فلم يرُعْهم إلا بالجنازة على ظهر الطَّريق ، قد كادت الإبل تَطؤُها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ عبد الله بن مسعود يبكى ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمشى وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبْعَث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْهُ ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إلى تَبوك .

(تخذيل المنافقين للمسلمين وما نزل فيهم) :

قال ابن إسحاق : وقد كان رَهْطٌ من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بنى عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبنى سَلمة ، يقال له : مُخَشِّن بن حُمَيِّر — قال ابن هشام : ويقال مَخْشِيّ — يُشيرون إلى رسول الله

(١) تلوم : تمكث وتمهل .
(٢) كن أبا ذر : لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الدعاء ، أى أرجو الله أن تكون أباذر .
(٣) الربذة : موضع قرب المدينة .

صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا! والله لكأنّا بكم غدا مُقَرّنين فى الحبال، إرجافا وترهيبا للمؤمنين، فقال مُخشّن بن حُمَيِّر: والله لوددت أنى أقاضَى على أن يُضْرب كلّ (رجل)[1] منّا مئة جلدة، وإنّا نَنْفَلِتُ أن يَنْزِل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – فيما بلغنى – لعمّار بن ياسر أدرك القوم، فانهم قد احترقُوا[2]، فسَلهم عما قالوا، فان أنكروا فقُل: بلى، قلتم كذا وكذا. فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم: فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحقَبها[3]: يا رسول الله، إنما كنّا نخوض ونلعب؛ فأنزل الله عزّ وجلّ: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنّ إِنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ». وقال مُخَشّن بن حُمَيِّر: يارسول الله، قعد بى اسمى واسم أبى؛ وكأن الذى عُفِى عنه فى هذه الآية مخشّن بن حُمَيِّر، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدا لايُعْلَم بمكانه، فقُتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر.

(الصلح بين الرسول ويحنة):

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تَبُوكَ، أتاه يُحَنّةُ بن رُؤبة، صاحب أيْلة، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه الجزْية، وأتاه أهل جَرباء وأذْرُح، فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا، فهو عندهم.

(كتاب الرسول ليحنة):

فكتب ليُحَنّةَ بن رؤبة:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ومحمدٍ النبيّ رسول الله ليُحَنّةَ

---

(١) زيادة عن ا.

(٢) كذا فى م، ر. واحترقوا: هلكوا، وذلك للذى كانوا يخوضون فيه. وفى ا «اخترقوا».

(٣) الحقب (بوزن سبب): حبل يشد على بطن البعير، سوى الحزام الذى يشد فيه الرحل.

ابن رُؤبة وأهل أيْلة ، سفُنهم وسيَّارتهم فى البرّ والبحر : لهم ذمَّة الله ، وذمَّة محمد النبىّ ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمَن أحدث منهم حدَثا ، فانه لايحول ماله دُونَ نفسه ، وإنه طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس ، وإنه لايحلّ أن يُمنَعوا ماء يَردونه ، ولا طريقا يُريدونه ، من برّ أو بحر ؟

(حديث أسر اكيدر ثم مصالحته) :

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أُكيْدِر دُومة ، وهو أُكيْدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدة كان ملكا عليها ، وكان نصرانيا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد البَقَر . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حِصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مُقْمِرة صَائِفة ، وهو على سَطْح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تَحُكّ بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قَطّ ؟ قال : لاوالله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لاأحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأُسْرِج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسَّان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقّتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قَبَاء من دِيباج مُخوَّص بالذَّهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرَ بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قَبَاء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يَلْمِسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمَناديل سعد بن مُعاذ فى الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالدًا قدم بأُكيْدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجِزية ، ثم خلَّى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فقال رجل من طيِّئ : يقال له بُجَيْرُ بن بُجْرَة ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يَصيد البقَر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تَبارَكَ سائِقُ البقَراتِ إنّى رأيْتُ الله يَهْدِى كلّ هادِ
فمَن يكُ حائداً عن ذى تَبوكٍ فإنّا قدْ أُمِرْنا بالجهادِ

(الرجوع إلى المدينة) :

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتَبوكَ بضع عشرة ليلة ، لم يُجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

(حديث وادى المشقق ومائه) :

وكان فى الطريق ماءٌ يخرج من وَشَل [1] ، ما يَرْوِى الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة ، بواد يُقال له وادى المُشَقَّق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبَقنا إلى ذلك الوادى [2] فلا يستقينّ منه شيئا حتى نأتيَه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم ير فيه شيئا . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ! ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحتَ الوشَل ، فجعل يصبّ فى يده ما شاء الله أن يَصُبَّ ، ثم نَضَحه به ، ومَسَحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء اللهُ أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إنّ له حسّاً كحسّ الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعُنّ بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

(وفاة ذى البجادين وقيام الرسول على دفنه) :

قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمىّ ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدّث ، قال : قُمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شُعْلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتّبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البِجادين

---

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا ؛ وهو أيضا القليل من الماء .
(٢) فى ا : ذلك الماء .

المزنىّ قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يُدَلِّيانه إليه ، وهو يقول : أدْنِيا إلىّ أخاكما ، فدَلَّياه إليه ، فلما هيأه لشِقّه قال : اللهمّ إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقولُ عبد الله بن مسعود : يا ليتنى كنتُ صاحب الحُفْرة .

(سبب تسميه ذا البجادين):

قال ابن هشام : وإنما سُمّى ذا البِجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويُضيقون عليه ، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره ، والبِجاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهرَب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريبا منه ، شقّ بجاده باثنين ، فاتَّزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذوالبِجادين لذلك ، . والبجاد أيضا : المِسْح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القَيس :

كأنّ أبانًا فى عَرانين[1] وَدْقه ... كبيرُ أُناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ

(سؤال الرسول لأبى رهم عن تخلف):

قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أُكَيمةَ اللَّيْثِىّ ، عن ابن أخى أبى رُهْمٍ الغِفارىّ ، أنه سمع أبا رُهْم كُلْثومَ بن الحُصَين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزَوْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تَبُوكَ ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا النعاس[2] فطَفِقْتُ أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيُفْزِعنى دنوّها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغَرْز[3] ، فطفقت أحُوزُ[4] راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمتْ راحلتى راحلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلُه فى الغَرْز ، فما استيقظت

---

(1) فى ا : « أفانين » .

(2) فى ا : « وألقى على النعاس » .

(3) الغرز للرحل : بمنزلة الركاب للسرج .

(4) أحوز : أبعد .

إلا بقوله : حَسِّ [١] ، فقلتُ : يا رسول الله ، استغفر لى . فقال : سر ، فجعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمَّن تخلَّف عن بنى غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألنى : مافعل النَّفَر الحُمْر الطِّوال الثِّطاط [٢] . فحدَّثته بتخلُّفهم . قال : فما فعل النَّفر السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا [٣] . قال : بلى ، الذين لهم نَعَمٌ بشَبَكة شَدَخ [٤] ؛ فتذكَّرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكُرْهم حتى ذكرتُ أنهم رهطٌ من أسلم كانوا حُلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهْطٌ من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منع أحد أولئك حين تخلَّف أن يَحمل على بعير من إبله امرأً نشيطا فى سبيل الله ؟ إنّ أعزَّ أهلى علىّ أن يتخلَّف عنى المهاجرون من قُرَيش والأنصارُ وغفارٌ وأسْلَمُ .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

(دعوتهم الرسول للصلاة فيه) :

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان [٥] بلد بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرار قد كانوا أتَوْه وهو يتجهَّز إلى تَبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنَّا قد بنينا مسجداً لذى العلَّة والحاجة والليلة المَطيرة والليلة الشاتية ، وإنَّا نُحبُّ أن تأتينا ، فتصلى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جَناح سَفَر ، وحال شُغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلَّينا لكم فيه .

---

(١) حس : كلمة معناها : أتألم ، يقولها الإنسان إذا أصيب بشىء . قال الأصمعى : هو بمعنى أوه .

(٢) الثطاط : جمع ثط ، وهو صغير نبات شعر اللحية .

(٣) فى ا : « هؤلاء منى » .

(٤) كذا فى الأصول ومعجم البلدان . وشبكة شدخ : ماء لأسلم من بنى غفار . وفى اللسان والنهاية لابن الأثير (شبك) : بشبكة جرح » . فيهما أنها موضع بالحجاز فى ديار غفار .

(٥) قال أبو ذر : « كذا وقع فى الأصل بفتح الهمزة ، والخشى يرويه بضم الهمزة حيث وقع » . وفى معجم ما استعجم للبكرى : أن نزل (بذى أروان) : موضع منسوب إلى البئر المتقدمة الذكر ، وأن الراء سقطت منه (١ : ٢٠٦ طبعة القاهرة) .

(أمر الرسول اثنين بهدمه) :

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخشم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومَعْن بن عدىّ ، أو أخاه عاصم بن عدىّ ، أخا بنى العَجْلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه ، فاهدماه وحرّقاه . فخرجا سريعَيْن حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرّقاه وهدّماه ، وتفرّقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن مانزل : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وكُفْرًا وتَفْرِيقا بينَ المُؤْمِنِينَ » . . . إلى آخر القصة .

(أسماء بناته) :

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذام بن خالد ، من بنى عبيد بن زَيْد ، أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أُخرج مسجد الشِّقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أُميَّة بن زيد ، ومعتِّب بن قُشَيْر ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بنى ضُبيعة بن زيد ، وعبَّاد بن حُنَيف ، أخو سهل بن حُنَيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجَمِّع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونَبْتَل بن الحارث ، من بنى ضُبيعة ، وبَحْزَج ، من بنى ضُبيعة ، وبجاد[1] بن عثمان ، من بنى ضُبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أميَّة (بن زيد)[2] رهط أبى لُبابة بن عبد المنذر .

(مساجد الرسول فيما بين المدينة إلى تبوك) :

وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تَبوك معلومةً مسماة : مسجدٌ بتبوك ، ومسجد بثنية مدران ، ومسجد بذات الزّراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخِطمِىّ ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البَتْراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشِّق ، شِق تارا ، ومسجد بذى الجِيفَة ، ومسجد

---

(١) قال أبو ذر : روى هنا بالباء والنون ، وبجاد (بالباء) قيده الدارقطنى .
(٢) زيادة عن ا .

بتَصَدْر حَوْضَى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصَّعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم ، وادى القُرى ، ومسجد بالرَّقْعة من الشَّقة ، شِقة بنى عُذرة ، ومسجد بذى المَرْوة ، ومسجد بالفَيْفاء ، ومسجد بذى خُشُب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

(نهى الرسول عن كلام الثلاثة المخلفين) :

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلَّف عنه رهطٌ من المنافقين ، وتخلَّف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق : كعب ابن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أميَّة ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لاتكلِّمُنَّ أحدًا من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلَّف عنه من المنافقين فجعلوا يَحْلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يَعْذِرهم الله ولا رسولُه . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

(حديث كعب عن تخلفه) :

قال ابن إسحاق : فذكر الزُهرىّ محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبدالرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصرُه ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلَّفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قطُّ ، غير أنى كنت قد تخلَّفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسولُه أحدا تخلَّف عنها ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عيرَ قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوّه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواثَقْنا على الإسلام ، وما أُحبّ أنّ لى بها مشهدَ بدر ، وإن كانت غزوةُ بدر هى أذْكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلَّفت عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبوك أنى لم أكن قطُّ أقْوَى ولا أيسر منى حين تخلَّفت عنه

فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قطّ حتّى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلّما يُريد غزوةً يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتّى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرّ شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، واستقبل غزو عدوّ كثير ، فجلّى للناس أمرَهم ليتأهّبوا لذلك أُهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لايجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول: لايجمعهم ديوان مكتوب.

قال كعب : فقلّ رجل يريد أن يتغيّب إلا ظنّ أنه سيخفى له ذلك ، ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحِبَّت الظِّلال ، فالناس إليها صُعْر[١] ؛ فتجهّز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهّز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهّز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتّى شمّر الناس بالجدّ ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهّز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتّى أسرعوا ، وتَفَرَّط[٢] الغزو ، فهممتُ أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلتُ ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعدَ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفتُ فيهم ، يَحزُننى أنى لاأرى إلا رجلا مغموصا[٣] عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى بلغَ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سَلِمة : يارسول الله ، حبسه بُرْداهُ ، والنّظر فى عِطْفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيرًا ؛ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) صعر : جمع أصعر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تعرض عنهم ، ولاتمل وجهك إلى جهة أخرى .

(٢) تفرط الغزو : أى فات وسبق .

(٣) مغموصا عليه : مطعونا عليه .

فلما بلغني ان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد توجَّه قافلاً من تبوك ، حضرني بَثِّى [١] ، فجعلت أتذكَّر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سَخْطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا وأستعين على ذلك كلَّ ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلَّ [٢] قادما زاح [٣] عنى الباطلُ ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدِم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلَّفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتَهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكِل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلَّمت عليه ، فتبسَّم تبسم المُغضَب ، ثم قال لى : تعاله ، فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلَّفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أُعطيت جدَلا . لكن والله لقد علمت لئن حدَّثتك اليوم حديثا كذبا لترضينَّ عنى ، وليُوشكنَّ الله أن يُسْخطك علىَّ ، ولئن حدثتك حديثا صدقا تجد علىَّ فيه ، إنى لأرجو عقْبَاى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منى حين تخلَّفت عنك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا هذا فقد صدقت فيه ، فقُمْ حتى يقْضى الله فيك . فقُمت ، وثار معى رجالٌ من بنى سلِمة ، فاتَّبعونى فقالوا لى : والله ماعلمناك كنتَ أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزتَ أن لاتكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلَّفون ، قد كان كافيك ذنبَك استغفارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوا الله مازالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأُكذِّب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ماقيل

---

(١) بثى : حزنى .

(٢) أظل : أشرف وقرب .

(٣) زاح عنى : ذهب وزال .

لك ؟ قلت : من هما ؟ قالوا : مُرارة بن الرّبيع العَمْرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن (أبى) [١] أُميّة الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين [٢] ، فيهما أُسوة ، فصمتّ حين ذكروهما لى ، ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيُّها الثلاثة ، من بين من تخلّف عنه ، فاجتنبَنا الناسُ ، وتغيّروا لنا ، حتّى تنكّرتْ لى نفسى والأرضُ ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بُيوتهما ، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرّك شفتَيه بردّ السلام علىّ أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأسارقه النظر ، فاذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىّ ، وإذا التفتُّ نحوَه أعرَض عنى ، حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المُسلمين ، مشَيتُ حتى تسوّرت [٣] جدار حائط أبى قَتادة . وهو ابن عمّى . وأحبُّ الناس إلىّ ، فسلّمت عليه ، فوالله ما ردّ علىّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحبّ الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعُدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسوّرت الحائط ، ثم غدوت إلى السُّوق ، فبينا أنا أمشى بالسُّوق ، إذا نَبَطىّ [٤] يسأل عنى من نَبَط الشام ، ممن قَدِم بالطعام [٥] يَبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلّ على كَعْب ابن مالك ؟ قال : فجعل الناس يُشيرون له إلىّ ، حتى جاءنى ، فدفع إلىّ كتابا من ملك غسّان . وكتب كتابا فى سَرَقة [٦] من حرير ، فاذا فيه : « أما بعد ، فانه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يَجعلك الله بدار هَوان ولا مَضْيعة ، فالحقْ

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى الزرقانى بعد صالحين : « قد شهدا بدرا ، لى فيها أسوة » .

(٣) تسورت : علوت .

(٤) النبطى : واحد النبط ، وهم قوم من الأعاجم .

(٥) الطعام (هنا) : القمح .

(٦) السرقة : الشقة من الحرير .

بنا نُواسِيك »[1] . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فىّ رجلٌ من أهل الشرك . قال : فعَمَدت بها إلى تَنُّور ، فَسَجَرْته[2] بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله يأتينى ، فقال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أطلِّقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تَقْرَبها ، وأرسل إلىّ صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يَقْضى الله فى هذا الأمر ماهو قاض . قال : وجاءت امرأةُ هلال بن أُمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخٌ كبيرٌ ضائع لاخادم له ، أفتكره أن أخدمَه ؟ قال : لا ، ولكن لايَقْرَبنك ؛ قالت : والله يارسول الله مابه من حَرَكة إلىّ ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوّفت على بصره . قال : فقال لى بعضُ أهلى : لو استأذنت رسولَ الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أميَّة أن تخدُمه ؛ قال : فقلت : والله لاأستأذنه فيها ، ما أدرى ما يقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابّ ؛ قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نَهَى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صلّيت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منّا ، قد ضاقت علينا الأرضُ بما رَحُبَت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خَيْمة فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : ياكعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء الفَرَج

(توبة الله عليهم) :

قال : وآذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس بتَوْبة الله علينا حين صلّى

---

(١) قال ابن الأثير فى النهاية : « المواساة : المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق وأصلها الهمز ، فقلبت واوا ، تخفيفا .

(٢) جرته . لهبه .

الفجر ، فذهب الناس يبشّروننا ، وذهب نحو صاحبيّ مبشّرون ، وركض رجل إليّ فرسا ، وسَعَى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرعَ من الفرس ؛ فلما جاءنى الذى سمعت صوتَه يبشّرنى ، نزعت ثوبىّ ، فكسوتهما إيّاه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقّانى الناس يبشّروننى بالتَّوْبة ، يقولون : ليَهْنِكَ توْبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناسُ ، فقام إلىّ طلحة بن عُبيد الله ، فحيّانى وهنّأنى ، ووالله ما قام إلىّ رجل من المهاجرين غيرُه . قال : فكان كعب بن مالك لاينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلّمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ، ووجهه يَبرُق من السرور : أبشر بخير يوم مرّ عليك منذُ ولدتك أُمُّك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنّا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتى إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إنى مُمْسك سَهْمى الذى بخيبر ؛ وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجّانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لاأحدّث إلا صدقا ما حييت [١] ، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صدْق الحديث منذ ذكرتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضلَ مما أبلانى الله ؛ والله ما تعمّدت من كَذْبة منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأنزل الله تعالى : « لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا » . . . إلى قوله : « وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » .

(١) فى ا : «مابقيت» .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله عليّ نعمةً قطّ بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظمَ فى نفسى من صدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لاأكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فان الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شرّ ماقال لأحد ، قال : « سَيَحْلِفُونَ بالله لَكُمْ إذَا انْقَلَبْتُمْ إلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأعْرِضُوا عَنْهُمْ ، إنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فانْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فإنَّ اللهَ لايَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ » .

قال : وكنّا خُلِّفنا أيها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين حلفوا له فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : « وَعلى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا » .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

(إسلام عروة بن مسعود ورجوعه إلى قومه) :

قال ابن إسحاق: وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ من تَبوكَ فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عُروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدّث قومه : إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله أنا أحبّ إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

(دعاؤه للإسلام ومقتله) :

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبَّبا مطاعا ؛ فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عِلِّيَّة [1] له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رمَوْه بالنَّبل من كلّ وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعُم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم ، يُقال له أوس بن عَوْف ، أخو بَنى سالم بن مالك ، وتزعمُ الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتَّاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعُروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثلَه فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه .

(ائتمار ثقيف على إرسال نفر للرسول) :

ثم أقامت ثَقيف بعد قتل عُروة أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثنى يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عَمْرَو بن أميَّة ، أخا بنى علاج ، كان مهاجرًا لعبد ياليلَ بن عمرو ، الذى بينهما سيّءٌ [2] ، وكان عمرو بن أُميَّة من أدهَى العرب ، فمَشَى إلى عبد ياليلَ بن عمرو ، حتّى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : اُخرج إلىّ ؛ قال : فقال عبدُ ياليل للرسول : ويلك ! أعمرو أرسلك إلىّ ؟ قال : نعم ، وهاهو ذا واقفا فى دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظنُّه ، لعَمْرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحَّب به . فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلمت العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضُهم لبعض :

---

(١) العلية (بكسر العين وضمها) : الغرفة .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الزرقانى على المواهب اللدنية : « لشىء كان بينهما » .

أفلا ترون أنه لايأمن لكم سِرْب[١] ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطِع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ،كما أرسلوا عُروة ، فكلَّموا عبد يا ليلَ بن عمرو بن عُمير ، وكان سنَّ عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صُنع بعُروة . فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثُوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشُرَحبيل بن غَيلان بن سَلِمة بن معتِّب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بِشر بن عبد دُهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس ابن عوف ، أخا بنى سالم بن عوف ونُمَير بن خَرَشة بن ربيعة ، أخا بنى الحارث . فخرج بهم عبدُ ياليل ، وهو ناب[٢] القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صُنع بعُروة بن مسعود ، لكى يشغل كلَّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رَهْطه .

(قدومهم المدينة وسؤالهم الرسول أشياء أباها عليهم) :

فلما دنَوْا من المدينة ، ونزلوا قناة ، ألْفَوْا بها المُغيرة بن شُعبة ، يرعَى فى نَوْبَته رِكابَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وكانت رِعْيتها نُوَبا على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم تركَ الركاب عند الثَّقَفيين ، وضبر[٣] يشتدّ ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبوبكر الصدّيق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أنْ قد قدموا يريدون البَيْعة والإسلام ، بأن يَشْرُط لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُروطا ، ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمُغيرة : أقسمت عليك بالله لاتسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أُحدِّثه ؛ ففعل المغيرة .فدخل أبوبكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) السرب : المال الراعى ، وهو أيضا : الطريق ، والنفس .

(٢) ناب القوم : سيدهم ، والمدافع عنهم .

(٣) ضبر : وثب .

فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المُغيرة إلى أصحابه ، فروّح الظُّهر معهم ، وعلّمهم كيف يحيّون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحيّة الجاهليّة ، ولمّا قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قُبَّة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يَطْعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم ، حتى سألوا شهرا واحدا بعد مَقْدمهم ، فأبى عليهم أن يدَعها شيئا مسمّى ، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يتَسلّموا بترْكها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكْرهون أن يُروعوا قومَهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حَرْب والمُغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنؤْتيكها ، وإن كانت دناءة .

(تأمير عثمان بن أبى العاص عليهم) :

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابَهم ، أمَّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقّه فى الإسلام وتعلّم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إنى قد رأيتُ هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن .

(بلال ووفد ثقيف فى رمضان) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصُمنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم مابقى من رمضان ، بفِطرنا [1] وسَحُورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسَّحور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحَّر ، لتأخير السُّحور : ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ماجئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يَضع يده فى الجَفْنة ، فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفَطُورنا وسَحورنا .

(عهد الرسول لابن أبى العاص حين أمره على ثقيف) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ماعهد إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى على ثَقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز فى الصلاة ، واقدُر الناس بأضعفهم ، فان فيهم الكبيرَ ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

(هدم الطاغية) :

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معها أباسفيان بن حرب والمغيرةَ بن شعبة ، فى هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذا قَدِموا الطائف أراد المُغيرة بن شعبة أن يُقَدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبوسفيان عليه ، وقال : ادْخل أنت على قومك ؛ وأقام أبوسفيان بماله بذى الهَدْم ؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يَضربها بالمِعول ، وقام قومه دونه ، بنومُعَتِّب ، خشية أن يُرمى أو يُصاب كما أُصيب عُروة ، وخرج نساء ثقيف حُسَّرا [2] يَبْكين عليها ويقلن :

لتُبْكَيَنَّ دُفَّاع   أسْلَمها الرَّضَّاع [3]

لم يُحْسِنوا المِصاعَ [4]

---

(1) فى شرح السيرة لأبى ذر : « بفطورنا » . وهى رواية ابن هشام بعد .

(2) حسرا : مكشوفات الرءوس .

(3) سميت « دفاع » لأنها كانت تدفع عنهم ، وتنفع وتضر على زعمهم . والرضاع : اللئام .

(4) المصاع : المضاربة بالسيوف .

قال ابن هشام : « لتبكين » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان والمغيرةُ يَضْربها بالفأس : واها لك ! آها لك[1] ! فلما هدمها المُغيرة ، وأخذ مالها وحُلِيَّها أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع ، وما لها من الذهب والجَزْع .

(إسلام أبي مليح وقارب) :

وقد كان أبو مُلَيح بن عروة وقارب بن الأسود قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قُتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعاهم على شيء أبدا ، فأسلما ، فقال لهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تولَّيا من شئتما ؛ فقالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم : وخالكما أبا سفيان ابن حرب ؛ فقالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب .

(سؤالهما الرسول قضاء دين من أموال الطاغية) :

فلما أسلم أهلُ الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمُغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبو مُليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عُروة دينا كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ، لكن تَصِل مسلما ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدين علىّ ، وإنما أنا الذى أُطلبُ به ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يَقْضى دينَ عُروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع المُغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عُروة والأسود دينَهما ، فقضى عنهما .

(كتاب الرسول لثقيف) :

وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

---

(١) واها لك : كلمة تقال فى معنى التأسف والتحزن .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبيّ ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إنّ عضاه [١] وَجّ وصيدَه لايُعضد [٢] ، من وُجد يفعل شيئا من ذلك ، فانه يُجلد وتُنزع ثيابه ، فان تعدّى ذلك فانه يُؤْخذ فيبلغ به إلى النبيّ محمد ، وإن هذا أمر النبيّ محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه ، وذكر براءة والقصص فى تفسيرها

(تأمير أبي بكر على الحج) :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقيّة شهر رمضان وشوّالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميرًا على الحجّ من سنة تسع ، ليُقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حَجّهم : فخرج أبوبكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

(نزول براءة فى نقض ما بين الرسول والمشركين) :

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لايصدّ عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهدا عامًّا بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلّف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يَستَخفون بغير ما يُظهرون ، منهم مَنْ سُمّى لنا ، ومنهم مَنْ لم يُسمّ لنا ، فقال عزّ وجلّ : « بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الّذينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ » : أى لأهل

(١) العضاه : شجر له شوك ، وهو أنواع ؛ واحدته عضة . ووج : موضع بالطائف .

(٢) لايعضد : لايقطع .

العهد العام من أهل الشرك « فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ ، وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الكَافِرِينَ . وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » : أي بعد هذه الحجة « فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ » : أي العهد الخاصّ إلى الأجل المسمى « ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا ، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ ، فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ » : يعني الأربعة التي ضرب لهم أجلا « فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ، وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ » : أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم « اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ » :

ثم قال : « كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ » الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم فى الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام « عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ، إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ » ، وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحىّ من قريش ، وهى الدّيل [١] من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته « فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ » .

ثم قال تعالى: « كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ » : أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام « لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً » .

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بنو الديل » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : الإل : الحِلْف . قال أوس بن حَجَر ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم :

لولا بَنو مالك والإلّ مَرْقَبَةٌ ومالكٌ فيهمُ الآلاءُ والشَّرَفُ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فلا إلٌّ من الآلال بَيْنى وبينكُم فَلا تَأْلُنَّ جُهْدًا

والذمّة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهَمْدانى ، وهو أبو مَسْروق بن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذِمَّةٌ أن تُجاوِزوا من الأرض معْروفا إلَيْنا ومُنْكرَا

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له ، وجَمْعها : ذمم .

« يُرْضُونَكُمْ بأفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وأكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ . اشْتَرَوْا بآياتِ الله ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ، إنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ . لا يَرْقُبُونَ فى مُؤْمِنٍ إلًّا وَلا ذِمَّةً ، وأُولَئِكَ هُمُ المُعْتَدُونَ » أى قد اعتدوا عليكم « فإنْ تابُوا وأقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ فإخْوانُكُمْ فى الدِّينِ ، ونُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » .

(اختصاص الرسول عليا بتأدية براءة عنه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف ، عن أبى جعفر محمد بن علىّ رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبابكر الصدّيق ليُقيم للناس الحجّ ، قيل له : يارسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : لا يؤدّى عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا علىّ ابن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذّن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدّته ، فخرج علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة

(١) الآلاء : النعم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ؛ فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر للناس الحجّ ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحجّ ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأذّن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لايدخل الجنة كافر ، ولا يحجّ بعد العام مُشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدّته ؛ وأجّل الناس أربعة أشهر من يوم أذّن فيهم ، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم [1] ، ثم لاعهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدّة ، فهو له إلى مدته . فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عُريان .

ثم قدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

(ما نزل فى الأمر بجهاد المشركين) :

قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاصّ ، ومَنْ كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوَ فيها عاد منهم ، فيقتل [2] بعدائه ، فقال : « أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ » : أى من بعد ذلك « عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا

---

(١) فى ا : « وبلادهم » .

(٢) فى ا : « فيقتل بعدائه » .

وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ، وجمعها : ولائج ؛ وهو من وَلَجَ يَلِج : أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عزّ وجلّ : « حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ » : أى يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُسِرُّون إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يُظهرون الإيمان للذين آمنوا « وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ » قال الشاعر :

واعلم بأنّك قد جُعِلتَ وليجةً ساقوا إليك الحَتْفَ غيرَ مَشُوبِ[1]

(ما نزل فى الرد على قريش بادعائهم عمارة البيت) :

قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهلُ الحرم ، وسُقاة الحاجّ ، وعُمّار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ؛ فقال : « إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » : أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يَعْمُرُ مساجد الله أى من عمرها بحقها « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ » : أى[2] فأولئك عُمارها « فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ » وعسى من الله : حقّ .

ثم قال تعالى : « أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ » .

(ما نزل فى الأمر بقتال المشركين) :

ثم القصة عن عدوّهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ، وتولّيهم عن عدوّهم ، وما أنزل الله تعالى من نَصْره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : « إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً » وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعنّ عنّا الأسواق ، فلتهلكنّ التجارة ، وليذهبنّ ما كنا

---

(١) غير مشوب : غير مخلوط .

(٢) فى ا : « ألا فأولئك » .

نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عزّ وجلّ : « وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ » : أى من وجه غير ذلك « إِنْ شاءَ ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، قاتِلُوا الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُونَ » : أى فى هذا عوض مما تخوّفتم من قطع الأسواق ، فعوّضهم الله بما قطع [١] عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزْية :

(ما نزل فى أهل الكتابين) :

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشرّ والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : « إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَالرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ .

(ما نزل فى النسىء) :

ثم ذكر النسىء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسىء ما كان يُحلّ مما حرّم الله تعالى من الشهور ، ويُحرّم مما أحلّ الله منها ، فقال : « إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ ، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ » : أى لاتجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما : أى كما فعل أهلُ الشرك « إِنَّمَا النَّسِيءُ » الذى كانوا يصنعون « زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ ، فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ ، زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمالِهِمْ ، وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ »

(ما نزل فى تبوك) :

ثم ذكر تبوكَ وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاقَ من نافق

(١) فى م ، ر : « مما » .

من المنافقين ، حين دُعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نَعَى[1] عليهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : « يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا ألِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غيرَكُمْ » إلى قوله تعالى : « إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إذْ أخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِى الغارِ » .

(ما نزل فى أهل النفاق) :

ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : « لَوْ كانَ عَرَضًا قريبا وَسَفَرًا قاصدا لاتَّبَعُوكَ ، ولكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ، وَسَيَحْلِفون باللهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أنْفُسَهُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ إنَّهُمْ لكاذِبُونَ » : أى إنهم يستطيعون « عَفَا اللهُ عَنْكَ ، لِمَ أذِنْتَ لَهُمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الكاذِبِينَ » ؟ . . . إلى قوله : « لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زَادُوكُمْ إلاَّ خَبَالاً ، وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : سلروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ؛ قال الأجدع بن مالك الهَمْدانى :

يَصْطادك الوحَدَ المُدِلَّ بشأوه بشَريج بين الشَّدِّ والإيضاع[2]

وهذا البيت فى قصيدة له .

(عود إلى ما نزل فى أهل النفاق) :

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم :

---

(١) نعى عليهم : عابهم وعتب عليهم .

(٢) الوحد ، بفتح الحاء وكسرها : المفرد . يريد : فرسا . قال أبو ذر : والجيد رواية من روى الوحد المدل المنصب ، ويعنى به الثور الوحشى ، ويضمر فى قوله « يصطاد » ضميرا يرجع إلى فرس متقدم الذكر . وشأوه : سبقه . والشريج : النوع . يقال هما شريجان : أى نوعان مختلفان . والشد : هنا الجرى .

عبد الله بنُ أُبَيّ بن سَلول ، والجَدّ بن قيس ؛ وكانوا أشرافا فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قومٌ أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : « وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ، لَقَدِ ابْتَغَوُا الفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ » : أى من قبل أن يستأذنوك ، « وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ » : أى لِيُخَذِّلُوا عنك أصحابك ويردّوا عليك أمرك « حتى جاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كارِهُونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى وَلا تَفْتِنِّى ألا فى الفِتْنَةِ سَقَطُوا » ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمّى لنا ، الجَدّ بن قيس ، أخو بنى سَلِمَة ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : « لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصَّدَقاتِ ، فانْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ » : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

(ما نزل فى ذكر أصحاب الصدقات) :

ثم بين الصدقات لمن هى ، وسمى أهلها ، فقال : « إِنَّما الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْها ، والمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وفِى الرِّقابِ ، والغارِمِينَ وفى سَبِيلِ اللهِ ، وَابْنِ السَّبِيلِ ، فَرِيضَةً مِنَ اللهِ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

(ما نزل فيمن آذوا الرسول) :

ثم ذكر غشهم وأذاهم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ، يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ » . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أُذُن ، مَن حدّثه شيئا صدّقه . يقول الله تعالى : « قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ » : أى يسمع الخير ويصدّق به

ثم قال تعالى : « يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أن

يرضوه إن كانوا مؤمنين » ، ثم قال : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون » . . . إلى قوله تعالى : « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » ، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو ابن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : مخشن بن حمير الأشجعى ، حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير . يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » . . . إلى قوله : « من ولى ولا نصير » . وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد ابن صامت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد . فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ، وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، والذين لا يجدون إلا جهدهم ، فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمئة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل.

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ،

وأمر بالسَّير إلى تبوك ، على شدّة الحرّ وجدب البلاد ، فقال تعالى : « وَقَالُوا لاتَنْفِرُوا فِي الحَرِّ ، قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ : فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا » . . . : إلى قوله : « وَلا تُعْجِبْكَ أمْوَالُهُمْ وأوْلادُهُمْ » :

(ما نزل بسبب صلاة النبى على ابن أبى) :

قال ابن إسحاق : وحدّثنى الزهرى عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعتُ عمر بن الخطّاب يقول : لما توفى عبد الله بن أُبَىّ ، دُعِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ؛ فلما وقف عليه يُريد الصلاة ، تحوّلتُ حتى قمت فى صدره ، فقلت : يا رسول الله ، أتصلى على عدوّ الله عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدّد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسّم حتى إذا أكثرت قال : يا عمر ، أخّر عنى ، إنى قد خُيِّرت فاخترت ، قد قيل لى : « اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ » ، فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غُفر له ، لزدت . قال : ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فُرِغ منه . قال : فعَجِبت لى وجُرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : « وَلا تُصَلِّ عَلى أحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أبَدًا وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ ، إنَّهُمْ كَفَرُوا باللهِ وَرَسُولِهِ وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ » فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

(ما نزل فى المستأذنين) :

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « وَإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أنْ آمِنُوا باللهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتأذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ » ، وكان ابن أُبَىّ من أولئك ، فنَعَى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : « لَكِنِ الرَّسُولُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جاهَدُوا بِأمْوَالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ ، وأُولَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ . أعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تحتها الأنهارُ خالدِينَ فيها . ذلكَ الفَوْزُ العَظيمُ . وجاءَ المُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ، وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ » . . . إلى آخر القصة . وكان المعذّرون ، فيما بلغنى نفرا من بنى غِفار ، منهم خُفافُ بن أيماء بن رَحَضة ، ثم كانت القصة لأهل العُذر ، حتى انتهى إلى قوله : « وَلَا عَلَى الَّذِينَ إذا ما أتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ، قُلْتَ لاأجِدُ ما أحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وأعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا ألاّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ » وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : « إنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أغْنِياءُ ، رَضُوا بأنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ ،وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لايعْلَمونَ » والخوالف : النساء . ثم ذكر حَلِفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : « فَأعْرِضُوا عَنْهُمْ » ، إلى قوله تعالى : «فإنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فانَّ اللهَ لايَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفاسِقِينَ » .

(ما نزل فيمن نافق من الأعراب) :

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربُّصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : « وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ » : أى من صدقة أو نفقة فى سَبيل الله « مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : « وَمِنَ الأعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ، ألا إنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ » .

(ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار) :

ثم ذكر السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حُسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم باحسان ، فقال : « رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ » ، ثم قال تعالى : « و مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأعْرَابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا على النِّفاقِ » : أى لجّوا فيه ، وأبَوْا غيره «سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ » ، والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين ، فيما

بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » :

ثم قال تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » إلى آخر القصة . ثم قال تعالى : « وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ » ، وهم الثلاثة الذين خُلِّفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا » . . . الخ القصة ثم قال تعالى « إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » . ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءةُ تسمى فى زمان النبىّ صلى الله عليه وسلم وبعدَه المبعثِرة ، لما كشفت من سرائر الناس . وكانت تَبُوكُ آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

شعر حسان الذى عدد فيه المغازى

وقال حسَّان بن ثابت يُعدِّد أيام الأنصار مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍّ كُلِّهَا نَفَرًا ومعشرًا إن هم عُمُّوا وإن حُصِّلوا[1]

قَوْمٌ هُمُ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمَعِهِمْ مع الرسول فما أَلَوْا وما خَذَلوا[2]

(١) حصلوا : جمعوا ؛ وأراد : « حصلوا » بالتشديد ، فخفف . قال أبو ذر : « ومن قال : (عموا وإن حصلوا) بالفتح ، فقد نسب الفعل إليهم يريد : وإن عموا أنفسهم وحصلوها » .

(٢) ما ألوا : ما قصروا . ويروى : « ما آلوا بالمد ، أى ما أبطئوا ؛ كما يروى : « ما ألوا » بتشديد اللام ، أى ما قصروا (أيضا) ، إلا أنه شدد للمبالغة .

وبايعوه فلم يَنْكُثْ به أحَدٌ منهم ولم يكُ فى إيمانهم دَخَلُ[١]

ويومَ صبَّحهم فى الشِّعب من أُحُدٍ ضَرْبٌ رَصِينٌ كحرِّ النَّار مُشْتعلُ[٢]

ويوم ذى قَرَدٍ يومَ استثار بهمْ على الجياد فما خامُوا وَما نَكلوا[٣]

وذا العُشَيرة جاسُوها بخَيْلِهمُ معَ الرَّسول عليها البيضُ والأَسَلُ[٤]

ويومَ وَدَّانَ أجْلَوا أهلَه رَقَصًا بالخيْلِ حتى نَهانا الحَزْن والجَبَلُ[٥]

وليلةً طلبُوا فيها عدُوَّهمُ لله والله يجزيهم بما عملوا

وغَزْوَةَ يومَ نجْدٍ ثم كانَ لهُم معَ الرَّسولِ بها الأسْلاب والنَّفَلُ

وليلةً بحُنَيْنٍ جالدُوا معهُ فيها يعلُّهم بالحَرْبِ إذ نَهَلوا[٦]

وغَزْوَةَ القاع فرّقْنا العدوَّ به كما تُفَرَّق دون المَشْرب الرُّسَلُ[٧]

ويومَ بُويعَ كانوا أهلَ بيْعته على الجلاد فآسَوْه وما عَدَلوا

وغَزْوَةَ الفتْحِ كانوا فى سَريَّته مُرابطينَ فما طاشُوا وَما عَجِلوا

ويومَ خيْبَر كانوا فى كتيبته يَمْشون كلّهم مُسْتَبْسِلٌ بَطَلُ[٨]

بالبيضِ تَرْعَش فى الأيمانِ عاريةً تَعْوَجّ فى الضرب أحيانًا وتعتدلُ

ويومَ سارَ رَسولُ الله مُحْتَسبا إلى تَبُوكَ وهم راياتُه الأُوَلُ

وساسةُ الحَرْبِ إن حربٌ بدَتْ لهمُ حتى بَدا لهمُ الإقبالُ والقَفَلُ[٩]

أُولَئك القَوْمُ أنصارُ النَّبىّ وهمْ قَوْمى أصيرُ إليهم حينَ أنتَصِلُ[١٠]

---

(١) دخل : فساد .

(٢) رصين : ثابت محكم .

(٣) خاموا ونكلوا : جبنوا عن هيبة وفزع .

(٤) جاسوها : وطئوها . ويروى : « داسوها » . والبيض : السيوف ، والأسل : الرماح .

(٥) الرقص (بسكون القاف وفتحها) : ضرب من المشى ، وهو الخبب . والحزن : ما ارتفع من الأرض .

(٦) يعلهم : أى يكررها عليهم . من العلل ، وهو الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول .

(٧) الرسل : الإبل .

(٨) مستبسل : موطن نفسه على الموت .

(٩) القفل : الرجوع .

(١٠) حين أنتصل : حين أنتسب .

ماتوا كِراما ولم تُنْكَثْ عُهودُهمُ   وقَتلُهم فى سبيلِ اللهِ إذْ قُتِلوا؟

قال ابن هشام : عجز آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

كُنّا ملُوكَ النّاسِ قبلَ مُحمَّدٍ   فلمّا أتى الإسلامُ كان لنا الفَضْلُ

وأكرمَنا اللهُ الذى ليسَ غيرَهُ   إلهٌ بأيّامٍ مَضَتْ ما لها شَكْلُ[١]

بنَصْرِ الإلهِ والرّسولِ[٢] ودِينِه   وألْبَسَناه اسمًا مَضَى ماله مِثْلُ[٣]

أولئك قَوْمى خيرُ قومٍ بأسْرِهم   فمَا عُدَّ من خيرٍ فقَوْمى له أهلُ

يَرُبُّون بالمعروف معروف من مضَى   وليس عليهم دونَ معْروفهم قفْلُ[٤]

إذا اختَبطوا لم يُفْحِشوا فى نديِّهمُ   وليس على سُؤّالهم عندهم بُخلُ[٥]

وإن حارَبوا أو سالَموا لم يُشَبَّهوا   فحَرْبهم حَتْفٌ وسِلْمهمْ سَهْلُ[٦]

وجارُهم مُوفٍ بعَلْياءَ بيتُه   له ما ثوَى فينا الكرامةُ والبَذْلُ[٧]

وحاملُهم مُوفٍ بكلِّ حَمالة   تَحمَّل لا غُرْمٌ عليها ولا خَذْلُ[٨]

وقائلهُمْ بالحَقِّ إن قالَ قائلٌ   وحِلْمهمُ عَوْد وحُكْمهمُ عَدْلُ[٩]

ومنّا أميرُ المُسْلمين حَياتَه   ومَنْ غَسّلَتْهُ مِن جَنابتَه الرُّسْلُ[١٠]

---

(١) شكل : مثل .

(٢) فى الديوان : « والنبى » .

(٣) فى الديوان : « وأكرمنا باسم مضى . . . الخ » .

(٤) يربون : يصلحون . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « وليس على معروفهم أبدا قفل » .

(٥) اختبطوا : قصدوا فى مجلسهم؛ والمختبط : الطالب للمعروف . ويروى : « أختطبوا » من الخطبة؛ ونديهم: مجلسهم .

(٦) جاء هذا البيت فى الديوان قبل آخر بيت فى القصيدة .

(٧) العلياء : الموضع المرتفع . ورواية الشطر الأول فى الديوان : « وجارهم فيهم . . . الخ » وترتيب البيت فى الديوان بعد البيت الذى يليه .

(٨) الحمالة : ما يتحمله الإنسان من غرم فى دية .

(٩) عود : قديم متكرر . ورواية هذا البيت فى الديوان :

وقائلهم بالحق أول قائل   فحكمهم عدل ، وقولهم فصل

(١٠) أمير المسلمين : يعنى سعد بن معاذ . ومن غسلته : يعنى « حنظلة » الذى غسلته الملائكة حين استشهد يوم أحد . والرسل (هنا) : الملائكة .

قال ابن هشام : وقوله : « وألبسناهُ اسما » عن غير ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضا :

قَوْمى أُولَئِكَ إنْ تَسألى ... كِرَامٌ إذا الضَّيْفُ يوْما أَلَمّْ (١)

عِظامُ القُدُورِ لأيْسارِهم ... يَكُبُّونَ فيها المُسِنَّ السَّنِمْ (٢)

يُؤَاسُونَ جارَهُمْ فى الغِنَى ... وَيَحْمُونَ مَوْلاهُم إنْ ظُلِمْ

فكانُوا مُلُوكا بأرْضِيهِمُ ... يُنادُونَ عَضْبا بأمر غُشُمْ (٣)

مُلُوكا على النّاس ، لم يُمْلَكُوا ... مِنَ الدَّهرِ يوْما كحِلِّ القَسَمْ (٤)

فأنْبَوا بعادٍ وأشْياعِها ... ثَمُودَ وَبعْضِ بَقايا إرَمْ (٥)

بيَثْرِبَ قد شَيَّدوا فى النَّخيلِ ... حُصُونا ودُجِّنَ فيها النَّعَمْ (٦)

نَوَاضِحَ قد عَلَّمَها اليهُو ... دُ (عَلْ) إليك وقَوْلا هَلُمْ (٧)

وفيما اشْتَهَوْا مِن عَصِيرِ القِطا ... فِ والعيْشِ رخوًا على غير هَمّْ (٨)

فَسِرْنا إليْهِمْ بأثْقالِنا ... على كُلِّ فَحْلٍ هِجانٍ قَطِمْ (٩)

جَنَبْنا بهِنَّ جِيادَ الخُيُو ... لِ قد جَلَّلوها جِلالَ الأدَمْ (١٠)

---

(١) ألم : نزل . ورواية الشطر الأول فى الديوان : « أولئك قومى إن تسألى » . وفى ا : « إن تسألوا » .

(٢) الأيسار : جمع يسر ، وهو الذى يدخل فى الميسر . والمسن : الكبير . والسنم : العظيم السنام .

(٣) غشم : من الغشم ، وهو أسوأ الظلم . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « يبادون غضبا . . . » الخ .

(٤) يريد بحل القسم فترة قصيرة .

(٥) فأنبوا : فأنبئوا ، فخفف الهمزة . وإرم : هى عاد الأولى .

(٦) دجن فيها النعم : اتخذت فى البيوت . والدواجن : كل ما ألف الناس كالحمام والدجاج ونحو ذلك . والنعم : الإبل والبقر والغنم .

(٧) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء . وعل (بفتح العين وسكون اللام) : زجر تزجر به الإبل . وهلم : أقبل .

(٨) القطاف : اسم لما يقطف من العنب وغيره . ورواية الشطر الثانى فى الديوان : « وعيش رخى على غير غم » .

(٩) الهجان : الأبيض . وقطم : هائج يشتهى الضراب .

(١٠) جنبنا : قدنا . وجللوها : غطوها . والأدم : الجلد . ورواية هذا البيت فى الديوان :

جياد الخيول بأجنابهم ... وقد جللوها ثخان الأدم

فلمَّا أناخوا بجَنْبَىْ صِرَار — وشدوا السُّرُوجَ بِلَىِّ الحُزُمْ

فمَا راعَهُم غيرُ مَعْجِ الخيو — ل والزَّحْفُ من خلفهم قد دَهِمْ[١]

فطاروا سِراعا وقد أُفْزِعُوا — وجئنا إليهم كأُسْدِ الأُجُمْ

على كلِّ سَلْهبة فى الصيا — ن لا يَشْتَكِين نُحُولَ السَّأَمْ[٢]

وكلِّ كُمَيْتٍ مُطار الفؤاد — أمينِ الفُصُوصِ كمثل الزُّلَمْ[٣]

عليها فوارسُ قد عوَّدُوا — قِراعَ الكُماةِ وضَرْبَ البُهَمْ[٤]

مُلوك إذا غَشَمُوا فى البلا — د لا يَنْكُلُونَ ولكن قُدُمْ[٥]

فأُبْنا بساداتِهِمْ والنساء — وأولادُهم فيهمُ تُقْتَسَمْ[٦]

ورِثْنا مساكِنَهُمْ بَعْدَهم — وكُنَّا ملوكا بها لم نَرِمْ[٧]

فلمَّا أتانا الرَّسُولُ الرَّشِيـ — ـد بالحقِّ والنُّور بعدَ الظُّلَمْ

قُلْنا صَدَقْتَ رسولَ المَليك — هَلُمَّ إلينا وفينا أقِمْ

فنَشْهَدَ أنَّكَ عبدُ الإله — أُرْسِلْتَ نُورًا بدينٍ قِيَمْ[٨]

فأنا وأولادُنا جُنَّةٌ — نَقِيكَ وفى مالِنا فاحْتَكِمْ

فنحنُ أولئكَ[٩] إن كذَّبوك — فنادِ نِداءً ولا تَحْتَشِمْ

ونادِ بما كُنْتَ أخفيْتَه — نِداءً جهارًا ولا تَكْتَتِمْ

---

(١) معج الخيول : سرعتها . ودهم : جاء غفلة على غير استعداد .

(٢) السلهبة : الفرس الطويلة . والصيان : مايصان به من الجلال . والسأم : الملل .

(٣) مطار الفؤاد : ذكى الفؤاد : والفصوص : مفاصل العظام ، وأمين الفصوص : قويها . والزلم : القدح .

(٤) الكماة الشجعان : جمع كمى وهو المستتر فى سلاحه والبهم جمع بهمة وهو البطل الشجاع .

(٥) غشموا : اشتد ظلمهم . ولا ينكلون : لا يرجعون هائبين : ورواية هذا البيت فى الديوان .

ليوث إذا غضبوا فى الحروب .... الخ

(٦) أبنا : رجعنا . ورواية هذا البيت فى الديوان :

فأبنا بساداتهم والنسا • قسرا وأموالهم تقتسم

(٧) لم نرم : لم نتحول .

(٨) بدين قيم : لاعوج فيه .

(٩) تقدير المعنى نحن أولئك الذين نصدقك وننصرك . وفى الديوان : « ولاتك » .

فسار[١] الغُواةُ بأسْـيافهم إلَيـه يظُنُّونَ أن يُخْـتَرَمْ[٢]
فقُمْنا إلَيْهمْ بأسْـيافنا نجالدُ عنـهُ بُغاةَ الأُمَمْ
بكلّ صـقيلٍ لهُ مَيْعَـةٌ رقيقِ الذُّباب عَضوضٍ خَذِمْ[٣]
إذا ما يصادِفُ صُمَّ العظا مِ لم ينْبُ عنها ولم يَنْثَلِمْ[٤]
فذلكَ ما وَرَّثَتْنا القُـرُو مُ مَجْـدا تَلِيدًا وعِزًّا أشَمّ[٥]
إذا مَرَّ نَسْـلٌ كَفَى نَسْلُه وغادرَ نَسْـلا إذا ما انْفَصَمْ[٦]
فما إنْ من النَّاس إلاّ لَنا علَيْه وإن خاس فضلُ النِّعَمْ[٧]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

فكانُوا مُلُوكا بأرْضِيهِم يُنادُونَ غُضْـبا بأمر غُشُمْ

وأنشدنى :

بيثربَ قد شيَّدوا فى النَّخِيل حُصُـونا ودُجِّن فيها النَّعَمْ

وبيته : « وكلّ كُمَيْت مطار الفُؤاد » : عنه[٨] .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تَبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفودُ العرب من كلّ وجه .

---

(١) فى الديوان : « فطار » .
(٢) يخترم : يهلك .
(٣) له ميعة : أى له صقال يشبه الماء فى صفائه . والذباب : حد طرف السيف . وخذم : قاطع . وفى الديوان « غموس خذم » .
(٤) لم ينب : لم يكل .
(٥) القروم : السادة . وفى الديوان : « القرون » . والتليد : القديم . والأشم : المرتفع .
(٦) انفصم : انقطع وانقرض . ورواية هذا البيت فى الديوان :

إذا مر قرن كفى نسله وخلف قرنا إذا ما انفصم

(٧) خاس : غدر .
(٨) إلى هنا ينتهى الجزء الثامن عشر من أجزاء السيرة .

قال ابن هشام : حدثنى أبوعُبيدة : أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

(انقياد العرب وإسلامهم) :

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرَبَّص بالإسلام أمرَ هذا الحىّ من قُريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لايُنكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتُتحت مكة ، ودانت له قُريش ، ودوّخها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لاطاقةَ لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عزّ وجلّ ، أفواجا ، يضربون إليه من كلّ وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « إذَا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ ورأيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دينِ اللهِ أفْوَاجا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كانَ تَوَّابا » : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توّابا .

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

(رجال الوفد) :

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفُود العرب ، فقدم عليه عُطارد ابن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمىّ ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى ، والزّبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحَبْحاب بن يزيد [١] :

(شىء عن الحتات) :

قال ابن هشام : الحتات وهو الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) كذا فى الإصابة ، وفيما سيأتى فى جميع الأصول . وفى م ، ر : « زيد » . وفى ا « وعمرو بن الأهتم الحباب » كأنهما شخص واحد .

بينه وبين مُعاوية بن أبى سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخَى بين نفَر من أصحابه من المهاجرين ؛ بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبدالرحمن ابن عوف ، وبين طلحة بن عُبيد الله والزبير بن العوّام ، وبين أبى ذرّ الغفارى والمِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيانَ والحُتات بن يزيد المجاشعى فمات الحُتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الأخوّة ، فقال الفرزدق لمعاوية :

أبوكَ وعمِّى يا معاوىَ أوْرَثا تُراثا فيَحْتازَ التُّراثَ أقاربُهْ
فمَا بالُ ميراثِ الحُتات أكلْتَه وميراثِ حرْبٍ جامدٌ لك ذائبُه

وهذان البيتان فى أبيات له .

(سائر رجال الوفد) :

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم نُعَيم بن يَزيد ، وقَيْس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك [1] ، والحُتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزِّبرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى مِنْقر ابن عُبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بنى مِنْقر بن عُبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيَينة بن حِصن بن حذيفة بن بدر الفَزارىّ ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعُيَينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحُنَيْنا والطائف .

(صياحهم بالرسول وكلمة عطارد) :

فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفدُ بنى تميم المسجدَ نادَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجراته : أن اخرُج إلينا يامحمد ، فآذى ذلك

(1) فى م ، ر : « أحد بنى مالك بن دارم بن مالك » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يامحمد ، جئناك نفاخرك ، فأْذن لشاعرنا وخطيبنا ؛ قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ [١] ، وهو أهلُه ، الذى جعلنا مُلوكا ، ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عُدّة ، فمَنْ مِثلنا فىالناس ؟ ألسنا برُءوس الناس وأُولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليُعدّد مِثْل ما عدّدنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمرٍ أفضلَ من أمرِنا ؛ ثم جلس ؛

(كلمة ثابت فى الرد على عطارد) :

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قَيْس بن الشّماس ، أخى بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمدُ لله الذى السمواتُ والأرض خلقه ، قضَى فيهنّ أمرَه ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قطّ إلا من فضله ، ثم كان من قُدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابَه وأتمنَه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرمُ الناس حسبا ، وأحسن النّاس وجوها ، وخير الناس فِعالا . ثم كان أوّل الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منعَ منّا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

(شعر الزبرقان فى الفخر بقومه) :

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

---

(١) هذه الكلمة : « المن » ساقطة فى ا .

نَحْنُ الكِرَامُ فَلا حَىٌّ يُعادِلُنا مِنَّا المُلُوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[١]
وكَمْ قَسَرْنا مِنَ الأحْياءِ كُلِّهِم عنـد النِّهاب وفضْلُ العزِّ يُتَّبَع
ونحنُ يُطعِمُ عند القَحْط مُطْعِمنا مِن الشِّواء إذا لم يُؤْنَس القَزَعُ[٢]
بما تَرَى النَّاسَ تأتينا سُراتُهُم من كلِّ أرضٍ هُوِيًّا ثم تَصْطَنِـعُ[٣]
فنَنْحَرُ الكُوم عُبْطا فى أرُومَتنا للنازلين إذا ما أُنْزلوا شَبِعوا[٤]
فلا تَرانا إلى حَىٍّ نُفاخِـرُهُم إلا اسْتَفادوا فكانوا الرأسَ يُقْتَطعُ
فمَنْ يُفاخِرنا فى ذاكَ نَعْـرِفه فَيَرْجعُ القَوْمُ والأخْبارُ تُسْتَمعُ
إنَّا أبَيْنا ولا يأبى لَنا أحَـدٌ إنا كذلكَ عنـد الفَخْرِ نرْتَفِعُ

قال ابن هشام : ويروى :

مِنَّا المُلوكُ وفينا تُقسم الرُّبَعُ[٥]

ويروى: مِنْ كلِّ أرْضٍ هَوَانا ثُم نُتَّبَعُ

رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها للزبرقان .

(شعر حسان فى الرد على الزبرقان) :

قال ابن إسحاق : وكان حسَّان غائبا ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حسان : جاءنى رسولُه ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مَنَعْنا رسول الله إذ حلَّ وسْطَنا على أنْف راضٍ من مَعَدٍّ وراغمِ
مَنَعْناهُ لمَّا حلَّ بين بُيُوتنا بأسْـيافِنا مِنْ كلِّ باغٍ وظالمِ
ببَيْتٍ حَـريدٍ عِزّه وثَراؤه بجابية الجَوْلان وَسْـطَ الأعاجِمِ[٦]

(١) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة (بكسر الباء) .
(٢) القزع (بالتحريك) : السحاب الرقيق . يريد إذا لم تمطرهم السماء ، فأجدبت أرضهم .
(٣) هويا : سراعا .
(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهى العظيمة السنام من النوق . وعبطا : أى عن غير علة . وفى أرومتنا : أى هذا الكرم متأصل فينا .
(٥) وفينا تقسم الربع : أى أننا رؤساء وسادة ، وذلك لأن الرئيس كان يأخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية .
(٦) البيت الحريد : الفريد الذى لا يختلط بغيره لعزته . وجابية الجولان : بلد بالشام . يريد أن النبى =

هل المجدُ إلا السودَدُ العوْدُ والنَّدَى وجاهُ المُلوكِ واحتِمالُ العظائمِ [١]

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال : عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزِّبرقان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسَّان بن ثابت : قم يا حسَّان ، فأجب الرجلَ فيما قال . فقام حسان ، فقال :

إنّ الذَّوائبَ مِنْ فِهْرٍ وإخوتِهم قد بيَّنُوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ [٢]

يرْضَى بهم كلُّ من كانت سَريرتُه تَقْوَى الإلهِ وكلَّ الخير يَصْطنِعُ [٣]

قَوْمٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاوَلوا النَّفْعَ فى أشْياعهم نَفَعوا

سَجِيَّةٌ تلك مِنْهم غيرُ مُحْدثَةٍ إنَّ الخلائقَ فاعلم شرُّها البِدَعُ [٤]

إنْ كان فى النَّاس سبَّاقون بعدَهم فكلُّ سَبْقٍ لأدنى سبقهم تَبَعُ

لايَرْقع الناس ما أوْهَتْ أكفُّهُمُ عند الدِّفاع ولا يُوهون ما رَقَعوا [٥]

إن سابَقوا النَّاس يوْما فاز سَبْقُهُمُ أو وَازنوا أهل مجد بالندى مَتَعوا [٦]

أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْى عِفَّتُهم لا يَطْبَعُونَ ولا يُرْدِيهِم طَمَعُ [٧]

لايَبْخَلُونَ على جارٍ بفَضْلِهم ولا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ [٨]

إذا نَصَبْنا لِحَىٍّ لم نَدِبَّ لَهُمْ كما يدُبُّ إلى الوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ [٩]

= نزل وسط حى من الأنصار ذوى منعة ، وجاههم قديم ، متصل بجاه الغساسنة ملوك الشام . وسيعود الشاعر إلى هذا المعنى فى البيت الذى بعد هذا .

(١) السودد العود : المجد القديم الذى يتكرر على الزمان . وهذه الأبيات من قصيدة لحسان عدة أبياتها أربعة عشر .

(٢) الذوائب : السادة . وأصله من ذوائب المرأة ، وهى غدائرها التى تعلو الرأس .

(٣) رواية الشطر الثانى فى الديوان : « تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا » وسيرويه ابن هشام بهذه الرواية بعد قليل .

(٤) السجية : الطبيعة .

(٥) ما أوهت : ما هدمت .

(٦) متعوا : زادوا ، يقال : متع النهار ، إذا ارتفعت شمسه .

(٧) لايطبعون : لايتدنسون .

(٨) الطبع : الدنس .

(٩) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية .

تَسْمُو إذا الحَرْبُ نالَتْنا مَخالِبُها ... إذا الزَّعانِفُ مِنْ أظْفارها خَشَعوا[١]
لا يَفْخَرُونَ إذا نالُوا عَدُوَّهم ... وإن أُصيبُوا فَلا خُورٌ ولا هُلُعُ[٢]
كأنهم فى الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بحَلْيَةَ فى أرْساغها فَدَعُ[٣]
خُذْ منهم ما أتَى عَفْوًا إذا غَضِبُوا ... ولا يكن هَمَّكَ الأمرَ الذى مَنَعُوا[٤]
فإنَّ فى حَرْبهم فاتْرُكْ عَداوتَهم ... شَرًّا يُخاضُ عليه السَّمُّ والسَّلَعُ[٥]
أكْرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله شيعَتُهم ... إذا تفاوَتَت الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدَى لهم مِدْحتى قلبٌ يُؤازِرُه ... فيما أُحِبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ[٦]
فإنهم أفضَلُ الأحْياءِ كلِّهِمِ ... إن جدَّ بالنَّاس جِدُّ القَوْل أو شَمَعوا[٧]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد:

يَرْضَى بها كلُّ مَن كانت سَريرَتُه ... تقْوَى الإلهِ وبالأمر الذى شَرَعوا

(شعر آخر للزبرقان):

وقال ابن هشام: حدثنى بعضُ أهل العلم بالشعر من بنى تميم: أنَّ الزبرقان بن بدر لمَّا قدم عَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال:

أتَيْناكَ كيما يعْلَمَ النَّاسُ فضْلَنا ... إذا احتفلوا[٨] عند احتضَارِ المواسِمِ[٩]
بأنَّا فُرُوعُ النَّاسِ فى كلِّ مَوْطِنٍ ... وأنْ ليس فى أرضِ الحجازِ كدارمِ[١٠]

---

(١) تسمو: تنهض. والزعانف: أطراف الناس وأتباعهم. وخشعوا: تذللوا.

(٢) الخور: الضعفاء؛ والهلع (ككتب) الجازعون، الواحد: هلوع.

(٣) مكتنع: دان. وحلية: مأسدة باليمن. والأرساغ: جمع رسغ، وهو موضع القيد من الرجل. وفدع: اعوجاج إلى ناحية.

(٤) عفوا: من غير مشقة.

(٥) السلع: نبات مسموم.

(٦) صنع: يحسن القول ويجيده.

(٧) شمعوا: هزلوا. وأصل الشمع: الطرب واللهو، ومنه جارية شموع، إذا كانت كثيرة الطرب.

(٨) فى ا: «اختلفوا».

(٩) المواسم: جمع موسم، وهو الموضع الذى يجتمع فيه الناس مرة فى السنة، كاجتماعهم فى الحج، واجتماعهم بعكاظ وذى المجاز وأشباههما.

(١٠) دارم من بنى تميم.

وأنّا نَذُود المُعْلمِينَ إذا انْتَخَوْا ... ونضرب رأس الأصْيَدِ المُتفاقِمِ [١]

وأنْ لَنا المِرْباعَ فى كلّ غارةٍ ... نُغيرُ بنَجْدٍ أو بأرضِ الأعاجِمِ [٢]

(شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان) :

فقام حسّان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هل المجْد إلا السُّودَدُ العَوْدُ والنَّدى ... وجاهُ المُلوكِ واحتمال العظائمِ

نَصَرْنا وآوَيْنا النّبيَّ محمّداً ... على أنْف راضٍ من مَعَدّ وراغمِ

بحَيّ حَريدٍ أصْلُهُ وثَراؤه ... بجابية الجَوْلانِ وَسْط الأعاجمِ

نَصَرْناهُ لما حَلّ وسْط دِيارنا ... بأسْيافنا منْ كُلّ باغٍ وظالمِ

جَعَلْنا بَنِينا دُونَهُ وبَناتنا ... وطِبْنا لَهُ نَفْسا بفَيْءِ المغانمِ

ونحن ضرَبْنا النّاسَ حتى تَتابَعوا ... على دينِه بالمُرْهَفاتِ الصَّوارِمِ [٣]

ونحن وَلَدْنا من قُرَيش عَظيمَها ... ولدنا نبيّ الخَيْرِ مِن آلِ هاشمِ [٤]

بنى دارمٍ لاتفْخرُوا إنّ فَخْرَكُمْ ... يَعُودُ وَبالاً عندَ ذِكْرِ المَكارِمِ [٥]

هَبِلْتُمْ علَيْنا تَفْخَرُونَ وأنتُمُ ... لَنا خَوَلٌ ما بينَ ظِئْرٍ وخادمِ [٦]

فانْ كُنْتُمْ جِئتم لِحَقْنِ دِمائكُمْ ... وأموالكم أنْ تُقْسَمُوا فى المَقاسِمِ

فَلا تَجْعَلُوا لِله ندًّا وأسْلِمُوا ... وَلا تلْبَسوا زِيًّا كزِىّ الأعاجمِ [٧]

---

(١) المعلمون : الذين يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها ، ويروى : « العالمين » . وانتخوا من النخوة ، وهو التكبر والإعجاب . والأصيد : المتكبر الذى لايلوى عنقه يمينا ولا شمالا . والمتفاقم : المتعاظم ، من تفاقم الأمر : إذا عظم واشتد .

(٢) المرباع (بكسر الميم) : أخذ الربع من الغنيمة ، يريد أنهم رؤساء . والنجد : ما ارتفع من الأرض ، ويريد بنجد : بلاد العرب .

(٣) المرهفات الصوارم : السيوف القاطعة .

(٤) يشير بهذا البيت إلى أن أم عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم كانت نجارية من الأنصار .

(٥) الوبال : الثقل .

(٦) هبلتم : فقدتم وثكلتم . والظئر : التى ترضع ولد غيرها ، وقد تأخذ على ذلك أجرا ؛ وأصله الناقة تعطف على ولد غيرها .

(٧) الند : المثل والشبه .

(إسلامهم وتجويز الرسول إياهم) :

قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسَّان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لَمُؤَتًى له [١] ، لَخَطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولَشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى [٢] من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجَوَّزَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزَهم .

(شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس لتحقيره إياه) :

وكان عمرو بن الأهتم قد خلَّفه القوم فى ظهرهم [٣] ، وكان أصغرَهم سِنًّا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يُبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حَدَث ، وأزْرى به ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسا قال ذلك يهجوه :

ظَلِلْتُ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمُنِى ... عندَ الرَّسول فلمْ تَصْدُقْ ولم تُصِبِ [٤]

سُدْناكمُ سُودَدًا رَهْوًا وسُودَدُكمْ ... بادٍ نَوَاجِذُهُ مُقْعٍ على الذَّنَبِ [٥]

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : « إنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ » .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

(بعض رجال الوفد) :

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بنى عامر ، فيهم عامر بن الطُّفَيْل

---

(١) لمؤتى له : لموفق له .

(٢) فى ا : « أعلى » .

(٣) فى ظهرهم : فى إبلهم .

(٤) الهلباء : يريد بها دبره ، من الهلب ، وهو الخشن من الشعر .

(٥) الرهو : المتسع . والنواجذ : الأسنان . ومقع على الذنب : جالس على إليتيه ، ضام ساقيه ، مرخ ذنبه خلفه .

وأربد بن قَيْس بن جَزْء ١ بن خالد بن جعفر ، وجبَّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر . وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

(تدبير عامر للغدر بالرسول) :

فقدم عامرُ بن الطُّفَيْل عدوُّ الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن النَّاس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنتُ آليتُ أن لا أنتهيَ حتى تتَّبع العربُ عقبي ، أفأنا أتْبعُ عقِبَ هذا الفتى من قُرَيْش ! ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فانى سأشغل عنك وجهه ، فاذا فعلتُ ذلك فاعْله ٢ بالسيف ؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطُّفَيل : يامحمد ، خالِني ٣ ، قال : لاوالله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يامحمد خالِني . وجعل يكلِّمه وينتظر من أربد ما كان أمره به : فجعل أرْبد لا يُحيرُ شيئا ؛ قال : فلما رأى عامر مايصنع أربد ، قال : يامحمد خالِني . قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأَمْلأنَّها عليك خَيْلا ورجالا ؛ فلما ولَّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ اكفني عامرَ بن الطُّفَيل . فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال : لاأبا لك ! لاتعْجَلْ عليّ ، والله ما همَمْتُ بالذى أمرتنى به من أمره إلا دَخَلْتَ بيني وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

(موت عامر بدعاء الرسول عليه) :

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطُّفَيل الطاعون فى عُنُقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلُول ، فجعل

---

(١) كذا فى الأصول . وقال أبو ذر : « وأربد بن قيس بن جزى ، كذا وقع هنا فى الأصل ، وذكره أبو عبيد عن ابن الكلبى فقال : ابن جزء » .

(٢) اعله بالسيف : اقتله به .

(٣) خالنى (بتخفيف اللام) : تفرد لى خاليا حتى أتحدث معك . و (بتشديد اللام) : اتخذنى خليلا وصاحبا ؛ من المخالة ، وهى الصداقة .

يقول : يا بنى عامر ، أغُدّة [١] كغُدّة البكر [٢] فى بيت امرأة من بنى سَلُول !

قال ابن هشام : ويقال أغُدّةً كغدة الإبل ، وموتا فى بيت سلولية .

(موت أربد بصاعقة وما نزل فيه وفى عامر) :

قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين وَارَوه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ؛ فلما قَدِموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أرْبد ؟ قال : لاشىء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوَدِدْتُ أنه عندى الآن ، فأرميه بالنَّبل حتى أقتُلَه ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه [٣] ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما . وكان أربدُ بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأُمِّه .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس . قال : وأنزل الله عزّ وجلّ فى عامر وأربد : « اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحام وَما تَزْدَادُ » . . . إلى قوله « وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ » قال : المُعَقِّباتُ : هى من أمر الله يحفظون محمدا . ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : « وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ » إلى قوله : « شَدِيدُ المِحالِ » :

(شعر لبيد فى بكاء أربد) :

قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

ما إن تُعَدِّى المَنونُ مِنْ أحَدٍ ... لا وَالِدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ [٤]

أخْشَى على أرْبَدَ الحُتوفَ ولا ... أرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأسَدِ

فعَيْنِ هَلاَّ بَكَيتِ أرْبَدَ إذْ ... قُمْنا وقامَ النِّساءُ فى كَبَدِ [٥]

---

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه . وهو شبيه بالذبحة التى تصيب الإنسان .

(٢) البكر : الفتى من الإبل . وإنما تأسف عامر أن لم يمت مقتولا ، كما يتأسف الشجعان ، وتأسف أيضا على موته فى بيت امرأة من سلول ، لأن بنى سلول قبيل موصوف عندهم باللؤم ، وليس ذلك للؤم أصولهم ، لأن مكانهم من قومهم مشهور ، وإنما هو الشىء غلب عليهم كما غلب على محارب وباهلة .

(٣) فى ا : « يبيعه » .

(٤) تعدى : تترك .

(٥) كبد : حزن ومشقة .

إنْ يَشْغَبُوا لا يُبالِ شَغْبَهُمُ ... أوْ يَقْصِدُوا فى الحُكُومِ يَقْتَصِدِ
حُلْوٌ أريبٌ وفى حَلاوتِه ... مُرٌّ لَطيفُ الأحْشاءِ والكَبِدِ [١]
وعَيْنِ هَلاَّ بَكيتِ أرْبَدَ إذْ ... ألْوَتْ رِياحُ الشِّتاءِ بالعَضَدِ [٢]
وأصْبَحَتْ لاقِحاً مُصَرَّمَةً ... حَتى تَجَلَّتْ غَوابِرُ المُدَدِ [٣]
أشْجَعُ مِن لَيْثِ غابةٍ لَحِمٍ ... ذو نَهْمَةٍ فى العُلا ومُنْتَقَدِ [٤]
لا تَبْلُغُ العَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِها ... لَيْلَةَ تُمْسى الجِيادُ كالقِدَدِ [٥]
الباعِثُ النَّوْحَ فى مآتِمِهِ ... مِثْلَ الظِّباءِ الأبْكارِ بالجَرَدِ [٦]
فَجَعَنِى البَرْقُ والصَّواعِقُ بالْـ ... ـفارسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النَّجُدِ [٧]
والحارِبِ الجابِرِ الحَرِيبَ إذَا ... جاء نَكِيبا وَإنْ يَعُدْ يَعُدِ [٨]
يَعْفُو على الجَهْدِ والسُّؤَالِ كَمَا ... يُنْبِتُ غَيْثُ الرَّبيعِ ذو الرَّصَدِ [٩]
كُلُّ بنى حُرَّةٍ مَصِيرُهُمُ ... قُلٌّ وإنْ أكْثَرَتْ مِنَ العَدَدِ [١٠]
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإنْ أُمِرُوا ... يَوْما فَهُمْ لِلْهَلاكِ والنَّفَدِ [١١]

قال ابن هشام: بيته: « والحارب الجابر الحريب » عن أبى عُبيدة، وبيته: « يعفو على الجهد »: عن غير ابن إسحاق.

---

(١) الأريب: العاقل الداهى.

(٢) العضد: الشجر ذهبت الريح بأوراقه. يريد عند الجدب وذبول الأشجار.

(٣) المصرمة: التى لا لبن لها. والغوابر: البقايا. وفى ا: « حين تجلت ».

(٤) اللحم: الكثير أكل اللحم. وذو نهمة: طموح إلى بلوغ الغايات. ويروى: « ذو نهية » أى عقل. ومنتقد: أى بصر بالأمور.

(٥) القدد: جمع قدة، وهى السير يقطع من الجلد؛ يشبه الخيل بالسير فى النحول والضعف.

(٦) النوح: جماعة النساء اللائى ينحن. والمآتم: جماعات النساء يجتمعن فى المناحات. والجرد: الأرض التى لا نبات فيها.

(٧) النجد (بفتح النون المشددة، وضم الجيم): الشجاع.

(٨) الحارب: السالب. والحريب: المسلوب. والنكيب: المنكوب المصاب.

(٩) يعفو على الجهد: يكثر عطاؤه ويزيد عند الجهد والمشقة؛ والرصد (محركة): كلأ قليل.

(١٠) قل (كقفل): قليل.

(١١) إن يغبطوا: إن تستحسن أحوالهم. ويهبطوا: تتغير أحوالهم الأعراض. وأمروا: كثروا. والنفد: انقطاع الشىء وذهابه.

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا يبكى أرْبد :

ألا ذَهَبَ المُحافِظُ والمحامى ... ومانعُ ضيْمها يومَ الخِصامِ [١]

وأيقَنْتُ التفرّقَ يومَ قالُوا ... تُقَسَّم مالُ أرْبَدَ بالسِّهامِ

تَطيرُ عَدائدُ الأشْراكِ شَفْعا ... ووِتْرًا والزَّعامةُ للغُلامِ [٢]

فوَدِّع بالسَّلام أبا حُرَيْزٍ ... وقلَّ وَداعُ أرْبَدَ بالسَّلامِ

وكُنْتَ إمامَنا ولنا نِظاما ... وكانَ الجَزْعُ يُحْفَظُ بالنِّظامِ [٣]

وأرْبَدُ فارسُ الهَيْجا إذا ما ... تَقَعَّرتِ المشاجِرُ بالفِئامِ [٤]

إذا بَكَرَ النِّساءُ مُرَدَّفاتٍ ... حَواسِرَ لا يُجِنَّ على الخِدامِ [٥]

فَواءَلَ يَوْمَ ذلكَ مَنْ أتاهُ ... كما وَأَلَ المُحِلُّ إلى الحَرامِ [٦]

ويَحْمَدُ قِدْرَ أرْبَدَ مَنْ عَراها ... إذا ما ذُمَّ أرْبابُ اللِّحامِ [٧]

وجارتُهُ إذا حلَّتْ لَدَيْهِ ... لها نَفَلٌ وحَظٌّ مِنْ سَنامِ [٨]

فإنْ تَقْعُدْ فَمُكْرَمَةٌ حَصَانٌ ... وإنْ تَظْعَنْ فمُحْسِنَةُ الكلامِ [٩]

وهلْ حُدِّثْتَ عن أخَوَيْنِ داما ... على الأيَّامِ إلاَّ ابْنَىْ شَمامِ [١٠]

وإلاَّ الفَرْقَدَيْنِ وآلَ نَعْشٍ ... خَوَالِدَ ما تُحَدِّثُ بانْهِدامِ [١١]

قال ابن هشام : وهى فى قصيدة له .

---

(١) الضيم : الذل .

(٢) العدائد : الأنصباء . والأشراك : الشركاء . والزعامة : الرياسة ، وقيل : أفضل مال الموروث .

(٣) الجزع : الخرز اليمانى .

(٤) المشاجر : ضرب من الهوادج . والفئام : ما يبسط فى الهودج ويوطأ به .

(٥) حواسر : كاشفات عن وجوههن . ويروى : « جوائر » أى صائحات ، من جأر : إذا رفع صوته بالصياح . ولا يجن : أى لايغطين . ويروى : « لايجن» : أى لايسترن ، كما يروى : « لايجن » أى لايستر (بالبناء للمجهول فيهما) . والخدام : جمع خدمة ، وهى الساق .

(٦) وأل : ألجأ إلى موئل .

(٧) اللحام : جمع لحم .

(٨) النفل : العطية .

(٩) حصان : عفيفة لم يتعرض لها . وتظعن : ترحل .

(١٠) ابنا شمام : جبلان .

(١١) الفرقدان وآل نعش (بنات نعش) : من النجوم .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا يبكى أربد :

إنْعَ الكَريمَ للكَريمِ أرْبَدَا ... انْعَ الرَّئيسَ واللَّطيفَ كَبَدَا[١]
يُحْذِى ويُعْطِى مالَهُ لِيُحْمَدَا ... أُدْمًا يُشَبَّهْنَ صَوَارًا أُبَّدَا[٢]
السَّابِلَ[٣] الفَضْلِ إذا ما عُدِّدَا ... ويَمْلأُ الجَفْنَةَ مَلْئًا مَدَدَا
رِفْهًا إذا يأتى ضَرِيكٌ وَرَدَا ... مِثْلُ الذى فى الغِيلِ يَقْرُو جُمُدَا[٤]
يَزْدادُ قُرْبًا مِنْهُمُ أنْ يُوعَدَا ... أوْرَثْتَنا تُراثَ غَيْرِ أنْكَدَا[٥]
غِبًّا ومالا طارِفا ووَلَدَا ... شَرْخًا صُقُورًا يافِعا وأمْرَدَا[٦]

وقال لبيد أيضا :

لَنْ تُفْنِيا خَيْرَاتِ أرْبَدَ فابْكِيا حتى يَعُودَا
قُولا هُوَ البَطَلُ المُحا ... مِى حِينَ يَكْسُونَ الحَدِيدَا[٧]
ويَصُدُّ عَنَّا الظَّالِمِيـ ... ـنَ إذَا لَقِينا القَوْمَ صِيدَا[٨]
فاعْتاقَهُ ربُّ البَرِيَّـ ... ـةِ إذْ رأى أنْ لا خُلودَا[٩]
فَثَوَى ولَمْ يُوجَعْ ولَمْ ... يُوصَبْ وكانَ هُوَ الفَقِيدَا[١٠]

---

(١) انع : أعلم بموته .

(٢) يحذى : يعطى ، من الحذاء ، وهى العطية . ويروى : « يجدى » وهو بمعناه . والأدم (بسكون الدال) الإبل البيض : والصوارم (بضم الصاد وكسرها) : القطيع من بقر الوحش . وأبدا : جمع آبد ، وهو المستوحش النافر .

(٣) فى م ، ر : « السائل » .

(٤) رفها : أى يفعل ذلك دائما كل يوم . والضريك : الفقير . والغيل : أجمة الأسد . ويريد بالذى فى الغيل : الأسد . ويقرو : يتتبع . قال أبو ذر : « وجمد اسم جبل ؛ ومن رواه (جهدا) فهو من الجهد وهى الطاقة » .

(٥) يوعد : يهدد . والتراث : الميراث . وغير أنكد : أى تراث رجل غير معسر .

(٦) غبا : بعد موتك . والطارف : المال المستحدث . وشرخا : شبابا . وصقورا : كالصقور واليافع : الذى قارب الحلم . والأمرد : الذى لم تنبت لحيته .

(٧) يريد بالحديد : الدروع . ويكسون الحديد ، أى حين يلبسون الدروع للحرب .

(٨) الصيد : جمع أصيد ، هو المائل بعنقه كبرا .

(٩) اعتاقه : منعه من بلوغ أمله . ويروى « فاعتافه » : أى قصده . ورواية هذا البيت فى ا :

« فاعتاقه ربب ... الخ »

(١٠) لم يوصب : لم يصبه وصب ، وهو الألم .

وقال لبيد أيضا :

يُذَكِّرُنى بأَرْبَدَ كُلُّ خَصْمٍ ... أَلَدَّ تخالُ خُطَّتَه ضِرَارًا[١]

إذَا اقْتَصَدُوا فَمُقْتَصِدٌ كَرِيمٌ ... وإنْ جارُوا سَوَاءَ الحَقِّ جارَا[٢]

ويَهْدِى القَوْمَ مُطَّلِعا إذا ما ... دَلِيلُ القَوْمِ بالمَوْمَاةِ حارَا[٣]

قال ابن هشام : آخرُها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا :

أصبحْتُ أمْشِى بعدَ سَلْمَى بن مالك ... وبعد أبى قَيْس وعُرْوَةَ كالأَجَبِّ[٤]

إذا ما رأى ظِلَّ الغُراب أضجَّهُ ... حِذارًا على باقى السَّناسِنِ والعَصَبْ[٥]

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، يُقال له ضِمام بن ثعلبة .

(سؤاله الرسول أسئلة ثم إسلامه) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيْفِع عن كُرَيب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضِمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيرَه على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ فى أصحابه ؛ وكان ضِمام رجلاً جَلْدًا أشعرَ ذا غَدِيرَتين[٦] ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيكم ابنُ عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله

---

(١) ألد : شديد الخصومة . والضرار : الضر .

(٢) اقتصدوا : عدلوا .

(٣) الموماة : الفلاة . يصف أخاه بالبصر بالأمور .

(٤) الأجب : البعير المقطوع السنام .

(٥) أضجه . من التضجيج وهو الصياح . والسناسن : عظام الظهر ، وهى فقاره .

(٦) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطّلب . قال : أمحمد ؟ قال : نعم ، قال : يا بن عبد المطّلب ، إنى سائلك ومُغلّظ عليك فى المسئلة ، فلا تجدنّ [1] فى نفسك ، قال : لاأجد فى نفسى ، فسَلْ عما بدا لك . قال : أنشدُك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللّهمّ نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانُشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبُدون معه ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشُدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلّىَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهمّ نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحجّ وشرائع الإسلام كلها ، يَنْشُدُه عند كلّ فريضة منها كما ينشُده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأؤدّى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لاأزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعا . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذوالعَقيصتين [2] دخل الجنة .

(دعوته قومه للإسلام) :

قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قَدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أوّل ما تكلم به أن قال : بئست [3] اللاتُ والعُزّى ! قالوا : مه يا ضِمام ! اتق البَرَص ، اتق الجُذام ، اتق الجُنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لايضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا أستنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتُكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره [4] رجلٌ ولا امرأة إلا مسلما .

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فلا تحدث بها على » .

(٢) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر .

(٣) كذا فى شرح المواهب . وفى الأصول « باست » .

(٤) الحاضر : الحى .

قال : يقول عبد الله بن عبّاس : فمّا سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمام ابن ثعلبة .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو ابن حَنَش أخو عبد القَيْس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المُعَلَّى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا .

(ضمان الرسول دينه وإسلامه) :

قال ابن إسحاق : حدثنى من لاأتّهم ، عن الحسن [١] ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّمه ، فعرَض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغّبه فيه ، فقال : يامحمد ، إنى قد كنت على دين ، وإنى تارك دِينى لدينك ، أفتضمن لى دِينى ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ماهو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابه . ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُمْلان ، فقال [٢] : والله ماعندى ما أحملكم عليه . قال : يا رسول الله ، فان بيننا وبين بلادنا ضَوالّ من ضوالّ الناس : أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فانما تلك حَرَق النار .

(موقفه من قومه فى الردة) :

فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صُلْبا [٣] على دينه ، حتى هلَك وقد أدرك الردّة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغَرور [٤] بن المنذر بن النُّعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلّم ، فتشهّد

---

(١) فى م ، ر : « الحسين » .

(٢) الحملان : ما يركبون عليه من دواب .

(٣) فى ا : « صليبا » .

(٤) الغرور : اسمه المنذر ، سمى كذلك لأنه غر قومه يوم حرب الردة (السهيلى) .

شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأكفر من لم يشهد .

قال ابن هشام : ويروى : وأكفى من لم يشهد .

(إسلام ابن ساوى) :

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى ، فأسلم فحسن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين ، والعلاء عنده أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة ، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب .

قال ابن هشام : مسيلمة بن ثمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

(ما كان من الرسول لمسيلمة) :

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار ، فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه . معه عسيب [1] من سعف النخل ، فى رأسه خوصات ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم . فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله

(١) العسيب : جريدة النخل .

صلى الله عليه وسلم بمثل ما أُمِرَ به للقوم ؛ وقال : أمَا إنه ليس بشرِّكم مكانا ؛ أى لحفظه ضيْعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ارتداده وتنبؤه) :

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدوّ الله وتنبّأ وتكذّب لهم ، وقال : إنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشرِّكم مكانا ؛ ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أُشرِكت فى الأمر معه ؛ ثم جعل يَسْجع لهم الأساجيع [١] ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة [٢] للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفاق [٣] وحَشَى » . وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبىّ ، فأصْفَقَتْ [٤] معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أىُّ ذلك كان .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيء

(إسلامه وموته) :

قال ابن إسحاق : وقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيّئ ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ؛ فلما انتهوا إليه كلّموه ، وعرض عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسُن إسلامهم ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى من لا أتّهم من رجال طيّئ ؛ ما ذُكِرَ لى رجلٌ من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يُقال فيه ، إلا زيد الخيل : فانه لم يبلغ كلّ ما كان فيه ، ثم سمّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيدَ الخير ، وقطع له فَيْدًا [٥] وأرَضِينَ معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فى ا : « السجعات » .
(٢) مضاهاة : مشابهة .
(٣) الصفاق : مارق من البطن .
(٤) أصفقوا على ذلك : أجمعوا عليه .
(٥) فيد : اسم مكان بشرقى سلمى أحد جبل طيء . وهو الذى ينسب إليه حمى فيد . (البكرى) .

راجعا إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ينجُ زيد من حُمّى المدينة فانه قال : قد سمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أمّ مَلْدم[1] فلم يثبته — فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَرْدة ، أصابته الحُمّى بها فمات ، ولما أحسّ زيد بالموت قال :

أمرتحلٌ قومى المشارقَ غُدْوَةً ... وأُتْرَكُ فى بيتٍ بفَرْدةَ منجدِ[2]

ألا رُبَّ يومٍ لو مَرِضتُ لعادَنِى ... عوائدُ من لم يُبْرَ منهن يَجْهَدِ[3]

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كُتبه ، التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرّقتها بالنار .

أمر عدى بن حاتم

(هربه إلى الشام فرارا من الرسول) :

وأما عدىّ بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشدّ كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأ شريفا ، وكنت نَصْرانيا ، وكنت أسيرُ فى قومى بالمِرْباع[4] ، فكنتُ فى نفسى على دين ، وكنت مَلكا فى قومى ، لما كان يُصنع بى . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربىّ ، وكان راعيا لإبلى : لاأبا لك ، أعدِدْ لى من إبلى أجمالا ذُلُلا[5] سمانا ، فاحتبسْها قريبا منى ، فاذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنّى ؛ ففعل ؛ ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدىّ ، ما كنتَ صانعا إذا غشيتْك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فانى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرّب إلىّ أجمالى ، فقرّبها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألْحَقُ بأهل دينى من النّصارى بالشام

---

(١) قال السهيلى فى (الروض ٢ : ٣٤٢) الاسم الذى ذهب عن الراوى من أسماء الحمى هو : أم كلبة (بضم الكاف) ذكر لى أن أبا عبيدة ذكره فى مقاتل الفرسان ، ولم أره .

(٢) منجد : أى بنجد .

(٣) يبرى (بالبناء المجهول) أى يبريه السفر ويضعفه .

(٤) أسير بالمرباع : أى آخذ الربع من الغنائم ، لأنى سيدهم .

(٥) ذلل : جمع ذلول ، وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

فسلكتُ الجَوْشية ¹ ، ويقال : الحَوْشية فيما قال ابن هشام — وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر ² ؛ فلما قَدِمت الشام أقمتُ بها .

(أسر الرسول ابنة حاتم ثم إطلاقها) :

وتُخالفنى خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتُصيب ابنةَ حاتم ، فيمن أصابت ، فقُدِم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيِّئ ، وقد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال : فجُعِلَتْ بنت حاتم فى حظيرة ³ بباب المسجد ، كانت السَّبايا يُحْبَسْن فيها ، فمرّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلَك الوالد ، وغاب الوافد ⁴ فامْنُنْ علىّ مَنّ الله عليك . قال : ومَنْ وافدك ؟ قالت : عَدِىّ بن حاتم . قال : الفارّ من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مرّ بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مرّ بى وقد يئست منه ، فأشار إلىّ رجل من خلفه أنْ قومى فكلِّميه ؛ قالت : فقمت إليه ، فقلت : يا رسول الله هلَك الوالد ، وغاب الوافد ، فامْنُنْ علىّ منّ الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلتُ ، فلا تعجَلى بخروج حتى تجِدى من قومك من يكون لك ثِقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلىّ أن أكلمه ، فقيل : علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِىّ أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتِىَ أخى بالشام . قالت : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، قد قَدِم رَهْط من قومى ، لى فيهم ثِقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمَلنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قَدِمت الشام .

---

(١) الجوشية : جبل للضباب قرب ضرية . من أرض نجد .

(٢) بنت حاتم هذه : هى سفانة كما رجحه السهيلى ، إذ لايعرف له بنت غيرها . والحاضر : الحى .

(٣) الحظيرة : شبيهة بالزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها .

(٤) الوافد : الزائر .

(إشارة ابنة حاتم على عدى بالإسلام) :

قال عدىّ : فوالله إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظَعينة [١] تَصُوب إلىّ [٢] تؤمنا ، قال : فقلت ابنةُ حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسحلت [٣] تقول : القاطع الظالم ، احتملتَ بأهلك وولدك ، وتركت بقيَّة والدك عورتك ، قال : قلت : أىْ أُخيَّة ، لاتقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عُذر ، لقد صنعتُ ما ذكرت . قال : ثم نزلتْ فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا تَرَين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تَلْحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملِكا فلن تَذِلّ فى عزّ اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

(قدوم عدى على الرسول وإسلامه) :

قال : فخرجت حتى أقْدَم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلَّمت عليه ، فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : عدىّ بن حاتم ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إليه ، إذ لَقيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تُكلِّمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ماهذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة من أدَم مَحْشوَّة ليفا ، فقذفها إلىّ ؛ فقال : اجلسْ على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض؛ قال : قلت فى نفسى : والله ماهذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه ياعدىّ بن حاتم! ألم تك رَكُوسيا [٤] ؟ قال : قلت : بلى . (قال) [٥] : أو لم تكن تسيرُ فى قومك بالمِرْباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فان ذلك لم يكن يَحِل لك فى دينك ؛ قال

(١) الظعينة : المرأة فى هودجها ، وقد تسمى ظعينة وإن لم تكن فيه .

(٢) تصوب إلى : تقصد وتؤم .

(٣) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه بجدة .

(٤) الركوسى : من الركوسية ، وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .

(٥) زيادة عن ا .

قلت : أجَل والله ، وقال : وعرفت أنه نبىّ مُرْسَل ، يعلم ما يُجهَل ؛ ثم قال . لعلك يا عدىّ إنما يمنعك من دُخول فى هذا الدين ما ترَى من حاجتهم ، فوالله ليُوشِكَنّ المالُ أن يَفيض فيهم حتى لا يُوجَد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم ، فوالله ليُوشِكَنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها (حتى)[1] تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن المُلك والسلطان فى غيرهم ، وايْمُ الله ليوشكنّ أن تسمع بالقُصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت ؛

(وقوع ما وعد به الرسول عديا) :

وكان عدىّ يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونَنّ ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابلَ قد فُتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها لا تخاف حتى تحجّ هذا البيت ، وايْمُ الله لتكونَنّ الثالثة ، ليَفيضَنّ المالُ حتى لا يُوجد من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قال ابن إسحاق : وقَدم فَروة بن مُسَيك المُرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كِندة ، ومباعدًا لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(يوم الردم بين مراد وهمدان) :

وقد كان قُبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة ، أصابت فيها هَمْدان من مرادَ ما أرادوا ، حتى أثخنوهم[2] فى يوم كان يقال له : يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد هَمْدان إلى مراد الأجدعُ بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد هَمْدان فى ذلك اليوم مالك بن حَريم الهَمْدانى .

(شعر فروة فى يوم الردم) :

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فَروة بن مُسيك :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) أثخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجراحات .

مَرَرْنا عَلَى لُفاةَ وهنَّ خوص ... ينازعن الأعنة ينتحينا[1]

فإنْ نَغْلِبْ فغلاَّبون قِدْماً ... وإن نُغْلَبْ فغيرُ مُغلَّبِينا

وما إن طِبُّنا جُبْن ولكن ... مَنايانا وطُعْمَةُ آخَرِينا[2]

كَذاكَ الدَّهْر دَوْلتُه سِجالٌ ... تكُرُّ صُروفُه حِينا فحِينا[3]

فبَينا ما نُسَرّ بِه ونَرْضَى ... ولو لُبِسَت غَضَارته سِنينا[4]

إذ انْقَلَبَتْ بِه كَرَّاتُ دَهْرٍ ... فألفيتَ الأُلى غُبِطوا طَحِينا[5]

فمَنْ يُغْبَطْ بريْب الدَّهرِ منهم ... يَجِدْ رَيْبَ الزَّمانِ له خَئُونا

فلَوْ خَلَدَ المُلوك إذنْ خَلَدنا ... ولو بَقِى الكِرامُ إذنْ بقِينا

فأفنى ذلكم سَرَوَاتِ قوْمِى ... كمَا أفنى القُرونَ الأوّلينا[6]

قال ابن هشام: أوّل بيت منها، وقوله: «فإن نَغلب» عن غير ابن إسحاق.

(قدوم فروة على الرسول وإسلامه):

قال ابن إسحاق: ولما توجه فَرْوة بن مُسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة، قال:

لما رأيتُ ملوك كندة أعرَضتْ ... كالرّجل خان الرجلَ عرق نَسائها[7]

قرّبْتُ راحلتى أؤمّ مُحمّداً ... أرجُو فَوَاضلَها وحُسْن ثَرائها

---

(1) لفات (بضم أوله، كما فى معجم البلدان): من ديار مراد. وفى معجم ما استعجم للبكرى: «مررن على لفات وذى خوص» بالكسر، على أنه جمع «لفت» بفتح أوله أو كسره: موضع بين مكة والمدينة. وخوص: غائرات العيون، وينتحين: يعترضن ويتعمدن.

(2) طبنا: قال فى لسان العرب: «يجوز أن يكون معناه: ما دهرنا وشأننا وعادتنا، وأن يكون [illegible] شهوتنا. ومعنى هذا الشعر: إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم فغلبتنا، فغير مغلبين. والمغلب: الذى يغلب مرارا، أى لم نغلب إلا مرة واحدة». ورواية اللسان «ودولة آخرينا». والدولة (بفتح الدال وضمها): العقبة فى المال والحرب سواء.

(3) سجال: تارة للإنسان، وتارة عليه. وهو من المساجلة على البئر، يستقى هذا مرة، وذلك مرة.

(4) غضارة الشىء: طراوته ونعمته.

(5) غبطوا: استحسنت حالهم.

(6) سروات القوم: أشرافهم.

(7) النسا: عرق مستبطن فى الفخذ، وهو مقصور، ومد (هنا) للشعر.

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحُسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : يافروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ قال : يارسول الله ، مَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لايسوءه ذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أمَا إن ذلك لم يزد قومَك في الإسلام إلا خيرا .

واستعمله النبيّ صلى الله عليه وسلم على مراد وزُبيد ومَذْحِجَ كلها ، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد

وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معديكرِبَ في أناس من بني زُبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بنِ مكشوح المُرادىّ ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياقيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبيّ ؛ فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فان كان نبيًّا كما يقول ، فانه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ؛ وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفَّه رأيه ، فركب عمرو ابن مَعْدِيكربَ حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدَّقه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بنَ مكشوح أوعدَ عمْرًا ، وتحطَّم عليه[1] ، وقال : خالفني وترك رأيي ؛ فقال عمرو بن معديكربَ في ذلك :

أمَرْتُكَ يَوْمَ ذِى صَنْعا ءَ أمْرًا باديا رَشَدُهْ[2]
أمَرْتُكَ باتِّقاءِ اللـهِ والمَعْرُوفِ تَتَّعِدُهْ

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .
(٢) ذوصنعاء : موضع .

خرجت من المثنى مثل الحمير غره وتده
تمنانى على فرس عليه جالسا أسده
على مفاضة كالنهى أخلص ماءه جدده[١]
ترد الرمح منثنى[٢] السنان عوائرا قصده[٣]
فلو لاقيتنى للقيت ليثا فوقه لبده[٤]
تلاقى شنبثا شثن البراثن ناشزا كتده[٥]
يسامى القرن إن قرن تيممه فيعتضده[٦]
فيأخذه فيرفعه فيخفضه فيقتصده[٧]
فيدمغه فيحطمه فيخضمه فيزدرده[٨]
ظلوم الشرك فيما أحرزت أنيابه ويده

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة :

أمرتك يوم ذى صنعا ء أمرا بينا رشده
أمرتك باتقاء الله تأتيه وتتعده
فكنت كذى الحمير غره مما به وتده

ولم يعرف سائرها .

(ارتداده وشعره فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة

(١) المفاضة : الدرع الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة .

(٢) فى ا : « مثنى » .

(٣) عوائر : متطايرة . والقصد : جمع قصدة ، وهى ما تكسر من الرمح .

(٤) اللبد : جمع لبدة ، وهى ما على كتفى الأسد ورأسه من الشعر .

(٥) الشنبث : الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله . والشثن : الغليظ الأصابع . والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان . وناشز : مرتفع . والكتد : ما بين الكتفين .

(٦) يعتضده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .

(٧) يقتصده : يقتله .

(٨) يدمغه : يصيب دماغه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه . يأكله ، وفى ا : « يجضمه » وهى بمعناها . ويزدرده : يبتلعه .

ابن مُسيك . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو بن معديكربَ ، وقال حين ارتدّ :

وجدْنا مُلْكَ فَروة شرَّ مُلْكٍ حمارًا سافَ مُنْخُــرهُ بثَفْرِ [١]

وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمَير ترَى الحُوَلاءَ من خَبَثٍ وغَدْرِ [٢]

قال ابن هشام : قوله « بثَفر » عن أبي عُبيدة .

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

(قدومهم وإسلامهم) :

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الأشعثُ بن قيس في وفد كِندة ، فحدثني الزّهريّ بن شِهاب أنه قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكبا من كِندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، وقد رَجّلوا [٣] جُمَمَهُم [٤] وتكَحّلوا ، وعليهم جُبَبُ الحِبَرة ، وقد كفَّفُوها [٥] بالحَرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تُسْلِموا ؟ قالوا : بلَى ؛ قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال : فشقّوه منها ، فألقَوْه .

(انتساب الوفد إلى آكل المرار) :

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله : نحن بنو آكل المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار ؛ قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسبُوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعةَ بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب ، فسُئلا ممن هما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرار ، يتعزّزان بذلك ، وذلك أن كِندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النَّضْر

---

(١) ساف : شم . والثفر في البهائم : بمنزلة الرحم من الإنسان .

(٢) الحولاء (بضم الحاء وكسرها وفتح الواو) : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر . يشبه المهجو بما فيه من خبث وغدر بهذه الحولاء دناءة وقذارة .

(٣) رجلوا : سرحوا ومشطوا .

(٤) الجمم : جمع جمة ، وهي مجتمع شعر الناصية الذي يصل إلى المنكبين .

(٥) جعلوا لها سجفا من الحرير .

ابن كنانة ، لانَقْفو[١] أمَّنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لاأسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

(نسب الأشعث إلى آكل المرار) :

قال ابن هشام : الأشعث بن قَيْس من ولد آكل المُرار من قِبَل النساء ، وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع بن معاوية بن كندىّ ؛ ويقال كندة ، وإنما سمّى آكلَ المُرار ، لأن عمرو بن الهَبولة الغسَّانى أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ، فغنم وسبى ؛ وكان فيمن سبى أُمُّ أُناس بنت عوف بن محلِّم الشَّيبانى ، امرأة الحارث ابن عمرو ، فقالت لعمرو فى مسيره : لكأنى برجل أدْلَمْ[٢] أسود ، كأن مشافرَه مشافر بعير آكل مُرار[٣] قد أخذ برقبتك ، تعنى الحارث ، فسمى آكل المُرار ، والمُرار : شجر . ثم تبعه الحارث فى بنى بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُرِىُّ لعمرو بن المُنذر ، وهو عمرو بن هند اللخمىّ :

وأقَدْناكَ رَبَّ غَسَّانَ بالمُنْــــذرِ كَرْها إذْ لاتُكال الدّماء

لأن الحارث الأعرج الغسَّانى قتل المنذرُ أباه ، وهذا البيت فى قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القَطْع . ويقال بل آكل المُرار : حُجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ؛ وإنما سمّى آكل المُرار ، لأنه أكل هو وأصحابه فى تلك الغزوة شجرا يقال له المُرار .

---

(١) لانقفو أمنا : لا نتبع نسب أمنا . وقد كان من جدات الرسول صلى الله عليه وسلم من هى من ذلك القبيل ، منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور ، وهى أم كلاب بن مرة ؛ وقيل : بل هى جدة كلاب ، أم أمه هند ، وقد ذكر ابن إسحاق هندا هذه ، وذكر أنها ولدت كلابا (عن السهيل) .

(٢) الأدلم : المسترخى الشفتين .

(٣) المرار (بضم الميم) : نبت إذا أكلته الإبل تقبضت مشافرها ، لمرارته .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدى

(إسلامه) :

قال ابن إسحاق : وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَدُ بن عبد الله الأزدىّ ، فأسلم ، وحسُن إسلامه ، فى وفد من الأزد ، فأمَّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه : وأمروه أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبائل اليمن .

(قتاله أهل جرش) :

فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجُرَش [١] ، وهى يومئذ مدينةٌ معلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوت [٢] إليهم خَثْعَم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكر ، ظنّ أهل جُرَشَ أنه إنما ولىّ عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عَطَف عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

(إخبار الرسول وافدى جرش بما حدث لقومها) :

وقد كان أهل جُرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبيناهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيةً بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأىّ بلاد الله شَكْر ؟ فقام إليه الجُرَشيان فقالا : يارسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشْر ؛ وكذلك يسميه أهلُ جُرَش ، فقال : إنه ليس بكَشْر ، ولكنه شَكْر ؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدْنَ الله لتُنْحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَنْعَى لكما قومكما [٣] ،

---

(١) جرش (بوزن عمر) : مخلاف من مخاليف اليمن (كورة) .

(٢) ضوت إليهم : لجأت إليهم .

(٣) أى يخبركما بقتلهم .

فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومهما ، فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهمّ ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعَيْن إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يومَ أصابهم صُرَد بن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

(إسلام أهل جرش) :

وخرج وفدُ جُرَش حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، بقرة الحرْث ، فمن رعاه من الناس فمالهم سُحْتٌ . فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد : وكانت خثْعَم تُصيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يَعْدُون [١] فى الشهر الحرام :

يا غزْوَةً ما غزَوْنا غيرَ خائبةٍ فيها البِغالُ وفيها الخيْل والحُمُرُ
حتى أتيْنا حُمَيْرًا فى مَصانعها وجمعُ خثْعَمَ قد شاعتْ لها النُذُرُ [٢]
إذا وضعْتُ غَليلا كنتُ أحمِلهُ فمَا أُبالى أدانُوا بعدُ أم كفَرُوا [٣]

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

(قدوم رسول ملوك حمير) :

وقدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوك حِمْيَر ، مَقْدَمَه من تَبوكَ ، ورسولهم إليه باسلامهم ، الحارث بن عبد كُلال ، ونُعَيم بن عبد كُلال ، والنُعْمانُ قيلُ [٤] ذى رُعين ومَعافرَ وهمْدان ؛ وبعث إليه زُرْعة ذويزَن مالكَ ابن مرّة الرَّهاوى باسلامهم ، ومُفارقتهم الشرك وأهله .

(١) يعدون : يعتدون .

(٢) حمير : تصغير ترخيم لحمير . وفى الزرقانى : « أتينا جريشا » . والمصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . وشاعت : ذاعت وانتشرت . وفى ا : « ساغت » أى سهلت .

(٣) الغليل : حرارة الجوف ، من عطش أو نحوه . ودانوا : خضعوا للدين .

(٤) القيل : واحد الأقيال ، وهم الملوك الذين دون الملك الأكبر .

(كتاب الرسول إليهم) :

فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبيّ ، إلى الحارث بن عبد كُلال ، وإلى نعيم بن عبد كُلال ، وإلى النّعمان ، قَيلِ ذى رُعين ومَعافرَ وَهمْدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فانه قد وقع بنا رسولُكم مُنْقَلَبَنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلتم به ، وخبّرنا ما قبلكم ، وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهُداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمُس الله ، وسهمَ الرسول وصَفيه [1] ، وما كُتب على المؤمنين من الصّدقة من العَقار [2] ، عُشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغَرْب [3] نصف العشر ؛ وأن فى الإبل الأربعين ابنة لَبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفى كلّ خمس من الإبل شاة ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ أربعين من البقر بقرة ؛ وفى كلّ ثلاثين من البقر تَبيع ، جَذَع أو جذَعة ؛ وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيرًا فهو خير له ، ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر [4] المؤمنين على المشركين ، فانه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمّة الله وذمّة رسوله ، وإنه من أسلم من يهُودىّ أو نصرانىّ ، فانه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ؛ ومن كان على يهوديته أو نصرانيّته فانه لا يُرَد عنها ، وعليه الجزية ، على كلّ حال ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ واف ، من قيمة المعافر [5] أو عِوَضُه ثيابا ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومن منعه فانه عدوّ لله ولرسوله . أما بعد ، فان رسول الله محمدا النبىّ

---

(١) الصفى : ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل أن تقسم المغانم .

(٢) العقار : الأرض .

(٣) الغرب : الدلو .

(٤) ظاهر : عاون وقوى .

(٥) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

أرسل إلى زُرعة ذى يزن أنْ إذا أتاكم رُسُلى فأُوصيكم بهم خيرا : مُعاذُ بن جبَل، وعبدُ الله بن زيد ، ومالكُ بن عُبادة ، وعقْبة بن نمر ، ومالك بن مُرّة ، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجِزْية من مخاليفكم ، وأبْلِغوها رُسلى ، وأن أميرهم مُعاذ بن جبل ، فلا ينْقلِبَنَّ إلاَّ راضيا . أما بعد . فان محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مُرّة الرّهاوى قد حدّثنى أنك أسلمتَ من أوّل حمير ، وقتلتَ المشركين ، فأبْشر بخير وآمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فانّ رسولَ الله هو ولىُّ[1] غنيِّكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يُزَكّى بها على فُقَراء المسلمين وابن السبيل ، وأن مالكا قد بلّغ الخبرَ ، وحفِظ الغَيب ، وآمركم به خيرا ، وإنّى قد أرسلتُ إليكم من صالحى أهلى وأُولى دينهم وأُولى علمهم ، وآمرك بهم خيرا ، فانهم[2] منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذا حين بعثه إلى اليمن

(بعث الرسول معاذا على اليمن وشىء من أمره بها) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعَث مُعاذا ، أوصاه وعَهِد إليه ، ثم قال له : يسِّر ولا تعسِّر ، وبَشِّر ولا تنفِّر ، وإنك ستقدَم على قوم من أهل الكتاب ، يسْئلونك ما مِفْتاح الجنة ؛ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ قال : فخرج معاذ ، حتى إذا قَدِم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ، ما حقُّ زوج المرأة عليها ؟ قال : وَيْحَك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدّىَ حقّ زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فى ا : « مولى » .
(٢) فى ا : « فانه » .

إنك لتعلم ماحقّ الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تَنْثعب[1] مَنْخِراه قَيْحا ودما ، فمَصِصْت ذلك حتى تُذْهبيه ما أدّيت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

(إسلامه) :

قال ابن إسحاق : وبعث فروةُ بن عمرو النافرة الجُذامى ، ثم النُّفاثى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء . وكان فروة عاملا للرُّوم على مَن يَليهم من العرب ، وكان منزله مُعان وما حولها من أرض الشام .

(حبس الروم له وشعره فى محبسه) :

فلما بلغ الرومَ ذلك من إسلامه ، طلَبوه حتى أخذوه ، فحبَسوه عندهم ، فقال فى مَحْبِسه ذلك :

طرقتْ سُلَيْمَى مَوهِنا أصحابى ... والرُّومُ بين البابِ والقِـرْوَان[2]
صَدَّ الخيالُ وساءَهُ ما قد رَأى ... وهمَمْتُ أنْ أُغْفِى وقد أبْكانى[3]
لا تَكحلَنَّ العينَ بعدِىَ إثمِدًا ... سَـلْمَى ولا تَدِينَّ للإتْيان[4]
ولقدْ علِمْتَ أبا كُبَيْشةَ أننى ... وَسْـطَ الأعزّةِ لا يُحَص لِسانى[5]
فلَئن هلَكتُ لتَفْقِدُنَّ أخاكم ... ولئن بَقيتُ لتَعْـرِفُنَّ مَكانى
ولقد جمَعْتُ أجَلَّ ما جمَع الفتى ... مِن جَوْدَةٍ وشَـجاعَةٍ وبَيانِ

فلما أجمَعت الروم لصلبه على ماءٍ لهم ، يقال له عِفْراء[6] بفِلَسْطين ، قال :

---

(١) تنثعب منخراه : تسيل .

(٢) الموهن : بعد ساعة من الليل. والقروان : جمع قرو (بالكسر) وهو حويض من خشب تسقى فيه الدواب ، وتلغ فيه الكلاب .

(٣) أغفى : نام نوما خفيفا .

(٤) الإثمد : ضرب من الكحل .

(٥) لايحص : لايقطع .

(٦) فى شرح المواهب للزرقانى : « عفراء » بفتح العين وسكون الفاء وألف بعدها همزة ، فيكون ممدودا وقصره فى الشعر ضرورة . وفى الأصول : « عفرا » بالقصر .

ألا هَل أتى سَلْمَى بأنَّ حَليلَها　　على ماء عَفْرا فوق إحدى الرَّواحل[١]

عَلى ناقَة لم يَضْرب الفَحلُ أُمَّها　　مُشَذَّبَةٌ أطْرافُها بالمَناجِلِ[٢]

(مقتله) :

زعم الزهرىُّ بن شهاب ، أنهم لما قدَّموه ليقتلوه . قال :

يبلِّغْ سَرَاةَ المُسْلِمينَ بأنَّنى　　سَلْمٌ لربِّى أعْظُمِى ومَقامى

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، يرحمه الله تعالى .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد

لما سار إليهم

(دعوة خالد الناس إلى الإسلام وإسلامهم) :

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنَجران[٣] وأمَرَه أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يُقاتلهم ثلاثا ، فان استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتِلهم . فخرج خالدٌ حتى قَدِم عليهم ، فبعث الرُّكبان يَضْربون فى كلِّ وَجْه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا . فأسلم الناسُ ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلِّمهم الإسلام وكتابَ الله وسنَّة نَبِيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عله وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

(كتاب خالد إلى الرسول يسأله رأيه فى البقاء أو المجىء) :

ثم كتب خالدُ بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عله وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى

---

(١) الحليل : الزوج . والرواحل فى الأصل : الإبل . ويريد بإحدى الرواحل : الخشبة التى صلبوه عليها . وسيعود إلى ذكر هذا البيت الآتى .

(٢) المشذبة : التى أزيلت أغصانها .

(٣) نجران : بلد بين اليمن وهجر .

لاإله إلا هو ، أما بعد ، يا رسول الله صلى الله عليك ، فانك بعثتنى إلى بنى الحارث ابن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم [١] ، وقبلت منهم ، وعلّمتهم معالمَ الإسلام وكتابَ الله وسنّة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قَدِمت عليهم فدعَوتُهم إلى الإسلام ثلاثةَ أيام ، كما أمَرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم رُكبانا ، قالوا : يا بنى الحارث ، أسلِموا تسلَموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مُقيم بين أظهرُهم ، آمُرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلّمهم معالم الإسلام وسنة النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

(كتاب الرسول إلى خالد يأمره بالمجىء) :

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فانى أحمد إليك الله الذى لاإله إلا هو . أما بعد ، فان كتابك جاءنى مع رسولك تُخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهُداه ، فبشّرهم وأنذرهم ، وأقبِلْ وليُقبِلْ معك وفدُهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

(قدوم خالد مع وفدهم على الرسول) :

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ بنى الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحُصَين ذى الغُصّة [٢] ، ويزيد بن عبد المَدان ، ويزيد بن المحجَّل ، وعبد الله بن قُراد الزّيادى ؛ وشدّاد بن عبد الله القَنانى ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابى [٣] .

---

(١) هذه العبارة : « أقمت فيهم » ساقطة فى : ا .

(٢) سمى ذا الغصة ، لأنه كان إذا تكلم أصابه كالغصص .

(٣) ضباب (بكسر الضاد) فى بنى الحارث بن كعب ، وفى قريش ، وفى بنى عامر بن صعصعة . و(بالفتح) فى نسب النابغة الذبيانى . و « (بالضم) فى بنى بكر (انظر السهيل) .

(حديث وفدهم مع الرسول) :

فلما قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فرآهم ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسولُ الله ، وأنه لاإله إلا الله ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجِعْه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدان : نعم ، يا رسول الله ، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربعَ مِرار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن خالداً لم يكتب إلىّ أنكم أسلمتم ولم تُقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد ابن عبدالمَدان : أما والله ماحَمِدناك ولا حمدنا خالدا ، قال : فمن حَمِدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عزّ وجلّ الذى هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ؛ قال : بلى ، قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب مَنْ قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نَجتمع ولا نَفْترق ، ولا نبدأ أحدا بظلم ؛ قال : صدقتم . وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيسَ بن الحُصَين .

فرجع وفدُ بنى الحارث إلى قومهم فى بقيَّة من شوّال ، أو فى صدر ذى القَعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومِهم إلا أربعة أشهر ، حتى تُوُفِّىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

(بعث الرسول عمرو بن حزم بعهده إليهم) :

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولّى وفدُهم عمرو ابن حزم ، ليفقّههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابا عهد إليه فيه عَهده ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم :

ا هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبىّ
رسول الله لعمرو بن حَزْم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمرَه بتَقْوى الله فى أمره كلِّه ،
فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمره الله ،
وأن يبشِّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويُعلِّم الناس القرآن ، ويفقِّههم فيه ،
وينهى الناس ، فلا يمسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ،
والذى عليهم ، ويلينَ للنّاس فى الحقّ ، ويشتدّ عليهم فى الظلم ، فان الله كره الظلم ،
ونَهَى عنه ، فقال : « ألا لَعْنَةُ الله على الظّالمِينَ » ، ويبشِّر الناس بالجنّة
وبعَملها ، ويُنْذِر الناس النارَ وعملَها ، ويستألِف الناس حتى يَفْقَهوا فى الدين ،
ويعلِّم الناس معالم الحجّ وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحجّ الأكبر : الحجّ
الأكبر ، والحجّ الأصغر : هو العُمرة ؛ ويَنْهى الناس أن يصلِّى أحدٌ فى ثوب
واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه ؛ وينهى الناس أن يحتبىَ
أحد فى ثوب واحد يُفْضى بفَرْجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه
فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن
دعواهم إلى الله عزّ وجلّ وحدَه لاشريك له ، فمن لم يَدْع إلى الله ، ودعا إلى
القبائل والعشائر فَلْيُقْطَفُوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك
له ، ويأمر الناس باسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين
ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود [1]
والخشوع ، ويُغلِّس بالصبح ، ويهجِّر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة
العصر والشمس فى الأرض مُدْبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لايؤخر حتى
تبدوَ النجوم فى السماء ، والعشاء أوّل الليل ؛ وأمر بالسَّعى إلى الجمعة إذا نودِىَ
لها ، والغسْل عند الرّواح إليها ؛ وأمره أن يأخذ من المغانم خُمُس الله ؛ وما كُتب
على المؤمنين فى الصَّدقة من العَقارعُشْرُ ماسقَت العين وسقت السماء ، وعلى
ماسَقَى الغَرْبُ نصف العُشر ؛ وفى كلّ عَشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ عشرين
أربع شياه ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كلّ ثلاثين من البقر تَبيع ،

(١) هذه الكلمة « السجود » ساقطة فى ا .

جَذَع أو جَذَعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، فانها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خير له ؛ وأنه من أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فانه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ؛ ومن كان على نصرانيته أو يهوديّته فانه لا يُرَدُّ عنها ، وعلى كلّ حالم : ذكر أو أنثى ، حُرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عوَضُه ثيابا .
فمن أدّى ذلك ، فان له ذمّة الله وذمّةَ رسوله ، ومن منع ذلك ، فانه عدوّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ؛ صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى

(إسلامه وحمله كتاب الرسول إلى قومه) :

وقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدنة الحُدَيْبية ، قبل خيبر ، رفاعة بن زيد الجُذامىّ ثم الضُّبَيْبِيّ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما ، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه . وفى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامّة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .
فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحَرّة : حَرّة الرَّجْلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد همدان

(أسماؤهم وكلمة ابن نمط بين يدى الرسول) :

قال ابن هشام : وقَدِم وفد هَمْدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما

حدثنى من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أُذينة العبدى ، عن أبى[1] إسحاق السَّبِيعى ، قال : قَدِم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك ابن نَمَط ، وأبو ثور ، وهو ذوالمِشْعار ، ومالك بن أَيْفع وضِمام بن مالك السَّلْمانى وعَميرة بن مالك الخارِفىّ ، فلَقُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من تبوك وعليهم مُقَطَّعات الحِبَرات[2] ، والعمائم العدنية ، برحال المِيْس[3] على المَهْرِيَّة[4] والأَرْحَبِيَّة[5] ومالك بن نَمَط ورجل اخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدان خَيْرٌ سُوقةً وأَقْيالْ ... لَيْسَ لَهَا فى العالَمِينَ أَمْثالْ[6]

مَحَلُّها الهَضْبُ ومنها الأَبْطالْ ... لَهَا إطاباتٌ بِهَا وآكالْ[7]

ويقول الآخر :

إلَيْكَ جاوَزْنَ سَوادَ الرِّيفِ ... فى هَبَوات الصَّيْفِ والخَرِيفِ[8]

مُخَطَّماتٍ بِحِبالِ اللِّيفِ[9]

فقام مالك بن نَمَط بين يديه ، فقال : يا رسول الله ، نَصِيَّةٌ[10] من هَمْدان ، من كلِّ حاضر وباد ، أتَوْكَ على قُلُص نَوَّاج[11] ، متَّصلة بحبائل الإسلام ،

---

(١) فى ا : « ابن إسحاق السبيعى » . وهو تحريف .

(٢) مقطعات : ثياب مخيطة . والحبرات : برود يمنية .

(٣) الميس : خشب تصنع منه الرحال التى تكون على ظهور الإبل .

(٤) المهرية : الإبل النجيبة ، تنسب إلى مهرة ، قبيلة باليمن .

(٥) الأرحبية : إبل تنسب إلى أرحب . وهم قبيلة من همدان ، أوفحل ، أو مكان تنسب إليه النجائب .

(٦) السوقة : من دون الملوك من الناس . والأقيال . الملوك دون الملك الأكبر ، واحدهم : قيل .

(٧) الهضب : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة : هضبة . يصف علو منزلتها . والإطابات : الأموال الطيبة . والآكال : ما يأخذه الملك من رعيته وظيفة له عليهم .

(٨) السواد (هنا) : القرى الكثيرة الشجر والنخل . والريف : الأرض التى تقرب من الأنهار والمياه الغزيرة . والهبوات : جمع هبوة ، وهى الغبرة .

(٩) مخطمات : جعل لها خطم ، وهى الحبال التى تشد فى رءوس الإبل على آنافها .

(١٠) النصية : خيار القوم .

(١١) القلص (ككتب) : الإبل الفتية ؛ الواحد : قلوص (كرسول) . ونواج : مسرعة .

لاتأخذهم فى الله لومةُ لائم ، من مخْلاف [١] خارف ويام وشاكر [٢] أهل السود والقود [٣] ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الإلهاتِ [٤] الأنصاب [٥] ، عهدهم لاينُقَضُ ما أقامت لَعْلَع [٦] ، وما جرى اليعفور [٧] بصَلَع [٨] .

(كتاب الرسول بالنهى) :

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جَناب الهَضْب وحِقاف [٩] الرمل ، مع وافدها ذى المِشْعار مالك بن نَمَط ، ومن أسلم من قومه ، على أنّ لهم فِراعها [١٠] ووِهاطَها [١١] ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزّكاة ، يأكلون عِلافَها [١٢] ويَرْعون عافِيَها [١٣] ، لهم بذلك عهدُ الله وذِمام رسوله ، وشاهِدُهم المُهاجرون والأنصار . فقال فى ذلك مالك بن نَمَط :

ذكرتُ رَسُولَ الله فى فَحْمة الدُّجَى   ونحنُ بأعلى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ [١٤]

وهُن بِنا خُوصٌ طَلائحُ تَغْتَلى   برُكْبانها فى لاحِبٍ مُتمدِّدِ [١٥]

---

(١) المخلاف : المدينة ، بلغة اليمن .

(٢) خارف ، ويام ، وشاكر : قبائل من اليمن .

(٣) السود : الإبل . والقود : الخيل .

(٤) الإلهات : جمع إلهة .

(٥) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها . وفى ا : « الإلهات والأنصاب » .

(٦) لعلع : جبل .

(٧) اليعفور : ولد الظبية .

(٨) كذا فى م ، ر . وصلع : اسم موضع . وفى ط ا : « بضلع » أى بقوة .

(٩) الحقاف : جمع حقف ، وهو الرمل المستدير .

(١٠) الفراع : أعالى الأرض .

(١١) الوهاط : المنخفض من الأرض .

(١٢) العلاف : ثمر الطلح .

(١٣) عافيها : نباتها الكثير ، يقال : عفا النبت وغيره : إذا كثر .

(١٤) الفحمة : السواد . والدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة . ورحرحان وصلدد : موضعان .

(١٥) الخوص : الغائرة العيون ، الواحدة : خوصاء . وطلائح : معيية . وتغتلى (بالغين المعجمة) تشتد فى سيرها . واللاحب : الطريق البين .

على كلِّ فَتْلاءِ الذِّراعين جَسْرَةٍ ... تمُرُّ بنا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ [١]

حلَفْتُ برَبِّ الرّاقِصَاتِ إلى مِنًى ... صَوادِرَ بالرُّكبان من هَضْب قَرْدَدِ [٢]

بأنَّ رسُولَ اللهِ فِينا مُصَدَّقُ ... رسولٌ أتى من عند ذى العَرْش مهتدى

فما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فَوْقَ رَحْلِها ... أشَدَّ على أعدائِه مِنْ مُحَمَّدِ

وأعطَى إذا ما طالِبُ العُرْف جاءه ... وأمْضَى بحَدِّ المَشْرِفِىِّ المهنَّد

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق : وقد كان تكلَّم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مُسَيْلِمة بن حَبيب باليمامة فى بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العَنْسى بصَنعاء .

(رؤيا الرسول فيهما) :

قال ابن إسحاق : حدّثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على مِنْبره ، وهو يقول : أيُّها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أُنسيتها ، ورأيت فى ذراعىّ سوارين من ذهب ، فكرِهتهما ، فنفختُهما فطارا ، فأوَّلتهما هذين الكذّابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

(حديث الرسول عن الدجالين) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هُرَيرة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدّعى النبوّة .

---

(١) الجسرة : الناقة القوية على السير . والهجف : الذكر الضخم من النعام . والخفيدد ، بمعنى الهجف .

(٢) الراقصات : الإبل . والرقص والرقصان : ضرب من السير فيه حركة . وصوادر : رواجع . والقردد : ما ارتفع من الأرض .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

(الامراء وأسماء العمال وما تولوه) :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كلّ ما أوطأ الإسلام من البُلْدان ؛ فبعث المهاجرَ بن أبى أميَّة ابن المغيرة إلى صَنعاء ، فخرج عليه العَنْسىّ وهو بها ، وبعث زياد بن لَبيد ، أخا بنى بَياضَة الأنصارى ، إلى حضرَمَوْتَ وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدىّ بن حاتم على طيئ وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ؛ وبعث مالك بن نُويرة — قال ابن هشام : اليربوعى — على صدقات بنى حنظلة ، وفرّق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزِّبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيسَ بن عاصم على ناحية ، وكان قد بعث العلاءَ ابن الحضرمىّ على البحرين ، وبعث علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نَجْران ، ليجمع صدقتَهم ويَقْدَم عليه بجزْيَتِهم .

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلِمة بنُ حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مُسَيْلِمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ؛ أما بعد ، فانى قد أُشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصفَ الأرض ، ولقُريش نصف الأرض ، ولكن قُرَيشا قوم يَعْتدون .

فقَدِم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سَلَمَة بن نُعيم بن مسعود الأشجعىّ ، عن أبيه نُعيم ، قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أنّ الرُّسُل لاتقتل لضربت أعناقكما .

ثم كتب إلى مسَيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مُسيلمة

الكذّاب : السلام على من اتبع الهُدى . أما بعد ، فان الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عَشْر .

حجة الوداع

(تجهز الرسول واستعماله على المدينة أبا دجانة) :

قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القَعدة ، تجهَّز للحجّ ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحجّ لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سباع بن عُرْفُطَة الغِفارىّ .

(ما أمر به الرسول عائشة فى حيضها) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لايذكر ولا يذكر الناس إلا الحَجّ [1] ، حتى إذا كان بسَرِف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهَدْى وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلوا بعمرة ، إلا من ساق الهَدْى ؛ قالت : وحِضْت ذلك اليوم ، فدخل علىّ وأنا أبكى ؛ فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نُفِسْت ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا السفر ؛ فقال : لاتقولنّ ذلك ، فانك تَقْضِين كلّ ما يقضى الحاجّ إلا أنك لاتطُوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كلّ من كان لاهدى معه ، وحلّ نساؤه بعُمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيتُ بلحم بقر كثير ، فطُرِح فى بيتى ، فقلت :

---

(١) هذا الكلام موصول بقولها السابق : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة » .

ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحَصْبة ، بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التَّنعيم ، مكان عُمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حَفْصة بنة عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءَه أن يُحللن بعُمرة ، قُلْن : فما يمنعك يارسول الله أنْ تُحل معنا ؟ فقال : إنى أهديتُ ولبَّدْت [1] ، فلا أُحلّ حتى أنحر هَدْيى .

موافاة على فى قفوله من اليمن رسول الله فى الحج

(ما أمر به الرسول عليا من أمور الحج) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليًّا رضى الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكَّة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، فوجدها قد حلَّت وتهيَّأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نَحِلّ بعمرة فحللنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخَبَر عن سَفَره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطُف بالبيت ، وحِلّ كما حَلّ أصحابك ؟ قال : يا رسول الله إنى أهللتُ كما أهللتَ ؛ فقال : ارجع فاحْلِلْ كما حلّ أصحابُك ؛ قال : يا رسول الله ، إنى قلت حين أحرمتُ : اللهمّ إنى أُهِلّ بما أهَلّ به نبيُّك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هَدْى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هَدْيه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحجّ ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

---

(١) لبدت : أى وضعت فى شعرى شيئا من صمغ عند الإحرام لئلا يشعث ويقمل ، وإنما يلبد من يطول مكثه فى الإحرام . (عن النهاية لابن الأثير) .

(شكا عليا جنده إلى الرسول لانتزاعه عنهم حللا من بز اليمن) :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل عليّ رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجّل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جُنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعَمد ذلك الرجل فكَسا كلّ رجل من القوم حُلّة من البَزّ الذى كان مع عليّ رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فاذا عليهم الحُلل ؛ قال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ؛ قال : ويلك ! انزِع قبل أن تنتهىَ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فانتزع الحُلل من الناس ، فردّها فى البزّ ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنِع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان ابن محمد بن كعب بن عُجْرة عن عمته زينب بنت كَعْب ، وكانت عند أبي سعيد الخُدْرِيّ ، عن أبي سعيد الخدرىّ ، قال : اشتكى الناس عليًّا رضوانُ الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لاتشكوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يشكى .

(خطبة الرسول فى حجة الوداع) :

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجّه ، فأرى الناسَ مناسِكهم ، وأعلمهم سُنَن حَجّهم ، وخطب الناس خطبته التى بيّن فيها ما بيّن ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لأدرى لعلى لاألْقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدًا ؛ أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقَوا ربكم ، كحرُمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستَلْقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلّغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى مَن ائتمنه عليها ، وإن كلّ ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لاتَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لاربا ، وإن رِبا عبّاس بن عبدالمطلب موضوع كله ، وأن كلّ دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أوّل دمائكم أضع دمُ

ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مُسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فانّ الشيطان قد يئِس من أن يُعْبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنّه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رَضى به مما تَحْقِرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النَّسيءَ زِيادَةٌ فِي الكُفْرِ ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا ، يُحِلُّونَهُ عاما ويُحَرِّمُونَهُ عاما ، لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ ، فَيُحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ ، ويُحَرِّمُوا ما أحَلَّ اللهُ ، وإن الزَّمان قد استدار كهيئته يوْمَ خلق اللهُ السموات والأرضَ ، وإن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حُرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر [1] ، الذى بين جُمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فان لكم على نسائكم حقا ، ولهنّ عليكم حقا ، لكم عليهنّ أن لايوطئن فُرُشَكُمْ أحدا تكرهونه ، وعليهنّ أنْ لايأتين بفاحشة مبيِّنة ، فان فعلن فانّ اللهَ قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المَضاجع وتَضْربوهنّ ضرْبا غير مُبَرِّح [2] ، فان انتهين فلهنّ رزقهنّ وكُسوتهنّ بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهنّ عندكم عوَان [3] لايملكن لأنفسهنّ شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قوْلى ، فانى قد بلّغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا ، أمرا بيِّنا ، كتابَ الله وسنّة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلَّمُنّ أن كلّ مسلم أخ للمسلم ، وأن المُسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طِيب نفس منه ، فلا تظلِمُنّ أنفسكم ؛ اللهمّ هل بلّغت ؟

فذُكر لى أن الناس قالوا : اللهمّ نعم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ اشهد .

---

(١) ورجب مضر : إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان ، وتسميه رجبا ، فبين عليه الصلاة والسلام أنه رجب مضر لارجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

(٢) غير مبرح : غير شديد .

(٣) عوان : جمع عانية ، وهى الأسيرة .

(اسم الصارخ بكلام الرسول وما كان يردده) :

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كان الرجل الذى يصرخ فى الناس يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، ربيعةَ بن أُميَّة بن خلف . قال : يقول له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قل يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هلا تدرون أىّ شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ؛ فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرونَ أىّ بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ؛ قال : فيقولون البلد الحرام ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحُرمة بلدكم هذا ؛ قال : ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أىّ يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون : يوم الحجّ الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقَوا ربكم كحُرمة يومكم هذا .

(رواية ابن خارجة عما سمعه من الرسول فى حجة الوداع) :

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبى سُلَيم عن شَهْر بن حوشب الأشعرى ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثني عَتَّاب بن أُسَيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرَفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لُغامها [1] ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدّى إلى كلّ ذى حقّ حقه ، وإنه لا تجوز وصيَّة لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحَجَر ، ومن ادّعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفا ولا عدلا .

(بعض تعليم الرسول فى الحج)

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الله بن أبى نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبَل الذى هو عليه ، وكلّ عرفة

---

(١) اللغام : الرغوة التى تخرج على فم البعير .

موقف . وقال حين وقف على قُزَح ١ صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكلّ المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بِمِنًى قال : هذا المنحر ، وكلّ مِنى منحر . فقضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجَّ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلَمهم ما فرَض الله عليهم من حجِّهم : من الموقف ، ورَمْيِ الجِمار ، وطواف بالبيت ، وما أُحِلّ لهم من حجِّهم ، وما حُرِّم عليهم ، فكانت حِجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يحجّ بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاقام بالمدينة بقيّة ذى الحجّة والمحرّم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمّر عليهم أُسامة ابن زيد بن حارثة مولاه ، وأمرَه أن يُوطئ الخَيل تخوم البَلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهَّز الناس ، وأوعب ٢ مع أسامة بن زيد المهاجرون الأوّلون .

خروج رسول الله إلى الملوك

(تذكير الرسول قومه بما حدث للحواريين حين اختلفوا على عيسى) :

قال ابن هشام : وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به عن أبي بكر الهُذَليّ قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرَج على أصحابه ذات يوم بعد عُمرته التى صدّ عنها يوم الحُديبيه ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثني رحمة وكافَّة ، فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبْعثا قريبا فرَضى

---

(١) قزح (بضم ففتح) جبل بالمزدلفة .

(٢) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من جمع .

وسلم ، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكلّ واحد منهم يتكلم بلغة الأمّة التي بُعث إليها .

(أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم) :

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام : فبعث دِحْية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبد الله بن حُذافة السَّهميّ إلى كِسرى ، ملك فارس ؛ وبعث عمرو ابن أُميَّة الضَّمْري إلى النَّجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطبَ بن أبي بَلْتعة إلى المُقَوْقِس ، ملك الإسكندرية ؛ وبعث عمرو بن العاص السَّهمي إلى جَيْفر وعياذ ابني الجُلُنْدى الأزْديين ، ملكي عُمان ؛ وبَعث سَلِيط بن عمرو ، أحد بني عامر ابن لؤيّ ، إلى ثُمامة بن أُثال ، وهَوْذة بن عليّ الحنفيين ، ملكي اليمامة ؛ وبعث العَلاء بن الحَضْرميّ إلى المُنْذر بن ساوَى العَبْدى ، ملك البحرين ؛ وبعث شجاع ابن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبي شِمْر الغسَّاني ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاعَ بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغسَّاني ، وبعث المهاجر بن أبي أُميَّة المخزوميّ إلى الحارث بن عبد كُلال الحميرى ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سَلِيطا وثُمامة وهَوْذَة والمنذر .

(رواية ابن حبيب عن بعث الرسول رسله) :

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصرى : أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهريّ فعرفه ؛ وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمةً وكافَّة ، فأدّوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأمَّا مَن قَرَّب به فأحبّ وسلم ؛ وأمَّا من بعد به فكره وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكلّ رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم .

(أسماء رسل عيسى) :

قال ابن إسحاق : وكان مَنْ بَعَثَ عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدَهم في الأرض : بُطْرُس الحَوارِيُّ ، ومعه بُولُس ، وكان بولُسُ من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين إلى رُومية ؛ وأنْدَرَائِس ومَنْتا إلى الأرض التي يأكل أهلُها الناس ؛ وتُوماس إلى أرض بابل ، من أرض المَشرق ؛ وفِيلِبّس إلى أرض قَرْطاجَنَّة ، وهي إفْريقية ؛ ويُحَنَّسَ ، إلى أفسوس ، قرية الفِتْية ، أصحاب الكهف ؛ ويعقُوبُسُ إلى أوراشَلِم ، وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن ثَلْماءَ [١] إلى الأعرابية ، وهي أرض الحِجاز ؛ وسِيمُنَ إلى أرض البَرْبَر ؛ ويهُوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جُعل مكان يُودِسَ [٢] .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المُطَّلبي : وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، منها غزوة وَدَّان ، وهي غَزْوة الأبواء ، ثم غزوة بُواط ، من ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشَيْرة ، من بطن يَنْبُع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كُرْزَ بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التي قتل الله فيها صناديد قُرَيْش ، ثم غزوة بني سُلَيم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السَّوِيق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفان ، وهي غزوة ذي أمر ، ثم غزوة بَحْران ، معدِن بالحجاز ، ثم غزوة أُحُدٍ ، ثم غزوة حَمْراء الأسَد ، ثم غزوة بني النَّضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخِرة ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قُرَيْظة ، ثم غزوة بني لِحْيان ، من هُذَيْل ، ثم غزوة ذي قَرَد ، ثم غزوة بني المصطَلِق من خُزَاعة ، ثم غزوة الحُدَيْبِية ،

(١) في م ، ر : « تلماء » .

(٢) إلى هنا انتهى الجزء التاسع عشر من اجزاء السيرة .

لابريد قتالا ، فصدَّه المشركون ، ثم غزوة خَيْبر ، ثم عُمْرة القضاء ، ثم غزوة الفتْح ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تَبُوك : قاتل منها فى تسع غَزَوات : بدر ، وأُحد ، والخندق ، وقُرَيْظة ، والمُصْطَلِق ، وخَيْبر ، والفتح ، وحُنَيْن ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسَراياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بَعْث وسَرِيّة : غزوةُ عُبَيْدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المَرْوَة [1] ، ثم غزوة حَمْزة ابن عبد المطّلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غَزْوَة حمزة قبل غزوة عُبَيْدة ؛ وغزوةُ سعد بن أبي وقاص الخَرّارَ ، وغزوة عبد الله ابن جَحْش نَخْلة ، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدَة ، وغزوة محمد بن مَسْلَمة كَعْبَ بن الأشرف ، وغزوة مَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغَنَوىّ الرجيع ، وغزوة المُنْذِر بن عمرو بِئْرَ مَعُونة ، وغزوة أبي عُبَيْدةَ بن الجَراح ذا القَصّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخَطّاب تُرَبةَ من أرض بنى عامر ، وغزوة علىّ ابن أبي طالب اليَمَن ، وغزوة غالبِ بن عبد الله الكَلْبى ، كَلْبِ لَيْث ، الكَدِيد ، فأصاب بنى الملَوّح .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح

(شأن ابن البرصاء) :

وكان من حديثها أن يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مُسلم ابن عبد الله بن خُبَيْب الجُهَنىّ ، عن المنذِر [2] ، عن جُندَب بن مَكيث الجُهَنىّ ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكَلْبى ،

(١) فى م ، ر : « ثنية ذو المروة » وهو تحريف .

(٢) فى ا : « الجهى عن جندب » .

كَلْب بن عوف بن لَيْث ، فى سرية كنت فيها ، وأمَرَه أن يَشُنّ الغارةَ على بنى المُلَوَّح ، وهم بالكَدِيد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقُدَيْد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البَرْصاء الليثىّ ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلنا له : إن تك مسلما فلن يَضيرك رِباطُ ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رِباطا ، ثم خلَّفْنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازَّك [1] فاحتزَّ رأسه .

(بلاء ابن مكيث فى هذه الغزوة) :

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس ، فكنَّا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى رَبيئة [2] لهم ، فخرجت حتى آتىَ تَلاًّ مُشرفا على الحاضر [3] ، فأسندت فيه [4] ، فعلوتُ على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التلّ ، إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التلّ سوادا ما رأيته فى أوّل يومى ، فانظرى إلى أوْعيتك هل تَفْقدين منها شيئا ، لاتكون الكلاب جرَّت بعضها ؛ قال : فنظرتْ ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئا ؛ قال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولتْه ، قال : فأرسل سهما ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزِعُه ، فأضعه ، وثبَتّ مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه فى مَنْكِبى ، فأنزِعُه فأضعه ، وثبَتّ مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ربيئة [5] لقوم لقد تحرّك ، لقد خالطه سَهْماى لاأبا لك ، إذا أصبحتِ فابتغيهما ، فخُذيهما ، لايمْضُغُهُما علىّ الكلاب . قال : ثم دخل .

(نجاء المسلمين بالنعم) :

قال : وأمْهلنْاهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السَّحر ، شَنَنّا [6]

(١) عازك : غالبك .

(٢) الربيئة : الطليعة .

(٣) الحاضر : الجماعة النازلون على الماء .

(٤) أسندت : ارتقيت .

(٥) يروى : وزائلة ؛ أى لو كان من يزول .

(٦) شنفا عليهم الغارة : نرقنا عليهم الخيل المغيرة .

عليهم الغارةَ ، قال : فقتلنا ، واستقنا النَّعَم ، وخرج صَرِيخ [١] القوم ، فجاءنا دَهْمٌ [٢] لاقِبَلَ لنا به ، ومضينا بالنَّعَم ، ومَرَرْنا بابن البَرْصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ؛ قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قُدَيد ، فأرسل الله الوادىَ بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ، ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوقُ نَعَمَهُم ، ما يستطيع منهم رجل أن يُجيز [٣] إلينا ، ونحن نحْدُوها [٤] سِراعا ، حتى فُتْناهم ، فلم يقدِرُوا على طلبنا .

(شعار المسلمين فى هذه الغزوة) :

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسْلَم ، عن رجل منهم : أنّ شِعار [٥] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة : أمِتْ أمِتْ . فقال راجزٌ من المسلمين وهو يَحْدُوها .

أبَى أبُو القاسِمِ أن تَعَزّبى [٦] فى خَضِلٍ نَبَاتُه مُغْلَوْلِبِ [٧]
صُفْرٍ أعالِيهِ كلَوْنِ المُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويُروى : «كلون الذَّهب» .

تمّ خبر الغزاة ، وعُدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبُعوث [٨] .

(تعريف بعدة غزوات) :

قال ابن إسحاق : وغزوة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبد الله بن سعد

---

(١) صريخ القوم : مستغيثهم .
(٢) الدهم : الجماعة الكثيرة .
(٣) فى ا : «يجوز» .
(٤) نحدوها : نسوقها .
(٥) الشعار : العلامة التى كان يعرف بها بعضهم بعضا فى الحرب .
(٦) كذا فى الأصول ، وتعزبت الإبل : غابت فى المرعى ولم ترجع . ويروى تعربى (بالراء المهملة) أى تردى (بالبناء للمجهول) يقال : عربت عليه القول : إذا رددته عليه .
(٧) الخضل . النبات الأخضر المبتل . والمغلولب : الكثير الذى يغلب على الماشية حين ترعاه .
(٨) هذه العبارة ، من قوله «تم خبر» إلى قوله «والبعوث» : ساقطة من ا .

من أهل فَدَك ؛ وغزوة أبي العَوْجاء السُّلَمِيّ أرض بني سُلَيم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ؛ وغزوة عُكاشة بن مِحْصَن الغَمرة ؛ وغزوة أبي سَلَمَة بن عبد الأسد قَطَنا ، ماء من مياه بني أسد ، من ناحية نَجْد ، قُتِل بها مسعود بن عُروة ؛ وغزوة محمد بن مَسْلَمَة ، أخي بني حارثة « القُرَطاءَ من هَوَازن ؛ وغزوة بَشير بن سَعْد بني مُرَّة بفَدَك ؛ وغزوة بشير بن سعد ناحية خَيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجمومَ من أرض بني سُلَيم ، وغَزوة زيد بن حارثة جُذام ، من أرض خُشَيْن .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِسْمَى .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام

(سببها) :

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم ، عن رجال من جُذام كانوا عُلماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجُذَاميّ ، لما قَدِم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبَث أن قَدِم دِحْيَةُ بن خَليفة الكَلْبيُّ من عند قَيْصَر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بوادٍ من أوديتهم يقال له شَنار ، أغار على دِحْية بن خَليفة الهنيدُ بن عُوص ، وابنه عُوْص بن الهُنيد الضُّلَعِيَّان . والضُّلَيعُ : بطن من جُذام ، فأصابا كلَّ شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضُّبَيْب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهُنيد وابنه ، فيهم من بني الضُّبيب النُّعمان بن أبي جِعال ، حتى لقُوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضِّفاويّ ثم الضُّلَعيّ ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ، ورمى النُّعمان بن أبي جِعالٍ بسهم . فأصاب رُكْبته ؛ فقال حين أصابه : خُذها وأنا ابن لُبْنَى ، وكانت له أمّ تُدعى لُبْنَى ، وقد كان حسَّان بن مَلَّة الضُّبَيْبي قد صحب دِحْية بن خليفة قبل ذلك ، فعلَّمه أُمَّ الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قُرَّة بن أشْقَرَ الضِّفاريّ ، وحَيَّان بن مِلَّة .

(تمكن المسلمين من الكفار) :

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتّهم ، عن رجال من جُذام ، قال : فاستنقذوا[١] ما كان في يد الهُنيد وابنه ، فردّوه على دِحْية . فخرج دحية ، حتى قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهُنيد وابنه ، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوةَ زيدٍ جُذَامَ ، وبعث معه جيشا ، وقد وَجَّهتْ غَطَفانُ من جُذامَ ووائلٌ ومن كان من سَلامانَ وسعد بن هُذَيْم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد . بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحَرَّة ؛ حرَّة الرَّجْلاء ، ورفاعة بن زيد بكُراع ربَّة ، لم يعلم ، ومعه ناس من بني الضُّبَيْب ، وسائر بني الضُّبَيْب بوادى مَدَان ، من ناحية الحَرَّة ، مما[١] يسيل مُشَرِّقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج . فأغار بالماقِص من قِبَلِ الحَرَّة ، فجمَعوا ماوجَدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورجلين من بنى الأجنف .

قال ابن هشام : من بنى الأحْنف[٢] .

(شأن حسان وأنيف ابني ملة) :

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلا من بنى الخَصيب . فلما سَمِعَتْ بذلك بنو الضُّبَيْب والجيش بفَيْفاءِ مَدَانٍ ركب نفرٌ منهم ، وكان فيمن ركب معهم حَسَّان بن مِلَّةَ ، على فرس لسُويد بن زيد ، يُقال لها العَجاجة ، وأُنيْف بن مِلَّة على فَرَسٍ لِمَلَّة يقال لها : رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال له لها شَمِر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسَّان لأنيف بن مِلَّة : كُفَّ عَنَّا وانصرِفْ ، فإنَّا نَخْشَى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يَبْعُدا منه حتى جعلت فَرَسُه تبحث بيديها وتَوَثَّب ، فقال : لأنا أضَنُّ بالرجلين منك بالفَرَسَيْن ، فأرْخَى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذا فَعَلْتَ ما فعلتَ فكُفَّ عنَّا

---

(١) في م ، ر : « من ماء » .

(٢) في م ، ر هنا : « الأخيف » . وفيما يأتي : « الأحنف » .

لسانك ، ولا تشأمنا اليومَ ؛ فتواصَوْا أن لايتكلّم منهم إلا حسّان بن مِلّة ، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بُورى أو ثُورى ؛ فلما برَزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم ، فقال لهم حسّان : إنّا قومٌ مُسْلمون . وكان أوّل من لقيهم رجل على فرَس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أُنيف : بُورى ، فقال حسّان : مَهْلا ؛ فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسّان : إنّا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرءُوا أُمّ الكتاب ، فقرأها حسّان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجيْش أن الله قد حرّم علينا ثُغْرةَ [١] القوم التى جاءوا منها إلا من ختَرَ [٢] .

(قدومهم على الرسول وشعر أبى جعال) :

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسّان بن ملّة ، وهى امرأة أبى وَبْر بن عدِىّ ابن أُميّة بن الضُّبَيْب فى الأُسارى ، فقال له زيد : خُذها ، وأخذَتْ بحقَوَيه [٣] فقالت أمّ الفِزْر الضُّلَعية : أتنطلقون ببناتكم وتذَرُون أمّهاتكم ؟ فقال أحد بنى الخَصيب : إنها بنو الضُّبَيْب وسِحْرُ ألسنتهم سائرَ اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسّان ، ففُكّت يداها من حقوَيْه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكنّ حُكْمَه ، فرَجعوا ، ونَهَى الجيش أن يهبِطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسَوا فى أهليهم ، واستعتَموا ذَودا [٤] لسُويد بن زيد ، فلما شربوا عتَمتَهُم [٥] ، ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلةَ ، أبو زيد ابن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبَعْجَةُ بن زيد ، وبَرْذَع بن زيد ، وثعلبة بن زيد [٦] ، ومُخرّبة بن عدِىّ ، وأُنَيْفُ بن ملّة ، وحسّان

---

(١) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها .

(٢) ختر : نقض العهد .

(٣) بحقويه : بخصريه .

(٤) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعتموا ذودا : انتظروه إلى عتمة من الليل .

(٥) عتمتهم : لبنهم الذى انتظروه إلى ذلك الوقت .

(٦) فى م ، ر : « عمرو » .

ابن ءة ، حتى صَبَّحوا رفاعة بن زيد بكُراع ربَّة ، بظهر الحَرَّة ، على بئر هنالك من حَرَّة لَيْلى ؛ فقال له حسَّان بن ملَّة : إنك لجالس تحلُب المِعزَى ونساء جُذام أسارَى قد غرَّها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة بن زيد بجمل له ، فجعل يشُد عليه رحله وهو يقول :

هَلْ أنْتَ حَيّ أوْ تُنادِى حَيًّا

ثم غدا وهم معه بأُمَيَّة بن ضَفَارة أخى الخَصِيبىّ المقتول ، مبكرين من ظهر الحَرَّة ؛ فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لاتُنيخوا إبلكم ، فتُقطَّعَ أيديهن ، فنزلوا عنهن وهن قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألاح[1] إليهم بيده : أن تعالَوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المَنْطِق ، قام رجل من الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم سَحَرَة ، فردَّدها مرّتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يَحْذُنا[2] فى يومه هذا إلا خيرا . ثم دفع رفاعة ابن زيد كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديما كتابُه ، حديثا غَدْره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه ياغلام ، وأعْلِنْ ؛ فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقَتْلى ؟ (ثلاث مرّات)[3]. فقال رفاعة : أنت يارسول الله أعلم ، لانحرّم عليك حلالا ، ولا نُحلِّل لك حرَاما ، فقال أبوزيد ابن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حَيًّا ، ومن قُتِل فهو تحت قدَمى هذه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا علىّ . فقال له علىّ رضى الله عنه : إن زيدا لن يُطيعنى يا رسول الله ، قال : فخُذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال علىّ : ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو ، يقال له مِكْحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة

(١) ألاح : أشار .
(٢) كذا فى الأصول ، ولم يحذنا : لم يعطنا . ويروى : « لم يجدنا » : لم ينفعنا .
(٣) فى ا : « مرار » .

من إبل أبي وَبْر ، يُقال لها : الشَّمِر ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا عليّ ، ما شأني ؟ فقال : ما لهُم ، عرَفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقُوا الجَيْش بفَيفاء الفَحلتين ، فأخذوا ما في أيديهم ، حتى كانوا ينزعون لُبَيد المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جعال حين فرَغوا من شأنهم :

وَعاذِلةٍ ولَمْ تَعْــذُلْ بِطِبّ ولولا نحنُ حُشّ بها السَّــعيرُ[1]
تُدافِــعُ في الأسارَى بابْنَتَيْها ولا يُرْجَى لهَا عِتْق يَســير
ولو وُكِلَت إلى عُوصٍ وأوْسٍ لَحارَ بهِــا عَنِ العِتْقِ الأُمُورُ[2]
ولو شَهِــدَتْ رَكائِبَنا بِمِصْرٍ تُحاذِرُ أنْ يُعَلَّ بها المَســيرُ[3]
وَرَدْنا ماءَ يَثْرِبَ عَنْ حِفاظٍ لرَبْع إنَّهُ قَرَب ضَرِيرُ[4]
بِكُلِّ مُجَرَّب كالسِّــيد نَهْدٍ عَلى أقْتادِ ناجِيَةٍ صَــبُورُ[5]
فِدًى لأبي سُلَيْمَى كلُّ جَيْش بيَثْرِبَ إذْ تَناطَحَت النُّحُورُ[6]
غداةَ تَرَى المُجَرَّبَ مُسْتَكِينا خِلافَ القَوْمِ هامَتُــهُ تَدُورُ

قال ابن هشام : قوله : « ولا يُرْجَى لها عِتْقٌ يَسيرُ » . وقوله : « عن العِتْقِ الأُمورُ » عن غير ابن إسحاق .

تمَّت الغَزاة ، وعُدنا إلى تفصيل ذكر السَّرايا والبُعوث .

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرَفَ من ناحية نَخْل . من طريق العراق .

---

(١) بطب : برفق . وحش : أوقد .

(٢) حار : رجع .

(٣) يعل : يكرر .

(٤) الحفظ : الغضب . والربع : أن ترد الإبل الماء لأربعة أيام . والقرب : السير في طلب الماء . وضرير : مضر .

(٥) السيد : الذئب . والنهد : الغليظ . والأقتاد : أدوات الرحل . والناجية : السريعة . وصبور : صابرة ، وتروى : « ضبور » . والضبور : الموثقة الخلق .

(٦) النحور : الصدور .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة ومصاب أم قرفة

(بعض من أصيب بها) :

وغزوةُ زيد بن حارثة أيضا وادى القُرى ، لَقِىَ به بنى فَزَارَة ، فأُصيبَ بها ناس من أصحابه ، وارْتُثَّ [1] زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب وَرد بن عَمْرو بن مَداش ، وكان أحدَ بنى سعد بن هُذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيم .

(معاودة زيد لهم) :

قال ابن إسحاق : فلما قَدِم زيد بن حارثة آلى أن لايمسَّ رأسَه غسل من جنابة حتى يغزوَ بنى فَزارة ؛ فلما استبلَّ من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القُرى ، وأصاب فيهم ، وقَتَل قَيْسُ بن المُسحِّر اليَعْمُرى مَسْعَدةَ بن حَكَمَة بن مالك بن حُذَيفة بن بدر ، وأُسِرَتْ أمّ قِرْفَة فاطمةُ بنت رَبيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حُذَيفة ابن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله [2] بن مسعدة . فأمر زيدُ بن حارثة قَيْسَ بن المسحِّر أن يَقْتُل أمّ قِرْفة ، فقتلها قتلا عنيفا ؛ ثم قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أمّ قِرفة ، وبابن مسعدة .

(شأن أم قرفة) :

وكانت بنت أمّ قِرْفة لسَلَمة بن عمرو بن الأكوع ؛ كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شَرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : (لو كنتَ أعزّ من أمّ قِرفة مازدت) . فسألها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلَمَةُ ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

(شعر ابن المسحر فى قتل مسعدة) :

فقال قيس بن المسحّر فى قَتل مسعدة :

---

(١) ارتث : (بالبناء للمجهول) حمل من المعركة رثيثا ، أى جريحا وبه رمق .

(٢) فى م : «عبيد الله» .

سَعَيْتُ بورْدٍ مثل سَعْيِ ابن أُمِّه   وإنّى بورْدٍ فى الحَياة لَثائِرُ[1]
كَرَرْتُ عَلَيْهِ المُهْرَ لَمّا رأيْتُهُ   عَلَى بَطَلٍ مِنْ آلِ بَدْرٍ مُغاوِرٍ[2]
فَرَكّبْتُ فِيهِ قَعْضَبِيّاً كأنّهُ[3]   شِهابٌ بِمَعْرَاة[4] يُذَكّى لِناظِرِ[5]

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام

وغزوة عبدالله بن رواحة خيبرَ مرتين: إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رزام.

قال ابن هشام: ويقال ابن رازم[6].

(مقتل اليسير):

وكان من حديث اليُسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن رَواحة فى نفرٍ من أصحابه، منهم عبد الله بن أُنَيْس، حليف بنى سَلِمة. فلما قَدِموا عليه كلّموه، وقرّبوا له، وقالوا له: إنك إن قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك، فلم يزالوا به، حتى خرج معهم فى نفر من يهود، فحمله عبد الله بن أُنَيْس على بعيره، حتى إذا كان بالقَرْقَرَة من خيبر، على ستة أميال، ندم اليُسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففطن له عبد الله بن أُنَيْس، وهو يريد السَّيف، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليُسير بمِخْرَش[7] فى يده من شوحَط[8]، فأمَّه[9]، ومال كلّ

(١) ثائر: آخذ بثأره. وفى هذا الشعر إقواء.
(٢) المغاور: الكثير الإغراء.
(٣) قعضبيا: سنانا منسوبا إلى قعضب، رجل كان يصنع الأسنة.
(٤) كذا فى ر، م. والمعراة: الموضع الذى لايستره شىء. وفى ا: «بمعزاة».
(٥) ويذكى: يشعل.
(٦) وردت هذه العبارة فى ا بعد «ابن رزام» التى فى السطر التالى.
(٧) كذا فى ا. وفى م، ر: «بمخراش». والمخرش والمخراش: المحجن، وهو عصا معقوفة يجذب بها البعير ونحوه.
(٨) الشوحط: شجر من النبع.
(٩) أمه: جرحه فى رأسه.

رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه ؛ فلما قَدِم عبد الله بن أُنَيْس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل [1] على شَجَّته ، فلم تَقِحْ ولم تُؤْذِه .

(غزوة ابن عتيك خيبر) :

وغزوة عبد الله بن عتيك خَيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبي الحُقَيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى

(مقتل ابن نبيح) :

وغزوة عبد الله بن أُنَيْس خالد بن سفيان بن نُبَيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلةَ أو بعُرَنة ، يجمع لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، قال : قال عبد الله بن أُنَيْس : دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغني أنَّ ابن سفيان بن نُبيح الهُذَلىَّ يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة أو بعُرَنة ، فأْته فاقتله . قلت : يا رسول الله ، انْعَتْهُ لى حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشَّيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْرِيرة [2] . قال : فخرجت مُتَوَشِّحا سَيْفى ، حتى دُفِعْت إليه وهو فى ظُعُنٍ [3] يرتاد لهنَّ منزلا [4] ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُشَعْرِيرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكونَ بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصلَّيت وأنا أمشى نحوه ، أُومئ برأسى ، فلما انتهيت إليه ، قال : مَنِ الرَّجُل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك ؛

(١) تفل : بصق بصاقا خفيفا .

(٢) قشعريرة : رعدة .

(٣) الظعن (ككتب) : النساء فى الهودج : جمع ظعينة .

(٤) يرتاد لهن منزلا : يطلب لهن موضعا .

قال : أجلْ ، إنى لفى ذلك [١] . قال : فمَشَيْتُ معه شيئا ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه مُنْكَبّات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال : صدقت .

(إهداء الرسول عصا لابن أنيس) :

ثم قام بى ، فأدخلنى بيته ، فأعطانى عَصًا ، فقال : أمْسِكْ هذه العصا عندك يا عبدَ الله بن أُنَيْس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتَسْألَهُ لِمَ ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتنى هذه العَصَا ؟ قال : آيةٌ بينى وبينك يوم القيامة . إن أقلّ الناس المُتخصِّرُون [٢] يومئذ ، قال : فقَرَنَها عبد الله بن أُنَيْس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمّت فى كفنه ، ثم دُفِنا جميعا .

(شعر بن أنيس فى قتله ابن نبيح) :

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أُنيس فى ذلك :

تَرَكْتُ ابن ثَوْرٍ كالحُوَارِ وحَوْلَهُ ... نوائحُ تَفْرِى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ [٣]

تَناوَلْتُه والظُّعْنُ خَلْفِى وخَلْفَهُ ... بأبْيَضَ مِن ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ [٤]

عَجُومٍ لِهَامِ الدَّارِعِينَ كأنَّهُ ... شِهابُ غَضًى مِن مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ [٥]

أقُولُ لهُ والسَّيْفُ يَعْجُمُ رأسَهُ ... أنا ابنُ أُنَيْسٍ فارسا غيرَ قُعْدُدِ [٦]

---

(١) فى ا : « أنا فى ذلك » .

(٢) المتخصرون : المتكئون على المخاصر ، وهى العصا ، واحدتها مخصرة .

(٣) الحوار : ولد الناقة إذا كان صغيرا . وتفرى : تقطع .

(٤) الأبيض : السيف . والمهند : المنسوب إلى الهند .

(٥) عجوم : عضوض . يقال : عجمه ، إذا عضه . والهام : الرءوس . والشهاب : القطعة من النار . والغضى : شجر يشتد التهاب النار فيه .

(٦) القعدد : اللئيم .

أنا ابن الذى لم يُنْزِلِ الدهرُ قِدْرَه رحيبُ فِناءِ الدَّارِ غيرَ مُزَنَّدِ [١]
وقُلْتُ لهُ خُذْها بضَرْبة ماجِدٍ حَنيف على دين النَّبىّ محمدِ [٢]
وكُنْتُ إذا همَّ النَّبىّ بكافِرٍ سَبَقْتُ إليْهِ باللِّسانِ وباليَدِ

تمَّت الغَزاة ، وعُدنا إلى خبر البعوث [٣] .

(غزوات أخر) :

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مُؤْتَةَ من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كَعْب بن عُمير الغِفارى ذاتَ أطلاح ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا . وغزوة عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدرٍ بنى العَنْبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى العنبر من بنى تميم

(وعد الرسول عائشة بإعطائها سبيا منهم لتعتقه) :

وكان من حديثهم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناسا ، وسبى منهم أناسا .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إن علىَّ رَقَبَةً من ولد إسماعيل : قال : هذا سَبْىُ بنى العَنبر يَقْدَم الآن ، فنعطيك منهم إنسانا فتُعتقينه .

(بعض من سبى وبعض من قتل وشعر سلمى فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : فلما قُدِم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قَدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، منهم رَبيعة ابن رُفيع ، وسَبْرة بن عمرو ، والقَعقاع بن معبد ، ووَرْدَان بن مُحْرِز ، وقَيس

---

(١) رحيب : متسع . والمزند : الضيق البخيل .
(٢) الماجد : الشريف . والحنيف (هنا) : الذى مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام .
(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .

ابن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفِراس بن حابس ؛ فكلّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضا ، وأفْدى بعضا ، وكان ممن قُتل يومئذ من بنى العَنبر : عبدُ الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشدّاد بن فِراس ، وحنظلةُ بن دارم ، وكان ممن سُبِىَ من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أرِىّ ، ونَجْوة بنت نَهد ، وجُمَيْعة بنت قَيس ، وعَمْرة بنت مَطَر . فقالت فى ذلك اليوم سَلْمَى بنت عتّاب :

لَعَمرِى لقد لاقتْ عدىُّ بنُ جندَب ... من الشرّ مَهْواةً شديدا كَئودها[1]

تكنَّفَها الأعْداءُ من كُلِّ جانبٍ ... وغُيِّبَ عنها عِزُّها وجُدُودها[2]

(شعر الفرزدق فى ذلك) :

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك :

وعندَ رسولِ الله قام ابن حابسٍ ... بخُطَّةِ سَوَّارٍ إلى المَجْدِ حازمِ[3]

له أطْلَقَ الأسْرَى التى فى حِبالهِ ... مُغَلَّلَةً أعْناقُها فى الشكائمِ

كَفَى أُمَّهاتِ الخالفينَ[4] عليهمُ ... غَلاءَ المُفادِى أو سِهامَ المَقاسِمِ

وهذه الأبيات فى قصيدة له . وعدىُّ بن جَنْدَب من بنى العَنْبر ، والعنبر ابن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة

(مقتل مرداس) :

قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى — كَلْب ليث — أرضَ بنى مرّة ، فأصاب بها مرداسَ بن نَهيك ، حليفا لهم من الحُرَقة ، من جُهَينة ، قتله أُسامة بن زيد ، ورجلٌ من الأنصار .

---

(١) المهواة : موضع منخفض بين جبلين . والكئود : عقبة صعبة .

(٢) الجدود : جمع جد (بالفتح) وهو السعد والبخت .

(٣) الخطة : الخصلة . والسوار : الذى يرتقى ويثب .

(٤) قال أبو ذر : « الخالفين : يريد الذين تخلفوا فى أهلهم » . وفى ا ، م ، ر : « الخائفين » .

قال ابن هشام : الحُرَقة ، فيا حدثنى أبوعُبيدة [١] .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أُسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شَهرنا عليه السلاح ، قال : أشهد أن لاإله إلا الله . قال : فلم نَنْزِع عنه حتّى قتلناه ؛ فلما قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرَه ؛ فقال : يا أُسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالها تعوّذا بها من القتل . قال : فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحقّ مازال يردّدها علىّ حتّى لوددت أنّ ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إنى أعاهد الله أن لاأقتل رجلا يقول لاإله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أُسامة ؛ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل

(إرسال عمرو ثم إمداده) :

وغزوة عمرو بن العاص ذاتَ السلاسل من أرض بنى عُذْرة . وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العربَ إلى الشام . وذلك أن أمّ العاص ابن وائل كانت امرأةّ من بَلِىّ ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يَستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يُقال له السَّلسل ، وبذلك سمّيت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عُبيدة بن الجرّاح فى المهاجرين الأوّلين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبى عُبيدة حين وجهه : لاتختلفا ؛ فخرج أبوعُبيدة حتى إذا قَدِم عليه ، قال له عمرو : إنما جئتَ مدداً لى ؛ قال أبو عُبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ،

---

(١) كذا فى ا . وسياق هذه العبارة فى م ، ر مضطرب . فقد جاء فيهما : « من الحرقة قال ابن هشام : الحرقة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، فيما حدثنى أبو عبيدة » .

وكان أبوعُبيدة رجلا لينا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ؛ فقال أبوعُبيدة : ياعمرو ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : لاتختلفا ، وإنك إن عصيتَنى أطعتُك ؛ قال : فانى الأمير عليك ، وأنت مددٌ لى ، قال : فدونك . فصلَّى عمرو بالناس .

(وصية أبى بكر رافع بن رافع) :

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدّث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانيا ، وسمّيت سَرْجِس ، فكنت أدَلّ الناس وأهداهم بهذا الرَّمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أُغير على إبل الناس ، فاذا أدخلتُها الرملَ غلبتُ عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمرّ بذلك الماء الذى خبّأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ؛ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ؛ قال : فقلت : والله لأختارنّ لنفسى صاحبا ؛ قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه فى رَحْله ، قال : وكانت عليه عباءة له فَدَكية[1] ، فكان إذا نزلنا بَسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شَكَّها عليه[2] بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدّوا كفَّارا : نحن نبايع ذا العَباءة ! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال : قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلِّمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت . قال : آمرك أن توحِّد الله ولا تُشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحجّ هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمَّر على رجل من المسلمين أبدا . قال : قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فانى أرجو أن لاأشرك بالله أحدا أبدا ؛ وأما الصلاة فلن أتركَها أبدا إن شاء الله ؛ وأما الزكاة فان يك لى مال أؤدّها إن شاء الله ؛ وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ؛ وأما الحجّ فان أستطع أحجّ إن شاء الله تعالى ؛ وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ؛ وأما الإمارة فانى رأيت الناس يا أبا بكر لايَشْرُفون عند رسول الله

---

(١) العباءة : الكساء الغليظ ، ويقال فيها عباية بالياء . والفدكية : المنسوبة إلى فدك ، وهى بلدة بخيبر.

(٢) شكها عليه : أنفذها بالخلال الذى كان يخللها به .

صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلمَ تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجْهَدَ لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عزّ وجلّ بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتّى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عُوّاذ الله وجيرانه ، وفى ذمّته ، فإياك لا تُخْفِر الله [1] فى جيرانه ، فيتبعَك الله فى خُفرته ، فان أحدكم يُخفَر فى جاره ؛ فيظلّ ناتئا عضله [2] ، غَضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشدّ غضبا لجاره . قال : ففارقته على ذلك :

قال : فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُمِّر أبو بكر على الناس ، قال : قَدِمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتَنى عن أن أتأمَّر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ؛ قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر النّاس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدّا ، خشيت على أمّة محمد صلى الله عليه وسلم الفُرقة .

(تقسيم عوف الأشجعى الجزور بين قوم) :

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حُدّث عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغَزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسل ، قال : فصَحِبت أبا بكر وعمر ، فمررتُ بقوم على جَزُور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يُعضُوها [3] ، قال : وكنت امرأً لَبِقا [4] جازرا ، قال : فقلت : أتعطوننى منها عَشيرا [5] على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشّفرتين ، فجزّأتها مكانى ، وأخذت منها جزءا ، فحملته إلى أصحابى ، فاطّبخناه فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : أنّى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ؛ فقالا : والله ما أحسنت حين

(١) لا تخفر الله : لا تنقض عهده .

(٢) الناتئ : المرتفع المنتفخ . والعضل : جمع عضلة ، وهى القطعة الشديدة من اللحم .

(٣) يعضوها : يقسموها .

(٤) اللبق : الحاذق الرفيق فى العمل والجازر ؟ الذى يذبح الجزور .

(٥) العشير : النصيب ، لأن الجزور كانت تقسم على عشرة أجزاء ، فكل جزء منها عشير . (عن أبى ذر) .

أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيّآن ما فى بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أوّل قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ؛ قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ قال : أعوفُ بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى ؛ قال : أصاحب الجزور ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئا .[1]

غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم ، وقتل عامر ابن الأضبط الأشجعى

وغزوة ابن أبى حدرد وأصحابه بطن إضم ، وكانت قبل الفتح

(مقتل ابن الأضبط وما نزل فيه) :

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبدالله بن قُسيط ، عن القَعْقاع بن عبد الله ابن أبى حَدْرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حَدرد ، قال : بعَثَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم فى نفر من المسلمين ، فيهم أبو قتادة الحارث بن رِبْعِىّ ، ومحلِّم بن جثَّامة بن قَيْس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم ، مرّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعىّ ، على قَعود[2] له ، ومعه مُتَيِّع[3] له ، ووطْب[4] من لبن . قال : فلما مرّ بنا سلَّم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلِّم بن جثَّامة ، فقتله لشىء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيرَه ، وأخذ مُتَيِّعه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : « يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا ، وَلا تَقُولوا لِمَنْ أَلْقَى إلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنا ، تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيا » . . . إلى آخر الآية .

---

(١) زادت ا : « ولم يزدنى على السلام » .
(٢) القعود : البعير يقتعده الراعى فى كل حاجة .
(٣) المتيع : تصغير متاع .
(٤) الوطب : وعاء اللبن .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنا » لهذا الحديث .

(ابن حابس وابن حصن يختصمان فى دم ابن الأضبط إلى الرسول)

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن ضُمَيرة[1] بن سعد السُّلَمىَّ يحدّث عن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدّه ، وكانا شهدا حُنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظلّ شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بحُنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر ، يختصمان فى عامر ابن أضبط الأشجعى : عُيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غَطَفان ، والأقرع ابن حابس يدفع عن محلِّم بن جَثَّامة ، لمكانه من خِنْدف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عُيَيْنة بن حِصْن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحُرْقة[2] مثل ما أذاق نسائى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدّية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجلٌ من بنى ليث ، يقال له : مُكَيْتِر ، قصير مَجْموع — قال ابن هشام : مُكَيْتِل — فقال : والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها فى غُرَّة الإسلام[3] إلا كغنم وردت فرُمِيَت أولاها ، فنفرت أُخراها ، اسْنُن[4] اليوم ، وغَيِّر[5] غدا . قال : فرفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده . فقال : بل تأخذون الدّية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدّية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا فى الأصل بالميم ، ويروى أيضا : « ضبيرة » بالباء والصواب : « ضميرة » بالميم . وكذلك ذكره البخارى .

(٢) فى ا : « من الحر » .

(٣) غرة الإسلام : أوله .

(٤) اسنن اليوم : احكم لنا اليوم بالدم فى امرنا هذا ، واحكم غدا بالدية لمن شئت .

(٥) وغير : من الغيرة ، وهى الدية (هنا) وذلك أن قتله عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خطأ لا عمدا . ويروى : « غبر » بالباء الموحدة ، أى أبق حكومة الدية إلى وقت آخر . (عن أبى ذر) .

ال : فقام رجل آدم ضَرْب [١] طويل ، عليه حُلَّة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها ؛
حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال :
أنا محلِّم بن جَثَّامة ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال :
اللهمّ لاتغفر لمحلِّم بن جَثَّامة ثلاثا . قال : فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه .
قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد استغفر له ، وأما ماظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

(موت محلم و ما حدث له) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتهم عن الحسن البصرىّ ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أمَّنْتَه بالله ثم قتلتَه ! ثم قال له المقالة
التى قال ؛ قال : فوالله ما مكث محلِّم بن جَثَّامة إلا سبعا حتى مات ، فلفظته [٢] ،
والذى نفس الحسن بيده ، الأرضُ ، ثم عادوا له ، فلفظته الأرض ، ثم عادوا
فلفظته ؛ فلما غُلِب قومُه عمدوا إلى صُدَّين [٣] ، فسطَحوه بينهما ، ثم رضَمُوا [٤]
عليه الحجارة حتى واروْه . قال : فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم شأنُه ،
فقال : والله إن الأرض لتطَّابق على من هو شرّ منه ، ولكن الله أراد أن يَعِظكم
فى حُرْم ما بينكم بما أراكم منه .

(دية ابن الأضبط) :

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النَّضْر أنه حُدِّث : أن عُيَينة بن حِصَن
وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يامعشر قَيْس ، منَعتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فيلعنَكم الله بلعنته ، أو أن يغضَب عليكم فيغضبَ الله عليكم
بغَضَبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتُسْلِمُنَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ضرب : خفيف اللحم .
(٢) لفظته الأرض : ألقته على وجهها .
(٣) الصد (بضم الصاد وفتحها وتشديد الدال) : الجبل .
(٤) رضموا عليه الحجارة : جعلوا بعضها فوق بعض .

فليَصْنَعَنّ فيه ما أراد ، أو لآتينّ بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلهم :
لقُتِل صاحبكم كافرا ، ما صلّى قط ، فلأطُلَّنّ[1] دمه ؛ فلما سمعوا ذلك ،
قبلوا الدّية .

قال ابن هشام : محلّم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محلم بن
جَثّامة بن قَيْس اللّيْثى .

وقال ابن إسحاق : ملجّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمى

(سببها) :

قال ابن إسحاق : وغزوة بن أبى حدرد الأسلمىّ الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتّهم ، عن ابن أبى حدرد ، قال : تزوّجت امرأة
من قومى ، وأصدقتها مئتى درهم ، قال : فجئت رسول الله اصلى الله عليه وسلم
أستعينه على نِكاحى ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مئتى درهم يا رسول
الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم ، والله ما عندى
ما أُعينك به . قال : فلبثتُ أياما ، وأقبل رجل من بنى جُشَم بن معاوية ، يقال
له : رفاعة بن قَيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن[2] عظيم من بنى جُشَم ، حتى
نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قَيسا على حرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جُشَم وشرف . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال : : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه
بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفا عجفاء[3] ، فحُمل عليها أحدُنا ، فوالله ما قامت

---

(١) فلأطلن دمه : فلا يؤخذ بثاره .
(٢) البطن : أصغر من القبيلة .
(٣) الشارف : الناقة المسنة . والعجفاء : المهزولة .

به ضعفا حتى دَعَمَها [١] الرجالُ من خلفها بأيديهم ، حتى استقلّت [٢] وما كادت ثم قال : تبلّغوا عليها واعتُقِبوها [٣] .

(انتصار المسلمين ونصيب ابن أبي حدرد من فيء استعان به على الزواج) :

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عُشَيْشِيةً [٤] مع غروب الشمس . قال : كَمَنْتُ فى ناحية ، وأمرت صاحبيّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبّرت وشددتُ فى ناحية العسكر فكبِّرا وشُدّا معى . قال : فوالله إنّا لكذلك ننتظر غِرّة [٥] القوم ، أو أن نُصيب منهم شيئا . قال : وقد غشينا الليل حتى ذهبت فَحْمة [٦] العِشاء ، وقد كان لهم راع قد سرّح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعةُ بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتّبعنّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شرّ ؛ فقال له نفر ممّن معه : والله لاتذهب ، نحن نَكْفيك ؛ قال : والله لايذهب إلا أنا ؛ قالوا : فنحن معك ؛ قال : والله لايتبعنى أحد منكم . قال : وخرج حتى يمرّ بى . قال : فلما أمكننى نفحته [٧] بسهمى ، فوضعته فى فؤاده . قال : فوالله ما تكلّم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال : وشددت فى ناحية العسكر ، وكبّرت ، وشدّ صاحباى وكبّرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك [٨] ، بكلّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خفّ معهم من أموالهم . قال : واستقنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرةً ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وجئت برأسه

---

(١) دعمها الرجال : قووها بأيديهم .
(٢) استقلت : نهضت .
(٣) اعتقبوها : اركبوها معاقبة ، أى واحدا بعد الآخر .
(٤) عشيشية : تصغير عشية على غير قياس .
(٥) الغرة : الغفلة .
(٦) فحمة العشاء : أول ظلام الليل .
(٧) نفحته بسهمى : رميته به .
(٨) عندك عندك : كلمتان بمعنى الإغراء .

أحمله معى . قال : فأعانني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صَداقى ، فجمعتُ إلىَّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

(شيء من وعظ الرسول لقومه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عَطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البَصرة يسأل عبدَ الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العِمامة من خلف الرجل إذا اعْتَمَّ ، قال : فقال عبدالله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشرَ عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومُعاذ ابن جبل ، وحُذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخُدْرىّ ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، أىّ المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ؛ قال : فأىّ المؤمنين أكْيس ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت ، وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «يامعشر المهاجرين ، خمسُ خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قطُّ حتى يُعْلِنوا بها [1] إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مَضَوا ؛ ولم يَنْقُصُوا المكيال والميزان إلا أُخِذوا بالسنينَ [2] وشدّة المُؤْنة وجَوْر السُّلطان ؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا مُنعوا القَطر من السماء ، فلولا البهائم مامُطروا ؛ ومانقضوا عهد الله وعَهد رسوله إلا سُلِّط عليهم عدوٌّ من غيرهم ، فأخذ بعضَ ما كان فى أيديهم ؛ وما لم يَحْكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا [3] فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

(١) يعلنوا بها : يجاهروا بها .

(٢) بالسنين : الجدب .

(٣) كذا فى م ، ر . وتجبروا : تعاظموا عن أن يحكموا بما أنزل الله ، وفى ا : « وتخيروا » .

(تأمير ابن عوف واعتمامه) :

ثم أمرَ عبدَ الرحمن بن عوف أن يتجهَّز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتمّ بعمامة من كرابيس [1] سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عمّمه بها ، وأرسل من خلفه أربعَ أصابع أو نحوا من ذلك ، ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتمّ ، فانه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه ، فحمِد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يابن عوف ، اغزُوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتِلوا من كفر بالله ، لاتَغُلُّوا [2] ، ولا تغدِروا ، ولا تُمثِّلوا ، ولا تَقْتُلُوا وَليدا ، فهذا عهدُ الله وسيرة نبيِّه فيكم . فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دُومة الجندل .

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سِيف البحر

(نفاد الطعام وخبر دابة البحر) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جدّه عُبادة بن الصامت ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَرِيَّة إلى سِيف البحر [3] ، عليهم أبو عُبيدة بن الجرّاح ، وزوّدهم جرابا من تمر ، فجعل يقُوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعدّه عليهم عددا . قال : ثم نَفِد التمر ، حتى كان يعطى كلَّ رجل منهم كلَّ يوم تمرة . قال : فقسَمها يوما بيننا . قال : فنقصت تمرةٌ عن رجل ، فوجدنا فقدَها ذلك اليوم . قال : فلما جَهَدنا الجُوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصَبْنا من لحمها ووَدَكها [4] ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمِنّا وابتللنا [5] ، وأخذ أميرنا ضِلَعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر

(١) الكرابيس : جمع كرباس ، وهو القطن .
(٢) لاتغلوا : لاتخونوا فى المغانم .
(٣) سيف البحر : جانبه وساحله .
(٤) الودك : الشحم .
(٥) ابتللنا : أفقنا مما ألم الجوع الذى كان بنا ، من قولك : بل فلان من مرضه ، وأبل ، واستبل : إذا أخذ فى الراحة .

بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا . قال : فجلس عايه ، قال : فخرج من تحتها وما مسَّت رأسه . قال : فلما قَدِمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صَنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله.

بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه

(قدومه مكة وتعرف القوم عليه) :

قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق من بُعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسَرَاياه [١] بعثُ عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدَّثنى من أثق به من أهل العلم ، بعد مقتل خُبَيْب بن عدىّ وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبَّار بن صخر الأنصارىّ فخرجا حتى قَدِما مكة ، وحَبَسا جمليهما بشِعْب [٢] من شِعاب يَأْجَج [٣] ، ثم دخلا مكة ليلا ؛ فقال جبَّار لعمرو : لو أنا طُفنا بالبيت وصلَّينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعَشَّوا جلسوا بأفنيتهم ؛ فقال : كلا ، إن شاء الله ؛ فقال عمرو : فطُفنا بالبيت ، وصلَّيْنا ، ثم خرجنا نُريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىّ رجل من أهل مكة فعرَفنى ، فقال عمرو بن أميَّة : والله إنْ قَدِمها إلا لشرّ ؛ فقلت لصاحبى : النَّجاء ، فخرجنا نشتدّ ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طَلَبنا ، حتى إذا علَوْنا الجبل يَئِسوا منا ، فرجعنا ، فدَخلنا كَهْفا فى الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرَضمناها [٤] دوننا ؛ فلما أصبحنا غَدَا رجل من

---

(١) ذكر السهيلى هنا حديثا يخطئ فيه ابن هشام فيما ادعاه على ابن إسحاق من إغفاله بعض البعوث ، قال : « هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق ، عن جعفر بن عمرو بن أمية بن عمرو بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكرياء ، عن ابن إسحاق » (انظر الروض الأنف ج ٢ ص ٢٦٣) .

(٢) الشعب (بتشديد الشين المكسورة) : الطريق الخفى بين جبلين .

(٣) يأجج : اسم موضع بمكة ، ذكره القاموس فى أجج ويجج . وضبطه كيسمع وينصر ويضرب .

(٤) رضمناها دوننا : جعلنا بعض الحجارة فوق بعض ، لتكون حاجزا بيننا وبين من يطلبنا .

قُرَيش يقود فرسا له ، ويُخلِي عليها [١] ، فغشِيَنا ونحن فى الغار ، فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأُخِذْنا فقُتلنا .

(قتله أبا سفيان وهربه) :

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاحَ صيحةً أسمع أهل مكة ، وأرجِعُ فأدخلُ مكانى ، وجاءه الناس يشتدّون وهو بآخر رَمَق ، فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أميّة ، وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدلُل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسَيْنا : النَّجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نُريد المدينة ، فمررنا بالحَرَس وهم يحرسون جِيفة خُبَيب بن عدىّ ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمِشْية عمرو بن أُميَّة ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أُميّة ؛ قال : فلما حاذى الخَشَبة شدّ عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدًّا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جُرُفًا بمَهْبِط مَسِيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجُرُف ، فغيّبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : النَّجاءَ النجاءَ ، حتى تأتىَ بعيرَك فتقعدَ عليه ، فانى سأشْغَل [٢] عنك القومَ ، وكان الأنصارىّ لارُجْلة له [٣] .

(قتله بكريا فى غار) :

قال : ومضيتُ حتى أخرج على ضَجْنان [٤] ، ثم أوَيْت إلى جَبَل ، فأدخل كَهفا ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل علىّ شيخ من بنى الدِّيل أعور ، فى غُنَيمة له ؛ فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : من بنى بَكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر ، فقلت : مرْحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولستُ بمُسْلِمٍ مادُمتُ حيًّا ولا دانٍ لِدينِ المُسْلِمِينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذتُ قوسى ، فجعلت سِيَتها [٥]

---

(١) يخلى عليها : يجمع لها الخلى ، وهو الربيع ، ويسمى خلى ، لأنه يختلى ، أى يقطع .

(٢) فى ا : « شاغل » .

(٣) لارجلة له : ليس له قوة بالمشى على رجليه ؛ يقال . فلان ذو رجلة ، إذا كان يقوى على المشى .

(٤) ضجنان (كسكران) : اسم جبل قرب مكة .

(٥) سية القوس : طرفها .

فى عينه الصَّحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النَّجاء ، حتى جئت العَرْج [١] ، ثم سلكت رَكُوبَةَ [٢] ، حتى إذا هبطت النَّقيع [٣] إذا رجلان من قُرَيش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عَيْنا إلى المدينة ينظران ويتحسَّسان ، فقلت استَأْسِرَا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، واستأسَرَ الآخرُ ، فأوثقه رباطا ، وقدمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

(بعثه هو وضميرة وقصة السبى) :

قال ابن هشام [٤] : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن ابن [٥] حسن ، عن أمه فاطمة بنْت الحسين بن علىّ عليهم رضوان الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضُمَيْرة مولى علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَبْيا من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جُمَّاع [٦] من الناس ، فبيعوا ، ففُرِّق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقال : ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فُرِّق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبيعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك

(سبب نفاق أبى عفك) :

قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عُمير لقتل أبى [٧] عَفَك ، أحد بنى عمرو

---

(١) العرج : اسم منزل بطريق مكة ، أو واد بالحجاز . (انظر القاموس) .

(٢) ركوبة ، قال فى القاموس : ثنية بين الحرمين .

(٣) النقيع : موضع ببلاد مزينة على ليلتين من المدينة .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٥) فى ا : « عبد الله بن حسين بن حسن » وهو تحريف .

(٦) الجماع : من الأضداد ، يكون تارة المجتمعين ، وتارة المفترقين ، وأراد به هنا جماعات من الناس مختلفين .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « غزوة سالم بن عمير أبا عفك » .

ابن عوف ثم من بني عُبيدة ، وكان قد نجم [١] نِفاقُه ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارثَ بن سُوَيد بن صامت ، فقال :

لقد عِشْتُ دهرًا وَما إن أرَى ... مِنَ النَّاسِ دارًا وَلا مَجْمَعَا
أبَرَّ عُهُودًا وأوْفَى لِمَنْ ... يُعاقِدُ فيهم إذا ما دَعا
مِنْ اوْلادِ قَيْلَةَ فى جَمْعِهم ... يَهُدُّ الجِبالَ ولم يَخْضَعا [٢]
فَصَدَّعهُمْ راكِبٌ جاءَهم ... حَلالٌ حَرَامٌ لِشَتَّى مَعا [٣]
فلَوْ أنَّ بالعِزِّ صَدَّقْتُمُ ... أوِ المُلْكِ تابعْتُمُ تُبَّعا [٤]

(قتل ابن عمير له وشعر المزيرية) :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ، فخرج سالم بن عُمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكّائين ، فقتله ؟ فقالت أمامةُ المُزَيرية فى ذلك :

تُكَذِّبُ دِينَ اللهِ والمَرْءَ أحْمَدَا ... لعمرُ الذى أمْناك أن بِئْس ما يُمْنِى [٥]
حَباكَ حَنِيفٌ آخرَ اللَّيْلِ طعنَةً ... أبا عَفَكٍ خُذْها على كِبَرِ السِّنِّ [٦]

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان

(نفاقها وشعرها فى ذلك) :

وغزوة عُمير بن عدىّ الخَطْمى عصماءَ بنت مروان ، وهى من بنى أُمَيَّة ابن زيد ، فلما قُتل أبوعَفَك نافقت ، فذكر عبدُ الله بن الحارث بن الفُضيل

(١) نجم : ظهر .
(٢) قيلة : اسم امرأة تنسب إليها الأوس والخزرج أنصار النبى . ولم يخضعا : أراد يخضعن بالنون الخفيفة ، فلما وقف عليها أبدل منها ألفا .
(٣) صدعهم : فرقهم .
(٤) تبع : أحد ملوك اليمن .
(٥) أمناك : أنساك .
(٦) حنيف : مسلم .

عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت ، تعيب الإسلام وأهله

باسْتِ بنى مالكٍ والنَّبيتِ وعَوْفٍ وباسْتِ بنى الخَزْرَجِ
أطَعتُمْ أتاوِىَّ مِنْ غَيرِكم فلامِنْ مُرادٍ ولا مَذحِجِ [1]
تُرَجُّونه بعدَ قَتلِ الرُّءُوسِ كما يُرْتجى مَرَق المُنْضَجِ [2]
ألا أنِفٌ يَبْتَغى غِـرّةً فيَقْطَعَ مِنْ أمَلِ المُرْتَجِى [3]

(شعر حسان فى الرد عليها) :

قال : فأجابها حسَّان بن ثابت ، فقال :

بنُو وَائِلٍ وَبنُو وَاقِفٍ وخَطْمَةُ دُونَ بنى الخَزْرَجِ
متى ما دَعَتْ سَفَهًا وَيْحَها بعَـوْلَتِها والمَنايا تَجِى [4]
فهَزّتْ فتى ماجِدًا عِرقُه كَرِيمُ المَـداخِلِ والمَخْرجِ
فَضَرّجها مِنْ نَجِيعِ الدّما ءِ بعدَ الهُدُوّ فلم يَحْرَجِ [5]

(خروج الخطمى لقتلها) :

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا آخِذٌ [6] لى من ابنة مروان ؟ فسَمِـعَ ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عُميرُ بن عدىّ الخَطْمىّ ، وهو عنده ؛ فلما أمسى من تلك الليلة سَرَى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد قتلتها . فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل علىّ شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لا يَنْتطح فيها عَنْزان [7] .

---

(١) الأتاوى : الغريب . ومراد ومذحج : قبيلتان من اليمن .

(٢) الرءوس : أشراف القوم .

(٣) الأنف : الذى يترفع عن الشىء . والغرة : الغفلة .

(٤) العولة : ارتفاع الصوت بالبكاء ، وتجى : مسهل من تجىء .

(٥) ضرجها : لطخها بالدم . والنجيع : الشديد الحمرة . والهدو : أى بعد ساعة من الليل . ولم يحرج : لم يأثم .

(٦) فى ا : « أحد » .

(٧) لا ينتطح فيها عنزان : أى أن شأنها هين ، لا يكون فيه طلب ثأر ولا اختلاف .

(شأن بنى خطمة) :

فرجع عُمَير إلى قومه ، وبنو خَطْمة يومئذ كثيرٌ موْجهم [١] فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عُمَير بن عدىّ من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا بنى خَطْمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لاتُنْظِرُون . فذلك اليومُ أوّلُ ما عزّ الإسلام فى دار بنى خَطْمة ، وكان يستخفى باسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أوّلَ من أسلم من بنى خَطْمة عُمَير بن عدىّ ، وهو الذى يُدعى القارئ ، وعبد الله بن أوس ، وخُزَيمة بن ثابت ، وأسلم ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خَطْمة ، لما رأوا من عزّ الإسلام .

أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه

والسرية التى أسرت ثمامة بن أثال الحنفى

(إسلامه) :

بلغنى عن أبى سعيد المَقْبُرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتْ رجلا من بنى حَنِيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أتدرون من أخذتم ؛ هذا ثمامة بن أثال الحَنَفىّ ، أحسنوا إساره . ورجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ؛ فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلِقْحته [٢] أن يُغدَى عليه بها ويُراح فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إيْها [٣] يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تُرد الفداء فسَل ماشئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ؛ ثم قال النبىّ صلى الله عليه وسلم يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البَقِيع ، فتطهّر فأحسن طُهُوره ، ثم

---

(١) موجهم : اختلاط كلامهم .

(٢) اللقحة : واحدة اللقاح من الإبل ، وهى الناقة التى لها لبن .

(٣) إيها : حسبك .

أقبل فبايع النبيّ صلى الله عليه وسلم على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللقْحة فلم يُصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : ممّ تعجبون ؟ أمِن رجل أكل أوّلَ النهار فى مِعَى كافر ، وأكل آخر النهار فى مِعَى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى معًى واحد .

(خروجه إلى مكة وقصته مع قريش) :

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج مُعتمرا ، حتّى إذا كان ببطن مكة لَبّى ، فكان أوّل من دخل مكة يُلَبِّى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدّموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فانكم تحتاجون إلى اليمامة لطَعامكم ، فخلَّوه ، فقال الحنفيّ فى ذلك :

ومِنّا الّذى لَبَّى بمَكّةَ مُعْلِنا   برَغْم أبى سُفيان فى الأشهر الحُرُمْ

وحُدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغَض الوجُوه إلىّ ، ولقد أصبحَ وهو أحبُّ الوجوه إلىّ . وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصَبَوْتَ يا ثُمام ؟ فقال : لا ، ولكنى اتّبعت خير الدين ، دينَ محمد ، ولا والله لاتصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمَنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامَنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع [1] ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلّى بينهم وبين الحَمْل .

سرية علقمة بن مجزز

(سبب إرسال علقمة) :

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علَقمة بن مُجَزِّز .

(١) العبارة : « وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع » ساقطة من ا .

لمَا قَتَل وقَّاص بن مجزِّز المُدْلجىّ يوم ذى قَرَد ، سأل عَلْقمةُ بن مُجَزِّز رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدركَ ثأره فيهم .

(دعابة ابن حذافة مع جيشه) :

فذكر عبدُ العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثَوْبان ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلْقمة بن مُجَزِّز — قال أبو سعيد الخُدرىّ : وأنا فيهم — حتى إذا بلغنا رأس غَزَاتنا أو كنَّا ببعض الطريق ، أذِن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبدَ الله ابن حُذافة السَّهمىّ ، وكان من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دُعابة [١] ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فانى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز [٢] ، حتى ظنّ أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فانما كنت أضحك معكم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قَدِموا [٣] عليه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمَعْصية منهم فلا تُطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن عَلْقَمة بن مُجَزِّز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا

(شأن يسار) :

حدثنى بعضُ أهل العلم ، عمَّن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لقاح له كانت ترعى

---

(١) الدعابة : المزاح .

(٢) يحتجز : يشد ثوبه على خصره ، بمنزلة الحزام .

(٣) فى ا : « قدمنا » .

بناحية الجماء [١] ، فقَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قَيْس كُبَّة [٢] من بجيلة ، فاستوبئوا [٣] ، وطَحِلوا [٤] ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللِّقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

(قتل البجليين وتنكيل الرسول بهم) :

فلما صحّوا وانطوت بطونهم [٥] ، عَدَوْا على راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَسار ، فذبحوه وغرزوا الشَّوك فى عينيه ، واستاقوا اللِّقاح . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كُرْز بن جابر ، فلَحِقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعه من غزوة ذى قَرَد ، فقطع أيديَهم وأرجلَهم ، وسَمَل أعينهم [٦] .

غزوة على بن أبى طالب إلى اليمن

وغزوة علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ، غزاها مرّتين :

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ ابن أبى طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد فى جُند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير علىّ بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بَعْث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسَّرايا ، فينبغى أن تكون العِدَّة فى قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

وهو آخر البعوث

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسامة بن زيد بن حارثة

---

(١) كذا فى ا . والجماء : موضع . وفى سائر الأصول : « الحمى » .

(٢) كبة : قبيلة من بجيلة .

(٣) فاستوبئوا : من الوباء ، وهو كثرة الأمراض وعمومها .

(٤) طحلوا : أصابهم وجع الطحال وعظمه .

(٥) انطوت بطونهم : صارت فيها طرائق الشحم وعكنه .

(٦) سمل أعينهم : فقأها .

إلى الشام ، وأمره أن يُوطِئَ الخيل تُخوم البلقاء والداروم ، من أرض فِلَسطين ، فتجهّز الناسُ ، وأوعَب مع أُسامة المهاجرون الأوّلون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(بدء الشكوى) :

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك ابتُدِئَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أوّل شهر ربيع الأوّل ، فكان أوّل ما ابتُدِئَ به من ذلك ، فيما ذُكر لى ، أنه خرج إلى بَقيع الغَرْقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتُدِئَ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن عمر ، عن عُبيد بن جُبير ، مولى الحكم ابن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُوَيْهِبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مُوَيْهِبة ، إنى قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلِقْ معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يأهل المقابر ، ليهنِئْ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقِطَع الليل المظلم ، يتبع آخرُها أوّلها ، الآخرة شرّ من الأولى ؛ ثم أقبل علىّ ، فقال : يا أبا مُوَيْهِبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلدَ فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة . قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ؛ قال : لا والله يا أبا مُوَيهبة ، لقد اخترت لقاءَ ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وَجَعُه الذى قبضه الله فيه .

(تمريضه فى بيت عائشة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عُتبة ، عن محمد بن مُسلم الزهرىّ ، عن

عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صُداعا فى رأسى ، وأنا أقولُ : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرّكِ لو مُتِّ قبلى ، فقمتُ عليك وكفّنتك ، وصلّيت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك ، لو قد فعلتَ ذلك ، لقد رجعتَ إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وتتامّ به وجعُه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعزّ به [1] ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهنّ فى أن يُمرَّض فى بيتى ، فأذِنَّ له .

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

أمهات المؤمنين

(أسماؤهن) :

قال ابن هشام : وكنّ تسعا : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأمّ حَبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأمّ سلَمة بنت أبى أمية بن المُغيرة ، وسودة بنت زَمْعَة بن قيس ، وزينب بنت جَحْش بن رِئاب ، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن ، وجُويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، وصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم .

(زواجه بخديجة) :

وكان جميع من تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ عَشْرَةَ : خديجة بنت خُوَيْلِد ، وهى أوّل من تزوّج ، زوّجه إياها أبوها خُوَيلد بن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدَقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بَكْرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وُلْده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدّار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة ، وكانت قبل أبى هالة عند

---

(١) استعز به : اشتد عليه وجعه وغلبه على نفسه .

عُتَيِّق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، فولَدت له عبد الله ، وجارية ؛

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوّجها صَيْفِيٌّ بن أبى رفاعة [١] .

(زواجه بعائشة) :

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصدّيق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها ، زوّجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم .

(زواجه بسودة) :

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم سَوْدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس ابن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤَىّ ، زوّجه إياها سَلِيط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سَلِيطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبدشمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ابن حِسل .

(زواجه بزينب بنت جحش) :

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية . زوّجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : « فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا » .

(زواجه بأم سلمة) :

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ سَلَمة بنت أبى أُمَيَّة بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ؛ زوّجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله

---

(١) العبارة من قوله : « قال ابن هشام » إلى آخرها : ساقطة فى ا .

صلى الله عليه وسلم فِراشا حشوه لِيف ، وقدحا ، وَصَحْفة ، ومِجشَّة [١] ؛ وكانت قبله عند أبى سَلِمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولَدت له سَلِمة وعمر وزينب ورقيّة .

(زواجه بحفصة) :

وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حَفْصة بنت عمر بن الخطّاب ، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطّاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيس بن حُذافة السَّهمىّ .

(زواجه بأم حبيبة) :

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ حَبِيبة ، واسمها رَملة بنت أبى سفيان ابن حرب ، زوّجه إياها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى .

(زواجه بجويرية) :

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضِرار الخُزاعية ، كانت فى سبايا بنى المُصْطَلِق من خزاعة ، فوقعت فى السَّهم لثابت بن قيس بن الشَّماس الأنصارىّ ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَستَعينه فى كتابتها . فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وماهو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوّجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوّجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البَكّائى ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لمّا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلِق ، ومعه جُويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جُويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق

---

(١) المجشة : الرحى ؛ يقال : جششت الطعام فى الرحى ، إذا طحنته طحنا غليظا ، ومنه الجشيش والجشيشة .

نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعْب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يامحمد ، أصَبْتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيَّبت بالعقيق فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لاإله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله مااطّلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ودُفعت إليه ابنته جُوَيْرية ، فأسلمت وحسُن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مئة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عمّ لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قَيْس ، فأعتقها وتزوّجها ، وأصدقها أربع مئة درهم .

(زواجه بصفية) :

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيةَّ بنت حُيى بن أخطب ، سباها من خَيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، ما فيها شحم ولالحم ، كان سَوِيقا وتمرا ، وكانت قبله عند كِنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق .

(زواجه بميمونة) :

وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم مَيْمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بَجير بن هزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوّجه إياها العباسُ ابن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند أبى رُهْم بن عبد العُزّى بن أبى قيس بن عبد ودّ بن نصر ابن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤَىّ ؛ ويقال : إنها التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خِطْبة النبىّ صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : « وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا للنَّبِىِّ » .

ويقال : إن التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ،

ويقال أمّ شريك ، غزية بنت جابر بن وهب من بنى منقذ بن عمرو بن مَعيص ابن عامر بن لؤَىّ ، ويقال : بل هى امرأة من بنى سامة بن لُؤَىّ ، فأرجأها [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(زواجه زينب بنت خزيمة) :

تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خُزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أمّ المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقّتها عليهم ، زوّجه إياها قَبيصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة درهم ، وكانت قبله عند عُبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عُبيدة عند جَهم بن عمرو ابن الحارث ، وهو ابن عمّها .

(عدتهن وشأن الرسول معهن) :

فهؤلاء اللاتى بنى بهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهنّ ثنتان : خديجة بنت خُوَيلد ، وزينب بنت خُزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث ؛ وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوّجها فوجد بها بياضا [٢] ، فمتّعها [٣] وردّها إلى أهلها ، وعَمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكُفر ؛ فلما قَدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذ الله ، فردّها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِندية بنت عمّ لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنّا قوم نُؤْتَى ولا نأتى ؛ فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

---

(١) أرجأها : أخر أمرها .
(٢) البياض : البرص . تكنى عنه العرب بالبياض ، لكراهيتها إياه .
(٣) متعها : وصلها بشىء تتمتع به .

(تسمية القرشيات منهن) :

القُرشيات من أزواج النبيّ صلى الله عليه وسلم ستّ : خديجة بنت خُوَيلد ابن أسد بن عبدالعُزَّى بن قصيّ بن كِلاب بن مرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ ؛ وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قُحافة بن عامر بن عمرو بن كعْب بن سَعد بن تيم بن مرّة ابن كعب بن لُؤَيّ بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن عبد الله بن قُرط بن رياح بن رزاح بن عديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ ؛ وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ ابن كلاب بن مرّة بن كَعب بن لُؤَيّ ؛ وأمّ سَلَمة بنت أبي أُميَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لُؤَيّ ؛ وسودة بنت زَمعة ابن قَيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لُؤَيّ .

(تسمية العربيات وغيرهن) :

والعربيات وغيرهنّ سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة ابن مرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُوْدان بن أسد بن خُزَيمة ؛ ومَيْمونة بنت الحارث ابن حَزْن بن بَجير بن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خصَفة بن قيس بن عَيلان ؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة بن معاوية ؛ وجُويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخُزاعية ، ثم المُصطلقية ؛ وأسماء بنت النعمان الكندية ؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية [1] .

(غير العربيات) :

ومن غير العربيات : صفيَّة بنت حُيي بن أخطب ، من بني النضير .

---

(١) ذكر السهيلي من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم غير من ذكرهن ابن إسحاق : شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبي ، والعالية بنت ظبيان ، ووسنى بنت الصلت ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت ، وأسماء بنت النعمان بن الجون الكندية .

تمريض رسول الله فى بيت عائشة

(مجيئه إلى بيت عائشة) :

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصبا رأسه ، تخطّ قدماه ، حتى دخل بيتى .

قال عُبيد الله ، فحدَّثت هذا الحديث عبد الله بن العبَّاس ، فقال : هل تدرى من الرجل الآخر؟ قال : قلت : لا ؟ قال : علىّ بن أبى طالب .

(شدة المرض وصب الماء عليه) :

ثم غُمر [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدّ به وجعه ، فقال هَرِيقوا علىّ سبع قِرَب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه فى مِخْضب [2] لحفصة بنت عمر ، ثم صبَبنا عليه الماء حتى طَفِق يقول : حسبكم حسبكم.

(كلمة النبى واختصاصه أبابكر بالذكر) :

قال ابن إسحاق : وقال الزهرىّ : حدثنى أيوب بن بشير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أوّل ما تكلّم به أنه صلى على أصحاب أُحُد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبدا من عباد الله خَيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعَرَف أن نفسه يريد ، فبكى وقال: بل نحن نَفْديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رِسْلك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة [3] فى المسجد ، فسدُّوها إلا بيت أبى بكر ، فانى لاأعلم أحدًا كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه .

قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبى بكر .

---

(١) غمر : أصابته غمرة المرض ، وهى شدته .

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه .

(٣) اللافظة فى المسجد : النافذة إليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد ابن المعلَّى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ في كلامه هذا : فإني لو كنت متَّخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتّى يجمع الله بيننا عنده .

(أمر الرسول بإنفاذ بعث أسامة) :

وقال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس في بعث أُسامة ابن زيد ، وهو في وجعه ، فخرج عاصبا رأسه حتّى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمَّرَ غلاما حَدَثا على جِلَّة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أُسامة ، فلعَمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش [1] الناس في جهازهم ، واستعزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أُسامة ، وخرج جيشه معه حتّى نزلوا الجُرْفَ ، من المدينة على فَرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامّ إليه الناس ، وثقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أُسامة والناس ، لينظُروا ما الله قاضٍ في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(وصية الرسول بالأنصار) :

وقال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلَّى واستغفر لأصحاب أُحُد ، وذكر من أمرهم ماذكر مع مقالته يومئذ : يامعشر المهاجرين ، استوصُوا بالأنصار خيرا ، فان الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لاتزيد ، وإنهم كانوا عَيْبَتي [2] التي أويت إليها ، فأحسِنوا إلى مُحْسِنهم ، وتجاوَزوا عن مُسيئهم .

---

(١) انكمش الناس : أسرعوا .

(٢) عيبتي : موضع ثقتي وسرى . والعيبة في الأصل : مايجعل فيه الثياب .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُه ، حتى غُمِر .

(شأن اللدود) :

قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أمّ سَلَمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهنّ أسماء بنت عُمَيْس ، وعنده العبّاس عمُّه ، فأجمعوا أن يلُدُّوه [1] ، وقال العباس : لأَلُدَّنَّه . قال : فلَدُّوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَن صَنَع هذا بي ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمُّك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئْن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمُّه العبّاس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عزّ وجلّ ليقذفنى به ، لايَبْقَ فى البيت أحدٌ إلاّ لُدّ إلا عمّى ، فلقد لُدَّت ميمونة وإنها لصائمة ، لقَسَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صَنَعوا به .

(دعاء الرسول لأسامة بالإشارة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عُبَيد بن السبّاق ، عن محمد بن أُسامة ، عن أبيه أُسامة بن زيد ، قال : لما ثَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أُصْمِتَ فلا يتكلَّم ، فجعل يرْفع يده إلى السماء ثم يَضعها علىّ ، فأعرف أنه يدعو لى .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عُبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبيًّا حتى يُخيِّره . قالت : فلما حُضِر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتُها وهو يقول : بل الرّفيق الأعلى [2] من الجنة ، قالت : فقلت :

---

(١) أن يلدوه : أى يجعلوا الدواء فى شق فمه .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

إذًا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يُخَيَّر .

(صلاة أبى بكر بالناس) :

قال الزُّهرىّ : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استُعِزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس . قالت : قلت : يا نبىّ الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصلّ بالناس . قالت : فعُدت بمثل قولى ، فقال : إنكنّ صواحب يوسف ، فمُروه فليصلّ بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحبّ أن يُصْرَف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس لا يُحِبُّون رجُلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءَمون به فى كلّ حدث كان ، فكنت أحبّ أن يُصْرَف ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابنُ شهاب : حدثنى عبدالملك بن أبى بكر بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمعة بن الأسود بن المُطَّلب بن أسد ، قال : لما استُعِزّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا مَنْ يصلى بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس . وكان أبو بكر غائبا ؛ فقلت : قم يا عمر فصلّ بالناس . قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مِجْهَرا [١] ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون : قال : فبُعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس : قال : قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس . قال : قلتُ والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلاة بالناس .

(اليوم الذى قبض الله فيه نبيه) :

قال ابن إسحاق : وقال الزّهرىّ : حدثنى أنسُ بن مالك : أنه لما كان يوم

---

(١) مجهر : عالى الصوت .

الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع السّتر ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحا به ، وتفرّجوا ، فأشار إليهم أن اثبتُوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هَيْئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفْرق [١] من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح [٢] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالةٌ قالها عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنَّه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى . فعرَف الناسُ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا ، وكان عمر غيرَ مـتَّـهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُلَيكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرّج الناس ، فعرَف أبو بكر أن الناس لم يَصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مُصَلاَّه ، فدفع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ظَهره ، وقال : صلّ بالناس ، وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلَّى قاعدا عن يمين أبى بكر ، فلما فَرَغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلَّمهم رافعا صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل

---

(١) أفرق : برئ .

(٢) السنح (بوزن قفل) : موضع كان فيه مال لأبى بكر ، وكان ينزل له بأهله .

المظلم ، وإنى والله ما تَمَسَّكون علىّ بشىء ، إنى لم أُحِلّ إلا ما أحلّ القرآن ، ولم أُحَرِّم إلا ما حرَّم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يانبىّ الله إنى أراك قد أصبحتَ بنعمة من الله وفضل كما تُحبّ ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ، ثم دَخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبوبكر إلى أهله بالسُّنْح .

(شأن العباس وعلى) :

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبَّاس ، قال : خرج يومئذ علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئا ، قال : فأخذ العبَّاس بيده ، ثم قال : يا علىّ ، أنت والله عبدُ العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمَرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له علىّ : إنى والله لاأفعل ، والله لئن مُنعناه لايؤتيناه أحد بعده .

فتُوُفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتدّ الضُّحاء من ذلك اليوم .

(سواك الرسول قبيل الوفاة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قالت : رجع إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل علىّ رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظرا عرفت أنه يريده ، قالت : فقلت: يارسول الله ، أتحبّ أن أعطيك هذا السِّواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى ليَّنته ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسواك قطّ ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله صلى الله عليه

يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظرُ فى وجهه ، فاذا بصره قد شَخَص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ؛ قالت : فقلت : خُـيِّرت فاخترت والذى بعثك بالحقّ . قالت : وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونحرى[١] وفى دَوْلَتى ، لم أظلم فيه أحَدا ، فمِنْ سَفَهى وحَدَاثة سنّى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض وهو فى حِجرى ، ثم وضعت رأسَه على وسادة ، وقمت ألتدم[٢] مع النساء ، وأضرب وجهى .

(مقالة عمر بعد وفاة الرسول) :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيّب ، عن أبى هريرة ، قال : لما تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عُمر بن الخطَّاب ، فقال : إن رجالا من المُنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تُوُفّى ؛ وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات؛ ووالله ليرجعَنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما رجَع موسى ، فليَقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

(موقف أبى بكر بعد وفاة الرسول) :

قال : وأقبل أبو بكر حتّى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلّم الناس ، فلم يلتفت إلى شىء حتّى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسجًّى[٣] فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرة[٤] ، فأقبل حتّى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : ثم أقبل

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها إلى الحلقوم . والنحر : أعلى الصدر .

(٢) ألتدم : أضرب صدرى .

(٣) مسجى : مغطى .

(٤) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

عليه فقبَّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لَن تصيبك بعدها موتة أبدا . قال : ثم ردّ البُرْد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلّم الناس ، فقال : على رِسْلك يا عمر ، أنصِت ، فأبى إلا أن يتكلَّم ، فلما رآه أبو بكر لايُنصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حيّ لايموت . قال : ثم تلا هذه الآية : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ » .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبوبكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فانما هى فى أفواههم ؛ قال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعَقِرت [1] حتى وقعت إلى الأرض ما تحملُنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات.

أمر سقيفة بنى ساعدة

(تفرق الكلمة) :

قال ابن إسحاق : ولما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحىُّ من الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل علىّ بن أبى طالب والزُّبير ابن العوّام وطلحة بن عُبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقيَّة المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أُسَيد بن حُضَير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحىّ من الأنصار مع سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فان كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرُهم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يُفرغ من أمره قد أغلَق دُونه الباب أهلُه . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه

(١) عقرت : دهشت . يقال : عقر الرجل إذا تحير ودهش .

(ابن عوف ومشورته على عمر بشأن بيعة أبى بكر) :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره ، وكنت أُقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فَلْتة فتمّت ؟ قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشيّة فى الناس ، فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يَغْصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رِعاع الناس وغوغاءهم [1] ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يَطير بها أولئك عنك كلّ مطير ، ولا يَعوها ولا يَضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدَم المدينة فإنها دار السُّنة ، وتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكّنا ، فيعى أهلُ الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مَقام أقومه بالمدينة .

(خطبة عمر عند بيعة أبى بكر) :

قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرَّواح حين زالت [2] الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل جالسا إلى رُكن المنبر فجلست حذوه تمسّ رُكبتى ركبته ، فلم أنشَب أن خرج عمرُ بن الخطاب ، فلما رأيته مُقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليَقولنّ العشيّة على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ؛ قال : فأنكر علىّ سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى

---

(١) الغوغاء : سفلة الناس ، وأصل الغوغاء الجراد ، فشبه سفلة الناس به ، لكثرتهم .

(٢) فى ا « زاغت » .

أن يقول مما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذّنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فانى قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لايعيها فلا يحلُّ لأحد أن يكذب علىّ ؛ إن الله بعث محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزَل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعلّمناها ووعيناها ، ورجَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَجمْنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحَبَل أو الاعتراف ؛ ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « لاتَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ فانَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ أنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ » ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتُطرونى كما أُطْرِى عيسى بن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرَّن امرأ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتَة فتمَّت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وَقى شرّها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لابَيْعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرّةً [1] أن يقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سَقيفة بنى ساعدة ، وتخلَّف عنَّا علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوّام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين

---

(١) التغرة : من التغرير ، والكلام على حذف مضاف ، تقديره : خوف تغرة أن يقتلا . والمعنى : أن البيعة حقها أن تقع صادرة عن المشورة والاتفاق ، فإذا استبد رجلان دون الجماعة ، فبايع أحدهما الآخر فذلك تظاهر منهما بشق العصا واطراح الجماعة . فإن عقد لأحد بيعة ، فلا يكون المعقود له واحدا منهما ، وليكونا معزولين من الطائفة التى تتفق على تمييز الإمام منها ، لأنه لو عقد لواحد منهما وقد ارتكبا تلك الفعلة الشنيعة ، التى أحفظت الجماعة ، من التّهاون بهم ، والاستغناء عن رأيهم ، لم يؤمن أن يقتلا . (انظر لسان العرب مادة غرر) .

تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لاتقربوهم يامعشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتّى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فاذا بين ظهرانيهم رجلٌ مُزَمَّل [١] فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وجِـع . فلما جلسنا تشهَّد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفَّت [٢] دافَّة من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زَوَّرت [٣] فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحَدّ [٤] ، فقال أبو بكر : على رِسْلك يا عمر ، فكرهت أن أُغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ماترك من كلمة أعجبتنى من تَزْويرى إلا قالها فى بَديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ماذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحىّ من قريش ، هم أوسط العرب نسبا [٥] ودارا [٦] ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عُبيدة بن الجرّاح ، وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئا مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدّم فتُضرب عنقى ، لايُقَرِّبُنى ذلك إلى إثم ، أحبّ إلىّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جُذيلها المُحَكَّك [٧] وعُذَيقُها [٨]

---

(١) مزمل : ملتف فى كساء أو غيره .

(٢) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد .

(٣) زورت مقالة : أصلحتها وحسنتها .

(٤) الحد : أى أنه كان فى خلق عمر حدة ، كان يسترها عن أبى بكر .

(٥) أوسط العرب نسبا : أشرفهم : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) .

(٦) ودارا : بلدا ، وهى مكة ، لأنها أشرف البقاع .

(٧) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون فى وسط مبرك الإبل ، تحتك به ، وتستريح إليه ، فضرب به المثل للرجل يستشفى برأيه ، وتوجد الراحة عنده .

(٨) العذيق : تصغير عذق ، وهى النخلة بنفسها . والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ، لعزه على أهله ، فضرب به المثل فى الرجل الشريف الذى يعظمه قومه . واسم الدعامة التى

المُرَجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يامعشرقريش : قال : فكثُر اللَّغَط [١] ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوّفت الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبَسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا [٢] على سعد بن عُبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عُبادة : قال : فقلت : قتل الله سعد بن عبادة .

(تعريف بالرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر فى طريقهما إلى السقيفة) :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عُروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لَقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدىّ ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَنِ الذين قال الله عزّ وجلّ لهم : « فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نِعْم المرْء منهم عُويم بن ساعدة ؛ وأما مَعْن بن عدىّ ، فبلغنا أن الناس بكَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عزّ وجلّ ، وقالوا : والله لَوَدِدْنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفتتن بعده . قال معن بن عدىّ : لكنى والله ما أحبّ أنى متّ قبله حتى أصدقه ميتا كما صدّقته حيا ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر ، يوم مُسَيلِمة الكذّاب .

(خطبة عمر قبل أبى بكر عند البيعة العامة)

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرىّ ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهِدَ إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبّر أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به

تدعم بها النخلة الرجبية ، ومنه اشتقاق شهر رجب ، لأنه يعظم فى الجاهلية والإسلام .

(١) اللغط : اختلاف الأصوات ، ودخول بعضها على بعض .

(٢) نزونا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

هَدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ؛ وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة :

(خطبة أبى بكر)

فتكلّم أبوبكر ، فحَمِد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فانى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقوّمونى ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىّ عندى حتى أُريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوىّ فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله ، لايدَعُ قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُلّ ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قطُّ إلا عمَّهُمُ الله بالبلاء ؛ أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامِد إلى حاجة له ، وفى يده الدّرة ، وما معه غيرى ، قال : وهو يحدّث نفسَه ، ويضرب وحشىّ[1] قدمه بدِرّته ، قال : إذ التفت إلىّ ، فقال : يابن عباس ، هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلتُ حين تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لاأدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ؛ قال : فانه والله ، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : « وكذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » ، فوالله إن كنت لأظنّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيَبقَى فى أُمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فانه للذى حملنى على أن قلت ما قلت .

---

(١) الوحشى من أعضاء الإنسان : ما كان إلى خارج . والإنسى : ما أقبل على جسده منها .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

(من تولى غسل الرسول) :

قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر وحُسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علىّ بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُثَم بن العباس ، وأُسامة بن زيد ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولُوا غَسْله ، وأنّ أوس بن خَوْلِىّ ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، قال لعلىّ بن أبى طالب : أنشُدُك الله يا علىّ وحظَّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غَسْل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده علىّ بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه ، وكان أُسامة بن زيد وشُقران مولاه ، هما اللذان يصبَّان الماء عليه ، وعلىّ يُغسِّله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصُه يدلكه به من ورائه ، لا يُفضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلىّ يقول : بأبى أنت وأمى ، ما أطيبك حيًّا وميتا ! ولم يُر من رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء مما يُرَى من الميت .

(كيف غسل الرسول) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غَسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندرى ، أنجرّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلَفوا ألقَى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنُه فى صدره ، ثم كلَّمهم مكلِّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبىّ وعليه ثيابه ؛ قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسَّلوه وعليه قميصُه ، يصبُّون الماء فوق القميص ، ويَدْلُكُونه والقميص دون أيديهم .

(تكفين الرسول) :

قال ابن إسحاق : فلما فُرِغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحارِيَّين[1] وبُرْد حِبَرة ، أُدْرج فيها إدراجا ، كما حدثنى جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه علىّ بن الحسين والزهرى ، عن علىّ بن الحسين .

(حفر القبر) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجرّاح يَضْرَح[2] كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، فكان يَلْحد ، فدعا العبَّاس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عُبيدة بن الجرّاح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة . اللهمّ خِرْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلَحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(دفن الرسول والصلاة عليه) :

فلما فُرِغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وُضع فى سريره فى بيته ، وقد كان المُسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائلٌ : ندفنه فى مسجده وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما قُبِض نبىّ إلا دُفن حيث يُقْبَضُ ، فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تُوفى عليه ، فحُفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلُّون عليه أرْسالا[3] ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أُدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أُدخل الصبيان . ولم يَؤُم الناسَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

---

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار ، وهى مدينة من اليمن كما فى لسان العرب ، أو هى فى بلاد بنى تميم من اليمامة أو ما يليها (عن معجم ما استعجم للبكرى) .

(٢) يضرح : يشق الأرض للقبر .

(٣) أرسالا : جماعة بعد جماعة .

ثم دُفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء.

(دفن الرسول):

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر، عن امرأته فاطمة بنت عُمارة، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن أسعد[1] بن زرارة، عن عائشة رضى الله عنها، جوف الليل من ليلة الأربعاء.

(من تولى دفن الرسول):

وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب، والفضل ابن عبَّاس، وقُثَم بن عباس، وشُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قال أوس بن خَوْلِىّ لعلىّ بن أبى طالب: يا علىّ، أنشدك الله، وحظَّنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: انزل، فنزل مع القوم، وقد كان مولاه شُقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حُفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها، فدفنها فى القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا.

قال: فدُفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(أحدث الناس عهدا بالرسول):

وقد كان المُغيرة بن شُعْبة يدَّعى أنه أحدثُ الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أخذت خاتَمِى، فألقيته فى القبر، وقلت: إن خاتمى سقط منى، وإنما طرحته عمدًا لأمسّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكون أحدث الناس عهدا به صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: فحدثنى أبى إسحاق بن يسار، عن مِقسم أبى القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول «أسعد».

أمّ هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع فسُكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظنّ المُغيرة بن شُعبة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ؛ قال : أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَم بن عباس .

(خميصة الرسول) :

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدّثته ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خَميصة سوداء [١] حين اشتدّ به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرّة على وجهه ، ومرّة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذّرُ من ذلك على أمّته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يُترك بجزيرة العرب دينان .

(افتتان المسلمين بعد موت الرسول) :

قال ابن إسحاق : ولما تُوُفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم عَظُمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغني ، تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدّت العرب ، واشرأبت [٢] اليهودية والنصرانية ، ونَجَم [٣] النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المَطيرة في الليلة الشّاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لمّا

---

(١) خميصة سوداء : هي ثوب خز أو صوف معلم .

(٢) اشرأبت : طلعت .

(٣) نجم : ظهر .

تُوُفى رسول الله صلى الله عليه وسلم همّوا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتَّاب بن [١] أسيد ، فتوارى ، فقام سُهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يَزِد الإسلام إلا قوّة ، فمن رابنا ضَرَبْنا عُنقه ، فتراجع الناس وكَفّوا عمّا همّوا به ، وظهر عتَّاب بن أسيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطّاب : إنه عسى أن يقوم مقاما لاتذمه .

شعر حسان بن ثابت فى مرثيته الرسول

وقال حسَّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدّثنا ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

بطَيْبَةَ رَسْمٌ للرَّسُولِ وَمَعْهَدُ ... مُنِيرٌ وَقد تَعْفُو الرُّسُومُ وتَهْمُدُ [٢]

ولا تمتحى الآياتُ من دار حُرْمَةٍ ... بها منْبَر الهادى الذى كانَ يَصْعَدُ [٣]

وَوَاضِحُ آثارٍ وَباقى مَعالِمٍ ... ورَبْعٌ لَه فيه مُصَلّى وَمَسْجِدُ [٤]

بها حُجُراتٌ كانَ ينزِلُ وَسْطَها ... منَ الله نُورٌ يُسْتَضاءُ وَيُوقَدُ [٥]

مَعارِفُ لم تُطْمَسْ على العَهْدِ آيها ... أتاها البِلَى فالآى منها تَجَدَّدُ [٦]

عرفتُ بها رَسْمَ الرَّسُولِ وعَهْدَهُ ... وقبرًا بها واراهُ فى التُّرْبِ مُلْحِدُ [٧]

ظَللتُ بهَا أبكى الرَّسولَ فأسعدتْ ... عُيون وَمثلاها من الجفْن تُسعدُ [٨]

---

(١) كان عتاب بن أسيد والى مكة حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أمره عليها .

(٢) طيبة : اسم مدينة النبى صلى الله عليه وسلم . والرسم : ما بقى من آثار الدار . وتعفو : تدرس وتتغير . وتهمد : تبلى .

(٣) تمتحى : تزول . والآيات : العلامات .

(٤) المعالم : جمع معلم ، وهو ما يعرف به الشيء .

(٥) الحجرات : جمع حجرة . يعنى مساكنه صلى الله عليه وسلم .

(٦) لم تطمس : لم تتغير .

(٧) الملحد : الذى يضع الميت فى لحده .

(٨) تسعد : تعين .

يُذَكِّرْنَ آلاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى ... لهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فنَفْسِي تَبَلَّدُ[١]
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقْدُ أَحمَدٍ ... فظلَّتْ لآلاءِ الرَّسُولِ تُعَدِّدُ[٢]
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ ... ولكِنْ لنَفسِي بَعْدُ ما قد تَوَجَّدُ[٣]
أَطالَتْ وُقوفًا تَذْرِفُ العينَ جُهْدَهَا ... على طَلَلِ القَبرِ الَّذِى فيهِ أَحمَدُ[٤]
فبُورِكْتَ يَاقبرَ الرَّسولِ وبُورِكَتْ ... بِلادٌ ثَوَى فيها الرَّشِيدُ المُسَدَّدُ
وبُورِكَ لَحْدٌ منكَ ضُمِّنَ طَيِّبًا ... عليــه بناءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنَضَّدُ[٥]
تَهِيلُ عليْهِ التُّرَبَ أَيْدٍ وأَعْيُنٍ ... علَيْهِ وقد غارَتْ بذلكَ أَسْــعُدُ[٦]
لقد غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً ... عشيَّةَ عَلَّوْهُ الثَّرَى لا يُوَسَّدُ
وراحُوا بحُزْنٍ ليس فِيهِمْ نبيُّهم ... وقد وهَنَت منهم ظُهور وأعضُد
يُبَكُّونَ مَن تبْكي السَّمواتُ يومَهُ ... ومَن قد بكَتْه الأرضُ فالناسُ أكمَدُ[٧]
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةُ هالكٍ ... رَزِيَّةَ يَوْمٍ ماتَ فيــهِ مُحَمَّدُ؟
تَقَطَّعَ فيهِ منزلُ الوَحْيِ عنهُمُ ... وقد كانَ ذا نُورٍ يغور ويُنجِــدُ[٨]
يدلُّ على الرَّحمنِ مَن يقتَدِى بهِ ... ويُنْقِذُ مِن هَوْلِ الخَزَايَا ويُرْشِدُ
إمامٌ لهُم يَهْدِيهمُ الحَقَّ جاهِدًا ... معلِّمُ صدْقٍ إن يُطيعوه يُسْعَدُوا
عَفُوٌّ عن[٩] الزَّلاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهم ... وإنْ يُحْســنوا فاللهُ بالخير أجْوَدُ
وإنْ نابَ أمرٌ لم يقومُوا بحَمْلِهِ ... فمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرُ ما يَتَشَدَّدُ
فبَيْنا هُمُ فى نِعْمَةِ اللهِ بَيْنَهُم[١٠] ... دَليلٌ بهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ[١١]

---

(١) الآلاء : النعم ، جمع ألى وإلى (بفتح الهمزة وكسرها وتحريك اللام) .
(٢) شفها : أضعفها .
(٣) العشير : العشر . وتوجد ، من الوجد . وهو الحزن .
(٤) تذرف العين : تسيل بالدمع . والطلل : ما شخص من الآثار .
(٥) الصفيح : الحجارة العريضة . والمنضد : الذى جعل بعضه على بعض .
(٦) تهيل : تصب .
(٧) أكمد : أحزن .
(٨) ينور : يبلغ الغور ، وهو المنخفض من الأرض . وينجد : يبلغ النجد ، وهو المرتفع من الأرض .
(٩) فى ا : « من » .
(١٠) فى ا : « وسطهم » .
(١١) النهج : الطريق البين .

عزيزٌ عليه أن يَجُورُوا عن الهُدَى حريصٌ على أن يَسْتقيموا ويهْتَدوا
عَطُوفٌ عليهم لا يُثَنِّى جَناحَهُ إلى كَنَفٍ يَحْنو عليهم ويَمْهَدُ[١]
فبَيْناهُمُ فى ذلكَ النُّورِ إذْ غَدَا إلى نُورهم سَهم من الموْتِ مُقْصِدُ[٢]
فأصْبَحَ محموداً إلى اللهِ رَاجعا يُبَكِّيهِ حَقَّ المُرْسَلات ويُحْمَدُ[٣]
وأمسَتْ بلادُ الحُرْمِ وَحشا بقاعُها لغَيْبَة ما كانتْ مِن الوَحْيِ تُعْهدُ[٤]
قِفاراً سوَى معْمورَةِ اللَّحدِ ضافَها فقيــدٌ يُبَكِّينه بَلاطٌ وغَرْقَدُ[٥]
ومَسْــجده فالمُوحشاتُ لِفَقْده خَلاءٌ لَهُ فيــهِ مَقامٌ ومَقْعَدُ
وبالجَمْرةِ الكُبرَى له ثَمَّ أوْحَشَتْ دِيارٌ وعَــرْصات ورَبْع ومَوْلِدُ[٦]
فبَكِّى رَسُولَ اللهِ يا عَيْنُ عَبْرَةً ولا أعرفنْكِ الدَّهر دَمعُكِ يجْمَدُ
ومَالكِ لا تَبْكِينَ ذا النِّعْمَةِ التى عَلى النَّاسِ منها سابغٌ يُتَغَمَّــدُ[٧]
فجُودِى عليه بالدُّموعِ وأعْوِلى لفَقْدِ الذى لامثلُه الدَّهرَ يُوجَدُ[٨]
وما فَقَدَ المَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ولا مِثْلُه حتى القِيامَةِ يُفْقَــدُ
أعَفَّ وأوْفَى ذِمَّةً بعْــدَ ذِمَّةٍ وأقْرَبَ منــه نائلاً لا يُنَكَّدُ[٩]
وأبْذَلَ منــهُ للطَّريفِ وتالِدٍ إذا ضَنَّ مِعْطاءٌ بما كانَ يُتْــلَدُ[١٠]
وأكْرَمَ صِيتا فى البُيوتِ إذا انْتَمَى وأكْرَمَ جَدّاً أبْطَحِيّاً يُسَوَّدُ[١١]

---

(١) الكنف : الجانب والناحية .

(٢) مقصد : مصيب ، يقال : أقصد السهم : إذا أصاب .

(٣) المرسلات (هنا) : الملائكة . ويروى : « جن المرسلات » يريد الملائكة المستورين عن أعين الآدميين .

(٤) بلاد الحرم (بضم الحاء وكسرها) : يعنى مكة وما اتصل بها من الحرم .

(٥) ضافها : نزل بها . وبلاط : مستو من الأرض . والغرقد : شجر .

(٦) عرصات : ساحات ، سكنت الراء ضرورة .

(٧) سابغ : كثير تام . ويغمد : يستّر .

(٨) أعولى : ارفعى صوتك بالبكاء .

(٩) لاينكد : لايكدر بالمن الذى يفسد النائل .

(١٠) الطريف : المال المستحدث . والتالد : المال القديم الموروث . وضن : بخل . ويتلد : يكتسب قديما .

(١١) الصيت : الذكر الحسن . والأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة ، وهو موضع سهل متسع .

وأمنعَ ذروات وأثبت فى العُــلا دعائم عزّ شاهقات تُشيَّدُ[1]
وأثبتَ فرْعا فى الفروع ومَنْبتا وعودًا غذاهُ المُزْنُ فالعُود أغيَدُ[2]
رَباه وليــدًا فاستتمَّ تمامُــهُ على أكرَم الخيرات رَبٌّ مُمَجَّــدُ
تَناهتْ وَصَاةُ المُسْلمينَ بكَفِّه فلا العِلمُ محبوسٌ ولا الرأىُ يُفْنَدُ[3]
أقولُ ولا يُلْفَى[4] لقَوْلىَ عائبٌ مِن النَّاس إلا عازبُ العقل مُبْعَدُ[5]
وليسَ هَوَاىَ نازعا عَنْ ثَنائه لعلِّى به فى جَنَّة الخُلْد أخْلُدُ
معَ المُصْطَفى أرْجو بذاكَ جِوَارهُ وفى نَيْلِ ذاكَ اليَوْم أسْعَى وأجهَدُ

وقال حسَّان بن ثابت أيضا ، يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بالُ عَيْنــكَ لا تَنامُ كأنَّما كُحِلَتْ مآقيها بكُحْلِ الأرْمَدِ[6]
جَزَعا على المَهْدِىِّ أصْبَحَ ثاويا يا خيرَ من وَطِئَ الحَصَى لا تَبْعَدِ
وَجْهِى يقيكَ التُّرْبَ لَهْفِى لَيْتَنِى غُيِّبْتُ قَبلكَ فى بَقيعِ الغَرْقَدِ[7]
بأبى وأُمى مَنْ شَهِدْتُ وَفاتَهُ فى يَوْم الاثنَين النَّبِىُّ المُهْتَــدِى
فظَلِلْتُ بَعْــدَ وَفاتِه مُتَبَلِّدًا مُتَلَدِّدًا يا لَيْتَنِى لم أُولَدِ[8]
أأُقيمُ بَعْــدكَ بالمَدينَةِ بينهم يا لَيْتَنى صُبِّحْتُ سَمَّ الأسْــوَدِ[9]
أوْ حَلَّ أمْرُ اللهِ فينا عاجِــلاً فى رَوْحَةٍ مِن يَوْمِنا أو مِن غَدِ

(١) الذروات : الأعالى . وشاهقات : مرتفعات . وفى ا : « شامخات » .
(٢) المزن : السحاب . وأغيد : ناعم متثن .
(٣) يفند : يعاب .
(٤) فى ا : « ولا يلفى لما قلت » .
(٥) عازب العقل : بعيد العقل .
(٦) المآقى : مجارى الدموع من العين الواحد مأق . والأرمد : الذى يشتكى وجع العين . ورواية هذا البيت فى ديوان حسان :
« مابال عينى . . . »
(٧) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة . ورواية هذا البيت فى الديوان :
« جنبى يقيك . . . » الخ
(٨) متلدد : متحير .
(٩) صبحت : سقيت صباحا . والأسود : ضرب من الحيات .

فَتَقُومُ ساعَتُنا فَنَلْقَى طَيِّبًا مَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ المَحْتِدِ[1]
يا بِكْرَ آمنَةَ المُبَارَكَ بِكْرُهَا وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الأسْعُدِ
نُورًا أضاءَ على البَرِيَّةِ كلِّها من يُهْدَ للنُّورِ المُبارَكِ يَهْتَدِى
يا ربِّ فاجمَعْنا مَعًا وَنَبِيَّنا فى جَنَّــةٍ تَثْنِى عُيُونَ الحُسَّدِ[2]
فى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فاكتُبها لَنا يا ذَا الجَلالِ وَذَا العُلا والسُّودَدِ
والله أسمع ما بَقِيتُ بِهالكٍ إلا بَكَيْتُ على النَّبىِّ مُحمَّــدِ[3]
يا وَيْحَ أنْصَارِ النَّبىِّ ورَهْطِــهِ بَعْدَ المُغَيَّبِ فى سَوَاءِ المَلْحَدِ[4]
ضَاقَتْ بالأنْصَارِ البِلادُ فأصْبَحوا سُودًا وُجُوهُهُمُ كلَوْنِ الإثْمِدِ[5]
وَلَقَــدْ وَلَدْناهُ وَفِينا قَــبْرُهُ وفُضُولَ نِعْمَتِــهِ بنا لم نَجْحَدِ[6]
والله أكْرَمَنَا به وَهَــدَى بِهِ أنصارَه فى كُلِّ ساعَةِ مَشْهَدِ
صَلَّى الإلهُ وَمَنْ يَحُفُّ بعَرْشِهِ والطَّيِّبونَ على المُبارَكِ أحمَــدِ[7]

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نَبِّ المَساكِينَ أنَّ الخيرَ فارَقَهُمْ معَ النَّبىِّ تَوَلَّى عنهُمُ سَــحَرَا[8]
مَنْ ذا الذى عندَه رَحْلِى ورَاحِلَتِى ورِزْقُ أهلِى إذا لم يُؤْنِسوا المَطَرَا[9]
أمْ مَنْ نُعاتِب لا نَخْشَى جَنادِعَهَ إذا اللِّسان عَتَا فى القَوْلِ أو عَثَرَا[10]
كانَ الضِّياءَ وكانَ النُّورَ نَتْبَعُهُ بعد الإله وكان السَّمع والبَصَرا
فَلَيْتَنا يَوْمَ وَارَوْه بمُلْحِدِهِ وغَيَّبوهُ وألقَوْا فوْقَهُ المَــدَرَا

(١) الضرائب : الطبائع . والمحتد : الأصل .
(٢) تثنى : تصرف وتدفع .
(٣) والله أسمع : أى والله لا أسمع .
(٤) سواء الملحد : وسط القبر .
(٥) الإثمد : كحل أسود يكتحل به .
(٦) ولدناه : يشير إلى أن بنى النجار أخوال النبى عليه الصلاة والسلام من قبل آبائه .
(٧) وردت هذه القصيدة فى ديوان حسان باختلاف فى بعض كلماتها وترتيب أبياتها .
(٨) نب : نبئ وأعلم ، سهله ، ثم عامله معاملة المعتل .
(٩) يؤنسوا المطر : لم يحسوه .
(١٠) الجنادع : أوائل الشر . وعتا : زاد وطغى .

لم يترُكِ اللهُ مِنَّا بَعْـــدَهُ أحَدًا ... ولم يَعِشْ بعدَه أُنْثى ولا ذَكَرَا

ذلَّت رِقابُ بنى النَّجَّار كلِّهِمِ ... وكان أمْرًا مِنَ امْرِ الله قد قُدِرَا

واقتُسِمَ الفيءُ دون النَّاس كلِّهِم ... وبدَّدُوه جِهارًا بينَهم هَـــدَرَا[1]

وقال حسَّان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا :

آليْتُ مافى جميع النَّاسِ مُجْتَهِدًا ... مِنِّى أليـــةَ برٍّ غَــيرَ إفْنادِ[2]

تا للهِ ماحمَلَتْ أُنْثى ولا وَضَعَتْ ... مثلَ الرَّسُولِ نبيِّ الأُمَّةِ الهادِى

ولا برَا اللهُ خَلْقًا مِنْ برِيَّــتهِ ... أوْفى بِذمَّـــةِ جارٍ أو بمِيعادِ

مِنَ الذى كانَ فِينا يُسْتَضَاءُ بهِ ... مُبارَكَ الأمْرِ ذا عَــدلٍ وإرْشادِ

أمْسَى نساؤكَ عَطَّلْنَ البيوتَ فمَا ... يَضْرِبْنَ فوْقَ قَفا سِتْرٍ بأوْتادِ

مثلَ الرَّوَاهبِ يَلْبَسْنَ المباذلَ قد ... أيقَنَّ بالبُؤْسِ بعدَ النِّعمَةِ البادى[3]

يا أفضلَ النَّاسِ إنِّى كنتُ فى نَهَرٍ ... أصبحتُ منه كمثل المُفرَدِ الصَّادى[4]

قال ابن هشام : عجز البيت الأوَّل عن غير ابن إسحاق[5] .

انتهى الجزء الرابع من سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبه تمّ الكتاب

---

(١) هدرا : باطلا .

(٢) الألية : اليمين والحلف . والإفناد : العيب . ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى الديوان :

« آليت حلفة بر غير ذى دخل »

(٣) المباذل : جمع مبذل (بكسر الميم) وهو الثوب الذى يبتذل فيه .

(٤) الصادى : العاطش . وقد وردت هذه القصيدة فى الديوان ببعض اختلاف عما هنا .

(٥) فى م ، ر بعد هذا وردت العبارة الآتية :

وجد بآخر بعض النسخ ما نصه : وهذا آخر الكتاب والحمد لله كثيرا ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الأخيار الراشدين .

أنشدنى أبو محمد بن عبد الواحد عن محمد بن عبد الرحمن البرقى قال : أوعب أبو محمد عبد الملك بن هشام كتاب السيرة وبحضرته رجال من فصحاء العرب ، فقال :

تم الكتاب وصار فى الفرض ... عشرين جزءا كلها ترضى

كملت بلا لحن ولا خطل ... فى الشكل والإعجام والنرض

والحمل حتى صح ناقله ... بعض من العلماء عن بعض

بحمد الله ، تمّ طبع كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
المعروفة « بسيرة ابن هشام »
بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة

(٦٣ / ٤ / ٣٠٠٠ / ١٩٥٦)

القاهرة فى { ٨ رمضان سنة ١٣٧٥ هـ
١٩ إبريل سنة ١٩٥٦ م

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

فهرس القسم الثانى

من السيرة النبوية لابن هشام

الجزآن الثالث والرابع

الصفحة

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين :

الصفحة

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد :

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد :

الصفحة

أمر الحديبية فى آخر سنة ستّ :

بيعة الرضوان :

أمر الهدنة :

ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح :

أمر المهاجرات بعد الهدنة :

الصفحة

الصفحة

ذكر غزوة الطائف بعد حنين :

أمر أموال هوازن وسباياها ، وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها :

الصفحة

عمرة الرسول من الجعرانة :

أمر كعب بن زهير بعد انصرافه عن الطائف .

غزوة تبوك :

الصفحة

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك :

أمر الثلاثة الذين خلفوا ، وأمر المعذرين فى غزوة تبوك :

أمر وفد ثقيف وإسلامها :

حج أبى بكر بالناس سنة تسع :

الصفحة

الصفحة

فهرس رجال الإسناد

٣٠٢ ، ٤٤٩ .

س

ش

ص

ط

ع

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ى

فهرس الأعلام

ب

ت

ث

ج

ح

ز

س

ط

ع

غ

ك

ن

هـ

و

ى

فهرس الشعراء

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

فهرس القبائل والجماعات

ب

ت

ث

ج

د

ذ

ر

ز

س

غ

ف

ه

و

ى

فهرس الأماكن والبلدان

آ

ا

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

الأيام والغزوات

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ل

م

ن

و

ى

فهرس المتفرقات أسماء الخيل والشعارات

غ

ف

ق

ل

م

هـ

و

ى

فهرس الكتب

التي وردت أسماؤها في ثنايا الكتاب

ص

ط

غ

ق

ك

ل

م

ن

ى

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
بطيب	ونهمد	طويل	١١:٦٦٦
لكنى	الزبدا	بسيط	٣:٣٧٤
ما	ولد	بسيط	١٧:٥٦٩
آليت	إفناد	بسيط	٥:٦٧١
تبارك	هاد	بسيط	١:٥٢٧
فلا	جهدا	بسيط	٦:٥٤٥
أمرتك	رشده	مجزوء الوافر	٢١:٥٨٣
ما	محمد	كامل	١١:٤٩١
قل	المسجد	كامل	٨:٤٢٧
ما	الأرمد	كامل	٩:٦٦٩
لن	يعودا	مجزوء الكامل	٩:٥٧٢
يا	الأتلدا	رجز	١٢:٢٩٤
أقسمت	برده	رجز	٥:٤٣٦
أنع	كبدا	رجز	٢:٥٧٢
إن	يسندا	متقارب	١٥:٤٥٧
أميني	تجمدا	متقارب	٣:٤٧٦

ر

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
لم	الأمر	طويل	٢١: ٨
ألا	الصدر	طويل	٢: ١٠
عجبت	بصائر	طويل	١١: ١٣
ألا	العسر	طويل	٨: ٢١
أسائلة	وخبير	طويل	٧:١٥٧
تركت	الأعاصر	طويل	١٤:١٨٨
عشية	هوبر	طويل	٧:٢٤٨
ومالى	الشجر	طويل	١٨:٢٤٨
وما	عمرو	طويل	٦:٢٥٢
نلق	بشاعر	طويل	٨:٣٠٥
ولكنه	بمقصر	طويل	٩:
هل	خبير	طويل	١:٣٤٩
أشرت	الكفر	بسيط	٣: ٩٣
لقد	يدور	وافر	١:١٩٩
عجبت	قاهر	طويل	١١: ١٤
ولما	لنفر	وافر	٥: ٣٤
فغودر	النضير	وافر	٩: ٥٧
على	نزر	وافر	٣:١٨٩
أرقت	قصير	وافر	٥:٢٠٠
لقد	نصير	وافر	٧:٢٧١
تفاقد	نصير	وافر	٥:٢٧٢
أدام	السعير	وافر	١١:٢٧٢
ألا	والنضير	وافر	١٦:٢٧٢
كم	الأنطار	كامل	١٣:٢٣٦
أمسى	ينتظر	وافر	٢:٢٦٩
رميت	وفقار	كامل	٣:٣٤١
وبها	الأدبار	رجز	١: ٦٨
نحن	سعر	رجز	٩: ٩١
خزيت	الكفر	رجز	١٥: ٩١
سماه	ظهرا	رجز	٩:٢١٧
حول	مدسورا	خفيف	١٨:١١٢
نذعرنا	وقار	خفيف	١:٢٥٠
أيا	تنزرى	متقارب	١٧: ٢٤
أظن	قصورا	متقارب	١١:٢٨٧
الأمن	العير	متقارب	٧: ٨٥
أخى	مقصر	طويل	١٥:٣٦٠
تأوبنى	مسهر	طويل	١:٣٨٤
كفى	أقبر	طويل	٣:٣٨٨
أبا	وشمرى	طويل	١:٤٣٧
نصرنا	حواسره	طويل	١٦:٤٧٣
وكان	ومنكرا	طويل	٨:٥٤٥
سعيت	لثائر	طويل	١: ٦٨
فثبت	نصروا	بسيط	٩:٤٩٧
زادت	درر	بسيط	٨:٣٧٤
قالوا	ينحدر	بسيط	٩:٤٥٤
ما	الشفر	بسيط	٥:٤٦٦
لا	ينتصر	بسيط	١٣:٤٨١
يا	والخمر	بسيط	١١:٥٨٨
نب	سحرا	بسيط	١٣:٦٧٠
ألا	الخبير	وافر	١:٤٥١
وجدنا	بثفر	وافر	٣:٥٨٥
وعاذلة	السعير	وافر	٥:٦٦١

فهرس أنصاف الأبيات